منارة الأقداس

[موسوعة لاهوتية روحانية ليتورجية]

سلسلة الموارنة تاريخ وتراث

1 - منارة الأقداس (1 - 2) للبطريك أسطفان الدويهي، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني.

2 - البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة للمطران يوسف دريان 206 ص، 8$

3 - أصل الموارنة واستقلالهم بجبل لبنان من قديم الزمان إلى الآن للمطران يوسف دريان، تقديم يوسف السودا. 316 ص، 10$

4 - حقيقة أمر الطائفة المارونية، بحث نقدي تاريخي في أصلها واسمها وديانتها وأحوالها للمطران يوسف دريان. 365ص، 12 $

5 - كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم، تأليف القس إفرام الديراني. 550 ص، 12$

6 - الكوكب السيّار، سيرة البطريرك الياس الحويك ورحلاته إلى اسطنبول وباريس للموسينيور بطرس حبيقة والقس أوغوسطين البستاني. 535 ص، 16 $


دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان

سلسلة الموارنة تاريخ وتراث 1

البطريرك أسطفان الدويهي

منارة الأقداس

[موسوعة لاهوتية روحانية ليتورجية]

تحقيق رشيد الخوري الشرتوني

الجزء الأول


دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان

دار ومكتبة بيبليون
طريق المريميين – حي مار بطرس
جبيل / بيبلوس – لبنان
ه : 09/540256-03/847633 ف: 09/546736
Byblion1@terra.net.lb



البطريرك اسطفان الدويهي

مؤلف الكتاب

منارة الأقداس

تأليف

فخر زمانه ووحيد أوانه وحجة اللاهوتيين وإمام المدققين

أبينا وسيدنا المطوب

مار اسطفان الدويهي

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

تغمده الله برحمته ونفعنا بدعائه

عني بطبعه لأول مرة عن نسخة دير اللويزة

رشيد الخوري الشرتوني

محرر جريدة البشير ومدرس الخطابة في كلية القديس يوسف

١٨٩٥

خطبة الطابع

في الداعي لنشر الكتاب

يقول العبد الفقير اليهِ تعالى رشيد بن عبد الله بن ميخائيل بن الياس بن يوسف ابن الخوري شاهين الرامي الشرتوني اللبناني ان حرصي على اذاعة ما تركهُ مشاهير الموارنة وخلّفهُ افاضاهم وعلماؤهم من التآليف النفيسة والآثار الجليلة حملني ان اطبع لاول مرة كتاب منارة الاقداس لابينا الطيب الذكر العلاّمة البطريرك اسطفان الدويهي رغبةً في تيسير السبيل لكل من اراد التفقُّه بالرتب البيعية والطقوس الكنسية والعقائد الدينية ان يرد منهلهُ ويرتشف منهُ زلال التعاليم الصافية. غير اني لم استحسن ان اطبعهُ بما فيهِ من الاغلاط اليسيرة فجرَّدتهُ من كل ما يخالف القواعد الاعرابية وابقيتهُ فيما عدا ذلك على حالهِ دون ان اتعرض لاحداث تغيير فيهِ سوى ما اقتضتهُ حاجة اظهار المعاني وهو كمال الوفاء بحق المؤلف رحمهُ الله

وبما ان الكتاب يشتمل على كثير من النصوص المأخوذة عن الاسفار الالهية جاء بها المؤلف تأييداً لما توخى اثباته او نقضه وكانت النسخة التي انتهت اليَّ خالية من تعيين مواقع الآيات اقتضى الامر ان أُعنى بتعيينها واعلق ذلك في اسفل الصفحات حتى تسهل مراجعتها في مواضعها

ولما فرغت من طبع الجزء الاول رفعت منهُ نسخةً الى المقام البطريركي الجليل وبعد ان طالعه غبطة ابينا السيد البطريرك وامعن النظر في مباحثه اثنى على الخدمة التي قام بها هذا العاجز لرجال الكهنوت وتكرَّم بارسال مرسوم جليل آمراً ان إصدّر بهِ الكتاب وهذا نص المرسوم المذكور:

بطريركية الموارنة الانطاكية

Patriarchatus Antiochenus
Maronitarum

الى حضرة ولدنا المعلم رشيد افندي الخوري الشرتوني المحترم

ايها الابن العزيز السلام والبركة الرسولية

ان اجتهادكم في نشر كتاب المنائر العشر العلامة البطريرك اسطفان الدويهي الطيب الذكر قد أولانا بهجةً وحبوراً كما اولاكم ثناءً جميلًا وأنالكم مزيد رضانا الابوي • كيف لا وهذا الكتاب فريد في بابه ولم يُنسج على منواله في اللغة العربيـة مع شدة الفاقة الى مثاله كتاباً جامعاً للحقائق الراهنة والشروح المختارة المأثورة عن اكابر علماء الكنيسة وافاضل المحققين في امر الليتورجيات الشرقية والعقائد الدينية وقد افاض فيهِ المؤلف رحمـه الله عيون علمه وفضله وأودعه خرائد افكاره العالية ومباحثه السامية حتى غدا اثراً من آثاره الحميدة التي تنطق بفضلهِ وسعة علمه ومطالعـاته وتوقد ذهنه وشدَّة حرصه على نشر المعارف وتوسيع نطاقها بين ابناء جنسهِ • ولقد طالما كانت آثاره هذه الجليلة مدفونةً في بطون الاوراق والكتب الخطية النادرة الوجود العزيزة المنال وفي جملتها كتاب المنائر الذي جاء اسمه مطابقاً لمسماه من

كل وجه وتحت كل ملاحظة لانهُ يبعث النور للعقول المظلمة فيهديها جادة الحقّ والصواب بما فيه من المباحث الفلسفية والمسائل اللاهوتية والتاريخية مما يتعلق بالدين القويم وعقائده السامية وطقوسه الرسولية . فتصديتم الى نشر كتابه في تاريخ الطائفة ثم هذا كتاب المنائر فاستحققتم افضل مدح وشكر لما عانيتم من التعب في هذا السبيل . وعليهِ فقد وجهنا اليكم برسومنا هذا الذي بهِ نبدي لكم رضانا الابوي ونحثكم على مزيد النشاط في خدمة الدين والعلم ونسألهُ تعالى ان يجزيكم خير الجزاء ويتيح لكم أَسباب التوفيق والنجاح

ونتخذ هذه الفرصة لحض اولادنا الكهنة خاصةً على اقتناء الكتاب والاكباب على مطالعته بجد واجتهاد ليستقوا منهُ زلال العلوم الالهية ويعرفوا قدر الطقوس البيعية التي يباشرونها كل يوم في خدمة القداس الطاهر ويراعوا كل حركة فيها ويفهموا دلالتها فيهتموا في اتقان خدمة الجلال الالهي كما ينبغي . وفي الختام نمنحكم عربونًا لما تقدم بركتنا الرسولية تكرارًا في ١٢ ايلول سنة ١٨٩٥

مكان الختم

✠

الحقير

يوحنا بطرس

البطريرك الانطاكي

ملاحظة على مقدمة المؤلف

من قرأ مقدمة المؤلف ظهر لهُ لاول وهلة انها ليست من قلمهِ بل من قلم رجل آخر صنَّفها وأعرض عن ذكر اسمه ويمكن تأييد ذلك بالبراهين الآتية

١ ان المقدمة المذكورة مخطوطة بقلم مختلف عن قلم الناسخ فكأن احد القراء بعد ان وقف على الكتاب وضعها بياناً لمشتملاتهِ واهميتهِ

٢ ان المؤلف موصوف فيها باوصافٍ غاية في التعظيم وهذا ابعد من ان تخطهُ يده لما كان معروفاً بهِ من الدعة والتواضع البادية سيماؤه في كل كتبه وتآليفه

٣ ان المؤلف ذكر في الفصل الثاني من الشرح الثاني على المنارة الاولى انهُ صنف مجلداً ثالثاً عن « اتفاق خدم القداديس في اربعة كراسي النصرانية » (راجع صفحة ٥٣ من هذا الكتاب) غير ان منشئ المقدمة يقول ان الكتاب منقسم الى مجلدين فقط فكأنهُ غفل عما جاء في الفصل المذكور (١)

٤ ان الناسخ بعد كتابة الفهرست يقول ما نصه « نبتدئ بكتابة الكتاب المسمى ܡܢܪܬ ܩܘܕܫܐ تأليف الاب المكرم البطريرك المعظم مار اسطفان الاهدني صلاته تحفظنا امين » ويأخذ بعد ذلك في نسخ فصول الكتاب

---

(١) ان هذا المجلد الثالث لم اعثر عليهِ بعد البحث وقد سألت عنهُ في مكاتب عديدة فلم اجده ولعله يكون حيث لم استطع وصولاً اليه او انهُ مفقود او ان الاجل لم ينفسح للمؤلف فيتممه وعلى كل حال فعدم وجوده خسارة كبرى

مبتدئاً من المنارة الاولى. فقولهُ « نبتدئ . . الخ » دليل على ان المنارة الاولى التي لا يسبقها شيء هي مبدأ الكتاب وان المؤلف ترك كتابه دون مقدمة

٥ ان المؤلف وان كان قد صدَّر بعض كتبه بالمقدمات كتاريخ الطائفة المارونية الا انهُ اغفل ذلك في سائر الكتب التي تيسر لي الاطلاع عليها كتاريخ الازمنة ورسالته في بطاركة الموارنة بلبنان ورسالته في قصص مؤلفي النوافير وعليهِ فلا عجب اذا كان قد غادر كتاب المنارة هذا بلا مقدمة

غير ان هذه الادلة ليست بقاطعة فقد يمكن ردّها والترجيح بان المقدمة هي للمؤلف وذلك بالبراهين التابعة

١ ان كتابتها بقلم مختلف عن قلم الناسخ ليست برهاناً الزامياً على كونها لغير المؤلف اذ لا يمنع مانع من القول بان الناسخ نقل عن نسخة مغفلة منها المقدمة ثم جاء بعده احد القراء فوجد نسخة أُخرى مثبتةً فيها المقدمة المذكورة فاضافها الى الكتاب حرصاً عليها من الضياع

٢ اما اوصاف التعظيم التي تضمنتها فلا يبعد ان يكون ناسخها قد ادخلها فيها عمداً اشعاراً بمزيد اعتباره للمؤلف وهذه عادة للنساخ قديمة. ولنا على اثباتها شواهد عديدة نقتصر منها على اثنتين

فقد جاء في مقدمة تاريخ مختصر الدول (١) بعد البسملة ما نصه:

قال مولانا وسيدنا الاب القديس . الطاهر النفيس. العالم العلامة. ملك العلماء. افضل الفضلاء. قدوة الزمان. فريد الوقت والاوان. افتخار اهل الفضل

(١) طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٠

والحكمة مار كريغوريوس ابو الفرج ابن الحكيم الفاضل اهرون المتطبب الملطي تغمده الله برحمتهِ. الحمد لله الخ ..

وجاءَ في ترجمة العلامة الدويهي نفسه التي انشأَها الطيب الذكر البطريرك سمعان عواد واثبتُّها في تاريخ الموارنة ما نصهُ:

يقول السيد المكرم والحبر المعظم والفيلسوف المحقق واللاهوتي المدقق ابونا وسيدنا مار سمعان عواد البطريرك الانطاكي المحترم .. الخ. اه

وكل هذا هو بلا شك من قلم النساخ لا من قلم المؤلفين المشار اليهما

٣ اذا كان المؤلف قد صرَّح في عرض المنارة بعزمهِ على تصنيف مجلد ثالث موضوعهُ «اتفاق خدم القداديس في اربعة كراسي النصرانية» فيحتمل ان يكون قد عقد الرأي على ذلك بعد ان وضع المقدمة. وعليهِ فلا يُحسب خلوّ المقدمة من التصريح بهِ دليلًا على كونها لغيره

٤ ان خلوّ بعض كتبه من المقدمات لا يستلزم خلو هذا الكتاب من مقدمة فقد يتفق للمؤلف الواحد ان يضع خطبةً لاحد كتبه ويهملها في كتاب آخر وليس هذا بنادر الوقوع

٥ ان قول الناسخ «نبتدئ .. الخ» وشروعه بعد ذلك بكتابة المنارة الاولى لا يدل لزومًا على ان هذه المنارة هي مبدأ الكتاب وانها غير مسبوقة بمقدمة اذ ليس من شيء يثبت كونه وقع على نسخة كاملة غير مهملة منها المقدمة

تقرب الموارنة من الكنيسة الرومانية

ان ما اتصف بهِ بطاركة طائفتنا المغبوطين من شدة الغيرة على ازدياد أُمتهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ومعلمتهنَّ كان يحملهم على الابتعاد عن عوائد كثيرة طقسية وان كانت في نفسها مستحسنة رغبةً في التقرب الى الكرسي الرسولي

ولا يخفى على من لهُ المام بتاريخ عاداتنا القديمة وما نمارسه اليوم ان هذا الابتعاد قد ابتدأ عندنا منذ عهد رجوع بطريركنا ارميا العمشيتي من رومية سنة ١٢١٥ فان اكليروسنا من ذلك الوقت اخذ « يلبس الثياب والحلل الموفقة لثياب وحلل اللاتين ويجتهد في التقرّب من الكنسية الرومانية في كل شيء » (راجع الفقرة الخامسة من رسالة البابا زخيا الثالثة المثبتة في تاريخ الطائفة المارونية صفحة ٣٦٣) (١)

---

(١) ان البابا زخيا الثالث لم يكن الوحيد بين البابوات الذين اوصوا بطاركتنا باتباع عادة الكنيسة الرومانية في خدمة المذبح بل ان كثيرين منهم فعلوا ذلك بدليل ما كانوا يرسلون لهم من حلل وكؤوس وقوالب للبرشان مما هو مختص برتبة الكنيسة الرومانية

ويتضح ذلك ايضاً من رسالتي بطرس بطريركنا الى البابا لاون العاشر فان الاولى كتبت في ٨ اذار سنة ١٥١٥ والثانية في ١٤ شباط سنة ١٥١٥ وفي الاولى يقول هكذا: اطلب من ابوتك التثبيت في درجتي ومعهُ البركات ضمن براءة قداستكم ثم الكسوة الحبرية التي يستعملها بطاركتنا اي الخاتم

ثم انهُ لما رقي كرسي البطريركية البطريرك يوسف الرزي الذي توفي سنة ١٦٠٨ رغب في زيادة هذا التقرب الى الكنيسة الرومانيـة فحلل اكل اللحم لروساء الكهنة واكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين وابطل جمعة نينوى وقصر قطاعة الرسل وقطاعة الميلاد (راجع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ١٨٨)

وقد جرت تبديلات وتغييرات أُخرى لرتب طقسنا القديم ولكن يصعب تعيين الوقت الذي ابتدأَت فيهِ جميعها فمن هذه التغييرات ان الخوارنة كانوا يباركون زيت العماد ويدهنون بهِ المعمودين الاَّ ان آباء مجامعنا حكموا بان تقديس زيت العماد ينبغي ان يكون مخصوصاً بالسيد البطريرك. ومنهـا ان الكهنة القدماء كانوا يدهنون المؤمنين بالميرون بعد عمادهم وفقاً لرتبتنا القديمة فابطل آباؤنا هذه العـادة ايضاً احتراماً لرأي الاحبـار الاعظمين الذين نهوا

والصليب الخ. وفي الرسالة الثانية التي كتبها بعـد وصول مطلوبه يعدّد الاواني المرسلة من الحبر الاعظم واحداً بعد واحدٍ وهي حسب رتبـة اللاتين تختص بخدمة المذابح والاسرار المقدسة وآنية الميرون والزيت المقـدس. فالملخص من ذلك انهُ من عهد البابا زخيا الثالث اخذ كهنتنا واحبارنا لا يجرون فيما يتعلق بالخدمة الا حسب رتبة الكنيسة الرومانية المقدسة (راجع تاريخ الطـائفة صفحة ١٤٦)

اما استعمال التقديس على الفطـير فهو قديم جداً في كنيستنا وكنيسة الارمن دون سائر الكنـائس الشرقية والمعروف على وجه التأكيد انهُ كان عندنا منذ السنة ٦٠٠ للميلاد الالهي (راجع المجمع اللبناني قسم ٢ راس ١٢ والدر المنظوم صفحة ١١١)

عن ذلك وحكموا بان لا يخدم سرّ التثبيت احد سوى روساء الكهنة .
ومنها ان مادة الميرون كانت تتركب سابقاً في كنيستنا كما في غيرها من الكنائس الشرقية من اجزاء كثيرة عطرية لا من الزيت والبلسم فقط كما تشهد بذلك الكتب اليونانية والسريانية غير ان الاحبار الرومانيين رغبوا ان نقتدي بعادتهم الحميدة وان لا يتركب الميرون المقدس الا من زيت الزيتون والبلسم لا غير. فاحتراماً لهم قبل ذلك آباؤنا الاقدمون وجروا عليهِ ثم ايَّده المجمع المنعقد سنة ١٥٩٦ وبعده المجمع اللبناني ايضاً

ومنها ان صورة سرّ مسحة المرضى في الرتبة القديمة المعروفة برتبة القنديل كانت عبارة عن الالفاظ الآتية: « ايها الاب طبيب الانفس والاجساد يا من ارسلت ابنك سيدنا يسوع المسيح ليشفي من كل مرض وينجي من الموت اشفِ بهذه المسحة عبدك هذا من كل امراض النفس والجسد بنعمة سيدنا يسوع المسيح ابنك الوحيد الذي معهُ ومع روحك القدوس يليق لك المجد الآن وكل اوان والى دهر الداهرين »

اما صورة الرتبة الجديدة على موجب عادة الكنيسة الرومانية فهي ان الكاهن يكرر الصلاة التابعة حين يمسح كل عضوٍ من اعضاء المريض : « بهذه المسحة المقدسة وبرحمة الله الغزيرة الرأفة يغفر لك الرب كلما اخطأت بهِ بالنظر . . . وبالسمع . . . الخ »

ومنها انهُ في خدمة سر التثبيت كان مرسوماً في رتبتنا القديمة الشرقية حضور سبعة كهنة او على الاقل ثلاثة يلفظون كلام الصورة جملة. ولكن هذه الرتبة أُبطلت وتقرر انهُ لا يلزم لخدمة هذا السرّ سوى كاهن واحد فقط

ومنها ان كنيستنا المارونية كسائر الكنائس الشرقية كانت تحرّم زواج الاب

والابن للام وابنتها والاخوين للاختين ولكنها قد قبلت هذا الزواج تبعاً لرسوم المجمع اللاتراني المقدس المنعقد في عهد البابا زخيا الثالث وفيهِ حضر بطريركنا ارميا العمشيتي كما تقدم القول (راجع المجمع المذكور قسم ٢ راس ٢ وراس ٣ و ٨ و ١٤ الخ)

ومنها انهُ في كتب رتبتنا القديمة كما في الرتبة الرومانية القديمة والرتبة اليونانية القديمة مفروض على خادم سرّ العماد ان يدهن الطفل بالميرون حالاً بعد تعميده ثم يناولهُ القربان الاقدس. اما بطاركة طائفتنا فانهم ابطلوا هذه العادة واحتراماً لشرف السرّ وعدم ضرورته لخلاص الاطفال امروا ان لا يعطى للاطفال وقت عمادهم اصلاً كما حكم بذلك مجمعنا المنعقد سنة ١٥٩٦ بحضور الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي فقد جاء في العدد السابع منهُ ما نصه: «من حيث ان جسد المسيح لا يمكن ان يُعطى للصغار دون عبث باللياقة يجب على الكهنة من الان فصاعداً ان لا يعطوه الا لمن ادرك سن التمييز (راجع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ٢٩٠ والمجمع اللبناني قسم ٢ راس ١٢)

ومنها ان كهنة طائفتنا في القديم كانوا يقدسون القداس السابق تقديسه وهو المعروف عندنا بنافور رسم الكاس في ايام الصوم الكبير ما عدا السبوت والآحاد كما هو عند الروم الى يومنا هذا. غير ان احبارنا المتقدمين امروا ان لا يتقدس الا يوم جمعة الآلام فقط كما هي عادة الكنيسة الرومانية

ومنها ايضاً عادات كثيرة وصلوات عديدة استبدلناها بعادات وصلوات اخرى على موجب طقس الكنيسة الرومانية وليس هذا محل استيفائها

مؤلفات الدويهي

كان يحسن بي ان اضع هنا ترجمة المؤلف وابسط الكلام فيها غير اني اكتفي بما تقدم لي اثباته بالتطويل في تاريخ الطائفة المارونية واقتصر على تعديد مؤلفاته مع بعض تفاصيل عثرت عليها اثناء مطالعاتي :

١ الف الدويهي كتاباً ضخماً باللاتينية موضوعهُ الفردوس الارضي كتبه بعد فراغه من دروسه في رومية وقد اثبت فيهِ كما عرفت من كتابه « تاريخ الازمنة » ان اهدن كانت مقرّاً للفردوس الارضي مستدلاً على ذلك بكلام حزقيال النبي « ان جنة الله بالقرب من ارز لبنان » ولم يزل هذا الكتاب مخطوطاً ومحفوظاً في مدرستنا المارونية برومية

٢ كتاب في الوعظ والارشاد الفهُ في حلب لما بعث اليها واعظاً ومرسلاً (١) وذكر الطيب الاثر البطريرك سمعان عواد انهُ مجلدان وحتى الانَ لم اقف على نسخة من هذا الكتاب

---

(١) أُرسل المؤلف الى حلب وقتما كان كاهناً وقد ارسله اليها البطريرك يوحنا بن البواب الصفراوي (من صفرا في فتوح كسروان) لكي يعاون المطران اندراوس اخيجان السرياني على هداية اليعاقبة وقد اقام هناك خمس سنوات . ولا شك ان المواعظ التي ألفها وقتئذٍ هي نفيسة ومشتملة على كثير من الشروح المختارة ولاسيما في المسائل التي يختلف بها اليعقوبية عن الكنيسة الكاثوليكية . وقد بسط الكلام عن سبب ارساله الى حلب كثير من مؤرخي طائفتنا وغيرها. فقد جاء في الدر المنظوم انه في اواسط القرن السابع

٣ تاريخ الازمنة الفهُ بعد ان رسم اسقفاً كما ذكر هو عن نفسه في حوادث سنة ١٦٦٨ قال « اننا توجهنا الى القدس الشريف و بعد ان تبركنا بزيارة تلك المواضع المقدسة مع والدتنا واخينا الحاج موسى وعدنا بالسلامة الى لثم ايدي السيد البطريرك جرجس في دير قنوبين اتفق انهُ رفعنا الى درجة

عشر جحد الهرطقة اندراوس اخيجان السرياني الحلبي اليعقوبي على يد يوسف بطرس العاقوري بطريرك الموارنة ورُسم مطراناً على السريان سكان حلب سنة ١٦٥٦ من البطريرك يوحنا بطرس الصفراوي بعد ان كان قد رسمه قساً وتهذب بالعلوم في مدرسة الموارنة برومية ثم وجهه هذا البطريرك الى حلب مصحباً اياه بالقس اسطفان الدويهي الماروني تلميذ مدرسة الموارنة في رومية ليكون مساعداً له بالوعظ والارشاد فردّ كثيرين من السريان اليعاقبة وسماهم سرياناً كاثوليكيين (درّ ١٠٩)

اما البطريرك سمعان عواد الذي كتب ترجمة المؤلف فذكر ان البطريرك الذي ارسل المؤلف الى حلب هو البطريرك جرجس السبعلي (راجع هذه الترجمة التي ذكرتها في صفحة ١٢ من تاريخ الموارنة المطبوع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٠) . ولكن لا تناقض بينه وبين صاحب الدر المنظوم فكلاهما قال الصحيح لانه في سنة ١٦٥٦ التي فيها رُسم اخيجان مطراناً على حلب توفي البطريرك يوحنا الصفراوي وبعد عشرة ايام من وفاته انتخب البطريرك جرجس الحاج من سبعل . وعليه فالاول اقتصر على ذكر السبعلي لان الدويهي ذهب في مدة رئاسته الى حلب اتماماً لامر البطريرك المتوفى والثاني لاحظ فقط البطريرك المتوفى الذي صدر منه الامر

المطرانية على افقسية قبرس وكان ذلك في الثامن من شهر تموز وأمرنا ان نخرج الى زيارة الرعايا الذين في ايالة طرابلس وجزيرة قبرس ولئلا نكون عبيداً بطالين اشغلنا نفوسنا بسياسة الشعب وجمع هذه الاخبار لاجل افادتنا وقصد الاطلاع على احوال البلدان التي نحن مقيمون بها » (تاريخ الموارنة صفحة ٢٤١)

٤ ثلاثة كتب في الامة المارونية الاول في نسبة الموارنة اي ايضاح اصلهم ومنشئهم. والثاني ردّ التهم ودفع الشُّبَه وقد طُبعت هذين الكتابين سنة ١٨٩٠ تحت عنوان تاريخ الطائفة المارونية والحقت بهما قسماً كبيراً من تاريخ الازمنة المار ذكره وغيره من الكتب الخطية. اما الثالث وهو الذي ضمنه « تبرئة

وهنا مجال لان ننوّه بتواضع الدويهي ونفرته من مديح نفسه فانهُ في حوادث سنة ١٦٥٦ لم يذكر شيئاً في كتابه تاريخ الازمنة عن المسألة المار ذكرها ولكنهُ التزم الصمت عنها تواضعاً واقتصر على اثبات ما يتعلق بغيره فقط مع انه صرف في حلب خمس سنوات عمل فيها اعمالاً تذكر بالشكر قال:

« وفيها اي في سنة ١٦٥٦ كان متولياً قنصلية الطائفة الفرنساوية في مدينة حلب فرنسيس فيكات وكان محموداً في الشرق لكرمه وعبادته وغيرته على امور النصرانية فطلب من البطريرك يوحنا ان يرفع اندراوس اخيجان الى رئاسة الكهنوت وكان المذكور يعقوبي الاصل فتبع الكنيسة الجامعة وتأدب في مدرسة الموارنة برومية فرسمه البطريرك اسقفاً في عيد الرسولين بطرس وبولس وانفذه الى القنصل في حلب بشرط ان لا يتعاطى أمور الموارنة مطلقاً فقبله القنصل بالاكرام ولما خرج شمعون بطريرك اليعاقبة لزيارة الرعية وكله موضعه وسمي ديونيسيوس »

الموارنة من كل بدعة والرد على كل تهمة بمفردها مما قذفهم بهِ المرسلون الذين يدعون انهم اطلعوا على مضمون صحفهم » فلم اعثر عليه مع كثرة تسآلي عنه وتفقدي لهُ في كثير من المكاتب القديمة بلبنان وبيروت · ولا اخال ان المؤلف ادمجهُ في كتاب رد التهم كما اشرت الى ذلك في مقدمتي على تاريخ الموارنة (١)

٥ كتاب في الالحان البيعية السريانية وضبط اوزانها ولهذا الكتاب نسخ عديدة في مكاتب لبنان

---

(١) ان العلامة السمعاني في الصفحة ٥٥٩ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية يورد فقرة تتضمن رد اعتراض وليس لهذه الفقرة من وجود في كتاب رد التهم الذي طبعته . ومنها يستفاد انهُ وقف على هذا الكتاب بين المخطوطات المحفوظة بمكتبة الموارنة برومية وهذا نص كلامه :

ان اسطفان الاهدني قرَّظ خمسة ميامر لاسحق في التجسد وذلك في الجزء الثالث من ردّ التهم لدى جوابهِ على الاعتراض الثالث من جهة المشيئتين بالمسيح وقد تكلم هناك كما يلي :

ان مار اسحق تلميذ افرام في محاورته للذين بلبلوا طبائع الرب هكذا يقول في الميمر الذي بدؤه ܐܦ ܡܢܐ ܡܢܘܬܐ ܗܘ وهذا الميمر مع اربعة أُخر عن تجسد الرب وطبيعتيه من قول مار اسحق المذكور قد اضافها الشدياق عيسى ابن القس يوسف الحقلاني في مدخل سنة ١٥٠٠ مسيحية الى رسالة يوحنا مارون في طبيعتي الرب . والكتاب هو عندنا بسيدة قنوبين وتجدها ايضاً بين اليامر التي كان آباؤنا المتقدمون يقرأُونها في مدى السنة ونسختها في سيدة حوقة على رق بخط اسطرنكالي في العدد اثنين وخمسين ܐܠܗܐ ܟܠܗܘ ܠܟܝܢܐ ܗܘ ܕܗܘܐ ܒܗܘ الخ . اه

٦ رسالة في بطاركة الموارنة بلبنان منذ سنة ٦٨٥ للمسيح الى سنة ١٦٧٢ اذ كان مترئساً على كرسي انطاكية البطريرك اسطفان ميخائيل موسى الدويهي

٧ رسالة في قصص مؤلفي النوافير وقد قسمها سبعة اقسام . الاول في نوافير الرسل ابواق الروح القدس. والثاني في تلاميذهم الموعبين كل حكمة . والثالث في احبار الكرسي الروماني. والرابع في بطاركة القسطنطينية المتملكة . والخامس في بطاركة الاسكندرية . والسادس في بطاركة مدينة الله انطاكية . والسابع في رؤساء الكهنة الذين جملوا بيعة الله بالعلوم والقداسة

وقد وقفت على نسخة من هاتين الرسالتين في المكتبة الشرقيـة للآباء اليسوعيين خطت في ١٠ تموز سنة ١٨٧٢ غير ان الناسخ لم يذكر عن اي نسخة نقلها

٨ منارة الاقداس او المنائر العشر وهو الذي يسميه السمعاني شرح قداس السريان (Expositio missæ Syrorum)

وللمؤلف ايضاً غير هذه من التآليف التي ذهبت عنا اسماؤها واصولها وقد اشار اليها البطرك سمعان عواد في الترجمة التي قدمت بها تاريخ الموارنة حيث قال « ولهُ ايضاً غير ذلك من التآليف وكلها موجودة في مدرسة الطائفة برومية » (تاريخ الموارنة صفحة ١٣) . وكتاب المنائر هذا يشتمل ما وصل منهُ الينا على جزئين وهذا هو الجزء الاول وسيظهر الجزء الثاني عما قليل ان شاء الله

اما كتاب ردّ التهم فهو مترجم الى اللاتينية وقد ترجمهُ اليها الاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي الّا ان هذه الترجمة اصبحت الآن عزيزة الوجود ولم اقف على نسخة منها

كتاب القداس وعدد طبعاته

لما كان مدار الكتاب على شرح قداسنا السرياني لاق بي هنا ان اضع فصلًا خاصًا اتكلم بهِ عن كتاب القداس وعدد طبعاتهِ

لا يخفى ان طائفتنا كانت تستعمل كتاب القداس في القديم مخطوطاً (١) وقد طبع لاول مرة في المطبعة المديشية برومية سنة ١٥٩٤ بامر البابا اكليمنت الثاني وكان من جملة الذين اهتموا بطبعه ووقفوا على تصحيحه العلامة الطيب الذكر جرجس عميرة الاهدني الذي انتخب فيما بعد بطريركاً على طائفتنا المارونية سنة ١٦٣٥ ثم القس موسى سعاده العنيسي من العاقورة وكلاهما كانا من تلاميذ مدرستنا الرومانية. وكان وقتئذٍ على الكرسي البطريركي الانطاكي البطريرك سركيس الرزّي وهو الذي انعقد في ايامهِ المجمع الذي اثبت صورته في الصفحة ٢٨٧ من تاريخ الطائفة المارونية

وكان كتاب القداس هذا يشتمل على اربعة عشر نافوراً ولم يكن فيهِ من فصول الانجيل الآ شيء قليل لبعض الاحاد والاعياد المشهورة ولايام الاسبوع

---

(١) كان للموارنة قبل اختراع فن الطباعة عناية عظيمة بنسخ الكتب ولم يكن يتفرَّغ لهذا الامر الآ اصحاب المعارف بينهم ولذلك كان كل النساخ او جلهم في تلك العصور من رجال الكهنوت وقد شهد العلامة الدويهي نفسه في حوادث سنة ١٤٧٠ ان العناية بنسخ الكتب بلغت في عهد المقدمين من الموارنة مبلغاً عظيماً حتى ان عدد النساخ الذين تيسر لهُ الوقوف على كتبهم أناف على مائة وعشرة (راجع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ١٣٩)

وطبع مرة ثانيـة في مطبعة مجمع انتشار الايمان سنة ١٧١٦ وذلك بامر البـابا اكليمنت الحادي عشر اجابة لطلب يوسف سمعان السمعاني وكان اخص المهتمين بطبعهِ احد علماء طائفتنا وقتئذٍ وهو القس اندراوس اسكندر القبرسي وكان من تلامذة مدرستنا الرومانية ايضاً وقد علق على هذه الطبعة مقدمة بيَّن فيها ما ارتأى زيادته على الطبعة الاولى مما وجده نافعاً وهو ١ تقويم يدل على بدء الصوم واعياد الفصح والصعود والعنصرة في كل سنة من سنـة ١٧١٦ الى سنة ١٨٠٠ ٢ فهرست ايام السنة والاعياد التي تقع فيهـا ٣ ارشاد ما يلزم الكاهن معرفتهُ اذ وقع حادث في اثناء تقديسه ٤ زاد شرح رتبـة القداس اي المنارة ٥ رتبة القداس الذي يشترك فيهِ مع المقدِّس كاهن او اكثر . وقد صرَّح ان السيد يعقوب عواد بطريرك الطائفة وقتئذٍ ارسل اليهِ هذه الرتبة التي كان قد جمعها المطران سمعان عواد بمساعدة عمه البطريرك يعقوب المشار اليهِ نقلاً عما كان قد جمعهُ العلاَّمة الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي عن كتب طقوسنا القديمة ٦ اضاف الى آخر هذه الطبعة الصلوات والتبريكات التي يتلوها الكاهن في تبريك الماء وعلى المرضى والمنازعين وغير ذلك (١) ٧ ترجم الى العربية جميع الصلوات العلنية رغبة في افادة الشعب ٨ جمع نافوراً من رتبـة الكنيسة الرومانية واثبتهُ بعد نافور البابا كسوستوس ٩ زاد رتبة رسم الكاس يوم الجمعة العظيمة وطبع النافور المشهور باسم القديس يوحنا مارون المعظم اول

(١) صرَّح الاب اسكندر الموما اليهِ انهُ وجدها في كتاب رتبتنا باللغة السريانية فترجمها الى العربية والكتاب المذكور جمعهُ ابونا الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي من طقوسنا القديمة

بطاركة طائفتنا (١)

ثم طبع كتاب القداس اربع مرات في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير مار انطونيوس قزحيا (٢) وقد زيد فيهِ على طبعتي رومية فصول الاناجيل مرتبة على ايام السنة كلها وعلى الاحاد والاعياد القمرية وجميعها مترجمة من السريانيـة الى العربيـة بقلم الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات سنة ١٧٢٩

ثم طبع كتاب القداس لسابع مرة في بيروت بعناية سيادة العلاَّمة المقدام المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت وقد صرح في مقدمتهِ التي صدَّر بها الطبعة المذكورة انهُ اعاد النظر في ترجمة المقالات العلنية عن السريانية الى العربية واصلح فيهـا ما وجده غير صحيح او غير مطابق للاصل السرياني وهذب العبارة العربية جهد الامكان. وبما انهُ في الطبعات السالفة كان بدء النوافير النافور المنسوب الى القـديس بطرس الرسول وجل الكهنة او كاهم في طائفتنـا يستعملون النافور

(١) ان النوافير المقبولة عند السريان خمسة وعشرون كما سيجيء بيان ذلك في المجلد الثاني من كتاب منارة الاقداس هذا. والنوافير التي كانت مثبتة في الطبعة الاولى الرومانية اربعة عشر نافورًا. اما الطبعة الثانية التي نحن بصددها فتتضمن ثلاثة عشر نافورًا لا غير لان الذين عنوا بها اسقطوا من الطبعة الاولى نافور يوحنا البطريرك المشهور بابن شوشان ونافور مار ماروثا مطران تكريت واضافوا اليها نافور ابينا القديس مارون. ولهذا النافور نسخة في المكتبة الواتيكانية تحت العدد الخامس من كتب الحاقلاني (راجع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ٥٧ والمكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥١٢)

(٢) وكانت الطبعة الرابعة سنة ١٨٧٢

المجموع من رتبة الكنيسة الرومانية قدَّم بالوضع في هذه الطبعة النافور المستعمل الان حتى عاد كل ما في القداس من البداية الى النهاية منسوقاً متتابعاً لا يحتاج معهُ الى مراجعة نافور آخر

قلت وهذا ايضاً من جملة ابتعادات كنيستنا المارونية عن طقوسها القديمة رغبةً منها في مزيد التقرب الى الكنيسة الرومانية وتوثيق رابطة الاتحاد معها

وكانت كذلك الشروح المعلقة بالحبر الاحمر في كتاب القداس جميعها باللغة السريانية وبعبارة موجزة فعلق الشروح المذكورة بين مقالات القداس مترجمة الى العربيــة في النافور اليومي واسهب العبـارة بقدر اللزوم حتى يجد الكاهن امام عينيه في اللغة العربية كل ما يلزم ان يصنعهُ

اما ارشاد الكهنة الى ما تلزمهم معرفتهُ فقد قسمهُ الى ما يلاحظ شخص الكاهن ومادة السرّ بنوعيها وصورته وعربه وزاد عليـهِ بعض الحوادث مأخوذة عن مثل هذا الشرح في كتاب القداس عند اللاتين. اما المنارة فقد اوجز عبارتها والحق بها رتبة رسم الكاس مع الخدمة مأخوذة عن نسخــة في كنيسة بيروت كتبها في حلب القس عبد المسيح بن بطرس الماروني الحلبي (١) سنة ١٧٣٧ في ايام رئاسة المطران جبرائيل يوحنا حوشب

بقي ان نقول ان النوافير المثبتة في طبعة بيروت وطبعات دير مار انطونيوس قزحيا الاربع هي ثمانية نوافير اذ قد سقط منها خمسة وهي نوافير متى الراعي وديوناسيوس تلميذ بولس ويوحنا فم الذهب واوسطاطيوس البطريرك الانطاكي وكيرلس البطريرك الاسكندري

---

(١) هو ناسخ كتاب المنارة هذا كما سيجيء بيانهُ

في ان السريانية كانت لغة اليهود
في ايام السيد المسيح (١)

اتفق العلماء ان العبرانيين الذين وُلدوا اثناء جلائهم الاخير في بابل وربوا في بلاد الكلدان نحو سبعين سنة وكذا الذين كانوا مسبيين من قبل الى هناك لم يكونوا يتكلمون بعد رجوعهم من الجلاء الى اليهودية بسوى اللغة الكلدانية السريانية التي اجبرهم الكلدان ان يتعلموها و يتكلموا بها دون غيرها حتى بطلت من بينهم لغتهم الاصلية كما يعترف بذلك علماؤهم ومن جملتهم عمنوئيل المتنصر في مقدمة العهد الجديد . ولهذا عندما كان يتلى عليهم الكتاب المقدس بالعبرانية كان كهنتهم يلتزمون ان يترجموا ما يتلى عليهم من ذلك الى اللغة السريانية ليفهموه كما هو واضح من سفر عزرا الثاني فصل ٨ عدد ٩ (٢)

---

(١) من حيث ان كتاب منارة الاقداس مداره على شرح الليتورجية السريانية التي تلقنتها الكنيسة المارونية من الرسل الكرام احببت ان لا تخلو هذه المقدمة مما يثبت كون اللغة السريانيــة كانت لغة اليهود في ايام السيد المسيح وان الليتورجية الاولى قد أُنشئت بها . وبما ان بطريركنا العلامة السعيد الذكر بولس بطرس مسعد قد اجاد غاية الاجادة في بيان هذه المسألة وجمع من شهـادات العلماء واقوال المؤرخين التي تؤيدها ما لم يدع وجهاً للارتياب لخصت ما تراه من كتابهِ النفيس المعروف بالدر المنظوم المطبوع في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير سيدة طاميش من معاملة كسروان سنة ١٨٦٣

(٢) اثبت هذه الحقيقة جمهور من العلماء المسيحيـين منهم ملدوناتوس

وبما ان استعمال هذه اللغة الكلدانية السريانية بين العبرانيين بلغ الغاية من الانتشار والتمكن سميت عبرانية نسبةً اليهم بدليل ما جاءَ في انجيل يوحنا اذ قال في الفصل ١٩ عن لفظتي غفيفتا وكغولتا اي رصيف الحجارة والجمجمة او الجلجلة انهما عبرانيتان مع انهما سريانيتان كما شهد القديس ايرونيموس في كتابهِ عن الاسماء ويوحنا دروسيوس في شرحهِ للالفاظ العبرانية بالعهد الجديد حيث قال (راس ١) « انني عنونت هذا الكتاب بالالفاظ العبرانية لكن ذلك على سبيل التوسع لان اكثر الالفاظ سريانية محضة. واعلم ان اللغة السريانية تدعى

وكرنيليوس الحجري ويعقوب تيريني ويوحنا مينوكيوس وغيرهم من مفسري الكتاب المقدس في اماكن عديدة. وابرهيم الحاقلاني في جوابهِ على يوحنا سلدانوس قسم ٢ راس ١١ وجه ٨٤ و٨٥ وجرجس عميرة الاهدني في مقدمة غراماطيقه السرياني المطبوع في رومية سنة ١٥٩٦ وليبرمان في علم اللاهوت مجلد ٢ فصل ٤ وجه ١٣٦ ومجلد ٤ وجه ٣٧٩ وكسبرجيونين في علم اللاهوت مجلد ١ مقالة ٤ فصل ٢ وجه ٩٨ وشرمس في علم اللاهوت مجلد ١ محاورة ٧ وجه ٣٣ ويوسف سمعان السمعاني الحصروني في مكتبته الشرقية مجلد ٣ راس ٢ وجه ٨ و ٩ ويوسف لويس السمعاني ابن اخيهِ في اماكن كثيرة من تأليفه الشهير في الطقوس وبطرس لبرون في شرح الليتورجيات مجلد ٤ مقالة ١٤ فصل ١ وجه ١٦٥ وغرافيسون في تاريخهِ الكنائسي للعهد العتيق مجلد ٣ مفاوضة ٢ وجه ١٠٩ ويوحنا اغسطينوس في تأليفهِ في الاجيوغرافية اي الكتابة المقدسة الاصلية والمنقولة فصل ٣ في الاصل العبراني وجه ٩ وما يليه. وغير هولاء كثيرون من العلماء الغربيين والشرقيين عدلنا عن ذكرهم اختصاراً

عبرانية ايضاً لانها كانت اللغة المستعملة في اليهودية بايام المسيح والرسل كما يتبين ذلك جلياً من تفسير اللفظتين غفيفتا وكغولتا فان يوحنا في الفصل ١٩ من انجيلهِ يقول انهما عبرانيتان مع انهما سريانيتان»

وقد صرح بذلك السمعاني في مكتبتهِ الشرقية مجلد ٤ راس ٢ وجه ٨ و٩ بقوله « ينتج ذلك ايضاً من كلام يوحنا فصل ١٩ حيث قيل : ثم جلس على كرسي في موضع يدعى رصيف الحجارة وفي العبرانية غاباتا. وبعيد ذلك قال : خرج الى موضع يسمى الجمجمة وبالعبرانية الجلجلة . فان هذين الاسمين ليسا عبرانيين بل هما سريانيان كما هو ظاهر. الا انهما يدعيان عبرانيين لان اللغة السريانية بعد الرجوع من الجلاء البابلي صارت شديدة الارتباط بالعبرانيين حتى سميت عبرانية »

ومثله قال ابرهيم الحاقلاني في المحل المذكور مستشهداً كتاب اعمال الرسل فصل ١ عدد ١٩ وفصل ٢١ عدد ٤٠ وفصل ٢٢ عدد ٢ . وقال بلرمينوس ان اللغة السريانية كانت تدعى عبرانية لان العبرانيين كانوا يكتبونها غالباً باحرف عبرانية. واشار الى ذلك القديس ايرونيموس فيما كتبه عن سفرَي دانيال وعزرا بقوله « يجب ان تعلم ان دانيال خاصةً وعزرا كتبا باحرف عبرانية ولكن باللغة الكلدانية »

قال يوحنا اوغسطينوس في كتابهِ في الاجيوغرافية فصل ٣ وجه ٩ « لما اذن ارتحشستا في الرجوع الى اليهودية لكل من اراد ذلك عاد كثيرون الى سورية تحت زعامة زوربابيل ونحميا ورمموا اسوار اورشليم وهيكلها بعد ان كان الاشوريون قد جعلوها قاعاً صفصفاً واقاموا مدارس كثيرة في اورشليم ولكن باللغة التي كانوا قد اتوا بها من منفاهم. لان العلماء وحدهم كالكتبة والفريسيين

وعلماء الشريعة كانوا يعرفون العبرانية اما الشعب فلم يكن يعرف سوى السريانية وحدها كما انهُ قبل النفي كان قليل منهم يعرف السريانية والجميع يعرفون العبرانية » ويظهر هذا جليًا من كلام ربشاقا في اشعيا فصل ٣٦ عدد ١١ ولهذا فان السريانية التي كان المسيح يتكلم بها قال الانجيليون انها كانت عبرانية كما لاحظ ايرونيموس في كتابهِ في الاسماء العبرانية لان العبرانيين كانوا يستعملونها بعد زوال الجلاء

فاذًا بهذه اللغة السريانية الكلدانية التي تسمت عبرانية ايضًا كان العبرانيون يتكلمون بعد رجوعهم من الجلاء البابلي. واما قول البعض بان اللغة اليونانية كانت شائعة عندهم فمردود لانهُ لم يكن يحسن التكلم بها منهم في ذلك العهد سوى اليهود القاطنين بلاد اليونان ولكن في بلاد فلسطين وسورية باقسامها لم يكن يتكلم بها الا اليونان الغرباء الساكنون بعض مدنها ومن اقتبسها بالدرس او المعاشرة من سكانها الاصليين كما اوضح ذلك الحجري في مقدمة تفسيره بشارة مرقس بقوله « ان اليهود القريبين من بلاد اليونان والخاضعين للاسكندر الكبير ولليونان كانوا يتعلمون اللغة اليونانية »

ويزيد هذا تأكيدًا ما جاء في الفصل ٢١ من اعمال الرسل التي كتبها القديس لوقا باليونانية فقد ورد في العدد ٣٧ و٣٩ و٤٠ ما نصه « ولما قارب بولس ان يدخل المعسكر قال لقائد الالف هل لي ان اكلمك فقال هل تعرف اليونانية. فقال بولس انا رجل يهودي طرسوسي من اهل مدينة معروفة من كيليكية فاسألك ان تأذن لي ان اكلم الشعب. فلما اذن لهُ وقف بولس على الدرج واشار بيده الى الشعب واذ كان سكوت عظيم نادى باللغة العبرانية قائلاً .. الخ » . فمن هذا يتبين صريحًا انهُ لو كان اليهود يعرفون اليونانية

لكان الرسول خاطبهم بها ليكون ما يحتج بهِ معروفاً عند القائد ايضاً ليحكم لهُ بالانصاف

ثم انهُ لو كانت اللغة اليونانية شائعة عند جميعهم لما كان القائد الروماني يسأَل الرسول عما اذا كان يعرف اليونانية ولما لزم الامر ان يجيبه الرسول بانهُ من طرسوس وولد فيها ليعلم من ذلك انهُ اقتبس فيها اليونانية

وورد ايضاً في الفصل ١ والعدد ١٩ من اعمال الرسل « وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان اورشليم حتى سمي ذلك الحقل بلغتهم حقل دَمَا اي حقل الدم » . وفي النسخة السريانية « دعيت تلك القرية بلغة البلد حقل دَمَا اي حقل الدم » . قال الحجري في تفسير هذه الآية ان هذا الحقل سمي حقل دَمَا بالسريانية لان اليهود بعد رجوعهم من السبي ما كانوا يتكلمون بالعبرانية المحضة بل بالسريانية الكلدانية

ثم ان ترجمة هذا الاسم السرياني الى حقل الدم لم يضفها القديس بطرس الذي كان يخاطب اناساً سريانيين بالسريانية بل اضافها القديس لوقا الذي لما كتب باليونانية لاناس يونانيين ترجم لفظ حقل دَمَا السرياني الى اليوناني كما ارتأَى هوغو . وقال بمثل ذلك ايضاً يوحنا مينوكيوس في تفسير الآية المذكورة

وبناءً عليه لم تكن اللغة اليونانية شائعة في فلسطين وسورية باقسامها خاصةً في تلك الازمنة بل اللغة السريانية. وذلك يتضح من الكتاب المقدس نفسه ومما صرح به العلماء والمؤرخون. قال برجر في معجمه اللاهوتي تحت لفظة سريان مجلد ١٠ وجه ٢٣٦ من النسخة الايطالية المطبوعة في البندقية سنة ١٨٢٧ « ان الكنيسة السريانية كانت تتناول في مدة العصور الاربعة الاولى جميع

الشعوب الذين كانت لغتهم سريانية او سريانية كلدانية. ولم يكن يُتكلم بهذه اللغة في فلسطين وسورية فقط بل في قسم من بلاد الارمن وما بين النهرين ايضاً ولا يمكننا ان ننسى ان هذه الكنيسة كانت مهداً للنصرانية لانها وجدت في فلسطين حيث تمت اسرار فدائنا وفي مدينة انطاكية عاصمة سورية التي قبل فيها المؤمنون الاولون اسم مسيحيين »

وقال هو نفسه في معجمه المذكور مجلد ٤ وجه ٤١٨ تحت لفظة كراتشي اي اغريقي او يونان وكنيسة يونانية او رومية « لا يجب خلط الكنيسة الرومية الحاضرة مع كنائس بلاد الروم التي أسسها الرسل سواء كانت في جهة اوربة مثل كورنتس وفيلبي وتسالونيكي الخ او في جهة اسية كازمير وأفسس الخ فان اللغة اليونانية كانت مستعملة في كل منهما بين الجمهور وفي الامور الدينية بينما كانت اللغة السريانية مستعملة في انطاكية باسرها وسورية والقبطية في مصر »

فالنتيجة مما تقدم بيانه ان المسيح ورسله الذين كانوا من العبرانيين الواقع الكلام عليهم كانت هذه اللغة السريانية الكلدانية لغتهم المستعملة . وبما ان اول اهتمامهم بالانذار كان متوجهاً باخص نوع نحو الخراف التي ضلت من بيت اسرائيل كما جاء في متى فصل ١٠ عدد ٦ فمن باب الضرورة كان يلزم ان يبشروا العبرانيين بهذه اللغة السريانية دون غيرها ويعلموهم طريق الخلاص ليمكنهم ان يفهموا ويستفيدوا من تبشيرهم وتعليمهم. كما انهم بها دون غيرها بشروهم وعلّموهم وبها رتب المسيح شريعته الانجيلية وسلمها للرسل لينشروها في العالم كله

ويثبت قولنا هذا بعض كلمات سريانية لم تزل باقية على اصلها السرياني في الاناجيل المستعملة بلغات اخرى منها طليتا قومي واتفتح. و بريونا. وكيفا.

وايلي ايلي لمنا شبقتني وغيرها مما يقرأ في نسخ اخرى مترجماً وبخلاف ذلك في النص السرياني . هذا فضلاً عما ذكره الرسل مثل حقل دَما ومُرَن إتا وغيرهما كما برهن السمعاني وغيره في مكتبتهِ الشرقية مجلد ٣ راس ٢ وجه ٩

ويثبت هذا ايضاً جمهور من العلماء والمؤرخين منهم غويدوفاريسيوس بودريانوس في رسالتهِ على العهد الجديد التي قدمها للملك هنريكوس الثالث حيث قال « ان اللغة السريانية تقدست بالفم الالهي فم الكلمة المتجسد واستعملتها مريم العذراء وكانت مستعملة عند جميع الرسل وبها اعلن المسيح شريعته الانجيلية »

وقال بمثل ذلك ايضاً جرجس عميره الاهدني في مقدمة غراماطيقه السرياني المار ذكره والسمعاني في مقدمة المجلد الاول من مكتبته الشرقية بمعرض كلامه على المؤلفين السريان عدد ١ والمعلم انطون زانوليني في مقدمة المعجم السرياني المطبوع في بادوة سنة ١٧٤٢ وجه ٣ وتريميليوس في مقدمة العهد الجديد السرياني وغيره كثيرون من المتقدمين والمتأخرين لا نرى حاجة الى تعدادهم

وما سبق قوله عن تبشير المسيح ورسله قبل صعوده الى السماء ينبغي ان يقال باولى حجة عن بشارتهم اليهود بعد صعوده الممجد مدة اقامتهم في اليهودية وما يليها قبل تفرقهم الى الآفاق انهُ كان من باب الضرورة باللغة السريانية الكلدانية لان الرسل ما برحوا في تلك المدة يعلّمون العبرانيين ويبشرونهم بما تلقنوه من معلمهم الالهي حتى ردوا كثيرين منهم الى معرفة الحق بالايمان بابن الله كما هو مصرَّح في اعمال الرسل لاسيما قبل فتح باب الايمان للامم الذي لم يكن الا بعد مضي ثلاث سنوات من قيامة المخلص وبعد ايمان كورنيلوس الروماني رئيس الجنود كما هو رأي جميع العلماء اذ كان اخص

تبشير المسيح ورسله بالانجيل اولاً لليهود ثم للامم المعبر عنهم باليونانيين كما جاء في رسالة القديس بولس الرسول « لا أستحي بالانجيل لانهُ قوة الله لخلاص كل من يؤمن لليهود اولاً ثم لليونانيين » (رومية ١ : ١٦) وكانوا مواظبين على ترتيب ما يلزم الكنيسة وخاصةً الكنيسة الناشئة في وطنهم حتى يسلموه لاهله قبل تفرقهم كما كان يقتضي نظام المحبة ليتسهل لهم فهمه وحفظه فلا يُتناسى اذا تركوهم دون ذلك. ولهذا كتب القديس متى انجيله بلغة وطنه السريانية في اورشليم بطلب التلاميذ وامر باقي الرسل قبل ان يتوجه الى البلاد التي اصابتهُ بالقرعة (١)

في ان ليتورجية القديس يعقوب

هي اصل سائر الليتورجيات

اختلف العلماء فيما اذا كانت الكنائس تسلمت الليتورجيات من الرسل الاطهار مشافهةً اوكتابةً ولكل فريق منهم ادلة وبينات ليس هذا موضع ذكرها وكيفما كان الامر فقد اتفقوا على ان ليتورجية القديس يعقوب اول اساقفة اورشليم هي اولى الليتورجيات وقد أُنشئت باللغة السريانية التي كانت لغة اليهود

(١) اوضح ذلك اوسابيوس كتاب ٣ راس ١٨ في التاريخ والقديس ايرونيموس في فهرست المؤلفين الكنائسيين والمعلم كسبرجيونين في تأليفهِ المار ذكره ويعقوب تيريني في مقدمة تفسير انجيل متى وكثيرون من الآباء والعلماء نعرض عن ذكرهم اختصاراً

وقتئذٍ كما سبق اثبات ذلك وان الرسل لما تفرقوا في الآفاق للبشارة نقلوها الى لغات الشعوب الذين بشّروهم

وقد استمرت البطريركية الانطاكية تستعمل ليتورجية القديس يعقوب الرسول الى ان قام بطاركة القسطنطينية فاجبروا من كان تحت ولايتهم من ابناء البطريركية المومإ اليها بموافقة طقوس الكرسي القسطنطيني والاعتماد على ليتورجيتي باسيليوس ويوحنا فم الذهب اللتين تستعملهما كنيسة القسطنطينية

وبما ان الشعب كان يجهل اليونانية ترجمت هاتان الليتورجيتان الى السريانية ولما دخلت العربية ترجمتا اليها واستمر الاصل السرياني محفوظاً ثم أُدخل اليوناني مع العربي كما هو الان

اما باقي السريان الذين لم يحفلوا بامر بطريرك القسطنطينية فقد حفظوا ليتورجية القديس يعقوب الاصلية مع بعض زيادات مستحسنة وألف آباؤهم ليتورجيات أُخرى على مثالها بالسريانية وهي الى اليوم عند السريان والكلدان وفي كنيستنا المارونية ايضاً (١)

---

(١) راجع منشور غبطة سيدنا العلاَّمة المفضال مار يوحنا بطرس الحاج الصادر في هذه السنة ١٨٩٥ بتاريخ ١٥ ايار المنقضي وخاصةً الدر المنظوم وجه ٢١ و ٧٦ و ٢٥٣ و٢٧٥ فان بطريركنا السعيد الذكر بولس مسعد جمع فيهِ من اقوال العلماء المحققين وشهادات المؤرخين المدققين ما ليس بعده زيادة لمستزيد

النسخة التي اعتمدت عليها

لم يكن بين يدي لما باشرت طبع كتاب المنارة سوى نسخة واحدة مخطوطة بأحرف سريانية كتبها في حلب سنة ١٧١١ القس عبد المسيح بن بطرس الحلبي الماروني . وقد تفضل عليَّ بالنسخة المذكورة الحبر العلامة المفضال اللابس حلل الكمال المطران يوسف نجم النائب البطريركي أتى بها من مكتبة دير اللويزة للرهبان الموارنة الحلبيين ومهد لي سبيل طبعها وتعميم نفعها فكان فرضاً عليّ ان اجعل الكتاب في كفالة هذا السيد السند. والركن المعتمد. من تلألأت اضواء حكمتهِ. وقامت ادلة اقدامهِ وغيرتهِ وهمتهِ. اسأل الله ان يمدّ ايامه ويبلغهُ من كل مشتهى مرامهُ

وهذه النسخة جزءان مجلدان تجليداً حسناً وعلى ظهر كل منهما مكتوب باللاتينية Cadelabra وفي آخر المقدمة هذه الاسطر التالية :

« اعلم ايها الكاتب الحبيب ان هذه الفاتحة قد انتقدها كثيرون ممن يعتمد عليهم ولم يروا فيها عيباً فلا تفسد ما لا تفهمه منها بل اكتبها كما هي من غير زيادة لئلا يزيد الله عليك عقابه ولا نقصان لئلا ينقص الله ثوابك فاحذر من (المخالفة) لئلا تسقط والسبح لله دائماً »

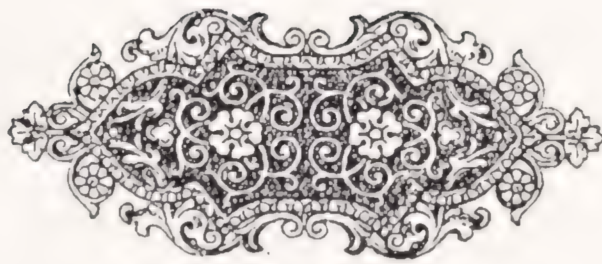
وفي آخر الجزء الاول ما يلي :

« انتهى على يد ناسخهِ احقر الورى عبد المسيح بن بطرس الماروني الحلبي (وهنا اسم المنسوخ لهُ وهو ممحوٌ بالقلم) الماروني الحلبي وذلك سنة الف وسبعمائة واحدى عشرة مسيحية ربنا يهنئهُ بهِ ويجعلهُ مفيداً لهُ نفساً وجسماً »

وقد كتبت فيها رؤوس الفصول ومقاطع الجمل بالحبر الاحمر والباقي بالاسود

اما خطها فمن احسن الخطوط السريانية وورقها متين ويشتمل المجلد الاول على ٥٩٨ صفحة وكل صفحة يبلغ طولها ٣١ سنتيمترًا وعرضها ٢١ من ضمن ذلك هامش يبلغ ٤ سنتيمترات اشار فيهِ الناسخ في الصفحات المائة الاولى من الكتاب الى بعض مواقع الآيات الواردة من الكتاب المقدس ثم عدل عن ذلك في الباقي

وسأُلحق في آخر الجزء الثاني ان شاء الله زيادات عديدة وبعض تصحيحات مع فهرس لمباحث الكتاب بجزئيهِ مرتب على حروف المعجم تسهيلًا للانتفاع بهِ



مقدمة المؤلف

الحمد ليسوع المسيح الذي رآه يوحنا جائلاً بين المنائر بثوب فضفاض يدلّ على سبوغ كمالاته . ونطاق ذهبي فوق الثديين يشير الى لِبسان تعليمه ودَرّ آلائه ومِنْحاته . الابن الوحيد الجنس بمولده الازليّ من الآب الذي هو شعاع مجده وصورة ذاته . المتجسد من مريم امه بمولده الزمني حسب إيثاره ومرضاته . الذي اعجز الحكماء فهم حكمته وافهمهم بإحكام معجزاته . وأَنارنا بسواطع رشده وهذّبنا بقواطع آياته . وبرهن لنا عن حقائق اسراره واوضح مكنونها وافصح عن كُنه مضمونها بصادق كلماته ورؤياته . وشرَح صدورنا بشرح متونها وروّى قلوبنا باستنبـاط ماء معينها بالسن مبلّغي اقوالهِ ورواياته . ونضا بيد الإنعام قناع الإبهام عن أَفهام رسلهِ وخلفائهم فاضحوا وقد اوضحوا ما كُنّ في كِنّ محجوباته وجعلهم كقسطاس عادل لا زيغ فيهِ واوزان يُوزن بها ايمانه بما سلّمهم من رواجح وزناته . وحلّ ما أَشكل مما فاه بهِ الانبياء والرسل الاطهار واودع بطون الاسفار وصف جلائل صفاته وجليل موصوفاته . وجعل اسرار العهد القديم اشارةً الى اسرار العهد الحديث بكل سِماته وعلاماتـه . فلم تكن تلك الذبائح الهرونية الا دلالة على مدلول سرّ الافخارستيا الذي هو ذبيحة جسده ودمه الاكرمين المقدّمة لاكرام الجلال الالهي والشكر على حسناته . ووفاء العدل الالهي ونيل نِعمه وخيراته . وأَسس كنيسته على بطرس الصفاة رأْس رسـله ودعمها بسبع دعائم الاسرار وجعله راعياً عاماً لرعيته واماماً لرعاتـه . اذ قال لهُ ارعَ خرافي اي اليهود والامم السالكين مهامه الكفر والراتعين في ظلماته . ارعَ نعاجي اي الروساء الذين يلدون لله اولاداً روحيين بارشادهم بنيه وبناته . وسلمهُ مفاتيح الملكوت وللجميع الذين يخلفونه على كرسي رومية في كل حالاته

حمدًا يقوّم منا الخُطا . ويهب لنا خير العطا . ويكشف لنا الغطا عن حقائق الخلاص وذاتياته . ويضيء ظلمتنا بلألاء ما اعلنه لنا من غوامض مكتوماته . ويرفع قلوبنا اليه فنرفض الاضاليل ولا نجنح الى الاباطيل بل نرغب عن العالم وخزعبلاته . ونعرض عن كراماته ولذّاته . متخذين لنا شفيعًا يسوع البار ووالدته مريم التي خصها الله بافضل نعمه وهباته . حتى علت قدرًا على الطغمات النورية علوًّا يفوق كل قياس فليس من بالغ شأوه وغاياته

وبعد فيقول الاب المجيد مار اسطفان بطرس الدويهي بطريرك الكنيسة الانطاكية . وابو الملة المارونية . وراعيها على مياه مراعيها . وبريد البيعة الرومانية الساعي في حميد مساعيها . جهبذ العلوم الرياضية واللاهوتية . ومؤيد الاحكام الروحية والشرعية سليل مدارسها . ومحيي دوارسها . من تقلد الرئاسة الكنائسية فكان لها برهانًا كافيًا . وزاول من غير سآمة علاج مزاج الارواح فكان لها طبًا شافيًا . قرن بين العلم والعمل . فنال ما توخاه من حسن الامل . احسن السلوك وجاز على احسن صيغة وطريقة . ففاز اذ جاز الرسم بجوهر الحقيقة . طالما سعى ورعى ولم يكب جهده ولا خبا زنده ولا نبا حدّه . اجزل الله ثوابه وجزاه . وكافاه خير المكافاه

انني لما نظرت ما سلّم اليَّ من الوزنات . وما أُطالب بهِ من الجواب يوم المآب عن الحسنات والسيئات . ورأيت شعبي الذي تقلدت سياسته وارشاده . وقد لزمني ان اوفي عهده ولا اخفر ذمامه . بعد ان سلّمني قياده بغاية الافتقار الى فتح رتاج المعاني وموصد المباني من شرح الاسرار القديمة واتجاهها الى حقيقتها اي اسرار العهد الحديث الكريمة الدالة باوضح بيان على اسرار الافخارستيا والمذبح وجواز التقديس على الخمير والفطير حسب عادة كل كنيسة بالاتفاق . ووجوب وجود المطهر والانبثاق . ومضمون الكنيسة والرئاسة الرومانية العامة على الاطلاق . في سائر الاقطار والآفاق . وتفسير كل ما يلي ذلك مما تعنيه ملابس المذابح وخدّامها اي الاكليروس والايقونات المقدسة والامانة النيقاوية والصلاة الربية وغيره مما يخص القداس . وما يجب فعله على الكاهن

خادم الاقداس . وعلى من يتناول الاسرار وفضل التوبة وقبح الاصرار . فحينئذٍ شمرت عن ساعد الجد وسوق الحزم . وجزمت الرأي مع الروية كلّ الجزم . ورأيت ذلك من الحزم . فدخلت ريف اسفار التفاسير . ووردت وريف اشجار الدساتير . التي للآباء القديسين المشاهير . فجنيت منها الجني اليانع . من غير مانع . واهتصرت خرصانها . واقتطفت افنانها . وانتقيت من معانيها الحسان . وما اداني اليهِ الاستحسان . اصحها واصلحها . واوضحها وافصحها . ولم اشم برق معنى الا واستلمحته . ولا مشكلًا الا واوضحته . ومغلقًا الا واستفتحته . ومخبأً الا وابرزته . ومبرزًا الا واختزنته . ومعتاصًا الا وكشفته . ومنكرًا الا وعرّفته . ومضمرًا الا واظهرته . ومشكوكًا فيهِ الا وحقّقته . ففضضت ختوم كنوزها . وحللت شكائم رموزها . وأبنت عظائم مرموزها . ونثلت كنائنها . ونشرت دفائنها . وما لبثت ولا الوت جهدًا ان اخذت في جمع ما يلزم من الاجناس وفصولها . واضافة الفروع الى اصولها ولا زلت اعتني في حصولها . واتوصل الى اصولها . ووصل الصلة بوصولها . حتى تمت المواد والادوات . وكل ما يقتضي هذا البناء الرفيع الذروات من النفقات . وما فتئت اقيس واذرع . واخزن واجمع . ما اجمع عليهِ اولو الفضل اجمع . حتى لم يبقَ في قوس الجد منزع . فطفقت ابني باسطًا باليد الواحدة . وقابضًا بالاخرى سيف العزيمة الجاهدة . كما يلزم فعلة الانجيل بدون اهمال . وارد كل الأعمال من ملازمة الإعمال . وتجرّدت لتأليفه وترصيفه . وترتيبه وتصفيفه . ولم يشغلني عنه شاغل . وان كنت ببوادي بَوادي الهموم اعظم واجل . الى ان تم بحول الله وطوله هذا الصرح المشيد . وما تضمنه من الشرح السديد المفيد . من مستطرف طارف وتليد . وقد حصرت هذا المتسع في عشر مقالات ودعوتها المنائر . لارشاد كل مؤمن في طريق هذا العمر سائر . يشتمل على شروح تنطوي على فصول واجزاء . راجيًا من الله خير الجزاء . وقسمت ذلك مجلدين شفع احدهما وتره . وزاوجه وما جاوز قدره . وجعلت فذّهما توأمًا لم يعززا بثالث . واجلتهما بالله عن كاب عابث . ومكلب

عائث . وسميت هذا المؤلف بالمنارة . راجياً ان يكون كالسراج على منارة . حتى يستضيء بهِ كل من في بيت هذا العالم عالم الظلام . وجلبة الشرور والآثام . مستمداً من النور الذي يضيء لكل انسان اتى الى العالم . وان يختم ما ابتدأنا من بركة نعمائه بحسن الختام . اذ هو البداءة والنهاية . ويجعل لنا ما عانينا بهِ من الانصاب والاتعاب واسطة لبلوغ الغاية . وهي الحظوة بهِ . والوصول اليهِ . فهو الرؤوف الرحيم . واللطف العميم

فدونك ايها الساري في ظلمة هذا الدهر منارة تبين لك الآثار . وتقيك مهوى العثار . وتهديك الى السبيل الواضح الاضواء . وتنير لك بسلاسل الاضواء . فان من يمشي في الضوء لا يعثر . اذا كان ممن لا يغض طرفيهِ عن طرفيهِ بل ينظر و يبصر . والله هو الموفق الى السدد . وولي المدد . فلهُ الحمد الاسنى . ولهُ يرفع الثناء بدون استثنا . وعليهِ الاتكال واليهِ المآب

المنارة الاولى

المنارة الاولى

في

سرّ القداس الطاهر

قال بولس الرسول في رسالته الى تيموتاوس « وقد كتبتُ اليك بهذه الرسالة مؤمّلًا أَن أَقدَم عليك من قريبٍ حتى اذا أَبطأْتُ تعلَم كيف يجب عليك أَن تتصرَّف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحيّ عمود الحقّ وقاعدتهُ » (١

ديباجة

ان القديس يوحنا فم الذهب سمَّى اسرار البيعة مصابيح الصدق لانها تبدّد ظلمات الخطيئة وتهب الذي يتناولها الحياة التي هي نور البشر. وافضل هذه الاسرار وأَجلُّها قدرًا واعظمها شأنًا هو سرّ القداس لانهُ يهب النعمة كما قال بولس الرسول « انه عظيمٌ سرُّ التقوى الذي تجلَّى في الجسد وتبرَّرَ بالروح » (٢ ويهب ايضاً ربَّ النعمة الذي شهد لهُ يوحنا « انهُ نور العالم ومن تبعهُ فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة » (٣

وعلى هذا كانت الخدمة التي يُقدَّس بها ويحضر على المذابح الالهية ابهى سناءً واسطع ضياءً من كل مصباح . وجاء في التوراة المقدسة ان الله تعالى لما اظهر هذا السرّ الجليل المجد في الجبل لموسى النبيّ امرهُ ان يقدّس خبز الوجوه

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٤ و١٥ ٢) ١ تيموتاوس ٣ : ١٦

٣) يوحنا ٨ : ١٢

ويضعهُ في بيت القدس على مائدة وبازاء المائدة ينصب منارةً من ذهب خالص ذات سبعة سُرُج. فتلك المائدة كانت رمزًا الى المذبح الطاهر وخبز الوجوه الى جسد الرب مانح الحياة والمنارة الى خدمة القداس التي يُقدَّس بها على ايدي الكهنة. وقيل انما كانت المنارة من ذهب لفضل هذه الخدمة على غيرها وانما كانت ذات سبعة سُرُج لان اجزاء القداس سبعة وهي تشهد وتدلّ ان المقدَّم على المذبح هو عنصر الحياة وافضل من كل منارة مضيئة من منائر الناموس

وذكر علماء اليهود ان موسى ادخلها الى القدس في نهار الاربعاء على شبه النيّرات السماويَّة التي اوجدها الله في مثل ذلك النهار. واثبت علماء البيعة ان الرُسُل خدموا اوَّل قداس يوم الاربعاء الذي يلي العنصرة

وكما ان منارة الناموس كانت واحدة ثم أُنشئ على مثالها منائر كثيرة هكذا خدمة القداس هي واحدة وعلى شبهها اَلَّف الآباء في الكنائس خِدَمًا مختلفة. ومثلما ان منارة الناموس صُنعت بأمر الله تعالى غير ان الشرير هيج كثيرًا من ملوك اسرائيل ويهوذا ومن الكفَّار على ان يمتهنوها ويطفئوا سُرُجها ويسحقوا قوائمها وينقلوها الى البلدان البعيدة ليمحوا ذكرها فاهلكهم الله برجزهِ واسلمهم للهزء والعار كما قال حزقيا الملك « ان اباءَنا قد تعدَّوا وفعلوا الشرّ في عيني الرب الهنا وتركوهُ وحوَّلوا وجوههم عن مسكن الرب وولَّوا أقفيتهم واغلقوا ابواب الرواق واطفأوا المصابيح ولم يقترّوا البخور ولم يُصعدوا محرقةً في القدس لاله اسرائيل. فلذلك كان غضب الربّ على يهوذا واورشليم فاسلمهم الى العنف والدهش والصفير كما انتم ترون باعينكم »(١

كذلك جرى لمنارة القداس التي امر الله باسراجها وخدمتها الى مجيئهِ الثاني فقد تآمر عليها كثير من احزاب البِدَع واهل الزيغ والالحاد فهدم بعضهم مذابحها وكنائسها وازدرى آخرون بكهنتها وخدّامها وابغض فريق تسبيحاتها وتقدساتها

١) ٢ ايام ٢٩ : ٦

وحارب جماعة نظامها وبخوراتها وحملت الجرأة قوماً على الادعاء ان القداس لم يرتّبهُ السيد المخلّص لهُ المجد وليس لهُ من اصل في الاناجيل المقدسة ولا هو مفيد لشيء . ولكن الله اهلك اكثر هؤلاء والذين امهلهم برحمتهِ لكي يفيقوا من ضلالتهم أَلبسهم الخزي وأَسلمهم للعنة والدمار كما تقدم فقال بلسان النبي « أُهيئ لمسيحي سراجاً أَلبس اعداءَهُ خزياً وعليهِ يُزهر تاجهُ » (١

وعلى عكس ذلك الذين يتمسكون بمنارة جسده المحيي فانهُ يكون معهم الى نهايةِ الدهر ويُزهر فيهم قدسهُ ويُلبسهم المجد وبنورهِ يقود جيوشهم الى ميناء الخلاص كقول الملك أَبيّا لاسباط اسرائيل « اما نحن فالرب هو الهنا ولم نتركهُ والكهنة القائمون بخدمة الربّ هم بنو هرون واللاويون في عملهم . وهم يقترون للرب كل صباح وكل مساء محرقات وبخور أَطياب . وخبز الوجوه على المائدة النقيّة ومنارة الذهب توقد سُرُجها كل مساء لانّا قائمون بحراسة الربّ الهنا واما انتم فتركتموهُ . وهوذا الله معنا رئيساً لنا وكهنتهُ وابواق الهتاف للهتاف عليكم . يا بني اسرائيل لا تحاربوا الربّ اله آبائكم فانكم لا تفلحون » (٢

ومن ثم نقسم هذه المنارة الى ثلاثة شروح نبرهن في اولها على سرّ القدّاس من الاسفار العتيقة والجديدة . وفي الثاني على بعض امور تتعلّق بالقدّاس من حيث الرتبة والهيئة . وفي الثالث على حضور القداس الطاهر

---

١) مزمور ١٣١ : ١٧ ٢) ٢ ايام ١٣ : ١٠

الشرح الاول

في سر القداس الطاهر
وهو احد عشر فصلاً

الشرح الاول

في

سرّ القداس الطاهر والبرهان عليهِ من الكتب العتيقة والجديدة

الفصل الاول

في

سبب القداس الطاهر

ان الطبع الالهي ولو كان فينا وداخل كل واحدٍ منّا ونحن بهِ موجودون واحياء متحركون ليس ممكنًا أن تلحظهُ عيوننا ببصرها ولا ان تصل اليه سائر حواس اجسادنا بجسّها لانهُ متجرد عن الامور الجسميَّة ولشرف جلالتهِ ولطف روحانيتهِ منزَّه عن الحركات البدنيَّة وبعيدٌ عن الاشباه الهيولية بعدًا اكثر مما بين السماء والارض بغير حدّ ولا قياس. لكنهُ لما كان هو البداءة ولم يخلق جنس البشر الّا ليسجوهُ ويقدّسوهُ لاجل ذلك يقول الرسول « ان ما يُعلم من الالهيات هو واضح فيهم اذ قد اوضحهُ لهم الله. لان غير منظوراته قد أُبصرت منذ خلق العالم اذ أُدركت بالمبروءات. وكذلك قدرته الازلية والوهتهُ حتى انهم لا معذرة لهم » (١ ومن حين ما جبل الانسان وضع يدهُ عليهِ وجمَّلهُ بالنعم الشريفة التي هي الكهنوت والحبرية والسلطنة كقول البيعة في سوغيت الجمعة

١) رومية ١ : ١٩

ܫܘܠܛܢܐ ܘܕܚܠܬܐ ܘܟܠܝܠܐ ܠܟܠܗ ܒܣܪܐ ܠܐܕܡ ܡܢ ܫܪܝ
ܗܘܐ

تريد بذلك ان الله الآب منذ برأهُ توّجهُ بتاج الملك ليجعل سلطانه وخشيته على كل ذي جسد. والابن منَّ عليه بالكهنوت ليعطي الحكمة والمعرفة لذرّيتهِ. وروح القدس منحهُ الحبرية ليسبح البارئ. ويرفع لهُ القرابين التي تحق لهُ مثل ينبوع الخير وضابط جميع الكائنات وبهذا المعنى يقول ابن سيراخ الحكيم « ان الله آتاهم سلطاناً على كل ما في الارض وألبسهم قوةً بحسب طبيعتهم وصنعهم على صورتهِ. ألقى رعبهُ على كل ذي جسد وسلّطهُ على الوحش والطير. . . اعطاهم اختياراً ولساناً وعينين واذنين وقلباً يتفكر وملأهم من معرفة الحكمة واراهم الخير والشرّ. وجعل عينهُ على قلوبهم ليظهر لهم عظائم اعماله. ليحمدوا اسمه القدوس ويخبروا بعظائم اعماله » (١

وبموجب هذا ذكرت الكتب المقدسة انه ليس فقط هابيل وشيت ونوح وملكيصادق وابرهيم وغيرهم من الآباء الاطهار كانوا يقدمون لله الذبائح والقرابين بل الامم الكبيرة ايضاً مثل الكلدانيين والمصريين والرومانيين واليونانيين والفرس وامثالهم كانوا يجتمعون لتقدمة القرابين ويختارون لها المذابح والكهنة. ولما ان فسدت قلوب الناس وانجرّوا الى عبادة الاصنام اختار الله ابرهيم وذريّته واعطاهم في الرعود والبروق فرائض الناموس والقرابين والكهنوت لكي يكون شعبه مميزاً من سائر شعوب الارض. وامر موسى ان يكتبها ويتلوها على مسامع الشعب فتلقاها الشعب بالقبول وعاهدوا الله على ان يأتمروا بكل ما تكلّم بهِ. فحينئذٍ امر الله موسى النبي ان يأخذ من دم القرابين ويرشّه على الشعب وعلى الكتاب وعلى القبّة وعلى جميع ادوات الخدمة قائلاً « هوذا دم العهد الذي عاهدكم الرب بهِ على جميع هذه

---

١) ابن سيراخ ١٧ : ٣

الاقوال »(١ فكان رشّ ذلك الدم ختماً عليهم وعهداً الى مجيء السيد المسيح الثاني كقول الرسول «كل شيء تقريباً يُطهَّر بالدم على حسب الناموس ولا مغفرة الَّا بسفك الدم »(٢

غير انه لما كان الناموس العتيق جسدياً ضعيفاً خالياً من المنفعة لم يكن ليهب النعمة او يكمّل شيئاً فمن اجل ذلك وعدهم الله بناموس آخر جديد اذ قال بلسان ارميا النبي «ها انها تأتي ايام يقول الربّ أَقطع فيها مع آل اسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي قطعتهُ مع آبائهم »(٣

وكذلك الحبرية كانت ايضاً ضعيفة تخصُّ احباراً ضعفاء وعبيداً للخطيئة والموت ولهذا وعدهم الله بلسان موسى بنبيّ آخر اذ قال « يقيم الك الربّ الهك نبياً من بينكم من اخوتك مثلي له تسمعون ... واي انسان لم يطع كلامي الذي يتكلّم بهِ باسمي فاني احاسبه عليه » (٤

وكذلك القرابين ودماء الجداء والثيران كانت ضعيفة معدومة من الحياة والمغفرة تدنّس من يقرّبها ولا تستطيع ان تمحو خطاياهُ فوعدهم من اجل ذلك بتجسد ابنه وسفك دمه على الصليب لمغفرة خطايا العالم كله كقولهِ في المزمور التاسع والثلاثين « فلذلك يقول عند دخولهِ العالم ذبيحةً وتقدمةً لم تشأْ لكنَّك أَلبستني جسداً . ولم ترضَ بالمحرقات ولا بذبائح الخطيئة . حينئذٍ قلتُ هاءَنذا آتٍ »(٥

وهكذا قل في سائر الامور العتيقة واسرارها فانها كانت ظلًّا وخيالًا للامور المزمعة قال بطرس الرسول « وعندنا أَثبت من ذلك وهو كلام الانبياء الذي تحسنون اذا أَصغيتم اليه كأَنهُ مصباحٌ يُضيءُ في مكانٍ مُظلِم الى أَن ينفجر النهار ويُشرِق كوكب الصبح »(٦

١) خروج ٢٤ : ٨
٢) عبرانيين ٩ : ٢٢
٣) ارميا ٣١ : ٣١
٤) تثنية ١٨ : ١٥
٥) عبرانيين ١٠ : ٥ مز ٣٩ : ٧
٦) ثانية ١ : ١٩

يريد بذلك ان الله تعالى لم يُعطِ الاقدمين تلك الاسرار بلسان انبيائهِ الّا ليهتدوا بها الى قبول السيد المخلص الذي بمجيئه فجر للعالم نهار النعمة واطلع كوكب الرحمة فاعطانا بدل التوراة شريعة الانجيل الحاوية قوّة الله وحياة الخلاص لكل من يتمسك بها. وعوضنا من حبرية هرون كهنوت ملكيصادق ومن الختانة المعمودية المقدسة ومن السبت الاحد الشريف وهكذا في سائر الاشياء حتى انهُ باقنومهِ تمم وابطل جميع امور الناموس العتيق والفرائض التي وُضعت على يد موسى واقام مكانها فرائض حديثة كما يشهد بولس الرسول بقولهِ « إذَن إن كان احدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ. قد مضى القديم وها إنَّ كلَّ شيء قد تجدَّد. والكلُّ من الله الذي صالحنا مع نفسهِ بالمسيح واعطانا خدمةَ المصالحة » (١

وعليهِ فكما ان يسوع بابطال الناموس ابطل رشَّ الدم الذي كان عهدًا عيهِ (على الناموس) الى الابد الى ان ينفجر النهار ويشرق الكوكب هكذا ينبغي ان نثبت ونقرّ انهُ لما تجدَّدت الاشياء كلها بالمسيح وعاهدنا ان شريعتهُ تدوم ولا تنقضي الى مجيئهِ الثاني ابرم مع بيعته عهدًا جديدًا وواثقها عليهِ الى ذلك الوقت. وذلك العهد هو تقدمة جسدهِ ودمه المحيي كما يشهد الانجيل الشريف بقولهِ « اخذ يسوع خبزًا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال خُذوا كُلُوا هذا هو جسدي. واخذ الكاس وشكَرَ وأَعطاهم وقال اشربوا من هذا كلُّكم. لأنَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهرَاقُ عن كثيرين لمغفرة الخطايا » (٢

ثم امر جميع تلاميذهِ وجميع الكهنة الذين يخلفونهم قائلًا « فانكم كلَّما أَكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الربّ الى ان يأتي » (٣

وكما ان الشريعة الجديدة دُوّنت في سفر الانجيل الجديد ورتّبت البيعة خدمًا حديثةً للعماد والكهنوت والاعياد الجدُد دعت الضرورة ايضًا ان يُخصَّص جسد

---

١) ٢ كورنتس ٥: ١٧ ٢) متى ٢٦: ٢٦
٣) ١ كورنتس ١١: ٢٦

الرب ودمه الكريم بخدمة جديدة ذات اكرام ليُقدَّس بها ويوزَّع على المؤمنين الى نهاية الدهر كما اوصى الربّ بقولهِ « اصنعوا هذا لذكري » وهذه الخدمة هي القداس الطاهر . والى جميع هذه الامور باسرها تُشير البيعة في الحسَّاية التي نقرأها عشيَّة الاحد الجديد اذ نقول :

ܡܫܝܚܐ ܥܠܬܗ ܕܟܠ ܥ̈ܐܕܝܢ ܘܫܘܬܐܣܐ ܕܟܠ
ܥܕܥ̈ܕܝܢ . ܐܠܗܐ ܐܠܗ̈ܝܢ ܘܡܪܐ ܡܪ̈ܘܬܐ . ܚܝܠ ܠܢ
ܒܕܟܝܘܬܐ ܠܚܕ ܒܫܒܐ ܚܕܬܐ ܢܥܕܥܕ . ܟܕ ܣܓܕܝܢ
ܒܚܘܒܐ ܠܟ ܐܕܡ ܚܕܬܐ . ܟܕ ܡܥܕܥܕܝܢ ܢܟܦܐܝܬ
ܠܥܐܕܐ ܚܕܬܐ . ܟܕ ܢܛܪܝܢ ܙܗܝܪܐܝܬ ܠܢܡܘܣܐ ܚܕܬܐ .
ܟܕ ܡܣܒܪܢ ܠܫ̈ܢܝܢ ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܚܕܬܐ . ܟܕ
ܡܬܥܛܦܝܢ ܢܚ̈ܬܐ ܕܝܐܝܢ ܠܡܫܬܘܬܐ ܚܕܬܐ . ܟܕ
ܡܬܛܝܒܝܢ ܠܡܫܬܐ ܟܣܐ ܗܘ ܚܕܬܐ . ܟܕ ܡܫܬܘܝܢ
ܠܡܬܒܣܡܘ ܒܦܬܘܪܐ ܗܘ ܚܕܬܐ . ܟܕ ܗܘܝܢ ܟܠܢ ܥܕܬ
ܥܕܐ ܚܕܐ ܚܕܬܐ . ܟܕ ܡܫܬܘܕܥܝܢ ܓܠܝܐܝܬ ܕܗܝ
ܐܝܬܝܗ ܟܠܬܐ ܚܕܬܐ (١

١) الترجمة : ايها المسيح علة جميع الاعياد واساس كل المواسم اله الآلهة وسيد السادات قوّنا بالنقاوة لكي نحتفل باحد السبة الجديد اذ نسجد لك بالحب يا آدم الجديد ونحتفل بخشوع بالعيد الجديد ونحفظ بالحرص الشريعة الجديدة وتبشر السنتنا بالانجيل الجديد ونلبس الثياب التي تليق بالوليمة الجديدة ونتهيأ لشرب الكأس الجديدة ونؤهّل للتلذذ بالمائدة الجديدة ونصير كلنا بيعة واحدة جديدة عالمين جليّاً انها هي نفسها العروس الجديدة

الفصل الثاني

في اسماء القداس الطاهر

ان الآباء الاطهار اركان البيعة المقدسة سمّوا خدمة الاسرار الالهيـة بأسامي مختلفة منها ما يلاحظ الذبيحة والسرّ ومنهـا ما يلاحظ اجتماع المؤمنين والفوائد التي يجنونها . فيسمّى القـداس اولاً ܟܢܘܫܝܐ ومعناهُ اجتماع لان المؤمنـين في ايام الآحاد والاعياد الصارخة يجتمعون لحضور القداس وتناول جسد الربّ ودمهِ الكريمين قال الله تعالى « حيث اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك فيما بينهم »(١ والحال ان المسيح لا يحضر بجسده بين البشر الّا عندما يقدّسهُ الكهنة في القداس . ويسمّى الموضع الذي يجتمع فيهِ ابنـاء الايمان ايضاً كنيسةً ومجمعاً

ثانياً يسمّى القـداس ܫܘܬܦܘܬܐ اي الشركة والاشتراك لان المؤمنين يشتركون في جسد الربّ ومع بعضهم كقول الرسول « كاس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ أليس هو شركة جسد المسيح » (٢

وقد أُمر في القوانين الرسوليـة ان يكون القسوس في زي الشيوخ وان يشتركوا في الاسرار مع الاسقف . والقديس باسيليوس يطلب في نافوره قائلاً : ونحن المتناولين من خبز وكاس واحدة نسألك ان تجعلنا متحدين بعضنا مع بعضٍ في شركة روح القدس

ثالثاً يسمّى القداس ܩܘܪܒܐ اي القرب والصحبة اولاً لاننا نقترب بـهِ من الاتحـاد مع الله تعالى كقول الربّ « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت

١) متى ١٨ : ٢٠ ٢) ١ كورنتس ١٠ : ١٦

فيَّ وانا فيهِ » (١ وثانيًا لانه بجسد المسيح تمت المصالحة والاقتراب بين السماويين والارضيين وبين شعب اليهود والامم كما قال الرسول

رابعًا يسمّى القداس ܩܘܪܒܢܐ اي قربانًا وتقدمة لان خدمة القداس انما تتم بتقدمة جسد الربّ ودمهِ الكريمين لله الآب لاجل مغفرة الخطايا

خامسًا يسمّى القداس ܐܪܙܐ اعني سرًّا لان الربّ اوصى ان يقدَّم جسدهُ ودمهُ في خدمة القداس تحت اشكال الخبز والخمر كما قدَّمهما في العلّية الصهيونية لاجل ان يكونا رمزًا الى الفوز بالحياة الدائمة كما قال « من يأكل هذا الخبز يعيش الى الابد » (٢ وكلمة سرّ شائعة بين جميع اسرار البيعة التي تهب النعمة لكنها تقال خاصةً على سرّ القداس لانه يُكسب النعمة وربّ النعمة لكل من يتناولهُ باستحقاق

سادسًا يسمّى القداس ܕܒܚܐ اعني ذبيحة لانه مثلما كانت تجري الذبائح بسفك الدم هكذا الربّ لما قدَّم نفسه ذبيحةً لله ابيهِ سفك دمه على الصليب وامرنا ان نقدّس جسده تحت شكل الخبز ونضعهُ في الصينية واما دمه فامرنا ان نقدّسهُ تحت شكل الخمر ونضعهُ في الكأس . وكما رتب في العلية الصهيونية امرنا ان نصنع

سابعًا يسمّى القداس ܥܘܗܕܢܐ اعني الذكر والحفظ لان الربّ امرنا ان نقدّس جسده ودمه الكريمين ذكرًا لموتهِ على عود الصليب قال الرسول « انكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي »(٣

ثامنًا يُسمّى القداس ܩܨܝܐ اي الكسر لان جسد الربّ يُقسَّم في شكل الخبز ويُوزَّع على المؤمنين كما هو مكتوب في اخبار الرسل « ان المؤمنين كانوا

١) يوحنا ٦ : ٥٧ ٢) يوحنا ٦ : ٥٩

٣) ١ كورنتس ١١ : ٢٦

مواظبين على تعاليم الرسل و الشركة في كسر الخبز والصلوات » (١

تاسعاً يُسَمَّى القداس ܩܘܕܫܐ اعني تقديساً لانه بكلمة الربّ وبقوَّة روح القدس يتقدَّس الخبز والخمر ويستحيلان الى جسد الربّ ودمهِ. ولذلك شهد الآباء في نوافيرهم ان الربّ بارك وقدَّس لئلا يزعم احد ان تبريك الاسرار يكون على مثال تبريك الخبز في البرية وانما هو تقديس واستحالة جوهرَي الخبز والخمر الى جسد الرب ودمهِ المحيي

عاشراً يُسَمَّى القداس عند الروم ܠܝܛܘܪܓܝܐ (ليتورجية) اي خدمة وعند السريان ܩܘܪܒܢܐ (نافورًا) اي تقدمة لانه يتضمَّن خدمة الربّ وتقدمة الصلاة والقرابين كما هو مذكور في اخبار الرسل « وفيما هم يخدمون الربّ ويصومون قال لهم روح القدس افرزوا لي شاول و برنابا للعمل الذي دعوتهما اليهِ » (٢ يريد بذلك تقدمة الاسرار المقدسة. وقال الربّ للسامرية « تأْتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحقّ » (٣

اخيرًا يسمى القداس ܫܘܡܠܝ ܫܘܡܠܝܐ اي تمام الكمالات اولاً لان جميع الذبائح والقرابين القديمة قد كملت بخدمة القداس وثانياً لانه كما يدعى الانسان كمال الطبيعة لكونهِ مستجمعاً كل حسن وشريف في الطبيعة هكذا تقدمة القداس تشتمل على جسد الربّ وروحه ولاهوته فاللاهوت يحوي الاقانيم الثلاثة والروح جميع الخواطر العقلية والجسد جميع الخلائق المادية وعلى هذا النمط يكون فيهِ جميع ما في الموجودات

ثالثاً لان هذا السرّ مكمّل لجميع الاسرار الجديدة فمن قبل سرّ العماد لبس الربّ في تناولهِ القربان ومن ادَّهن بالميرون استرشد للاتحاد بهِ ومن قبل الرسامة

١) اعمال ٢ : ٤٢ ٢) اعمال ١٣ : ٢

٣) يوحنا ٤ : ٢٣

احرز السلطان لتقديسهِ ومن تزوَّج تناوله حتى انه اذ يصير جسدًا واحدًا مع المرأة يكون دليلًا على اتحاد المسيح مع البيعة خطيبتهِ ومن اعترف او مُسح المسحة الاخيرة يصيب كمال الحياة في تناولهِ · وهكذا هو كمال جميع اسرار البيعة ونهايتها لان جميعها ينتسب اليهِ وبهِ يكمل ولاجل ذلك قال الآباء ان سرّ القداس هو سرّ المحبة والمحبة هي وثاق الكمال

وُيسمَّى القداس ايضًا باسامي أُخرى سنذكرها في محلّها ان شاء الله

الفصل الثالث

في ماهية القداس الطاهر

القداس خدمة مقدسة يتحول بها جوهر الخبز الى جسد الربّ وجوهر الخمر الى دمهِ الكريم ويقدمان لله على ايدي الكهنة لمغفرة الخطايا

فقولنا (خدمة) جنس يشمل جميع انواع الخدم والرتب التي أُلفت لتقدمة القرابين والصلوات · فان القربان والكهنوت والشريعة ليست هي مختصة بواحدٍ دون آخر ولكنها شائعة بين جميع الشعب كما قال الرسول « كل حبرٍ متّخذ من الناس يقام لاجل الناس فيما هو لله ليقرب تقادم وذبائح عن الخطايا » (١ ومن ثمَّ نرى كل امةٍ قد اتخذت لها رتبةً مخصوصة لهذا الامر كما هو مذكورٌ في سفر الاحبار عن شعب اسرائيل وفي سفر الملوك عن كهنة باعال وكذلك عن الكلدانيين والرومانيين وغيرهم · وجسد الربّ الذي هو ذبيحة العهد الجديد تقتضي جلالتهُ ان تُخصص لهُ خدمة اشرف من سائر الخدمات · وهذه هي خدمة القداس

وقولنا (مقدسة) يتناول جميع القرابين التي رتبت بامر الله في عهد الطبيعة وعهد الناموس وعهد النعمة ويميز هذه الخدمة من ذبائح الاصنام وتقادم البشر

وقلنا « انهُ بهذه الخدمة المقدسة يتحول جوهر الخبز الى جسد الربّ وجوهر

١) عبرانيين ٥ : ١

الخمر الى دمهِ » لان كل قربان يقدم لله يجب ان يتغيَّر في حال التقدمة عما كان سابقًا وشاهدهُ ان الحيوانات عند تقريبها لله كانت تذبح والنضوح كالماء والدم تهرق والقرابين التي هي كالخبز والسميذ والبخور والملح والخمر بعضها يؤْكل وبعضها يشرب وبعضها يوقد بالنار. هكذا تقدمة العهد الجديد لاجل ان تكون صحيحة مقبولة يجب ان تتغيَّر عمَّا كانت اولًا. واراد الربّ ان يتحول الخبز والخمر الى جسده ودمهِ لتكون تقدمتهما افضل من سائر القرابين لان القرابين كانت تتغيَّر بالصورة لا بالمادة اما الخبز والخمر فيتغيران بالصورة والمادة معًا اذ يستحيلان الى جسد الربّ ودمه ولا تتغيَّر الاعراض عمّا كانت سابقًا لتكون التقدمة محسوسة وكما ان الانسان مؤلَّف من روح وجسد هكذا قربانهُ ينبغي ان يكون بالروح والحق كقول الربّ للسامرية « تأتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحقّ » (١ وهكذا في ذبائح الشريعة العتيقة ما كانت تتغيَّر جميع الاعراض

قلنا ثالثًا « ان جسد الربَّ ودمهُ يقدّمان على ايدي الكهنة لمغفرة الخطايا » اذ ينبغي ان ننظر في جميع القرابين الى اربعة اشياء اعني القربان الذي يُقرَّب والله الذي يُقدّم لمجده والشخص الذي يقدّمهُ والشخص الذي يُقدَّم من اجله. والى هذه الامور جميعها اشار الرسول في الموضع الذي تقدَّم ذكرهُ « ان كل حبرٍ متَّخذ من الناس يُقام لاجل الناس فيما هو لله ليقرّب تقادم وذبائح عن الخطايا». وهذه الامور تكون في اكثر الاوقات منفصلة عن بعضها كما كان الاحبار يقدّمون لله القرابين عن الشعب. وقد يتفق ان تكون غير منفصلة كمن يقرّب عن نفسهِ فيكون العلّة الفاعلة والمتناهية. والسيد المخلّص لما قرّب نفسهُ على الصليب كان هو الكاهن وجسدهُ التقدمة واليهِ كانت تنتسب التقدمة انتسابها الى آلتها وتقدَّم عن نفسهِ تقدمة الشكر والمجد

١) يوحنا ٤ : ٢٣

وفي تقدمة القداس يجب ان تجتمع هذه الاربعة . اولاً الانسان الذي يُقدَّم عنهُ القربان وهو الشخص الذي يعطي الحسنة فنطلب لهُ مغفرة الخطايا وزيادة النعمة ثانياً الله تعالى وهو الذي يُقرَّب لهُ القربان بما انه يتقبل الافعال الصالحة ويجازي عنها بالخير. ثالثاً مقرّبو القربان وهم السيد المخلص والكاهن والمعطي الحسنة والبيعة . اما السيد المخلّص فلانه اول وراس كل شيء في جميع القداديس لان الكلام الجوهري انما يُقال باسمهِ وعنهُ قال داود « انت كاهنٌ الى الابد على رتبة ملكيصادق »(١ ومثلما قدَّس جسده ُ في العلّية الصهيونية يقدّسهُ كل يوم على المذابح لكن مع هذا الفرق وهو انه قدّسهُ هنالك على يديه وها هنا يقدّسهُ على ايدي الكهنة ومن ثم يقول الآباء انه هو الكاهن والذبيحة وهو المقدِّم والمقدَّم

واما الكهنة فلانهم يقدّسون ويقدّمون جسد الربّ من حيث هم الوسطاء بين الله والناس واياهم اوصى ان يصنعوا ذلك لذكرهِ كالوكلاء

واما معطي الحسنة لتقدمة القربان فهو يُقدّمهُ لانه هو السبب ولذلك نقول في التذكارات « ومن اجل الذي استعدّ وقدَّم هذا القربان »

واما البيعة فهي ايضاً تقدم القربان لانها مؤلفة من المؤمنين الذين هم جسدٌ واحدٌ سريّ بالربّ فالبعض يقدّسون كالكهنة والبعض يخدمون كالشمامسة والبعض يعتنون بتقدمة الخبز والخمر والبعض يجتهدون في بنيان الكنائس والبعض يقدمون البخور والشمع والبعض يقفون الاملاك والزِين والاواني المقدسة وغيرهم يسعفون في الصلوات البيعية وآخرون يشهدون الذبيحة وفريق يطلب الاشتراك عن بعد والحاصل ان جميع اولاد الايمان يترجون ان يصير لهم حظٌ ونصيب في جميع القداديس التي تقدَّم في كل النصرانية على مثال الاعضاء في الجسد

رابعاً واخيراً الشيء الذي يُقدَّم على المذبح وهو جسد الربّ ودمهُ مانح

---

١) مزمور ١٠٩ : ٤

الحياة ونبرهن على ذلك من العهد الجديد والعتيق ومن تقاليد البيعة لان مرجع هذه الخدمة المقدسة اليها

الفصل الرابع

في البرهان على تقدمة القداس الطاهر من الانجيل المقدس

ان الله جلَّ وعلا لما كانت بصيرة الانسان قاصرةً ضعيفة انعم عليهِ بمصباحين يهتدي بضيائهما الى وجوده ومعرفتهِ فالمصباح الاول هو نور الطبيعة اعني البرايا والمخلوقات كما قال بولس الرسول « ان غير منظوراتهِ قد أُبصرت منذ خلق العالم اذ أُدركت بالمبروءات وكذلك قدرتهُ الازلية والوهتهُ حتى انهم لا معذرة لهم » (١ وقالت الحكماء ان المصنوعات تهدي الى معرفة الصانع ومن عظمتها يستدلُّ على مبلغهِ من القدرة

والمصباح الثاني هو الكتب المقدسة التي اوحى بها الله الى اصفيائهِ . قال يعقوب السروجي : ان البشر استدلوا على ميلاد الرب بهذين المصباحين لان المجوس اهتدوا اليهِ بالنجم كقول داود النبي « السماوات تنطق بمجد الله » (٢ واما هيرودس فانهُ طلب مصباح النبوءة كقولهِ في الميمر الثامن عن المجوس

ܫܐܠ ܡܠܟܐ ܡܢܗܘܢ ܥܠ ܡܘܠܕܗ ܕܡܠܟܐ ܪܒܐ .
ܘܡܕܒܪܢܐ ܕܥܠܡܝ̈ܐ ܐܝܟܘ ܗܘ ܕܐܬܐ . ܐܡܪܘ ܠܣܦܪ̈ܐ
ܘܢܒܨܘܢ ܒܟܬܒ̈ܘܗܝ ܕܢܒܝ̈ܘܗܝ ܗܘ ܐܘܪܚܐ ܕܡܫܝܚܐ
ܥܠ ܩܕ̈ܡܘܗܝ (٣

١) رومية ١ : ٢٠ ٢) مزمور ١٨ : ٢ ٣) الترجمة : سأل الملك عن ولد

لذلك لمَّا تأمَّل السيد المخلص قساوة اليهود وعدم اقتناعهم بشهادة يوحنا والمعجزات التي صنعها ليؤمنوا بلاهوتهِ امرهم ان يتخذوا مصباح الوحي قائلًا « تبحثون في الكتب لانكم تحسبون ان لكم فيها الحياة الابدية فهي التي تشهد لي » (١ وبهذا سدَّ افواههم وأفحمهم. اما تقدمة العهد الجديد وان كان امرها واضحًا من التسليم العام عند جميع الكنائس فاننا نُسرج هذه المنارة بمصباح قول الله في الشريعتين الجديدة والعتيقة لاجل تعليم الكهنة وتثبيت القلوب السليمة وتفنيد مزاعم الذين طعنوا في حقيقتها ونبدأ اولًا من الانجيل المقدس الذي هو قوَّة الله

يشهد متَّى ومرقس ولوقا في اناجيلهم وبولس الرسول في رسالتهِ لاهل كورنتس « ان الرب يسوع في الليلة التي أُسلمَ فيها أخذ خبزًا وشكر وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسَر لاجلكم اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلًا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُهرق من اجلكم ومن اجل كثيرين لمغفرة الخطايا اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري » واضاف بولس الرسول الى ما تسلَّم من الرب « فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي » (٢

فمن هذه الشهادات يتبيَّن اولًا ان الخبز استحال الى جسد الرب والخمر الى دمهِ لان الذي بكلمتهِ أبرأ الابرص ومنَّ بالنظر على الاعمى واقام الميت وسكَّن امواج البحر وكثَّر الخبز في القفر وحوَّل الماء خمرًا جيدة هو بعينه اخذ الخبز والخمر بيده ورفع بصره الى الآب وشكره ونطق بفمهِ ان الخبز كان جسده والخمر دمهُ. فاذًا لا شبهة في ان الامر صار كذلك فاستحال الخبز الى جسده والخمر الى دمهِ. وهكذا تسلمت وآمنت بيعة الله منذ نشأتها فتحرم وتطرد من شركتها كل من

الملك العظيم مستفهمًا عن ميلاده فبيَّن لهُ السرَّ مفسّرو المستقبلات سالكين على مصابيح النبوءات في كلامهم لكي يوضحوا منهاج الحق بترجماتهم

١) يوحنا ٥ : ٣٩ ٢) ١ كورنتس ١١ : ٢٣

لا يذعن لقول الرب ولا يؤمن بهِ كقول يعقوب السروجي في الميمر الثالث والستين عن آلام السيد المسيح

ܦܓܪܗ ܒܐܝ̈ܕܘܗܝ ܦܠܓ ܡܪܢ ܥܠ ܦܬܘܪܐ. ܘܡܢܘ ܡܡܪܚ ܕܢܐܡܪ ܗܫܐ ܕܠܘ ܦܓܪܗ ܗܘܐ. ܗܘ ܐܡܪ ܗܘܐ ܕܗܢܐ ܦܓܪܝ ܗܘ ܘܡܢ ܠܐ ܡܗܝܡܢ ܕܐܦ ܠܐ ܫܘܐ ܠܗ ܠܬܠܡܝܕܘܬܐ ܕܫܠܝܚܘܬܐ (١

ثانيًا . أنهُ اطعمهم جسده حقًا وسقاهم دمهُ حقًا . وتشهد البيعة في صلاة المساء لخميس الاسرار انه كسر جسده واطعمهم ومزج دمه وسقاهم

ثالثًا . انهُ جعل جسده ودمهُ للبيعة عهدًا لجيشهِ الثاني كما جعل دماء الجداء والعجول لشعب اسرائيل عهدًا لجيشهِ الاول ولذلك قال « هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي » (٢ . وكذلك تسلمت وتمسكت البيعة كما نقرأ في صلاة المساء ليوم تقديس البيعة « تبارك المسيح مخلصنا الذي خطبكِ ايتها البيعة المقدسة بصليبهِ والقى المصالحة ووضع فيكِ بتحننهِ مذبح القدس الغفور لتأكلي وتتنعمي الى الابد »

رابعًا . كما ان الربّ باقنومه قدَّس الخبز والخمر كذلك منح السلطان لجميع الكهنة ان يقدسوهما الى نهاية الدهر قائلًا « اصنعوا هذا لذكري » (٣ . وهكذا تعتقد وتؤمن البيعة كما تقول في مساء خميس الاسرار « ان الربّ بيديهِ قسم جسده لتلاميذهِ وسقاهم دمهُ قائلًا لهم هكذا تصنعون الى جيل الاجيال »

خامسًا . ان الربّ اعطى جسده لمغفرة خطايا الذين يتناولونه والذين يُقدَّم من

(١ الترجمة : قسّم ربنا جسده بيديهِ على المائدة فمن يجسر ان يقول الان ان ذلك ليس هو جسده . وقد قال هو نفسه « هذا هو جسدي » فمن لا يصدق فانهُ ليس تلميذًا اهلًا للرسالة

(٢ ١ كورنتس ١١ : ٢٥ (٣ ١ كورنتس ١١ : ٢٤

اجلهم كما يجب لانه قال « هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا » (١ . وهكذا تُؤمن البيعة انهُ يفعل بالذين يتناولونهُ والذين يُقدَّم عنهم كقولها في مساء تقديس البيعة « افرحي جدًّا وابتهجي ايتها البيعة المقدسة لان فيكِ مائدة النعيم . وجسد المسيح ودمهُ يُزيّحان فيكِ لمغفرة خطايا اولادكِ وذنوبهم »

سادسًا . كما ان جميع ذبائح الناموس ومحرقاتهِ كانت رمزًا الى ذبحهِ على الصليب هكذا جميع تقادمنا هي عائدة اليهِ كقول الرسول « فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الربّ الى ان يأتي » (٢ . وهكذا تعترف بيعة الله كقول السروجي في الميمر الثامن والسبعين عن مجمع الاساقفة

ܠܗ ܡܣܬܠܩܢ ܗܘܘ ܟܠܗܘܢ ܕܒ̈ܚܐ ܕܒ̈ܢܝ ܠܘܝ .
ܘܠܗ ܡܬܩܪܒܐ ܩܘܪܒܢܐ ܒܐܪܙܐ ܕܠܦܓܪܗ ܗܘܝܐ · ܨܘܪ
ܡܘܫܐ ܒܕܡܐ ܕܕܒ̈ܚܘܗܝ ܐܪ̈ܙܢܝܐ . ܘܡܙܓܘܗ ܒܚܡܪܐ
ܘܡ̈ܝܐ ܡܫܩܝܢ ܠܥܠܡܐ ܒܡܠܬܗ (٣

الفصل الخامس

في البرهان على تقدمة القداس من رسائل القديس بولس واخبار الرسل

ان بولس الاناء المختار لبشارة الانجيل لما وعظ اهل كورنتس وحرضهم على الامتناع من ذبائح الاوثان قال لهم « يا احبائي اهربوا من عبادة الاوثان . اقول كما

١) متى ٢٦ : ٢٨ ومرقس ١٤ : ٢٤

٢) كورنتس ١١ : ٢٦

٣) الترجمة : اليهِ ترتقي جميع ذبائح اللاويين ولهُ تقدّم القربانة بنوع سرّي فتصير جسدهُ . صوّرهُ موسى بدم الذبائح السريّة ومزجه الكهنة بالخمر والماء شرابًا للعالم بامره

يقال للحكماء فاحكموا انتم فيما اقول. كأسُ البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد. انظروا اسرائيل الجسدي أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح. فماذا اقول. أإن ذبيحة الوثن شيء او إنّ الوثن شيء. بل ان الذي تذبحه الامم انما تذبحه للشياطين لا لله. فلا اريد ان تكونوا شركاء الشياطين. انكم لا تستطيعون ان تشربوا كاس الربّ وكاس الشياطين. ولا تستطيعون ان تشتركوا في مائدة الربّ ومائدة الشياطين» (١

فمن هذه الشهادة يتبيّن. اولًا ان الكهنة في مدينة كورنتس وغيرها من المدن كانوا يقدسون الخبز والخمر على مثل ما صنع الربّ. وكما ان الوثنيين كانوا يزعمون انهم بتقدمتهم للاوثان يشتركون مع الشياطين. وكما ان شعب اسرائيل الجسدي كان يتناول من التقدمة ليكون شريكًا للمذبح. كذلك اولاد الايمان عندما يتناولون الخبز ويشربون الخمر اللذين يتباركان بكلمة الربّ يصيرون حقًّا شركاء جسد الربّ ودمه. ومن هنا يُنتج الرسول انه لا يجوز لهم ان يشربوا من كأس الربّ وكأس الشياطين لانهم لا يستطيعون ان يشتركوا مع الربّ ومع الشياطين

ثانيًا. تثبت تقدمة جسد الربّ مما ذكره لوقا البشير في كتاب اعمال الرسل وهو «ان كثيرًا من اليهود آمنوا باقوال بطرس الرسول واعتمد منهم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس وكانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات ووقع الخوف على كل نفس» (٢. وليس المراد بهذا الخبز الذي يغتذي بهِ الجسد بل جسد المسيح الذي تغتذي بهِ الروح كقولهِ تعالى «من يأكل هذا الخبز فانه يعيش الى الابد» (٣. ويتحقق ذلك من مواظبتهم على تعليم الرسل واشتراكهم في الصلوات التي تقام في خدمة القداس

---

١) ١ كورنتس ١٠: ١٤ ٢) اعمال ٢: ٤٢

٣) يوحنا ٦: ٥٩

ويدل كسر الخبز ايضاً على شركة جسد المسيح كما يؤيد ذلك كلام الرسول اذ قال « والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١

ويتبيّن ذلك ايضاً من رتبة البيعة لان الذين كانوا يؤمنون جديداً كانوا يعمّدون في القداس لكي يتناولوا جسد الربّ وتكون عليهم المهابة والمخافة . والنسخة السريانية تقول انهم كانوا يشتركون في الصلاة وكسر جسد المسيح ܘܡܩܘܝܢ ܗܘܘ ܒܝܘܠܦܢܐ ܕܫܠܝܚܐ ܘܡܫܬܘܬܦܝܢ ܗܘܘ ܒܨܠܘܬܐ ܘܒܩܨܝܐ ܕܐܘܟܪܣܛܝܐ وعليه فان لوقا لا يريد ههنا بكسر الخبز الّا تقدمة القداس التي كان الاولون يسمّونها هكذا لكي يبقى هذا السرّ مكتوماً عن غير المؤمنين

ثالثاً . يؤيده قول لوقا البشير الذي اخبر ان هذه التقدمة كانت تقام في مدينة تراوس قائلاً « وفي اول الاسبوع لما اجتمعنا نكسر الخبز كان بولس يفاوضهم » (٢ . وبهذا الكسر يراد توزيع جسد الربّ كما ذكرنا سابقاً . فان النسخة العربية تقول « اذ نحن مجتمون لنوزّع جسد المسيح » وكذلك السريانية تقول ܒܚܕܒܫܒܐ ܕܟܕ ܟܢܝܫܝܢ ܗܘܝܢ ܠܡܩܨܐ ܐܘܟܪܣܛܝܐ (٣

ومن هاتين النسختين يتحقق ان المُخبر يفهم بكسر الخبز توزيع جسد المسيح كما هو فهم البيعة من الزمان القديم وان ذلك كان يجري نهار الاحد الذي امر الرسل ان يقام فيه قداس غير منقطع

وذكر لوقا البشير انه كان في الكنيسة التي بانطاكية انبياء ومعلمون وانه

---

١) ١ كورنتس ١٠ : ١٦ ٢) اعمال ٢٠ : ٧

٣) الترجمة : اذ كنا نجتمع يوم الاحد لنكسر جسد المسيح

بينما هم يخدمون للربّ ويصومون قال لهم الروح القدس « افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليه » (١

فقوله « يخدمون » اي يقرّبون القرابين كما فسره الآباء المتقدمون . ويستدل على هذا من الاصل اليوناني وانجيل لوقا حيث استعملت بدلًا من « يخدمون » كلمة « ليتورجين » التي تدل على تقدمة الذبيحة والقربان كما هو بائن من رسالة بولس الى العبرانيين . ومن هذه الكلمة تشتق كلمة « ليتورجيا » التي يُسمّى بها القداس عند الروم كما مرَّ الكلام سابقًا . يُثبت ذلك أن خدام المذبح في خدمة القداس يقبلون الشرطونية اي وضع اليد . فمن هذه الشهادات وامثالها يفهم القارىء اللبيب ان خدمة القداس الطاهر وُجدت منذ نشأة النصرانية فانتشرت معها في بلاد اليهودية والشام والروم وغيرها وكانت تُقام في الايام الفارحة وفي اوقات التعميد ورسامة الكهنة لكي يشترك المؤمنون في جسد الربّ

الفصل السادس

في البرهان من الشريعة العتيقة على ان خدمة القداس تكون في كل مكان وتدوم الى نهاية الدهر

قال القديس اغوسطين اسقف هيبونة في رسالته التاسعة والاربعين ان « ذبيحتنا لا تثبتها اسفار الانجيل فقط ولكن كُتُب الانبياء ايضًا » وهو مقال في غاية الصواب لان العتيقة ما كانت الّا خيالًا ورسمًا للجديدة ومن اجل هذا نذكر هنا بعض نصوص تثبت ان هذه التقدمة كانت في كلّ مكان وفي كلّ زمان

اولًا . ان الرب عزَّ اسمه لم يكن يأذن لشعب اسرائيل ان يقدّموا له قربان الذبائح الّا في المقدس الذي اقامهُ موسى في القفر فلما تعدَّوا وصيتهُ اهملهُ واهملهم وامر ببنيان الهيكل الذي شادهُ سليمان الملك وكان قد سبق وانذرهم بهذا على لسان

١) اعمال الرسل ١٣ : ٢

ارميا النبي قائلاً « سأصنع بهذا البيت الذي دُعي باسمي الذي انتم متكلون عليه وبالموضع الذي اعطيته لكم ولآبائكم كما صنعت بشيلو وانبذكم عن وجهي كما نبذت جميع اخوتكم كل ذرّية افرائيم » (١ . وفي بدء نبوَّة ملاخي أَعلن لهم مشيئته قائلاً « اني لا مسرَّة لي بكم قال رب الجنود ولا ارضى تقدمةً من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكانٍ تُقتَّر وتقرّب لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال رب الجنود » (٢ . ولم يلبث ان حقق مشيئتهُ بالفعل لانه خرَّب الهيكل والمدينة وابطل ذبائح اولئك القوم وشتّتهم في اقاصي الارض واختار عوضهم الامم الذين كانوا في كل مكانٍ يذبحون للشياطين لا لله فصاروا يقدمون لاسمهِ التقادم والقرابين الطاهرة . وبعد ان كان الله تعالى معروفاً في اليهوديَّة وحدها شملت معرفتهُ الامم المتفرقة في اربعة آفاق الدنيا فاخذت تقرّب لهُ جسد ابنهِ الذي هو افضل من كل قربان واعظم من جميع ذبائح الناموس كقول البيعة في مساء خميس الاسرار « في هذا اليوم اعلن الربّ السرّ الذي كان محجوباً عن العوالم والاجيال والقبائل وعن الملوك والكهنة وفي العلّية وهبهُ للرسل ليوزّعوهُ في بيعتهِ المؤمنة فصار الكهنة في اربعة آفاق المسكونة يقسمونهُ والبيعة وبنوها يتناولونهُ وبهِ يتسامحون ويصرخون قائلين لك المجد يا ربّ »

وبهذا المعنى يُفسّر اوسابيوس اسقف قيصرية وايرونيموس وغيرهما كلام اشعيا النبي القائل « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في داخل ارض مصر ونُصُب بجانب تخمها للرب . فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في ارض مصر لانهم يصرخون الى الربّ من مضايقيهم فيرسل لهم مخلّصاً وربّاً فينقذهم ويتعرَّف الربّ لمصر فتعرف مصر الربّ في ذلك اليوم ويعبدونهُ بالذبيحة والتقدمة وينذرون للربّ نذوراً ويوفون بها » (٣

١) ارميا ٧ : ١٤ ٢) ملاخي ١ : ١٠

٣) اشعيا ١٩ : ١٩

والمراد بهذا انه عند مجيء المسيح تتساقط اصنامهم ويقبلون على معرفته هم وسائر عبدة الأوثان ويرفعون لهُ النذور والقرابين النقية غير الدموية كما جرى الامر فعلاً . والى هذا اشار يسوع المسيح في كلامهِ مع المرأة السامرية حين طلب منها ماءً ليشرب فابت ان تعطيهُ قائلةً « كيف تطلب ان تشرب مني وانت يهوديٌّ وانا امرأة سامرية واليهود لا يخالطون السامريين . . . . ان آباءنا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان المكان الذي ينبغي ان يسجد فيهِ هو في اورشليم » (١

تريد بقولها انهُ كما كانت محرّمةً تقدمة الذبائح بين اليهود والسامريين كذلك كانت المخالطة محرّمةً ايضاً لان اليهود والسمرة كان مسموحاً لهم ان يركعوا ويصلوا ويعلّموا في كل مكان ولكن الضحايا فان السامريين كانوا يقدمونها في جبل غرزيم واليهود في هيكل سليمان فقط . اما السيد المخلص فاظهر لها الامور المزمعة مبيناً انهُ مبطل لذبائح اليهود وذبائح السمرة معاً قائلاً « انها تأتي ساعةٌ تسجدون فيها للآب لا في هذا الجبل ولا في اورشليم . . . وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب انما يُريد مثل هؤلاء الساجدين لهُ لان الله روحٌ والذين يسجدون لهُ فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » (٢ . ويريد بالساجدين بالحق الامم التي انقادت لبشارتـهِ فحصلت معرفة الحق واخذت تقدم للآب جسد ابنه الذي يتقدس بروح القدس وبقوة الكلمة في كلّ مكان

ويُبرهَن ايضاً على تقدمة جسد الربّ من المحرقة الدائمة فان الله امر كهنة الناموس ان يقرّبوا لهُ على المذبح خروفين كل يوم واحداً في الغداة والآخر في العشي وعاهدهم أن يجعل هذه التقدمة ثابتةً في اجيالهم . لكن ثباتها كان في مدة جيل الناموس فقط فلما تجسد الربّ وصُلب وبطل الناموس بطلت ايضاً المحرقة الدائمة مع جميع الذبائح في كل العالم . الّا ان الكتب الموحاة من الله تعالى على لسان انبيائه تخبرنا ان المحرقة الدائمة لن تزال مستمرة الى ايام الدجال كما قال دانيال النبي مخبراً

١) يوحنا ٤ : ٩ ٢) يوحنا ٤ : ٢١

عن مصير الكائنات في آخر الازمان « خرج من واحد منها قرن صغير ثم تعاظم جداً نحو الجنوب والشرق ونحو فخر الاراضي · وتعاظم حتى على جند السماء وأهبط الى الارض بعض الجند والكواكب وداسها · وتعاظم حتى على رئيس الجند وبامره نُزعت المحرقة الدائمة وهُدم موضع مقدسه · وجُعل جند على المحرقة الدائمة بسبب المعصية فطرح الحق على الارض وفعل ونجح (١

ذهب بعض المفسرين ان هذا القرن الصغير يراد به انطيوخوس الملك · وقال آخرون انه المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الازمان فيظفر بالامم وشعوب الارض ولاجل كثرة خطايا الناس يدمّر الكنائس ويبطل المحرقة الدائمة التي هي تقدمة القداس · ومن اجل هذا اخبر دانيال الرجل الشهي قائلًا « ومن وقت ازالة المحرقة الدائمة واقامة رجاسة الخراب الف ومئتان وتسعون يوماً » (٢ · يريد بذلك ان الدجال يملك بعد ابطال ذبيحة القربان ثلاث سنوات وسبعة اشهر فيقوم لمناصبته اخنوخ البارّ وايليّا التشبي ويناقضانه بتعليمهما مدة ثلاث سنين ونصف سنة فيقتلهما كقول يوحنا « وسأُقيم شاهديَّ فيتنبآنِ الفًا ومئتين وستين يوماً · · · وحين يُتمّان شهادتهما يحاربهما الوحش الصاعد من الهاوية ويغلبهما ويقتلهما وبعد قتلهما يُقتل هو ايضاً » (٣ · ومن هلاكه الى مجيء الديّان وزوال العالم خمسة واربعون يوماً

وتسمى تقدمة القداس دائمة لانها قامت مقام المحرقة الدائمة في الناموس فتستمر الى نهاية الدهر وفقًا لوعده الصادق « وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (٤ · وقال الرسول « فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الربّ الى ان يأتي (٥

---

١) دانيال ٨ : ٩
٢) دانيال ١٢ : ١١
٣) رؤيا ١١ : ٣
٤) متى ٢٨ : ٢٠
٥) ١ كورنتس ١١ : ٢٦

ومن اجل هـذا رسمت البيعة ان نقول كل يوم في حسَّاية القداس

ܐܫܪܐ ܒܥܕܬܟ ܫܠܡܐ ܘܚܘܒܐ ܘܐܡܝܢܘܬܐ

ܗܘܝ ܠܗ̇ ܫܘܪܐ ܘܢܛܪ ܠܬܪ̈ܥܝܗ̇ ܒܡܕܒܪܢܘܬܐ

اي أحِلَّ يا ربَ في وسط بيعتك السلام والمحبة والدوام وكن لها سورًا واحفظ ابوابها بعنايتك الخاصة. فنطلب اولًا السلام ثم المحبة ثم الدوام اذ انه في بداءة النافور يعطى السلام اولًا لكل الشعب ثم يمنح الكاهن البركة قائلًا «فلتكن محبة الله الآب معنا ومعكم يا اخوة الى الأبد». وحينئذٍ يقدّس الدوام الذي هو جسد الربّ ودمه الكريم. واخيرًا نلتمس ان يكون لها سورًا ويصون ابوابها بعنايته كما سبق فوعدنا قائلًا: «على هـذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» (١

ومن اجل هذا يسمي الرسول تقدمة القداس عهدًا ابديًا اذ يقول «واله السلام الذي اعاد من بين الاموات راعي الخراف العظيم بدم العهد الابدي ربنا يسوع المسيح يكملكم في كل عمل صالح» (٢. فينتج مما مرَّ ان تقدمة القرابين ودوام الذبيحة قد فرغا في العتيقة وانتقلا الى تقدمة جسد الربّ الذي صار يُقدم لله في القداس من مشارق الشمس الى مغاربها ولا يزال كذلك ثابتًا الى نهاية الدهر

الفصل السابع

في البرهان على تقدمة القداس من كهنوت المسيح الى الابد

لما كان ارميا النبي محبوسًا في دار السجن اوحى لهُ الله تعالى مرتين عن تجديد امور القدس وشفاء الشعب من ضربة الكلدانيين ومسامحتهم من الذنوب فعاهدهم

---

١) متى ١٦ : ١٨ ٢) عبرانيين ١٣ : ٢٠

قائلًا « هكذا قال الرب لا ينقطع لداود رجل يجلس على عرش آل اسرائيل. ولا ينقطع للكهنة اللاويين عن وجهي رجل يصعد محرقةً ويقتّر تقدمةً ويذبح ذبيحةً كل الأيَّام »(١. ولاجل ان يتيقّنوا هذه الامور ويعتقدوا صحتها اضاف الى ما مرّ قوله: « هكذا قال الربّ ان امكن ان تنقضوا عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون الليل ولا النهار في اوانهما. يمكن ايضًا ان يُنقض عهدي مع داود عبدي حتى لا يكون لهُ ابن مالك على عرشه ومع اللاويين الكهنة خدّامي» (٢. والحال ان هذه الامور باسرها قد بطلت منذ الف وستمائة سنة ولم يبقَ لهم لا ملك ولا كاهن ولا ذبيحة. فاذًا يلزم القول مع الآباء القديسين اركان البيعة انها قد كملت في تجسُّد ابن الله كقول جبرائيل رئيس الملائكة في البشارة « وهذا سيكونْ عظيمًا وابن العليّ يدعى وسيعطيه الربّ الاله عرش داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء» (٣. وهذا الامر عينه قد اوحاه الله لاشعيا النبي في آخر نبوءته فقال « قد حان ان احشر جميع الامم والالسنة فيأْتون ويرون مجدي . . . . ومنهم ايضًا اتخذ كهنة ولاويين » (٤

فهل هولاءِ الكهنة واللاويون الذين يصطفيهم الرب لخدمته عندما يأْتي بالجسد ويدعو الامم الغريبة لترفع لهُ البخور والقرابين الّا كهنة العهد الجديد. فان كهنوت المسيح وقربانه يثبت الى الابد وقد اظهرهُ الله معلنًا لشعب اسرائيل على لسان داود النبي قائلًا « قال الرب لسيدي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئًا لقدميك. عصا عزتك يرسلها الربّ من صهيون . . . اقسم الرب ولم يندم ان أَنت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق (٥. والحال ان عامة علماء اليهود وعلماء البيعة المقدسة يقولون تبعًا لبولس الرسول ان المراد بهذا الكلام يسوع المسيح الذي هو رب داود

١) ارميا ٣٣ : ١٧ ٢) ارميا ٣٣ : ٢٠

٣) لوقا ١ : ٣٢ ٤) اشعيا ٦٦ : ١٨

٥) مزمور ١٠٩ : ١

وانه. وهو ابن الله الآب الجالس عن يمينه والمساوي لهُ في الجوهر والكرامة

اما قوله « اقسم الرب ان انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » . فهو يثبت ان المسيح لما قدم نفسه على الصليب أبطل كهنوت لاوي واقام كهنوت ملكيصادق . فاذاً كما ان ملكيصادق كان يقدم لله الخبز والخمر بحسب ما جاء مدوّناً في سفر التكوين « وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزاً وخمراً لانهُ كان كاهناً لله العلي (١ . هكذا يجب ان نقرّ بان تقدمة كهنوت المسيح يكون خبزاً وخمراً . ولهذا سُرّ المخلص بان يُذبح على الصليب برضاهُ حتى يصير لنا برًّا وخلاصاً . فكهنوت لاوي كان ينتقل من واحد الى آخر بما ان الله ما حلف ان يكون دائماً ولا ان يُخوّل حياة الابد . وعلى هذا كان الواحد يخلف فيه الآخر من غير ان تبطل الخطية . اما السيد المسيح فهو حي الى الابد فقد قال لهُ الآب « اجلس عن يميني » ليعطيه عصا العزّة ويذلّل اعداءه حتى يصيروا موطئاً تحت قدميه . فمن اجل هذا أُقسم لهُ انه هو الكاهن الى الابد فمات مرة واحدةً ليميت الخطية . « وبتقدمة واحدة جعل المقدّسين كاملين الى الابد » (٢ . وقال بولس الرسول في موضع آخر انه « ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل الاقداس مرة واحدة فوجد فداءً ابديًّا » (٣ وقال ايضاً « فحيث تكون مغفرة الخطايا فلا تقدمة بعدُ عن الخطية » (٤ ومن ثم فان السيد المسيح لهُ المجد أمر كهنته بتقدمة جسده ودمه في اشباه الخبز والخمر من غير سفك دم لاجل ان يكون كهنوته ثابتاً كما أقسم الآب قائلًا « انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق (٥ . وسبب ذلك هو ان تقدمة جسد الرب على الصليب كانت كفوءًا لتمحو جميع خطايا البشر . ولكن لكي تكون القوة فاعلة في كل واحد منا أمر الرب باجراء سرّ العماد والتوبة

---

١) التكوين ١٤ : ١٨

٢) عبرانيين ١٠ : ١٤

٣) عبرانيين ٩ : ١٢

٤) عبرانيين ١٠ : ١٨

٥) عبرانيين ٧ : ١٧

والقربان وغيرها لكي بواسطة اكمالها تبطل الخطية فنظفر بالحياة الابدية واوعز الى بيعته والكهنة الذين يخلفونه ان يصنعوا ذلك الى حين مجيئه بصفة الوكالة لا بطريق التسلسل لانـــه هو الراس دائماً وعلى كل حال في جميع تقادمهم

فهذا القربان نقدّمهُ كل يوم عن ابناء الايمان في القداس لمغفرة الخطايا كقول البيعة في رتبة تقديس البيعة بصوت ܣܒܒܐ « ان ملكيصادق الحبر العظيم مثّل الكنيسة في قربانه . لانهُ كان يقدّم خبزاً وخمراً كما أمرهُ الله . سرّ جسد ابن الملك ودمه الذي تقرّبه البيعة عن بنيها » وفي هذا المعنى يفسر كل من غريغوريوس وقبريانوس واوسابيوس وغيرهم من العلماء قول الله لعالي الكاهن لما خالف اولاده وصية الرب « ألم اتجلَّ لبيت ابيك وهو بمصر في بيت فرعون وقد اخترتـــه من جميع اسباط اسرائيل كاهناً لي ليرقى الى مذبحي ويُقتّر الاطياب ويلبس افوداً امامي » (١ . وبعد ان وصف ازدراءهم بتقادم الرب وذبائحه التي أمر بها قـــال « لذلك يقول الرب اله اسرائيل ان بيتك وبيت ابيك يسيرون امامي الى الابد. اما الآن فيقول الرب حاشا لي ان الذين يكرمونني إيّاهم أكرم والذين يستهينون بي يهانون . انها تأتي ساعةٌ اقطع فيها ذراعك وذراع بيت ابيك ولا يكون في بيت ابيك شيخ . وانا اقيم لي كاهناً اميناً يعمل على وفق ما في قلبي ونفسي وأبني لهُ بيتاً اميناً فيسير امام مسيحي كل الايام » (٢ . يُشير بقطع ذراع عالي الكاهن وذراع بيت ابيهِ الذي اصطفاه بمصر الى تبطيل كهنوته ورفضه كما رفض المقدس والشعب . واما الكاهن الامين الذي يعمل على وفق ما في قلبه ونفسه ويسير امام مسيحه كل الايام فيريد بهِ كهنوت العهد الجديد الذي يقدم لهُ جسد ودم ابنه الذي سُرَّ بهِ . لانه مثلما خلف صموئيل عالي الكاهن هكذا كهنوت المسيح خلف كهنوت لاوي كل الايام . واما البيت الذي ابتنى فهو البيعة المقدسة التي قال فيها « الحكمة بنت

---

١) ١ ملوك : ٢٧٢ ٢) ١ ملوك ٢ : ٣٠

بيتها ونحتت اعمدتها السبعة . ذبحت ذبائحها ومزجت خمرها وصفّفت مائدتهـا . أرسلت جواريها تنادي على متون مشارف المدينة . من هو غِرٌ فليمل الى هنا . وتقول لكل فاقد اللبّ . هلمّوا كلوا من خبزي واشربوا من خمري التي مزجت » (١ . يريد بالحكمة حكمة الآب . وبالبيت البيعة . وبالاعمدة العلماء . وبتصفيف المـائدة نصب المذبح . وبالخبز والخمر جسد الرب ودمهُ الكريم اللذين يُقَدَّمان في القداس على رتبة ملكيصادق

ولمـا تنبأ داود المعظم عن تجسد المسيح وما يُرزق البشر بواسطته من الامان والعدل والخلاص قال انه يدوم « ما دامت الشمس والقمر الى جيل الاجيال . . . ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض . . . ويسجد لهُ جميع الملوك وتتعبد لهُ كل الامم » الى ان يقول « يكون للبرّ توافر في الارض . غلّته في رؤوس الجبال تتموَّج كلبنان ويزهر اهل المدن مثل عشب الارض . يكون اسمه الى الابد . ما دامت الشمس . ينمو اسمه ويتبارك فيه جميع قبائل الارض وتغبطه كل الامم » (٢ . فاراد بقوله « يكون للـبرّ توافر في الارض غلته في رؤوس الجبال تتموَّج كلبنان » ان يخبر عن تقديس جسده ودمه تحت اشباه الخبز والخمر . وانه يرتفع على رؤوس الكهنة كارتفاع الارز على جبل لبنان ويتوافر تقديسه على الارض كتوافر الحنطة

الفصل الثامن

في البرهان على ذبيحة القداس من ذبائح الناموس

ان جميع قرابين بني البشر وذبائحهم لما كانت مركبة من مادةٍ ضعيفة لا ثبات لها في الحياة ولا فرار من الفساد لم يكن ممكناً ان تكمّل الذين يقدمونها فتُظفرهم بالحياة الدائمة وتُريحهم من تبعات الخطية . حتى ان موسى بنفسه الذي ائتمنه الله

---

١) امثال ٩ : ١   ٢) مزمور ٧١

على كل بيتـه واوحى لهُ من الشرائع والنواميس ما لم يوحِ لغـيره لم يستطع ان يحوي الكمال فتمنع عن قبول درجة الكهنوت وتقريب الذبائح عالماً انها لا تزيـل الخطاء عمن يقرّبها . ولكن الله تعال كان يُسرّ بتقديمها لانها كانت رمزاً لتقريب المسيح نفسـهُ . فانّ الله تعالى وتبارك منـذ برأ الانسان الاول كشف لهُ سر تجسده . وانه سوف يفكه وذريّته من الاسر بالآمه وموته . ومن اجل هـذه الغاية تقدّمت جميع القرابين التي رضي بها الله . كما اوضح ذلك بولس الرسول في رسالتهِ للعبرانيين . وحفظاً لهذا أمر ابرهيم ونسله باقامة سنّة الختان واوعز الى موسى ان يصنع المقدس وآلات الخدمة على المثال الذي اراه في الجبل . وكان جميع الكهنة يخدمون تلك الاشباه . وبالايمـان والرجاء بالسيد المسيح كانوا يتقدسون هم والشعب الذين يقدمون القرابين من غير ان ينالوا الكمال الى ان لبس الرب جسد بشريتنا كقولهِ على لسـان داود النبي « ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ لكنك البستني جسـداً . ولم ترضَ بالمحرقات ولا بذبائح الخطية حينئذٍ قلت لي هاءنذا آتٍ »(١ . فلما ظهر في الجسد أخضع جسده للناموس وقبـل الختان وجرى بمقتضى الشرائع التي أُعطيت لابرهيم وذريته لئلا يبين غريباً وعمل بكمل فرائض الناموس وقبل ان تغرب شمس حياتـه اكل خروف الفصح الذي كان رمزاً من جميع الوجوه الى تقدمة جسده . ولهذا فانه لما أن اكله « اخذ خبزاً وبارك وكسر واعطى تلاميذه وقال خذوا كلوا هـذا هو جسدي . واخذ الكاس وشكر واعطاهم وقال اشربوا من هذا كلكـم لان هـذا هو دمي للعهد الجديد الذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (٢ . ثم امرهم ان يقتدوا بمثاله ويفعلوا مثل صنيعه الى حين مجيئه الثاني لكي يستمر عهد المغفرة والحياة الدائمة الى نهاية الدهور كما اوضحت ذلك البيعة المقدسة بالتطويل في صلوات خميس الاسرار ولاسيما في الحساية اليعقوبية التي تتلى في تقدمة القداس :

---

١) عبرانيين ١٠ : ٥ ٢) متى ٢٦ : ٢٦

ܗܢܘ ܪܐܙܐ ܕܐܬܪܓܪܓܘ ܗܘܘ ܢܒܝܐ ܘܟܐܢܐ ܀ ܫܪܐ ܒܗܢܐ
ܥܕܬܐ ܝܗܒ ܚܘܣܝܐ ܕܥܡ̈ܡܐ ܦܪ̈ܝܩܐ ܀ ܡܘܫܐ ܘܐܗܪܘܢ
ܗܢܘ ܕܗܘܐ ܒܪܐܙܐ ܘܡܫܡܫܢܘ ܡܨܝܪܝܢ ܀ ܘܒܕܒܚ̈ܝܗܘܢ ܗܢܘ
ܡܬܚܙܝܢ ܐܪ̈ܙܐ ܕܡܪܗܘܢ ܀ ܢܘܚ ܘܐܒܪܗܡ ܒܗ
ܡܠܟܝܙܕܩ ܐܦ ܫܝܬ ܘܐܢܘܫ . ܗܢܘ ܠܗ ܪܐܙܐ ܕܦܓܪܗ
ܘܕܡܗ ܕܒܪ ܐܠܗܐ . ܗܟܢ ܗܘܐ ܪܐܙܐ ܘܐܬܥܒܪ ܗܘܐ ܡܢ
ܩܕ̈ܡܝܐ . ܘܐܬܐ ܠܘܬܢ ܚܢܢ ܚܛ̈ܝܐ ܕܠܐ ܫܘܝܢ . ܚܢܢ
ܡܣܟ̈ܢܐ ܡܦܠܓܝܢ ܠܗ ܥܠ ܦܬܘܪܐ . ܘܬܡܝܗ ܪܐܙܐ ܘܠܐ
ܡܬܬܕܥ ܕܟܣܐ ܡܢܢ (١

واعلم ان تقادم الاقدمين كانت نوعين . فمنها ما كان جامدًا ومنهـا ما كان سائلًا . والجامد بعضه كان دمويًا كالبهائم والطيور التي تقرب لله بسفك الدم . ومن اجل هذا سميت ضحايا وذبائح من الذبح . والبعض الآخر غير دمويّ كالخبز والسنبل والسميذ والبخور والملح والعنب وسائر الفاكهة . وهكذا السائل ايضًا بعضه دموي كالدم واللبن . والبعض الآخر غير دموي كالخمر والزيت والماء وامثالها . فبدلًا من هذه التقادم جميعها اعطانا ابن الله جسده ودمه الكريمـين فالاول بدل القرابين الجامدة والثاني بدل من السائلة . وكان أن الرب قرَّب جسده من اجلنا يوم الجمعة المقدسة

١) الترجمة : ان هذا السر الذي تاقت اليهِ نفوس الانبياء والابرار قد حلّ في البيعة لمغفرة خطايا الشعوب المتخلصة وقد مثّله موسى وهارون وخدماهُ وصوّرا جليًّا بذبائحها اسرار ربها . ونوح وابرهيم وملكيصادق وانوش صوّروا لنا سرّ جسد ودم ابن الله ذلك السرّ الذي انتقل من الاولين وجاءنا نحن الخطاة غير المستحقين فنحن الحقيرين نوزعه على المائدة . انهُ لسرّ عجيب لا نستطيع ان ندركه لانهُ خفي عنا

في موضعين في العلية الصهيونية وعلى جبـل الجلجلة · فكانت التقدمة الاولى غير دموية واما الثانية فدموية · وبهما اكمل الرب جميع قرابين القدماء كقول البيعة في صبـاح جمعة الفصح بصوت ܩܘܩܠܝܐ

ܒܥܪܘܒܬܐ ܫܠܡܘ ܕܒ̈ܚܐ ܘܢܘ̈ܩܝܐ · ܘܥܒܪ ܐܡܪܐ ܕܢܟܣ ܗܘܐ ܡܘܫܐ · ܘܐܡܪܐ ܕܐܙܕܩܦ ܥܠ ܨܠܝܒܐ ܗܐ ܣܝܡ ܥܠ ܡܕܒܚܐ ܘܛܥܝܢ ܠܗ ܥܡ̈ܡܐ ܘܩܥܝܢ ܠܟ ܫܘܒܚܐ ܡܪܝܐ (١

ومثل ذلك قال البار لاون في ميمره الثامن على الام المسيح « فالان اذًا وقد بطلت اصناف الذبائح الجسدية صارت تقدمة جسد الرب وحدهـا مكملة لجميع الذبائح المذكورة » · وقال القديس اوغسطين في الفصل العشرين من الكتاب السابع عشر في مدينة الله « ان التقدمـة التي يقربها الكاهن في العهد الجديد هي جسد الرب ودمه · لان هذه الذبيحة نسخت جميع الضحـايا التي كانت تقرّب في العهد القديم » · وهكذا ايضًا يقول سائر الآباء لان القرابين والنضوح غير الدموية كالخبز والسميذ والخمر والماء كانت جميعها رمزًا الى تقدمة جسد الرب في القربان · قـال السروجي عن خبز الوجوه ܒܠܚܡܐ ܕܦܐܬܐ ܕܩܕܡ ܐܩܦܐ ܛܘܦܣܗ ܗܘܐ · ܗܘܐ ܠܚܡܐ ܕܐܬܒܝܬ ܒܦܘܪܫܢܐ ܗܘܐ

وجاء ايضًا في ستّار تقديس البيعة ان ملكيصادق الحبر الطاهر قدم خبزًا وخمرًا · وكان ذلك رمزًا الى سرّ البيعة · ولما كانت الذبائح الدموية تتم بسفـك الدم مع

(١ الترجمة : في يوم الجمعة بطلت الذبائح واراقة الدماء وجاز الحمل الذي ذبحه موسى والحمل الذي رفع على الصليب هو الآن موضوع على المذبح تحمله الشعوب هاتفةً لك المجد يا ربّ

بعض خدم تتعلق بالذبح كانت مثالاً لتضحية جسد الرب وهرق دمه على الصليب · وتلك الذبائح بنفسها لما كانت تُقدَّم في القبّة امام الشعب المؤمن وتتقدَّس بوضع ايدي الكهنة ثم توزَّع ليأكلها الكهنة والشعب معاً اضحت بذلك اشارة الى جسد المسيح الذي نقدّمهُ على المذابح كل يوم ونوزّعهُ على ابناء الايمان · وهكذا يقال عن خروف الفصح فان الرب كان يأمر بذبحه واهراق دمه وان لا يكسر لهُ عضو ولا يؤخر الى ثاني يوم · وقد أشار بجميع هذه الرسوم وامثالها الى رفع جسد المخلص على الصليب وسفك دمه وانزاله عن الخشبة في يوم صلبه من غير ان تكسر ساقاه · وقد رتب ايضاً اشارات أُخرى رمز بها الى تقدمة جسده فأمر اولاً ان يذبح الخروف في مساء اليوم الرابع عشر من ظهور الهلال وفي مثل ذلك اليوم قدَّس الرب جسده بعد العشاء · ثانياً جعل الفصح دليلاً على عبور الرب ونجاة الشعب من عبودية مصر· والمخلص بتقدمة جسده انتقل من هذا العالم واستفكنا من عبودية الشيطان · ثالثاً كان الشعب يذبحون الفصح و ياكلونه واوساطهم مشدودة وخفافهم في ارجلهم كانهم متحفزون للسفر · وكذلك نحن نقدس جسد الرب لنتناوله زاداً الى ارض الميعاد السماوية · رابعاً لم يكن يأكل الفصح الا الاطهار اهل الختان في البيت · وكذا القربان الالهي لا يشترك فيهِ الا الاطهار المولودون من جرن العماد والخالصون من الخطية · ولا يكون تناوله الا في الكنيسة التي هي بيت الله · وكما ان الفصح كان مكمّلاً لما تقدَّم من القرابين هكذا جميع الضحايا والتقادم التي وجدت من عهد هابيل الى انتشار البشارة كملت جميعاً بسرّ القداس الطاهر · وبعناية من الله تعالى حدث عند تألّم الرب ان عظيم الاحبار مزَّق ثيابه وانشق حجاب الهيكل من اعلى الى اسفل لكي نفهم ان تقدمة جسد الرب ابطلت كهنوت هارون · وان روح القدس الذي كان يحل على ضحايا الناموس خرج من الهيكل واستقرَّ على جسد الرب صاحب الكهنوت الدائم على رتبة ملكيصادق

الفصل التاسع

في البرهان على القداس من تقليدات البيعة

بعد ان أتينا بالبراهين على تقدمة القداس من الشريعتين الجديدة والعتيقة نأتي بالادلة التي تثبتها من تقليدات البيعة التي بناها الرب على الصخرة البطرسية وسأل من اجلها ان لا ينقص ايمانها ولا تقوى عليها ابواب الجحيم . ولذلك يدعوها الرسول «عمود الحق وقاعدته» (١ . ومن ثم كتب الى اهل تسالونيكي يوصيهم قائلاً «إثبتوا اذن يا اخوتي وتمسكوا بالتقاليد التي تعلمتموها اما بكلامنا واما برسالتنا» (٢ . وحذّر اهل غلاطية ان لا ينقادوا لغير البشارة التي بشرهم بها فقال «ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السما بخلاف ما بشرناكم بهِ فليكن مُبسلاً» (٣ . وبيّن للعبرانيين ان كهنوت المسيح يدوم الى الابد على رتبة ملكيصادق واوضح لاهل كورنتس انهُ سلّم اليهم تقدمة جسد المسيح بحسب ما تسلّم من الرب بنفسه . فمن اجل هذا يستحيل ان تكون تسليمات البيعة المنتشرة في جميع انحاء العالم كاذبةً بل هي في اعلى درجة من الصدق لاننا بواسطتها نتحقّق ان كتاب الانجيل وسائر الاسفار المقدسة صادقة وممنوحة من عند الله تعالى ومنها نتحقّق صحة الاسرار الالهية ونتيقن ان جسد الرب ودمه يحضران في ذبيحة القداس ويتقدّمان لله . على ان هذا السر ليس منحصرًا في مكان او اثنين ولكنه منبثٌ في جميع انحاء المسكونة كما جاء في صلاة مساء خميس الاسرار عن هذا السر العظيم

ܒܥܕܬܐ ܚܕܐ ܠܥܠܡܐ ܕܡܫܝܚܐ ܒܟܠܗ

ܡܬܩܪܒܐ ܗܘܐ ܩܘܪܒܢܐ ܒܐܬܪ̈ܘܬܐ ܦܢ̈ܝܢ ܟܠܗ̈ܝܢ

---

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٥ ٢) ٢ تسالونيكي ٢ : ١٤

٣) غلاطية ١ : ٨

ܡܦܠܓܝܢ ܠܗ. ܘܥܕܬܐ ܘܒ̈ܢܝܗ̇ ܢܣܒܝܢ ܠܗ ܘܚܣܝܢ
ܡܢܗ ܚܘܣܝܢ

اعني انهُ اعطى في العليـــة جسده للرسل ليفرّقوه في بيعتهِ المقدسة . وهوذا الكهنة يوزعونه اليوم في اربعة اقطار المسكونة والبيعة و بنوها يتناولونه ويتسامحون بهِ

ثانياً يتحقق ذلك من النوافير الموجودة في جميع الكنائس والمرتبة لهذا الامر . وفي شهادة القديس يوحنا مارون في نافوره غنىً عن غيرها قال « اني لا اقرب قدامك ثيرانًا مسمّنة . ولا ارش على قرون مذبحك دم الخرفان والعجول . ولا اضحّي عن خطايا شعبك دم الجدا والماعز . ولا اصنع لجماعتك رشوش التطهير برماد العجول . لكن ايها الابن المكرّم قدام ابيــك وقدامك مع روحك الحي القدوس تُقدَّم انت لذاتك على ايدينا فلذاتك من ايدينـــا انت اقبل . فحسنٌ لك يا رب انك تُقدَّم لان ذبحك كفوء لمسامحة الشعوب . ويجب لذاتك ان تقبل . لانــك مساوٍ لابيك في المجـد » . ثالثًا يُبرهن على هذا بشهادات الآباء ابواق الروح واسطوانة الايمان . فان اندراوس الرسول قال لرئيس اخائيا « اني كل يوم اقدم لله الخروف الذي لا عيب فيهِ . الذي ولو تقدس حقًا وتنـــاولهُ الشعب لا يزال حيًّا كاملاً » . ولنضرب الآن عما ذكرا اكليمنت وقــبريانوس وفم الذهب وغيرهم في مواعظهم وتفاسيرهم ونكتفي بايراد شهادة واحدة نقرأها في السوغيت صباح السبت الكبير وهي هذه

ܒܦܬܘܪܗ ܕܐܘܪܚܐ ܡܩܪܒ ܐܠܗܘܬܗ ܡܢ ܦܓܪܗ
ܘܕܡܗ. ܠܚܝܐ ܘܚܘܣܝܐ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܕܝܠܗ ܡܩܪܒ
ܕܐܝܬ ܡܫܝܚܐ. ܡܝ̈ܬܐ ܕܢܦܫܗ ܘܚܝ̈ܐ ܒܢܦܫܗ ܠܐܒ ܡܩܪܒ
ܡܩܪܒ ܠܟܘܪܝܣܛܝܢܘ. ܕܗܘܐ ܦܓܪܐ ܒܪ ܐܠܗܐ ܡܩܪܒ

ܕܢܚܒܘܫ ܠܡܚ̈ܘܬܢ ܂ ܗܡܟܝܠ ܕܚܝ̈ܐ ܐܝܬܘܗܝ ܦܓܪܟ ܠܡܢ
ܕܐܟܠ ܠܗ ܒܗܝܡܢܘܬܐ ܂ ܣܡܐ ܐܢܬ ܕܚܝ̈ܐ ܦܬܚ ܂
ܒܪܘܚܐ ܢܦܫܢ ܕܐܝܬܝܟ ܚܝܐ ܂ ܦܬܚ ܠܢ ܬܪܥܟ ܒܪܗ
ܕܐܠܗܐ ܘܢܫܟܚ ܚܝ̈ܐ ܥܠ ܦܬܘܪܟ(١

رابعاً يثبت ذلك من اقوال المجامع المسكونية . اولاً قال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعون في نيقية «يجب ان نعتقد ان في المائدة المقدسة حمل الله الذي حمل خطايا العالم مذبوحاً من الكهنة ذبيحة غير دموية» وقال الاباء الذين اجتمعوا في افسس وكان عددهم مائتي اسقف في رسالتهم الى نسطور: «تُذبح ذبيحة غير دموية في سرّ جسد الرب ودمه» ويقول البار كيرلس «الا نقدّم ذبيحة مقدسة محيية وغير دموية» وهكذا الاباء المائة والخمسون الذين اجتمعوا في القسطنطينية أمروا طائفة الارمن ان تمزج الخمر بماء اذ تُقدَّم الذبيحة المقدسة غير الدموية . وكذلك الآباء الاربعمائة والسبعون الذين التأموا في لاتران بمدينة رومية حكموا بان جسد الرب ودمه يحضران حقيقةً في سرّ القداس تحت اعراض الخبز والخمر وان جوهري الخبز والخمر يستحيلان بالقدرة الالهية الى جسد الرب ودمه . والمجمع الذي انعقد في فلورنسة بشأن الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والغربية استوفى الشرح عن سرّ القداس ومادته وصورته وافعاله . وكذلك المجمع الذي التأم في ترنت

(١ الترجمة : ايها الجياع هلموا تلذّذوا بهذه المائدة الروحية . فليدنُ كل انسان من الخبز والخمر جسد الرب ودمه ويحيَ بهما . ايها الاموات الذين عتُقوا وبلُوا في الجحيم تعالوا فتناولوا دواء لامراضكم . فليكن جسدك يا ابن الله دواء نضمد بهِ جراحنا . جسدك اذًا هو عربون الحياة لمن يأكله بايمان . أنت هو الدواء الحي فافتح لنا بابك يا ابن الله فنجد الحياة على مائدتك

أبسل ابسالًا قطعيًا كل من يقول ان خدمة القداس لا تتقدم فيها لله ذبيحة حقة . ولولا التطويل وخوف الملل لكنا نورد كثيرًا من الشهادات التي دُوّنت عن سرّ القداس في المجامع الكبار والصغار وفي رُتَب البيعة ومواعظ معلميها . ولكننا نُرجي الكلام فيها الى المنارة الثامنة وما يليها . على ان في ما ذكرناه كفاية للقارئ يفهم منها ان جوهر الخبز في سرّ القداس الطاهر يتحوَّل الى جسد الرب وجوهر الخمر الى دمهِ المحيي . ومن ثمَّ ننتقل الى ايراد الادلة المثبتة ان جسد الرب ودمه يُقدّمان لمغفرة الخطايا

الفصل العاشر

في ان جسد الرب المقدم في القداس هو سرّ وذبيحة لمغفرة الخطايا

مما اوضحنا في ما تقدَّم يتبيّن ان جسد الرب يُقدَّم على ايدي الكهنة لمغفرة الخطايا . كقول الرب « هذا هو جسدي الذي يُبذَل لاجلكم . . . وهذه هي الكاس العهد الجديد بدمي الذي يسفك من اجلكم . وعن كثيرين لمغفرة الخطايا » (١ . وحيث ان جسد الرب يفيد الذي يتناولهُ . ويفيد ايضًا الذي يقدَّم من اجلهِ دعاه الآباء الاطهار سرًّا وذبيحةً . فالسرّ يُعرَّف بانهُ « شيء محسوس مقدّس يرسمهُ الله ليكون دليلًا على التقديس وعلى النعمة التي يعطاها الانسان » . وهذا التعريف يصدق على جميع اسرار الشريعة العتيقة كالختان والحبريَّة وخروف الفصح واشباهها . وعلى اسرار الشريعة الحديثة كالعماد والكهنوت والاعتراف والزواج وامثالها . فان لجميعها شيئًا محسوسًا يقع تحت البصر ومنهُ نستدل على التقديس الذي لا يُرى . فمن الغسل الخارجي نستدل على النعمة التي تطهّر الروح من الخطية في العماد . ومن وضع اليد على المرسوم نستدل على حلول الروح وسلطان الكهنوت

اما اسرار الجديدة فانهـا افضل واعظم درجةً من اسرار العتيقة . فان الاولى تمنح النعمة من ذاتها لمن يتناولها باستحقاق بخلاف اسرار الشريعة العتيقة فانها كانت

---

١) لوقا ٢٢ : ١٩

تمنح التقديس لا من ذاتها بل من ايمان الكاهن خادم الاسرار بتجسد السيد المسيح كما كتب الرسول قائلاً « وقد اخذ سمة الختان خاتمًا لبرّ الايمان » (١ . وفي رسالة اهل كورنتس قال ان « كلهم اكلوا طعامًا روحيًا واحدًا وكلهم شربوا شرابًا روحيًا واحدًا فانهم كانوا يشربون من الصخرة الروحية التي كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح » (٢

والذبيحة هي تقدمة شيء محسوس وثابت يُقدّس ويُبذَل على يد الكاهن ويقرّب لله اقرارًا بربوبيتهِ وضعف طبع البشر

فقولنا « تقدمة » يعمّ كل التقادم الصادقة منها والكاذبة ايضًا التي كانت تقدَّم للشياطين . واليها اشار الكتاب بقولهِ « من ذبح لآلهة الّا للرب وحده فليُبسل (٣ . ويقال « تقدمة شيء محسوس » لتتميز عن التعبد لله بالباطن وانكسار القلب على ما سلف وطلب الاتحاد معه بالروح وعمل الفضائل كقول داود « انما ذبائح الله روح منكسر » (٤ . ويقال « تقدمة شيء ثابت » لتتميز عن ذبيحة التسبيح والمجد وجميع ما نقاسيه لاجل الملكوت كقول الرب على لسان هوشع النبي « اني اردت رحمة لا ذبيحة » (٥ . وعلى لسان صموئيل « ان الطاعة خير من الذبيحة » (٦

ومن هذا يتبيَّن ان الذبيحة هي غير الرحمة وغير الطاعة اللتين يسمّيهما الكتاب المقدس ذبائح في مواضع أُخرى . وقولنا « يتقدس على يد الكاهن » او الخادم . لانهُ يُنتخب لخدمة الله بوضع يد الكاهن عليهِ فيطهُر من نجاسته وقولنا « يُبذَل » لان الحي يُذبح والنضح يهرق . وهذه الاحوال كلها ظهرت واضحةً في فصح الناموس الذي كان خروفًا محسوسًا ثابتًا امام الحاضرين يتقدَّس بوضع يد الكاهن على رأسه ويُذبح بحدّ السكين

١) رومية ٤ : ١١ ٢) كورنتس ١٠ : ٣

٣) خروج ٢٢ : ٢٠ ٤) مزمور ٥٠ : ١٩

٥) هوشع ٦ : ٦ ٦) ١ ملوك ١٥ : ٢٢

والمقصود في جميع الذبائح هو الاقرار بعظمة الباري وجلالته والاعتراف بضعف الطبع البشري وحقارته . اما نحر البهائم ففيهِ خُلف بين ان يكون مدحاً او ذماً ولكن اذا قُدِم لله تعالى الذي اوجد الحيوانات كان حسناً وجميلاً . ومما ذكرناه في تعريف السرّ والذبيحة يظهر ان الاثنين يتفقان بكون كليهما يدلان على شيء مقدس لكنهما يفترقان اولاً بان السرّ يفيد من يتناولهُ واما الذبيحة فانها تحصل لتمجيد الله وتقديسه . وعلى موجب ذلك يُقدَّم جسد الرب ودمه في شكلي الخبز والخمر ليكون امرهما محسوساً ثابتاً فيتوزَّعان كالاسرار لاهل الايمان ليستمدوا منهما النعمة ومغفرة الخطايا . ثانياً ان الذبيحة تدل على موت الربّ . والسرّ على حياة الانسان . وعلى موجب ذلك قال عن ذبيحة جسده « اصنعوا هذا لذكري » (١ . وقال عن سرّ جسده « من يأكل من هذا الخبز فانهُ يعيش الى الابد » (٢ . ثالثاً يفترق السرّ عن الذبيحة بالفعل . لان الذي يقدم الذبيحة يقدم معها نفسهُ وكل ما لهُ . ولاجل ذلك يبسط الكاهن يديهِ في خدمة القداس على شكل صليب فوق الاسرار ليقدم ذاتهُ بتقدمتها لله . واما فعل السرّ فهو الاتحاد معهُ بالطهارة والقداسة كقول الرسول « الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (٣ . رابعاً تفترق الذبيحة عن السرّ في ربح الفائدة . فان الذي يقدم الذبيحة يستطيع ان يكسب فائدتها لنفسهِ او لغيره كما يشاء ويريد . واما السرّ فلا يمنح نعمته الا الذي يتناولهُ فقط . وبمقتضى هذا قال الرب عن جسده بمنزلة كونهِ سرًّا « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ » (٤ . وقال عنهُ ايضاً بصفة كونهِ ذبيحةً انهُ « يُكسر عنكم وعن كثير » (٥ . اذاً جسد الرب في القداس الطاهر هو سرّ وهو ذبيحة معاً . لانهُ يعطى الناس تحت شكلي الخبز والخمر كما يعطى السرّ لكي يجتنوا منهُ النعمة

١) لوقا ٢٢ : ١٩
٢) يوحنا ٦ : ٥٩
٣) ١ كورنتس ١٠ : ١٦
٤) يوحنا ٦ : ٥٧
٥) لوقا ٢٢ : ١٩

ويتحدوا معهُ بالطهارة والقداسة . وبصفة كونهِ ذبيحةً نتذكر بهِ موت الرب على الصليب . وبتقدمتهِ لمجد الله ولمغفرة خطايا المؤمنين نقدّم ايضاً نفوسنا

وان قلت في اي جزء من اجزاء القداس يصير جسد الرب سرًّا وذبيحة فهاك الجواب : حينما يلفظ الكاهن الكلام الجوهري ويقول « هذا هو جسدي وهذا هو دمي » يستحيل جوهر الخبز الى جسد الرب وجوهر الخمر الى دمهِ . لان جسد الرب ودمه الكريمين يحضران حقيقةً تحت اعراض الخبز والخمر وهكذا يصير الجسد سرًّا فيمنح النعمة والغفران لكل من يتناولهُ بنية صافية . وعند ما يُقدّس الجسد في موضع والدم في موضع آخر تصير الذبيحة على مثل ما كان جسد الرب معلّقاً على الصليب ودمه مهرقاً على الارض لتمجيد الله ومغفرة خطايا البشر . ومن اجل هذا يُسمَّى بعد التقديس سرًّا وذبيحةً معاً كما يطلب الكاهن بعد التقديس قائلاً « يا ام سيدنا يسوع المسيح تضرعي لابنكِ الوحيد ان يقبل من يدي الحقيرتين هذه الذبيحة التي تقدمها حقارتي على هذا المذبح » . ويقول مار بطرس في نافوره الصغير ان الرب اوصى تلاميذه قائلاً : انكم كلما صنعتم هذه الاسرار تذكرون موتي وقيامتي الى حين مجيئي . فيجاوب الشعب قائلين لموتك يارب نحن ذاكرون

الفصل الحادي عشر

في فضل تقدمة القداس على غيرها

تكلمنا عن غاية القداس واساميه وماهيتهِ وتقدمتهِ . والآن نذكر الادلة المثبتة فضل هذه التقدمة بالنسبة الى ذبائح الاقدمين وتقدمة جسد الرب في العلية الصهيونية وعلى عود الصليب . فنقول ان تقدمة القداس بالقياس الى تقادم الاقدمين تختلف عنها اختلافاً عظيماً من اربعة اوجه . اولاً من جهة الذي يقدّمها فان كهنة العهد القديم كانوا قوماً ضعفاء يسرع اليهم الفناء . واما صاحب تقدمة القداس فهو كلمة الله المتجسد الذي لا انقضاء لكهنوتهِ . ثانياً من جهة الشيء المقدَّم . لان قرابين القدماء كانت جسدية زائلة كالجداء والعجول فلم تكن لها مقدرة على التطهير . واما ضحية

القداس فتحوي جسد الرب الذي فيهِ كمال اللاهوت وبموتهِ امات الخطية . ثالثاً من جهة نوعية التقدمة . لان الذبائح في الشريعة العتيقة كانت تتم بنحر السكين واما في الجديدة فتصير باستحالة جوهر الخبز الى جسد المخلص لا بصنعة الايادي بل باصبع الباري وقدرته . رابعاً تختلف من حيث النسبة . لان ذبائح القدماء كانت رموزاً الى مجيء المسيح والآمهِ في الزمن المزمع . واما ذبيحة القداس فتدل على المسيح في موتهِ والآمهِ في الازمنة السالفة . فمن هذه الامور وغيرها يتبيَّن فضل هذه التقدمة على جميع قرابين القدماء في عهدي الناموس والطبيعة ووجوه اختلافها عنها اختلافاً حقيقياً . وان قيست تقدمة القداس الى التي قدمها الرب في العلية لم نرَ فيها الَّا اختلافاً عرضياً . اولًا لان مادة الاثنتين واحدة وهي الخبز والخمر . ثانياً لان الصورة في الاثنتين واحدة ونفس الكلام الذي قدَّس بهِ الرب أَمرنا ان نقدّس بهِ نحن ايضاً . ثالثاً لان صاحب التقدمة واحد . والمخلص الذي قدَّس هناك بفمهِ هو ههنا كالرأس يقدِّس بوساطة الكاهن . رابعاً أَما من حيث الشيء المقدَّم ونوعية التقدمة فلا تختلف ايضاً لان المقدم جسد الرب ودمه تحت شكلي الخبز والخمر اللذين قُدّما في عليَّة صهيون ويُقدَّمان ايضاً في الكنائس . فاذاً لا فرق بين التقدمتين . بل همـا تقدمة واحدة . كقول يوحنا فم الذهب في تفسيره الرسالة الثانية الى تيموتاوس « ان هذه الضحية المقدسة كيفما كان استحقاق الكاهن هي بعينهـا نفس الضحية التي اعطاها السيد المسيح وليس في هذه شيء انقص من تلك » . ويثبت ذلك ايضاً من كلام الرب اذ أَمر بيعتـه قائلاً « هكذا تصنعون » اعني مثلما رأيتموني صنعت امامكم ينبغي ان تصنعوا انتم ايضاً

ولكن التقدمتين تختلفان في بعض امور عرضية اولًا من جهة المقدِّم . فهناك قدَّس الرب جسده بيديه . وههنا يقدسه بيد الكهنة . ثانياً من جهة المقدَّم . فهناك قُدّم جسد الرب مائتاً وههنا غير مائت . ثالثاً من جهة الاستحقاق . لان الربّ لما كان حيًّا بالجسد كان لهُ استحقـاق . والان اذ بلغ أَوج مجده لم يبقَ لهُ استحقاق .

ولكنهُ يضيف الى هذه التقدمة استحقاقه في العلية وعلى الصليب · رابعاً تلك التقدمة كانت تدل على موت الربّ في الزمان المزمع · وهذه تومئ اليهِ في الزمان الذي سلف · خامساً هذه التقدمة تدل على تلك الاولى · وليست بالعكس · اخيرًا تختلفان في الزمان والمكان والاعراض المادية وما ماثلها . الا ان هذا الفرق عرضي وليس من اصل الذبيحة

اما اذا قيست هذه التقدمة الى تقدمة جسد الرب على عود الصليب فقال آباء المجمع التريدنتيني ان الاثنتين تتفقان في ان الذي قُدِّم هاهنا والذي قدِّم هناك واحد والذي قدَّم نفسهُ على الصليب يقدّمها الان ايضاً على ايدي الكهنة · ولكنهما تفترقان في نوع التقدمة ولا يريدون بذلك ان هذه التقدمة تختلف عن تقدمة الصليب في ان الذي يُقدّم هاهنا حياً قُدّم هناك مائتًا · ولا ان هذه تدل على تلك لا بالعكس ولا لان استحقاق الاولى كان كفوءًا · واستحقاق هذه آتيًا من تلك · فان هذا الفرق كلّهُ عرضي كما تقدم القول · بل ان الفرق في ان تلك كانت دموية وفيها تألّم الرب ومات · وهذه هي غير دموية خالصة من الأَلم والموت · وهذا الفرق الذي بين التقدمتين هو خاص وليس عرضيًا · وذلك على مثال ضحية خروف الفصح التي كانت تختلف عن سائر الضحايا حقيقةً لا من جهة الكاهن ولا من جهة الغاية والخروف بل لان خروف الفصح كان يذبح ويُقدَّم بنوع مختلف عن بقية الضحايا · والتغيير الذي في نوعية تقدمة الصليب وتقدمة المذبح اعظم من الذي كان بين خروف الفصح وبين ضحايا الصباح والمساء

فمما سلف يتبين فضل وشرف تقدمة القداس لانها لا تختلف عن التي قدّمها الرب في العليّة الّا في مسائل عرضية لا يُعتدّ بها كما انها لا تفترق عن تقدمة جسد الربّ على الصليب الّا في نوعية التقدمة · بل تفضل بغير قياس جميع ذبائح القدماء اذ انهُ بنوعٍ لا يدرك ولا يوصف يتحوّل الخبز الى جسد الرب والخمر الى دمهِ ممّا يدل دلالة خاصة على حكمة الله وقدرته العلويّة · ويتبيّن فضل هذه التقدمة

الشريفة ايضاً من جهة الخادم اي الكاهن الذي اعطي سلطاناً ليقوم مقام الله تعالى ويتصرَّف في نعمتهِ . ومن جهة الغاية لانها لمجد الله وحمده . ومن جهة الدلائل لانها تدلّ على تجسد المخلّص وحياته وموته وقيامته . ومن جهة المادّة فانها نظيفة سهلة الوجود . ومن جهة الفعل اي مغفرة الخطايا والنجاة من العقاب الابدي . وكما ان السيد المسيح كان يتوسّل لاجلنا لما كان لابساً جسده في العالم ويقدّم لله الآب آلامه واستحقاقه . كذلك ايضاً لا يزال في تقدمة ضحية القداس يطلب لنا بواسطة الكاهن جميع الخيور الروحية والجسدية . وسنتكلم على ذلك بالتطويل ان شاء الله



الشرح الثاني

في هيئة القداس الطاهر ورتبته

بعد ان شرحنا غاية القداس الطاهر وماهيتـه وجب ان ننتقل الى اجزائهِ وهيئتهِ الخارجة في الكلام والافعال ونقسم ذلك الى سبعة فصول

الفصل الاول	في الاستناد الى تقليدات البيعة
الفصل الثاني	في من رتب خدمة القداس الطاهر
الفصل الثالث	في تأليف خدمة القداس واجزائها
الفصل الرابع	في غسل اليدين وشدّ الوسط واستقبال الشرق
الفصل الخامس	في القيام والسجود في الصلاة والقداس
الفصل السادس	في رفع اليدين وجمعهما وتكتيفهما . وفي قرع الصدر ورفع الراس ونكسه
الفصل السابع	في سائر حركات الكاهن وافعاله في خدمة القداس

الفصل الاول

في الاستناد الى تقليدات البيعة

زعم جماعة من اشياع البدع ان الله لما كان روحاً لايشاء ان نخدمهُ الّا بالروح وقال آخرون لايجب ان نخدم الله ونقدّسهُ الّا بالجسد . وما قصدوا بذلك الا ان يبطلوا ما رسمتهُ المجامع المقدسة ويهدموا اركان الرتب البيعية ليقوّضوا خدمة القدّاس مانحة الحياة فصدق فيهم مقـال يوئيل النبي عن الامة المقتدرة « انها جعلت الكرم خراباً والتين حطاماً فقشرتهُ باسنانها المشبهة اسنان الاسود ونبذتهُ فابيضت اغصانه » (١ . لكن الله جلّت حكمته لما كان قد خلقنا من روح وجسد وشاء ان تكون تقدمة عهده الجديد

١) يوئيل ١ : ٧

روحية وجسدية معاً أمرنا ان نخدمهُ بالروح والحق واعطى البيعة التي اشتراها بالثمن الكريم سلطان الحل والربط وعاهدها ان يُحلَّ فيها روح قدسهِ الى نهاية الدهر لكي يسلك اولادها برضاتهِ ما زالوا في قيد الحياة٠ ومن اجل هذا يجب لا ان نتمسك فقط بالامور التي اوحاها في الاسفار الالهية بل ايضاً يجب ان نتمسك بما سلمهُ للبيعة الجامعة وبالرتب الممدوحة التي تسلمناها من الآباء الاطهار كما يوصي الرسول قائلاً « نوصيكم ايها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح ان تجتنبوا كل من يسلك من الاخوة على خلاف الترتيب بغير مقتضى التقليد الذي تسلموه منا » (١٠ واوصى يوحنا الرسول ايضاً غايوس الحبيب بقولهِ « وانت تعلم ان شهادتنا حق٠ ان عندي اشياء كثيرة اكاتبك بها لكني لا احبّ ان اكتب اليك بالمداد والقلم ولي رجاء اني اراك عن قريب فاكلمكم مواجهة ليكون سروركم تاماً » (٢٠ وقال بولس الرسول ايضاً موصياً تيموتاوس في آخر رسالتهِ الاولى قائلاً « يا تيموتاوس احفظ الوديعة واعرض عن الكلام العالمي المتلبس بالبدع وعن مناقضات ما يُسمَّى بالعلم زوراً الذي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الايمان » (٣

فهذه الاقوال وما شاكلها تبيّن للكاهن كيف ينبغي ان يهرب من التعاليم الكاذبة وينكّب عن الاحاديث الباطلة التي ينطق بها العدو على السنة اشياع البدع ويحافظ على الوديعة التي استُودعها من الله تعالى ورسله الاطهار بواسطة الاسفار الالهية والتقليد٠ ومن اجل هذا أبسل آباء المجمع التريدنتيني في القانون الثالث عشر من الجلسة السابعة كل من احتقر رتب البيعة المقبولة او تجرأ على مخالفتها واستبدالها وكل من قال بان الخدام لا يخطئون في تركها٠ اما أمور القداس ونسابياته فان بولس الرسول في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس وبخهم على اهمالها وشهد ان قد كثر فيهم المرضى والسقام وماتوا بغتة لانهم تركوها٠ ولما لم يستطع

١) ٢ تسالونيكي ٣ : ٦ ٢) رسالتا يوحنا ٢ و٣ : ١٣
٣) تيموتاوس ٦ : ٢٠

اقناعهم بالكتابة وعدهم قائلاً « اما ما بقي فسأرتبهُ متى قدمت اليكم » (١٠ والحال ان هذا الامر الذي وعد ان يرتبهُ لهم لم يذكره في موضع آخر من كلامهِ فمن الضرورة اذاً ان يكون قد سلَّمهُ اليهم مشافهةً . وبعد ذلك اوصاهم بقراءة الكتب المقدسة وتعليم الشعب ثم قال لهم ܟܠ ܡܕܡ ܕܝܢ ܒܐܣܟܡܐ ܘܒܛܟܣܐ ܢܗܘܐ يريد بقولهِ ان كل شيء تفعلونهُ فليكن حسناً في الهيئة والرتبة . اعني بهيئة الجسد وترتيب الامور حتى اذا تأمل الحاضرون وقوفنا وسجودنا ونغمتنا وسكوتنا وخضوعنا وخشوعنا وتقديسنا وتبخيرنا وبسط ايدينا وانحناءنا وثباتنا وحركتنا يرفعون المجد والحمد لله . فان التلميذ يطلب التشبُّه بمعلمه والعبد بمولاه والشعب عند ما يرون الكاهن القائم امامهم يرفع نظره ويديه الى العلا يتعلمون من ذلك رفع القلب والعقل الى الله واذ يشاهدونه يصلّب يديه ويقرع صدره يتمثلونهُ في طلب الاتضاع والندامة وعند ما يسمعونه يطلب من اجل نفسه ومن اجلهم مغفرة الخطايا بحرارة يتغايرون في طلب التوبة والرحمة ومسامحة ذنوبهم . وهكذا قل في سائر الامور

ولم يكتفِ الرسول بان تكون الهيئة حسنة ولكنهُ امرهم ان تكون الرتبة حسنةً ايضاً اي من جهة ترتيب الرسائل والاناجيل والتسابيح والتهاليل والكرازات والتلحين والحسَّايات والافاشين حتى بنيان الكنائس ومذابحها ومراتب الحبرية وشمامستها وملابس القداس وخدمتهِ لكي تكون خدمة الله تعالى متممةً من جميع الوجوه ومكرمة . وقد اخبرنا الانجيل الطاهر ان السيد المخلص كان يصلّي طوراً قائماً وطوراً جاثياً على الارض وطوراً سرًّا وطوراً بصوت عالٍ ودموع فائضة . وحيناً كان يرفع يديه والحاظهُ الى السماء وآخر الى الجموع . فلماذا جبل بريقهِ طيناً ومسح بهِ عيني الاعمى ليبصر . ووضع اصبعهُ في أُذُني الاطرش ليسمع . واتخذ من ريقهِ وجعلهُ في فم الاخرس لينطق . ونفخ في وجوه تلاميذه ليقبلوا روح القدس . لماذا توسل

١) ١١ : ٣٥

بهذه الوسائل جميعها مع انهُ كان يستطيع بكلمة واحدة او بمجرَّد اشارة ان يفعل كل هذه الآيات كما هو مكتوب انهُ بكلمة خلق جميع المبروءات. ولما شاءَ ان يقيم اليعازر من القبر فلماذا تألم في نفسهِ وبكى ورفع عينيـهِ الى الآب وشكره ثم نادى الميت بصوت عالٍ ليخرج. ولما رام ان يقدّس جسده لاي سبب اختار المتقدمين في التلاميذ ليعدّوا لهُ الفصح وجعل لهم حامل جرة الماء اشارة واصطفى عليّة كبيرة مفروشة. لماذا أكل اولاً خروف الفصح ثم غسل اقدام التلاميذ ثم اخذ الخبز بيديه ثم نظر الى العلا وشكر. ثم باركهُ وكسرهُ وفرّقهُ عليهم. وبعد ان قام من بين الاموات كيف اتفق ان رافقهُ التلميذان السائران الى عماوس طول الطريق ولم يهتديا الى معرفتهِ لا من وجههِ ولا من كلامهِ. ولا من تفاسيره بل من كسر الخبز

لا شك انهُ اراد ان يفهمنا ان جميع هذه الامور تتضمن اسرارًا غامضة وان الهيئة الخارجة تلظّي في القلب نار الاشتياق الى الامور المحجوبة عن البصر. فقد كتب عن يعقوب انهُ اختطف بركة ابيهِ بلبس جلود الحملان وان الوان الجداء تغيَّرت في بطون امهاتها من تقشير القضبان. وهكذا جاءَ عن داود النبي ايضًا انهُ قهر الشيطان بالاناشيد وضرب الاوتار وتغلَّب على اخائيا الملك وجنوده بتغضبه وتبدّل الوانه. وكما ان العروس لا تشرق انوار بهجتها الَّا اذا لبست حلّتها. والملك لا تبين عزّته ويسطع بهاؤُهُ الا اذا تتوَّج باكليل المجد. والاشجار والمروج والطيور لا تبدو بمرأى بهيج الَّا اذا تحلّت بورقها واكتست بزهرها وريشها كذلك اسرار البيعة لا يتم حسنهـا وبهاؤُها الا بالاناشيد وحسن الهيئة الخارجة. قال الحكيم «بطنكِ صُبرة حنطـة يسيّجها السوسن» (١. فاشار بصبرة الحنطة الى جسد المسيح المظلّل باشباه الحنطة وسمّاه صُبرة لان الله اعطانا بهِ صبرة الخيرات كما هو مكتوب انهُ اعطانا معهُ كل شيءٍ. ووصف الصبرة انها مسيّجة بالسوسن ليشير الى طهارة الابرار وجمال الكنائس ووقار المذابح وترتيب الكهنة وحسن الالحان مع استيفاء الخدمة لمقتضيات الهيئة والرتبة.

---

١) اناشيد ٧ : ٢

فمن احتقر هذا السياج فقد بدَّل الحدود الابدية التي وضعها آباؤنا المتقدمون وسقط تحت قوانين المجامع المقدسة وحروم الكنيسة كقول الحكيم « من ينقض جداراً تلدغهُ حية » (١

الفصل الثاني

في واضع خدمة القداس المكرَّم

ان السيد المخلص كما انهُ يحوي كمال اللاهوت وقد ارسلهُ الآب ليجدد العالم بذبيحة جسده المقدس كذلك اراد ان يُثبت حبريته الى الابد على رتبة ملكيصادق فصرَّح الانجيل الطاهر انهُ قدَّس جسده ودمه امام الاثني عشر بصور معلومة بائنة حتى يصنعوا على مثال ما صنع امامهم ويتمسكوا بهِ هم والذين يخلفونهم من غير شك ولا انقطاع الى نهاية الدهر. كما قال يعقوب السروجي في الميمر السادس والستين عن آلام الرب

ܚܙܐ ܗܘܐ ܦܪܘܩܢ ܘܦܠܓ ܠܬܠܡܝ̈ܕܘܗܝ ܠܦܓܪܗ ܕܩܢܘܡܗ ܀
ܕܬܗܘܐ ܒܠܗ ܐܝܟ ܚܙܐ ܠܐ ܦܣܩ ܗܘܘ. ܗܟܢ ܐܡܪ ܒܟܘܡܪܐ ܕܗܘ
ܠܗܘ ܕܢܣܒ ܡܢܗ ܠܬܠܡܝ̈ܕܘܗܝ. ܕܢܗܘܘܢ ܐܝܬ ܢܓܕ ܟܗܢܘܬܐ
ܕܬܬܝܒܐ ܒܗܘܢ. ܠܥܠܡ ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܕܢܗܘܐ ܦܪܘܩܢ ܡܫܝܚܐ ܀
ܘܢܦܠܓܘܢܗ ܠܒܢ̈ܝ ܥܡܐ ܕܡܗܝܡܢܘܬܐ. ܐܘܕܥ ܐܝܟ
ܐܡܪ ܕܢܬܠܘ ܥܡܐ ܕܕܪܐ. ܘܢܫܡܫܘܢ ܡܕܡ ܠܡܫܝ̈ܚܐ
ܘܥܕ̈ܡܐ ܠܐܬܐ. ܒܪܘܚܗ ܡܫܡܫܝܢ ܠܟܗܢ̈ܐ ܢܛܘܪܐ
ܕܥܠܡ. ܘܠܟܗܢܘܬܐ ܕܝܠܗ ܠܗܘܐ ܠܥܠܡܘ ܥܠܡܐ.

١) الجامعة ١٠ : ٨

ܒܦܫܛܘܗܝ ܠܠܝܒܝ ܘܠܗܘܢ ܡܘܪܢ ܠܡܫܝܚܐ · ܘܐܡܪ
ܕܥܒܕ ܗܘ ܚܙܘܗܝ ܟܗܢܐ ܟܠ ܕܐܬܐ ܒܬܪܗ (١

وكتب بولس الرسول لاهل كورنتس عن خدمة القداس التي سلّمها اليهم قائلًا « لاني تسلمت من الرب ما قد سلمتهُ اليكم أَن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيهـا اخذ خبزًا وشكر وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يكسر لاجلكم . اصنعوا هذا لذكري . وكذلك الكاس من بعـد العشاء قائلًا هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري » (٢ وشهد ايضًا اصحاب النوافير في بدء نوافيرهم انهُ ليس لهم من غاية الا خدمة جسد الرب بحسب ما تعلموا منهُ كقول باسيليوس « انك أَنت اقمتنا لهذه الخدمة بقوة روح القدس لكي نكون خدّام عهدك الجديد ومكهنين اسرارك المقدسة » . وقال البار قورلّس ايضًا : « ارسل نعمتك لاجل مغفرتنا وتطهيرنا ولاجل قبول وكمال هذه الذبيحة النقية غير المدنسة التي من اجل خطايانا نقدّمها لك بحسب التعليم المحيي الذي علمناه مسيحك » وقال يعقوب اخو الرب « نسأَل جودك ان لا يكون الدينونة شعبك هذا السرّ الذي وضعتهُ لخلاصنا » وقال بطرس في نافور ܚܦܝܪ « نقدم الك جسدك ودمك على مذبحك الحي والمقدس كما انت يا رجاءنا علمتنا في بشارتك المقدسة » وقال ديونيسيوس راس القضاة « اعتقنا من جميع اهواء العبودية لكيما نتمم بطهارة خدمة اسرارك هذه المحيية مثل تعليم المسيح ابنك الوحيد » وقال قالسطينوس بابا رومية « لما ازمع المخلص

١) الترجمة : كسر السيد المسيح جسده ووزّعه بيديه على تلاميذه الاثني عشر فلو لم ينظروه يكسر لما كان يكسرون . قام كحبر وقدّس امام تلاميذه ليعطي الكهنة مثالًا لكي يأتمّوا بهِ . علّمهم كيف يكسرون جسده المحيي ويوزّعونه على المؤمنين وكيف يرتوون بكأس دمه ويسقونه لجميع الشعوب والعوالم . وبدمه ختم الميثاق الجديد الذي صنعه لمغفرة العالم كله وعلّم سمعان واباه ليوحنا ان يصنعا بعد ارتقائه كما صنع هو ...

٢) ١ كورنتس ١١ : ٢٣

ان يكمل تدبيره بالجسد في ذلك المساء الكهنوتي اظهر الاسرار في العليـة المقدسة وسلَّم خدمة ذبيحته لتلاميذه الاطهـار » وقال البطريرك يوحنا مارون « انك كما علمتنا يارب نحن عاملون . وفي الطريق الذي نهجتـهُ لنا نحن سالكون »

فمن شهادات هولاء الآباء الاطهار وغيرهم ترى ان خدمة القداس ترتبت على حسب ما صنعهُ الرب وأمرنا ان نصنع . وان الرسل لم يتهاونوا في وصية معلمهم الذي امرهم ان يصنعوا كذلك ذكرًا لموتهِ ولكنهم مذ استقرَّ عليهم روح القدس وازال عن قلوبهم الفزع بادروا الى تقديس جسد الرب ليتعزوا بهِ عن حرمانهم من النظر اليهِ . كقول القديس فرقلوس تلميذ يوحنا فم الذهب في شروحهِ على تسليم خدمة القداس « انهُ قبل ان يتفرَّق الرسل اجتمعوا وقضوا طول النهار صلاةً مفتكرين في عظمة التعزية التي ينالونها من ضحية جسد الرب فحكموا بتفضيلها على جميع الامور متذكرين ابدًا قول الرب « هذا هو جسدي . اصنعوا هذا لذكري » ومن اجل هذا رتَّبوا لخدمة القدَّاس صلوات مستطيلة وكانوا يتلمذون الذين يقلعون عن الكفر واليهودية معلّميهم كيف ينبذون التعاليم القديمة و يعتصمون باسرار القدَّاس الممتلئة قداسة » . وقد اخبرتنا البيعة المقدسة في صباح العنصرة بصوت ܒܩܘܫܐ ܙܗܝ ܕܫܠܝ̈ܚܐ ان الرسل خدموا اول قداس في رابع العنصرة قالت :

ܟܕ ܩܒܠܘ ܗ̱ܘܘ ܬܠܡ̈ܝܕܐ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܦܪܩܠܝܛܐ
ܝܗܒܘ ܗ̱ܘܘ ܫܠܡܐ ܠܚ̈ܕܕܐ ܘܦܪܫܘ ܚܕ ܡܢ ܚܕ ܘܒܝܘܡܐ
ܕܐܪܒܥܐ ܒܫܒܐ ܥܒܕܘ ܗ̱ܘܘ ܥܘܗܕܢܐ ܕܡܪܢ . ܘܫܩܠܘ
ܙܩܝܦܗ ܕܡܪܝܡܐ . ܘܢܦܩܘ ܠܒܪܝܬܐ (١

١) الترجمة : لما قبل التلاميذ روح القدس البارقليط وهبوا السلام لبعضهم وتفرّقوا كلٌّ عن الآخر وفي يوم الاربعاء صنعوا ذكر ربنا وحملوا صليب العليّ وخرجوا للكرازة في البريَّة

وقيل ان يعقوب اخا الرب هو الذي خدم القدّاس كما هو محرَّر في بدء نافوره. ولاجل ذلك دعي خادم الاسرار لانهُ تقدَّم الجميع بخدمتها. وحين سألوه من اين اخذ ذلك اقسم انهُ لم يزد ولم ينقص عمَّا كان قد سمع من الرب. اما الثاني الذي نعلم انهُ خدم القدّاس فهو بطرس هامة الرسل فقد قيل انهم قبل ان يخرجوا من العليّة قدَّس جسد الرب مع القديس يوحنا الرسول. كقول السروجي في الميمر الثاني والستين عن تتلمذ رومية

ܨܠܝܘ ܒܚܫܐ ܘܫܡܫܘ ܐܪ̈ܙܐ ܕܒܪ ܐܠܗܐ . ܘܨܒܝܘ
ܐܗܠܟܘܢ ܕܢܦܩܘܢ ܨܦܪܐ ܒܐܘܪܚܐ ܢܪܕܘܢ (١

وكان اول من ادخل خدمة الاسرار في مدينة انطاكية. ولما اجتمع الرسل احتفالًا بوفاة سيدتنا مريم العذراء قال النافور الذي بدؤه ܚܢܢ. واثبت يوحنا فم الذهب في الميمر السابع والعشرين في شرح الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ان الرسل كانوا يطيلون الطلب والتسابيح ويسهرون السهر المديد ويقطعون الاوقات في التعليم والفلسفة الجزيلة عند ما كانوا يتناولون جسد الرب. ولما ان تفرقوا هم والتلاميذ للتبشير في اقطار المسكونة فلكي يتلمذوا الامم بأَيد الروح اقاموا لهم كنائس وكهنة لتوزيع اسرار البيعة بحسب ما اوصاهم الرب. كقول الآباء في خدمة العنصرة بصوت ܠܫܠܝܚܐ

ܥܡ ܒܢ̈ܝܐ ܘܫܡܫܘ ܒܗܘܢ ܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܘܥܒܕܐ ܘܦܠܚܐ ܘܝܗܒܘ ܦܘ̈ܩܕܢܐ ܘܢ̈ܡܘܣܐ
ܘܢܟܣ̈ܐ ܠܥܕܬܐ ܕܒܝܫܐ . ܘܐܬܚܙܝ ܗܘܐ ܠܐܝܕ̈ܝܗܘܢ

١) الترجمة : صلّوا متألمين وخدموا اسرار ابن الله. وقصدوا ان يسيروا في الطريق صباحاً

ܢܵܡܘ̈ܣܐ ܘܦܘ̈ܩܕܢܐ ܕܩܒܠܘ ܡܢ ܡܪܢ (١

وكما ان الرب جعل لنا تقدمة القداس عهداً الى الابد. كذلك اوصى تلاميذه بان لا ينقطعوا عنها. وذلك اولاً لما قدّسها في العلية. ثانياً لما امرهم ان يخرجوا للبشارة كما يذكر السروجي في ميمره عن تتلمذ بطرس في رومية انهُ اوصاهم قائلاً

ܐܙܠܘ ܦܢܘ ܥܡ̈ܡܐ ܕܐܪܥܐ ܠܬܝܒܘܬܐ.
ܘܐܠܦܘ ܐܢܘܢ ܕܢܩܨܘܢ ܐܪܙܐ ܕܦܓܪܐ ܕܒܪܐ (٢

وحينئذٍ بثُّوا هذه الخدمة المكرمة دائحة الحياة في جميع الآفاق ليس فقط في اللغة التي كان قدَّس بها الرب بل في سائر اللغات التي كانوا يبشرون بها. كما يتضح ذلك من النسخ القديمة الموجودة عند القبط والرومانيين واليونانيين بحسب ما تسلّمها الذين تتلمذوا اوّلاً من فيلبوس وبطرس ويوحنا وغيرهم. ومع تمادي الايام وكرور الازمان احدث الآباء اركان البيعة بعض زيادات وتحسينات لاجل تكريم الاسرار وافادة الشعب على ما هي موجودة في يومنا هذا . وجميع هذه الخدمات باسرها لا يفترق بعضها عن بعض الا في امور عرضية اما في الجوهر فانها واحد كما سنبرهن ان شاء الله في المجلد الثالث عن اتفاق خدم القداديس الموجودة في اربعة كراسي النصرانية. اعني النسخة اللاتينية في رومية واليونانية في القسطنطينية والقبطية في الاسكندريّة والسريانية في انطاكية

الفصل الثالث

في تأليف خدمة القداس واجزائها

نظر الرسل الاطهار في تأليف خدمة الاسرار الى ثلاثة اشياء. اولا الى تلمذة

---

١) الترجمة : بنوا البيع وركزوا بهنَّ جرن المعموديَّة والمذبح والصليب واقاموا كهنة ورعاة ومدبرين لخراف المسيح وسلموا اليهم النواميس التي قبلوها من ربنا

٢) الترجمة : اذهبوا ورجّعوا شعوب الارض للتوبة وعلموهم ان يكسروا سرّ جسد الابن

الشعب وتحويلهم الحياة. فقسموا هذه الخدمة الى جزئين . وسمّوا الجزء الاول قدّاس السامعين وهو الذي يحوي جميع ما يتقدَّم النافور وينتهي بالتسريح حين يأمرهم الشماس بالخروج من الكنيسة قائلاً ܐܙܠܘ ܒܫܠܡܐ ܫܡܘܥܐ والثاني سمّوه قدَّاس الكاملين . وهو يتضمن جميع ما في النافور وينتهي حين يسرّحهم الكاهن قائلاً ܐܙܠܘ ܒܫܠܡܐ ܐܚܝ̈ܢ وكما ان الانسان يغذّى اولًا باللبن ثم باليابس كذلك اوجبوا ان يتتلمذ الشعب اولًا في ما يتعلّق بالايمان والرجاء والمحبة لكي يعطوا بعدئذٍ جسد الرب الذي هو حياة المؤمنين. ثانيًا نظر الرسل في تأليف القدَّاس الى حياة السيد المخلص الذي ارسلهُ الآب ليهدم جسد الخطية ويمنحنا الحياة الدائمة . كما قال « لم آتِ الَّا لتكون لهم الحياة » وقسموا رتبة القدَّاس الى اربعة اجزاء يبتدىء كل منها بتسبحة الثالوث . فالجزء الاول يتضمن طفولية المخلص الى السنة الثانية عشرة من عمره . وفي بدء هذا الجزء يُبارك الماء مع ملابس الكهنوت . وتتقدَّس الكنائس والمذابح واواني القدس وألبستها وذلك بعد ان يلبس الاسقف والكهنة والشمامسة ثياب الخدمة . وفيهِ تصير مناداة الذين يطلبون الرسامة . وعند ما ينتخب روساء الكهنة هاهنا يلبسونهم القلانس وثياب الكهنوت ويقيمونهم على جانب المذبح . والجزء الثاني يتضمن حياة السيد المسيح وبشارته من السنة الثانية عشرة الى قيامة اليعازر . وفي نهاية هذا الجزء بعد ان يصرخ الشماس ܐܙܠܘ ܒܫܠܡܐ ܫܡܘܥܐ كان الآباء القديسون يُخرجون الموعوظين وينقلون الاسرار الى المذبح . وفيهِ يُقدَّس الميرون . وفيهِ يُعطى اسكيم الرهبانية من يختار حياة الملائكة . والجزء الثالث يتضمن تقديس الاسرار والآم الرب وموته لاجلنا بالجسد . وفي هذا الجزء قبل ان نقول ܝܗܒܠܢ ܘܒܪܟܠܢ تصير نقلة الجسد المقدَّس في القدَّاس المسمى ܦܪܣ ܒܣܡܐ . والجزء الرابع يتضمَّن قيامة الرب وصعوده الى السماء . وبعد صلاة الشكر يُبارك خبز الرحمة ويفرق على المؤمنين .

وفيهِ يقام زياح الشهداء والشعانين وزياح الصليب ܘܗܫܡ ܕܒܘܩܠ . وفي بعض الكنائس يصنعون هذا كله بعد صمدة الاسرار في الجزء الاول . وهاهنا يعطى سرّ العماد وبركة اكليل الزواج وتقام رتبة القنديل ان امكن . ويؤخر جسد الرب للتناول . وقد تنبأ سليمان الحكيم عن قسمة حياة السيد المخلص قائلًا « ثلاثة يُعجزني فهمها والرابع لا اعلمهُ . طريق النسر في السماء وطريق الحية على الصخر . وطريق السفينة في قلب البحر . وطريق الرجل مع عذراء » (١ . فاشار بطريق الرجل مع عذراء الى تجسد ابن الله وولادته من مريم البتول . واشار بطريق الحيــة على الصخر الى البشارة بمولد المخلص الذي تفجّر منهُ ماء الحياة كتفجره من صخرة . واشار بطريق السفينة في البحر الى تألمه وسفك دمه لمغفرة خطايانا . واشار بطريق النسر في السماء الى صعوده وجلوسه عن يمين القدرة . وكلّ هذه الامور قد اشارت اليها خدمة القدّاس حتى إنّها لتعتبر بمنزلة تكرار لحياة السيّد المخلّص على طريق طلبات ففيها يُقدّس ويحضر جسد الرب حقيقةً بلاهوته وناسوته

اما الحواريّون الاطهار فانهم ألفوا خدمة القداس على مثل ما اخبر الانجيل الشريف عن صنيع الرب في تقديس جسده وقسموها الى سبعة اجزاء . الاول يحوي صمدة الاسرار كما هو مكتوب « ان الرب ارسل بطرس ويوحنــا ليعدّا لهُ الفصح . فاعدّاه لهُ في غرفة مفروشة كبيرة » (٢ . والثاني تُذكر فيهِ اسماء الذين يقدم القربان من اجلهم فقد كُتب ان الرب صلّى لابيه ان يُجيز عنهُ كاس الموت وصلّى من اجل تلاميذه ليصونهم ومن اجل بطرس خصوصًا ان لا ينقص ايمانه » (٣ . والثالث تُقرأ فيــهِ فصول الكتب المقدسة لتعليم الموعوظين ائتمارًا لكلام السيد المخلص الذي امر الاثني عشر ان يتلمذوا كل العالم . والرابع يُستعدّ فيهِ لتقديس جسد الرب ودمه . فقد كُتب « انهُ بعد ان فرغ من غسل الارجل اخذ ثيابه واتكأ » (٤ .

١) الامثال ٣٠ : ١٨ ٢) لوقا ٢٢ : ٨
٣) لوقا ٢٢ : ٤٢ ٤) يوحنا ١٣ : ١٢

والخامس تقدَّس فيه الاسرار. والسادس تقدَّم فيهِ لله الآب. والسابع توزّع فيهِ على بني الايمان حسب ما كُتب «انهُ على الصليب اسلم نفسهُ بيد الآب» (١. وانهُ في الغرفة قدَّس جسده ودمه ووزّعهُ على الرسل قائلًا لهم «خذوا كلوا هذا هو جسدي. واشربوا من هذا كلكم لان هذا هو دمي» (٢. وهذه الاجزاء السبعة كلها موجودة في جميع القداديس عند جميع الطوائف. الَّا ان بعضهم قدَّموا والبعض اخَّروا. والبعض اطالوا الشرح. والبعض اختصروه. فمن هذا يتبين ان هذه الامور جميعها لم يرتّبها الَّا الرسل

وعلى مثل ما ترتبت خدمة القدَّاس هكذا ايضًا أُقيمت رتبة العماد وتبريك ماء الذبح. فذكر يعقوب الرهاوي ان رتبة ماء الذبح كانت موجودة في عصره لكنهُ لم يقبلها لان الآباء الاطهار لم يأذنوا ان تنتقل الفاظ الذبائح الالهية لتقال في تبريك الماء. ولم يتكلم شيئًا عن رتبة العماد. اذ قد يمكن ان تكون في الاصل مرتبة من الرسل خاصة من يعقوب اخي الرب كما قرأنا في بعض نسخ

ولا نشك ان خدمة القداس قد طرأَت عليها بعض تغييرات عرضية. لانهم في مبادىء البيعة كانوا يقرأُون في القداس قطعًا من الاسفار العتيقة لكنهم لما اشتهر الانجيل ورسائل بولس الرسول أَمر الآباء بابطال قراءة الاسفار العتيقة. وادخلوا الرسائل والانجيل عوضها. وكان الاسقف ينزل الى باب الدرابزين ويقرأ صلاةً على السامعين وصلاةً على المعترّين. وصلاة على التائبين. فيقبّلون يده وينصرفون ولكن ذلك جميعهُ بطل الآن. وقبل مجمع نيقية والقسطنطينية ما كانوا يقرأون لا طلبات ولا كرازات منظومة كما نقرأ اليوم. وكانوا في ذلك العصر الاول ينقلون الاسرار من موضع الى آخر. وعند قول الكاهن ܘܡܫܡܠܝܢ ܘܩܪܒܝܢ لم يكن يرنم الشماس شيئاً. اما الآن فابطل الروساء ان تُنقل الاسرار وأَوجبوا ان تفتح ابواب الكنائس وتبنى المذابح من حجر وان تزداد الكرازة الثالثة التى بدؤُها

١) لوقا ٢٣ : ٤٦ ٢) متى ٢٦ : ٢٦

ܠܘܬ ܥܠܡ . ومع تمادي الزمان زيد على النوافير ذكر المجامع والآباء الذين شرَّفوا الكنيسة بنوافيرهم وتعاليمهم . لكن هذه الامور وامثالها هي عرضية . اما اصل الرتبة ولاسيما قدَّاس المؤمنين فلم يزل منذ القديم الى هذا الاوان محفوظاً ومصوناً

الفصل الرابع

في غسل اليدين وشدّ الوسَط والتوجه الى الشرق

غسل الايدي على ضربين . لائق وواجب . فاللائق ان المؤمنين كل يوم عند قيامهم من النوم يرفعون الى الله اذهانهم ويشكرونهُ على سوابغ نعمهِ اذ يغسلون ايديهم ووجوههم بحسب ما اوصى غريغوريوس البار بقولهِ « اذا قمتم للصلاة فتطهروا اولًا ثم خاطبوا الطاهر » وكذلك يقول اقليمموس ان بولس الرسول اوصى كل مؤمن ومؤمنة عند ما يقومان باكرًا من النوم ان يغتسلا ويصليا قبل ان يأتيا عملًا . ومذ انتشرت النصرانية اخذ ابناء الايمان يبنون الكنائس ويُجرون امامها منابع الماء او يحفرون الآبار . ليستحمّ بها الداخلون كقول يوحنا فم الذهب « ينبغي ان نغسل ايدينا ونحن داخلون الى الكنيسة » . والمقصود بنظافة الجسد الاشارة الى لزوم تطهير الروح من نجاسات الخطايا لتقف قدام ملك السماء بالدالّة . وقال ايسيدورس انهم كانوا يجرون امام الهياكل عيون ماء لكي يغسل الداخلون الى دار الهيكل الطاهر اجسامهم . ويُشار بهذه العيون الى مغاسل المعمودية . وغسل اليدين واجب على جميع الذين يتناولون الاسرار المقدسة . فقد رسم على الكهنة في بدء النافور وآخره ان يغسلوا اناملهم طلبًا للطهارة وتوقيرًا للاسرار

في شدّ الوسط

اولًا قد امرنا الرب في انجيلهِ الطاهر قائلًا « لتكن احقاؤكم مشدودةً وسُرُجكم موقدةً وكونوا مثل رجال ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى اذا جاء وقرع

يفتحون لهُ الوقت » (١ . واراد بذلك ان يحرضنا على ان نكون منتبهين ومتيقظين في جميع اعمالنا كما يتيقظ العبيد لخدمة مواليهم والشرطيّ لطاعة قائده

ثانياً لاجل مخاطبة الله باستعداد كقولهِ تعالى لايوب البار من الغمام . « أُشدد حقوَيك وكن رجلاً . اني سائلك فاخبرني » (٢

ثالثاً لاجل قهر العدوّ كقول داود « نطقتني بأساً للقتال وصرَّعت تحتي الواثبين عليَّ » (٣

رابعاً لاجل حفظ الطهارة والبتولية كقول الرسول « فانهضوا اذاً وشدُّوا احقاءَكم بالحق والبسوا درع البرّ » (٤

خامساً لاجل الظفر بشهوات الجسد كقول بطرس الرسول « شدوا احقاء اذهانكم وكونوا صاحين وارجوا رجاءً كاملاً النعمة التي سيؤتى بها اليكم عند تجلي يسوع المسيح » (٥

سادساً لاجل تناول الاسرار باستحقاق كما امر الله شعب اسرائيل « وهكذا تأكلونهُ تكون احقاؤكم مشدودة ونعالكم في ارجلكم وعصيّكم في ايديكم وكلوهُ بعجلة انهُ فصحٌ للرب » (٦

في التوجه الى الشرق

اولًا . ان الله تقدس اسمهُ مالىء الارض وهي بتمامها لهُ وحيثما يقصدهُ الانسان ولهُ رجاء الايمان يجده . كقول الرسول « فأُريد أن الرجال يصلّون في كل مكان وهم رافعون ايديًا نقية بغير غضب ولا جدال » (٧ . ولما كان قد اتخذ السماء مسكناً

١) لوقا ١٢ : ٣٥
٢) ايوب ٣٨ : ٣
٣) مزمور ١٧ : ٤٠
٤) افسس ٦ : ١٤
٥) رسالة بطرس الاولى ١ : ١٣
٦) خروج ١٢ : ١١
٧) ١ تيموتاوس ٢ : ٨

خاصًا لجلالته ومن هناك يرسل اشعة انوارهِ الى الصالحين امرنا ان نصلي قائلين « ابانا الذي في السماوات » غير ان الرسل الاطهار امرونا ان نتحوَّل في الصلاة الى جهة الشرق . اولًا لان الله جعل فيـهِ مسكن اجدادنا الاولين . قال مار افرام « ان اليهود كانوا يستقبلون اورشليم في صلاتهم لانها مدينة مقدسهم ونحن مقدسنا الفردوس مسكننا القديم ومن حيث انهُ كان في المشرق امرنا ان نجعلهُ قُبلتنـا في صلاتنا » . ثانيًا لان الرب بعد القيامة جمع البيعة فوق جبل الزيتون الذي يلي شرق بيت المقدس . وهناك باركهم وصعد الى السماء . كقول زكريا النبي « وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قبالة اورشليم من الشرق فينشق جبـل الزيتون من نصفه نحو الشرق ونحو الغرب واديًا عظيمًا جدًّا وينفصل نصف الجبل الى الشمال ونصفهُ الى الجنوب » (١

وقيل ايضًا انهُ لما صُلب كان وجههُ متحوّلًا الى الغرب وكان الشعب ينظر اليه بعين العقل يتوجه الى الشرق . ثالثًا لانهُ من الشرق تخرج الشمس . ولما كان المسيح هو شمس البرارة وقد سماه زكريا مشرقًا وجب ان نتحوَّل اليـهِ لنطلبهُ حيث يشرق . رابعًا نصلي الى الشرق لانهُ مصدر الانوار . كما ان المغرب مقرّ الظلمات . فيجب على ابناء النور ان يهجروا الشيطان الذي هو في موضع الظلمة ويطلبوا أَبا الانوار في موضع قدسهِ . خامسًا يستقبل المؤمنون جهة المشرق ليتميزوا من اليهود الذي أُمروا بالصلاة نحو الغرب

ولاجل هذه الاسباب واشباهها ورد في تقليدات البيعة ان تبنى المذابح وحنايا الكنائس ممَّا يلي الشرق . لكي يتقدّم الكهنة بتقريب الطلب والقرابين المرضية ويتحوّلوا الى الغرب عنـد منح البركة . كما كان وجه الرب الى اورشليم حين بارك تلاميذه وصعد الى السماء . ولهذا السبب تنصب كراسي الروساء في الشرق لتكون وجوههم الى الغرب شاخصة الى الشعب

١) زكريا ١٤ : ٤

الفصل الخامس

في القيام والسجود في الصلاة والقداس

انَّ الآباء الاطهار كما أمروا الشعب بشدّ الاحقـاء لكي يبتعدوا من اهل الهلاك المعبر عنهم بمسترخي الوسط . كذلك امروهم بالقيام ليتميزوا من ذوي الركب المرتعدة بالخطية . كقول الرسول « فأنهضوا اذاً ايديكم المسترخية وركبكم المنحلة » (١ . اعني كونوا مستعدين لمقاومة العدو بالافعال وثبات الايمان لكيلا يغلبكم بحيلهِ و يفترسكم فانهُ مكتوب عن موسى النبي « انه كان اذا رفع يدهُ يستظهر بنوا اسرائيل واذا حطها تغلب العمالقة » (٢ . وكان ذلك اشارة الى المخلص الذي بثبات جسده قائماً على الصليب ويديه مبسوطتين قهر جسم الخطية واعطانا الخلاص الابدي . وقد ذُكر عن موسى ايضاً انهُ وقف قدام الربّ وكف يد الغضب عن الشعب وقال داود « بالغداة تسمع صوتي وبالغداة أتأهَّب الك واترقب » (٣ . وايليا النبي كان يحلف بقولهِ « حيٌّ الرب اله اسرائيل الذي انا واقف امامهُ انهُ لا يكون في هذه السنين ندًى ولا مطرٌ الَّا عند قولي » (٤ . وهكذا قال الرب في العهد الجديد على لسان مرقس « ومتى قمتم لتصلوا فان كان لكم على احد شيء فاغفروا لهُ لكي يغفر لكم ايضاً ابوكم الذي في السماوات زلاتكم » (٥ . واوصى بطرس الرسول ان يقف المؤمنون على اقدامهم ليسمعوا كتب الكنيسة المقدسة

وقد تسلمت البيعة شرقاً وغرباً من الرسل ان لا يخدم الكهنة الاسرار الَّا وهم قيام مبتهجون . وكذلك الشمامسة لانهم قائمون بمنزلة الكاروبيم الذين رآهم حزقيال قائمين بالخدمة وسوقهم مستقيمة . ومن ثم فان الشماس ينادي الشعب في خدمة القداس

---

١) ١ عبرانيين ١٢ : ١٢ — ٢) ١ الخروج ١٧ : ١١

٣) مزمور ٥ : ٤ — ٤) ٣ ملوك ١٧ : ١

٥) مرقس ١١ : ٢٥

قائلًا « لنقف حسناً ونصلِّ » وفي موضع آخر يقول « بالهدوّ والمخافة كونوا واقفين ومصلين » وفي غيره « لنقف كلنا في الصلاة قدام الله الرحوم »

والمقصود من الصلاة اولًا انتباه الروح ونفي الكسل في خدمة الله. ثانياً الشجاعة لمقاومة العدوّ وازالة المخافة . ثالثاً الثبات لقهر شهوات البدن وهدم روح الضجر . رابعاً اشتياق النفوس الى الدنو من الله والابتعاد من الدنيويّات . خامساً القيام بنعمة الخلاص وصيانة النفوس من السقوط في الخطايا . ولاجل هذه الاسباب وغيرها نهت البيعة الشعب عن الجلوس في الكنيسة كقول القديس افتاتيوس في الكتاب الرابع « ولم يعطَ الشعب سلطاناً للجلوس في الكنيسة بل يصلون اما جُثِيًّا على الركب كما هي العادة في كنائس المغرب واما قياماً بحسب عادة اهل الشرق » . وذكر تاودوريطوس اسقف قورش عن القديسين زابينا وفولوغرانوس ويوحنا ويعقوب وغيرهم من تلاميذ ابينا القديس مارون الذين شرفوا بلاد قورش وحلب بالطهارة والحياة النسكية انهم قضوا مدَّة حياتهم في القيام على سوقهم وهم حاملون اوقاراً ثقيلة من خشب وحديد على مناكبهم . وذُكر عن يوحنا فم الذهب انهُ قبل ان يصير شماساً خرج من انطاكية الى غارٍ اقام فيهِ سنتين لم يضطجع قطعاً لا ليلًا ولا نهاراً حتى نهك التعب جسمه وانكى البرد قواه . ومن اجل هذا لا يصلّي الكهنة والشعب في كنيسة انطاكية حتى الآن الّا وقوفاً على الاقدام ونظراً لضعف الجسد يُؤذن لهم ان يتكئوا على العكازات التي يشار بها الى صليب الرب

في السجود والركوع

لا يحق السجود الّا لمن اوجدنا من العدم كما هو مكتوب « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » (١ . والسجود ثلاثة انواع . اولها نكس الراس وطيّ الصدر ويدعى

١) متى ٤ : ١٠

انحناء. والثاني الصاق الركب بالارض ويدعى ركوعاً. والثالث الصاق الركب والرأس الى الارض ويسمى مطانية. والانواع الثلاثة دليل على ضعف طبيعتنا والكرامة الواجبة علينا لله تعالى

فاولاً تدل المطانيــة على السقوط في الخطية والوفاء عن ذنوب المصلي او ذنوب غيره وهي تذكّرنا بقول الله لآدم حين تعدّى الوصية « انك تراب والى التراب تعود » (١. وذكر الكتاب المقدّس ان دانيال في الجلاء كان يسجـد لله ثلاث مرات في النهار. وان ايليــا لصق بالارض حين سأَل المطر من السماء. وان السيد المخلص لما حمل خطايانا جثا ثلاث مرات في الجسمانيــة. والقديس يعقوب اخا الرب كان في كل يوم يصنع الف مطانية. وذكر اثناسيوس بطرك اورشليم في ميمره على نياحة السيدة ان رُكبتيها كَنِبتا من كثرة المطانيات حتى صارتا اشبه بركب الجمال. وتأمرنا البيعة ان نصنع المطانيات كل يوم ولاسيما في تسابيح القومة الرابعة. لان الحكيم قول ان ركعة في الليل افضل من ثلاث في النهار. ولما كانت هذه الطريقة تُذلّ البدن وتضعف القوة النامية كان الرهبان يستعملونها كثيرًا لقمع تجارب الجسد وقد اشار بها مجمع قرطجنة في القانون الثاني والثمانين على التائبــين في ايام الغفران. وذُكر عن ابائنا الرهبان الموما اليهم انهم كانوا يسجدون كل يوم سبعمائة سجدة من نوع المطانية. ونقل بطرس دميان عن الحبساء انهُ عند وفاة احدهم كان يُفرض على كل من الاخوة ان يسجد سبعمائة سجدة يوميًا على مدة سبعــة ايام ويُجلد الف جلدة ويقرأ ثلاثين مزمورًا. وروي ايضًا عن الحبيس يونان المتريتي الذي رقد بالرب سنة ١٥٤٣ انهُ كان يسجد كل يوم من اسبوع الآلام اربعة آلاف سجدة من نوع المطانية اي أربعة وعشرين الف سجدة في كامل الاسبوع. وتلميذه الخوري حنا اللحفدي ستة وعشرين الفًا. اما الحبيس جبرائيل الاهدني الذي خلفهما فانهُ لم يكن ينقطع عن السجود من الصباح الى المساء

١) تكوين ٣: ٢٠

ثانياً . قد يدل الركوع على كون الراكع محتقراً مظلوماً يطلب المعونة والنجدة من ربّ الجيوش وقد ركع بهذا النوع من الركوع اسطفانوس راس الشهداء عند ما رُجم . ومثالهُ ركع بطرس حين اعاد طابيطة الى الحياة . والابرص لما ان شفاه الرب . وقد يدلّ الركوع على انحدار النعمة وقبول الروح كما يصير في دعوة الروح القدس . ثم يدل على الارتباط بخدمة الله . وعلى موجب ذلك يركع الشمامسة الصغار عند الرسامة على الركبة اليسرى والكبار على الركبة اليمنى . والقسوس على الركبتين . والروساء على الركبتين وهم حاملون الانجيل على عواتقهم

ثالثاً . اما الانحناء فانهُ يجري في جميع آحاد السنة وفي الاعياد السيدية وفي الخمسينات التي تتقدم العنصرة . لان الآباء الذين اجتمعوا في نيقية والقسطنطينية لم يسمحوا بالمطانيات في هذه الايام المكرّمة بسبب قيامة الرب التي نشلتنا بها من حفرة الخطية . ولكنهم اوجبوا على المؤمنين ان يقدّموا الطلبات وهم قيام مبتهجون . ولهذا السبب ايضاً نهوا عن صنع المطانيات في القداس اكراماً لفرح القيامة واتحادنا مع الرب بروح واحدة . لكنهُ عند ما ترتفع الاسرار عند ما تتلى صلوات السياميد (اي وضع اليد) ينادي الشماس بالجماعة ان يطأطئوا رؤوسهم ليكرموا جسد الرب ويرزقوا النعمة قائلًا : ܐܪܟܢܘ ܪ̈ܫܝܟܘܢ ܩܕܡ ܐܠܗܐ .
او : ܩܕܡ ܡܪܝܐ ܪ̈ܫܝܢ ܢܪܟܢ (١

الفصل السادس

في رفع اليدين وجمعهما وتكتيفهما . وفي قرع الصدر ورفع الراس ونكسه

اليدان اداتا الروح كقول ارسطو في كلامه على النفس . ولما كانتا تقومان بتأدية اكثر الحركات البدنية امكن ان نستدل منهما على المعاني المحتجبة في القوة الباطنة . فاولًا نرفعهما الى العلا لنقرب لله القاطن في السماء قلوبنا ومشيئاتنا كقول

١) الترجمة : احنوا رؤوسكم امام الله . او فلنحنِ رؤوسنا قدام الرب

ارميا « لنرفع قلوبنا مع الايدي الى الله في السماوات » (١ . وكقول داود . بسطت يدي اليك . نفسي امامك كارض مجدبة اسرع استجب لي يارب (٢ . ولكي ندفع ضربات الغضب كما ذُكر عن موسى « انهُ كان اذا رفع يديه غلب العمالقة وكف الرعود والبرَد وسائر الضربات عن ارض مصر (٣ . ولكي نرزق المغفرة كما هو مذكور عن سليمان انهُ لما بنى الهيكل كان يتوسل لله قائلاً « مهما ابتلي بهِ شعبك من ضربة او داء فبكل صلاة وكل تضرُّع من اي انسان كانا من كل شعبك اسرائيل الذين يعرفون كل واحد سوء قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت فاسمع انت من السماء مكان سكناك واغفر » (٤ . ولكي نشكر الله على غزير خيوره ونبذل لهُ نفوسنا وكل ما نملك كما هو مكتوب عن السيد المخلص انهُ لما قدَّس جسده ولما كثر الخبزات في القفر ولما اسلم الروح كان يرفع يديه ونظره الى الله الآب . ولاجل ذلك اوصى بولس الرسول جمهور المؤمنين قائلاً « فاريد ان الرجال يصلّون في كل مكان وهم رافعون ايدياً نقية بغير غضب ولا جدال » (٥

ثانياً . نجمع اليدين لنجمع قوى النفس وحواسّ الجسد في خدمة الله ونظفر بالرحمة ونستفيد النعمة . وعند ما نتلو الاسرار في القداس نجمع يدينا فوق القربان لنقدم ذواتنا وسائر امورنا مع الذبيحة . وفي آخر رفعات القدَّاس نرفعهما فوق الاسرار ونجمعهما قائلين « ونرفع لك المجد » لتكون طلباتنا مرتفعة للثالوث الاقدس وارواحنا متحدة معهُ بطلبة الرب القائل « ليكونوا باجمعهم واحداً . كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا » (٦

ثالثاً . نكتف اليدين لاجل الاقرار بالذنوب وما اجترحنا من السيئات ليعفو عنا على شبه المجرم حين يقف قدام القاضي وكالضحية التي تُشدُّ بيديها ورجليها لاجل الذبح

---

١) مراثي ارميا ٣ : ٤١ ٢) مزمور ١٤٢ : ٦
٣) خروج ١٧ : ١١ ٤) ٣ ملوك ٨ : ٣٨
٥) ١ تيموتاوس ٢ : ٨ ٦) يوحنا ١٧ : ٢١

رابعاً . ندقّ بهما الصدر اشارة الى التأسف على الذنوب وطلب العفو عما تجاوزنا بهِ وصية الله . كما هو مكتوب « ان الجموع الذين كانوا مجتمعين حول صليب المسيح لما عاينوا ما حدث رجعوا وهم يقرعون صدورهم » (١ . وكذلك العشار لما دخل الهيكل ليصلي وقف عن بعد ولم يرد ان يرفع عينيه الى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً « اللهمَّ ارحمني انا الخاطيء » (٢ . خامساً نغسلهما لنطهّر نياتنا وقلوبنا بندى نعمتهِ وندعو الشعب الى الطهارة والتبرّوء من الادناس كما هو مذكور ان بيلاطس غسل يديهِ قائلاً « اني بريء من دم هذا الصديق » (٣ . سادساً نبسطهما فوق الاسرار كما يبسط الطائر جناحيه اشارة الى انحدار النعمة واستقرار الروح وارتعاش الملائكة والشعب من هيبتهِ . سابعاً نمسك بايدي بعضنا بعض في السلام اشارة الى العهد والاتفاق الذي يربطنا لحفظ ديانتنا المسيحية . ثامناً نقبّل ايدي الروساء دليلاً على الخضوع والوقار اللذين يحقان لسلطان الكهنوت المعطى مفاتيح الحلّ وتقديس الاسرار . تاسعاً نرسم اشارة الصليب لاجل صيانة المؤمنين وتذليل اعدائهم وتوزيع النعمة التي تسلموا تدبيرها . عاشراً نطبق الانامل التي نكسر بها الجوهرة المقدسة ونغسلها اجلالاً لجسد الرب عنصر الحياة

في رفع النظر والصوت

ممّا تقدَّم شرحه عن رفع الايدي يتبين المراد من رفع الراس ونكسه . فيدلّ رفع الراس والصوت والنظر على طلب المعونة من الله في زمان الضيق كقول المخلص « واذا اخذ يقع هذا فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لان فداءكم قريب » (٤ . وقال داود النبي « كثيرون يقولون لنفسي لا خلاص لهُ بالههِ وانت يارب مجنّ دوني . مجدي

---

١) لوقا ٢٣ : ٤٨
٢) لوقا ١٨ : ١٣
٣) متّى ٢٧ : ٢٤
٤) لوقا ٢١ : ٢٨

ورافع راسي. بصوتي الى الرب ادعو فيجيبني من جبل قدسهِ (١. ويدل ايضاً رفع النظر والصوت الى العــلا على الدالّة التي اصبناها لدى الله تعالى كالدالة التي للابن على ابيهِ فقد قال الرب « وانتم فصلّوا هكذا. ابانا الذي في السماوات » (٢. او كدالة المحب لدى حبيبه فقد كتب ان موسى كان يكلم الله مواجهةً. وقد رُزقنا هذه الدالة بواسطة جسد ابنه الذي نقدمهُ على ايدينا كما يعلم الرسول « لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع » (٣. وعلى عكس ذلك نكس الراس وعبوسة الوجه وتقريب الطلب سرًّا فانها تدل على التأمل في اسرار الله كما هو مكتوب عن السيدة « انها كانت تحفظ الكلام كله وتتفكر بهِ في قلبها » (٤. وندلّ ايضاً على ذلّة النفس ونقص دالتها بسبب الخطايا. كما هو مكتوب « ان العشّار لم يرد ان يرفع عينيه الى السماء » (٥. وان « التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدًّا » (٦. حين سمعوا صوت الآب في الجليل « وان التلميذين كانا مكتئبين وهما سائران الى عمّاوس » (٧. وقد فسرت البيعة كل ذلك في باعوت يوم الاربعاء مخاطبةً الخاطيء بقولها

ܚܛܝܐ ܠܐ ܬܐܡܪ ܕܗܘܐ ܐܢܐ ܕܡܢܫܝܐ ܝܘܡ ܒܬܪܥܐ
ܐܦܝܗ ܡܛܠ ܒܡܟܢܫܘܬܐ ܕܟܬܝܒܐ ܐܝܟ ܟܠܗ ܡܢ ܐܪܘ
ܡܢ ܣܘܒܪܐ. ܘܡܣܒܪ ܐܬܝܢ ܡܢ ܚܠܦ ܐܝܟ ܡܣܟܢܐ:
ܠܐ ܬܐܒܐ ܡܢܗ ܚܠܠ ܒܫܘܠܬܐ ܡܠܐ ܕܦܪܘܫܬܐ: ܘܠܐ ܡܫܡܢ
ܠܒܗ ܡܫܠܐ ܦܬܐ ܠܐܬܐ ܕܣܘܠܐ: ܡܢ ܥܝܢܘܗܝ ܒܟܠܐ ܦܐܘܪ

---

١) مزمور ٣: ٣
٢) متّى ٦: ٩
٣) عبرانيين ١٠: ١٩
٤) لوقا ٢: ١٩
٥) لوقا ١٨: ١٣
٦) متى ١٧: ٦
٧) لوقا ٢٤: ١٧

[illegible] (١

الفصل السابع

في بقية افعال الكاهن وحركاته في القداس

مخافة ان يطول بنا الامر فنُدخل السآمة على القاري. نجمع افعال الكهنة في خمسة ابواب لان جميع حركاتهم في خدمة الاسرار اما ان تكون لتمجيد الله وقدّيسيه واما لفائدة الشعب وتعليمهم . واما لتكريم خدمة الله . واما لاجل هذه كلها معاً

الباب الاول

ان الافعال العائدة لتمجيد الله وقديسيه هي كشف الراس ونكسه والسجود والانحناء ورفع الاسرار وترييحها وتقبيل المذبح والصور واسراج المصابيح واشعال البخور والوقوف على القدمين . وما شاكل ذلك مما نكرّم بهِ الله واصفياءه

الباب الثاني

ان الافعال الراجعة لتعليم الشعب وافادته هي الصوم ورسم الصليب وتكتيف الايدي وقرع الصدر واعطاء السلام وكسر البرشان وتفريقه

الباب الثالث

والافعال المقصود منها تكريم خدمة الله ومزيد اجلالها هي القراءة بصوت منخفض والتوجه نحو الشعب والاستغفار منهُ وغسل اليدين وتنكيس الراس وتبخير الشعب واحسان ملابس الخدمة

---

١) لا تنظر للعلا لان هذه آية الجسارة . اطرق بالارض وابكِ بكاءً شديدًا واستبدل الضحك بالكآبة واوثق يديك وانت صامت متوجعاً . لا ترفع صوتك في الطلب اذا صليت لان الصوت العالي لا يليق بمن اخطأ واظهر بظهور الندامة التي ترجع الرحمة للتائبين

الباب الرابع

والافعال المقصود منها معانٍ روحيـة هي التوجه الى الشرق ورفع اليدين والنظر الى السماء وحلة الكهنوت وقبلة السلام وبسط اليدين فوق الاسرار وكسر الجمرة (١ ورش الدم عليها وامتزاج الماء مع الخمر والقراءة سرًّا ورسم الصلبان اوقاتًا على الاسرار واوقاتًا على الشعب . الخ

الباب الخامس

اما الافعال التي تعود للزينة وخدمة الله والاشارات الروحية فهي دق الصنوج والمراوح وثياب القدس وتقدمة البخور وغسل الانامل وما شاكل ذلك مما لم يرتب الّا لخدمة الله والمقاصد الروحية . ترى من يشكّ في ان الكنيسة المضيئة بالانوار ليست افضل من القاتمة . والمزخرفة ليست افضل من الساذجة . وملابس الكهنوت ليست احسن من الثياب العامة . وتطريب الالحان ليس احسن من القراءة البسيطة . والعرف الطيب وضرب النواقيس والصنوج والمراوح ليست بافضل من الصمت . وترتيب بيوت الله ومواكب خدّامه ليست اجمل من البيوت الاعتيادية التي لانظام فيها ولا ترتيب . وكما ان الله جمّل السماء والارض بما ابدع فيها من النيّرات والنبات والحيوانات فلا يليق التقديس في بيته الّا بالصفـة التي رسمها الرسل الاطهار لبنيان البيعة

ومما ذكرناه لك في هذه الفصول ايها الولد الحبيب تفهم بعين البصيرة ان السيد المخلص رتب لبيعتهِ الاسرار التي هي مصدر النعمة واعطاها مفاتيح ملكوتهِ

---

١) يريد بالجمرة القربانة المقدسة واسمها هذا مأخوذ عن السريانية ܓܡܘܪܬܐ

وخوّل رؤساءها سلطاناً لكي يوزّعوا تلك الاسرار كالخزَنة الامناء · وقد سلّمها بعض ذلك مكتوبًا وبعضهُ مشافهةً · كما يبرهن القديس باسيليوس في الفصل السابع والعشرين من ميمره عن روح القدس الذي ارسلهُ الى امفوليكوس قائلًا « ان التعاليم التي ننادي بها اخذنا بعضها عمَّا هو مكتوب وبعضها ممَّا سلَّمهُ الينا الرسل سرًّا وعلانية وكلا الامرين مقبولان لا يعارضهما احد ايًّا كان ولو انهُ غير عارف من شرائع البيعة الَّا القليل · ترى من علّمنا ان نرسم بالصليب اولئك الذين جعلوا اتكالهم على المسيح ام اي كتاب علمنا ان نصلّي ونحن متوجهون الى الشرق · ام ايّ من القديسين ترك انا كلام الدعوة عند ما نرفع خبز القربان وكاس الشكر · ولا نكتفي بالكلام الذي ذكره الانجيل والرسول ولكننا نتلو ما عدا كلام التقديس كلاماً قبله وبعده يشتمل على اسرار عميقة تسلمناه من التقليد بغير كتابة » ثم برهن ذلك من تبريك ماء العماد ودهن المسحة والاقرار بالثالوث الاقدس اذ نقول المجد للآب والابن وروح القدس · وغير ذلك من الامور الكثيرة العدد · واثباتاً لقولهِ اورد موسى النبي مثالًا فقال انهُ لم يشأ ايضاح امور المقدس لكل احد بل اقام العوامّ خارج الابواب ووضع الشعب الطاهر في المواضع المتقدّمة · وجعل اللاويين وحدهم اهلًا لخدمة الرب · واما الكهنة فالزمهم بتضحية الذبائح وتقدمة المحرقات · ولم يصطفِ من الجمهور كله لدخول قدس الاقداس الا واحداً فقط · ولم يأذن لهُ في الدخول كل وقت اراد ولكنهُ اباح لهُ ذلك مرة واحدة في السنة في ساعة معينة · وانما رتب كل هذا لكي يجعل قدس الاقداس مكرّماً ومعظماً · اذ من البين ان كل أمرٍ مبتذل يكون عرضة للاحتقار بخلاف ما كان محجوبًا علمه او قليل الوجود فانهُ اشوق للنفس واعلق القلب · ومن ثم أ لّف الرسل منذ البدء رتبًا معلومة واحبُّوا ان يسدلوا عليها حجاب الخفاء · لان ما وصل الى آذان الشعب ليس هو سرًّا بالتمام · وهذا هو السبب لكونهم سلَّمونا بعض امور من غير كتابة حذراً من ان تُحتقر معرفة التعاليم · وبعد شرح طويل عن تسليمات الكنيسة اثبت ان التمسك بها هو من جملة سنن الرسل · فان بولس

الرسول اوصى المؤمنين قائلًا « فاثبتوا اذًا ايها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التي تعلمتموها اما بكلامنا واما برسالتنا » (١ . وذمَّ كل من ازدرى بها ليتمسك بالامور المتجددة



١) ٢ تسالونيكي ٢ : ١٥

الشرح الثالث

في حضور القداس الطاهر

عرف الناس من الهام الطبيعة او من وصية آدم الاول ان يخدموا الباري ويقدموا له تسابيح الشكر والقرابين فرتبوا اوقاتاً واياماً معلومة ليجتمعوا فيها لهذه الغاية فعيَّن اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد والمسلمون يوم الجمعة . ولما كنا قد فرغنا من الكلام على ماهية القداس وشرفه ورتبته لاق ان نتكلم الآن عن حضوره قاسمين هذا الشرح الى سبعة فصول

الفصل الاول في اعياد الشريعة العتيقة وكيفية اكتمالها في الجديدة
الفصل الثاني في اعياد الشريعة الجديدة
الفصل الثالث في اوقات القداس الطاهر
الفصل الرابع في ما هو حضور القداس الطاهر
الفصل الخامس في الفوائد الناتجة عن حضور القداس الطاهر
الفصل السادس فيما اذا كان المؤمن ملتزماً بحضور القداس في الكنيسة التي ينتمي اليها
الفصل السابع في ما يمنع المؤمن من حضور القداس الطاهر

الفصل الاول

في اعياد الشريعة العتيقة . وكيفية اكتمالها في الجديدة

عرفنا من التوراة المقدسة ان الله جلّت قدرته بدأ خلقَ العالم من يوم الاحد واستراح في اليوم السابع وسمّاه سبتاً اي راحةً . وقدَّسهُ ليكون مفروزاً لآدم وذريته فيشتغلون في الستة الايام التى تتقدمهُ ويستريحون فيهِ من الامور الدنيوية ليتفرَّغوا لخدمتهِ تعالى . وقيل ان ذلك كان محفوظاً ليس فقط بعد الناموس بل قبل ان

يعطى الناموس ايضاً . ومن اجل هذا لما انزل لهم المنّ في البرّية ذكرهم بلسان موسى قائلاً « اذكر يوم السبت لتقدّسه » (١ . كأنهُ يقول لهم ان تقديس السبت الذي كان مفروضاً على اجدادكم وعليكم وعلى آبائكم لم تحفظوه في مصر بسبب عبودية الفراعنة فاذكروه الآن وقدّسوه ولا يكن الآن وفيما بعد منسيًّا بين اسباطكم الى الدهر . ولما اعطاهم الناموس اوجب القتل على كل من لا يحفظهُ قائلاً « فاحفظوا السبت فانهُ مقدّس لكم ومن خرقه يقتل قتلاً . كل من يعمل فيهِ عملاً تنقطع تلك النفس من شعبها . في ستة ايام تصنع الاعمال وفي اليوم السابع سبت عطلة مقدّس للرب كل من يعمل عملاً يوم السبت يُقتل قتلاً » (٢ . اما الداعي لتقديس يوم السبت فهو اولاً لكي يجتمع الشعب لخدمة الله . ثانياً ليستريحوا فيهِ هم وعبيدهم . ثالثاً ليتذكروا خلق العالم . رابعاً ليذكروا خروجهم من ارض مصر . خامساً ليكون لهم رمزاً الى راحة المسيح في القبر . ولاجل ذلك لم يؤذن لهم فيهِ ان يشعلوا ناراً ولا ان يخبزوا خبزاً او يصنعوا طعاماً ولا يسافروا ما يزيد على الف خطوة ولا ان يأتوا عملاً من الاعمال اليدوية . ثم امرهم أَن يُسبتوا اراضيهم في السنة السابعة اذ قال لهم « ستّ سنين تزرع حقلك وستّ سنين تقضب كرمك وتجمع غلالهما . وفي السنة السابعة يكون للارض سبت عطلة سبت للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك . وخلفة حصيدك لا تحصدها وعنب كرمك غير المقضوب لا تقطفهُ لانها سنة عطلة للارض » . ثم امرهم أَن يقدّسوا سنة الخمسين وينادوا بعتق في الارض لجميع اهلها وينفخوا ببوق الهتاف في اليوم العاشر من الشهر السابع في يوم الكفّارة لتكون لهم يوبيلاً ويرجعوا كل امرىء الى ملكهِ ويعودوا كل واحد الى عشيرتهِ » (٣ . وكانت لهم ايضاً اعياد أُخرى غير السبت وهي رؤوس الشهور وعيد الفصح في الرابع عشر

١) خروج ٢٠ : ٨
٢) خروج ٣١ : ١٤
٣) احبار ٢٥ : ٣

من هلال نيسان الشهر الاول . وعيد الفطير في الخامس عشر منهُ وعيد الفريك في اوائل الحصاد . وعيد الخمسين بعد الحصاد . وعيد الابواق في راس تشرين الاول الذي هو الشهر السابع . وعيد الغفران في اليوم العاشر منهُ . وعيد المظال في الخامس عشر منهُ . وعيد التهاليل في الرابع عشر من اذار . كما هو مذكور في سفر استير . فهذه وغيرها اكتملت وبطلت في تجسد ابن الله الذي بهِ تجدد كل شيء كما سبق وقال « هاءنذا اخلق سماوات جديدة وارضاً جديدة فلا تذكر السالفة ولا تخطر على البال » (١ . وقال يوحنا متكلماً عن العهد الجديد « ورأيت سماءً جديدة وارضاً جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى قد زالتا » (٢ . وقال داود ايضاً « الرب وهو الله قد انارنا فزينوا العيد باغصان مشبكة الى قرون المذبح » (٣ . اراد بذلك انهُ يبتهل اليه في ان يكمل جميع اعياد العتيقة بعيد جسده الذي هو عيد الاعياد وخاتمتها . وقد فسرت البيعة كل ذلك حسناً يوم خميس الاسرار في صلاة الغداة اذ تقول « لقد ربط عيده بسلاسل النبوَّة الى قرون مذبحه المقدس الذي بهِ انتهت جميع الاعياد فانهُ برضاه صار عيداً للاعياد » . واثباتاً لهذا الامر رسم الآباء ان يقرأ الكهنة هذه النبوّة عند تقدمهم الى المذبح . وكتب الرسول الى اهل كورنتس قائلاً « ألقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجيناً جديداً كما انكم فطير . فانهُ قد ذبح فصحنا المسيح فلنعيّد اذن لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق » (٤

وعليهِ فكما تبدلت الذبائح العتيقة بتقدمة جسد الرب تبدل فصحهم واعيادهم ايضاً بعيد فصحه الذي نكملهُ كل يوم على المذابح لتحقيق الميثاق الابدي وجميع اعياده الجسدية نتممها بالروح . اذ نعيد في رؤوس الشهور لتجديد الحياة الروحانية . وفي الفصح لننتقل من مصر هذا العالم الزائل الى ارض الميعاد التي لا زوال لها .

١) اشعيا ٦٥ : ١٧ — ٢) رؤيا ٢١ : ١
٣) مزمور ١١٧ : ٢١ — ٤) ١ كورنتس ٥ : ٧

وبعيد الفطير فعل البرارة · وبعيد الفريك النشوء بالنعمة · وبعيد الخمسين استملاك الفضائل · وبعيد الابواق التفكر في الناموس · وبعيد الغفران نزع الانسان العتيق · وبعيد التهاليل طلب الفرح الابدي · واما السبت الذي قدّسهُ الله في الخَلقة الجسدية فعوّضنا عنه الاحد لنقدسهُ في الحياة الروحانية · لان ابن الله انما استراح فيهِ وسبَتَ في القبر بعد ان جدّد خلقتنا بالآمهِ وموتهِ بالجسد · ولذلك امرنا الرسل الاطهار ان نتفرَّغ فيهِ عن كل عمل · اولاً لننقطع الى خدمة الله · ثانياً لنستريح فيهِ نحن وشعبنا من الخطايا · ثالثاً لنتذكر بهِ قيامة الرب · رابعاً لنذكر بهِ عتقنا من أَسر الشيطان الذي كنا مستعبدين لهُ · خامساً ليكون لنا رمزاً الى الراحة في الملكوت · كما كتب الرسول « اذن قد بقي لشعب الله راحة سبت لان من دخل في راحتهِ يستريح من اعمالهِ كما استراح الله من اعمالهِ · فلنجتهد اذن ان ندخل في تلك الراحة لئلا يسقط احد في مثل عبرة هذا الكفر » (١ · وكما ان السبت كان سابع ايام الخليقة وفيهِ استراح الله وجعلهُ مقدساً للذين تقدموا عصر النعمة · هكذا استراح الله في يوم الاحد كما تقدم القول وجعلهُ مقدساً في عصر النعمة الذي هو سابع اعصار العالم · لان العصر الاول يحسب من آدم الى الطوفان · والثاني من الطوفان الى ابراهيم · والثالث من ابراهيم الى موسى · والرابع من موسى الى داود · والخامس من داود الى جلاء بابل · والسادس من جلاء بابل الى السيد المسيح · والسابع من المسيح الى نهاية الدهر

الفصل الثاني

في اعياد الشريعة الجديدة

ان ايام الله كلها مباركة الّا ان البيعة كرّمت بعضها فوق بعض لان الله شرّفها باظهار الخوارق والمعجزات فاختارتها من ثمَّ لتمجيد الله وتسبيحه وتعليم الشعب

---

١) عبرانيين ٤ : ٩

وتقديسه واول تلك الايام هو الاحد الذي كرّمهُ الله في العتيقة والحديثة . فانهُ فيهِ خلق السماوات والارض . وفيهِ أُوقف السفينة على جبل ارمينية . وفيهِ أجاز شعبه البحر وأَيبس امام ارجلهم مواطن المياه . وفيهِ انزل المن في القفر . وقد ذكر في الشريعة الجديدة ان ميلاد الرب الجسدي كان يوم الاحد . وفي هذا اليوم ظهر النجم للمجوس وفيهِ اعتمد الرب من يوحنا بالاردن . وفيهِ حوّل الماء خمرًا . وفيهِ اشبع الخمسة الآلاف خبزًا وفيهِ لاقاه الاطفال بالشعانين . وفيهِ قام من بين الاموات . وفيهِ ظهر للرسل واعطاهم السلام ووهب لهم سلطان الحل والربط . وفيهِ ارسل اليهم روحه المعزّي . وفيهِ سوف ياتي ليدين الاحياء والاموات . ولهذا سمي يوم الرب وسيّد كل الايام . واوصى بطرس هامة الرسل تلميذه اقليموس بتقديسه والانكفاف فيهِ عن كل الاعمال قائلًا « اما يوم الاحد فليكن لك يومًا عظيمًا . لا تعمل فيهِ عملًا غير قراءة الكتب الالهية » وتشهد البيعة المقدسة انهُ مذ تفرّق الرسل وجّه القديس بطرس بالرسائل الى جميع الاقطار لتكريم الاحد والجمعة . كما نقرأُ في صباح الجمعة

ܒܐܓܪ̈ܬܐ ܘܒܟܬܒ̈ܐ ܫܕܪ ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ
ܠܐܘܩܘܡܢܝܬܐ

ܠܡܛܪ ܚܕ ܒܫܒܐ ܘܥܪ̈ܘܒܬܐ ܗܘ̄ ؛ ܕܬܥܠܘܢ ܘܬܐܪܬܘܢ
ܚ̈ܝܐ ܘܡܠܟܘܬܐ (١

والمراد بذلك ان يوم الاحد هو يوم الفرح والابتهاج الروحي بقيامة الرب . واما نهار الجمعة فهو يوم الصوم والحزن لاجل آلامه وموته على الصليب . ولما كان بعضهم قد انكر كرامته وحاولوا امتهانه بالاعمال اجتمع الاباء في غنغرا ورشقوا بسهم الحرم

---

١) الترجمة : وجّه القديس سمعان لاربعة اقطار المسكونة بالكتب والرسائل ان احفظوا الآحاد وايام الجمعة . . . لكي تدخلوا وترثوا الحياة والملكوت

كل من عمل فيهِ عملًا واحتقر وصية الرسل والآباء المتقدمين . والتأمت ايضًا مجامع أُخرى أَمرت بمعاقبة كل من يتعدَّى احكام الاحد . وكما تسلمت البيعة شرقًا وغربًا من الرسل تقديس يوم الاحد تسلمت ايضًا تقديس عيد البشارة وعيد الميلاد وعيد الختانة وعيد الظهور وعيد دخول المسيح الى الهيكل وعيد صعوده الى السماء وفي الشرق عيد تجليه على الجبل . واما اعياد الشعانين والقيامة وظهوره للرسل وحلول روح القدس عليهم فاننا نحتفل بها في يوم الاحد دائمًا . وفي بعض البلاد يكرمون اعياد الميلاد والقيامة والعنصرة كل واحد منها بثلاثة ايام . وفي البعض بيومين . وفي هذه الايام يتفرغ المؤمنون عن كل حرفة وينقطعون عن الاصوام والمطانيات . اما الانقطاع عن الحِرَف فلكي يجتمعوا للصلوات والقداديس وسماع كلام الله وخدمة الاسرار وافعال الرحمة اقتداءً بالرسل القديسين الذين كانوا يجتمعون فيهِ لتوزيع جسد الرب ولجمع الصدقات ورسامة الكهنة وغير ذلك منقطعين عن الاصوام بحسب ما هو مأمور في القانون الخامس والستين من قوانين الرسل . « من صام يوم الاحد والسبت دون سبت واحد فليعزل . وان كان عاميًا فليفرز عن القربان » وقال اغناطيوس في الرسالة السابعة لاهل فيلبسيوس « من صام يوم الاحد او السبت دون سبت واحد فليكن كقاتل المسيح » فلاجل هذا وما سنَّهُ الاباء في المجامع امتنع اهل الشرق عن الصوم ليس الاحد فقط بل السبت ايضًا . لان المسيح في الاثنين بدأَ يصوم . وفي السبت اكل . كما هو مكتوب في كتاب الناموس البلدي في الباب الخامس عشر عن الصوم « ان محيي العالم لما ابتدأَ الصوم شرع فيه من اول نهار الاثنين ولبث الى آخر يوم الجمعة الذي هو تمام الاربعين يومًا وفطر في اول ليلة من يوم السبت . ولذلك رأَى الآباء والتلاميذ ان لا يُصام يوم السبت البتة من اجل ان السيد المسيح فطر فيهِ . واما الكنيسة الرومانية فانها تصوم يوم السبت اكرامًا لدفن الرب بحسب ما تسلمت من بطرس الرسول

ثم اننا ننقطع عن المطانيات في الاعياد السيدية وفقًا لما قرَّره الآباء الذين

اجتمعوا في نيقية وفي قصر البهاء. اذ اننا بواسطتها خلصنا من الخطية. ونقدس بعض ايام الاعياد اكراماً لوالدة الخلاص والقديسين الذين جاهدوا في البرّ وانتشار الايمان عملاً بوصيّة الرسول القائل « ان المجد والكرامة والسلام لكل من يصنع الخير » (١. ووفقاً لما كتب بطرس الرسول الى تلميذه اقليموس آمراً اياه بان ينقطع المؤمنون عن كل عمل في اعياد الشهداء والايام الجليلة. ولما كان قد تكاثر عدد الشهداء والابرار بتمادي الزمان حتى لا يمرّ يوم من غير ان يقع فيهِ تذكار كثيرين منهم رسمت البيعة بتبطيل اعياد من ردّونا عن ضلالة او حفظونا من بدعة. واما الباقون فلم تأمر ببطالة اعيادهم. ولما كانت مريم العذراء هي اعظم محسنةٍ للبشريّة لانها ولدت خلاص العالم أمر يوحنا منذ انتقالها اهل افسس وبلاد الشرق ان يعيّدوا لها ثلاثة ايام (كما هو مدوَّن في صلاة الاحد) اعني خامس عشر آب وخامس عشر ايار وثاني ميلاد ابنها الالهي. ليصون الله بصلواتها الكروم والزروع التي منها نقدّم جسد ابنها. ثم أمر الآباء ببطالة اليوم الثامن من ايلول الذي هو يوم ولادتها. وبعد اعياد السيدة المجيدة نحتفل بعيد ميخائيل وجبرائيل ومواكب جنود الملائكة لانهم خادمون عرش العظمة ولا يزالون يحرسوننا ويتوسلون من اجلنا اذ يقدمون لله طلباتنا وقرابيننا. ثم نحتفل بعيد الصليب المقدَّس لانهُ صار لجنسنا اداة الخلاص وبعيد ميلاد يوحنا الصابغ وقطع راسه لان المخلص شهد لهُ انهُ لم يقم في مواليد النساء اعظم منهُ. وبعيد مار اسطفانوس الذي انتخبهُ الرب ليكون رئيس الشمامسة لانهُ سبق القديسين بالشهادة. وبعيد بطرس وبولس وجميع الرسل الذين تتلمذوا للمخلص لانهم أسمعوا اصوات بشارتهم في اقاصي الارض. هذا وكل طائفة وفرقة تعيّد اعياداً مخصوصةً للقديسين الذين ثبَّتوها في حجر الكنيسة عند هبوب البدع فمثل هذه الاعياد على جميع افراد الطائفة ان يبطلوها ويحضروا الصلوات والقداديس في كنائسهم ليرزقوا شفاعة القديسين المذكورين. وقد كتب في قوانين البيعة ان تقام القداسات

(١) رومية ٢ : ١٠

من غير انقطاع ايام السبت والاربعاء والجمعة وذلك من قبيل المشورة لا الوصية لان يوم السبت هو موعد اجتماع اليهود ويوم الاربعاء تذكار والدة الخلاص ويوم الجمعة تذكار آلام الرب . وعلى قدر المشقة يكون الاجر

اما وقت العيد فان الكنيسة الرومانية تعتبره من نصف الليل الى نصف الليل . واما الكنائس الشرقية فمن العصر الى العصر كما كان في الشريعة العتيقة ولهذا نجعل مبدأ صلواتنا صلاة العصر . ولهذا ايضاً ينهى الآباء في المجمع السادس عن الركوع من المساء الذي يتقدَّم الاحد الى المساء الذي يليه . وأمر الملوك والآباء في المجامع ان ترفع المطالبات ايام الآحاد والاعياد وان لا يحاكم الولاة احدًا ولا يخاصم احد غريمهُ ولا يطالبهُ بدَيْن وما اشبههُ لكي يخرج جميع المؤمنين الى بيت الله غير خائفين لا غريمًا ولا جابيًا ولا قاضيًا ولا سلطانًا

الفصل الثالث

في اوقات القداس الطاهر

ان الآباء القديسين عيَّنوا اوقاتًا وساعاتٍ للصلوات الليليــة والنهاريَّة فجعلوا الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة لخدمة جسد الرب . ويقال ان الرسل الاطهــار أمروا باقامة القداس في الساعة الثالثة لان الله تعالى خلق فيها الانسان الاول . وفيها حل عليهم روح القدس ومن ثمَّ اوجبوا على الكهنة ان يبتدئوا القدَّاس بعد الصلاة الثالثة في ايام السبَّة ونياحة الموتى

وكان هذا محفوظـًا بغاية الحرص والاجتهاد . وقد ذكر عن قرية تعرف بماردين ان اهاليها تشكوا من كاهنهم لانهُ لم يكن يحفظ مواقيت القداس المعيَّنــة اذ كان يقيم القدَّاس احيانًا في الساعة الثالثة واوقاتًا في التاسعة . اما الاسقف فبعد الفحص عن امره صفح لهُ لكونه تحقق ان الكاهن المذكور كان يدمن على الطلب بعد صلاة الصبح الى ان يرى الروح القدس مستقرًّا على المذبح وحينئذٍ كان يبتدىء القدَّاس . واما ايام الآحاد والصيامات الصغيرة وسبوت الصوم الكبـير فانهم كانوا

يبدأون القداس بعد صلاة السادسة التي فيها مدّ آدم يده الى الثمرة المنهي عنها ٠ والمخلص بسط يديه على الصليب ليستفكّه ٠ واما في الصوم الكبير فانهم كانوا يبدأون القداس من الساعة التاسعة حتى الغروب كقول الآباء الذين عقدوا مجمع قابولا ان خدمة القداس في صوم الازمنة الاربعة تصير قرب صلاة العصر. واما في السبت المعظم فعند دخول الليل ٠ وسبب ذلك انهُ في الساعة التاسعة طرد الله آدم من الجنة ٠ وفيها آدم الثاني اسلم الروح ليصعده الى الملكوت ٠ ولما رأى الآباء انهُ مع تمادي الزمان قد خمدت الحرارة الاولى في القلوب وان خدمة المذبح يتأخرون في الصلوات امروا بتقديم اوقات القداس بحيث ينجز في الثالثة ما كان يبتدىء بها وقس على ذلك سائر الاوقات بنوع ان الافطار يكون عند الساعة السادسة في ايام الصوم ٠ واما الذين داخل البحر فاذنوا لهم ان يفطروا في الصيام في السادسة لاجل برودة اقليمهم وضعف طبائعهم بشرط ان لا يأكلوا الّا وقعة واحدة وان تتقدم الفطور صلاة التاسعة والمساء ٠ واما الليل فان الآباء لم يأذنوا باقامة القداس فيهِ فقد اوصى تاليسفروس بابا رومية الذي جمّل كرسي البابوية سنة مائة واثنتين واربعين قال « قبل الساعة الثالثة من النهار لا يقام قدّاس لكي يحضر فيهِ جسد الرب الذي هو نهار المؤمنين ٠ كما قال « ينبغي ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار (١ ٠ لكن الرؤساء فسّحوا للكهنة ان يبدأوا القدَّاس طلوع الفجر ٠ اعني قبل النهار بساعة ٠ لان الناس في هذا الوقت يبادرون الى اشغالهم ٠ واذا مست ضرورة فبامكان رئيس الكهنة ان يفسح لهم باقامته قبل الفجر ايضاً ٠ واما في عيد القيامة والميلاد والدنح فانهم مأذونون ان يقيموا القدَّاس ليلاً كما قال باسيليوس الكبير ان الرب بالليل ولد واعتمد وقام

١) يوحنا ٩ : ٤

الفصل الرابع

في حضور القداس الطاهر

كما ان البيعة المقدسة الزمت الكهنة ان يخدموا القداس في ايام الآحاد والاعياد الجليلة لتكملة وصية الرب الآمرة بان يصنعوا ذلك لذكر موتهِ الى حين مجيئـهِ . كذلك أَلزمت الشعب في مجامعها ان يحضروا جميعاً لسماعه . ومن تأخر عن حضوره الى التسريح يؤنَّب من راس الكهنة . وليس المراد بحضور القدَّاس حضور الجثـة ولا سمع الاذنين ولا نظر العينين ولا فهم المعـاني . فان الاعمى ولو لم ينظر والاطرش ولو لم يسمع . والامي ولو لم يفهم جميعهم ملتزمون بحضور القدَّاس . وبخلاف ذلك من يرقد في الكنيسة ومن يلهو بالحديث الباطل . ومن كان سكران او امثالهم فان هؤلاءِ جميعـاً ولو حضروا الكنيسة لا يعفون من الالتزام . ومن ثم يجب على المؤمن ان يحضر بالجثـة والروح ويصغى الى خدمة الرب على قدر مقدرتهِ . لان الانسان هو مركب من روح وجسد . وبالروح والجسد يجب ان يخدم الرب ويبادر الى خلاص نفسهِ . واصغاء الروح ثلاث درجات . ادناها ان يسمع الكلام . والثانية ان يفهم معانيه . واعلاها ان يرفع ذهنه وقلبه الى التأَمل في هذه الاسرار ويحمد الله على غزير خيوره التي يفيضها علينا . وهذا هو الذي تقصدهُ البيعة حين تأمرنا ان نقول للشعب « لنرفع عقولنا واذهاننا وقلوبنا الى الله » فيجاوبون انها مرتفعة بخوف . اعني انها مبتعدة عن هموم العالم واصناف الضجر والاحاديث الباطلة والكسل . وبالجملة فانها مجرّدة عن الارضيات مرتفعة الى الالهيات

وتسهيلًا لهذا أمر الآباء بان تكون جميع اقوال الشمامسة راجعة لتعليم وارشاد الحاضرين . فينبهونهم متى يقفون حسناً . ومتى يتقدمون لسماع الانجيل . ومتى يتأملون بخوف ورعبة في انحدار الروح . ومتى يرفعون عقولهم لتمجيد الاسرار . ومتى يطلبون الرحمة من الله لنفوسهم ولاولاد البيعـة ويلتجئون لدعا والدتهِ وقديسيه . ومتى

يحنون رؤوسهم لجسد الرب . ومتى يتقدمون لتناولهِ بكل طهارة . ومتى يسجونهُ ويحمدونهُ . وقد قلنا في الشرح الاول ان تقدمة الاسرار لايقوم بها الكاهن فقط بل جميع الحاضرين ايضاً ومن ثم وجب على كل واحد ان يقدّم نفسهُ ضحية الرضا لله ويقرب الطلب مع الكاهن عن الاحياء والاموات . وعند ما تُقرأ قطع من الكتب المقدسة ويُتلا سرّ الايمان وتقدم الاسرار ينبغي ان يكون حاضرًا بايمان وانسحاق مع الكاهن . ومن يده ياخذ البركة والسلام وجسد الرب ولو لم يتناولهُ الّا في النيّة والضمير . ويتأمل ايضاً كيف ان ملائكة الله يحتاطون المذبح بخوف ورعدة وكيف ان الروح حالة عليه . وكيف ان الله في هذا السرّ العظيم اظهر لنا قدرته وحكمته ورحمته حتى انهُ اعطانا بهِ كل شيء . ولذلك يشكرهُ شكرًا دائماً من كل قلبه ونيته ويسأَلهُ العفو عن كل ما سلف منهُ والمعونة ليتمم هذه الحياة في طاعته ورضاه . ويجب على جميع المؤمنين ان يحضروا القداس في الاعياد الجليلة الى وقت الختام كما امر الرسل في القانون التاسع « ايما رجل دخل الكنيسة وسمع الكتب المقدسة ولم يشترك في جميع الصلوات الى الختام وصدَّ بوجههِ عن اخذ القربان الطاهر فلينفَ من كنيسة الله » واوصى القديس باسيليوس ان لايخرج احد من الكنيسة بلا ضرورة بعد قراءة الانجيل المقدَّس الّا بعد رفع القربان وبركة الكاهن والتسريح

فاستنادًا الى هذه الادلة وامثالها اثبت علماء الكنيسة ان كل مؤمن يلتزم ان يسمع القداس بتمامهِ ومن ترك منهُ جزءًا كبيرًا باهمال يسقط تحت اللوم . واما خدام الكنيسة الذين يسعون في ما يخص الخدمة فما عليهم جناح اذا امتنعوا عن حضور بعض اجزاء القداس على غير تهامل او تراخٍ وكذلك العوام اذا حضروا الجزء الذي يتقدَّم قراءة الانجيل ثم اضطروا ان يخرجوا من الكنيسة قبل صلاة الشكر لاجل الضرورة لا يحسب عليهم ذلك خطية كاملة . اما اذا لم يحضروا القداس او حضروا جزءًا من هذا وجزءًا من الآخر فانهم لا يبرأون من اللوم . ومن

اجل هذا أمر الآباء كهنة الرعية ان لا يسرعوا الى القداس باكراً بل يحرصون على جميع الذين اؤتمنوا على تدبيرهم على مثال الراعي الصالح الذي لا يسرح غنمه حتى تحضر الكراريز والمرضعات والفتيات والعرج

الفصل الخامس

في فوائد حضور القداس الطاهر

ان ابانا القديس يوحنا مارون المعظم تكلم في دعوة الروح عن اثمار القربان والفوائد الناجمة عن حضوره قائلًا « امنح ايها الرب الاله ان يتبرر بهِ الخاطئون . ويرضى المغضبون والمتباغضون ويتسلى الحزانى ويبرأ المرضى وينفرج المضايقون . بهِ الانبياء يُذكرون والرسل يُشرفون والشهداء يملكون والمعترفون يسرّون . التائبون يكثرون . والملائكة يبتهجون . الموتى يُفتقدون . وبهِ يتمجد لاهوتك ويتعظم احتجابك . ويمتدح ارتفاعك . ويسجد لتثليثك ايها الآب والابن وروح القدس » وعلى شبه ذلك تطلب الشمامسة في التذكارات . وخاصة في التضرع الاخير في القداس . لان سرّ هذه الخدمة الالهية متوقف على ان يشترك جميع الحاضرين مع الله ومع بعضهم في جسد واحد وروح واحدة . وكما ان جميع اعضاء الجسد تغتذي بقوت واحد وتستفيد منهُ المقدرة والشفا وتزداد ايضاً لكي يعتصم كل واحد منها بالذي يقربهُ لتتعبد لقوة الروح التي تحركها . كذلك جميع الذين يحضرون خدمة الاسرار المقدسة يشتركون فيها كما يجب ويعتصمون بالمحبة وتقريب الطلب عن بعضهم بالتقديس والتسبيح لله الذي افاض إنعامه ومعجزاته عليهم اذ ان المقصود بخدمة القداس . اولًا تمجيد وتقديس الله الذي بقدرتهِ الباهرة يحوّل الخبز والخمر الى جسد ودم ابنه الكريم . وبحكمتهِ الغير المدركة يظللهما بالاعراض الحقيرة . وبمحبتهِ الخاصة يقربنا اليهِ . كما يتقرب القوت للجياع . وبعدلهِ غير الموصوف يعطينا المرهم لشفا ضربات الخطية . ولاجل هذا لم نزل نحمدهُ ونمجده ونعظم مراحمه من اول القداس الى آخره

ثانيًا . ان خدمة القداس هي تكرار حياة المسيح . ولذلك نتذكر بها اسرار تجسده وميلاده وبشارته وآلامه وموته وقيامته . وجلوسه عن يمين القدرة مترجين ان يكون لنا كل ما نسأل باسمهِ

ثالثًا . اننا بهذه الخدمة الشريفة نتذكر الملائكة وشفاعة السيدة . وتعليم الرسل . وآلام الشهداء ونسك المعترفين . واحسان جميع الصالحين . ونتخذهم لنا شفعاء متوسطين بحاجاتنا امام كرسي الحق لكي نحظى بالرحمة والغفران

رابعًا . ان حضور القداس يزيد فينا الايمان اذ نقرّ ان المحتجب تحت اشباه الخبز هو مخلص العالم . وعنصر الحياة . ثم الرجا اذ نعتقد ان الموضوع على المذبح هو باب الرحمة ومعين الخلاص ومن يرجوه لا يخزى . ثم المحبة اذ نقدّم نفوسنا واجسادنا للذي اخضع ذاتهُ لاجل محبته لنا . ثم تزداد خشوعًا وعبادة وطهارة وبقية الفضائل اذ نُخضع لهُ ذواتنا لنرزق الاتحاد معهُ

خامسًا . اننا في حضور القداس نأمل مغفرة الخطايا وترك العقاب الابدي . فان كان دم الجداء والعجول يرش في الشريعة العتيقة على النجسين والمدنسين ويطهر اجسادهم فكم بالحري دم المسيح الذي بالروح الابدي قرَّب نفسهُ لله بلا عيب

سادسًا . في القداس الطاهر يحضر ابن الله في الاسرار ويوزّع نعمه وخيوره على الذين يحضرون بثقة الايمان . واذا كان الله اعطانا ابنهُ فكيف لا يعطينا معهُ كل شيء . وقد شهد انهُ لم يأتِ الّا لتحب لنا الحياة ويصير لنا افضل

سابعًا . ان جميع الذين يحضرون تقدمة ابن الله يربحون أيدًا من العلا لقهر الاعداء والسلوك في سُبل الفضائل وينالون كل ما يطلبون لنفوسهم ولاخوتهم المشتركين معهم في الدعاء لاجل شرف الذبيحة الالهية . فاذا كان شاول بسبب حضوره بين اولاد الانبياء كان يتنبأ . وبطرس بظلّهِ كان يشفي المرضى . وقائد الجيش والحراس كانوا يقرعون صدورهم ويقرّون ان المصلوب هو ابن الله لاجل حضورهم عند صليبهِ . فكم يربح اذًا الذين يحضرون تقدمة دمه وجسده بثقة

الايمان وصفاء النية . كما قال الرب بنفسهِ عن كاس دمه انها تُهرق من اجلكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا

ولهذا حقق جميع علماء البيعة ان الذين يحضرون خدمة الاسرار يحظون بنعم وخيور جزيلة . وبخلاف ذلك من يحتقرون هذه الخدمة الالهية ويهملون سماع القداس في الايام المأمورة . او يشغلون نفوسهم باحاديث باطلة او يفضلون عليهِ الامور الدنيوية او يقلقون الناس بجباية الاموال فان هؤلاء يستوجبون النقمة والعقاب في الدنيا والآخرة . كقول البيعة في خدمة الاسرار « الويل لمن يحقر يوم الاحد المعظم . لان الآب والابن ينكرانه وروح القدس لا يقبلهُ »

الفصل السادس

في هل يلتزم المؤمن بحضور القداس في كنيستهِ دون غيرها

قلنا في ما سبق ان كل مؤمن ملتزم بحضور القداس في الايام المأمور بها والمراد بذلك انهُ ملتزم بحضوره في الكنيسة التي ينتمي اليها عملًا بقوانين البيعة القائلة ان الكهنة في ايام الآحاد والاعياد يجب عليهم ان يسألوا الشعب قبل الابتداء بخدمة الاسرار هل قصد كنيستهم رجل غريب من غير رعيّتهم فاحتقر كاهنه وسمع القداس عندهم . فان وجد احد اخرجوه سريعًا الى خارج البيعة . وذلك اولًا لانهُ كما ان الرب اوجب على الكهنة ان يهتموا برعاية الخراف الناطقة التي اؤتمنوا على سياستها كذلك جعل لهم الحق على الخراف لكي يخضعوا لاوامرهم ويسمعوا اصواتهم ويتبعوهم . وكما يلام الكهنة اذا تهاملوا في ارشاد شعبهم كذلك يؤنب المرؤوسون ويؤدّبون اذا احتقروا صوت رعاتهم وتبعوا اصوات غيرهم . قال الحكيم « اسمع يا بنيَّ تأديب ابيك ولا تنبذ شريعة املك » (١ . والحال ان ابا الشعب هو الكاهن وامه هي الكنيسة وكلاهما ولداه من بطن المعمودية . وغذّياه بلبن التعليم وخبز الحياة . فاذًا كما ان الابناء لا يربون الّا في بيوت آبائهم

١) امثال ١ : ٨

ولا يتدربون الّا بتأديبهم كذلك يجب ان يكون الشعب مع خوريهم في الكنيسة التي يتربون فيها

ثانياً . قال الرسول « ان كل حبر متخذ من الناس يقام لاجل الناس فيما هو لله ليقرّب تقادم وذبائح عن الخطايا » (١ . وخوري الرعية هو الذي يُقام برضاهم ويرتبط بما يخصهم من عماد اولادهم وتكليل عرسانهم وعيادة مرضاهم وزرع الصلح والمحبة فيما بينهم ودفن موتاهم ولهم ومن اجلهم يقرب لله الدعاء والقرابين . اذاً كل من يفارقهُ من غير ضرورة داعية يكون ساعياً في هلاك نفسهِ

ثالثاً . يقدم الطلب في كنيسة الرعية من اجل رجوع البعيدين وحفظ القريبين . من اجل فرج المتضايقين وتعزية المرضى والمذنبين . من اجل الاحياء وراحة الموتى المؤمنين . ومن اجل احتياجات البيعة وانتشار الدين . اذاً من عزل نفسهُ برضاه من شركتهم فقد ارتضى ان لا يكون لهُ نصيب من الفوائد التي تأتيهم من الله

رابعاً . اوصى الرسول قائلاً « كونوا مجتهدين في حفظ وحدة الروح فانكم جسد واحد وروح واحد » (٢ . وهذا الاتفاق يوجد خاصةً في كنيسة الرعية حيث يجتمع الشعب كالاعضاء في جسد واحد لتعليم الايمان وزياح الشهداء والصليب وتبريك الماء والشعانين . وتوزيع اسرار البيعة المقدسة . حيث تصير المناداة بالاعياد المامورة بطالتها والايام المفروضة قطاعتها . حيث تتجمع الحسنات لاجل المحتاجين وتُقرأ مكاتيب الرؤساء على الطائعين والمخالفين ويُهتم بما يتعلق بهم عموماً وبكل فرد منهم خصوصاً . فمن احتقرهم ونكب برضاه عنهم قاصداً غير كنيسته فقد اشبه الغنمة الضالة والعضو المقطوع . وما الكاهن الغريب الّا كالعبد المستأجر حين تقبل عليهِ صعوبة او يقع في مشكل خفيف فانهُ يترك الغنم ويهرب . ولاجل ذلك أمر الرسول الشعب ان يطيعوا مدبريهم ويسالموهم ولا يخالفوا لهم كلاماً .

---

١) عبرانيين ٥ : ١ ٢) افسس ٤ : ٤

وقيل انهُ في عهد البابا خسوسطوس الرابع تشكى خوارنة الرعايا على جماعة من الرهبان أنهم كانوا يتعاطون امور الشعب ويحملونهم على سماع القداس والصلاة في اديارهم لا في ايام الآحاد فقط بل ايضاً في سائر الايام المأمورة بطالتها . فلما انتهى الامر الى مسامع الحبر الاعظم نهى الرهبان عن ذلك وامرهم ان لا يعودوا لمثله لان الشعب ملتزم ان يسمع القداس في كنيسة الرعية كما هو محرر في قوانين البيعة « ان اولاد الرعية في ايام الآحاد والاعياد يجب عليهم ان يحضروا القداس في كنيسة الخورنيّة ما لم يكن هناك ضرورة ماسّة تقضي عليهم بالتغيّب » . وقد اوجب الآباء الاطهار الذين عقدوا المجمع في ترنت في الجلسة الثانية والعشرين ان الواعظين والكهنة ينبغي لهم ان ينبهوا الشعب الى المواظبة على القداس اقل ما يكون في الاعياد الجليلة والآحاد

وفي الجلسة الخامسة والعشرين امروا الاسقف ان ينصح الشعب باجتهاد ويعلمهم بان كل واحد منهم ملتزم بالحضور في كنيسة الرعية ليسمع كلمة الله على قدر الامكان ما لم يحُلْ دون ذلك مانع موجب

ولما كان رأس الكهنة أباً للكل ولهُ السلطة على رعيتهِ الذين اؤتمن على رعايتهم وتدبيرهم من الرب وجب على الجميع ان يسمعوا كلامه ويتدبروا برايه كما يأمر المجمع المذكور في الجلسة الثانيــة والعشرين قائلاً « ان رؤساء الكهنة لهم مطلق السلطان انهم على قدر معرفتهم وتقوى الله يمنعون الشعب ويصلحونهم ويصونونهم ويلزمونهم بحفظ ما يضعونهُ من السنن . ومن خالفهم فليؤدب بموجب القوانــين الكنائسية وغيرها . وكل عادة او سلطان او تحليل يكون بخلاف ما ذكرنا فليكن باطلاً » . والمراد بكل هذا ان الكهنة يلزمهم ان يجتهدوا في خلاص رعاياهم كما هو مكتوب « ان الراعي الصالح يبذل نفسه دون خرافهِ » وبذلك يستحق اكليل المجد من رب الرعاة في الملكوت . وان الشعب يجب عليهم ان يخضعوا ويطيعوا لرؤسائهم الحاملين خطاياهم فيجازيهم الله على ذلك بالمكافآت الحسنة في الآخرة . والّا فان

احتقروهم فانهُ يُحل بهم نقمته كما هو مكتوب « من قبلكم قبلني ومن احتقركم احتقرني » (١

الفصل الأَخير

في الضرورة التي تعفي من حضور القداس

لما كان سماع القداس الطاهر مفروضاً من الكنيسة لا من الرب بنفسهِ أثبت علماء الناموس ان الضرورة تسوّغ للمؤمن ان يمتنع عنهُ وذلك في الاحوال الستة الآتية. الاولى اذا كان الكاهن عاجزًا اي محروماً او مربوطاً من رئيسهِ او مريضاً او محبوساً او مسافرًا. وهكذا ايضاً اذا كان تابعاً لاصحاب البدع وكان أمره واضحاً فان الاشتراك معهُ يكون اذ ذاك محرّماً لانهُ يتصرَّف في اسرار الله بخلاف ما رتبت البيعة

الثانية . اذا كان المؤمن مريضاً او محبوساً او مسافرًا في البحر او في البر . وهكذا المؤمنة اذا كانت نُفساء لان هذه الامور وامثالها تعفي من سماع القداس

الثالثة . اذا عاقهُ مانع روحي كأن يكون محروماً او منفياً من البيعة او كان تحت كفالة او رهن الى زمان معلوم واقسم انهُ لا يبرح البيت . وهكذا اذا توهم انهُ يتورط بخطية في الطريق او يعرض على اولاده في غيبته عارض مشؤوم وما شاكل ذلك

الرابعة . اذا أخّره مانع جسدي كما لو خشي اعتراض اللصوص على الطريق او تهدُّم الكنيسة او اذا كان سماع القداس يؤخره عن ميعاد سفر المركب أو القافلة او خاف ان يُنهب بيته او يسقط اولاده عن السطح او في النار او في النهر بغيابه . وهكذا اذا كان ناقهاً فخاف شرَّ الانتكاس او كان متوكلاً بمريض فخاف ان يعرض لهُ عارضٌ وكما لو كان عبداً فخاف من سيده ان يضربهُ او خادماً فخشي من مولاه ان ينزل بهِ شرًّا او بحّارًا مأمورًا بان لا يفارق السفينة او جنديًا ملتزماً بالطاعة لقائده

١) متى ١٠ : ٤٠

او فلاحاً خاضعاً لامر الشيخ . وهكذا المرأة تعفى ايضاً اذا امرها زوجها ان تعدّ الطعام للمدعوين الى بيتهِ . الخ

والخامسة . اذا خاف ان يصيبهُ ضرر في ما هو موكَّل عليهِ كحراس الابراج والحبوس في ايام الحصار . وحجّاب الملوك واهل مشورتهم في اوان الخوف . وكذلك رعاة الماشية ونواطير الكروم وسكان البساتين والدور المنفردة اذا خافوا هجمة من الوحوش الكاسرة او غارة اللصوص او مضرّة الاشرار . اما اذا كانوا كثيرين فيلتزم ان يحضر القداس فريقٌ فريقٌ منهم بالمناوبة

السادسة . اذا خشي انثلام عرضه ومذمة الناس كما لو كان بالي الثياب او عرض لهُ عارض خارجي يُعيَّر بهِ ولم يتمكن ان يسمع القدّاس سرًّا قبل تعارف الوجوه . وهكذا تُعذر ايضاً العروس الجديدة والبنات الابكار في البيوت جريًا مع عادات البلاد . اما اذا كنَّ يحضرنَ المراقص والملاهي فيخطئنَ اذا امتنعنَ عن بيت الله . والواجب على الآباء ان يستصحبوا اولادهم الى الكنيسة متى بلغوا السابعة كما يجب على الامهات ان يُعنَينَ ببناتهنَّ من هذا القبيل والسادات بعبيدهم والمعلمين بصنّاعهم والرؤساء بمرؤوسيهم لان الروح افضل من الجسد وخدمة الله افضل من خدمة البشر ومن لم يستمدّ المعونة من لدن الله فباطلًا يتعب كقولهِ الصادق « اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرّه وهذا كله يُزاد لكم » (١

النتيجة

يُستدل من الشروح الثلاثة التي تقدَّم ذكرها ان القدّاس الطاهر في المنارة المضيئة يدل على جسد السيد المخلص لا بالاشارة والرسم كما كان تكهين القدماء بل بالحقيقة والصدق كما سبق البرهان من غاية القدّاس واساميه وماهيته ودلائله في الشريعتين العتيقة والجديدة ومن فضلهِ وشرفه على سائر القرابين

١) متى ٦ : ٣٣

ثم من اجزائهِ وتأليفهِ بحسن الرتبة والهيئة ومن التزام الكهنة بخدمتهِ والشعب بحضوره . فقد اثبتنا اولاً في كلامنا عن غاية القداس ان البيعة ما اقامت هذه الخدمة على ما تسلمت من الرب الا ليُقدَّم بها جسده ودمه عهداً ابديًا الى نهاية الدهر . وفي كلامنا على اسامي القداس اثبتنا انهُ يحوي جسد الرب ودمه ليقرّبنا اليهِ ويجمعنا في صحبتهِ . وفي كلامنا عن ماهيتهِ برهنّا ان جوهر الخبز يتحوَّل بخدمتهِ المقدسة الى جسد الرب وجوهر الخمر الى دمهِ الكريم على ايدي الكهنة . واوضحنا ذلك ممَّا اوحى الله لشعبه في العتيقة واسلمهم في الجديدة . وهو ان هذه الضحية قد كملت بها جميع ضحايا القدماء وانها تدوم في كل زمان ومكان الى مجيئهِ الثاني وانها سرّ يمنح الحياة لمن يتناولهُ وذبيحة تقدَّم لمجد الله ولمغفرة خطايا الشعب . وفي الكلام على شرفه وفضله اوضحنا ان تقدمتهُ تساوي التقدمة التي قرّبها المخلص في العلية وعلى الصليب . وانها تفضل جميع قرابين العتيقة كما تفضل الحقيقة الرسم . وفي الشرح الثاني اثبتنا ان خدمة القداس لم ترتّب على راي الناس بل بحسب ما سلمنا ذلك الحاوي كمال اللاهوت

وقد رتّب الرسل اجزاء القداس كما صنع وامر كهنته ان يصنعوا . ومن تعليمهم بالمشافهة والكتابة تسلمنا كيف يكون تصرف الكهنة وتدبيرهم في الكلام والحركات لكي تكون خدمة الرب جليلة بالهيئة والرتبة وذات كل كرامة على قدر الامكان . وكما برهنا في الشرح الثالث عن اعياد العتيقة والحديثة انهُ مثلما أمر الله بتقديس السبت وجعلهُ لقراءة الناموس وتقدمة القرابين لانهُ فيهِ استراح من الخليقة الجسدية . هكذا ابنهُ الوحيد امرنا بتقديس الاحد لانهُ فيهِ استراح من تجديد الخليقة الروحية وقد امر الرسل الاطهار ان لا ينقطع القداس فيهِ واوصت البيعة المقدسة جميع المؤمنين ان يعتزلوا الاعمال فيهِ وفي سائر الاعياد الصارخة ويتفرغوا للاهتمام بخلاص نفوسهم ويحضروا القداس ويسمعوا كلام الله ليتحدوا معهُ نفساً وجسداً

المنارة الثانية

في مواضع اقامة القدّاس الطاهر

قال الرسول لتلميذه تيموتاوس . تعلم كيف يجب عليك ان تتصرَّف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته » (١

صدر القول

ان بيت الله سماه بولس لسان العطر عمود الحق وقاعدته لان الله جعل فيهِ كلمتهُ الصادقة وقد صوَّره الملاك لزكريا النبي بهيئة المنارة كما هو مكتوب انهُ اختطفهُ بالروح وقال لهُ « ماذا أنت راءٍ فقال اني رأَيت فاذا بمنارة كلها ذهب وكُوبها على راسها وعليها سبعة سرج وسبعة مساكب للسرج التي على راسها » (٢ وماذا عسى ان تكون تلك المنارة والسرج التي فوقها فقد اجابت البيعة عن ذلك في صلاة تقديس البيعة قائلةً :

ܗܘܝܬܝ ܐܝܟܘܬ ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ . ܡܢܪܬܐ ܕܕܗܒܐ
ܕܚܙܐ ܙܟܪܝܐ ܢܒܝܐ ܗܕܝܪܐ ܥܒܝܕܬܗ . ܡܕܝܢ
ܐܝܟܘܬ ܡܢܪܬܐ ܕܕܗܒܐ ܠܗ ܢܘܗܪܗ ܐܠܒܫ ܠܟܠܗ
ܥܠܡܐ ܟܠܗ

اعني ان تلك المنارة هي بيت الله وكنيسته المقدسة والسراج المضيء هو السيد المسيح الذي اشرق فيها بالجسد الذي اخذه منا . كقول اشعيا « يخرج كضياء برّهُ وخلاصه كمصباح متقد » (٣ . ولذلك قال على لسان زكريا النبي « رنمي وافرحي يا ابنت صهيون فهاءنذا آتي واسكن في وسطكِ يقول الرب » (٤ فالرب

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٥ — ٢) زكريا ٤ : ٢
٣) اشعيا ٦٢ : ١ — ٤) زكريا ٢ : ١٠

أتى مرة واحدة وسكن في وسط البيعة بجسده في مدة حياته ثم لم يزل ساكناً فيها على المذابح الى انقضاء العالم كما كتب يوحنا الى الكنائس السبع ببلاد اسية فقال «انهُ رآها بالروح كسبع منائر من ذهب وفي وسط المنائر السبع شبه ابن الانسان» (١ . يريد بذلك ان ابن الانسان بعد ان صعد الى ابيهِ استمرَّ ثابتاً في الكنائس السبع وسائر كنائس المسكونة التي يُقدَّس بها جسده الى نهايةّ الدهر . وكما ان يوحنا شهد على بيعة الابكار في السماء انها غير مفتقرة الى الشمس ولا القمر ليضيئا فيها لان مجد الله انارها ومصباحها الحمل (٢ . كذلك البيعة الارضية التي نزلت من السماء لا حاجة لها الى براهين الغرباء وتعاليمهم لان مجد الله الاب حالٌّ في هيكلها وعلى مذابحها يُقدَّم جسد الحمل الذي هو افضل من المصباح النير وبنوره تهتدي الامم وملوك الارض حاملين المجد والعزّ اليها . فعلى هذه المنارة ذات الشعاع الساطع اهاج العدو الغادر بجنسنا رياحاً عاصفة قاصداً ان يزعزع قواعدها ويقاوم نورها فبعث الكفَّار واغرى الملوك ليضعوا السنن الجائرة فيخربوا الكنائس ويهدموا المذابح ثم اثار الشعب اليهودي لكي يبعثر مقادس الرب بعد ان قتل اله المجد وما لبث ان هيج بني طيّ الذين خربوا المذابح وهجروا الكنائس ووطئوا المقادس وبدّدوا ذخائر القديسين كما هو مذكور عنهم في مساء الثلاثاء . ثم اقام المبتدعين ليضطهدوا بيوت الله بارائهم الفاسدة وعقائدهم الملتوية . فقال بعضهم كاوسطاكيوس واتباعه ان الهياكل مضادة لعبادة الله . وآخرون كماني وشيعته زعموا ان الكنائس وجميع البرية هي خليقة اله الشر . وغيرهم ككلوينوس والقائلين بمقالتهِ انكروا تقدمة جسد الرب وزعموا ان المذابح والكنائس غير محللة . الا ان هذه المنارة الثابتة لما ناصبها اصحاب البدع وناقضها الطائيون وهبّت عليها سموم اليهود واثار عليها الكفَّار عواصف الاضطهاد لم يقووا على اطفاء نورها . لان الحمل مصباحها ولم يتمكنوا من هدمها لانها مبنية على الصخرة الثابتة . ونحن نقسم هذه المنارة الى

١) رؤيا ١ : ١٢ ‏ ١) رؤيا ٢١ : ٢٣

ثلاثة شروح . ففي الشرح الاول نتكلم عن الكنيسة . وفي الثاني عن المذبح . وفي الثالث عن الآنية المقدسة



الشرح الاول

في الكنيسة وما يتعلق بها

الفصل الاول

في غاية بنيان الكنيسة

الكنيسة هي موضع عام معدّ لاجتماع المؤمنين لخدمة الله وتوزيع امور الايمان فكما ان الملوك الارضيين يشيّدون دوراً للقضاء وسماع الدعاوي وسنّ الشرائع اقتضى العدل ان تُبنى ايضاً مواضع يجتمع فيها بنو الايمان لسماع الامور الالهية والقوانين الانجيلية وتعليم الشعب الاعتقاد القويم وتعزيتهم في اوقات المجاهدة وتوزيع اسرار الرب التي يولدون فيها بالروح وينشأون بحسب سلطان الحِل والربط الذي وهبهُ المسيح لبيعتهِ. وهذه المواضع هي الكنائس المقدسة التي نجتمع فيها كل يوم

لسماع كلمة الله ونناول الاسرار. فان الرب منذ البدء قد امرنا بلسان الرسول ان نكون مجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السلام قائلًا « انكم جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم الى رجاء دعوتكم الواحد » (١. ومن اين لمن كانت آراؤهم منقسمة وطبائعهم مختلفة ان يحرصوا على حفظ الاتفاق بالروح اذا لم يجتمعوا في مكان واحد و يتمسكوا بايمان واحد ورجاء واحد ومحبة واحدة وعبادة واحدة

وقد اخبرت التواريخ القديمة ان جميع الشعوب ولو ضالّين عن معرفة الحق كانوا يقيمون لهم كهنة ومواضع جامعة لعبادة اصنامهم الكاذبة. اما الشعب الاسرائيلي فانهُ غيّر المدارس والجوامع التي كانت للصلاة وقراءة التوراة منذ قبل الناموس وامره الرب باقامة قبّة الزمان من خشب لكي يستصحبها في طريقه . ولما ان انتهى الى ارض الميعاد واستراح بنى لهُ سليمان الملك الهيكل لكي يجتمع فيهِ كل الشعب لسماع كلام الله وتقدمة القرابين . وامر الرب ان لا يُقدَّم لهُ قربان الّا في ذلك الموضع ويصعد اليهِ جميع الشعب فيتفق الجميع برتبة واحدة وشركة واحدة كقول داود « فرحت بالقائلين لي الى بيت الرب ننطلق . وقفت اقدامنا في ابوابك يا اورشليم . اورشليم المبنية كمدينة ملتئمة ذات اتحاد . الى هناك صعدت الاسباط » (٢. فبماذا تبتهج الروح التقية الّا بان ترى جميع الشعب يصعدون من جميع الجهات الى موضع واحد وهناك بشركة الروح واتفاق الجسد يجتمعون لخدمة الباري . ولهذا كان جميع المسيحيين في الصدور الاولى من النصرانية مع كونهم قليلي العدد ومستذلين تحت نير العبودية يقفون بيوتهم ومزارعهم لخدمة الله

واخبرتنا الكتب المقدسة ان الرسل كانوا يجولون الارض ويتلمذون القبائل ويقيمون الكنائس في جميع البلاد لاجل الصلاة واجرانًا لاجل الصبغة ومذابح لاجل تقدمة جسد الرب وكهنة وقوانين لكي ينظروا كل وقت لدى قيامهم بتوزيع اسرار البيعة امام عيني الشعب الى الرب الذي قدَّم نفسهُ لاجل خلاصهم والى المواهب والنعم

١) افسس ٤: ٤ ٢) مزمور ١٢١: ١

التي تفضّل بها عليهم . كما تخبرنا البيعة في تقديس الطبليت اذ تقول « عندما امتلأ من روح القدس اولئك الذين كانوا منذ البدء يبصرون ويخدمون الكلمة بافعال مختلفة اقاموا بِيَعاً ونصبوا مذابح وأسلموا المعمودية التي تحوي ذخيرة البنين وسنُّوا النواميس وحدَّدوا قوانين الكهنوت » . وكتب بولس المغبوط الى اهل كورنتس يوبخهم على امور شتى اولها انهم لدى قراءة الكتب المقدسة لم يكونوا يحفظون الترتيب الحسن ليتمكن الجميع ان يتعلموا ويوعظوا على ما يجري « في جميع كنائس القديسين » (١ . وثانياً ان نساءهم كنَّ يتكلمنَ بصوت عالٍ في الكنائس ومن ثم اوصاهم قائلًا « لتصمت نساؤكم في الكنائس فانهُ لا يباح لهنَّ ان يتكلمنَ بل عليهنَّ ان يخضعنَ كما يقول الناموس ايضاً . فان ابتغينَ ان يتعلمنَ شيئاً فليسألنَ رجالهنَّ في البيت . فانهُ عار على النساء ان يتكلمنَ في البيعة » (٢ . ثالثاً انهم لم يكونوا يفرقون بين بيعة الله ومنازلهم فكانوا يحتملون اليها مآكلهم ومشاربهم فيسكر بعضهم ويجوع الآخرون ولهذا قال لهم « أفليس لكم بيوت تأكلون فيها وتشربون ام تزدرون كنيسة الله وتخزون الذين لا شيء لهم » (٣ . رابعاً انهم ما كانوا يفرقون بين خبز الرب والخبز الاعتيادي ولهذا قال لهم « ان من يأكل ويشرب على خلاف الاستحقاق انما يأكل ويشرب دينونة لنفسهِ اذ لم يميز جسد الرب ولذلك كثر فيكم المرضى والسقام ورقد كثيرون » (٤ واوصاهم اخيراً قائلًا « اذا جاع احد فليأكل في البيت لئلا يكون اجتماعكم للدينونة »

فمن هذا كله يتبين جلياً ان المؤمنين منذ اوائل الكنيسة ومن ايام الرسل الاطهار كانوا يميزون بين المنازل والبيع فكما انهم كانوا يتخذون المنازل للسكن كذلك كانوا يتخذون الكنائس لخدمة الله وتهذيب شعبه اي للصلاة والتعليم وتوزيع الاسرار . وتقديس جسد الرب ومناولته للشعب . ولهذا سنّ الآباء ان لا يقدَّس هذا السر

١) ١ كورنتس ١٤ : ٣٣ ٢) ١ كورنتس ١٤ : ٣٦

٣) ١ كورنتس ١١ : ٢٢ ٤) ١ كورنتس ١١ : ٢٩

الا في كل موضع يقدسهُ الروساء. كما سنثبت ذلك في آخر هذه المنارة ان شاء الله

الفصل الثاني
في اسماء الكنيسة

ان الآباء القديسين سمّوا الكنيسة باسماء مختلفة ككنيسة ومجمع وبيت الصلاة وبيت الله ومكان الشهادة و بيعة وهيكل وصيرة وما شاكل ذلك. فسمّوها كنيسة اي جامعة لكون المؤمنين يجتمعون فيها للصلاة وتقدمة القربان فقد كتب « حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون الثالث بينهم » (١ . ولما كان اهل كورنتس يزدرون بكرامة الكنيسة غير مجتمعين لتقدمة جسد الرب بل للاكل والسكر وبخهم الرسول قائلاً « فانكم عندما تجتمعون معاً ليس ذلك اكل عشاء الرب لان كل واحد يبتدر الى اكل عشاء نفسهِ فيجوع الواحد ويسكر الآخر » (٢. وتسمّى الكنيسة بيت الله ومسكنه وقبته ومظلته ومحل مجده لان الله اختار هذه المواضع لذاتهِ وللسكنى بين شعبه. كما هو مذكور في سفر التكوين ان يعقوب لما كلّم الله في القفر نصب قائمة من حجر وصبّ عليها دهناً وسمّى ذلك الموضع الذي تراءى له فيهِ بيت ايل اعني بيت الله. فان كان ذلك الموضع سمّي بيت الله لاجل حلول مجده فيهِ مرة واحدة فبنوع احرى ينبغي ان تؤخذ هذه التسمية للمكان الذي يحل فيهِ كل يوم بلاهوتهِ وناسوتهِ. وتسمّى الكنيسة بيت الصلاة لانهُ فيها يجتمع بنو الايمان لتقريب الطلب والصلاة. كما كتب « بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص » وتسمّى الكنيسة بيت الشهداء كما هو واضح من اقوال الآباء في المجامع والميامر. فقد قيل في مجمع خلقيدونية ان الاكليروس القامين على بيوت الشهداء والاديرة و بيوت المساكين ينبغي ان يخضعوا لسلطة الاسقف لانهُ يحتفل

١) متّى ١٨ : ٢٠   ٢) ١ كورنتس ١١ : ٢٠

فيها باعياد الشهداء وتذكاراتهم ومنذ القدم أمر الآباء ان لا تبنى الكنائس الا فوق عظام الشهداء وذخائرهم

وتسمّى عيداً لان المؤمنين يشتركون بها في اعياد القديسين وتقدمة القرابين . كما نطلب عند دنوّنا من المذبح اذ نقول مع داود « زيّن يارب اعيادنا باغصان مشتبكة الى قرون المذبح » (١ . وليس من كنيسة الّا وفيها مذبح . ولا عيد الّا ويجب ان تكون فيهِ ذبيحة . ولا تكمل فرحة العيد الّا بتقريب الذبيحة

والكنيسة كما تقدم القول انما هي موضع معدّ لتقدمة القرابين . وبمقتضى ذلك كان يطلب داود قائلًا « ايد يا الله ما صنعت لنا من هيكلك في اورشليم . ان الملوك يقدمون الك هدايا » (٢ . وسمّى الآباء عليّة صهيون ܐܣܟܠ ܘܟܬܒܐ لان الرسل اعدّوا فيها اولًا الفصح وتقدمة القربان للرب . وقال يوحنا عن البيعة المقدسة « وانا يوحنا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلةً من السماء من عند الله مهيأة كالعروس المزينة لرجلها وسمعت صوتًا عظيماً من العرش قائلًا هوذا مسكن الله مع الناس » (٣ . اما العرب فيسمّون الكنيسة بيعة . اما من المبايعة لاننا فيها ننتخب اولاد الايمان الى درجات الكهنوت . واما من البيع لان الرب بدمهِ الكريم ابتاعنا من عبودية الشيطان . كما كتب الرسول « ان من دعي في الرب وهو عبد فهو معتق للرب . وكذلك من دعي وهو حرّ فهو عبد للمسيح . قد اشتُريتم بثمن فلا تصيروا عبيدًا للناس » (٤ . وكتب في اعمال الرسل ينبه الكهنة قائلًا « فاحذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيهِ الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ » (٥ . ولك ان تقول ان بيعة مشتقة من السرياني لان ܒܝܥܬܐ

١) مزمور ١١٧ : ٢٧
٢) مزمور ٦٧ : ٢٩
٣) رؤيا ٢١ : ٢
٤) ١ كورنتس ٧ : ٢٢
٥) اعمال ٢٠ : ٢٨

معناها البيضة والكنائس تبنى بجنايا على شبه البيضة ويكون طولها اعظم من عرضها • وتسمى البيعة ايضاً هيكلًا والهيكل في عرف الكُتَب يطلق على كل بناية متسعة كما نقرأ في بدء نبوّة دانيال • ܠܡܩܡ ܒܗܝܟܠܐ ܕܡܠܟܐ ܘܠܡܫܡܫܘܬܗ اعني ليقوموا في قصر الملك وخدمته • وبعد قليل مذكور ان الملك كان يتمشى في هيكل مملكة بابل وكذلك مكتوب انهُ كان لنابوت كرم ملاصق لهيكل اخاب ملك شمرين • وانتقلت هذه التسمية بعد ذلك الى هيكل سليمان وبيوت الاصنام • وكان بعض الآباء منعوا تسمية الكنائس بهذا الاسم لكنهُ لما انتشرت الديانة المسيحية اطلقت هذه التسمية على الكنائس فسموها هياكل كقول الآباء في مجمع اللاذقية « لا يجوز ان تقام في هياكل الله محافل ومجالس الاكل » واوصى يعقوب الرهاوي بان تنقل عظام الشهداء من الهياكل الخالية الى البيع الجامعة • هذا وان الكنيسة تسمَّى باسماء كثيرة ايضاً فتدعى صيرة لانها مجمع الخراف المسيحية • كقول البيعة في باعوث الاثنين

ܒܥܕܬܐ ܕܝܢ܂ ܗܘܬ ܒܝܬܐ ܕܠܥܠܡ ܡܢܗ ܒܡܫܝܚܐ

وتدعى كذلك مدينة الله • وفندق الحياة • وحقلة البركات • وشبكة الايمان وجبل القدس • وبرج الخلاص • ومقصورة مزخرفة • وسفينة مبجلة . وقرية مثبتة • وميناء النجاة . ومنارة القدس وما شاكل ذلك

الفصل الثالث

في كيفية بنيان الكنائس

كما ان الله تعالى منذ البدء خلق بابنهِ جميع البرايا وبتجسده جدّدها على توالي الازمنة كذلك اراد ان يكون كل شيءٍ تابعاً لهُ عائدًا اليهِ . اما من حيث الكهنوت والمذابح والشرائع والقرابين فقد اثبتنا في المنارة الاولى انها رتبت في الشريعتين

العتيقة والحديثة لاسمهِ ولسرّ تجسده · واما من حيث الكنائس فيقول السروجي في الميمر الثامن والسبعين عن مجمع الاساقفة

ܡܫܟܢܐ ܙܒܢܝܐ ܐܪܙܐ ܗܘܐ ܡܢ ܩܕܡ ܕܐܬܒܣܪ

ܘܥܕܬܗ ܕܒܪܐ: ܩܝܡܐ ܠܥܠܡܝܢ ܕܠܐ ܫܘܠܡܐ

يريد بذلك ان الله ما امر باقامة مسكن الزمان الَّا لسرّ الرب · وكما ان ذلك العهد كان زمنيًّا لا بدّ عن تلاشيهِ بتجسد ابن الله · كذلك اراد انهُ يدعى زمنيًا وان يقع في يد الفلسطينيين بقرية شيلو ويستولوا عليهِ في الجلاء ليعرّفهم زواله وبطلانه · واما البيعة المقدسة فمن حيث انهُ خطبها بدمهِ واسسها بيده ووعدها بالجلوس عن يمينهِ فيريد ان تستمرّ الى الابد · ولما ان نزل الوحي على سليمان وابتنى لهُ هيكلًا من الحجر المتين بغاية الكرامة توهموا ان ذلك الهيكل يدوم الى الدهر · وكان الانبياء الكذبة يشدّدونهم في ذلك الوهم قائلين « هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب » يريدون بذلك انه لا يزول ولا يحول · ولهذا كانوا يدوسون وصايا الرب ويتبعون الآلهة الغريبة فارسل اليهم ارميا النبي قائلًا « لا تتكلوا على قول الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب فانكم ان اصلحتم طرقكم واعمالكم واجريتم الحكم بين الرجل وقريبه · ان لم تجوروا على الغريب واليتيم والارملة ولم تسفكوا الدم الزكي في هذا الموضع ولم تتبعوا آلهة أخر لمساءتكم فاني أُسكنكم في هذا الموضع في الارض التي اعطيتها لآبائكم من الدهر الى الدهر · ها انكم تتكلون على كلام الكذب الذي لا فائدة فيهِ . . . والآن بما انكم عملتم هذه الاعمال . . . فساصنع بهذا البيت الذي دعي باسمي والذي انتم متكلون عليهِ وبالموضع الذي اعطيتهُ لكم ولآبائكم كما صنعت بشيلو وانبذكم عن وجهي كما نبذت جميع خوتكم كل ذرية افرائيم » (١ كأن الله تعالى اراد بذلك ان يقول اني ما اخترتكم

١) ارميا ٧ : ٤

لاهملكم ولا بنيت هذا الهيكل لاهدمهُ . لكن افعالكم لا ترضيني لانكم تكذبون كلامي وتتبعون الانبياء الكذبة . فكما اني تركت جميع ذرّية افرائيم لما ان داسوا وصيتي هكذا اترككم وانبذكم عن وجهي . وكما صنعت في شيلو اصنع في هذا البيت الذي دعي باسمي وفي هذه المدينة التي اعطيتها لآبائكم . وقد صار كل ذلك فعلًا لان الله ارسل بختنصر سيف غضبه فاحرق الهيكل وهدم المدينة وسبى الشعب الى ارض العراق ولما ان تابوا امر الله بتجديد الهيكل . ثم انهم في عهد داريوس ملك الفرس انحشوا في الخطا فارسل لهم ابنه الوحيد لكي يحرضهم على الانابة والتوبة لكنهم بدلًا من ان يسمعوا صوته وينقادوا لكلامه فيتنعموا بالحياة هيجوا عليه بيلاطس ليصلبه قائلين « لا نريد ان يملك علينا هذا بل قيصر ملك رومية » فارسل لهم طيطس ملك رومية في سنة ثلاث واربعين من بعد صلبهِ . وعندما كانوا مجتمعين من كل البلدان لتعييد الفصح شدَّد عليهم الحصار وضايقهم حتى اكل بعضهم بعضاً ثم فتح الرومانيون المدينة قهرًا ودكوها الى الارض واحرقوا هيكلها ولم يتركوا فيها حجرًا على حجر . ويذكر يوسيفوس العبراني ان عدد الموتى والقتلى من الشعب بلغ احدى عشرة كرة . اما الاسرى فكانوا تسع كرات وسبعة آلاف . ولا يزالون الى آخر الزمان منفيين وهيكلهم خرابًا . ثم اصطفى بدلًا منهم الامم الغريبة لخدمتهِ واباح لها ان تبني الكنائس في كل مكان بدلًا من الهيكل وتقدم لهُ جسد ابنه الى انقضاء الدهر . كما سبق وتكلم بفم ملاخيا النبي قائلًا « اني لا مسرَّة لي بكم قال ربّ الجنود ولا ارضى تقدمةً من ايديكم . لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكانٍ تقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال رب الجنود » (١

ولئلا يتوهم احد ان بنيان الكنائس امر عارض او متعلق بارادة البشر . وجب ان نتكلم على بداءة الهيكل كما تكلمنا عن نهايتهِ فنقول : اخبرنا سفر

---

١) ملاخيا ١ : ١١

الخروج ان الله قبل ان امر موسى ببنيان المقدس اصعده الى الجبل واراه هناك شبهاً . ثم امره ان يصنع المقدس وآلته على ذلك الشبه الذي نظره في الجبل . وماذا كان ذلك الشبه الذي نظره موسى في الجبل فهذا لم يذكره الكتاب ولكن الرسول يقول « انهُ كان في السماء . وان كهنة اسرائيل كانت خدمتهم في ما هو اياء الي السماويات وظلّ لها » . (١

واما يوحنا فيخبر انهُ اختطف بالروح الى السماء ودخل مدينة الابكار . وابصر ما فيها وقصد ان ينظر كيف هيكلها فذكر انهُ « لم يرَ فيها هيكلًا لان الرب الاله القدير والحمل هما هيكلها ونهر ماء الحياة صافياً كالبلور خارجاً من عرش الله والحمل » (٢ . يريد بقولهِ انهُ لم يرَ في السماء هيكلًا ليحقق ان الله ليس يحل في هيكل صنعتهُ الايادي كما هو محرَّر في اعمال الرسل ولا يمكن ان تحصره السماء ولا يحتاج الى خدمة البشر بسبب ان السماء والارض ممتلئتان منهُ وهو بذاتهِ غير متحيز وغير مفتقر الى شيء . بل ان الرب الاله والحمل هما الهيكل ونهر ماء الحياة خارج من عرش الله والحمل والمراد بذلك ان الاب والابن وروح القدس هم قبة الحق وهيكل مدينة الابكار وهم الشبه الذي اظهره لموسى قائلًا « انظر واصنع كل شيء على المثال الذي انت مراهُ » (٣

فصنع المقدس من قبتين ودار كقول يوحنا « ان الرب الاله والحمل هيكلها » وامر موسى ان تكون القبة الاولى التي تسمَّى قدس الاقداس مستورةً خفية لا يراها احد ولا يدخلها الّا راس الاحبار مرة واحدة بالدم في السنة . واما القبة الخارجة فسمَّاها بيت القدس وجعلها لتقدمة الذبائح لطلب المغفرة عن ذنوب الشعب . فالقبة الاولى تدل على الاقنوم الاول الذي هو الآب قدس الاقداس

١) عبرانيين ٨ : ٥ ٢) رؤيا ٢١ : ٢٢و٢٢ : ١
٣) عبرانيين ٨ : ٥

وبدء الكل وينبوع كل قداسة · وامر موسى ان تكون تلك القبة خفية لا يدخلها احد الّا راس الاحبار لان الله الآب محتجب كما قال يوحنا الحبيب في بدء بشارتهِ « ان الله لم يرهُ احد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو اخبرَ » (١

وسمّيت القبة الثانية بالخارجة لان الابن صدر من حضن الآب كالولد · ثم نزل الى الارض ولبس جسدنا · وبهِ عاد الى ابيهِ مرة واحدة بدم جسده افضل من عظيم الاحبار بدم الجدا والعجول الى قدس الاقداس كما قال لتلاميذه « قد خرجت من الآب واتيت الى العالم وايضاً اترك العالم وامضي الى الآب » (٢ · وبدم نفسهِ نقض الذبائح وطهّرنا من الخطايا. واما روح القدس فمثلهُ موسى بالدار التي كانت لسكنى الشعب وصوره يوحنا ببحر ماءِ الحياة لان افعال الروح طاهرة ومفرقة على بني الايمان كقول الرسول « وهذا كلهُ يعملهُ الروح الواحد بعينهِ موزعاً على كل واحد كيف شاءَ » (٣ · ولذلك شبهها بالبلور الصافي بسبب انوار الطهارة والقداسة التي ينير بها الاطهار فيبهجهم بالروح · وقال انهُ خارج من عرش الله والحمل لاجل انبثاقه من الآب والابن كما قال الرب « ومتى جاءَ المعزّي الذي ارسلهُ اليكم من عند الآب روحُ الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي · وانتم تشهدون لانكم معي منذ الابتداء » (٤

ومن هنا يفهم القارئ ان المقدس الذي نصبهُ موسى في البريّة ما كان الّا على شبه قبة الحق في السماء · وكذلك هيكل سليمان ما كان الّا على الرسم الذي ارسلهُ الله لداود ابيهِ. واما في العهد الجديد فان الرسل الاطهار امروا ببنيان البيع على ما تعلموا من الرب نفسه · كما نقرأ في سحر رتبة العنصرة ان الرسل بنوا البيع ونصبوا فيها المعمودية والمذبح والصليب واقاموا كهنة ورعاة

---

١) يوحنا ١ : ١٨
٢) يوحنا ١٦ : ٢٨
٣) ١ كورنتس ١٢ : ١١
٤) يوحنا ١٥ : ٢٦

ومدبرين لخراف المسيح وسلموا في ايديهم النواميس التي قبلوها من ربنـا
وتكلم يوحنا عن البيعة المقدسة قائلاً « وانا يوحنا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كالعروس المزينة لرجلها . وسمعت صوتا عظيماً من العرش قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وسيسكن معهم ويكونون له شعباً » (١

ومن حيث ان الشبه في السماء واحد وعلى مثالهِ رسمت الكنيستان من اجل ذلك قسم الآباء القديسون الهياكل الكبيرة الى ثلاثة اي قدس الاقداس وبيت القدس والدار وفقاً لعدد الاقانيم الثلثة كما يتبين ذلك من كنائسنا القديمة . مثل كنيسة القديس ماما في اهدن التي بنيت سنة سبعمائة وتسع واربعين . وكنيسة القديس سابا في بشرّي التي بنيت سنة الف ومائة واثنتي عشرة . وكنيسة القديس دوميط في تولا من بلاد البترون . وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من بلاد جبيل وغيرها

ولكنهُ لما كان العهد الجديد يفضُل العهد العتيق بكثير كما تفضُل الحقيقة الرسم والروح الجسد اثبت الرسول ان الامور القديمة ما كانت الَّا ظلَّا ورمزاً للجديدة . اما الكنيسة فدونك ما دوّن عنها في رتبة تقديس المذبح « ان الرب اظهر من قمة الجبل ارتفاع البيعة خطيبته لموسى المختار نبيه المؤتمن على خزانته فنزل ووضع مسكن الزمان كالمثال الذي أراه اياه » . لان سرّ الثالوث المقدس ما اظهرهُ لنا علانيـةً الَّا السيد المخلص في تجسده وأمرنا ان ننادي بهِ في العالم باسره ونعمد الجميع باسمه

الفصل الرابع

في قدس الاقداس وتأويله

ان اشرف مكان في الهياكل هو قدس الاقداس وقد سماه الآباء بالقبّة الداخلة

---

١) رؤيا ٢١ : ٢

وقبة الحق والقبة العظيمة والكاملة التي لم تصنعها الايدي وبيت الله وهيكل قدسه ومستقرّ الراحة والسماء الثالثة

ومن هذه التسميات يستدل على ان الله محتجب في افضل موقع كقول اقليموس البار في بدء نافوره « اللهمَّ يا من لا يُرى ولا يُدرك ولا يوصف ولا يُحد ايها الساكن في قدس الاقداس . في القبة المحتجبة التي لم تصنعها الايدي فوق جميع السموات وسماء السموات »

واما الامور التي يشتمل عليها قدس الاقداس فقد اخبرنا عنها يوحنا قائلًا « الوقت صرت في الروح فاذا بعرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس . ومنظر الجالس كحجر اليشب والياقوت . . . وحول العرش اربعة حيوانات ممتلئة عيونًا من قدام ومن وراء فالحيوان الاول يشبه الاسد . والحيوان الثاني يشبه العجل . والحيوان الثالث لهُ وجه كوجه الانسان . والحيوان الرابع يشبه النسر الطائر » (١

ومن ثمَّ كان الآباء الاطهار يصوّرون الله الصباؤوت في حنايا الكنائس جالسًا على عرش العظمة ويمثلون وجوه الحيوانات الاربعة حول العرش مع الملائكة وقوفًا يقدمون لهُ البخور والمصابيح متلألئة حولهُ وذلك لكي يرفع الكاهن نظره اليهِ جلَّ جلاله عندما يقدم الطلبات في سرّ القداس الالهي

اما هذه الحيوانات فقد اختلف العلماء في شرحها وتفسيرها . فقال بعضهم انها اشارة الى الانجيليين الاربعة وآخرون انها اشارة الى فضائل الرب . وزعم سواهم غير ذلك

الا انهُ لما كان الجالس على العرش هو الله الآب الذي من عنده تهبط كل عطية صالحة وموهبة تامة ومنهُ فزنا بموهبة الوجود والنعمة والنطق بالمعجزات كقول الرسول « انهُ اختطف الى السماء الثالثة وسمع كلمات سرّية لا يحل لاحدٍ ان ينطق بها » (٢

---

١) رؤيا ٤ : ٢ ٢) ٢ كورنتس ١٢ : ٢

من اجل ذلك نقول ان الحيوانات الاربعة المذكورة تدل على بِيَع الاطهار الذين قبلوا النعمة من الله وخدموه في غاية النقاوة. فالبيعة الاولى كانت في عصر الطبيعة من آدم الى اعطاء الناموس وهذه تشبه الاسد. لان اجدادنا الاولين قبل ان يخطئوا كانت تخضع لهم الحيوانات والوحوش الكاسرة. اما بعد الخطيئة فصارت معيشتهم اشبه بمعيشة البهائم. قال داود النبي «كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها» (١

والبيعة الثانية كانت في عصر الناموس اعني من ابرهيم وموسى الى مجيء السيد المسيح وهي تشبه الثور إما لان الناموس كان ثقيلًا على اعناق الشعب وإما لان الثيران كانت تُحمل الى المقدس وتقرَّب ذبائح لله تعالى

والبيعة الثالثة كانت في عصر النعمة من المسيح الى نهاية الدهر وهي تشبه صورة الانسان. لان ابن الله نزل من علوّ سماه ولبس صورتنا التي تلطخت بادناس الخطية وقد كانت في عصر الطبيعة كالسباع الكاسرة وفي عصر الناموس كالثيران الى ان جدَّدها ابن الله ببشارتهِ وآلامهِ المحيية واعطاها جسده لتتحد بهِ وتتقدمهُ عنها — والبيعة الرابعة هي بيعة الابكار في السماء ولذلك شُبّهت بالنسر الذي يطير لان الملائكة وارواح الاطهار خلصت من التجارب وارتفعت الى مشاهدة الحق كارتفاع النسر الذي هو اخفّ الطيور طيرانًا واحدّها بصرًا

وقد كشف الله تعالى منذ القديم مرأى هذه الاشباه لحزقيال النبي كما هو مذكور «فرأيت فاذا باربعة دواليب بجانب الكروبين بجانب كروب دولاب وبجانب كروب آخر دولاب آخر.. ولاربعتها شبه واحد كانما كان الدولاب في وسط الدولاب.. واجسامهم كلها وظهورهم وايديهم واجنحتهم والدواليب ملآى عيونًا على المحيط.. لان روح الحيوان فيها» (٢

والمقصود من ذلك ان البِيَع الاربع كانت ذات رُتب مختلفة الا ان روح الرب

١) مزمور ٤٨ : ٢١ ٢) حزقيال ١٠ : ٩

هي التي كانت تدبرها وترشد مسلكها ليكون مرضياً لله · ولما تكلم بولس الرسول عن قدس الاقداس قائلاً · « وكان وراء الحجاب الثاني المسكنُ الذي يقال لهُ قدس الاقداس وفيهِ مستوقد البخور من الذهب وتابوت العهد المغشى بالذهب من كل جهة · فيهِ قسط المن من الذهب وعصا هرون التي افرخت ولوحا العهد ومن فوقه كروبا المجد المظللان الغطاء » (١

اراد بذلك ان قدس الاقداس كان يشتمل على امور اربعة اعني مستوقد البخور وتابوت العهد وموضع الغفران والكروبين · اما مستوقد البخور فقال بعض الآباء انهُ هو مذبح البخور الذي ذكر عنهُ في سفر الخروج انهُ كان بخارج قدس الاقداس وكان من خشب السنط المغشى بالذهب الخالص (٢

وقال غيرهم كالقديس افرام واوغسطين انهُ كان داخل قدس الاقداس كما اخبر بولس الرسول · والرأي انهُ في بيت القدس نُصب مذبح من خشب السنط لايقاد البخور ونصب في قدس الاقداس اناء صغير من ذهب · وتُمثّل البيعة الاولى بمذبح البخور لان الله كان يقبل قرابينهم بالنار ويستنشق ذبائحهم كالعرف الطيّب واما تابوت العهد فكان دليلاً على العهد العتيق لانهُ كان يحوي لوحي الوصايا وعصا هرون والمنّ الذي ارسله الله الى شعب اسرائيل وكان خشبه من السنط المغشى بالذهب لان عصر الناموس كان افضل من عصر الطبيعة · واما موضع الغفران فكان كله من ذهب مسبوك دلالةً على عهد النعمة · لان الله ارسل لنا بهِ ابنه لمغفرة الخطايا كقول الرسول « اذ الجميع قد خطئوا فيعوزهم مجد الله فيبرَّرون مجاناً بنعمتهِ بالفداء الذي هو بالمسيح يسوع الذي جعله الله كفّارة بالايمان بدمه لاظهار برّه بمغفرة الخطايا السالفة » (٣

وكما ان الذهب يفضُل الخشب جداً كذلك عهد النعمة يفضُل عهد الطبيعة وعهد الناموس يفضل الاثنين

١) عبرانيين ٩ : ٣ ٢) خروج ٣٠ ٣) رومية ٣ : ٢٣

اخيرًا ان الرب امر موسى النبي ان يضع كروبين من ذهب خالص ليظللا موضع الغفران ومن بين الكروبين المذكورين كان يكلمه. والحال ان هذا الموضع ليس هو الا دليلًا على بيعة الابكار وانما نصب فيهِ الكروبان فوق موضع الغفران لان تلك البيعة افضل من هذه ولان الملائكة الاطهار فازوا بالتجربة وثبتوا في النعمة وبلغوا المجد الدائم. اما الذين بقوا في هذه الحياة فانهم لا يزالون عرضة للاخطار في طريق الاسفار. وقيل ان الكروبين كانا يظللان موضع الغفران ومن بينهما كان الرب يكلم شعبه. لان الله من البدء ارسل ملائكته لحراسة البشر وعلى ايديهم اعطى الشريعة للآباء المتقدمين. كما قال مار اسطفانوس في اخبار الرسل ومار بولس في رسالتهِ لاهل غلاطية. وهكذا في عهد النعمة على ايديهم يُفيض نعمه على البيعة خاصةً في سر القداس كقول الرب «الحق الحق اقول لكم انكم سترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر» (١

ومما شرحنا يبين جليًا ان الاشباه التي رآها حزقيال بالروح في الدار الجوانية والتي رآها يوحنا في مدينة اورشليم السموية تنطبق على ما امر الله بهِ موسى ان يجعلهُ في قدس الاقداس . وكما قلنا ان قدس الاقداس يدل على الله الآب كذلك هذه الاشباه التي اظهرها لنا في قدس الاقداس نفسه تدل على المواهب التامة التي تهبط من عند ابي الانوار لجميع الذين تبرَّروا في عهد الطبيعة وعهد النعمة وعهد الناموس وفي بيعة الابكار بواسطة استحقاق جسد الرب الذي ذبح منذ وضع اساس العالم

وأمر الاباء الاطهار ان يكون الحائط الشرقي على شكل حنيَّة دلالة على حضن الله الآب في هيكل قدسهِ . وان يكون فوق الحنيَّة طاقة الى الشرق لانهُ ابو النور. وان يكون تحت الطاقة داخل الحنية كرسي عالٍ في كنائس الاساقفة اشارة الى عرش عظمته. أما هو فيصوَّر في وسط الحنية تحيط بهِ مصابيح موقدة وملائك

(١ يوحنا ١ : ٥١

مسبحة وبخورات تنشر عرف اطيابهـا وارواح طاهرة حافَّة بهِ لكي نرفع ابصارنا اليهِ ونلتمس منهُ الحكمة والعطايا الصالحة التي يجود بها على كل انسان ولاسيما على من فضّل الآخرين بالقداسة والطهارة والمعرفة

ثم ان الآباء القديسين اوجبوا ان يكون في قدس الاقداس تابوت الاسرار الحاوي اربعة امور اي جسد الرب والميرون المقدس وزيت العماد وماء الذبح لان هذه افضل من الاشياء التي كانت مودعة في تابوت العهد. وبها اكمل الله علينا نعَمه لاننا بالماء نصير ابناء الله . وبالزيت نقتني رحمته . وبالميرون سهولته. وبسرّ جسده الاتحاد معه

الفصل الخامس

في كرسي الاسقف الذي يُنصب تحت الحنيَّة ويدعى كاتدرا

من جملة الوصايا التي اوصى بها بطرس الرسول تلميذه اقليموس هي ان يجلس في موضع عالٍ ليكون رقيباً على جميع الشعب وناظراً اليهِ ولذلك يسمى راس الكهنة اسقفاً اعني رقيباً. وهو امر في نهاية الصواب لانه كما ان الملوك يجلسون على كراسيهم لاجل القاء المهابة وسياسة الاجساد. كذلك الروساء خلفاء الرسل يجلسون على كراسي المجد لاجل الكرامة وتدبير الارواح. ومن ثمَّ فان الكراسي لا تنصب الا في كنائس الاساقفة

وكانوا في القديم ينصبونها شرقي المذبح من حجر لتكون رسماً الى عرش العظمة في هيكل قدسه. كقول داود النبي « الرب في هيكل قدسهِ الرب في السماء عرشه » (١

اما في كنائس الروم فانهُ عند قيام خدمة الاسرار يصرخ الشماس قائلاً: « بارك يا سيد هذه الكاتدرا العالية » فيبخّر الكاهن قائلاً « مبارك انت على كرسي مجد

١) مزمور ١٠ : ٥

ملكك ايها الجالس على الكاروبيم» ويجلس روساء الكهنة على هذا الكرسي لان الله منحهم الوكالة وجعلهم أُمناء على خزانة نعمتهِ قائلًا لهم «ان كل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السماء» (١

وذكر اوسابيوس المؤرخ ان يعقوب الرسول رئيس اساقفة اورشليم نُصب لهُ كرسيًّا في مدينة اورشليم واستمرّ الى ايام جالينوس الملك · وكذلك صنع مرقس البشير في مدينة الاسكندرية وعندما خلفهُ في الرئاسة بطرس البطريرك لم يجترئ ان يجلس على الكرسي الذي اقامه معلمه احتراماً لمقامه · وكذلك صنع بطرس هامة الرسل في مدينة انطاكية وفي رومية الكبرى · والى الان تُعيّد الكنيسة الرومانية كل سنة في الثاني والعشرين من شهر شباط لكرسيه بانطاكية · وفي الثامن عشر من كانون الثاني تعيد لكرسيه في رومية

ونُقل عن اسطفانوس صاحب كرسي رومية انهُ قَبِل الشهادة حين كان جالساً على الكرسي · اما الكرسي الذي جلس عليهِ بطرس الرسول في رومية فكان من خشب · وقد حُفظ منذ الزمان القديم في كنيسته بمسجد صغير ولكنهُ في ايامنا نُقل الى الحنية الكبيرة بأمر البابا اسكندر السابع ونُصب على ايدي اربعة تماثيل من النحاس الاصفر تمثل اربعة من علماء البيعة المقدسة وهم : اثناسيوس الكبير بطريرك الاسكندرية ويوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية وامبروسيوس مطران مديولان واوغسطين اسقف هيبونة من اعمال افريقية · لان هولاء الاربعة جمّلوا بيعة الله بقداساتهم وكتاباتهم المهذبة عن سرّ الثالوس الاقدس ورئاسة الكنيسة

ويُنصب الكرسي في مكان مرتفع لاجل تعليم حقائق الايمان واحتراماً للكهنوت الحاوي السلطان الالهي كقول الرسول «نلتمس منكم ايها الاخوة ان تعتبروا

١) متى ١٨ : ١٨

الذين يتعبون بينكم ويرأسونكم في الرب ويعظونكم » (١ . وقال المخلص « لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة لينير على كل من في البيت »(٢ . وقال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر في القانون الثاني والستين « يقوم الاسقف وقت الصلاة في صدر الهيكل كالراعي والمدبر ليكون ناظرًا جميع الشعب » . وقال داود النبي « الرب في هيكل قدسه . الرب في السماء عرشه . عيناه تبصران وجفناه يختبران بني البشر » (٣

ويُجعل درج تحت كرسي الاسقف ليعلم الجالس عليهِ انهُ لا يرتقي اليهِ الّا بسلّم الفضائل وانهُ منهُ ينبغي ان يرسل البركات ويلقي التعاليم الخلاصية على شعبه وتقام حول كرسي الاسقف ايضًا مجالس ومساطب متفاوتة لاجل جلوس الخوارنة والبرادطة والقسوس كقول داود النبي « ليرفعوا الرب في مجمع الشعب وليسبحوه في مجلس الشيوخ » (٤

اما في كنيسة البطريرك فتنصب ايضًا كراسي لاجل الاساقفة . ولكن كرسي الرئيس يكون اعلى من الجميع لكي يتمكن من النظر الى جميع الشعب

واخبر اوسابيوس المؤرخ ان قسطنطين الملك اقام في مدينة القسطنطينية كراسي ومجالس عالية وجعل تحتها مساطب اوطى منها على ترتيب حسن احترامًا لسلطان الكهنوت ومن اجل تعليم الشعب وتقدمة جسد الرب ثم لكي يكون الشمامسة منتصبين بالخدمة كالتلاميذ امام معلمهم . قال ابن سيراخ « قف في جماعة الشيوخ ومن كان حكيمًا فلازمه » (٥

وكما ان يوحنا المعمدان كان يقف امام الرب ويصغى لقولهِ بفرح هكذا ينبغي ان يكون كل الشعب واقفًا مصغيًا لكلام الاسقف . ولما كان بعض الكهنة والشمامسة

---

١) ١ تسالونيكي ٥ : ١٢ — ٢) متى ٥ : ١٥

٣) مزمور ١٠ : ٥ — ٤) مزمور ١٠٦ : ٣٢

٥) ابن سيراخ ٦ : ٣٥

قد حدَّثتهم النفس الامَّارة ان يتعدوا مقاماتهم أمر الآباء الذين اجتمعوا في اللاذقية في القانون السادس والخمسين قائلين « لا يسوغ لاحد من الكهنة ان يجلس في هذا الوضع قبل ان يجلس الاسقف . وبنوع اخرى لا يسوغ ان يجلس فيهِ احد من الشمامسة ولو كان من الشمامسة الكبار لكن يجلس فيهِ الروساء والكهنة فقط نظراً لما خُصّوا بهِ من شرف السلطان لتقدمة جسد الرب »

وجميع هذه الامور انما هي رمز لما رآه يوحنا في السماء قال « والوقت صرت في الروح فاذا بعرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس . ومنظر الجالس كحجر اليشب والياقوت . وحول العرش قوس غمام منظره كالزمرد . وحول العرش اربعة وعشرون عرشاً . وعلى العروش اربعة وعشرون شيخاً جلوساً لابسين ثياباً بيضاً وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب . وتنبثق من العرش بروق واصوات ورعود . وامام العرش سبعة مصابيح نار متقدة وهي ارواح الله السبعة » (١

ووفقاً لهذا القول يكون الكرسي العالي دليلاً على عرش الآب في هيكل قدسه وكراسي الاساقفة ومراتب الكهنة على منازل الكَمَلَة في الملكوت اولئك الذين ربحت وزنتهم عشر وزنات وجاءت بدل الواحد بمائة ضعف . ووصفهم يوحنا بكونهم لابسين ثياباً بيضاً لانهم اغتسلوا بدم الحمل . وقال ان على رؤوسهم اكاليل من ذهب لانهم يملكون مع الله . وقال ان عددهم اربعة وعشرون لانهم مفضلون على سواهم فنهم اثنا عشر هم آباء الاسباط واثنا عشر رسل الرب الذين قال لهم « متى جلس ابن البشر على كرسي مجده تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر كرسياً وتدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر » (٢

اما البروق والرعود فهي اشارة الى اشعة النعمة وأقضية العدل الصادرة عنه وكما ان الملائكة يقومون امام الكرسي لاجل التسبيح والتقديس كذلك الشمامسة يقومون امام الاسقف . ومثلما اوجب الآباء ان تبنى المذابح من الحجر للدلالة على

١) رؤيا ٤ : ٢

٢) متى ١٩ : ٢٨

استمرار الذبيحة ودوامها اوجبوا ان تبنى الكراسي في الحنيَّة من الحجر ايضاً اشارة الى ثبات الايمان كما قال داود النبي « يخبأني في مظلته يوم الشرّ ويسترني بستر خبائه وعلى صخرة يرفعني » (١ . وقال ايضاً « اقام على الصخرة قدمي وثبت خطواتي » (٢

ولما ان القى المخلص مقاليد الرئاسة لبطرس قال لهُ « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » (٣

وكما ان داود كان يلتجئ الى الرب في شدائده ويهرع اليهِ في مضايقهِ فينال الفرج كما قال « من اقاصي الارض اليك اصرخ اذ غشي قلبي فتهديني الى صخرة ارفع مني . لانك كنت معتصماً لي برجاً حصيناً من وجه العدو » (٤

هكذا الله يطالبنا عندما يحمل علينا العدوّ بتجاربهِ ان نلجأ الى الكهنة ونستغيث باصحاب الكراسي فقد قال « هلمي يا حمامتي التي في نخاريب الصخر وفي خفايا المعاقل أريني محيَّاكِ اسمعيني صوتك فان صوتك لطيف ومحيَّاكِ جميل) (٥

الفصل السادس

في بيت القدس وما يحوي

ان القبة الثانية التي كانت في الهيكل هي بيت القدس . وقد تكلمنا سابقاً انها تدل على مستقرّ الابن في قبَّة مجده . وقد امر الله ان يوضع في بيت القدس ثلاثة اشياء اي مذبح البخور ومائدة خبز الوجوه ومنارة ذات سبعة سرج كما هو مدوَّن في سفري الخروج والاحبار وفي رسائل بولس الرسول (٦

اما المذبح فكان مصنوعاً من خشب السنط ومغشًّى بالنحاس ولهُ اكليل من نحاس يحيط بهِ اربع حلقات من نحاس على جانبيهِ ليُحمل بها . واما المائدة التي كان يوضع عليها خبز الوجوه فكانت على جانب القبة مما يلي مهب الشمال وكانت من

١) مزمور ٢٦ : ٥ ٢) مزمور ٣ : ٣٩ ٣) متى ١٦ : ١٨
٤) مزمور ٦٠ : ٣ ٥) نشيد ٢ : ١٤ ٦) خروج ٣٠ عبرانيين ٩

خشب السنط مغشاة بالذهب الخالص ومكللة باكاليل من ذهب وعلى نواحيها الاربع اربع حلقات لتحمل بها والمنارة كانت من الجانب الآخر مما يلي مهب الجنوب وكانت من الذهب النقي وعليها سبعة سرج من ذهب. وكانت كل هذه الامور مصنوعة طبقاً للمثال الذي رآه موسى في الجبل وجميعها قد كملت في الاسرار التي نقدسها كل يوم على المذبح . فان خبز الوجوه يدل على خبز الرب والذبائح على هرق دمه من الكاس. والمنارة ذات السبعة السرج على اسرار البيعة السبعة او على السبعة الكتب من العهد الجديد لانها بقوة ما ترسل الى النفوس من اشعة النعمة تمزق حجب الخطية عن القلوب

وعلى موجب ذلك تكلم يوحنا عن الهيكل الذي في السماء قائلاً « ورأيت فاذا في وسط العرش بين الحيوانات الاربعة في وسط الشيوخ حمل قائم كانهُ مذبوح لهُ سبعة قرون وسبع اعين وهي ارواح الله السبعة المرسلة الى الارض كلها » (١

وأمر الآباء المتقدمون كما يتبين في كنيسة مار سابا بمدينة بشري وفي كنيسة السيدة بمدينة حلب وغيرهما ان يُنصب فوق المذبح في الهياكل الكبيرة قبة جميلة المنظر على اربعة اعمدة باربع ستائر وفوق الزوايا الاربع اربعة تماثيل تشخص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرّ الكلام عليها ويجعل فوق القبَّة تفاحة وفوق التفاحة صليب

والقصد بذلك ان يُشار بالقبَّة الى قبَّة مجد الابن في البيعة. وبالاعمدة المستندة اليها الى المجامع الاربعة المسكونية مع الاربعة الكراسي المنصوبة عليها الشريعة المسيحية. وبالاربعة التماثيل الى المبشرين الاربعة الذين تلمذوا اربعة انحاء العالم بتعليمهم. وبالعتلتين اللتين يُحمل بهما المذبح الى بطرس وبولس الرسولين المعظمين اللذين اراد الله ان يتشبَّه بهما الاربعة البطاركة في محبتهما الصادقة للمخلص ورعايتهما

١) رؤيا ٥ : ٦

لخرافه . واما الاربع الستائر فيراد الدلالة بها على الكفن الذي لُفَّ بهِ جسد الرب او على حلة المجد كما هو مكتوب « الرب قد ملك ولبس البهاء لبس الرب العزَّة وتنطّق » (١ . وبالتفاحة العالية والصليب الذي فوقها نشير الى ملكوت السماء الذي عرفناه وفزنا بالبلوغ اليهِ بواسطة الصليب المقدس

وفي هذه القبَّة يوضع جسد الرب ليكمل قول داود ان الله هو « صانع الخلاص في الارض » (٢ . وان الله الآب اعطاه الملك على جميع الامم حسب قول داود ايضاً « ملك الله على الامم . الله استوى على عرش قدسه » (٣

وقال الملاك جبرائيل لما بشر مريم العذراء « سيعطيه الرب الاله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء » (٤ . فقال سيعطيه عرش داود ابيهِ لاجل اكمال عهده الذي واثقه عليهِ كقوله « حلفت لداود عبدي لاثبتنَّ نسلك الى الابد ولابنينَّ عرشك الى جيل فجيل » (٥

وقال يملك على بيت يعقوب الى الابد واراد ببيت يعقوب زمرة الخيرَة الاطهار فمن صلب يعقوب خرج الآباء الاثنا عشر روساء الاسباط وهو اول من سكب الزيت على قائمة الحجر وجعلها بيتاً لله . وقال لا يكون لملكه انقضاء اشارةً الى دوام ملكه بالروح الى الابد في المجد السماوي كما قال داود « عرشك يا الله الى الدهر والى الابد » (٦ . ويذكر يوحنا انهُ سمع اصواتاً عظيمة من السماء قائلة « ان مُلك العالم قد صار لربنا ولمسيحه فهو يملك الى دهر الدهور » (٧

وأمر الآباء بان يقام سلّم تحت المذبح ويُحوّط بالمصابيح وصُوَر القديسين وان يكتنفهُ الكهنة بالشموع المضيئة لدى الاحتفال بالضحية المقدسة ويقوم الشمامسة حوله

١) مزمور ٩٢ : ١
٢) مزمور ٧٣ : ١٢
٣) مزمور ٤٦ : ٩
٤) لوقا ١ : ٣٢
٥) مزمور ٨٨ : ٤
٦) مزمور ٤٤ : ٧
٧) رؤيا ١١ : ١٥

بالمباخر والمراوح . وانما ارادوا بكل ذلك ان يشيروا الى مراتب الملائكة ومقامات الاطهار الذين حملوا شهادة الحمل في العالم امام القضاة وملوك الأرض ورجحت وزنتهم خمس وزنات وأُعطوا بدل النعمة ستين ضعفاً . ولذلك يجلسون على سدّات النور ويتمتعون براحة النعيم حول كرسي الحمل ويبتهجون في صحبة الملائكة المبجّدين بمشاهدة الحمل في المرتبة الثانية كقول يوحنا « ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأُوتوا الحكم . ورأيت نفوس الذين قتلوا لاجل شهادة يسوع ولاجل كلمة الله . . . فحيوا وملكوا مع المسيح » (١

ويغطى المذبح من اعلاه بالثياب المقدسة كالصمدات والنوافير المكرّمة اشارة الى ثياب قرينة العروس السماوي كما ذكر يوحنا انهُ سمع جنود السماء يهلّلون قائلين « فلنفرح ونبتهج ونمجده لان عرس الحمل قد حضر وعروسه قد هيأت نفسها وأُوتيت ان تلبس بزًّا بهيًا نقيًا والبزّ هو تبريرات القديسين » (٢

ثم ان الاسقف في الرتبة الرومانية عند رسامته الابودياكن يحرّضه على حفظ الكرامة اللائقة بملابس المذبح قائلًا « اجتهد الآن ان تتمم هذه الخدمة الطاهرة بغاية الاجتهاد والعناية والنظافة لتكمل بواسطتها تلك التي لا نراها » لان مذبح الكنيسة هو المسيح نفسه كما شهد يوحنا حيث قال « رأيت مذبح الذهب امام عرش الله الذي به ومن اجله تقرّب لله الذبائح » (٣

وما صمدات المذبح ونوافيره الَّا اعضاء المسيح اعني المؤمنين بالله الذين بهم يتجلى ابن الله تجليه بالحلل النفيسة كقول داود « الرب قد ملك ولبس البها » (٤ . وكقول يوحنا « رأيت . . . شبه ابن الانسان متسربلًا بثوب الى الرجلين ومتنطقًا عند ثدييه بمنطقة من ذهب » (٥

---

١) رؤيا ٢٠ : ٤   ٢) رؤيا ١٩ : ٧
٣) رؤيا ٨ : ٣   ٤) مزمور ٩٢ : ١   ٥) رؤيا ١ : ١٣

وما هذه المنطقة الا زمرة الاطهار والكهنة الذين يُطيفون بالمذبح ويجلسون مع المسيح ويملكون معهُ لان جسد الرب في القربان المقدس هو سرّ الاتحـاد كما ورد « ولاجلهم اقدّس ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدسين بالحق وليكونوا باجمعهم واحداً . كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا » (١

وكما ان الرب رضي ان يجلس معه تلاميذه في عشاء جسده كذلك يرضى ان يجلس معه الاطهار في ملكوته بجانب عرشه وعلى مائدته كما يقول على لسـان يوحنا « من غلب . . . فاني أُوتيه مثلما أُوتيت انا من عند ابي » (٢ . وأُوتيـه ان يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الهي » (٣

الفصل السابع

في الداعي لنصب المذبح امام الكرسي وعن يمينه

مما تقدم يتبين ان الآباء الاطهار المفعمين كل حكمة اوجبوا ان ينصب كرسي الاسقف في الحنيَّة ليرمزوا بذلك الى عرش الآب في هيكل قدسه . وان يقام المذبح في بيت القدس ليشيروا بذلك الى كرسي الابن في قبَّة مجده . وها هنا صعوبـة وهي ان الكرسي كان ينصب بكنائسنا القديمة في الحنيَّة والمذبح امامه كما مرَّ . وفي بعض الكنائس ينصب الكرسي فوق الدرابزين من ناحية الجنوب كما هو واضح في كنائس الروم . واحياناً يُنصب في جهة الشمال كما يفعلون في الكنيسة الرومانية . والكتب المقدسة تشهد ايضاً ان الابن جالس عن يمين الآب كقول داود « قال الرب لسيدي اجلس عن يميني » (٤

وقال مار اسطفـانوس « ها اناذا ارى السماوات مفتوحة وابن البشر قائماً عن

---

١) يوحنا ١٧ : ١٩ ٢) رؤيا ٣ : ٢٦
٣) رؤيا ٢ : ٧ ٤) مزمور ١٠٩ : ١

يمين الله » (١ . وقال الرب لرسله « من الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء » (٢

واخبرت الكتب المقدسة في مواضع اخرى ان المذبح كان يُنصب امام العرش كقول يوحنــا « سمعت صوتاً من قرون مذبح الذهب الاربعة الذي امام عرش الله » (٣ . وكقوله ايضاً « وجاء ملاك آخر ووقف عنــد مذبح الذهب الذي امام العرش» (٤

فاذا كان مقام الابن عن يمين الاب فلماذا يقول يوحنا ان مذبح الذهب امــام عرش الله . فاعلم ان السيد المخلص هو اله وانسان ولذلك عندما قصد موسى ان يصنع المائدة لخبز الوجوه والمذبح للقرابين ــ وكلاهما يشبهان المخلص ــ أمره الله ان يصنعهما من خشب السنط الذي لا يدخله السوس ويغشّي المذبح بالنحاس ويغشّي المائدة بالذهب الصافي ويكللها باكليل من ذهب . فعود السنط يُشار بهِ الى الطبع البشري الذي كان ضعيفاً ولم يرَ فساداً والذهب الخالص او النحاس النقي يدل على الطبع الالهي

وكما ان العود الضعيف يتجمَّل بالذهب ويتركــب معهُ من غير زوال طبعه كذلك الطبيعة البشرية تقدَّست وتجمَّلت بالالهية واتحدت معها اتحاداً اقنومياً من غير ان يصيبها اذًى من شدتها . وعلى حسب هاتين الطبيعتين يجب ان يكون المذبح امام كرسي الآب وعن يمينه

ولفهم ذلك اعلم ان الابن بما يخص طبعه الالهي لهُ صفتان احداهما انهُ ابن الله والثانية انهُ مساوٍ لهُ في القدرة والجوهر . فعلى حسب البنوَّة هو في حضن ابيهِ وجالس امامه كقول الآب « انت ابني انا اليوم ولدتك » (٥ . وكقول يوحنــا في

١) اعمال ٧ : ٥٥
٢) متى ٢٦ : ٦٤
٣) رؤيا ٩ : ١٣
٤) رؤيا ٨ : ٣
٥) مزمور ٢ : ٧

بدء انجيله « الله لم يرهُ احدٌ قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن ابيهِ هو أَخبرَ » (١

واما على حسب المساواة مع الآب فهو قوَّته وجالس عن يمينه كما قال داود « قال الرب لسيدي اجلس عن يميني لأَضع اعداءك موطئاً لقدميك » (٢ . وكتب بولس ان الابن هو « ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الجميع بكلمة قوَّته . وبعد ما طهَّر الخطايا جلس عن يمين الجلال في الاعالي » (٣

واما الجسد الذي اخذه منا فان فيهِ ايضاً امرين وهما انهُ حبر وملك . فعلى مثال الحبر او رئيس الاحبار يتجلى امام الابن ليشفع فينا وعلى مثال الملك يجلس عن يمينه . فان السيد المخلص ما لبس جسد بشريتنا الا ليحتمل الصلب والموت عنَّا ويستفكّنا من أسر الخطية وعبودية الشيطان ويردّنا الى طاعة ابيهِ ومحبته . ولذلك اختاره الله بكلمة القسَم انهُ الحبر الدائم الى الابد على رتبة ملكيصادق . واذا كان الاحبار يشفعون على الارض بين الله والشعب ويقدّمون لهُ القرابين عن خطاياهم فان المخلص صعد الى السماء وتجلّى عنَّا امام الآب بالجسد الذي قدّمه لاجلنا . وقد أَمر الله في التوراة ان لا يدخل قدس الاقداس احد سوى عظيم الاحبار ويأخذ كل سنة من دم العجول ويدخل به مرّة واحدة الى قدس الاقداس ثم يخرج ويرشّهُ على الشعب لتطهير اجسادهم

وكان ذلك جميعه رمزاً الى ما في السماء فان السيد المخلص في صعوده الى السماء دخل مرة واحدة بدمهِ الى قبة الحق الى حضن الآب ولم يدع الملائكة تدخل معهُ او تلحقه افكار البشر ومداركهم . لانهُ هو وحده في حضن الاب وهو وحده يستطيع ان يمنح الغفران كقول السروجي في الميمر الثاني والسبعين عن صعود المسيح الى قدس الاقداس « دخل عظيم الاحبار وحده اذ لم يكن لاحد سواه

---

١) يوحنا ١ : ١٨ ٢) مزمور ١٠٩ : ١ ٣) عبرانيين ١ : ٣

سلطان ان يدخله . فالى القبة الخفية الداخلة التي فيها هو الآن ساكن استطاع الابن وحده ان يدخل الى مقرّ والده . ومن خارج الباب تأخر الملائكة على مثال اللاويين في بيت القدس . واما المسيح عظيم الاحبار فاقبل هو وحده الى داخل . فدخل وحده الى قدس الاقداس الجواني ولم تدخل العقول والافكار بصحبته »

وقد اخبر بولس عن ذلك اذ يقول « اما المسيح الذي جاء حَبرًا للخيرات المستقبلة فبمسكن اعظم واكمل لم يُصنع بايدٍ ... وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل الاقداس مرّةً واحدةً فوجد فداءً ابديًّا » (١

ولهذا السبب اراد الرب ان يُنصب مذبح الحمل في السماء امام عرش الله . وكذلك في الكنائس يُنصب مذبح القربان امام كرسي الاسقف لنفهم ان المخلص هو الوسيط بين الله والناس وانهُ تراءى عنَّا بدم نفسهِ مرّةً واحدةً وظفر بالخلاص الابدي

ثم ان المذبح يُقام عن يمين الكرسي لان الله الآب عند ما سُرّ بتقدمة ابنهِ ورضي على خليقتهِ اجلسهُ عن يمينهِ وأعطاه الرئاسة على جميع ما في السماء والارض كما ذكر الرسول « أما هذا فانهُ بعد ان قرَّب عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس عن يمين الله الى الابد منتظرًا بعد ذلك ان يُجعل اعداؤه موطئًا لقدميه » (٢ . وكتب ايضًا لاهل افسس قائلًا ان الله « اقامه من بين الاموات واجلسهُ عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذ الدهر فقط بل في المستقبل ايضًا واخضع لهُ كل شيء تحت قدميهِ وجعله رأسًا فوق الجميع للكنيسة » (٣

ومما ذكرنا ينتج ان المذبح نُصب امام عرش الله لنفهم ان السيد المخلص بالطبع الالهي هو ابن الله وجالس في حضنهِ . وفي الطبع البشري هو عظيم الاحبار وخادم

١) عبرانيين ٩ : ١١ — ٢) عبرانيين ١٠ : ١٢

٣) افسس ١ : ٢٠

قبّة الحق التي نصبها الله في السماء · وانما يُقام ايضاً عن يمين كرسي الآب انعلم انهُ في الالوهية مساوٍ لهُ بالذات والكرامة وفي البشرية مالك معــه الى ابد الابدين ·

ويجلس رأس الكهنة على الكرسي الذي خلف المذبح خاصّةً في خدمة الاسرار المقدّسة

اولًا عند ما يلبس ثياب الخدمة

ثانيًا في القسم الذي يلاحظ البشــارة ويقول الصلاة ܐܢܬ ܗܘ ܡܪܢ ܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ ܒܪܚܡܐ ܘܒܫܠܡܐ قدام المذبح ثم يمضي الى الكرسي ويمكث هناك الى بدء النافور

ثالثًا بعد دعوة الروح يجلس رأس الكهنــة على كرسيه حتى اذا قرأ الشماس شملاية الروساء يكون قائمًا في سلطتهِ وناظرًا الى شعبه ويستمر جالسًا على كرسيه الى شملاية الموتى

رابعًا عند ما تُتلى خطب وعظية اوما شاكلها

اما الروم فلما كان الدربزين عندهم مسدودًا يلبس رؤساؤهم ثياب الخدمة في الانبلن الذي يكون بداخل باب الكنيسة ويجلسون في الاكثر على الكرسي الذي يُنصب لجهة الجنوب في الدربزين لانهُ مشرف على الخورس وموضع الصلاة

واما الكنيسة الرومانية فقد رتّبت ان يُنصب الكرسي لجهة مهب الشمال لانهُ عن يمين المذبح وهو الموضع الافضل في الكنيسة بعد المذبح وهناك يجلس رأس الكهنة في اوقات الصلاة والقداس وباقي خدَم الكهنوت

وفي ما تقدم كفاية عن الكراسي الثابتة ولكنه عند الضرورة تستعمل كراسي منتقلة لاجل توزيع اسرار البيعــة وغيرها مع الفرق الآتي وهو ان الكرسي يُنصب قبل تقديس الاسرار لجهة الجنوب وبعد تقديسها لجهة الشمال لاجل الاسبــاب التي مرَّ ذكرها

الفصل الثامن

في الدار وتأويلها

المكان الثالث في الكنائس هو الدار التي يجتمع فيها بنو الايمان للصلاة والقداس وسماع الكتب المقدّسة وباقي الامور التي تخص خدمة الله وتدبير الانفس. والدار تنقسم الى اقسام ثلاثة اي موضع الصلاة والروم يسمونهُ خوروس. والهيكل والدار الخارجة. فالخوروس هو اجلّ موضع في الدار واقرب ما يكون الى بيت القدس. وفيهِ قتل زكريّا بن برخيا بين المذبح والهيكل. وفيهِ يجتمع الروساء والكهنة والشمامسة للصلاة وتسبحة الباري. وفيهِ يتقرَّب الشعب والمزعون يقبلون وضع اليد ويكلّل العرسان ويحتفل باكثر الامور البيعية

ولاجل ذلك ينصب الروم في الخورس صفوف الكراسي لاجل جلوس خدَّام المذبح كل واحد في مرتبته. وبجانبه ينصبون كرسي الاسقف الذي كما تقدَّم القول يُقام في الدربزين مما يلي مهب الجنوب ويجعلون الكرسي مربعاً على مثال الصيرة بين الدربزين والركنين اللذين في وسط الدار. ويجعلون للخورس ثلاثة ابواب الغربي لاجل دخول الاكليروس والشرقي لاجل الدخول الى بيت القدس ويسمى الباب الملوكي. والشمالي لاجل زياح الانجيل والاسرار وغيرها. واما آباؤنا اصحاب الكرسي الانطاكي فاهملوا نصب الكراسي واوجبوا على نفوسهم ان يصلّوا وهم قيام كقول الرب « اذا قمتم للصلاة قولوا ابانا الذي في السماوات »

وقد اخبرتنا التواريخ عن كثير من الاباء المتقدمين وخاصة عن تلاميذ ابينا المكرم القديس مارون انهم قضوا كل حياتهم منتصبين على اقدامهم ليلاً ونهاراً وانقسموا للصلاة جوقين امام الباب الملوكي وشهد القدّيس اغناطيوس النوراني انهُ سمع الملائكة يرنون تسابيح الله على هذا النمط

اما الكهنة والشمامسة فيستندون الى العكازات لمساعدة الجسد الضعيف ما

خلا الرؤساء فانهم يجلسون على الكراسي اكراماً للدرجة التي ارتقوا اليها . وفي هذا الموضع أمر الآباء الذين اجتمعوا في اللاذقية ان يكون مقام الايبوديا كونية مع سائر الشمامسة الصغار الذين نهوهم عن الجلوس في داخل الدرابزين

والموضع الثاني في الدار هو الهيكل وهو مخصص للمؤمنين المعتمدين بالماء والروح وكانوا يقسمونهُ في الكنائس الكبيرة الى ثلاثة اقسام . متوسط لاجل قيام المزوجين واولادهم الصغار . وجنوبي للشبان . وشمالي للعذارى

وذكر يوسيفوس ان هيكل سليمان بُني فيهِ حائط يفرق بين الرجال والنساء وان مقام الرجال كان من جهة الجنوب والنساء من مهب الشمال لان حرّ ريح الجنوب اشد من حرّ ريح الشمال وطبع الرجال اقوى على الصبر من طبع النساء والله لا يريد ان يبتلي احداً بازيد من قوّته

والموضع الثالث في الدار هو الدار الخارجة وقد خصها الآباء بالتائبين والمتأدبين والمتتلمذين المعروفين بالسامعين والموعوظين . لان هولاء لم يكن مأذوناً لهم ان يحضروا تقدمة الاسرار المقدسة وانما كان الايبوديا كونية يخرجونهم بعد قراءة الانجيل عند ما يصرخ رئيس الشمامسة قائلاً « امضوا بسلام ايها السامعون »

وهذه الدار الخارجة تتقدّس بالميرون الطاهر مثل بيت القدس وقدس الاقداس وتستوجب الاكرام والتوقير مثلهما . ولأن كهنة اسرائيل احتقروها وأذنوا للعوام ان يبيعوا ويشتروا فيها غار الرب غيرةً قدسيّة وجدل مخصرة من مقاود الثيران واخرجهم منها بعد ان قلب موائد الصيارف وكراسي باعة الحمام قائلاً : « بيتي بيت صلاةٍ يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص » (١

ويشار بالدار اولاً الى مستقرّ روح القدس وتُوزّع مواهبه على الشعب المجتمعين فيها وقد نظرها يوحنا كما تقدم القول « نهر ماء صافياً كالبلور خارجاً من عرش الله والحمل » (٢ . فمثلها بالماء اشعاراً بالابتهاج والتعزية كما جاء « أُفيض روحي على كل

١) متى ٢١ : ١٣ ومرقس ١١ : ١٧ ولوقا ١٩ : ٤٦ ٢) رؤيا ٢٢ : ١

بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم» (١

وكما ورد ايضاً «اني أُفيض الماء على الظمآن والسيول على اليبس . أُفيض روحي على ذرّيتك وبركتي على اعقابك فينبتون بين العشب كالصفصاف على مجاري المياه» (٢

وقد تكلم السيد المخلص كذلك على لسان روح القدس قائلًا «انا خبز الحياة من يقبل اليّ فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً» (٣ . ثم ان يوحنا ما رآها في بيعة الابكار الّا على مثال النهر لان قوّة الروح تفيض على الاتقياء في هذه الحياة كالساقية بسبب ضعف الاستعداد . واما في الآخرة عند ما يتحولون الى الله وتكمل فرحتهم ويكون الله كلًّا في الكل فحينئذٍ يفيض عليهم كالنهر ويستمدّون من فائض انواره حتى يصيروا اشدّ صفاءً من البلّور

ثانياً ندلّ بالدار على حياة الاطهار في هذه الدنيا وغزير نعم الله وخيوره عليهم فيما يخص الجسد والروح . ولذلك تُعلّق القناديل في سقفها والصوَر في حيطانها ومن ارضها يفوح عرف البخور وتنشد في فضائها الترانيم والالحان وفيها يعمّد الاطفال ويسام بنو الايمان ويكلّل العرسان وتُحفظ فضلات الاطهار لنستدل بذلك على نشوئهم في الحياة الجسدية والروحية الى ان يبلغوا مبلغ الكمال

ثم نقام بالدار مواضع لتعليم الشعب واماكن لتسبيح الخالق وتقديسه ولتوزيع الاسرار الالهية لان الله تفضل على جنسنا اولاً بالفردوس ثم بالمدارس والكنائس والمحابس وما ضاهاها لاجل اكتساب العلوم الطبيعية والالهية لكي نعرفهُ ونخدمه ونتحد معهُ . ولما عدلنا عن معرفته ارسل لنا ابنه الحبيب وبدأ يعلم الشعب في المدن والقرى والبرّ والبحر ويغوثهم بالروح والجسد ويكشف الاسرار المحجوبة للتلاميذ ويأمرهم ان يتلمذوا العالم باسره

---

١) يوئيل ٢ : ٢٨ ٢) اشعيا ٤٤ : ٣

٣) يوحنا ٦ : ٣٥

ثالثاً يُشار بالدار الى اجتماع الاطهار ومجدهم في الملكوت فان الله منذ البدء جعل بعض الامور خفياً محجوباً و بعضها ظاهراً مُعلناً لكي نستدل من الظاهر على الخفي ونظفر من ذلك بالاجر والثواب . وكما ان اللسان ينطق من فضلة ما في القلب والثمرة تدل على الشجرة هكذا اراد الله ان يجعلنا مركّبين من روح وجسد احدهما خفي والآخر ظاهر لكي نرتشد من حركات الجسد الى معرفة الروح . وخلق لنا هذا العالم محسوساً لكي نهتدي مما نرى فيهِ من حسن الانتظام وتوافق التخالف الى الايمان والتصديق بالعلة الاولى التي تحرّكه وتضبطه . ولما قصد الارض اخفى لاهوته لكي يُنادي بهِ في العالم كله اولئك الذين كشف لهم ذاته بالمعجزات والخوارق

ثم انهُ اخفى ناسوته تحت اشكال الخبز ولم يأذن في الدخول الى حيث يتقدّس الا للكهنة لكي يتمسك هولاء بالتسليم الصادق ويرتشدوا بوحي الاسفار الحاوية الحياة فيقتادوا العوام للسجود لهُ وطلب الاتحاد معه

اخيرًا وعدنا بنعيم لا يزول وخيور لا تفنى في السماء واخفاها عنا واذن لنا في الدخول الى هيكل مجده لكي بواسطة حضوره على المذبح وتلاوة الكتب المقدّسة واقبال الكهنة والشعب على تسبيحهِ وصوَر القدّيسين وحفظ ذخائرهم وايقاد المصابيح وانتشار عرف البخور نرتفع ببصيرة العقل الى نظر النعيم الالهي والمجد غير المنعوت الذي من مشاهدة وجه الحق سبحانهُ وتعالى يفيض على مواكب الاطهار الذين يملكون معهُ في هيكل مجده الى ابد الابدين

الفصل التاسع

في المنبر وجرن الصبغة والناقوس وما تحوي الدار

أمر الرب في الشريعة العتيقة ان تُقام في الدار منابر وموائد وعَمَد من نحاس وغيرها . واما في الشريعة الجديدة فامر الآباء القدّيسون ان تُنصب القرّاءات والمنابر

واجران المعمودية واجران الماء المبارك والمرائي وبيض النعام والنواقيس وما شاكل ذلك

اولًا تُقام قراءَتان امام الدربزين من ههنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلًا ونهارًا وعليهما تتلا الكتب المقدّسة وميامر الآباء وسنكسارات الشهداء

ثانيًا اما المنابر التي تُنصب في الدار فبعضهم يقيمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدربزين لتقرأ عليها الرسائل والاناجيل والوعظ وزياح الميرون والشهداء وامثالها . ويُشار بالمنبر الى عليّة صهيون حيث علّم المخلص الرسل ان يثبتوا في محبته والى حجر القبر الذي وقف عليهِ الملاك وبشر النسوة بقيامة الرب . ويُقام المنبر خارج بيت القدس لانهُ في ملكوت السماء يبطل تعليم الايمان . ويُنصب المنبر في موضع عالٍ لان الاسرار التي ننادي بها فوقه ليست من اسفل بل من العلاء . ولهذا أُمرنا ان ننادي بها لا سرًّا بل على السطوح امام القضاة وولاة العالم لكي يسمعوها ويتمسكوا بها كانها مُنزلة من عند الله . ولذلك قال اشعيا «اصعدي الى جبل عالٍ يا مبشّرة صهيون . ارفعي صوتك بقوّة يا مبشّرة اورشليم» (١

ولذلك ايضًا أهبط الله تعالى وحيه لصموئيل على الرامة وأَعطى الناموس لموسى كليمه فوق طورسيناء . واختطف يوحنا الى جبل عالٍ ليريه اورشليم السموية . فضلًا عن ان السيد المخلص كان يعلّم على ظهر السفينة وفوق رأس الجبل وعلى الجبل تجلّى ومن الجبل صعد الى السماء حتى اذا حفظنا وصاياه رفعنا من هذه الارض الى العلا

ثالثًا يوضع في الدار جرن المعمودية لكي يغتسل بمائه غير المؤمنين وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة الّا من كان ابن النور وخالصًا من كل دنس رمزًا الى بيعة الابكار . الّا انهم ادخلوه الى الخزانة

١) اشعيا ٤٠ : ٩

لانهُ هناك يُحفظ تابوت الرازات كما نرى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بشرّي . ثم أمر الآباء ان يُنصب في الدار من جانب الشمال لاننـا في العماد نلبس المسيح وننتقل من بين الخطأة الى صفوف الصالحين الذين عن اليمين

ويُعلّق فوق الجرن تمثال حمامة دلالة على استقرار الروح . ويُتخـذ الجرن من الحجر اشارةً لثبات الايمان الى انقضاء الدهر . وقد مثّلهُ موسى بالصخر الذي ضربهُ في القفر واخرج منهُ اثنتي عشرة عيناً لبني اسرائيل . ورمز اليهِ سليمان ببحر النحاس الذي كان منصوباً في الدار على اثني عشر ثوراً لكي نفهم ان المـاء الذي خرج من جنب الرب بطعنة الحربة عمّد بهِ الرسل جميع آفاق العالم

رابعاً توضع في الدار اجران لاجل الماء الذي نباركهُ في الغطاس وفي تقديس البيعة وغيرهما تشبّهاً بما هو مذكور عن هيكل سليمان . على ان الماء المبارك مفيد لتطهير ادناس البدن ولخزي الشياطين وشفاء المرضى والنجاة من نقائص كثيرة . فقد ذكر عن الانبا مقاريوس انهُ خلّص امرأة برش الماء المبارك واخرجها من صورة الفرس التي كانت محوّلة اليها بقوّة السحر . وبهِ اخرج الشيطانَ مرقلوس اسقف حمـاة وبهِ شفى يوحنا فم الذهب امرأة من تقرّح الامعاء الذي اعجز الاطباء وابرأ كثيرين من الحمى والامراض المختلفة . وبهِ أبصر رجل اعمى على يد القدّيس انسلمو . وبهِ صرف كثير من الآباء هجمات الجراد والفأر عن الاراضي وخلّصوا النساء من وجع المخاض وبهِ فكوا السحر والطلاسم وطردوا الارواح الردية من الاجساد . وبهِ صنعوا خوارق شتى

وكما ان الاسرائيليين قهروا الفراعنة باجتيـازهم البحر ودخولهم ارض الميعاد هكذا المؤمنون عنـد دخولهم الى بيت الله يخزون العدو حين يرشّون عليهِ من هذا الماء

خامساً تُعلّق في الدار المرائي المدوَّرة وبيض النعام . وقيل ان هذه كانت معلّقة في هيكل سليمان ايضاً . فالمرائي تشير الى النظافة لانهُ كما ان الناس ينظرون

الى وجوههم في المرائي لكي يزيلوا عنها كل دنس جسدي . هكذ ينبغي ان تُنظف ارواحنا من كل سيئة دنّسنا بها صورة الله . ويُشار بوضع المرآة ايضاً الى ان القدّيسين يتنعمون في السماء بمرأى وجه الله وعندما يشاهدونه بمرآة العقل ينظرون ويفهمون كلما يشتهون

واما بيض النعام فيُشار بهِ الى ملازمة الصلاة والتأمل في اسرار الله لانهُ مذكور عن هذا الطير انهُ لا يقف على بَيْضه ولا يحضنــه لينقف بل ينظر اليهِ من بعيد واذا تعبت الانثى جلس الذكر مكانها ناظراً الى البيض واذا تغافلا عن النظر الى البيض مذر وفسد . كذلك اذا اردنا ان تكون صلواتنا مقبولة وجب علينا ان ندخل البيعة وان نرفع بصائر عقولنا لله اما اذا لهونا بامور دنيوية فان طلباتنا تمذر وتفسد ولا تكون مرضية

سادساً توضع النواقيس في الدار تنبيهاً للمؤمنين الاجتماع للصلاة . وكما ان الملوك يأمرون بضرب الابواق اذا التحمت معارك الحروب اوجب الآباء على الابوديا كونية ان يدقوا النواقيس لمحاربة العدو . وقد تسلمت البيعة دق النواقيس من نوح البار الذي كان يضرب الناقوس ثلاثة دفوع في النهار لاجل اجتماع الفعلة لعمل السفينة وللأكل

وقد امر الله شعب اسرائيل ان يجعلوها كالابواق التي كان ينفخ فيها الكهنـة لنداء الشعب وكسر الاعداء كما هو محرَّر « وكلّم الله موسى قائلًا اصنع لك بوقين من فضة مطروقين تصنعهما فيكونان لك لنــداء الجماعة وتسيير المحلات يُنفخ فيهما فيجتمع اليك كل الجماعة . . . وبنو هرون الكهنة هم ينفخون في الابواق فيكون ذلك لكم رسم الدهر مدى اجيالكم . فاذا خرجتم الى حرب في ارضكم على عدوّ يضايقكم فاهتفوا بالابواق فتُذكروا امام الهكم وتنقذوا من اعدائـكم » (١

وقد اكمل الرب كل ذلك بصليبــهِ الخشبي الذي دعا اليهِ الامم وخصلّهم من العدوّ

١) عدد ١٠ : ١

الفصل العاشر

في الدربزين واسبابه

لما ان نصب موسى المقدِس للشعب في القفر امره الرب ان يصنع حجابين من سمنجوني وارجوان وصبغ قرمز وبزّ مشزور صنعة نسَّاج حاذق فيكون احدهما فاصلاً بين الدار والقدس والثاني فاصلاً بين القدس وقدس الاقداس . وعملاً بهذا فصل الآباء من البدء قدس الاقداس عن بيت القدس بحائط من حجر وحجبوا القدس عن الدار بالدربزين كما يخبر المجمع الطرونيقي . وما كانت ابوابه تنفتح الّا مرَّات قليلة لكي تستمرّ درجة الكهنوت محفوفة بالكرامة وخدمة الله مكتنفة بالمهابة

ولما ان ظهر الوالنتنانيون والاولسانيون واخذوا يزعمون بان شؤون البيعة ينبغي ان تكون خفية ومحجوبة عن الشعب أَمر الآباء بان تفتح ابواب الدربزين وقت الصلاة والقدَّاس وتجعل فيهِ بعض كوىً على مثال الشبكة لكي يتمكن الشعب من معاينة الاسرار المقدسة كما هو واضح في جميع الدرابزونات المقامة في كنائس جبل لبنان

وأَخبر اوسابيوس المؤرخ ان قسطنطين صنع على هذا النمط في الكنيسة التي بناها في القسطنطينية فجعل باب الدربزين بمصراعين وأَسبل ستراً يُغطي الدربزين كله من داخل اخفاء للامور التي يلزم حجبها عن عيون الشعب في القدَّاس ورسامة الكهنة وغيرهما. وثبت ذلك في البيعة الى زمان اضطهاد الايقونات المقدَّسة خاصةً في بلاد الروم . وحينئذٍ أَمر الاباء بسطم الدربزين في تلك النواحي الى يومنا هذا

واما في الكنيسة الرومانية فانهم تركوا الدربزين في اكثر البيع . وفي بعضها جعلوا علوها نصف قامة ورفعوا المذبح فوق عدَّة درجات ليتمكن الشعب ان ينظر بسهولة الى امور القدَّاس باسرها

واما قدس الاقداس الذي كان اولاً محتجباً فامر الآباء ان يفتح لهُ بابان من هاهنا وهناك من بيت القدس وان يدخله العوام من الدار وجعلوه خزانة ونصبوا فيهِ مذبحاً صغيراً في وسطهِ واقاموا عن يمينهِ قبة العماد وجعلوا فيهِ موضعاً لتابوت الرازات وثياب الخدمة وآلات القدس وكتب البيعة وذخائر القديسين وما اشبه ذلك وهناك نختار روساء الكهنة ونبدأُ في رسامة الانجيلي والبردوط والخوري . والى هناك ينقلون فضلات الاسرار ويشوتفون الاطفال وفيهِ تصير الدورات

واما كرسي الاسقف مع ما يخص قدس الاقداس فاقاموها في حنيَّة المذبح الكبير في موضع عالٍ لكي تكون جميع امور البيعة ظاهرة واضحة غير خفية خلافاً لمزاعم اصحاب البدع

والمقصود من رفع الحجاب اظهار كون الله تعالى اوضح لنا سبيل الاظهار الذي كان محجوباً في العتيقة كما قال الرسول . واما الداعي الى اقامة الحجاب في العتيقة والدرابزين في الحديثة فهو لان الله هكذا أمر موسى وهكذا ابان لهُ في الجبل لنستدل على التمييز غير المتجزئ بين الاقانيم الثلاثة الجزيل تقديسها فقد كتب « ليس احد يعلم مَن الآب الا الابن ومن يريد الابن ان يكشف لهُ » (١

ولكي يحصل التمييز بين الشعب وخدَمة المذبح امر الرب موسى ان لا يدخل بيت القدس احد الا الكهنة وان لا يدخل قدس الاقداس الا رئيس الاحبار وحده . وفي العهد الجديد أمر آباء المجمع الطرونيقي ان يقف العوام بخارج المذبح الذي تُقدَّم عليهِ الاسرار المقدسة وان لا يجرأ احد على الوقوف بين الشمامسة في القومات والقداس

ومجمع اللاذقية نهى النساء عن الدخول للمذبح وقال انهُ لا يحل لاحد ان يقترب اليهِ الا للخدمة فقط . ومجمع براقة نهى العوام عن الدخول الى بيت القدس ومجمع ترلوس حرَّم على كل احد من العوام ان يتقرَّب او يقدّم تقدمة داخل الدرابزين

١) لوقا ١٠ : ٢٢

ما خلا الملوك المؤمنين الذين أُذن لهم في ذلك من قديم الزمان . وانما أمر الله في العهد العتيق باقامة الحجاب لان الشعب لم يكن اهلاً لمشاهدة اسرار الله

ويؤيد ذلك ان الرب لما اعطى موسى الناموس وأمره ان ينادي بهِ امام الشعب طلب اليهِ الشعب ان يضع على وجههِ برقعاً لاجل ضعف ابصارهم كما قال الرب لاشعيا « انطلق الى هذا الشعب وقل تسمعون سماعاً ولا تفهمون وتنظرون نظراً ولا تبصرون لانهُ قد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السماع واغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا بآذانهم ولا يفهموا بقلوبهم ويرجعوا اليَّ فاشفيهم » (١

ولما ان جاءَهم معلم البرّ سدّوا آذانهم عن كلامه وتآمروا على صلبه ولذلك قضى الرب بتمزيق حجاب الهيكل من اعلى الى اسفل دليلاً على هدمه وزوال ذبائحه . وكان عظيم الاحبار قد مزَّق ثيابه سابقاً اشارة الى بطلان ذلك الكهنوت لان كل بيت ينقسم يخرب . واما الذين قبلوا كلامه فرفع الغشاء عن قلوبهم ولم يشأ ان يكلمهم بالرموز بل علانيةً واظهر لهم الاسرار التي اخفاها عن الحكماء واعطاهم ذخيرة البنين ليتقدموا اليهِ بدالة الوجوه ويعرفوه من صغيرهم الى كبيرهم كما كتب الرسول قائلاً « أُعميت بصائرهم لان ذلك البرقع نفسه باقٍ الى يومنا هذا غير مكشوف عند قراءَة العهد العتيق اذ هو بالمسيح يبطل حتى انهُ الى اليوم اذا قرئ موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم » (٢

واما في العهد الجديد فرتب الاباء ان لا يمنع الشعب عن مشاهدة الاسرار بسبب الدالة والحرّية التي منحهم الرب بواسطة آلامهِ المقدَّسة اذ يعرفون ويؤمنون حقاً انهُ ابن الله مساوٍ لهُ ولروح القدس في الازلية والكرامة كما قال الرب « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك أَنت الاله الحقيقي وحدك والذي ارسلتهُ يسوع المسيح » (٣

١) اعمال ٢٨ : ٢٦ ومتى ١٣ : ١٥

٢) ٢ كورنتس ٣ : ١٤ ٣) يوحنا ١٧ : ٣

ويقام الدربزين في الوسط لان معرفتنا بالله ليست كاملة كمعرفة المطوّبين ولكنها على مناسبة ضعفنا وكما في المرآة كقول الرسول في الفصل المذكور « وحين يرجعون الى الرب يرفع البرقع ان الرب هو الروح وحيث يكون روح الرب فهناك الحرّية . اما نحن جميعنا فننظر بوجه مكشوف كما في المرآة مجد الرب فنتحوَّل الى تلك الصورة بعينها من مجدٍ الى مجد كما يكون من الرب الروح » (١ . ولهذا أمر بافراز موضع للشعب وموضع للشمامسة وموضع للكهنة وموضع للرؤساء كل واحد في منزلته ومقامه الذي يليق به

وينصب الدربزين بين الدار والقدس لنعلم ان الطبع الالهي تبارك وتقدَّس لا تحدّه ولا تتصل اليهِ مدارك جميع الخلائق فقد قال داود النبي « الغمام والضباب من حوله » (٢ . وقال بولس الرسول « مسكنه نور لا يُدنى منهُ لم يرهُ انسان ولا يقدر ان يراه » (٣

وقال حزقيال في بدء نبوءتهِ مخبرًا عن الرؤيا العجيبة التي تجلت لهُ « فرأيت فاذا بغمام عظيم ونار متواصلة ولهُ ضياءٌ من حوله ومن وسطها كمنظر نحاس لامع من وسط النار . ومن وسطها شبه اربع حيوانات وهذا مرآها . لها شبه البشر . ولكل واحد اربعة اوجه . ولكل واحد اربعة اجنحة . . . وسمعت صوت اجنحتها كصوت مياه غزيرة كصوت القدير » (٤

واخيرًا تُشبَّه الدار بالفردوس الذي أُدخل اليهِ الله اجدادنا عندما كانوا حافظين الطهارة فان ذلك المكان كان متوسطًا بين السماء والارض . وهكذا الدربزين هو متوسط بين سكان السماء واهل العالم

---

١) ٢ كورنتس ٣ : ١٦
٢) مزمور ٩٦ : ٢
٣) ١ تيموتاوس ٦ : ١٦
٤) حزقيال ١ : ٤

الفصل الحادي عشر

في ابواب الكنائس

يُشار بفتح ابواب الكنائس ليلاً ونهاراً الى وفرة رحمة الله ورأفته بالجنس البشري ولهذا كلما دخلنا بيت الله نقول « بابَ الرحمة والرأفة افتح لنا ايها السيد الرؤوف كما فتحت لمريم الخاطئة بيت سمعان الفريسي » . ويُشار بفتح الابواب ايضاً الى ارتياح الله لخلاصنا وتوقه لاقبال جميع الناس الى معرفته ولهذا تنفتح ابواب الكنيسة عند قراءة الكتب لكي يسمع الشعب كلام الله ويقبلوا على معرفة الحق كقول اشعيا « وتنفتح ابوابك دائماً لا تُغلق نهاراً ولا ليلاً ليؤتى اليك بغنى الامم وتحضر اليك ملوكهم . لان الامة والمملكة التي لا تتعبد لك تهلك والامم تخرب خراباً . مجد لبنان يأتي اليك . السرو والسنديان والشربين جميعاً لزينة مقدسي واُمجّد موطئ قدميَّ » (١

ويُدَل بفتح الابواب على ارتياح الله تعالى ان يحيا الجميع ويدخلوا في ملكوته السماوي . ومن هذا يُستدل على تعاظم النعمة التي اولاناها الله في العهد الجديد فوق التي خوّلها لأُولي العهد العتيق فان اولئك لم يأذن لهم الا ان يبنوا هيكلاً واحداً في بيت المقدس واختص لهُ ذرّية ابرهيم دون غيرها . ولكنهُ في العهد الجديد بعد تجسد ابنهِ أمر ان تُبنى الكنائس في كل موضع وتنفتح ابوابها لكل لغة وملة لنفهم انهُ بابنهِ اعطانا كل شيء وانهُ لا يفرق بين يهودي ولا امّي ولا يوناني ولا عجمي ولا عبد ولا حرّ بل هو كلٌّ للكل وقد افاض رحمته على كل ذي جسد وامر تلاميذه ان يخرجوا الى العالم كله ويستميلوا جميع الناس الى معرفته والاتحاد معهُ بجسده والتنعم بصحبتهِ في ملكوتهِ السماوي كما هو مكتوب في صلاة الصبح لتقديس البيعة « ان البيعة فتحت ابوابها لجميع اقطار الدنيا ودعت الامم اليها قائلة

١) اشعيا ٦٠ : ١١

هلموا ايها الغرباء وكونوا اقرباء . تعالوا ايهـا الخطأة وتوبوا لان الرب أعدَّ لي مائدة وهيأَ خبز الحياة ومزج لي اجَّانةً من جنبهِ المحيي »

واخبر يوحنا عن اورشليم الجديدة التي اراه اياها روح الله فقال « لها اثنا عشر باباً وعلى الابواب اثنا عشر ملاكاً وعليها اسماء مكتوبة وهي اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر . . . ولسور المدينة اثنا عشر اساساً فيها اسماء رُسل الحمَل الاثني عشر » (١

واراد بالمدينة الجديدة التي رآها يوحنا نازلة من السماء الى الارض ليسكن بها الله بين شعبهِ البيعة المقدسة التي خطبها بدمهِ وعاهدها انهُ يدوم معها الى انقضـاء الدهر . والمع بقولهِ ان لها اثني عشر باباً الى وفرة رأفة الله تعالى بنوع البشر وقولـه « الى الشرق ثلاثة ابواب والى الشمال ثلاثة ابواب والى الجنوب ثلاثـة ابواب والى الغرب ثلاثة ابواب » اشارة الى ارتياح الله لان يحيا الجميع ولهذا بذل نفسه دون جميعهم ليكون لهم بهِ الخلاص والنجاة

وقال ان الابواب الى كل جهـة هي ثلاثة لان اقانيم الجوهر الالهي هي ثلاثة وباسمائهم أُمرنا ان نعمّد الذين يحبونهُ ويؤمنون بهِ . وقوله ان الاثني عشر باباً مكتوبة عليها اسماء الاسباط الاثني عشر لانهُ شهد للسامرية ان الخلاص من اليهود ومنهم اتخذ الجسد وأَمر تلاميذه ان يتقدّموا ببشارتهم قبل الجميع . ولم يقل انـهُ اسس المدينة على الاسباط بل على رسل الحمَل لان بني يعقوب كانوا يسكنون الخيم التي لا ثبات لها بخلاف الرسل الذين جعلهم كالصخور الراسية حسبما قال لبطرس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » (٢ . وقال الرسول « قد بُنيتم على اساس الرسل والانبيـاء وحجر الزاوية هو يسوع المسيح الذي فيهِ ينسق البنيان كله فينمو هيكلًا مقدساً في الرب » (٣

١) رؤيا ٢١ : ١٢ ٢) متّى ١٦ : ١٨

٣) افسس ٢ : ٢٠

ومن اجل هذا قال داود « الرب يحب ابواب صهيون على جميع مساكن يعقوب » (١. لان ابواب صهيون التي هي البيعة المقدسة مبنية على الصخر الثابت اما الاسباط فانهم كانوا يسكنون الخيام على رجاء هذه المدينة الثابتة كما كتب الرسول لابنائهم « بالايمان سكن ابرهيم في اخبية مع اسحق ويعقوب الوارثين معهُ للموعد بعينه. لانهُ انتظر المدينة ذات الاسس التي الله صانعها وبارئها » (٢

وقوله « ان على الابواب اثني عشر ملاكاً » اشار بهِ الى روساء اجناد السماء وعلماء الكنيسة ومدبريها الذين يحافظون على خطيبة المسيح ومذبح جسده افضل من الجبابرة الذين اقامهم سليمان ليحافظوا على سريره كما تقول البيعة في صلاة الاحد بصوت ܫܒܚܠܐ « لا اخشى من الشرير لان حرّاساً اشداء قائمين على ابوابي. داود يضرب بالقيثارة وسمعان الرسول واقف بصحبة الاثني عشر مع جميع الشهداء »

وقال بولس الرسول ان لهذه المدينة سوراً مربعاً بالطول والعرض والعلو يريد بذلك ان الله يحفظها من جميع مكايد العدو كما ورد في الانجيل ان الرب سأل الآب قائلاً « ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي » (٣. ووعدها قائلاً « ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها » (٤

واما البيعة فانها تقول في سحر الاحد بصوت ܫܒܚܠܐ « ان ثلاثة اسوار محيطة بي فلا يستطيع العدو ان يدخل بيتي لان الاسوار الثلاثة ملتصق بعضها ببعض وليس بين السور والسور مكان خال. الآب والابن والروح القدس هم الاسوار الثلثة. وانا جالسة بينهم كالعروس المجدة »

واما ابواب الكنيسة فتنفتح دائماً لبني الايمان لكي يدخلوا بدالة الوجوه كالابناء

---

١) مزمور ٨٦ : ٢ ٢) عبرانيين ١١ : ٩

٣) يوحنا ١٧ : ١١ ٤) متى ١٦ : ١٨

الاعزاء الى بيت ابيهم بخلاف المتمردين فانهم يطردون منها إما لاجل مخالفتهم كما طرد الشياطين من السماء وآدم من الجنة ويهوذا من الغرفة الصهيونية وإما لكونهم جهالاً وغير اهل للشركة بجسد الرب

ومن اجل هذا يأمر الشماس بعد قراءة الانجيل ان يخرج السامعون وان تُغلق الابواب . وقد أمر الله ان يكون في المقدس حجابان ليفرق احدهما بين الدار والقدس والآخر بين القدس وقدس الاقداس لكي يحصل الافتراق بين ذوي الكهنوت ومن سواهم

ويُشار بذلك الى ان سرّ الثالوث كان خفياً على اهل ذلك العهد ولم يوحهِ الله الَّا للبعض من الاباء الفضلاء وذلك خلافاً للعهد الجديد اذ انهُ مذ تجسد ابن الله انكشفت هذه الاسرار لجميع اولاد المعمودية بكلمة مختصة من جانب الحق بقولهِ « اعترف الك يا أبتِ رب السماوات والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال . نعم أبتِ لانهُ هكذا حسُن لديك . كل شيء قد دفع اليَّ من أبي . وليس احد يعرف الابن الا الآب . ولا احد يعرف الآب الا الابن . ومن يريد الابن ان يكشف لهُ » (١

ولما ان لبس الابن جسدنا كشف لنا هذه المعرفة وأمرنا ان نبشر بها العالم ونعمدهم باسم الآب والابن وروح القدس . ولاجل ذلك اوجب آباؤنا الاطهار ان تكون ابواب الدرزين مفتوحة وجدرانه غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكن الجميع من مشاهدة الاسرار . ولكنهم امروا الشمامسة ان يسبلوا الاستار في اوقات معلومة اجلالاً للاسرار وذلك اولاً . عندما نتلو الامانة لان الايمان هو سرّ الامور التي لم نرَها بل نرجوها كما كتب الرسول الى العبرانيين

ثانياً . عندما نرسم الصلبان على الكاس قائلين ܩܕܝܫܐ ܘܒܪܝܟܐ

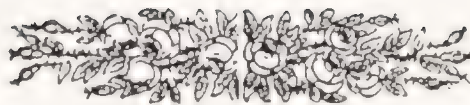
---

١) متى ١١ : ٢٥

لاننا حينئذٍ نصنع تذكار آلام الرب الذي لا يدرك أمره

ثالثاً. عندما تُكسر الجوهرة ويقوم الكهنة بخدمة الاسرار لان موت الرب وتوزيع جسده في العلية كان امرهما خفياً وغير مدرك

رابعاً. يُرخى الستر عندما ينزل الكاهن ليوزّع على الشعب جسد المخلص وذلك لكي نعلم ان ذاك الذي يستقر في حضن الآب في هيكل قدسه نزل الى الارض ليوزّع نفسه على نوع البشر



الشرح الثاني

في المذبح المقدس

ان الموضع المتوسط في الكنائس هو المذبح الذي هو بمنزلة القلب في البدن. وعليهِ تُقرَّب لله الذبائح الطاهرة وبما انهُ اقرب سائر الكنيسة الى جسد الرب لا يجوز ان يدخله الا من حلق عن راسهِ الشعر المشار بهِ الى هموم العالم وقدّم نفسه نذرًا وقربانًا لخدمة الباري فعن هذا الموضع وما يليهِ نتكلم في هذا الشرح ونقسمهُ الى عشرة فصول

الفصل الاول	في المذبح المقدس
الفصل الثاني	في الطبليت
الفصل الثالث	في اغطية المذبح
الفصل الرابع	في اشارة الصليب
الفصل الخامس	في ذخائر القديسين
الفصل السادس	في الصور المقدَّسة
الفصل السابع	في ايقاد الشمع
الفصل الثامن	في اسراج القناديل
الفصل التاسع	في تقدمة البخور
الفصل العاشر	في المراوح والصنوج

الفصل الاول

في المذبح المقدس

المذبح هو قائمة مقدّسة تُرفع القرابين عليها لله الواحد. وكان نوح البار اول من بدأ بنصب المذابح بعد الطوفان فتقبّل الله تعالى عمله وسرّ بالذبائح الطاهرة التي قدّمها لهُ وتنشَّق روائحها

وذُكر عن ابرهيم واسحق ويعقوب انهم اقتدوا بمثَله في عهد الطبيعة. ولما اعطى الله الناموس لشعب اسرائيل نصب موسى بامره مذبحًا في المقدس ونصب سليمان مذبحًا في الهيكل واعطاهما السنن التي بموجبها تُقدَّم القرابين. فلما فاضت النعمة وتفضّل الله علينا بتقدمة جسده امر الرسل باقامة المذابح في جميع آفاق العالم كما نقرأ في تقديس المذبح

ܫܕܪ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܪܘܚܐ ܕܫܪܪܐ ܪܘܚܐ ܕܒܘܝܐܐ ܗܘ
ܕܟܕ ܐܬܡܠܝܘ ܡܢܗ ܗܠܝܢ ܕܡܢ ܫܘܪܝܐ ܗܘܘ ܚ̈ܙܝܐ
ܘܡܫ̈ܡܫܢܐ ܕܡܠܬܐ ܒܝܕ ܡܘܗ̈ܒܬܐ ܡܫܚܠ̈ܦܬܐ
ܕܥ̈ܕܬܐ ܐܩܝܡܘ ܚܕܬܘ ܡܕܒ̈ܚܐ ܘܐܩܕܫܘ
ܡܥܡܘܕܝܬܐ (١

وهكذا عندما يقوم رأس الكهنة في كنيسة الروم ليكرّس الانديمسي يقول ان روح القدس اعطانا نعمة النبوءة واقام الكنائس ونصب المذابح ووضع لنا قوانين ونواميس الكَهنوت التي نحن متمسكون بتقليداتها. والرسول يقرّ « ان لنا مذبحًا

١) ارسل اللهمَّ روح القدس روح الحق روح التسلية الذي لما امتلأ منهُ منذ الابتداء ناظروا الكلمة وخادموها اقاموا بواسطة المواهب المتنوّعة البيعَ وجدّدوا المذابح وسمّوا المعمودية

لا يحل للذين يخدمون المسكن ان يأكلوا منهُ » (١ . وكتب الى اهل كورنتس قائلاً « لا تستطيعون ان تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين » (٢

ومأمور في القانون الثالث من قوانين الرسل ان كل اسقف او قسيس خلط مع القصات اشياء غريبة على المذبح كعسل او حليب او اتخذ عوض الخمر مسكراً او طيراً او حيوانات فانهُ يسقط . وفي القانون الرابع مأمور انهُ لا يجب ان يُصعد على المذبح سوى زيت القنديل وعطر البخور في التقدمة

وعن هذه المذابح قد سبق الرب واخبرنا قائلاً « من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل موضع تُقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة » (٣ . وكذلك قال على لسان نبيـهِ العظيم « في ذلك اليوم يكون مذبح الرب في داخل ارض مصر . ويتعرَّف الرب لمصر فتعرف مصر الرب في ذلك اليوم ويعبـدونهُ بالذبيحة والتقدمة » (٤ . وقد اراد بارض مصر جميع الامم غير اليهودية التي آمنت بالربّ

وكان الآباء في مبتدإ النصرانية يقيمون في كل قرية وكل موضع يجتمع فيـهِ ابناء المعمودية كنيسة واحدة وقسيساً واحداً ومعمودية واحدة ومذبحاً واحداً وصليباً واحداً اولاً . لان عدد المؤمنين كان اذ ذاك قليلاً . ثانياً . لكي يتحدوا بقلب واحد وروح واحد . ثالثاً . لكي يعتقدوا باله واحد ورب واحد ومعمودية واحدة . وكانوا يصنعون المذابح من خشب ويجعلونهـا في موضع خفي اسبب الاضطهاد والضنك والخوف من الكفار

فلما استقامت احوال النصرانية وتقوَّت في عهد قسطنطـين الملك أَمر الآباء بتكثير الكنائس والمذابح والـكهنة لتكثر خدمة الله وتنتشر . وكان الشمامسـة في

---

١) عبرانيين ١٣ : ١٠ ٢) ١ كورنتس ١٠ : ٢١
٣) ملاخيا ١ : ١١ ٤) اشعيا ١٩ : ١٩

ايام الآحاد يفتحون ابواب الكنائس وقبل ان تقرأ الاناجيـل والرسائل ينشدون بصوت عالٍ القطعة الآتية من المزامير

ܫܡܥܘ ܗܕܐ ܟܠܗܘܢ ܥܡܡܐ ܀ ܕܟܗܢܐ ܟܪܝܟܝܢ ܠܗ ܠܡܕܒܚܐ ܘܨܘܬܘ ܟܠܗܘܢ ܥܡܘܪܝ ܐܪܥܐ ܀ ܕܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܡܪܚܦܐ ܥܠܘܗܝ (١

وكذلك قبل ان تقرأ الكتب المقدسة لم يكونوا يصمدون الاسرار على المذبح الكبير بل على المذبح الصغير المستتر لئلا يتوهم المتتلمذون ان النصارى متمسكون بتقليدات اليهود او انهم يضحّون الضحايا كالكفار. لكنهُ لما اشتهرت الديانة المسيحيـة أَمر الآباء بالغاء المذبح الصغير المستتر واوجبوا ان تصمد الاسرار على مذبح واحد كما صنع السيد المخلص في العلية الصهيونية

ومن ثم بطلت العادة الموما اليها في جميع الكنائس شرقاً وغرباً ولم يتمسك بها الا الروم الذين الى الآن ينقلون الاسرار من المذبح الصغـير الى المائدة كما سوف نتكلم عن ذلك في الشرح الاول من المنارة السابعة

ولا يُنصب المذبح في الكنائس لتُقدم عليهِ ذبائح زائلة كالثيران والخرفان بل ليُقرَّب عليهِ جسد ابن الله الذي قدَّم نفسه مرّة واحدة على الصليب وظفر بالخلاص الابدي. ومن ثم كان دلالةً على السيد المخلص وكل موضع أوى اليهِ كالمذود الذي ولد فيهِ والسفينة التي رقد في مؤخّرها والجبل الذي تجلى عليـهِ والصليب الذي اهرق عليهِ كل دمه واسلم الروح والقبر الذي دُفن فيهِ الى غير ذلك. وانما يُنصب المذبح في بيت القـدس امام الكرسي وعن يمينهِ لنفهم بذلك ان ابن الله بحسب الطبيعة البشرية صعد الى السماء ليتراءى عنا امام الآب فسلّطهُ على جميع الخلائق.

---

١) الترجمة: اسمعوا هذا يا كافة الشعوب ان الكهنة محيطون بالمذبح واصغوا يا جميع ساكني الارض ان روح القدس يرفّ عليهِ

واما بحسب الطبيعة الالهية فانهُ مولود من الآب قبل كل الدهور ومساوٍ له بالجوهر والكرامة الى ابد الابدين كما تقدّم البيان في الشرح الذي سبق · وكذلك نقرأ في سحر الاثنين بصوت ܩܘܡܐ ܕܝܢ ܕܫܠܐ

ܗܐ ܡܕܒܚܐ ܗܘܐ ܡܪܟܒܬܐ ܘܟܗ̈ܢܐ ܒܕܡܘܬܐ ܕܣܪ̈ܦܐ ܡܦܠܓܝܢ ܠܗ ܠܦܓܪܗ ܘܕܡܗ ܕܒܪܗ ܕܒܬܘܠܬܐ (١

وبما ان الآباء الاطهار اعتقدوا من البداية ان جسد الرب يحضر على التحقيق والتأكيد في القربان المقدس دعوا الموضع الذي يقدَّم عليهِ مذبحًا ومائدة ومنبرًا وقبة وخدرًا وكرسيًّا ومضجعًا ومرقدًا وما شاكل ذلك

فاولاً · يسمونهُ مذبحًا او مذبح الغفران وما شاكل ذلك من التسميات لان السيد المخلص كما بذل نفسه دوننا واهرق دمه لآخر نقطـة على مذبح الصليب لاجل استنقاذنا من اسر الخطية هكذا يرتضي ان نقدّم على المذبح لذكر موته جسـده الذي جعلهُ لنا عهدًا الى نهاية الدهر · وبسببهِ قبل جميع قرابين الآباء المتقدمين

ثانيًا يسمون المذبح مائدةً لان الربّ قدّس جسده وهو جالس على العشاء · ولذلك قيل في مساء تقديس البيعة « افرحي جدًّا وابتهجي وتمجدي ايتها البيعـة لان فيك مائدة النعيم وجسد المسيح ودمه » · وورد في صلاة الصبح « تعالوا يا معشر الخطاة وأنيبوا الى الله لان فيَّ مائدة وخبز الحياة واجّانةً منعمة من جَنْب الرب » · وجاء في ليلة الاحد « ان البيعـة يوم الاحد تضع مائدة وتنادي القبائل قائلة تعالوا وتنعّموا بجسد المسيح ودمه »

ثالثًا · يسمون المذبح منبرًا لان الرب يحضر عليهِ ليوزّع خيوره على شعبه ولذلك

---

١) الترجمة : ها هوذا المذبح صار مركبة والكهنة على مثال السارافيم يوزعون جسد ودم ابن البتول

عندما يسجد الكهنة قدامه يصرخون قائلين « لبيتك يا الله دخلت وقدّام منبرك سجدت »

رابعًا يسمونهُ قبَّة وخدرًا لاننا نقول في تقديس البيعة بصوت ܐܘܠܐ ܐܝܠܐ ܒܥܘܪܐ ܐܬܬܪܐ « استيقظي استيقظي ايتها البيعة وارفعي رأسك المتضع لان العريس في هذا الوقت يهبط من السماء الى خدركِ ويكسر فيكِ جسده الحي ويمزج بكِ دمهُ . فكلي جسده واحظي بالمغفرة واشربي دمه وتقدّسي » . وكما ان الرسول نهى خدّام قبة الزمان عن الاكل من مذبح الرب كذلك البيعة تنهى عن الدخول الى قبتهِ كل من لم يتطهر بجميم العماد اذ تقول بصوت ܡܫܒܚܐ

ܐܙܠܘ ܒܫܠܡܐ ܫܡܘ̈ܥܐ ܕܗܐ ܥܕܬܐ ܩܥܝܐ ܘܐܡܪܐ ܕܚܬܢܐ ܛܝܒ ܠܝ ܓܢܘܢܐ ܘܐܘܬܒܢܝ . ܘܐܝܢܐ ܕܠܐ ܠܒܝܫ ܡ̈ܐܢܐ ܕܚܘܣܝܐ . ܠܐ ܫܒܝܩ ܠܗ ܕܢܥܘܠ ܘܢܩܘܡ ܒܒܝܬܝ (١

خامسًا . يسمون المذبح كرسيًا وسريرًا ومُخدعًا ومرقدًا ونحوها لان المخلص مثلما جلس مع تلاميذه في تقديس جسده كذلك يسرّ كل يوم ان يجلس معنا ويستريح فينا وان نتلذَّذ نحن واياه في مناولة جسده . كما قال يوحنــا « ها ءنذا واقف على الباب اقرع فان سمع احدٌ صوتي وفتح الباب ادخل اليهِ واتعشى معهُ وهو معي . من غلب فاني اوتيهِ ان يجلس معي على عرشي كما غلبت أنا وجلست مع ابي على عرشه » (٢ . وتقول البيعة ايضًا في مدرج التقديس

---

١) ترجمته : اذهبوا بسلام ايها السامعون ها ان البيعة تهتف وتقول ان العريس هيأ لي عُرسًا واجلسني فيهِ ومن ليس عليهِ ثياب الغفران لا سبيل لهُ للدخول والقيام في بيتي

٢) رؤيا ٣ : ٢٠

ܒܐܪܓܘܢܐ ܕܚܫܗ ܨܒܥ ܥܪܣܗ ܘܥܠ ܟܘܪܣܝܐ
ܕܕܗܒܐ ܐܘܬܒܢܝ ܕܠܗ ܪ̈ܚܡܬ. ܘܩܪܒ ܠܝ ܕܡܗ ܡܫܬܝܐ
ܘܫܬܝܬ ܘܐܬܒܣܡܬ ܫܘܪ ܕܕܝ ܛܘܪ̈ܐ ܘܪ̈ܡܬܐ ܘܐܬܐ ܣܡܟ
ܒܥܪܣܐ ܕܠܗ ܦܪܣܬ

اعني ان المسيح حبيبي يرعى بين السوسن اي جماعة الاطهار . بقرمز الأَلم صبغ فراشه . وعلى كرسي الذهب اي المذبح أَجلسني لاني اياه احببت وقدّم لي دمــه شرابًا فشربت وتلذذت . تنقَّل حبيبي فوق الجبال والتلال ثم جاءَ واضطجع على السرير الذي فرشته لهُ . اي انهُ ترك مراتب السارافيم والكاروبيم . وقصد ان يرقد على سرير المذبح الذي اعدَّته لهُ البيعة

ولئلا يتوهم احد ان هذا الكلام المنقول من نشيد الاناشيد هو من قبيل الرموز قالت البيعة في المدرج نفســه ܗܐ ܫܪܪܬܐ ܕܒܗ ܥܕܬܐ ܢܗܪ اعني ان حقيقة هذه الاقوال وضح صدقها في البيعة وقد اثبتت اعتقادها هذا في حسَّاية صلاة الستَّار اذ تقول « ان المسيح الهنا الذي اقام لهُ خدَّامًا في البيعة السموية ارواحًا غير مادية وارتضى ان تخدمه الايدي الجسدية في الكنيســة الارضيــة . هو حالّ في السماء وفي مساجد الكنيسة في الكرسي وفي خزانتها على المركبة وعلى مذبحهــا . وقد جعلها هيكلًا ليسكن فيهِ لان نفسهُ تاقت لحسنها »

اما بشان تركيب المذبح فقد ذكر سفر الخروج ان الرب أَمر موسى ان يصنعهُ من خشب السنط وان يكون مربَّعًا عاليًا ثلاثة اذرع ومجوَّفًا في الوسط وان لا يصعد اليهِ الكاهن بدرج لئلا تنكشف عورته

فاولًا امرهُ ان يصنعـــهُ من خشب السنط ليكون رمزًا الى الصليب المقدس الذي مات عليـــهِ المخلص . وهكذا كان آباؤنا المتقدمون ينصبون لهم مذابح من الخشب خشية من الكفرة الذين كانوا يشدّدون عليهم الاضطهاد ولا يمكّنونهم ان

يستقروا في موضع واحد بل كانوا يطردونهم من مكان الى آخر . وحتى الآن لم يزل المذبح الذي كان بطرس هامة الرسل يقدّس عليهِ محفوظًا في رومية وهو على مثال القرَّاءَة . ولما انعقد مجمع نيقيــة رسم الآباء ان يصنع المذبح من حجر كما كان قبر المخلص للدلالة على استمرار هذه الذبيحة الى نهاية الزمان

ثانيًا يُصنع المذبح مربَّعًا لانهُ مائدة ويمتدّ في الطول بين الجنوب والشمال اكثر من امتداده في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القداس وحقّــة البخور والنوافير وغيرها

ثالثًا يُبنى المذبح مرتفعًا لان القرابين لا تقدَّم الَّا لله وحده القاطن في السماء ولذلك سُمّيت صعائد بسبب ارتفاعها على المذبح . ولم يأذن الآباء ان يكون لاصقًا بالحائط بل اوجبوا ان يكون قائمًا بمعزل عنهُ ليكون اولاً كالحجر الذي اقامهُ يعقوب نُصبًا وافاض عليــهِ الدهن وخشبة الصليب الذي ارتفع عليهِ الرب . ثانيًا لاجل الزياحات التي تجري حول المذبح في تقديسه وفي رسامة الشماس الرسائلي وتجنيز من يموت من الكهنة الخ . ثم لكي لا تتضيّق منــهُ الكنيسة أَمروا ان يُطوى الحائط الشرقي على شكل حنية كما يتضح ذلك مما تراه في جميع كنائس الشرق

رابعًا يُجعل المذبح مجوَّفًا لاجل وضع الفضلات المقدسة كما يذكر يوحنا في الرؤيا انهُ « رأَى تحت مذبح الحمل نفوس المقتولين لاجل كلمــة الله ولاجل الشهادة التي شهدوا بها » (١ . وتنفتح كوَّة من جهة الشرق لاجل وضع الذخائر ورفعها عند الاقتضاء

خامسًا ان الرب نهى كهنة هارون ان يصعدوا الى المذبح بدرج فرارًا من ان تداخلهم الكبرياء ولكي يعلموا ان تلك الذبائح كانت ضعيفــة وغير كفوءٍ لمغفرة الخطايا

واما في العهد الجديد فأَمرت البيعة ان يُقام درج تحت المذبح من جهة الغرب

---

١) رؤْيا ٦ : ٩

ودرج فوقه من جهة الشرق . فبالاسفل تشير الى شرف الكهنوت . وبالاعلى الى مقام الاطهار حول عرش ابن الله

اخيرًا وقد تنصب مطهرة من جهة الجنوب بجانب بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسي اهدن ليغسل بها الكهنة والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار كما ان الرب امر موسى قديمًا ان ينصب اناءً من نحاس بين قبّة الزمان والمذبح ويصبّ فيهِ ماء الوضوء والتطهير ليغسل بهِ هارون وبنوهُ ايديهم واقدامهم اذا دخلوا قبّة الشهادة وان يكون ذلك لهم عهدًا الى الابد لكيلا يموتوا

الفصل الثاني

في الطبليت المقدّس

الطبليت هو مذبح صغير منتقل تُصمد فوقه آنية التقديس ويجب ان يكون مربعًا . ويدعى مذبحًا لانهُ يكرس بالميرون كالمذابح ليُقدَّم عليهِ جسد الرب ودمه الكريمان . ويُجعل صغيرًا منتقلًا لكي يتمكن الكهنة ان يحملوه معهم في اسفارهم وقلنا « تُصمد عليهِ آنية التقديس » اذ ليس ضروريًا ان يسع فوقه الّا الكاس والصينيـة فقط . واوّل من امر بتقديس الطبليت يقال انهُ بطرس هامة الرسل . وقد اختلف رأي علماء الكنيسة من حيث المادة التي يُصنع منهـا الطبليت . فان الكنيسة الرومانية تدعوه طبلانية وتريد ان يكون من رخام على شبه القبر الذي دفن فيهِ جسد الرب والحجر الذي قدّسهُ يعقوب والصخرة التي ضربها موسى في البرية

اما الروم فيدعونهُ انديميسي اي بدل المائدة ويريدون ان يكون من خام مقصور نظيف وان يُقدّس مع تقديس المذبح وعندما يكرّسهُ الاسقف يقول « نسألك ايها السيد الجزيل الرحمة ان تملأ هذا المذبح مجدًا وقداسةً ونعمةً لكي يصير كل ما يُقدّم عليهِ من الذبائح غير الدموية جسد ودم الاله العظيم ابنك الوحيد مخلصنا » . ويشار بالانديميسي عندهم الى الكفن الذي كُفّن بهِ جسد الرب ويعلّق بهِ

الاسقف ذخائر القدّيسين ويصبّ على اعضائهم المجموعة المصطكى والشمع مع الميرون في قفا الانديميسي في المحل المهيإ لها

واما كنيستنا السريانية فتصنع الطبليت من الرخام وعود الأرز والسنط. فالعود يدل على صليب الرب وعلى شجرة الحياة. والرخام يدل على قبر المخلص. ولذلك عندما نقدّسهُ نقول في الحساية الثالثة «ان هذا المذبح الذي يُقدَّس الآن يدل على الخشبة التي عليها صُلب الرب وعلى شجرة الحياة التي كانت من قديم منصوبة في وسط عدن فالى هذا المذبح الذي يقدَّس الآن رُمز بالقبر الذي وضع فيهِ عمنوئيل وقام منهُ ببهاء ومجد لا يوصف. وكما اضطجع المخلّص في القبر ثلاثة ايام كذلك على هذه المذابح التي تقدَّس الآن يوضع جسد الكلمة الاله المتجسد ودمه» الى هاهنا قول البيعة

ويصنع الطبليت من خشب ومن حجر كما تقدَّم القول عن المذبح الثالث انهُ من قديم كان يصنع من خشب ثم امر الآباء في مجمع نيقية ان يصنع من حجر. وكذلك المذبح الذي نصبهُ موسى في العتيقة كان من خشب السنط والذي اقامهُ سليمان كان من حجر مغشّى بعود الأرز

اما بشان استعمال الطبليت فيقول بعضهم انهُ لا تجوز اقامة القداس اذا لم يكن الترونوس اي المذبح والطبلانية مقدسين كليهما معاً. لكن هذا التصعُّب مخالف لجاري تصرف الكهنة ونية البيعة لانها ما اوجبت تقديس الطبليت لتضيّق بهِ على الكهنة بل لتفسح لهم لكي يقدسوا عليهِ في المواضع الخالية من الكنائس والمذابح المقدسة. ويثبت علماء اللاهوت ان كل كاهن في وقت الضرورة يستطيع ان يقيم القداس على الطبليت وحدهُ اذا لم يجد كنيسةً ومذبحاً مكرساً بشرط ان لا يكون هنالك خطر او غضّ من شرف الاسرار الالهية

والمراد بالضرورة اوقات الاضطهاد التي لا تمكن المؤمنين ان يجتمعوا في الكنيسة. او اذا لم يكن عندهم كنيسة عتيقة وليس لهم قدرة ان يبنوا كنيسة جديدة

او ان يجتمع شعب كثير لا تسعهم الكنيسة او ان يُشرف احد على الموت في البرية ويطلب زاد الآخرة ولم تكن بالقرب كنيسة مقدسة او ان يكون الكاهن مسافرًا الى بلد بعيد ووافاه يوم الاحد او عيد جليل وهو سائر في القفر ففي هذه الحوادث وما شاكلها يجوز للكاهن ان يتمم الاسرار على الطبليت ويقدّس من غير خطإ

وتصديقًا لهذا اخبرت التواريخ ان الاريوسيين وشوا باثناسيوس الكبير الى قسطنطين الملك انهُ اقام القداس على الهيكل الكبير قبل ان يُكرَّس · وكان احتجاج القديس انهُ لم يُقم القداس برضاه ولكن الجمع الكثير الذي كان قد التأم لسماع القداس اضطرَّهُ لذلك اذ لم تكن كنيسة تسع كل ذلك الجمع دون التعرض لخطر عظيم · وقال يعقوب الرهاوي ان الكاهن لا يُلام اذا قدس القربان في الجبل او في الحقل او في الكرم او في صيرة الغنم او مراح البقر او اصطبل الخيل لاجل حشد المؤمنين المجتمعين هناك

وكذلك الآباء الذين اجتمعوا في ماغونسا سنة ثمانمائة للرب فسحوا للكهنة ان يقدّسوا في الكنائس التي كان قد احرقها النورمنديون · وفي الصحاري اذا كانوا في السفر بشرط ان يكون الطبليت حاضرًا وبقية أُمور القداس متيسّرة · وكذلك فيلكوس بابا رومية أَمر ان لا يُقرَّب القربان الَّا في المواضع المكرّسة للرب ما لم تكن ضرورة تدعو الى خلاف ذلك · واما الكاهن المأذون من رئيس الكهنة فلهُ ان يقدّس في المواضع غير المكرَّسة ولو لم توجد ضرورة تلجئه

واثبت سويداس وبلصامون وغيرهما من علماء الروم ان الانديميسي وحدها هي كفوء لان يُقدَّم عليها القربان في المساجد والموائد غير المقدسة لانها تكرَّست بتكريس المائدة

اخيرًا تخبر التواريخ انّ تاوداريطوس اسقف قوروش لما كان يجول في البراري قدَّس على يد الشمامسة ليقرّب رجلًا سائحًا · ونُقل ايضًا عن القديس لوسيانوس انهُ

قدّس بلا مذبح . ومن هذا اثبت تاودوسيوس بطرك اليعاقبة انهُ اذا وجدت ضرورة داعية للقربان ولم يكن مذبح فليضع الكاهن منديلًا برقبتـــهِ وليضع فوقهُ الطبع على صينية وليمسك الكاس بيده الشمال ويقدّس . ولكن مسأَلة اثنين او ثلاثة لم يعطوا سلطانًا من البيعة لا يجب ان يُجعل مثالاً لبقية الكهنة . بل يجب ان يوضع الطبليت فوق قائمة ويُخدم عليها القداس في وقت الضرورة

الفصل الثالث

في اغطية المذبح

ان البيعة المقدسة تسلمت من الرسل ان تُلبس المذابح اغطية نظيفة ومكرمة كما يتبين من رسائل اكليمنتوس ومن اقوال الآباء وتقليدات جميع الكنائس ومن الصلوات المرتبة عند جميع الملل النصرانية لهذا الامر . والداعي لذلك اولا تكريم المذبح المقـــدس الذي هو كرسي الرب وسريره . ثانيًا حفظًا للدم الكريم حتى اذا عرض فانصبَّ من الكأس لا يصل الى الارض بل يقع على الثياب ويكون غسلها هينًا . ثالثًا اشارةً الى اللفائف التي لفَّ بهـــا جسد الرب في المذود والسرير والقبر وغيرها . ولم تأذن البيعة ان تتعرّى الكنائس والمذابح من زينتها الاَّ في جمعة الآلام تذكارًا لعري السيد خطيبها وآلامه

اما كنيسة مار بطرس في رومية فيعرّونها يوم خميس الاسرار ويغسلون مذابحها تذكارًا للطيب الذي دهنت بهِ الخاطئة رأس المخلص . واما بقية الكنائس شرقًا وغربًا فانهم يعرّونها يوم الجمعة تذكارًا لصلب الرب . وفي بعض المواضع يغسلون المذابح بخمر وماء اشارة الى الدم والماء اللذين خرجا من جنب المخلص

وجاء في التواريخ انهُ لما كان يعرض ضنك او تحقير على الكنائس كان الكهنة يمزقون اغطية المذابح ويطفئون القناديل ويهجرون الكنيســـة طالبين من الله ان يُحلّ نقمته بالمضطهدين . واخبر القديس غريغوريوس اسقف طورونا ان الله انتقم

من الظالمين والمضطهدين مراتٍ عديدة لكن المجامع أمرت بابطال هذه العادات. وذُكر في سيرة الانبا انطونيوس انهُ عندما كان نائماً ذات ليلة اظهر لهُ الرب في الحلم بغلاً شموساً يرفس برجليهِ المذبح ويمزّق اغطيته. واشار بذلك البغل الى آريوس القسّ المارق الذي بتعاليمه الردي اضطهد بيعة الله وفرّق بين اولادها. وهذه الملابس بعضها يُصمد فوق مائدة المذبح وبعضها يُغطّى بهِ وجهه ولا فرق بين ان تكون من حرير او غيره. لان بعضهم يزخرفونها بتماثيل من الذهب والفضة وآخرين يزينونها بالزركشات والتخاريم وغير ذلك.

والكنيسة الرومانية تعتني ان يكون لون الغطاء موافقاً لتذكارات الاعياد اليومية اما الاغطية التي تُصمد فوق المذبح وتحت الصمدة فيجب ان تكون ثلاثة. واذا لم تكن ثلاثة فقال العلماء ان ثوبين او ثوباً مطوياً يكفي مع الصمدة. وأمر البابا بونيفاس ان تكون الاغطية التي توضع تحت الاسرار المقدسة ثلاثةً من كتّان. اما في بلاد الشرق فيستعملونها من كتّان او من قطن. ويجب ان تبارك قبل استعمالها وان تكون نظيفة اكراماً لجسد الرب الذي يجلس فوقها. وقد حرّم الآباء الذين عقدوا المجمع الثالث في باراقا على كل احد ان يستعملها لامور جسدية فان كان من خدّام البيعة يُحط عن درجتهِ. ونهت مجامع أُخرى بلدية ايضاً عن لبسها في الاعراس ووضعها فوق جثة الميت. وهو امر في غاية الصواب لانها توضع على مذابح الرب وبها نفهم برّ الاطهار وثياب عروس المسيح التي غسلها بدمهِ الكريم كما ذكرنا في الفصل السادس

الفصل الرابع

في اشارة الصليب المحيي

قال القديس اثناسيوس بطرك بيت المقدس في ميمره على الصليب القاهر ان الملوك الارضيين اذا وقعت لهم حرب مع اعدائهم فاذا ارادوا أن يشدّدوا

عساكرهم ويقوّوا عزائمهم ويلهبوهم نشاطاً نصبوا لهم الراية على مكان مرتفع لكي ينظر اليهـا جميع الجنود صغيرهم وكبيرهم ضعيفهم وقويهم جبانهم وشجاعهم فانهم كلما نظروا راية الملك تقوّوا وثبتوا وازدادوا نشاطاً . هكذا سيدنا المخلص الذي هو ملك الملوك ورب الارباب أمر مدبّر نعمتهِ ان يقيم علامتهُ التي هي الصليب المعظم في وسط الكنيسة لكي ننظر اليهِ نحن المؤمنين اجناد المسيح كبيرنا وصغيرنا قوينا وضعيفنا نشيطنـا وجباننا . وهكذا نتقوّى ونثبت في الحرب مع الشيطان عدوّنا الذي يزأر مثل الاسد الخاطف ويطلب من يفترسهُ ويبتلعهُ

واما مدبّر نعمة الرب وخازن اسراره فهو بطرس هامة الرسل الذي امر برسم الصليب والمناداة بهِ ووضعهِ على المذابح قدام جميع الشعب كما تخبرنا البيعة في رتبة الصليب اذ تقول في صلاة الليل

ܒܗܢܐ ܨܠܝܒܐ ܪܫܡܢܝ ܗ̤ܘ ܦܛܪܘܣ ܘܚܙܩ ܠܝ
ܚܨܝ ܦܘܠܘܣ ܓܒܝܐ (١

وفي موضع آخر تقول ان الرسل عند خروجهم الى البشارة حملوا صليب الرب وجعلوا اتكالهم عليهِ . ويعقوب السروجي في الميمر الثمانين عن مدّ يدي موسى النبي في الجبل يقول

ܐܝܬܝܘ ܟܐܦܐ ܘܣܡܘܗ̇ ܗ̇ܘ ܬܚܘܬܘܗܝ ܘܥܠܝܗ̇ ܝܬܒ .
ܘܩܡܬ ܥܕܬܐ ܘܥܠܝܗ̇ ܨܠܝܒܐ ܒܪܝܟ ܦܘܪܩܢܗ (٢

يريد بذلك انهُ كما أَن حور وهارون اتيا بالحجر لموسى فجلس عليهِ وكانت يداه مبسوطتين وبذلك النوع قهر العمالقة . هكذا البيعـة وضعت الصليب فوق حجر

١) معناه : بهذا الصليب رسمني بطرس ومنطقني بولس المختار

٢) ترجمته : جاؤوا بالصخرة ووضعوها تحته وعليها جلس فقامت البيعة وعليها الصليب فليكن مباركاً خلاصهُ

المذبح لتقهر بهِ الشيطان وجنوده · وجرت هذه العادة في جميع الكنائس ان تكون راية الصليب المكرم منصوبة فوق درجة المذبح · لان القداس هو تذكار موت الرب الذي اوصى بذلك تلاميذه كما كتب الرسول الى اهل كورنتس « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي » (١

وكما ان موت الرب تمّ على الصليب كذلك يجب ان نجعل علامة الصليب نُصب اعيننا كلما صنعنا تذكار موته · وأمرت البيعة ان تُرسم علامة الصليب على جدران الكنائس والمذابح والاغطية وملابس الكهنوت والدربزين والقربان وكل شيء يُقرَّب لله لنعلم انهُ لله وقد طُبع بختمهِ · ولا يجب ان تُشيّد كنيسة جديدة قبل ان ينصب الاسقف اولاً صليباً في موضعها على مثال قوّاد العساكر الذين عند ما ينالون نصراً ينصبون راية الملك في الموضع الذي استولوا عليهِ

قال القديس امبروسيوس في الميمر السادس والخمسين « لا تقوى الكنيسة ان تقوم دون الصليب كما ان السفينــة لا تقوم بدون سارية » · ولما كان المؤمنون يتناولون القربان بايديهم كانوا يبسطونها على شكل صليب لكي تكون هيئة الصليب مصوّرة في اذهانهم كل حين كقول الرسول « رُسم امام عيونكم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (٢ لانهُ بهذه العلامة حصل الخلاص لجميع نوع البشر · وتقول البيعة في ستار الصليب ان المخلص اعطاها ثلاثةً جسده ودمه وصليبه · ثلاثة اسوار مشيّدة ليتحصَّن بها اولادها من أذى الشياطين · ولذلك عند نهاية القداس بعد ان يكون الشعب قد اشترك في جسد الرب ودمه الكريمين تُرسم لهم اشارة الصليب لاجل اكتمال الرضا عليهم ويرتل الشماس قائلاً

[illegible]
[illegible]

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٦ ٢) غلاطية ٣ : ١

ܘ ܛܒܐ ܘܪܚܡ ܥܠ ܚܛܝܐ ܕܩܥܝܢ ܠܗ (١

الفصل الخامس

في ذخائر القديسين

ان القديسين ولو كانت اجسادهم ميتة عند الناس لكنها حيَّة عند الله ولو كانت ترابًا حقيرًا الّا انها تستوجب كل كرامة . اولاً لان اصحابها قهروا العدوّ وصاروا هياكل اروح القدس . ثانيًا لان ارواحهم تملك مع المسيح في السماء . ثالثًا لانهم موعودون بالقيامة الى المجد ومشاهدة الثالوث المقدس . ومن اجل ذلك يقول داود « كريم في عيني الرب موت اصفيائه » (٢

ثم ان البيعة المقدسة ايضًا لم تزل منذ الابتداء تكرم مدافنهم وتمدح فضائلهم وتعظّم رفاتهم وتزور مساكنهم وتسجد لاجسادهم وتقبل الارض التي سُفكت عليها دماؤهم وتطلب شفاعتهم وتبني الكنائس والمذابح فوق عظامهم راجيةً ان تنال الرحمة والخلاص بحسن طلباتهم . ولذلك تخاطبهم في القومة الثانية في صلاة الاحد قائلة « ان عظامكم جواهر وصلواتكم عطر طيّب والدم الذي سال من اعناقكم صار رأفةً لكل المسكونة . ومن عظامكم تتفجر المعونات لبني البشر » وفي صلاة الاثنين تقول « طوبى للمكان الموضوعة فيهِ عظامكم ايها الشهداء المباركون لان الله يصونهُ من الشرير وجنودهِ » وفي صلاة الثلثاء تقول « لتكن لنا اسوارًا رفيعة عظام الشهداء والدم الذي جرى من اعناقهم فليمنع عنا الخصومات والضربات وقضبان الغضب » وقس على ذلك بقية الصلوات

واما القديس باسيليوس في تفسيرهِ المزمور المائة والخامس عشر فيقول ان

---

١) الترجمة : لجسدك اكلت وبدمك تطهرت والى صليبك التجأت فيها ارتضِ ايها السيد الصالح وارحم الخطاة المستغيثين بهِ

٢) مزمور ١١٥ : ١٥

من لمس عظام الشهداء شاركهم في قداستهم بسبب النعمة الحالّة في اجسادهم . وغريغوريوس الثاولوغوس في الميمر الاول ضد يوليانوس يقول ان من يكرّم صُوَر القديسين او ملابسهم او نقطةً من دمائهم يحظى بالقوة الحالّة في اجسادهم . ويوحنا فم الذهب يثبت ان الشياطين لا يمكن ان يحتملوا ظل الشهداء القديسين ولا ملابسهم . ويوحنا الدمشقي يقول ان ذخائر القديسين ينبع منها مرهم العَرْف الطيب فتزيل الاوجاع وتشفي الامراض وتمنح العميان النظر وتطهّر البرص وتطرد التجارب والاحزان

والآباء الذين عقدوا المجمع في نيقيــة يدعونها ينابيع الخلاص اذ يقولون ان المسيح مخلصنا ابقى لنا ينابيع للخلاص ذخائر القديسين التي تمنحنـــا اصناف الخيور وتتدفق بالعرف الطيب . وتكلم الحكيم بالروح قائلًا ان القديسين يدوم ذكرهم للبركة وتزهر عظامهم مثل السوسن ويورثون اسمهم الصالح لبنيهم ويلهج جميع الشعب بمدحهم . يريد بذلك ان الذين اماتهم العالم مذلّلين مهانين يدوم ذكرهم للبركة والذين كانوا محسوبين في حياتهم نفايةً سيظفرون عند الله والناس باسنى الكرامة . والذين كانوا مطرودين ومنفيين يقبـل الشعب على مدحهم وتمجيدهم والذين فسدت عظامهم بالعقوبات وتحت اطباق الثرى يزهرون كالسوسن بالآيات والمعجزات التي تظهر بقدرة الله بواسطة شفاعتهم

ولاجل هذه الاسباب أمر البــابا فيلكس الذي جلس على الكرسي الروماني سنة مائتين وثلاث وسبعين بان تقام القداديس فوق عظام الشهداء ورفاتهم . والآباء الذين كانوا في عصر انسطاس ملك الروم وعقدوا المجمع في قرطجنــة نهوا المؤمنين عن بنيان الكنائس باسماء احد الشهداء الّا اذا كانت ذخيرة الشهيد موجودة او كان معلومًا انهُ اقام في محــل الكنيسة او اقتنى شيئًا او تعذَّب في ذلك الموضع والّا هدمت الكنيسة لئلّا تصير مجلبة لعدم توقير ذلك القديس

وأمر الآباء في الكنيسة الرومانيــة ان توضع رفات القديسين في الطبليت .

وعند الروم في الانديميسي . وعندنا في المذابح كما ذكر يوحنا قائلاً « ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس المقتولين لاجل كلمة الله ولاجل الشهادة التي شهدوا بهـا فصرخوا بصوت عظيم قائلين حتى متى ايها السيد القدوس الحقّ لا تقضي ولا تنتقم لدمائنا من سكان الارض . فأُعطي كل منهم حلة بيضاء وأُمروا ان يستريحوا مدةً يسيرةً الى ان يكمل عدد شركائهم في الخدمة واخوتهم الذين سيقتلون مثلهم » (١

وفي الحقيقة ان رقود اجساد القديسين في الكنائس المقدسة والمذابح الالهيـة هو أَمر صوابي . اولًا لان الكنيسة الارضية هي مثال بيعة الابكار . وكما ان انفس الاطهار محفوظة وممجدة في البيعـة السماوية مع السيد المسيح كذلك يجب ان تكون اجسادهم متظللة بظل جسده في الكنيسة الارضية . قال الرب « حيث تكون الجثة فهناك تجتمع النسور وحيث اكون انا أُريد ايضًا ان يكون خادمي » . وثانيًا لان بيت الله ما بني الاَّ على جسد الرب الذي هو رأس البنيان وعلى اجسـاد اصفيائه الذين بدمهم ثبَّتوا البيعة وبعرق جباههم نادوا بها في الاربعة الاقطار . ولاجل هذا السبب لم تأذن البيعة ان يُدفن احد في الكنيسة الاَّ من احسن السيرة وحفظ مقامه بالقداسة . كما اوصى ديونيسيوس تلميذ بولس الرسول قائـلًا « يجب على الاسقف ان كان المتوفى من ذوي الكهنوت ان يضعهُ قدام المذبح وان كان راهبًا او علمانيًا ففي البصلوت » . وكذلك الآباء الذين التأموا في ماغونسا سنة ثمانمائة وثلاث عشرة للمسيح يوصون ان لا يدفن احد في الكنيسة ما عدا الاساقفـة والرؤساء والكهنة المستحقين والعوام المؤمنين

---

١) رؤيا ٦ : ٩

الفصل السادس

في الصُّوَر المكرمة

الصورة هي ما دلت على شيء آخر وقد ورد الكلام عليها في الكتاب المقدس على انواع مختلفة نذكرها ههنا لافادة القارئ

اولاً يقال ان الابن صورة الآب لانهُ ولدهُ متحد معهُ في الذات ومتجزئ عنهُ في الاقنومية . وبهذا المعنى قال : من رآني فقد رأى الآب

ثانياً يقال ان واحداً لهُ صورة آخر اذا اشبههُ ببعض امور طبيعية او اختيارية وانفرد عنهُ بسليقته الخاصة . فالطبيعية كقولك آدم ولد ولداً على صورتهِ اعني في الطبع البشري . وان الله خلق الانسان على صورتهِ اي انهُ مقترب اليهِ ازيد من سائر الخلائق الجسدية . واما الاختيارية فكقول الرسول « وكما لبسنا صورة الارضي كذلك سنلبس صورة السماوي » (١ . وقصد بذلك انهُ كما تبعنا آدم في فعل الخطية فلنتبع المسيح بالنعمة

ثالثاً يقال ان شيئاً هو صورة لغيره ولو لم يكن كلاهما في الوجود كالرسم في عقل البناء يدعى صورة البيت وجميع الاشياء قبل ان تخرج الى الوجود يقال ان صورتها كانت في الله منذ الازل

رابعاً يقال ان شيئاً صورة لآخر في الامور الاختيارية كاللفظ والكتابة هما صورة اختيارية لما في باطن الانسان . والعهد العتيق وجميع الآباء وكلام الانبياء جعلها الله رسماً وصورة للمزمعات في آخر الازمنة

خامساً المعلول يدعى صورة العلة كالظل الذي يدعى صورة الانسان وأثره يدعى صورة قدميه . وهذه الخلائق هي صورة الله

سادساً يسمى واحداً صورة لآخر من حيث الصنعة لانه يشتمل او يدل على

---

١) ١ كورنتس ١٥ : ٤٩

بعض أمور موجودة في الآخر . فلهذا نصوّر الآب بهيئة الشيخ الكبير انفهم انه تقدّم الكل كالعلة الاولى . والابن بهيئة حمل لانه ذُبح لمغفرة الخطايا . والروح بهيئة حمامة لاجل حلاوه . والملائكة بهيئة شبّان ذوي اجنحة لنفهم طاعتهم وخفّتهم في الخدمة . ورسم الرب في العهد العتيق ان نصوّر في المقدس تماثيل الكروبين ليستدلّ الشعب بذلك على الملائكة وان الله يقبل الصلوات ويجيب المسأَلات بوساطتهم . وسرّ في العهد الجديد ان توضع في الكنائس ايقونات القديسين لنستدل بها على ارواحهم وان الله جعلهم لنا شفعاء في الملكوت

وقد بدئ بتزويق الصوَر منذ ايام المخلّص فقد ذكر يوحنا الدمشقي وادريان بابا رومية وكثيرون غيرهما ان الرب ارسل صورته الى الابجر ملك الرها فبرئ بواسطتها من الجذام وخلصت المدينة من الحريق وجرت بها خوارق ومعجزات شتَّى كما اخبر اوجريوس المؤرخ . وذكر ماتوديوس مطران صور وغيره ان الرب لما ان كان حاملًا صليبه مسح وجهه المقدس بمنديل امرأة فللوقت انطبعت بالقدرة الالهية صورة وجهه في المنديل الذي لم يزل محفوظًا الى اليوم في رومية . وكذلك عندما قام من القبر ترك صورة وجهه وقفاه في الكفن التي تكفّن بهِ وهي الى الآن مصونة بغاية الكرامة في مدينة طورين . وكذلك مذكور عن نيقوديموس انهُ بعد ما احدر جسد المخلص عن الصليب زوّق صورة المخلص مصلوبًا ثم اعطى الصليب لجمالائيل ومنهُ وصل الى مدينة بيروت التي في بلاد بسري . وبتمادي الزمان وقع الصليب المذكور بايدي اليهود فاحتملوه الى كنيسهم وازدروا بهِ وطعنوه بحربة فخرج منهُ دم كثير ملأَ كل الكنيس باسره وأُرسل منهُ الى جميع آفاق المسكونة كما هو محرر في المجمع السابع . والقديس اثناسيوس يذكر انه لاجل هذه المعجزة الباهرة اخذ المؤمنون من ذلك الوقت يبنون الكنائس ويكرسونها باسم المخلص

اما اول من صوَّر ايقونة والدة الخلاص حاملةً ابنها فيقال انهُ لوقا البشير . وان تلك الصورة نقلت الى مدينة رومية وجرت بواسطتها معجزات شتَّى . وكذلك

اوسابيوس مطران قيسارية فيلبس المعروفة ببانياس حيث مخرج نهر الاردن في جبل الشيخ امام لبنان يخبر عن المرأة التي لمست ثوب الرب وخلصت من نزيف الدم انها كانت من المدينة المذكورة وبعد ان نالت الشفاء نصبت امام بيتها صورة جميلة بشخصين من نحاس المسيح واقف فوق والامرأة منحنية الى الارض لتلمس هدب ثوبه . ودامت هذه الصورة محفوظة الى ايام هذا المؤرخ . ويثبت انهُ عند تلك الصورة نبتت حشيشة واعطاها الله قوة انها كلما بلغت هدب ثوب صورته ابرأت النساء من نزف الدم . ودرجت عبادة الصوَر في جميع كنائس النصرانية شرقًا وغربًا فالمؤمنون يوقرونها والله يظهر بها آيات كثيرة

وجاء في اخبار القديسين عن القديسة كلارا انها لما رقدت بالرب وشقوا جسدها ليحنطوه وجدوا جميع آلات الصلب مصورة على قلبها . وجاء ايضًا عن القديسة مرغريتا انهم رأوا ميلاد الرب مصورًا على قلبها . وجرى غير هذا من المعجزات الغريبة والكرامات الخارقة تعظيمًا لشان الصوَر فنضرب عن ذكرهِ اختصارًا . لكن من يقدر ان يصف الاضطهاد الذي حرَّكهُ الشيطان ضد الصور المقدسة . فان عبَدة الاصنام كانوا يتهونها والحكام والولاة حظروا ان تُرسم صوَر القديسين على شبه الاشخاص لئلا تقع في يد اليهود والكفرة

ولما ان تقلص ظلّ الكفَّار وزالت ولايتهم وانتشرت الديانة النصرانية أَمر يزيد ابن عبد الملك عاشر خلفاء بني امية في دمشق ان تُنزع كل الايقونات من كنائس النصارى الخاضعين لسلطته وكان قد حرَّكه على ذلك في السنة المائة للهجرة يهودي ظهر في مدينة اللاذقية من اعمال طرابلس . ثم خدع الشيطان لاون الايصوري ملك الروم وخلفاءه فجددوا الحرب على الايقونات المقدسة في القرنين السابع والثامن للتجسد واثاروا عليها من الاضطهاد فوق ما اثار الكفرة واليهود والمسلمون

ولما التأم الآباء في المجمع الثامن بالقسطنطينية أمروا ان تُكرَّم صورة المسيح

كما يُكرَّم الانجيل لان اعمال الرب التي نسمع اخبارها من كلام المبشرين نراها ممثَّلة في الصوَر . ومن ذلك الوقت أَمروا ايضاً ان يوضع الانجيل على الدربزين مما يلي شمال الباب الملوكي وان تعلَّق مما يلي الجنوب صورة المخلص او والدته او ايقونة القديس الذي تكرَّست تلك الكنيسة على اسمهِ لكي يكرّمها الكهنة بالبخور والشمامسة بانارة المصابيح وسائر الشعب بالنذور والسجود

اما زخرفة الصور المقدسة في الكنيسة فللاسباب . اولاً لنعلم ان ارواحهم في السماء تتنعم مع المسيح . ثانياً لكي نقوم بما يجب لهم من الوقار على الارض . ثالثاً لاجل زينة الهياكل وجمالها . رابعاً لاجل تعليم الساذجين لكي يستدلوا من صُوَر القديسين على افعالهم ويرفعوا عقولهم الى تأَمل فضائلهم

واخيرًا يُصوَّر الآب الصباووت في الحنيَّة لكي يرفع الكاهن عقلهُ وقربانهُ لله وتُرسم تحت هذه الصورة ومن حولها تماثيل الملائكة والقديسين الذين بنيت المذابح والكنائس باسمائهم لنلتجئ اليهم ونستمد منهم الشفاعة . ويُصوَّر على ستارة الباب القديس ميخائيل اشارةً الى منع الشعب عن الدخول اذ قد كُتب ان الله اقام على باب الفردوس كروبين وبريق سيف متقلّب . والروم يصوّرون على الدربزين من جهة صورة والدة الخلاص او النجم الذي هدى المجوس ومن أُخرى صورة يوحنا الصابغ لان هؤلاء كشفوا امر المخلص للعالم وبهم يستدل الشعب ان الذي يُقدَّم على المذبح هو حمل الله الذي حمل خطايا العالم . ويضعون فوق الدربزين صور الرسل الذين بشروا بملكوت الله وتسلَّموا سلطان الحل والربط كالخزَنة الأُمناء . وفي الاركان حول موضع الصلاة ينصبون صور الانبياء وملافنة البيعة دلالةً على انهُ يجب ان تقرأ في الكنيسة كتبهم التي يستقي الشعب منها ماء الحياة . ثم انهم يصوّرون فوق جرن الصبغة والمذبح هيئة حمامة اشارة الى حلول الروح . ويضعون في سائر البيعة صور القديسين دلالة على ان ارواحهم تتمجد في بيعة الابكار

الفصل السابع

في اسراج الشمع

لما كانت جميع اسرار البيعة تمنح من يتناولها نعمةً سماوية أَمرت الكنيسة بان يكون مع الكاهن الذي يقوم بخدمتها شمعة مضيئة . واما اسرار القداس الالهي فلما كانت لا تمنح النعمة فقط بل صاحب النعمة ايضاً أَمرت ان يوقد في خدمة القداس شمعتان على الاقل لتشهدا بنورهما ان المقدَّم على المذبح هو نور العالم . ويقال ان البابا انوريوس ربط احد الكهنة لانهُ اجترأَ ان يقدّس الاسرار من غير ان يوقد نوراً . والشمع الذي يوقد على المذبح ينبغي ان يكون عسلياً طلباً للطهارة والنظافة . وكما ان الشهد تجمعــهُ النحلة من عامة الزهور هكذا الخادم الذي يوقده امام جسد الرب يجب ان يحوي جميع الفضائل . واما اذا لم توجد الَّا شمعة واحدة ووقع عيد جليــل او اجتمع شعب كثير لاستماع القداس فيجوز للكاهن ان يقيم الذبيحة الالهيــة على نورها وحدها . وان لم يوجد من الشمع ولا واحدة فقال بعض العلماء ان الكاهن وحتئذٍ يجوز لهُ ان يقيم القداس على نور الزيت

اما بشان عدد الشموع التي توقد على المذبح فقد وقع الخلف بين الكهنة حتى انهُ لما اجتمع الآباء في مدينة ترنت امروهم ان يبتعدوا عن الاحتفاظات الباطــلة لكنه على كل حال يجب على الكهنة ان لا يوقدوا اقل من شمعتين اشارةً الى فريقَي اليهود والامم الذين استناروا بجسد الرب . ويوقد رؤساء الكهنة سبع شموع لان سبعاً هي مواهب الروح وسبعاً كانت المنائر التي شاهد يوحنا في وسطها منظر ابن الانسان ومن اجل هذا يلحن الشمامسة سبعــة ابيات في ابتداء القداس عند ما يسرجون الشمع . اما من يسرجهــا فيجب ان يكون شماساً . ولهذا السبب يعطيهِ الاسقف في الرسامة شمعة مضيئة ويأمره ان يرفعها بيده امام الجماعة اذ يقول « بشبه الزيتونة المجدة في بيت الله لاجل امانة وبنيان البيعة المقدسة » وبتلك الشمعــة يضيء جميع

الشموع التي توقد امام جسد الرب كما هو مكتوب عن يوحنا المعمدان انهُ « جاء للشهادة لكي يشهد للنور حتى يؤمن الجميع على يده » (١

وفي بلاد الافرنج عند ما يقام قداس جليل يقف بجانب الكاهن المحتفل كاهن آخر فيأخذ بيده شمعةً مضيئة ويمشّيه وهو يقرأ. وليس المقصود من ذلك ازالة الظلمة بل لكي يقرأ بفراسة وتمييز قدام الله والناس ولا يغير شيئاً من الرتبة. واما عندنا نحن الموارنة فيجب ان يكون بيد كل من الكهنة المحيطين بالمذبح شمعة مضيئة تشبُّهاً بمن رآهم يوحنا حول العرش والحمل « لابسين ثياباً بيضاً وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب » (٢. وعملاً بما قال الرب « انتم نور العالم لا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال لكن على المنارة لينير على كل من في البيت » (٣. وهكذا يجب على الشماس ان يمسك بيده منذ بدء القداس شمعةً مضيئة لانهُ ينبّه للوقوف الحسن واحناء الرؤوس امام الاسرار المقدسة وطلب الرحمة والمغفرة

ولهذا ينبغي ان يكون كالشمعة المضيئة كما يوصي الرسول قائلاً « لسنا نأتي بعثرة في شيء لئلا يلحق خدمتنا عيب بل نظهر في كل شيء انفسنا كخدام الله » (٤. وكلما نقلت الاسرار من مكان الى آخر سواء كان لتقريب المرضى او لسبب آخر يجب ان يتقدمها الضوء. ومن عادة بعض الكنائس حين رفع الاسرار فوق الراس انهم يرفعون ايضاً الشموع توقيراً لها واجلالاً لانوار النعمة التي تصدر منها كما يذكر يعقوب السروجي في الميمر الثامن عن المجوس ان النجم كان يتقدمهم اكراماً للقرابين التي كانت معهم

ܟܘܟܒܐ ܦܨܝܚܐ ܐܫܕܪܗ ܠܐܘܪܚܐ ܕܒܗ ܪܕܘ ܗܘܘ
ܘܒܢܘܗܪܐ ܕܡܠܟܐ ܝܩܪ ܩܘܪܒܢܘܗܝ (٥

---

١) يوحنا ١ : ٧ ٢) رؤيا ٤ : ٤

٣) متى ٥ : ١٤ ٤) ٢ كورنتس ٦ : ٣

٥) ترجمته: ارسل النجمُ على الطريق التي سلكوها نوراً شهياً فكرّم باشراقه قربان الملك

واعلم ايضاً ان الشمع يُسرج وقت قراءة الانجيل المقدس وفي ختام القداس وفي الزياح وامام صوَر القديسين في اعيادهم وعند تجنيز الموتى ووقت دخول الرؤساء والملوك الى البيعة في الاعياد الصارخة وامثالها . وكل ذلك ترتَّب بالهام من روح القدس فاولاً يوقد الشمع وقت قراءة الانجيل تمجيداً لانوار معرفة الله التي تصدر منهُ كقول داود النبي «كلمتك مصباح لقدمي ونور لسبيلي» (١ . وفي آخر القداس اشارةً الى مجد المؤمنين في القيامة الاخيرة . وفي تجنيز الموتى لانهم بمصابيح الايمان واستقامة الافعال يخرجون للقاء العروس السماوي . وامام صور القديسين لاجل انوار المجد الحالَّة عليهم في الملكوت . وفي دخول رؤساء الكهنة الى البيعة لانهم رؤساؤها وواضعو النواميس وخدَمة النعمة . وفي دخول الملوك الاطهار محبي المسيح لاجل ايمانهم وصيانتهم للبيعة كما هو مكتوب «هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة» (٢

وفي بعض الكنائس يُبارك الشمع في عيد دخول المسيح الى الهيكل وفي سبت النور وفي اثنين الآلام اي في الزياح المدعو ܢܘܗܪܐ ܕܚܫܐ لان الرب في آلامهِ المحيية ارسل اشعَّة نعمتهِ على الذين كانوا جالسين في ظلمة الخطيئة وظلال الموت

الفصل الثامن

في اسراج القناديل

مذكور في الكتاب انهُ مذ خرج نوح البار من السفينة قدَّم لله ذبائح الشكر فتنسَّم الرب رائحة الرضى واحدر ناراً من السماء فاكلتها وحينئذٍ أَمر زوجته ان تحترس على تلك النار لئلا تنطفئ من بيتهِ . ولما ان تفرَّقت الالسن والطوائف على الارض امر كثيرٌ من الطوائف الغريبة بالاحتفاظ على النار كما تسلَّموا منها . واقاموا البنات

١) مزمور ١١٨ : ١٠٥ ٢) متى ٥ : ١٦

الابكار على حراستها كما هو مذكور عن الكلدانيين واليونانيين والفرس وغيرهم وسموا الحارسات ܐܫ̈ܬܐ من حرارة النار . وهكذا زوجة نوح سميت ܐܫܬܐ لانها كانت اولى النساء اللائي حرسْنَ النار

ولما اعطى الله الناموس لموسى امره في سفر الاحبار ان توقد النار على المذبح دائمًا وان يُنضِّد الحَبْرُ عليها الحطب من الصبح الى الصبح ويضع عليها الوقود لئلا تنطفئ . ومن قدَّم نارًا غريبة لبيت الرب كان يهلكهُ كما جرى لبني هارون وقورح الذين خرجت اليهم النار من المقدس واهلكتهم . واخبر سفر المكابيين الثاني انهُ لما أُجلي الشعب الى بابل اخذ بعض اتقياء الكهنة من نار المذبح سرًّا وخبأوها في جوف بئر لا ماء فيها

وبعد انقضاء سبعين سنة لما ان عادوا من الجلاء ذهب نحميا الكاهن مع الذين كانوا اخفوا النار فطلبوها فلم يجدوا الّا ماءً خاثرًا . فرشّوا منهُ على الذبائح فلما برزت الشمس وكانت محجوبة بالغيم اشتعلت النار بالقدرة الالهية . ولم تزل محفوظة الى ان اشرق في الجسد ابن الله الذي هو شمس البرارة الحقيقية . وكما انهُ اعطانا ذبيحة جديدة اي جسده المقدس بدلاً من الخرفان والثيران كذلك امرنا ان نتمسك بنار أُخرى روحانية افضل من الاولى لنقدّم بها جسده الالهي . وهذه هي المحبة الصادقة التي نضطرم بها في الروح من غير احتراق على شبه العلّيقة التي كانت تلتهب ولا تحترق

وعن هذه النار قد شهد الرب في الانجيل قائلًا : « اني جئت لالقي نارًا على الارض وما اريد الّا اضطرامها » (١ . وقصد بذلك المحبة المتوثّقة العرى التي تحمل صاحبها ان نغادر اهله واوطانه وسائر متعلقاته ليعتصم بهِ روحًا وجسدًا . فان جميع ذبائح القدماء ما كانت الّا ظلًّا لتقدمة جسده لمغفرة الخطايا والنار التي كان

---

(١) لوقا ١٢ : ٤٩

يهبطها من السماء لتأكل الذبائح المذكورة ما كانت الّا دليلًا على المحبة التي احدرته من العلا لكي يلبس جسد حقارتنا وبعد ان تردَّد بيننا وعلّمنا طريق الخلاص رفعته الى مذبح الصليب وقدّمته لله وقودًا كاملًا حتى نظفر بالخلاص الابدي

وجعل لنا هذه النار وصية جديدة لكي نكمّل شريعته ونضحّي بها جسده الى نهاية الزمان وكما قال الكتاب «ان من يصعد بخورًا او نضوحًا او محرقة على نار غريبة يحل عليهِ رجز الله ويهلك» (١ . كذلك شهد الرسول ان «من ياكل ويشرب وهو على خلاف الاستحقاق (اي وهو غير مضطرم بنار المحبة الالهية) انما ياكل ويشرب دينونة لنفسه اذ لم يميز جسد الرب» (٢

لكنهُ لما كان اكثر الناس سالكين في طريق الجسديات ولا يعرفون الروحيات الّا من طريق الامور المرئية رسم الرسل القديسون في القانون الرابع ان تُسرج القناديل في الكنائس بقولهم «لا يجب ان يُصعد على المذبح شيء عند تقديم القربان المقدس الّا فريك الحنطة وحبوب العنب وزيت القنديل وعطر البخور في التقدمة . واما الفاكهة فترسل الى بيت الاسقف او القس ولا تُصعد على المذبح»

والمراد بقولهم انهُ لا يجوز اصعاد الفواكه على المذبح بل ينبغي ارسالها الى بيوت خدام المذبح لانها ترسل اليهم لكي يغتذوا بها . اما الخبز والخمر اللذان يشار اليهما بفريك الحنطة وحبوب العنب فيصعدان على المذبح لكي يتحوّلا الى جسد الرب ودمه . واما زيت القنديل وعطر التقدمة فتقدمتهما وجوبية . فالاول من اجل الضوء الذي يدل على الرحمة . والآخر من اجل التبخير الذي يُشار بهِ الى عَرْف محبة الله . وكلا الاثنين يدلان ان المقدَّم على المذبح هو جسد ابن الله الذي هو نار آكلة ونور من نور . وقد امر الرسل باسراج القناديل امام المذبح

اولاً لنفهم بذلك حضور جسد الرب كما هو مكتوب «اني لاجل صهيون

---

١) خروج ٣٠   ٢) ١ كورنتس ١١ : ٢٩

لا اسكت ولاجل اورشليم لا اهدأ حتى يخرج كضياء برّها وخلاصها كمصباح متقد» (١

ومن حيث ان جميع قرابين الآباء المتقدّمين وذبائحهم لم تكن مرضية بنفسها ولم تكن لتستحق القبول الّا لاجل جسد الرب والايمان به كان الله تعالى يهبط عليها من العلا نارًا على مثال لهيب او مصباح يضيء كما ذُكر في سفر التكوين انهُ عند ما قدّم ابراهيم الذبائح لله ووضع القِطَع من هنا وهناك وخيَّمت عليها سحابة قاتمة عاين مصباح نار يسير بين القطع لكي يستدلوا بتلك النار على ابن الله الذي كان مزمعًا ان يبرّرهم بتقدمة جسده

ثانيًا نعلّق القناديل امام ايقونات القديسين وذخائرهم لنفهم ان ارواحهم تلمع بانوار الفرح في معاينة البارئ افضل من لمعان النجوم الساطع في السماء . وذكر يوحنا انهُ لما اختطف الى اورشليم السموية رأى سبع منائر نار محدقة بالعرش . وتلك المنائر هي سبعة ارواح الله . واخبر الانجيل الكريم عن العذارى العشر انهُ لم يدخل منهنَّ الى عرس العروس الّا اللائي كانت مصابيحهنَّ مضيئة

ثالثًا تُعلَّق القناديل تحريضًا للشعب ليجتهدوا في ان تكون امانتهم مستقيمة وسيرتهم مضيئة بانوار النعمة وفقًا لقول الرب « لتكن احقاؤكم مشدودة وسُرجكم موقدة وكونوا مثل رجال ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس» (٢

ثم لكي يحترز خدام المذبح خاصةً من ان يقدّموا نارًا غريبة كما تأمر البيعة في بدء القداس قائلة « هوذا المذبح نار والقربان نار والنار تحوطه . احذروا يا معشر الكهنة ان تخطئوا لانكم تخدمون النار احذروا ان تحترقوا واذا اتفق لاحدكم ان يكون مصباح امانته مطفطفًا من عواصف التجارب او زيت مشيئته قليلًا من عدم المحبة او فتيلة رجاه دقيقة بسبب قلة الاحتمال فليدنُ من جسد الرب الذي هو مصباح الخلاص ومنهُ تستمد النور جميع ارواح الاطهار فيفيض عليهِ زيت الرحمة

١) اشعيا ٦٢ : ١ ٢) لوقا ١٢ : ٣٥

وحرارة الايمان وشعلة المحبة فتتبدّد عنهُ غيوم التجاريب ليسلك في وصاياه بغير عثرة »

الفصل التاسع

في تقدمة البخور

ان تقدمة البخور استعملها الآباء الاطهار في كل القرون . وقد ورد في صلاة ليل الخميس ان نوح البار قدَّم البخور اولًا ليسترضي بهِ الله على العالم . وجاء في سفر الخروج ان الرب امر موسى ان ينصب مذبحًا من عود السنط يكون مغشًّى بالذهب امام تابوت الغفران . ويصنع بخورًا عطرًا من الميعة والقنَّة واللبان الذكي ويوقده عليهِ كل غداة وكل مساء عندما يصلح السرج . وايما انسان صنع مثله لينشقه ينقطع من شعبه (١

ولما ان فرغ ذلك العهد في صلب المسيح رسم الرسل الاطهار ان يُصعد على المذبح عطر البخور عند تقدمة القربان المقدس . ووعد الله بلسان الانبياء بان يدوم ذلك في كل مكان الى انقضاء الدهر اذ يقول « من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم . وفي كل مكان تُقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة » (٢ . وقال ايضًا « لا ينقطع لداود رجل يجلس على عرش آل اسرائيل ولا ينقطع للكهنة اللاويين عن وجهي رجل يُصعد محرقة ويقتّر تقدمة ويذبح ذبيحة كل الايام (٣

اولاً لان البخور يُزيل الرائحة الكريهة . ثانيًا لانهُ يجعل خدمة الله محترمة وموضعها موقّرًا . ثالثًا لانهُ يُحيي الدم ويبهج القلب ويفتح مغلق الذهن ويطيّب النفس بعَرْفهِ

ثم اعلم ان افعالنا الجسدية ليست لتُقبل او تُرذل عند الله الّا بحسب المقصود

---

١) خروج ٣٠ — ٢) ملاخي ١ : ١١

٣) ارميا ٣٣ : ١٧

منها فان كان صاحبها يقصد وجه الله كانت جميع افعاله مقدَّسة مقبولةً . وان كان يقصد بها غير ما هو واجب كانت افعاله كلها مرذولة كما وبّخ الرب لبني اسرائيل على لسان اشعيا قائلًا « ما فائدتي من كثرة ذبائحكم . قد شبعت من محرقات الكباش وشحم المسمّنات واصبح دم العجول والحملان والتيوس لا يرضيني . . . لا تعودوا تأتوني بتقدمة باطلة انما البخور رجس اديَّ . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل لا اطيقها انما هي اثم واحتفال . رؤوس شهوركم واعيادكم كرهتها نفسي . فحين تبسطون ايديكم احجب عينيَّ عنكم وان اكثرتم من الصلاة لا اسمع لكم » (١ . فان قيل ما سبب هذا ألعل هذه الافعال مرذولة بذاتها . كلَّا . ولكن نياتهم ومقاصدهم كانت فاسدة وايديهم مملوءَة دمًا

فمن اجل هذا اوجبت البيعة المقدسة لكي تكون طلباتنا مرضية ونيّاتنا مستقيمة ان نرسم في بدء جميع رتب الصلوات اولًا اشارة الصليب على وجوهنا قائلين ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ثم نضع بخورًا اذ يقول الشماس ܒܫܝܢܐ ܢܨܠܐ فنرسم الصليب لنتسلح بهِ ضد عدوّ جنسنا ونمجد الثالوث ليكون عقلنا وتمجيدنا مرتفعين اليهِ الى السماء

وانما نضع بخورًا لتكون طلبتنا بالخضوع وخشوع النفس لان البخور لا يمكن ان يضوع عَرْفه الَّا اذا أُلقي في النار . وهكذا الانسان لا يمكن ان تكون طلبته وحسناته وقربانه وتنسُّكه مقبولة اذا لم يصبر على البلوات ويذوب في كور المشقات كما يذوب في اتون النار . وحينئذٍ يتنشَّقهُ الله كالرائحة الطيبة كما كان يقول داود المعظم « لتقم صلاتي كالبخور امامك » (٢

ويوحنا يثبت انهُ « رأى الاربعة والعشرين شيخًا يقدّمون جامات من ذهب ممتلئة بخورًا وهي صلوات القديسين » (٣ . وعن الصدقة كتب الرسول قائلًا

١) اشعيا ١ : ١١
٢) مزمور ١٤٠ : ٢
٣) رؤيا ٥ : ٨

« تسلّمت من افردويتس ما هو من قِبَلكم رائحةً طيبة وذبيحة مرضية لدى الله (١ وكذلك عن الذبيحـــة أمر الله قائلًا « قتّر الكبش كله على المذبح انهُ محرقة الرب رائحة رضى وقيدةٌ للرب » (٢

وكان الله يُحدر من السماء نارًا على قرابين الآباء المتقدّمين ليظهر للعالم احتمالهم ومسرتهُ بهم

والفرق بين المحرقات وسائر الذبائح هو ان الذبائح كان يوقد منها جزء ويُعطى جزء للكاهن وجزء لصاحب الضحيَّـــة بخلاف المحرقات فانها كانت تحرق باسرها لانها تقرَّب لله وحدهُ بمنزلة سيـــد البرايا وخالقها . وكذلك البخور يُقدَّم كلهُ وقودًا لله . وقد كان الله يُهلك كل من استعملهُ بخارج المقدس ليعلمنا انهُ لا يجب ان يقدَّم الَّا لله وحده

ولهذا اوجبت البيعة على الكهنة ان يقولوا عند وضع البخور على النار « لتسبحة ووقار الثالوث المقدس توضع البخورات » . ويُقدَّم البخور ايضًا عند قراءة الحسايات لانها مرتفعة الى الثالوث المقدس . ويُشار بتقدمة البخور الى السيد المخلص كما قال عنهُ الرسول « انهُ بذل نفسهُ لاجلنا قربانًا وذبيحة لله رائحة مرضية » (٣ لانهُ كما ان الجمر يتركب من النار والحطب كذلك المخلص هو ذو طبيعتين الهية وبشرية

ويُشار بالمجرة الى العالم او السيدة التي قبلتهُ في حشاها البريء من الدنس ولم تحترق من حرارة لاهوته . وبزناجير المجرة يُشـــار الى الاقانيم المتساوية في الجوهر والقدرة والجود . وبالحلقـــة التي تجتمع بها السلاسل الى الطبيعة الالهية العامة على الثلاثة الاقانيم . وبالاجراس المعلقـــة بالسلاسل لاجل تنبيه الشعب يُدَلّ على الوحي الذي بِهِ نتنبّه لعمل الخير

واما احتراق البخور بالنار فلاجل الدلالة على آلام المسيح وهرق دمه . ودخان

---

١) فيلبي ٤ : ١٨ ٢) خروج ٢٩ : ١٨

٣) افسس ٥ : ٢

البخور الذي يفوح في كل الكنيسة للاشارة الى استحقاق المخلص الذي بهِ ارضى الآب وافاض إنعامهُ وعَرف معرفته على السماء والارض وجذب لمحبتهِ وطاعتهِ جميع الناس

وعند ما يجري التبخير وقت الصلاة ويخرج الكاهن من قدس الاقداس وهو حامل البطرشيل على منكبيهِ فيبخر المذبح والانجيـل والايقونات ثم خدام المذبح ثم الشعب المؤمن كل واحد حسب رتبته يُشار بذلك الى ان المخلص الذي هو عظيم احبار ايماننا والعطر الالهي بطيبة محبتـه خرج من حضن الآب الذي هو قدس الاقداس الى هذا العالم حاملاً جسد بشريتنـا فازال نتَن الكفر بزوفى قداسته ولاشى طغيان الشيطان باشعَـة مجدهِ وارضى الله بوقود جسده ولذَّذ الملائكة باشراقات حكمتهِ وافاض على المسكونة عَرف معرفتـهِ وبصوتهِ اللذيذ دعانا الى الايمان والنهج القويم . وكما ان الكاهن بعد الدورة يعود الى قدس الاقداس كذلك الرب بعد ان كرز ببشارتهِ عاد الى مقرّ الآب

ويُبخَّر المذبح والانجيـل والمعمودية لان الرب اقتناها بدمهِ وجعل فيها ديانته وبروائح احسانه ثبَّتها . ويُبخر بنو الايمان لان الرب بذل نفسهُ دونهم وبشبكة البشارة جذبهم الى صيرته . ثم ان الكهنـة يُبخرون المذبح وجرن الصبغة والانجيل لان المذبح بدَلٌ من الصليب والصبغة كالقبر والانجيل حاوٍ اخبار موت الرب وقيامته

وجميع هذه فاض مجدها ومعرفتها في المسكونة كالرائحة اللذيذة حتى ان ملوك الارض يرفعون تيجانهم ويسجدون لها . ويُبخرون ايضاً الشعب المؤمن ثم ذخائر القديسين وصورهم ومدافن الموتى لانهم مشترون بدم يسوع المسيح حتى دفنوا معهُ الخطيئـة في حميم المعمودية وصبروا على المشقات والاحزان والقتل لاجلهِ وحُسبوا كالحملان للذبح

فلاجل هذا الاحتمال وهذه الافعال الصالحة اشبهوا وقود البخور ورائحتهُ لان القلب هو كالمجمرة والصبر كالنار والسلاسل هي الايمان والرجاء والمحبة المرتفعة لله . والرائحة الطيبة هي التدابير الحسنة والافعال المرضية

ولهذا كتب بولس الرسول قائلًا « فانّا نحن نفحـة المسيح الطيبة لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون » (١ . وبطرس الرسول في نافور ܚܒܫ يأمر الكاهن ان يضع بخورًا قبل تقديس الاسرار ويقول « اليك يا سيّد الكل نرفع صلواتنـا لكي نصير عطرًا طيبًا بنقاوة افكارنا وتلتهب في اعضائنا نار محبتك الصادقة وتضوع رائحة طلباتنا فتلذذ ازليتك » . وبعد ان يبخر الكاهن الشعب في مساء الاحد يقول « أهّلنا ايها الرب ان نكون لك عرفًا طيبًا بواسطة افعالنا الصالحة وطيوبًا مبجلة بتدابيرنا الحسنة وبخورات نقية بامانتنا الصادقة »

اما البخور فلا يجب ان يكون من المَيْعة ولا من الندّ ولا من بخور مريم وحدها بل ينبغي ان يمتزج بدَسَم اللُبان ولا يحق ان يقدّمهُ في الكنيسة الّا الكاهن لانهُ وسيط بين الله والشعب وهو يقدّم لله قرابينهم . وتأذن البيعة للشماس الرسائلي ان يبخّر من تحت درجة المذبح لانهُ كالملاك خادم الروح ووسيط بين الشعب والكاهن . ولاجل ذلك في الرسامة نسلّمهُ المجمرة ونأمرهُ ان يبخر حول المذبح

وذكر يوحنا « ان الملاك وقف عند المذبح ومعـهُ مجمرة من ذهب فأُعطي بخورًا كثيرًا ليقدّم صلوات القديسين كلهم على مذبح الذهب الذي امام العرش . فصعد دخان البخور من صلوات القديسين من يد الملاك امام الله » (٢

ويوضع البخور في خدمة القداس عشر مرات

اولًا عند تبخير اواني القداس وثياب عروس المسيح ليتم المكتوب « ان عرف ادهانك فوق جميع الاطياب » (٣

ثانيًا عند ما نقول ܚܡܝܪܐ ܕܒܫܡܐ اشارةً الى تجسـد ابن الله وتقدمة البخور من المجوس

---

١) ٢ كورنثس ٢ : ١٥ ٢) رؤيا ٨ : ٣

٣) نشيد ٤ : ١٠

ثالثًا عند ما نقول الحسّاية لاجل احسان السيدة مريم العذراء التي ولد منها الخلاص

رابعًا عند ما نقول مزمور ارحمني يا الله اشارة الى فضائل يوحنا الذي كان يعمّد الناس للتوبة وشهد للرب انهُ حمل الله

خامسًا عند ما نقول التقديسات الثلاثة التي انشدها الملائكة

سادسًا عند ما نقرأ الانجيل الذي بلغت معرفته اقاصي الارض

سابعًا عند ما نقرأ سرّ الايمان الذي انتشر في كل العالم وتلقّاه بالتسليم والقبول

ثامنًا بعد السلام في نافور ܚܘܣܝܐ اشارة الى الطيب الذي سكبتهُ مريم على قدمي الرب في بيت سمعان الفريسي

تاسعًا عندما نصنع تذكار آلام الرب في نافور ܚܘܣܝܐ ومارون اشارة الى الطيب الذي افاضتهُ المرأة على الرب في بيت سمعان الابرص لدفنهِ

عاشرًا في تذكار الموتى المؤمنين اشارة الى نياحتهم والحنوط الذي تحنّط بهِ جسد الرب . وهذه العشر دفعات على عدد الاوقات التي تراءى بها الرب لبيعتهِ بعد قيامتهِ ففاحت روائح الايمان بهِ في الآفاق الاربعة

وكما ان المخلص في اول يوم القيامة اظهر نفسه للبيعة خمس دفعات وكانت بقية ظهوراته في الايام التالية . كذلك نحن ايضًا نرفع البخور فوق المذبح خمس مرات والخمس الاخرى خارجًا عن المذبح

الفصل العاشر

في المراوح والصنوج

ذمَّ بعض الناس استعمال المراوح في الكنيسة وزعموا انهُ استعمال متجدّد وقد جهلوا ما يُقدّم على المذابح الالهية تسلّمناه من تلاميذ الرب . ومن خصوص المراوح

فانهُ مأمور في الفصل التاسع عشر من تعليم الرسل ان يقف شماسان من جانبي المذبح ويمسكا مراوح مصنوعة من شيء ناعم ويطردا بهـا الذباب الصغير لئلا يقع شيء منهُ في الكأس

ومكتوب في الدسقلية ان الاسقف يقدّس وهو قائم على المذبح والستارة مفروشة وداخلها القسوس والشمامسة يروّحون حوله بالمراوح مثل اجنحة الكروبين . وجميع كنائس الشرق تستعمل المراوح في خدمة القداس والعماد والرسامات والزياحات وخاصة في تقديس الميرون اذ تتخذ اثنتي عشرة مروحةً تظلل بها فوقه

وكانت ايضاً الكنيسة الرومانية تستعمل المراوح كما يتضح من المثل الذي سنذكرهُ في المنارة الرابعة في الفصل الخامس من الشرح الاول

ومأمور في قوانين القديس عبد الاحد ان الشماس يجب عليهِ وقت طيران الذباب ان يطرده بالمروحة ويبعده عن الذبيحة لئلا يُقلق الكاهن في القداس . والى الآن يستعملون المراوح في خدمة القدّاس في جزيرة مالطة وفي مدينة مسينة من اعمال جزيرة صقليَّة . واما في عدا القداس فانهم يلوّحون للحبر الروماني بمروحتين من ريش النعام عندما يحملونه على الكرسي . والسبب في استعمال المراوح وتلويحها هو

اولًا طرد الذباب والبرغش والطائر الصغير لئلا تسقط في الكأس وهو اشارة لكي ننفي عن قلوبنا هموم العالم والافكار المقلقة والشكوك التي يرسلها علينا العدو ليجعل خدمتنا فارغة كما هو مكتوب ان ابرهيم كان يطرد الطيور التي كانت تحوم على القربان الذي قدَّمهُ لله

ثانياً يلوّح الشمامسة بالمراوح لكي ينبهوا الشعب فيجمعوا افكارهم لمقاومة العدوّ كما أَمر الرب كهنة اسرائيل ان يصنعوا قرنين من فضة ويبوّقوا بهما ويهللوا اذا خرجوا من ارضهم ضد العدوّ فيذكرهم الرب ويخلصهم منهُ

ثالثاً يلوّح الشمامسة بالمراوح اكراماً لحضور الرب وتوقيراً لجسده الذي اعطانا

النصرة على الشيطان والخطيئـة والموت تشبُّهاً بالجنود الذين يضربون بالدفوف والطبول والزمور عند ما يظفر الملك باعدائهِ

وكذلك يذكر حزقيال ان مجـد الله صعد عن الكروبين الى عتبة البيت فامتلأَ البيت من الغمام وامتلأَت الدار الداخلة من ضياء مجد الرب . وكان يسمع اصوات اجنحة الكروبين الى الدار الخارجية كصوت الله حين يتكلم (١

رابعاً يُشار بتلويح المراوح عند ما يصرخ الشمامسة قدوس قدوس قدوس الى الملائكة وطيرانهم حول عرش العظمة كما شاهدهم اشعيا المجد . ولاجل ذلك أَمر الرب موسى كليمه ان يضع في المقدس كروبَين من ذهب اجنحتهما منبسطة (٢

خامساً يضربون بالمراوح في دعوة الروح ويلوّح الكهنـة ايضاً بايديهم اشارةً الى حلول الروح على جسد الرب وعلى بقيـة الاسرار كما ورد ان الروح حلّ على الرب بشبه حمامة في نهر الاردن (٣ . وقال جبرائيل للسيدة « ان الروح القدس يحل عليكِ وقوة العالي تظللكِ » (٤ . وكذلك في دعوة الروح نطلب قائلين « استجب لنا يا رب وليأتِ روحك الحي القدوس ويحلّ ويُرفّ عليَّ وعلى هذه القرابين »

سادساً يُلوَّح بالمراوح في موت الرب وشيْلة الاسرار اشـارةً الى اندهاش الملائكة وحيرتهم عند ما كانوا يشاهدون ربّ المجد يُجلد ويُعذَّب ويُسلّم الروح لاجل خلاصنـا . فكانوا يحوّلون وجوههم عن منظر تلك المكاره ثم يمجدونه على غزير رحمتهِ واناتهِ وصبرهِ

وقال حزقيال « سمعت خلفي صوت رعد عظيم أَن مبـارك مجد الرب من مكانه وصوت اجنحة الحيوانات المقبّلة الواحد الآخر وصوت الدواليب معها وصوت رعد عظيم (٥

---

١) حزقيال ١٠ : ٤ — ٢) خروج ٢٥ : ١٨

٣) متى ٣ : ١٦ — ٤) لوقا ١ : ٣٥

٥) حزقيال ٣ : ١٢

سابعاً في تذكار قيامة الرب والاعياد الصارخة تُدقّ الصنوج والمراوح اشارةً الى الابتهاج الروحاني . فكما انهُ في الافراح الدنيوية ينشرح القلب وتتسع الرئة بالطرب هكذا لدى ابتهاج الروح توجب البيعة على الكهنة ان يفتحوا ابواب قلوبهم ويرنموا للرب بجلاجل شجية الاصوات

فمن هذه الاسباب وغيرها التي اضربنا عن ذكرها يفهم كل احد ان استعمال المراوح هو قديم ومكرَّم في بيعة الله . وقد امرت البيعة ان لا يستعملها احد ما عدا اوقات الضرورة سوى الشمامسة الرسائليين الذين يتسلمونها من الاسقف بوضع اليد . واذا لم تكن موجودة فيُعطون بدلًا منها غطاء الكاس فيستعملونه مكانها في زياح القداس والعماد وغيرهما من الاحتفالات . وكانت المراوح قديمًا تصنع من الريش الملوَّن كريش الطاوس والنعام وقد سماها ديونيسيوس تلميذ بولس الرسول وغيره بالجوانح والى الآن لم تزل في بلادهم هكذا

واما ها هنا فيجعلونها من صفائح نحاس او فضة او ذهب ويصوّرون عليها الكروبين بستة اجنحة . وفي كنائسنا يعلّقون لها جلاجل صغيرة في دائرتها وينصبونها برأس عصًا يربطون بها منديلًا على شبه الراية . على ان هذه الامور لم تُرتَّب عبثًا ولكن قصد بها معانٍ مقدَّسة سامية . فيجعلونها اولًا من ريش النعام لان اجنحة الملائكة التي ارسلها الله لاصفيائهِ كانت على هذا الشبه

ثانيًا يصنعونها من نحاس للدلالة على الثبات

ثالثًا يجعلونها مدوَّرة كالنجم . لان الملائكة سُمّوا كواكب الصبح وعلى شبه النجم ظهروا للمجوس ولقيصر ملك رومية

رابعًا يُصوّر عليها الكروبين لانهُ يُشار اليهم خاصةً بالمراوح ومن اجل هذا يحملها الشمامسة الذين هم بمنزلتهم

خامسًا تُعلّق بها الجلاجل لان الله بواسطة الملائكة اعطى الناموس وكل يوم يعطي الوحي للذين يحبهم

سادساً تُصنع على مثال الراية لاننا بها نقاتل العدوّ على مثال راية قسطنطين التي كان مكتوباً عليها اسم يسوع باليوناني

سابعاً يُعلّق بهـا منديل اشارة الى اجنحة الملائكة الذين لا يزالون دائماً مستعدين للخدمة · ولا يُنشر المنديل كلّهُ لنعلم ان الوحي الذي يلقيه علينا الملائكة هو غير كامل في هذه الحياة · ولكي يعلم الشمامسة الذين يحملون المراوح على مثال الملائكة انهم ينبغي ان يكونوا طاهرين وطائعين مثلهم لئـلا يصيبهم كما اصاب بعض الذين سنذكر اخبارهم ان شاء الله في الفصل الخامس من الشرح الاول في المنارة الرابعة

واما الصنوج فانهم يدقونها لاجل الفرح والابتهاج كما يقول داود « سبحوا الرب بصلاصل شجية الصوت » واراد بها الصنوج ودقّها يكون كتصفيق الايدي كقول داود ايضاً « يا جميع الشعوب صفقوا بالاكف · اهتفوا لله بصوت الترنيم » (١

١) مزمور ٤٦: ٢



الشرح الثالث

من المنارة الثانية

في اواني المذبح وتقديسها

بعد ان تكلمنا عن الكنيسة والمذبح اجمالًا نتكلم باختصار عن اوانيه المقدسة لانها اقرب من غيرها الى الاسرار الالهية . ولهذا تأمر البيعة ان لا يمسّها الّا الابودياكن الذي يغسلها كالقندلفت ويعدها ويعتني بحفظها . واذا كانت فيها الاسرار المقدسة فلا يمسّها احد سوى الشماس المكرَّس ما عدا اوقات الضرورة . وها نحن الآن نتكلم عن تقديسها وتقديس المذبح ونقسم ذلك الى ثمانية فصول

الفصل الاول — في الكأس والصينية
الفصل الثاني — في الصمدة وغطاء الكاس
الفصل الثالث — في النوافير الصغيرة
الفصل الرابع — في بقية اواني وادوات القداس
الفصل الخامس — في تقديس الكنائس والمذابح وآنية القداس
الفصل السادس — في تفسير هذا التقديس
الفصل السابع — في الدنس المانع التقديس
الفصل الثامن — في كرامة المذبح والكنيسة وآلة القدس

الفصل الاول

في الكاس والصينية

لما شاء السيد المسيح ان يقدّس دمه الكريم اخبر الانجيل المقدس انهُ اخذ كاسًا وباركها وقدَّسها قائلًا « هذه هي كاس دمي » . اما الكاس التي قدَّس فيها فقيل انها كانت من خشب . وقال بِدا الكاتب انها كانت من فضة وكانت في ايامه محفوظة بالقدس ويراها الزوَّار . وقال آخرون انهـا كانت من حجر كريم ولم تزل الى الآن محفوظة في مدينة بلنسية وربما انهم استعملوا في العشاء كؤوسًا كثيرة لموضع شرفه

وقيل ان البيعة بعد السيد المخلص كانت تستخدم كؤوسًا من خشب حتى ان بونيفاس الشهيد كان يؤنب اهل عصره قائلًا ان الكهنة من قديم كانوا من ذهب ويستعملون كاسات من خشب . واما كهنة عصرنا فصاروا حطبًا ويستعملون كاسات من فضة

ثم ان الآباء القديسين لما رأَوا ان الخشب مادة ضعيفة تتشقّق بتمادي الزمان وتتلف وتشرب الدم الكريم أَمر البابا افرينوس الذي جلس على كرسي روميـة في بدء الجيل الثاني بان تصنع الكاس من زجاج او من بلَّور وتجعل لها عروتان لاجل امساكها وقت التناول

ولكنهُ لما كانت الكأس الزجاجية او البلورية سريعة العطب استبدلوها بالفخَّار في وقت قريب . ثم ما لبث البابا اوربانوس ان امر بصنعها من الذهب والفضـة . وسمح الآباء لفقراء الكهنـة ان يستعملوا الكؤوس من قصدير او نحاس بشرط ان تُطلى القبَّة اي موضع حفظ الدم الكريم بالذهب لئلا يعلوها الصدأ . واما قاعدة الكاس فتكون من النحاس وغيره

ومن خصوص الصينية فلم يُذكر ان الرب استعملها لكنهُ اخذ الخبز على يديه

وبارك وكسر ومن المحتمل ان يكون قد كسره ووضعه في صحن او قصعة على مثال ما يفعل الكهنة في جميع اقطار العالم اكراماً للجواهر المقدَّسة لئلا تلحقها اهانة فاذا صحَّ الاحتمال فيكون قد اراد بذلك ان يعطي مثالًا لخدَّام المذبح ليعلموا كيف يكرّمون جسده ويحترصون على حفظه بوقار . وتُصنع الصينية من معدن الكاس مدوَّرة اشارةً الى الكمال لانهُ ليس لها بداية ولا نهاية . ولكنها شبيهة بقرص الشمس الذي اتخذه الرب مسكناً كقول داود « وللشمس نصب خباءً فيهم (١

وكانوا قديمًا يصنعونها مجوَّفةً اشارةً الى القبر الذي دفن فيهِ جسد الرب . وقال آخرون ان الكاس تدل على القبر والصينية على الحجر الذي وضع على بابهِ . وزعم غيرهم انهُ يُشار بالكاس الى مشاق العالم واتعابه وبالصينية الى الرجاء الذي بهِ نتوقع مجد الله وفرح نعيمه

واما البيعة المقدَّسة في تكريسهما فتطلب من الله ان يطهّرهما من كل دنس ليصيرا مسكناً اللاهوتهِ . وقد سبق روح القدس فمثّل لنا الصينية بالدلو التي وضع فيها موسى خبز الحياة الذي ارسلهُ الى الشعب في القفر . والكاس بالصخرة التي تفجرت منها ينابيع الخلاص للشعب العطشان

واعلم ان الكاس قديمًا كانت توضع فوق المذبح عن يمين الصينية اشارةً الى دم الرب الذي خرج من جنبهِ الايمن . والى الآن لم تزل هذه العادة محفوظة عند بعض الطوائف لكنَّ الآباء القديسين قالوا بوضعها شرقي الصينية ليتسهل على الكهنة التبخير ورسم الصلبان لان الكاس اعلى من الصينية . وارادوا ان يفهمونا بذلك ان المرتفع على المشرق لبس حقارة جنسنا وظهر في مغرب طبيعتنا . وكذلك عندما يُدفن رؤساء الكهنة والديورة يعطون بايديهم كاساً دلالةً على رجاء الخلاص وحرمة الكهنوت وحسن جهادهم في ما يخصّ تدبير بيعة الله كما هو الامر جارٍ عندنا للآن في دفن البطاركة

١) مزمور ١٨ : ٦

وذكر لنا المطران يوسف الحصاراتي واخوه الخوري موسى والخوري ابرهيم زياده الاهدني انهُ في سنة الف وستمائة وست وخمسين للرب في الثالث والعشرين من كانون الاول لما فتحوا مغارة القديسة مارينا ليدفنوا جثة البطريرك يوحنا الصفراوي شاهدوا بعينهم جسد البطريرك جرجس عميره محفوظاً كانهُ حي بعد مدة ١٣ سنة من وفاته وبيدهِ كاس وعلى راسهِ تاج وهو جالس على الكرسي . فاخذ التاج واحد من الاساقفة واستعملهُ في خدمة الاسرار . وبعد اربع سنين من السنة المذكورة سمعنا ان بعضاً من المتاولة القاطنين في برج بيروت حفروا من جهة القبلة البئر التي في القرية فوجدوا راهباً مدفونًا في ناوس وعلى راسهِ تاج وبيدهِ كاس فطمّوه واخفوا امره . وقيل ان تلك البئر كانت بئر الكنيسة

الفصل الثاني

في الصمدة وغطاء الكاس

تكلمنا سابقًا في الفصل الثالث من الشرح السابق عن اغطية المذبح ولكنه ما عدا الاغطية او الوجوه الثلثة تأمر الكنيسة الرومانية جميع كهنتها ان يضعوا صمدة وهي منديل ابيض نظيف من كتَّان بين آنية القدس وثياب المذبح . وهذه الصمدة يكرمونها جدًّا وينشّونها ولا يأذنون لاحد من العوام ان يمسّها ولكن الكاهن في بدء القداس يفرشها في وسط المذبح وعند النهاية يطويها ويضعها في كتاب القداس او في الكنَف المُعدّ . وسبب هذا التكريم كله هو لانهم في رتبتهم يضعون عليها القربانة المقدسة . وبعد ان يكسر الكاهن الجوهرة يضع الاجزاء على الصينية ويقولون انها اشارة الى الكفن الذي لُفَّ به جسد الرب في القبر كما يذكر الانجيل المقدس ان كفن الرب كان من كتان (١

وكذلك أَمر سيلبسطروس الذي عمَّد قسطنطين الملك ان لا تكون الصمدة حمراء ولا تتخذ من حرير ولا من جوخ بل من كتَّان ابيض نظيف . اما

١) مرقس ١٥ : ٤٦

الرهبان القورتسيان الذين ببلاد الغرب فيفرشون الصمدة تحت الاسرار ثم يطوونها فوقها لتكون على هيئة الكفن الذي تغطى بهِ جسد الرب وجهاً وقفاً. واما طوائف الشرق فيضعون الاسرار فوق الوجوه والروم فوق الانديميسي لانهم لا يضعون عليها الاسرار بل في الصينيـة والكاس دائماً . واما طائفتنا فانها تستعمل الصمدات منذ مائة سنة

وهنا سؤال. لماذا الكنيسة الشرقية تستعمل القطن في تكفين الموتى وخدمة الاسرار اكثر من الكتان الذي تكفن بهِ جسد الرب

جواب. ذلك طعناً في اليهود وعوائدهم ولأن وجود القطن اكثر من وجود الكتان وهو انظف منهُ. واما النافور الكبير الذي تُغطى بهِ الكاس والصينية فيصنع من حرير وقطن وكتان باي لون كان لانهُ اشارة الى المجد الذي تجلى بهِ الرب حين لبس جسدنا وحين صعد الى السماء كما كتب « ايها الرب الهي لقد عظمت جداً . جلالاً وبهاء لبست . انت المتحف بالنور كرداء » (١. ولهذا حين نغطي بهِ الاسرار نقول تجللت السماوات من بهاء المسجد ومن مجده امتلأت كل الارض

ويدل هذا النافور على ان سر جسد الرب غير مفهوم وغير مدرك. ويُشار بهِ الى كل شيء احتجب بهِ الرب كالاحشاء المقدسة التي سترتهُ تسعة اشهر والنور الذي ظهر يوم تجليه والدم الذي التطخ بهِ في آلامهِ والظلام الذي غشّاه وقت صلبه وخاصة الحجر الذي وُضع على قبره

ولهذا عند ما يرسم الاسقف رأس الشمامسة يضع لهُ النافور على صدره ثم يطويه على منكبيهِ ثم يأمرهُ بقراءة الانجيل على الانبلن ليكمل سرّ الملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر ومن فوقهِ بشّر النسوة بقيامة المخلص. وعند ما نصنع تذكار قيامة الرب في خدمة القداس يقبّل المذبح بوقار ثم يمدّ يمينه لهدب النافور فيحرّكهُ بورع ويسلمهُ للكاهن قائلاً ܢܩܘܡ ܡܪܝܐ ܢܬܒܕܪܘܢ ܒܥܠܕܒܒܘܗܝ

١) مزمور ١٠٣ : ١

ܘܫܒܩܘ ܐܢܘܢ اشارة الى الملاك الذي زلزل الارض ودحرج الحجر عن القبر

اخيرًا مثلمـــا انزل الرب لبطرس منديلًا من السماء فيـــهِ من جميع اجناس الوحوش وقال لهُ اذبح وكُل ليظهر لهُ انهُ يشاء اقبال كل الناس الى معرفتهِ ومعموديتهِ كذلك رسمت البيعـــة ان يرفع الشماس هذا المنديل عن الاسرار ليعلن للحاضرين مسرَّة الرب بذبح الكهنة جسده لتذكار موته وتقدمته لهم ليتحدوا معهُ في مناولتهِ

الفصل الثالث

في النوافير الصغيرة

جميع الكهنة شرقًا وغربًا يضعون نافورًا صغيرًا مربعًا او مدوَّرًا على فم الكاس حفظًا من البرغش والذباب وغيره ويدعى صغيرًا بالنسبـــة الى الذي تقدَّم ذكره . واما في كنائس الشرق فيضعون نافورًا آخر على الصينية حفظًا من الريح ولئلا يطرأ شيء عرضي . ويُشار بهما الى اللفافـــة التي تكفن بها جسد الرب والمنديل الذي لُفَّ بهِ راسه المقدَّس . وعند ما تُكشف الاسرار الطاهرة في بدء النافور نضع الغطـــاء الكبير والنافور الذي على الكاس مما يلي التيمن على المذبح والذي على الصينية مما يلي الشمال ليتم قول الانجيل « انهُ لما دخل بطرس القبر رأى الاكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسهِ غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفًا في موضع على حدته » (١. والنافور الذي يوضع على الكاس يصنع من كتان في الكنيسة الرومانية كما ذكرنا عن الصمدة

واما في بلاد الشرق فيُصنع من قطن وكتان وحرير من اي لون كان . لكن العادة القديمة التي اصطلح عليها اهل الشرق واستعملهـــا الرؤساء هي ان يكون قبَّة من فضـــة مدورة مثل الاكليل او منتصبة على ثلاث قوائم وفي اعلاها صليب .

---

١) يوحنا ٢٠ : ٦

ويسميها الروم بلغتهم « أستريسكوس» اعني النجم يشيرون الى النجم الذي هدى المجوس الى مولد المسيح . وعند ما يضعونها يقولون « ووقف حيث كان الصبي » . وكما ان النجم دل هناك على المخلص كذلك هاهنا يدل عليهِ النافور . ويُشار بهذه القبة الى المنديل الذي لُفَّ بهِ راسه ثم الى السلطة التي تتوَّج بهـا ناسوته من الاقانيم الثلاثة . ولهذا عند ما نضعها نقول « الرب ملك ولبس البها » . ونضع القبة فوق الصينية اكراماً لجسد الرب وحفظاً لهُ من الريح في المواضع المكشوفة وستراً من الغبار والطائر المسمى الفراش ونغطي بها في الرسامة

واما النافور الصغير الذي نغطي بهِ الكاس فنشير بهِ الى تجسد الرب وهبوطه الى الهاوية وقيامته بمجد ابيهِ . ولهذا نقول فوقه « لبس الرب القوة واعتز »

ويُشار بالنافورين الى جناحي السارافيم اللذين يُظلّل بهمـا وجه الرب والى كَنَف رحمة الله علينا وسَتْرنا بجسده من عيون مبغضينا

الفصل الرابع

في بقية الآنية والآلات التي تخص خدمة القداس

اولًا يجب ان يكون ابريقان الواحد للخمر والآخر للماء ليُمزج في الكاس بتقديس الدم ويجب ان يكون كلاهما نظيفين لئلا يفسد الخمر او يحدث منهُ للكاهن قيءٌ . اما الروم فيستعملون ابريقاً آخر يسمونه « زادون » يسخنون فيـهِ ماءً ويمزجونه مع الدم الذي تقدَّس . وسنتكلم عن ذلك في باب مزج الجسد والدم معاً

ثانياً الملعقة . وهذه تتخذ من فضَّة او نحاس او معدن آخر لكي يتناول بها الشعب جسد الرب ودمه ويُجعل في طرفهـا صليب . وقبل استعمال الملعقة قيل انهم كانوا يستعملون في بعض الكنائس كلبتين من فضة يمسكون بهما الجوهرة ويضعونها في يد المتناولين على شبه الكلبتين اللتين امسك بهما السارافيم الجمرة وطهَّر شفـاه اشعيا النبي

ثالثًا القصبة . وهذه تؤخذ من ذهب او فضة وبها يشرب المتناولون الدم من الكاس والى يومنا هذا يشرب بها الحبر الروماني الدم الالهي في الاعياد الكبيرة

رابعًا السكين . ويستعملها كهنة الروم لاجل التضحية وهي رمز الى الحربة التي طُعن بها جنب الرب . ولهذا عندما يذبح الكاهن الخبز قبل ان يقدّس ينحره برأس السكين من جهة اليمين ويكون طرف السكين متصلًا بالكاس اشارةً الى ان الدم الذي في الكاس هو الذي خرج من جنْب الرب . واما البيعة فتأمرنا ان نكمل هذه الضحية غير الدموية بكسر الايدي من غير استعمال سكين بل بسلطان الكهنوت كما نقرأ في عشية تقديس البيعة

ܝܗܒ ܠܟܝ ܥܕܬܐ ܣܟܝܢܐ ܪܘܚܢܝܐ ܕܒܟܠܝܘܡ ܢܟܣܝܢ ܐܢܬܝ
ܕܡܗ ܠܚܘܣܝܐ ܕܚܛܗܐ ܕܒܢܝܟܝ (١

خامسًا السكرّجة . وهي حُقٌّ يُحفظ فيهِ جسد الرب لتقريب الشعب في الكنيسة ولشركة المرضى في البيوت وهو رمز الى القبر الذي ضمّ جسد المخلص . والروم يستعملون اغطية للصواني في نقلة الاسرار مخافة ان يسقط فيها شيء . وكذلك في الكنيسة الرومانية يزيّحون جسد الرب في اناءٍ من فضة او ذهب على شبه قرص الشمس مع شعاع من حوله وداخله فارغ على قدر البرشانة يسترونه بالبلّور من قدّام ومن وراء ولهُ قاعدة كقاعدة الكأس يُحمَل بها في الزياح ويوضع على المذبح

سادسًا الاسفنجة . وهي منديل صغير لاجل مسح اصابع الكاهن بعد مناولة الشعب ومسح الصينية والكاس ولا يمسّها احد سوى خدّام المذبح . ومن قديم كانت النساء يتخذنَ مناديل نظيفةً يتناولنَ بها جسد المخلص بايديهنَّ لئلا يلمسنَ الجسد

اخيرًا يوضع على المذبح كتاب القداس وذلك ضروري لكي يكون تقديس

---

١) ترجمته : وهب لكِ ايتها البيعة سكيناً روحياً كي تسفكي دمه كل يوم لمغفرة ذنوب ابنائكِ

الاسرار سهلًا وبعيدًا من خطر التيهسان وخصوصًا في الرتبة الرومانية بسبب تغيّر الافاشين كل يوم ٠ ومن الواجب ان يكون موجودًا ولو عرف الكاهن كل رتبة القداس عن ظهر قلبه لان عقل الانسان عرضة للنسيان وسريع الزلل والخدمة الالهية ينبغي ان تكون ناجية من كل خطر

الفصل الخامس

في تقديس الكنيسة والمذبح واوانيهما

بعد ما تكلمنا عن الكنيسة والمذبح والاواني التي تخص جسد الرب وجب علينا الآن ان نتكلم عن تقديسها وتكريمها لكي يفهم القارئ ما هو شرف الاسرار الالهية وخدمتها

أخبرنا سفر الخروج ان الله بعد ما اعطى الناموس لموسى وعلّمه كيف ينصب المقدس ويختار الكهنة وكيف يقدّمون لهُ القرابين ٠ حينئذٍ علّمه كيف يصنع الدهن المختار على يد صانع حاذق ويمسح بهِ هارون وبنيهِ وقبّة الزمان وتابوت الشهادة والمائدة والمذبح والمنارة وآنيتها وسائر ما يتعلق بها ليكون كل شيء طاهرًا ويتطهر جميع من يدنون منهُ لاجيالهم ٠ وكل من ركّب مثله او جعل منهُ على اجنبي ينقطع من شعبهِ ٠ وبعد ان اتمّ ذلك امرهم قائلًا « سبوتي فاحفظوها ومقدسي فتهيبوه » (١

وقبل ما اعطى الله الناموس يذكر سفر التكوين انهُ لما انطلق يعقوب الى ما بين النهرين وبات في لوز بين بئر سبع وحاران اخذ حجرًا ووضعهُ تحت راسهِ ٠ فرأى في الحلم كأن سلّمًا منتصبةً على الارض وراسها الى السماء والملائكة تصعد وتنزل عليها وكان الرب واقفًا على السلّم فكلّمهُ وباركه ووعده ان يحفظه حيثما اتجه

ولما استيقظ يعقوب من نومهِ اخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسهِ واقامهُ نُصبًا

١) خروج ٣٠

وصبَّ على رأسهِ دهنًا وسمّى ذلك الموضع بيت الله قائلًا ان الرب لفي هذا الموضع ونذر لله انهُ اذا حفظه في طريقه ورزقه خبزًا يأكله وثوبًا يلبسه وردّه سالمًا الى بيت ابيهِ يؤدي لهُ عشور جميع ما يرزقه (١

وكل هذه الامور التي اراها الرب لموسى في الجبل وليعقوب في ارض لوز انما كانت رمزًا لتقديس كنيسة المسيح . فعن موسى نقرأ في تقديس البيعة

ܡܘܫܐ ܢܒܝܐ ܨܝܪܗ ܗܘܐ ܠܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܒܗܘ ܡܫܟܢ
ܙܒܢܐ ܕܐܩܝܡ ܠܥܡܐ ܕܒܢܝ ܐܝܣܪܐܝܠ (٢

وعن يعقوب يقول السروجي في الميمر الثامن والسبعين عن مجمع الاساقفة

ܬܐ ܚܙܝ ܟܗܢܐ ܕܡܫܚܝܢ ܟܐܦܐ ܕܒܝܬ ܐܠܗܐ . ܘܫܡܥ
ܕܗܕܐ ܗܝ ܗܝ ܕܩܒܥ ܗܘܐ ܒܛܘܪܐ ܝܥܩܘܒ (٣

ثم يفسر هذا القول ويبيّن اكتمال الرسم في الكنيسة اي ان الجبل الذي كان بارض كنعان يُشير الى البيعة بين الامم . والنُصب الى المذبح . والدهن الى الميرون . والعصا الى الصليب . ونوم يعقوب على الحجر الى المسيح فوق المذبح . ووقوف الرب على السلّم الى مسرّتهِ بتقدمة جسد ابنـهِ . وصعود الملائكة وهبوطهم على السلّم الى كونهم يقدّمون لله قرابيننا ويُحدرون لنا عطاياه الكاملة . وكما ان يعقوب صلى هناك وقدَّم نذوره لله وطلب منهُ خبزًا وان يحفظـهُ في طريقهِ سالمًا . كذلك بيت الله هو مجمع المؤمنين للصلاة وفيهِ نُقدّم القرابين والنذور ونطلب ان يعطينا خبزنا الجوهري الذي هو جسد ابنه ورحمته لنكمل هذه الحياة بنعمتهِ

---

١) تكوين ٢٨ : ١٠

٢) ترجمته : ان موسى النبي مثّل البيعة المقدسة بمسكن الزمان الذي اقامه لشعب اسرائيل

٣) الترجمة : هلمَّ وانظر الى الكهنة اذ يمسحون صخرة بيت الله واهتف انها هي التي نصبها يعقوب في الجبل

ومثلما أَمر الرب يعقوب وموسى ان يدهنا ويقدّسا الموضع الذي اصطفاه لخدمتهِ كذلك أَمر بطرس الرسول تلميذه اقليموس في الكتاب المنسوب اليهِ قائلًا « كل هيكل تبنيه اختمهُ بخاتم الرب الذي هو الميرون المقدس دهن السرور. وليكن معك وقت تقديسه سبعة قسوس فانهم هم الخلفاء بعدنا واختم المذبح والهياكل الممجدة بخاتم الرب »

ويأمر مجمع نيقية ان لا نقيم قدّاسًا في المدن الكبيرة الّا في هيكل كرّسه الاسقف او مكان أَفرده لذلك. ويقول القديس باسيليوس انهُ لا يسوغ ان تُبنى كنيسة الّا باذن الاسقف واذا تجاسر احد وفعل غير هذا فلا يجوز ان يُقدَّم قربان فيها الى الابد. فان تجرَّأ كاهن على تقريب القربان فيها يُقطع من جسم البيعة

واوجب مجمع اللاذقية ان يُقرَّب القربان في بيوت الاساقفة لا في بيت احد من المؤمنين الّا ان يكون في ذلك البيت كنيسة مكرَّسة. ووردت في سائر المجامع ايضًا امور كثيرة فيما يخص حرمة الكنائس وكرامتها. وجميع ما سنّهُ الآباء بخصوص تقديس الكنائس يتناول المذابح والاواني المكرَّمة لكونها اقرب والزم لتقدمة الاسرار. وما اوجبوه بشأن الواحد منها يُطلق على جميعها كما يتضح من الرتب التي أَلَّفها الآباء اركان البيعة لتقديس كل واحدٍ واحدٍ منها. وعند ما نقدّس المذبح نقول

ܚܝܠ ܡܢ ܒܝܕ ܦܘܩܕܢܐ ܕܩܒܠܢ ܡܢ ܫܠܝܚܝܟ ܒܝܕ ܐܝܕܐ ܕܟܘܡܪܐ ܡܩܕܫܝܢܢ ܠܡܕܒܚܐ ܗܢܐ ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܪܐ الخ (١

فمن هذه الشهادات التي ذكرناها ومن التي اضربنا عنها لاجل الاختصار يتضح أَن تقديس الكنائس والمذابح والاواني يصير بالميرون الطاهر لانهُ خاتم الرب ودهن الفرح وافضل جميع ما يُقدَّس في بيعة الله بعد جسد الرب. والذي يدهن بهِ هو

١) الترجمة: انّا بقوة الوصية التي تسلّمناها من رسلك على ايدي الكهنة نقدّس هذا المذبح باسم الآب والابن الخ

راس الكهنة لانهُ أبو ورئيس الرعية . لكنهُ وقت الضرورة يسوغ للاسقف ان يأذن للخوري والبردوط ان يقدّسا المذابح واجران الصبغة ويدهناها بالدهن المذكور . ولذلك حين رسامة البردوط يقول « بسلطان كلمتك مانحة الحياة للكل ايها الرب الاله أهّل عبدك هذا أن يصنع ويتمم كل مسرّتك في البِيَع المقدسة اذ ينصب بها اجران العماد ويصلح المذابح ويمسحها بالدهن الطيب »

واما ثياب الكهنوت وملابس المذبح فيباركها الاسقف او الكاهن باذن الاسقف بغير دهن الميرون ما عدا الاندميسي لانها سريعة البلى وتغسل كل وقت ولا تلمس جسدًا الَّا ان كان بالاتفاق وذلك لزمان يسير

الفصل السادس

في تأويل تقديس المواضع المقدَّسة

ذمّ بعضهم تقديس الكنائس والمذابح والاشياء التي نسميها مقدَّسة جهلًا منهم وعدمَ خضوع لرتبة البيعة . لاننا ننسب التقديس الى ثلاثة اي الله والخواطر العقلية والطبائع غير الناطقة

اولًا ننسبها لله تعالى كقول اشعيا « يتقدَّس الاله القدوس بالعدل » (١ . وقال بطرس الرسول « قدّسوا الرب في قلوبكم » (٢ . والرب نفسه علَّمنا ان نطلب ان يتقدَّس اسمهُ . والمقصود بتقديس الله وتمجيده هو ان يرى الناس اعمالنا وسلوكنا في شريعتهِ فيمدحوه ويمجدوا اسمهُ

ثانيًا يُنسب التقديس الى الخواطر العقلية كالبشر والملائكة كما قال الرب « لاجلهم أُقدّس ذاتي ليكونوا هم ايضًا مقدّسين بالحق » (٣ . والرسول قال « امتنعوا من كل شبه شرّ وليقدّسكم اله السلام نفسه تقديسًا كاملًا ولتُحفظ ارواحكم

---

١) اشعيا ٥ : ١٦ ٢) ١ بطرس ٣ : ١٥

٣) يوحنا ١٧ : ١٩

ونفوسكم واجسادكم سالمةً بغير لوم عند مجيء ربنا » (١ . واراد بذلك الطهارة من الخطايا والسعي في نعمة الله كالابناء الاحباء

ثالثًا يُنسب التقديس الى الطبائع الغير الناطقة التي ميَّزها الله واختارها ليتمجد بها . وفي هذا المعنى مكتوب انهُ قدَّس السبت وايام الاعياد وقبة الزمان وهيكل سليمان والمذابح والموائد واواني الخدمة وثياب الكهنوت وما شاكل ذلك مما يخص عبادته وكرامته . ويثبت الرسول ان كل شيء يُبارك ويدعى عليهِ اسم الله يتطهر من كل نجاسة ويصير مقدسًا لبني الايمان فقال « الزواج والاطعمة وكل خليقة الله حسنة ولا شيء مرذول مما يُتناوَل بشكر لانهُ يُقدَّس بكلمة الله وبالصلاة » (٢

ومن اجل ذلك الآباء الاطهار المملوءون كل قداسة وحكمة دوَّنوا في البيعة رتبًا وصلواتٍ وتكريساتٍ على ما تسلّموا من تلاميذ الرب ابواق الروح لتقديس الامور التي تخص خدمة القداس اذا تجدَّدت او انهدمت او تدنَّست . وذلك اولاً حتى ان ما كان لخدمة الدنيا وامور الجسد يُصطفى لخدمة الله ويخصص بها كما تكلمنا في الفصل الاول من الشرح الاول من هذه المنارة عن غاية بنيان الكنائس . وقال القديس باسيليوس كما انهُ لا يجب ان ندخل بالامور الجسدية الى بيت القدس كذلك لا يصح ان نقدّس جسد الرب في بيوت العامَّة . لان الرب اوجب ان لا يُقدَّم قربان الَّا في المحل الذي يصطفيه لخدمتهِ . وتقول البيعة في تقديس اواني المذبح « روحك القدوس يحل علينا وعلى هذه الاواني لكي تكون لخدمة اسرارك المحيية »

ثانيًا نقدّس الكنائس وغيرها لاجل ان تتطهر من كل دنس . فكثيرًا ما كان الآباء يختارون لخدمة الله مواضع كانت من قبل بيوتًا للاصنام ومظهرًا لارواح الابالس فيتقدَّمون بتقديسها لتتطهر من الادناس وتبتعد عنها كل قوّة شيطانية . فقد ذكر انهُ لما قُدّست كنيسة مار بطرس في قولونيا سنة ٨٧١ مع

١) ١ تسالونيكي ٥ : ٢٣ ٢) ١ تيموتاوس ٤ : ٤

المشياطين بسبب نفيهم من ذلك الموضع صيحة وولولة هائلة

وكذلك اذا تدنّست الكنائس تأمر البيعة ان تُبارَك بغير دهن الميرون اذ نطلب من الرب ان يطهرها بزوفاه النقي من كل دنس يشوّه الناموس ويعيد اليها مسرَّته وخلاصه ولا ينزع منها روحهُ القدوس بل يحل ويسكن فيها ويملأها مع اولادها سلاماً ويزيل عنها الظلام المحزن الذي ادخله اليها ذوو التعدي

ثالثاً تُقدَّس الكنائس لتصير مكرَّمة مبجلة عند الله والناس ولكي يقدّموا لها النذور والزكاة والاوقاف ويزوروها ويقيموا فيها الاحتفالات . ولهذا نتوسل في تقديس الهيكل قائلين « قدّس يا رب هذا الهيكل هيكل القديس فلان ليحلّ بهِ لاهوتك العالي فيخرج من السذاجة الى القداسة » وبموجب ذلك قال يعقوب ابو الآباء « ما اهول هذا الموضع ما هذا الّا بيت الله . هذا باب السماء » (١

رابعاً تُقدَّس هذه الاواني والمواضع لنفهم ان الله تعالى هو حالّ بها وفيها يظهر ذاته للذين يطلبونهُ كما هو مكتوب « اني احل بينهم فاكون لهم الاهاً ويكونون لي شعباً » (٢ . وكذلك قال سليمان « قد قدَّست هذا البيت الذي بنيت لاجل اسمي فيهِ الى الابد وستكون عيناي وقلبي عليهِ كل الايام » . وجاء في رتبة تقديس البيعة

ܟܠ ܐܢܫ ܕܨܒܐ ܢܡܠܠ ܥܡ ܡܪܝܐ ܢܐܬܐ ܠܥܕܬܐ
ܘܒܗ ܗܘ ܡܫܟܚ ܠܗ (٣

وجاء ايضاً في تقديس الاواني « انت يا رب في بيتك المقدَّس أذعت ورتَّبت خدمة اسرارك الالهية والسموية . وعيَّنت مواقيت الصلوات للبيعة المقدَّسة . ونصبت فيها مذبح الغفران ومن فوقه القربان المحيي الذي اعددته في البيعة المقدسة الكاثوليكية الرسولية التي هي هيكل مجدك العلي والرفيع مُستقرًّا اسكنائك ومنزلًا لتسبيحك ومظهرًا حقيقيًا لمراحمك »

١) تكوين ٢٨ : ١٧ ٢) حزقيال ٣٦ : ٢٨ وارميا ٧ : ٢٣

٣) معناه : من شاء ان يخاطب الرب فليأت البيعة وفيها يجده

خامساً تُقدَّس هذه المواضع لكي نفهم بتقديسها كيف المخلص قدَّس البيعة بدمهِ . وتمسح بدهن الميرون ظاهراً دلالةً على انسكاب النعمة عليها وعلى اولادها باطناً . فانهُ بقوَّة الروح تضمحلُّ قوَّة العدوّ وجميع خيالاته . ويعطي الغفران والمسامحة لاولاد الايمان ويُفيض عليهم النعمة والخير في النفس والجسد

ثم ان البيعة المقدّسة تصف في تقديس الاواني جميع الاسباب التي تقدَّم ذكرها اذ تقول « نسألك يا رب ان تُرسل روحك القدوس لكي ينقّي ويقدّس بحلولهِ الطاهر هذه الاواني التي تقدَّمت لوقار خدمتك السرية . وهو يغسلها ويطهرها من كل دنس ورجس ونجاسة لكي تصير مسكناً للاهوتك وهياكل مفعمة من القداسة لعظمتك ولخدمة مذبحك وزينة هيكلك وتُحل عليها نعمتك فتتقدس باستقرارك وتتنقّى بحلول روحك وتطهر بزوفى تحننك . وعليها تتقدَّس اسرارك المحيية وبها تنال المغفرة خرافك الناطقة وتُصان بيعتك المؤمنة ويتقدَّس كهنتها ومدبروها »

فلاجل هذه الاسباب وامثالها آثر الرب ان يُدوَّن في الكتب المقدَّسة تقديس الكنائس وتجديدها اللذان صارا على يد موسى وسليمان وعزرا والمكابيين رمزاً الى النعمة التي تُعطى في العهد الجديد . وأمر الآباء القدّيسون ان نصنع كل سنة تقديس البيعة وتجديدها في الاحد الاول من تشرين الثاني بكل كرامة لانهُ في التاسع من هذا الشهر وهب قسطنطين الملك المظفر دار السعادة التي كانت قصراً لملوك الرومان الى سلبسترس البارّ وقدَّسها لله وهناك جعل كرسيه . والكنيسة تعيّد هذا اليوم كل سنة لانهُ بهِ انفتحت الكنائس وانتشرت النصرانية . وكذلك تُعيّد تجديد هيكل القيامة في اورشليم وهيكل مار جرجس في اللدّ . وهيكل مار مخائيل في مصر وغيرها . وفي سنكسار القدّيسين نعيّد لكثيرين منهم عيدين في السنة احدهما لتذكار وفاته والثاني لتذكار نقل جسده او تجديد هيكله . وكذلك عندما تتجدَّد كنيسة يجب ان تُكرَّس في عيد القديس الذي بنيت على اسمهِ لكي يحتفل كل عام بتذكار تجديدها في العيد المذكور . الَّا ان ذلك ليس الزامياً ولكنهُ على مقدار الايمان

الفصل السابع

في الدنس المانع من خدمة الاسرار في المواضع المقدسة

ان البيعة المقدَّسة كما تنهى الكهنة عن خدمة الاسرار في الكنائس والمذابح والاواني غير المقدّسة كذلك تنهاهم وتمنعهم عن الخدمة بها اذا اصابها دنس تُهان بهِ وتصير بسببه ممقوتة وغير أهلةٍ لتقديس جسد الرب المستحق كل كرامة. ومن خالف واجترأ وقدَّس بها من غير ضرورة ماسَّة يأثم بتعدّيه سنن البيعة

الامر الاول الذي ينجّس المواضع المقدَّسة هو سفك الدم كما لو وثب شخص على آخر فقتله في بيت الله او خنقهُ او اهرق دمه بضربة ولو لم يمت. وحينئذٍ يتدنَّس المكان المقدَّس بسبب الاحتقار الذي نالهُ لكن اذا خرج الدم من مجرد حادث طبيعي او من لكمة او فصادة فلا يدنّسهُ. وكذلك اذا كان فعل القتل قد حصل من مجنون او من طعنة ولد صغير او من وقوع حجر او بنوع آخر بطريق الاتفاق من غير تعمّد فانهُ لا يدنّس البيعة لان الاحتقار الذي نالها يسير. وهكذا اذا حدث القتل في خارج الكنيسة او على سطحها او في الدار فان الكنيسة لا تتدنس ولو خرجت الضربة منها . وهكذا اذا قتل الانسان من كان يطلب دمه قسرًا ولم يكن بوسعه الهرب او واسطة أُخرى ينجو بها فان الكنيسة لا تتنجس . وكذلك اذا ضرب الباغي شخصًا ولم يصبهُ بل جرحهُ وخرج منهُ بعض نقط دم لا تتدنس الكنيسة . اما اذا كان الظالم خارج الكنيسة وضرب انسانًا داخلها وجرحهُ جرحًا بالغًا فتتنجَّس الكنيسة ولو لم ينزل الدم فيها بل تلقّاه المضروب بثيابه او بغيرها

الامر الثاني هو ماء الرجل اي المنيّ فاذا خرج بقصد في الكنيسة تطمُث ولو لم يسقط في ارضها. لكن اذا كان يسيرًا كأَن يكون نقطة او نقطتين او اذا حدث خارج الكنيسة او في البيعة من غير قصد على حين يكون الشخص نائمًا فلا تتنجس الكنيسة. اما مجامعة الزوجين في الكنيسة ونومهما في فراش واحد فانهُ ينجّسها لان

الله قال « ومقدسي فتهيّبوه » . الّا ان بعض العلماء قالوا اذا نام الزوجان في فراش واحد معاً في الكنيسة لاجل الغربة او لاجل حفظهـا من اللصوص او لاجل امر آخر ضروري فانها لا تتنجس

الامر الثالث يتعلق بالخارجين عن الامانة المستقيمة كالكفّار واليهود وغيرهم من الهراطقة فهولاءِ اذا ضحّوا او عيّدوا او قدَّسوا او سكنوا فيها ينجسونها . وخاصة اذا بصقوا او حرقوا او اتلفوا شيئاً من امتعتها او دفنوا فيها طفـلاً بغير عماد . وزاد بعض العلماء انهُ اذا ولد فيها او مات حيوان من البهائم النجسة في العتيقة تتدنس . وتوجد صلوات مخصوصة لهذا الامر في كنائس الشرق . لكن اذا كان من الحيوانات الطاهرة فلا تتدنس لان الله أمر بذبحها وتقريبها لهُ في المقدس

الامر الرابع أن يُدفن فيها من كان محروماً لان المحروم هو عضو مقطوع ومفروز من شركة جسد الرب ولذلك لا يجب ان يشترك مع المؤمنين في المواضع المقدَّسة . وذكر صفرونيوس في بستان الرهبان عن رجل كاهن انهُ خالف امر اسقفهِ فحرمهُ ومنعهُ عن خدمة المذبح . وبعد برهة من الزمان جرى اضطهاد على المؤمنين فاضطر ذلك الكاهن المحروم ان يرحل الى بلاد أُخرى فوقع بيد عبدة الاوثان فعذَّبوه عذاباً شديداً وقتلوه

وكان في تلك البـلاد رجل صالح متقٍ لما ان عاين صبره واحتماله في حب المسيح اخذ جسده ودفنهُ في مكان مخفي . وبعـد زمان لما انتشرت ديانة المسيح ابتنى على اسمهِ كنيسة واتخـذ جرناً من الرخام ووضعهُ في المذبح . ثم استدعى احد رؤساء الكهنة ليكرّس الكنيسة . ولما أن قال الاسقف « السلام معكم » حدث امر غريب وهو ان الجرن بدون ان يدنو منهُ احد أخذ يجري حتى خرج الى خارج الكنيسة فتعجب الاسقف وصرخ جميع الحاضرين « يا رب ارحم » ثم ردّوه الى مكانهِ . ولما شرع الشماس في الكرازة عاد الجرن ايضاً يمشي حتى خرج الى ظاهر البيعـة . فخرّ رئيس المدينة على وجههِ قائلاً « ويلي لا يكن هذا لاجل خطاياي يا قديس الله » .

حينئذٍ تركوا الجرن في خارج الكنيسة وانصرفوا الى منازلهم · ولما كان الليل ظهر الشهيد لرئيس الكهنة واخبره بحالهِ وسألهُ ان يوجّه لاسقف احدى المدن التي عيّنها يسألهُ ان يحلّهُ من الحرم الذي ربطهُ بهِ لانهُ لا يقدر ان يثبت على المذبح اذا لم يحلّهُ. حينئذٍ ارسل رئيس الكهنة لذلك الاسقف واخبره بما جرى· فارسل لهُ مكتوب الحلّ وهذه صورتهُ

« يقول لك يسوع المسيح على لساني انا الخاطئ الاسقف فلاناً انك تكون محلولاً بريئاً من الحرم » · ولما قرأوا الرسالة على ذلك الجرن وادخلوه الى المذبح وخدموا القداس لم يبرح من موضعهِ · فمجدوا الله على هذا السلطان الذي وهبهُ لبيعتهِ

الامر الخامس هو خراب الموضع لان الكنيسة اذا خربت او هبط المذبح او انكسر الطبليت او جرن العماد او الآنية المقدسة يبطل حينئذٍ تقديس الامور المذكورة بتلاشيها

واعلم ان الشيء الذي يخرب او ينكسر هو وحده يبطل تقديسه وكذلك ما يصيبهُ الدنس هو وحده يتنجَّس · لكن اذا تدنست الكنيسة يتدنس المذبح المنصوب فيها وجرن العماد والقبور التي في داخلها لانها متصلة بها الّا ان المقبرة التي في خارجها والطبليت والاواني لا تتدنس لانها منفصلة عنها · وان اصاب الكاس او غيرها دنس من سفك دم او سبب آخر وكانت في خارج الكنيسة فانها تتدنس وحدها· وان كان داخل الكنيسة فيتدنس هو والكنيسة وكل ما فيها لان الدنس صار في داخلها

وينبغي ان تعلم ان الشيء لكي يُدنّس يجب انهُ يكون خطيئة كاملة · وعليهِ فان سفك الدم وانزال المني والقتل الذي يحدث بغير رضى الانسان وتعمّده لا ينجسها · وكذلك ايضاً اذا كان الشي بقصدٍ ورضًى لكنهُ يسير وجزئي لا ينجسها كسفك دم قليل وانزال نقطة او نقطتين من المنى ودخول يهودي للكنيسة لاجل

رؤيتها واجتيـاز الطِرْح على التربة وعبور الحروم وانهدام بعض حجار من الجدران وتكسُّر قرنة من المذبح او الطبليت وشِقّ يسير في الكاس · فهذه وما شاكلها لا تبطل التقديس لان التقديس لا يبطـل الّا باهانة الموضع وما يقع بغير تعمّد لا يُحسب تحقيرًا وما كان يسيرًا قليلًا فلا يعتدّ بالتحقير الناشئ عنهُ

وكذلك يجب انك تعلم ان التحقير الذي يبطل التقديس ينبغي ان يكون ظاهرًا علنيًّا امام الجمهور لان الرب امرنا ان نحكم على الاشياء الظاهرة المشهورة · واما التي تحدث سرًّا فالاليق ان يجري الحكم عليها سرًّا لئلا يتشكك الشعب

ثم اعلم ان الاشياء التي تقدَّم الذكر انها تتدنَّس في المواضع الاربعة ليس من الضروري ان تكون مدهونة بزيت الميرون لتصير محلًّا لائقًا بخدمة الاسرار المقدَّسة بل تكفيها الصلاة مع رسم الصلبان والماء المبارك كما يفعل الكهنة اذا قدَّسوا في البيوت غير المكرّسة فانهم يرشّون ماءً مباركًا ويقدمون ثم يضعون الطبليت ويقدّسون عليهِ · اما اذا خرب المكان او انكسر الطبليت كما ذكرنا في الموضع الخامس وتجدّد فيجب دهنه بالميرون واذا كان الشيء يسيرًا كطلي الكاس من غير كسر وتبييض الكنيسة وترميم ثغرة او قنطرة فيها فلا يكون ضروريًا دهن الميرون

الفصل الثامن

في توقير المواضع والاواني المقدسة

تكلّم داود النبي عن الوقار الواجب لبيت الله قائلًا « ارفعوا الرب الهنا واسجدوا لموطئ قدميهِ فانهُ قدوس » (١ · وما موطئ قدميـهِ الّا قبَّة الزمان التي قدَّسها الرب وجعلها مسكنًا ليظهر بهـا مجده · وعن هذا الموضع نفسه قال ايضًا « ببيتك تليق القداسة يا رب طول الايام » (٢ · ومن اجل هذا يُسمى مقدسًا وقدس

١) مزمور ٩٨ : ٥ ٢) مزمور ٩٢ : ٥

اقداس لكي يكرّمه جميع شعب الارض ويسجدوا له حسبما امرهم قائلًا « وسبوتي فاحفظوها ومقدسي فتهيبوه انا الرب الهكم »(١ لانهُ انتخبهُ لخدمتهِ وفيهِ أحلَّ مجدهُ . فاذا كان الظل يستحق الاكرام والوقار فكم بالحري الكنيسة والمذابح مع الاواني المقدسة التي يحلّ فيها حقًّا بلاهوتهِ وناسوتهِ

ومن ثم قال القديس ايرونيموس « اذا كان اليهود كرَّموا قدس الاقداس لانهُ كان مشتملًا على الكروبين وموضع الغفران وتابوت العهد. فلنكرّم اذن نحن بافضل وقار كنائسنا التي يحضر فيها الرب يسوع » . وقال القديس اثناسيوس في القانون التاسع « ان المذابح بعد ان ارتفع عليها جسد المسيح لم تعد حجارة ولا خشبًا ولا فضةً ولا ذهبًا ولكنها حيّة ذات ارواح لان الله الحيَّ قائم فوقها . وكما ان الخبز والخمر بعد أن يرتفعا على المذبح لا يقال لهما خبز وخمر بل جسد حي ودم حي كذلك الهياكل والاواني ليست هي مائتة كطبعها ولكنها حية ولهذا يجب احترامها وتوقيرها وتهيّب الروح الحالّ فيها »

ويقول ايضًا في القانون الحادي والسبعين « تهيّبوا المذبح واكرموه ولا تدنوا منهُ الّا بالطهارة والانتباه لان المذبح روح هو وذو نفس فلا يقترب اليهِ نجس »

وقال القديس ابيفانيوس على لسان الآباء الذين التأموا في المجمع السابع « ان ما يُقدَّم لله ويُقدَّس سواء كان صليبًا او انجيلًا او صورةً او اناءً موقَّرًا نقبّله ونكرّمه مترجين موهبة التقديس التي تعطى منهُ » . وفي هذا المجمع بعينهِ شهادات كثيرة من اقوال الآباء وتفاسيرهم تدل على وجوب تكريم كل ما يقدَّم لله وتقبيله والسجود لهُ . ويقول القديس غريغوريوس النيساوي في ميمر العماد « ان المذبح المقدَّس لا ريب فيهِ ولا يحلّ لاحد من العوامّ مسُّهُ لان ذلك لا يسوغ الّا للكهنة فقط » ويأمر القديس غريغوريوس النزينزي قائلًا « اسجد لمذود المخلص لان الذي يُقدّم لله يتقدَّس بملامسته اياه وبالاشتراك معهُ » . ويقول يوحنا فم الذهب في الميمر الثلاثين

١) الاحبار ١٩ : ٣

على شرح رسالة بولس لاهل كورنتس « ألم تنظروا كيف ان البعض يقبلون اعتاب الهيكل وهم ساجدون وآخرين يلمسونها بايديهم ثم يعودون بها الى افواههم »

وحدّد الآباء الذين التأموا في المجمع الآخر بمدينة ترنت ان الاكرام والسجود يحق لعظام القديسين . وعلى المؤمنين ان يوقّروهم ويكرّموا رفاتهم ليستجرّوا منها المنفعة لنفوسهم » . وتوجد ايضاً شهادات أُخرى عديدة على هذا الامر في الصلوات الكنائسية اعرضنا عن ذكرها حب الاختصار

ولنرجع الآن الى قول الله وننظر كيف انتقم بغضبهِ من الذين ازدروا باماكن قدسهِ . مذكور في سفر الملوك انهُ لما نقل داود قبّة الزمان من بيت عميناداب وكانت مالت قليلاً لتسقط مدّ عوزا المتوكل بها يده ليسندها فادركهُ للوقت الغضب الالهي واهلكهُ لانهُ صنع ذلك بعدم احترام ووقار . وذُكر ايضاً عن الفلسطينيين ان الله انزل بهم ضربات مختلفة لكونهم اخذوا المقدس سبياً . وهكذا أمات ناداب وابيود ولدي هارون في الحال لكونهما ادخلا ناراً غريبة الى بيت الله . وكذلك ضرب اخزيا بالبرص ونزعه من الملك لكونهِ احتقر الكهنة واراد ان يبخر المقدس . وكذلك قورح مع مائتين وخمسين نفساً لما راموا ان يبخروا بنار غريبة خرجت نار من المقدس فابادتهم

ويخبرنا الانجيل الطاهر عن فرط حنو السيد المسيح وجزيل حلمه حتى انهُ كان يُسَبّ ولا يَسُبّ ولا يماري ولا يسمع احد صوته ولا يكسر قصبة مرضوضة ولا يطفئ سراجاً مطفطفاً ولما كانوا يعذبونهُ ويصلبونهُ طلب من اجلهم وهو ساكت . لكنهُ لما رأى الشعب يحتقر بيت الله قلب موائدهم وكسّر امتعتهم وبمقارع الغضب اخرجهم منهُ

ولما سمع الرسول ان اهل كورنتس توانوا في كرامة بيت الله وصاروا يأكلون ويشربون في البيعة وبّخهم على ذلك العمل المذموم مبيناً انهم استوجبوا نقمة الله . ولما تجرّأ أحآب ملك اسرائيل وزوجته ايزابل وقتلا كهنة الرب وهدما المذابح اهلكهما

الله وسلّم تدبير شعبه الى غيرهما . وهكذا لما احتقر بختنصر وابنه بلطشسر من ملوك الكلدان بيت الله وسلبا منهُ آنية القدس وشربا فيها الخمر مع السراري والمغنيات للحين ابادهما بغضبهِ ونقل ملكهما الى يد الماديين والفرس . وهكذا ايضاً انطيوخوس ملك سورية لانهُ دنّس هيكل الرب وادخل اليهِ الامم الغريبة ليسلبوه ويفعلوا فيهِ ما لا يجوز ضربهُ الله بوجع الامعاء ورماه من الهودج حتى تكسّر وسلّط عليهِ الدود وكان من شدّة نتن رائحته أن هرب منهُ جميع اصدقائه ومحبيه وهلك شرَّ هلاكٍ

وذكر يوحنا فم الذهب ان الله انتقم ايضاً بوجع الامعاء وتسليط الدود من الذين نهبوا في ايام يوليانوس العاصي آنية الكنائس وصنعوا منها كرسيًّا . فمما مرّ يتبيَّن ان الله يريد ان الكنائس والمذابح والاواني التي تقدَّست وتخصصت لخدمته تكون مكرَّمة عند جميع الناس

ولهذا أمر الآباء في المجمع السادس ان لا تُفرش الاسرَّة في الكنائس لاجل السكنى والرقاد وان لا يُدخل اليها احد بهائم وحيواناتٍ . ومن التجأ الى بيت الله لا يستطيع احد ان يمسكهُ او يخرجهُ قهرًا ولو لم يصل الّا الى العتبة او الدهليز حسبما أمر الرب في سفر الخروج

وورد الامر في مجمع لاذقية ان لا يدخل احد داخل الدربزين سوى المرسومين ولا يدور احد حول المذبح غير الشمامسة الكبار . ولا يلمس الاواني المقدَّسة الّا خدام الكنيسة والشمامسة الكبار . ولا يغسل ممسحة الكاس والصمدة احد الاَّ بعد ان يكون قد غسلها الخادم او الشماس الكبير مرَّتين

ثم أمر الآباء ان ثياب الكهنوت لا يجوز استعمالها في الاعراس ولا وضعها على اجساد الموتى . وقالوا ايضاً ان درابزونات الكنيسة والقرَّآت اذا عتقت ينبغي ان تحرق بالنار ولا يجوز ان تستعمل في امور العالم الاَّ اذا كان ذلك في دير رهباني بامور لائقة . وكذلك ملابس العوام لا يجوز ان تتخذ لخدمة الله ما لم تُصلح وتُبارك لتكون خدمة ربنا مكرَّمة وناجيةً من كل عيب ودنس

ومما شرحنا في هذه المنارة الثانيـــة يتبين ان بنيان الكنائس صار لاجتماع بني الايمان لسماع الشريعة الانجيلية ولتوزيع اسرار البيعة وخاصةً لاجل تقديس جسـد الرب لان بيت القدس ما ترتب الّا ليقدَّم فيهِ جسد المخلص الذي هو العهد الجديد ويُذبح على ايدي الكهنة الذين اوصاهم ان يصنعوا ذلك لذكرهِ الى حين مجيئــهِ الثاني . ومن اجل ذلك ننصب فيهِ المذبح للتضحيـــة وارتفاع المذابح ونضع فوقه الكؤوس والصواني لاجل الاحتفاظ بجسده ودمه الكريمين ونرفع عليهِ الصليب لذكر موت الرب على الصليب ونوقد الشمع والبخور توقيرًا لفضلهِ واحسانهِ . ونبني الكراسي حول المذبح لشرف الكهنة والرؤساء الذين أُعطوا السلطان لتقديمهِ . ونصوّر الله الصباوت في صدر الحنيّة وحولهُ الملائكة لان ابواب السماء في وقت التضحيـة تنفتح ليحل روح القدس على التقدمة ويأتي الملائكة لتقديسها والقديسون لتكريمها . ويقف الشمامسة بالمراوح والمباخر والترتيل كل واحد برتبتهِ لاجل خدمة جسد الرب ووقاره وينبّهون الشعب ليعلموا من هو الذي يُقدَّم على المذبح وكيف ينبغي لهُ السجود . ونُصلح الدربزين لئــلا يدخل احد الى داخل غير الذين أُعطوا من السماء الاستعلان وننصب ايضًا خزانة في الكنائس الكبار شرقي بيت القدس ونقيم فيها مذبحًا صغيرًا لحفظ الذخيرة والميرون . وفيها تُقضى حاجات الشعب مثـــل عماد الاطفال والرسامات وتقريب الشعب . واما الدار فلاجل اجتماع بني الايمان للصلاة واستماع التعليم

نسأَل جوده تعالى ان يؤهلنا لتقديسهِ ويجعل قلوبنا مذابح وعقولنا خزانة وقوانا وحواسنا خدَمة لجسده الطاهر لنتحد بهِ في هذه الحياة الزائلة وفي التي لا زوال لها الى ابد الابدين امين

المنارة الثالثة

في الكاهن خادم سر القدّاس الطاهر

ان الرسول اوصى تلميذه تيموتاوس قائلًا تعلم « كيف يجب عليك ان تتصرَّف في بيت الله » (١

ان جسد الانسان كما ان لهُ راسًا واحدًا واعضاءً كثيرةً وكل واحد من الاعضاء لهُ قوًى وحركات مختلفة كذلك بولس المطوَّب يخاطب اهل رومية عن بيعة المسيح قائلًا « كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح . وكل واحد منا عضو للآخرين . فلذلك لنا مواهب مختلفة باختلاف النعمة المعطاة لنا . فمن وهب النبوَّة فليتنبأ بحسب مناسبة الايمان . ومن وهب الخدمة فليلازم الخدمة والمعلم التعليم والواعظ الوعظ والمتصدّق صفاء النيَّة والمدبر العناية والراحم البشاشة (٢

يريد بذلك ان الله كما انهُ خلق في الجسد الواحد اعضاء كثيرة وخصَّ كل واحد من الاعضاء بما يناسبه من القوة والحركات . هكذا شاء في جسد البيعة ان نكون كثيرين وافاض علينا مواهب الروح على حسب اختلاف النعمة التي اعطانا اياها . وكما ان جسده هو رأس الخليقة باسرها ولهُ تجثو كل ركبة كذلك لم يسلّم خدمته وتقديسه وتوزيعه الَّا الى ايدي الرسل الذين اعطاهم سلطان الحل والربط وجعلهم خزَنة اسراره ومؤتمنين على نعمتهِ ومدبرين لبيعتهِ ولهم اعطى السلطان على تقديس جسده قائلًا لهم « اصنعوا هذا لذكري الى حين مجيٍّ »

---

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٥ ٢) رومية ١٢ : ٥

ولان ساداتنا الرسل رقدوا بالرب ولم يُعمّروا الى حين مجيئــهِ فوَّض تلك الكرامة الجزيلة الشرف والفضل للكهنــة خلفائهم قائلًا لذوي الخَلَف منهم « انتم نور العالم لا يمكن ان تخفى مدينة مبنيــة على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة لينير على كل من في البيت . هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات (١

واذا كان يوحنا الثاولوغوس مدح اخنوخ الذي خدم الكهنوت في عهد الطبيعة وايليا الذي ضحى لله في عهــد الناموس كما ذُكر في كتاب الرؤيا انهما كانا كالزيتونتين والمنارتين وأُعطيا سلطانًا ان يفعلا كلما شاءا فكم بالحري كهنة عهد النعمة الذين لا يقدّمون لهُ ثيرانًا وكباشًا بل جسده الكريم الذي هو ينبوع النعمة وكنز الانوار

ومن اجل ذلك نقول ان الكاهن كل مرّة يقدّم على يديه جسد الرب ويقدّسه او يرفعه فوق رأسهِ او يزيّحه في البيعــة او يكسره بانامله او يوزّعه على الخراف المسيحية فانهُ يضاهي المنارة المضيئة الساطعة بالاشعة المنبثقــة من جسد الرب الذي هو شمس البرارة ومخزن جميع الانوار والموانح التي تعطى لجنس البشر . وضدّ هذه المنارة ذات الاشعة اللامعة اخرج الجحيم عواصف نافخــة بزمهرير الفساد ورياح الطغيان وزوابع وغيومًا قاتمة ليطفئ انوارها المتلالئة

فقد ورد في التواريخ المقدّسة ان الملوك الكفرة منهم من نادى بقتل الكهنة ومنهم من انكر السلطة التي اعطاهم اياها الرب لتقديس جسد ابنــهِ . ومنهم من زعموا ان كل واحد بغير كهنوت يقدر ان يقدّس جسد الرب . وقال آخرون ان الله اعطى هذا السلطان للكهنة الصالحين فقط لا للخطــأة . وزعم غيرهم مزاعم أُخرى باطلة محتقرين درجة الكهنوت وثيــاب القدس ولكن هذه المنارة بالرغم عنهم لن تنطفئ الى انقضاء الدهر وكيف يكون بخلاف ذلك قد وعدها الرب بان ابواب

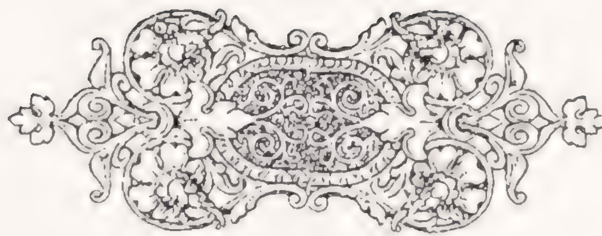
١) متى ٥ : ١٤

الجحيم لن تقوى عليها وامر بطرس وخلفاءهُ ان يفعلوا هكذا الى حين مجيئهِ وسأل من اجلهم ان لا ينقص ايمانهم

وكان قد قال بلسان داود « اقسم الرب وان يندم ان انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (١

ونقسم هذه المنـــارة الى ثلاثة شروح . الاول في خدَّام المذبح ومراتبهم . والثاني في وظيفة الكهنوت وتقديس الاسرار . والثالث في ملابس كل منهم

١) مزمور ١٠٩ : ٤



الشرح الاول

في خدَّام المذبح ويشتمل على ثمانية فصول

الفصل الاول	في الكهنوت اجمالاً
الفصل الثاني	في مراتب الكهنوت وعددها
الفصل الثالث	في درجة الشمَّاسية وقدمها وعدد اشكالها
الفصل الرابع	في خدمة الشمامسة الكبار
الفصل الخامس	في الكهنوت واصنافه
الفصل السادس	في الحبرية واصحاب الكراسي العالية
الفصل السابع	في ان صاحب كرسي رومية لهُ السلطان على كل البيعة
الفصل الثامن	في كرسي انطاكية الذي رئاسته بيد طائفة الموارنة

الفصل الاول

في الكهنوت اجمالًا

الكهنوت هو درجة مختصة مصطفاة لخدمة الله · ولفظة كهنوت مشتقة من السريانيـة اما من ܟܘܗܢܘܬܐ ومعناها التقديس وخدمة القدس وتكهين المذابح كما هو مكتوب « اما انتم فتدعون كهنة الرب ويُقال لكم خدَمة الهنا » (١ . واما من ܟܘܗܝܢܘܬܐ ومعنـاها الخصب والعمران وفى المعنيين صحّ قول الرب القائل « من تُرى ذلك العبد الامين الحكيم الذي اقامهُ سيّده على اهل بيتهِ ليعطيهم الطعام في حينهِ » (٢ لان الكاهن هو عبـد امين وخادم للرب الذي اقامهُ على

١) اشعيا ٦١:٦   ٢) متى ٢٤:٤٥

تدبير آل بيتهِ وجعلهُ وسيطًا بينه وبين شعبه . فيكون خادمًا وقيمًا يُقدّم لهُ الطلبات والقرابين عن شعبهِ . ويكون مخصصًا حين يؤتيهم الإنعام من لدنهُ ويوزّع عليهم اسرار بيعتهِ في حينها خصوصًا جسد الرب الذي هو طعام الروح وحينئذٍ يستحق المكافأة في دار البقاء كما كُتب « طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده فيجدهُ يصنع هكذا . الحق اقول لكم انهُ يقيمهُ على جميع اموالهِ (١

والكهنوت ينقسم الى ثلاثة اجناس روحاني وجسداني ومتوسّط . فالروحاني يخصّ الملائكة الذين هم مجرّدون عن الاجساد وقد حفظوا مراتبهم ولم يزالوا نهارًا وليلًا يقدّمون لله قرابين الشكر قائلين قدوس قدوس قدوس . وكذلك ارواح الاطهار الذين بيّضوا حللهم بدم الحمل ولا ينقطعون عن ذبائح الشكر كما قال يوحنا الحبيب « سعيد ومقدّس من لهُ نصيب في القيامة الاولى . ان هؤلاء لا يكون عليهم للموت الثاني سلطان بل يكونون كهنةً لله وللمسيح » (٢

وعلى مثال ذلك كل من كان مستقيم السيرة والايمان وقدّم لله الطلب المرضي يدعى كاهنًا ولو كان مقيّدًا بالجسد كما يقول يوحنا الحبيب في بدء كتابهِ « جعلنا ملكوتًا وكهنةً لله ابيهِ » (٣

وكتب بطرس الرسول الى المؤمنين قائلًا « كونوا انتم ايضًا مبنيين كالحجارة الحيّة بيتًا روحيًا وكهنوتًا مقدّسًا لاصعاد ذبائح روحية مقبولة لدى الله بيسوع المسيح » (٤

والكهنوت الجسداني هو الذي يخص الآباء القدماء فان هؤلاء ولو انهم لم يكونوا عادمين الروح وكانوا يقدّمون لله قرابين مرضية لكنهم يدعون جسدانيين

اولًا لان قرابينهم كانت ثيرانًا وكباشًا عاجزة عن المغفرة

ثانيًا لان كهنوت الناموس كان مخصصًا بسبط لاوي . ولم يكن مأذونًا لهم ان

١) متى ٢٤ : ٤٦ ‏ ٢) رؤيا ٢٠ : ٦

٣) رؤيا ١ : ٦ ‏ ٤) ١ بطرس ٢ : ٥

يقدّموا ذبيحة الّا في هيكل سليمان وكان اذا بطل احد هولاء بطل الكهنوت ايضاً. وفي عهد الطبيعة كان يعطى الكهنوت خاصة للابكار ورؤساء الجماعة

ثالثاً لان كهنوت القدماء وذبائحهم كانت رمزًا الى كهنوت المخلص وتقدمة جسده وفيهِ بطلت باسرها كما سبق الرب وقال للمرأة السامرية « انها تأتي ساعة تسجدون فيها للآب لا في هذا الجبل ولا في اورشليم . . . لكن تأتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لان الآب انما يريد مثل هولاءِ الساجدين لهُ » (١. اعني انه بتقدمة جسد الرب تنتهي ذبائح السَمَرة بالجبل وضحايا اليهود في اورشليم كما جرى ذلك فعلًا

والكهنوت المتوسط هو الذي سلّمه الرب الى بيعتهِ المقدّسة لتكهّن لجسده الكلي قدسه تحت اشباه الخبز والخمر لان الذي يُقدَّم على المذبح هو روحاني على مثال قرابين الملائكة في السماء بل افضل منها لانه يحوي الاقنوم الالهي وهو جسداني ايضاً بالمادة والاشباه مثل قرابين الشعب وافضل منها في النظافة والطهارة. وهذا السلطان منحه المخلص لرسلهِ وهم سلّموه الى رؤساء البيعة كقول الآباء في صلاة العنصرة بصوت ܟܠܟܡܘܬܐ

ܒܢܘ ܥܕ̈ܬܐ ܘܩܒܥܘ ܒܗܝܢ ܡܥܡܘܕܝܬܐ ܘܡܕܒ̈ܚܐ
ܘܨܠܝܒܐ . ܘܐܩܝܡܘ ܒܗܝܢ ܟܗ̈ܢܐ ܘܪ̈ܥܘܬܐ ܘܡ̈ܕܒܪܢܐ ܠܚܘܪ̈ܦܗ
ܕܡܫܝܚܐ . ܘܐܫܠܡܘ ܗܘܘ ܒܐܝ̈ܕܝܗܘܢ ܢܡܘ̈ܣܐ ܘܦܘܩ̈ܕܢܐ
ܕܩܒܠܘ ܡܢ ܡܪܢ (٢

١) يوحنا ٤ : ٢١

٢) تفسيره : بنوا البيع وركزوا فيها المعمودية والمذابح والصليب واقاموا الكهنة والرعاة والمدبرين لخراف المسيح وجعلوا بايديهم النواميس والوصايا التي تسلموها من الرب

ويقول السروجي في الميمر التاسع والستين عن الصلبوت

ܐܬܬܥܝܪ ܗ̱ܘܐ ܐܡܪ ܦܨܚܐ ܘܐܬܐ ܠܚܡܐ . ܕܢܗܘܐ ܦܓܪܐ
ܠܐܡܪ ܚܝܐ ܕܐܠܗܘܬܐ . ܐܫܬܢܝ ܗ̱ܘܐ ܡܘܫܐ ܣܒܐ ܘܥܒܕ̈ܘܗܝ .
ܘܩܡ ܫܡܥܘܢ ܥܠ ܪ̈ܐܙܐ ܐܝܟ ܕܘܠܝܐ .
ܐܬܪܚܩ ܠܘܝ ܘܕܒ̈ܚܘܗܝ ܓܡܝ̈ܪܐ ܡܢ ܬܫܡܫܬܐ . ܘܩܪܒ
ܬܐܘܡܐ ܫܡܫ ܐܝܟ ܗܘ ܐܝܟ ܕܝܐܐ ܠܗ . ܫܠܡ ܐܗܪܘܢ ܕܠܐ
ܒܕ̈ܒܚܐ ܗ̱ܘܐ ܡܢ ܣܝܢܝ . ܘܩܡ ܝܘܚܢܢ ܕܝܕܥ ܗ̱ܘܐ ܕܒܗ
ܪܒܐ . ܫܠܡ ܗ̱ܘܐ ܙܒܢܐ ܕܛܘ̈ܦܣܐ ܘܕܐܬ̈ܦܐܝܢ ܗ̱ܘܘ .
ܘܚܘܝ ܢܦܫܗ ܫܪܪܐ ܦܓܪܢܐܝܬ ܩܕܡ ܬܠܡ̈ܝܕܐ (١

الفصل الثاني

في مراتب الكهنوت وعددها

اثبتنا في المنارة الثانية ان تُفصل الهياكل في قدس الاقداس وبيت القدس والدار وليس ذلك عبثًا بل على مثــال ما في السماء « هيكل قدس الآب والابن وروح القدس » وهكذا رسم الله بان تكون مراتب الكهنوت ثلثةً على عدد مراتب الذين يخدمون الثالوث المقدس . والقديس برزدوس في رسالتهِ الى البابا اوجانيوس يصف لهُ شرف بيعة الله ويشرح عن مواكب مدبّريها وفضلهم وعن الكرامة التي

١) الترجمة : ارتفع خروف الفصح فجاء الخبز ليكون جسدًا لحمـل الله . مضى موسى الشيخ واعماله المكرَّمة واتى سمعـان قيمًا على الاسرار . ابتعد لاوي وذبائحه الكاملة من الخدمة فدنا توما وقام بالخدمة كما يليق . استراح هرون من ذبائح سينا فنهض يوحنا يعلم بانهُ سيقوم كاهن عظيم . انتهى زمان الرموز والاشباه فاظهر الحق نفسه مجسمًا نصب عيون التلاميذ

تحق لهم فقال لهُ لا تتهاون بهذه الصورة وتحتقرها لانها على الارض بل اعلم انها مرسومة على شبه ما في السماء والله هو الذي صنعها

ولنبدأ الآن اولاً من الكهنوت الجسداني · يذكر الكتاب المقدَّس ان الله قسمهُ الى ثلاثة اصناف وسمَّاهم احبارًا وكهنة ولاويين · فالصنف الاول المقدَّم على الكل هم الاحبار الذين كان الله يخاطبهم وأذن لهم في الدخول الى قدس الاقداس المشار بهِ الى هيكل قدس الآب · والثاني هم الكهنة اولاد الاحبار الذين كانوا يقدّمون الذبائح في بيت القدس الدالّ على قبَّة مجد الابن · والثالث هم اللاويونْ الذين خرجوا من صلب لاوي بمعزل عن ذرّية هارون · وهؤلاء كانوا يتلمذون الشعب في الدار التي كانت رمزًا الى مستقرّ الروح في الملكوت

وتكلم ديونيسيوس عن الكهنوت الروحاني بحسب ما تلقن من بولس الرسول فقال ان فيهِ ثلاث مراتب عليا ووسطى ودنيا · فالمرتبة الاولى هي اقرب الى الله ومنهُ تتقبل الوحي وتعطيه للمرتبة الثانية · والثانية تقبلهُ من الاولى وتوصلهُ الى الثالثة · والثالثة تقبلهُ من الثانية وتمنحهُ لنوع البشر ليسلكوا بالنعمة وينتقلوا الى الملكوت · وكل واحدة من هذه المراتب تحوي ثلاثة اصناف

فالمرتبة الاولى التي تخدم القبَّة الكاملة وغير المصنوعة بالايدي هي الكروبين والسارافيم والجلاس · فالكروبين هم خواطر ناطقة حاملة عرش الرب الصباووت حسبما قال حزقيال النبي « ووقف مجد الرب على الكروبين » (١

واوعز الله الى موسى ان يصنع كروبَيْن في قدس الاقداس فوق تابوت الوصايا لكي يبين مجده من فوقهما ويكلم شعبه · ويقال ان الكروبين كثيرو الاعين ومنبسطو الاجنحة لانهم محدقون بالله ومترئسون على سائر المراتب المخلوقة · والسارافيم هم خواطر ملتهبة في محبة الله وقد ذكر اشعيا النبي ان لكل واحد منهم ستة اجنحة دليلًا على الوحي الذي يقبلونهُ من الحق ويوزعونهُ على الذين هم ادنى منهم ·

١) حزقيال ١٠ : ١٨

والجلّاس هم صنف غير متزعزع من التجارب قائمون امام عرش الآب دائماً . هذه هي المرتبة العليا التي تخدم عرش العظمة

والمرتبة الثانية تحوي ثلاثة اصناف ايضاً وهم السادات والقوات والسلاطين وهم يخدمون القبة الثانيـة اعني موضع مجد الابن كقول الرسول « ان الله الآب أقام المسيح واجلسهُ عن يمينـهِ واصعده الى السماء وأخضع لهُ الملائكة والسلاطين والقوات » (١

وقيل ان السادات هم صنف يمنع الشياطين عن أذية البشر . والقوات يُعطون النصر والغلبة . وهم مسلّطون في المصافّ والحروب . والسلاطين هم المتولّون على الخزائن الروحانية ويوزّعونها على اصحابها حسب مشيئة الله . وقيل انهم أُعطوا تدبير النجوم والافلاك

والمرتبة الثالثة فيها ثلاثة اصناف ايضاً . وهم العساكر والرؤساء والملائكة الذين هم قائمون بخدمة الروح . وقيل ان العساكر تولّوا تدبير الحركات العلويّة كالرياح والغيوم والرعد والبرق والزوابع والامطار . والرؤساء يدبّرون جنس الحيوانات كالطائر ودبيب الارض وسمك البحر ومن جملتهم مار ميخائيل الذي تسلّم تدبير شعب الله . وجبرائيل المبشّر بالصالحات . ورافائيل مرافق المسافرين . واما باقي الملائكة فأمرهم الله بحراسة نوع البشر . وكل انسان لهُ ملاك مرتبط معهُ من يوم ميلاده الى ساعة موتهِ يرشده الى عمل الخير ويصونهُ من قوم الشر

وكذلك الكهنوت المسيحي ينقسم الى ثلاثة مواكب وهم رؤساء كهنة وكهنة وشمامسة . فالرؤساء هم الاعلون والكهنـة المتوسطون . والشمامسة ادنى من الكهنة وافضل من العوامّ كقول الآباء في مجمع نيقيـة في القانون الثامن عشر « وليعلم الكهنـة ان مراتبهم كمراتب الطغمات النوريّة اي الملائكة وان الاسقف دون البطريرك والمطران . والقسيس دون الاسقف واحطّ منـهُ درجةً . والشمامسة

---

١) ١ بطرس ٣ : ٢٢

احطّ من القسّان . وكل واحدة من هذه المراتب الثلاث تنقسم الى ثلاثة اصناف . فالمرتبة الاولى التي تخص الرؤساء تشمل البطاركة والمطارنة والاساقفة . والمرتبة الثانية تحوي الخوارنة والبرادطة والقسوس . والمرتبة الثالثة تحوي الشمامسة والابوذياكويانية والقارئين . وهذه التسعة الاصناف يذكرها الشماس في كرازة تقديس جرن العماد

ܡܛܠ ܐܒܗ̈ܬܐ ܕܝܠܢ ܘܪ̈ܫܝ ܐܒܗ̈ܬܐ ܦܛܪ̈ܝܪܟܐ .
ܡܝܛܪ̈ܦܘܠܝܛܐ ܐܦܝܣܩ̈ܘܦܐ ܟܘܪ̈ܐ ܦܪ̈ܝܕܘܛܐ ܩܫ̈ܝܫܐ .
ܡܫܡ̈ܫܢܐ ܗܘܦ̈ܕܝܩܢܐ ܘܩܪ̈ܘܝܐ ܥܡ ܟܠ ܛܓܡ̈ܐ ܕܥܕܬܐ
ܩܕܝܫܬܐ (١

فالذين هم في درجة الشمّاسية يدعون خدّام الروح وفي الدار يتلمذون الشعب اذ يقرأون عليهم الكتب المقدَّسة ويعلّمونهم كيف يقفون حسنًا في البيعة مصغين لاقوال الله وكيف يحنون رؤوسهم ساجدين للاسرار الالهية وكيف يطلبون شفاعة القديسين ويقدّمون الطلبات لاجل الاحياء والاموات . وقد سمّاهم الآباء ܡܕܟ̈ܝܢܐ لانهم يطهّرون الجالسين في ظلام الخطيئة مثل المتتلمذين والمعترّين والتائبين . وقيل ان الرب رتّب هذه الدرجة حين امر تلاميذه قائلًا « اشفوا المرضى اقيموا الموتى طهّروا البرص أخرجوا الشياطين » (٢

والصنف الثاني اعني القسوس والبرادطة والخوارنة يدعون كهنة لانهم يخدمون مذبح الحمل ويقدّمون جسده لله الآب ويوزّعونهُ على الشعب الذي تطهَّر . وقد

١) ترجمته : لاجل آبائنا ورؤساء الآباء البطاركة والمطارنة والاساقفة والخوارنة والبرادطة والقسوس والشمامسة والشدايقة والقرّاء مع كل طغمات البيعة المقدسة

٢) متى ١٠ : ٨

سماهم الآباء ܡܢܗܪ̈ܢܐ لانهم ينوّرون عقول المؤمنين بمعرفة الله ومناولة الاسرار المقدّسة لكي يقبلوا ذخيرة البنين كما هو مكتوب « ان من سلك في النور امن العثار ومن مشى في الظلام لا يدري اين يتوجّه (١

وقيل ان المخلص انعم على تلاميذهِ بهذه الدرجة حين قدّس جسده وقال لهم « اصنعوا هذا لذكري » (٢. وحين نفخ في وجوههم وقال لهم « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم » (٣

والذين هم من الصنف الاول هم الاساقفة والمطارنة والبطاركة ويسمّون رؤساء لانهم مترأسون على الكهنة وكافة المؤمنين كما قال السيد المخلص « كما ارسلني الآب كذلك انا أُرسلكم » (٤. ولذلك يجلسون على كرسيه في البيعة ويضعون النواميس والسنن وسمّاهم الآباء ܡܫܡܠܝܢܐ لانهم يتممون جميع الامور الصعبة كالميرون والتكريسات والسياميد وغيرها. وبهذه نبلغ الى الاتحاد الكامل مع الله.

وقيل ان الرب وهب هذا السلطان الجزيل القدر للتلاميذ حين رفع يديه وباركهم وقت صعوده الى السماء. ولكي يتيسّر فهم وظائف هذه الاصناف الثلاثة نتكلم على كل صنف منها باختصار

الفصل الثالث

في قدم درجة الشمامسة وعدد اشكالها

درجة الشمامسة في بيعة الله بدؤها من الرسل القديسين اركان البيعة كما ذُكر في اعمال الرسل انهُ « لما تكاثر التلاميذ حدث تذمّر من اليونانيين على العبرانيين بان اراملهم كنَّ يُهمَلنَ في الخدمة اليومية. فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا

١) يوحنا ١٢ : ٣٥
٢) لوقا ٢٢ : ١٩
٣) يوحنا ٢٠ : ٢٢
٤) يوحنا ٢٠ : ٢١

لا يحسن ان نترك كلمة الله ونخدم الموائد فاختاروا سبعة رجال منهم يُشهد لهم بالفضل قد ملأهم الروح والحكمة واقاموهم امام الرسل فصلُّوا ووضعوا عليهم الايدي . وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر في اورشليم جدًّا(١ . واتفق ان اختيارهم هذا كان مجلبة لحصول التذمّر بين الراجعين من الكفَّار واليهود . ولا شك ان كل ذلك لم يجرِ الَّا بمشيئة الله كما امرهم السيد المخلص قبل صعوده الى السماء

وذكر بولس المطوب في رسائلهِ الى افسس وفيلبي واقريطش وغيرها ان الشمامسة كانوا قائمين في خدمة الاطهار والقسوس والاساقفة . فمن هاهنا ينتج ان درجة الشمامسة واسطة بين الكهنة والشعب على مثال اللاويين في العتيقة

واما بشان عدد الشمامسة فقد اختلف رأي الآباء اذ لا يوجد نصّ على ذلك في الكتب المقدسة لان كل كنيسة اقامت لها شمامسة على قدر ما هو ضروري لخدمة الكهنوت وبنيان الشعب

فالروم اقاموا ثلاثة اصناف انوغنسط وابودياكن وارشيدياكن . الانوغنسط يقرأُ الرسائل في البيعة . والابودياكن يسكب الماء على ايدي الاسقف . واما الارشيدياكن فيلوّح بالمروحة فوق الاقداس

والرومانيون اقاموا سبعة اعني مرتلاً وبوَّابًا وقارئًا ومقسّمًا وشمعدانيًا وابودياكنًا وشمّاسًا ويقولون ان وظيفة المرتل ليست درجة ولكنها موَهلة لقبول الدرجة . والبوّاب يتولّى إخراج غير المؤمنين من البيعة . والقارئ يعلّم المتلمذين . والمقسم يقرأ التقاسيم على الممسوسين من الارواح الردية . والشمعداني يحمل الشمع في الزيَّاح . والابودياكن يقدّم الخمر والماء لتقدمة الاسرار والشماس يخدم القداس ويوزّع دم الرب على الشعب

واما كنيستنا السريانية فاقامت خمسة وهم . مرتل وقارئ وابودياكن وشماس وارشيدياكن على عدد الوزنات التي فرَّقها الرب على الذين انتخبهم لفرحتهِ

١) اعمال ٦ : ١

ليتلذَّذوا معهُ على مائدتهِ وهي خمس لان الانجيل الطاهر يشهد ان الله الآب ارسل خدَّامهُ يدعون المؤمنين خمس مرات الى محفل ابنهِ. اعني في الساعة الاولى والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة . ولأَن الكتب التي تُقرأ في الكنيسة هي خمسة كتابان من العتيقة اعني الناموس والانبياء وثلاثة من الجديدة وهي اعمال الرسل والرسائل والانجيل . ووفقاً لهذا العدد رسمت كنيسة انطاكية ان يكون الذين يقرأونها ويتسلَّمونها من الاسقف بعد وضع اليد

والروم يدعون المرتل « فسلطوس » ويتسلَّم كتاب الزبور والقارئ كتاب الانبياء والابودياكن كتاب اعمال الرسل والشماس كتاب الانجيل . وهؤلاء جميعهم يسمون خدَّاماً ويجوز لهم الدخول الى داخل الدربزين . لكن بهذا الفرق وهو ان الثلاثة الاولين يدعون صغاراً لانهم لخدمة الكنيسة والشعب . كما هو محرَّر في كتاب الدسقلية ان الفاتحة والابوديا كنية كالاعوان والانوغنسط قارئ والباسلدس مرتل . وليقف الانوغنسط في الوسط بموضع عالٍ ويقرأ من كتب العتيقة من كل كتاب فصلين ويرتل آخر من تسابيح داود . وليقف القوَمة ايضاً في مواضع البخور التي للرجال ويحفظوها . ولذلك لم يؤذن لهم ان يجاسوا او يتقرَّبوا داخل الدربزين بل على الدرجة التي خارج الباب الملوكي

اما الشمامسة الكبار اعني الرسائليين والانجيليين فتأذن لهم البيعة في الجلوس وتناول الاسرار داخل الدربزين ليس بين القسَّان بل مما يلي القبلة . وهولاء يخدمون القداس ويمسكون المراوح ويقرأون الرسائل والانجيل الطاهر لان كنيستنا لم تأذن لاحد ان يقرأها سواهم . ويقرّبون الشعب بالدم الكريم ولا يحل لهم زواج بعد قبول السيامة بل يُكرَّمون كرامة جزيلة ويرأَسون على باقي الشمامسة كرئاسة الاسقف على الكهنة وفي غياب القس يقيمون الصلاة في البيعة ويحسُّون ويبخّرون

ولهذا كل من يريد ان يتجند للرب يجب ان يكون بريئاً من المكاره في الروح والجسد فلا يصح ان يكون نغلاً او محروماً او ما شاكل ذلك . ولا يرقى درجة

عليا قبل الدنيا . وان يكون معمّدًا ومثبتًا بالميرون الطاهر ونقيًا بالنفس والجسد من كل دنس . ولا يقصد خدمة الله لفكر وربح عالمي بل لاجل خلاص روحه وشعب المسيح كوصية الرسول لتيموتاوس « ليس احد يتجند فيرتبك بهموم الحياة وذلك ليرضي الذي جنَّده . وايضاً ان كان احد يجاهد فلا ينال الاكليل ما لم يجاهد جهاداً شرعيًا » (١

الفصل الرابع

في خدمة الشمامسة الكبار

كانت خدمة اللاويين في العتيقة خاصةً حول قبَّة اي مسكن الشهادة كما امر الرب موسى قائلًا « اما سبط لاوي فلا تعدّهم ولا تحصِ جملتهم فيما بين بني اسرائيل . وأنت فوكل اللاويين بمسكن الشهادة وجميع امتعته وكل متعلقاته وهم يحملون المسكن وجميع امتعته وهم يخدمونه وحواليهِ ينزلون » (٢

وهكذا خدمة الشمامسة في الحديثة مقصورة على ان يخدموا بيت الله ويقيموا بهِ كما يأمر الرسول لتيموتاوس « ليكن الشمامسة اعفاء لا ذوي لسانين ولا مولعين بالاكثار من الخمر ولا ذوي حرص على المكسب الخسيس حافظين سرّ الايمان بضمير طاهر وليُختبروا اولاً ثم يباشروا الخدمة ان وجدوا بغير مشتكىً . وليكن كل من الشمامسة رجل امرأة واحدة محسنًا تدبير ابنائه وبيته » (٣

وكذلك حدَّد الآباء في مجمع نيقية قائلين « لا ينبغي للقس ان يقوم على المذبح ليقدس القربان دون ان يكون معهُ شماس ينبّه الناس للصلاة ويناديهم بالهيبة

---

١) ٢ تيموتاوس ٢ : ٤ ٢) عدد ١ : ٤٩

٣) ٢ تيموتاوس ٣ : ٨

والوقار. وليس ذلك لان يخضع القسيس والشماس لكن لاكرام الشمسة والمذبح وليسمع الناس الشماس بالتوقير وليكن الشماس مسمّعًا للشعب بندائهِ وقوله حدود الصلوات »

اما الشمامسة الذين يتوحدون في اديارهم ولا يجتمع عندهم جموع العوام فلا جناح عليهم اذا لم يقوموا بما تقدم. وكذلك تأمر الدسقلية والآباء في مجامعهم ان يكون الشمامسة بلا عيب مثل الاسقف وان يُكرَّموا كثيرًا ويكونوا من جملة كهنة الكنيسة. ومأمور ايضًا ان كل تنازع وتخالف يقع بين الشمامسة الصغار فعلى الشماس الكبير ان يفصله ولا يُرفع شيء من ذلك الى الاسقف لانهم تحت ولايته وهو راس الصلاة كلها وعلى يده ينبغي ان تجري امور الكنيسة. ويكون الكاهن على يمين الاسقف كالخليفة ورأس الشمامسة عن يساره وهما بمنزلة اليدين والجناحين للاسقف وهو بينهما كالاب بين بنيه

وعلى الشماس كذلك ان يدبر ما يقدر عليهِ ويرفع الامور الثقيلة الى الاسقف ليدبرها بحسن رأيه. ويكون الشماس للاسقف اذنًا وعينًا وفمًا ويسير معه بقلب واحد حتى لا يهتم الا بالامور الجسيمة. وكما اشار حمو موسى عليهِ في تدبير بني اسرائيل فقبل موسى مشورته وحمد عاقبتها هكذا راس الشمامسة الذي هو راس للصلاة وعارف بالناس والشرائع بامره ينبغي لهُ ان يفتقد المحتاجين ويُعلم الاسقف بحال المتضايقين ويطيعهُ ويكمل امره كالاب والمعلم

فمن هذه الشواهد وامثالها يفهم القارئ ان اخص خدمة الشمامسة هي خدمة القداس. وكما ارسل السيد المخلص بطرس ويوحنا ليعدّا لهُ الفصح في علية صهيون كذلك سام الرسلُ الشمامسةَ ليعدّوا القربان ليتقدّس ويخدموا القس ويوزعوا الدم على الشعب المؤمن ويضعوا البطرشيل على اكتافهم لاجل الطاعة. ويجب على الشماس ان يقوم بتدبير كل الصلوات وسياسة الشمامسة الذين دونهُ مثل مار ميخائيل مع طغمات الملائكة

ولهذا يجب ان يلبس الكتونة والدرع ويبخر المذبح وينشد الالحان . ويرتب باقي الشمامسة في قراءة الكتب المقدسة وقوانين الآباء لكي يكون كل شيء برتبة مستقيمة . ويقرأون الرسائل والاناجيل على مثال الملاكين اللذين شاهدتهما مريم المجدلية عند قبر الرب احدهما عند الراس والآخر عند الرجلين وبشّراها بقيامة الرب

ويجب على الشمامسة ان لا يفارقوا الاسقف ويرفعوا اليهِ الامور الصعبة وما يحتاج اليهِ الايتام والارامل والمتضايقون . لان الرسل ساموا الشمامسة للاهتمام بالارامل والايتام

ويجب على الشمامسة النظر في امور الشعب مثل العماد والزواج والوفيات واشباهها . ولهذا يليق بهم ان يكونوا مملوئين روحاً وحكمة وكاملي السن . اعني ان يكونوا قد بلغوا الحادية والعشرين سنة ماهرين في القراءة ورتبة البيعة

وقد ذكروا عن القديس كساريوس انهُ ما كان يرسم شماساً كبيراً حتى يكون بلغ من العمر الثلاثين ودرس العهد العتيق والجديد اربع مرّات . ثم ان الشماس يجب ان يكون بغير مشتكى

وقد اثبت علماء الناموس انهُ متى قرأ الشماس في البيعة رسالة او انجيلاً وهو في خطية مميتة يرتكب خطية وخصوصاً اذا كان قد اقترفها جهاراً لانها تسبب عثرة للشعب . كقول الرب « مالك تحدّث بحكمي وتأخذ عهدي على لسانك وانت قد ابغضت التأديب » (١

وكتب الرسول الى اهل رومية يوبخ من اجترأ على مثل ذلك قائلاً « فانت الذي تعلم غيرك . الا تعلّم نفسك . الذي تكرز ان لا يُسرق أتسرق . الذي تأمر ان لا يُزنى أتزني . الذي تفتخر بالناموس أتهين الله بتعدّي الناموس . فان اسم الله يُجدف عليهِ في الامم بسببكم كما كتب » (٢

١) مزمور ٤٩ : ١٦ ٢) رومية ٢ : ٢١

وحدّد الآباء في مجمع نيقية وفي نيقيصارية ان يكون عدد الشمامسة سبعة في المدن وان يتناوبوا الخدمة كل واحد اسبوعاً ويرشدوا السامعين الى الطاعة والتقوى على مثال النجم الذي هدى المجوس الى حيث كان الرب

الفصل الخامس

في الكهنوت واصنافه

الكهنوت ينقسم الى ثلثة اصناف . قسيس وبردوط وخوري . فلفظة قسيس كلمة سريانية وتأويلها الشيخ الكبير . لان من يروم الصعود الى هذه الدرجة الشريفة يجب ان يكون قد تقدّم في السن والحكمة وتأدب بجميع العلوم والفضائل الروحانية . كما يأمر الرسول تيموتاوس تلميذه « كن مثالاً للمؤمنين في الكلام والتصرّف والمحبة والايمان والعفاف » (١

وقد امر الرسل في القوانين بان القس يجب ان يكون بزي الشيوخ . وقال البابا اناقليطوس ان اول من دعي كاهناً وحبراً في الكتب المقدّسة هو ابراهيم لا لانهُ كان اكبر في السن من الذين سلفوا بل لاجل ما كان متحلّياً بهِ من الحكمة . ويدعى كبيراً لاجل اقتناء الفضائل وتعليمها لغيره كما قال الرب « اما الذي يعمل ويعلّم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » (٢

والصنف الثاني يسميه الروم بردوطاً والسريان يدعونهُ ساعوراً اعني مفتقداً وزائراً . وقد خصّ الآباء صاحب هذه الوظيفة بافتقاد وتهذيب القرى الصغيرة . واما القرى الكبيرة فعلى متقدّم القسوس ان يدبرها اذا كانت لا تقوى على حمل ثقل الاسقف كقول الآباء في مجمع اللاذقية « ولا يُنصب على القرى اسقف بل بروطوس » وهذا مسموح لهُ ان يجلس على الكرسي في الدرجة السفلى ويمسك صليباً ويبارك بهِ

---

١) ١ تيموتاوس ٤ : ١٢ ٢) متى ٥ : ١٩

الشعب في القداس. وفي اوقات الضرورة بعد استئذان الاسقف لهُ أن يكرّس المذبح واجران العماد. ولهذا يسمونهُ أسقف القرى

والصنف الثالث يسمونهُ خوري ابيسكوبوس اعني خوري الاسقف لانهُ رفيقهُ ويسدّ مسدّهُ في غيابهِ. واذا طرأ على الاسقف ضعف في همته او نظره او عقله فهو الذي ينوب منابه كالامين المشرَّف. ولهُ ان يلبس التاج في غيابه ويتقلَّد العصا والصليب ويجلس على الكرسي لكن يجب ان يكون غير متزوّج

ويجوز هذا ايضاً في الاديار للرئيس الكبير الذي يلقبهُ الروم بلقب الارشمندريت والأبَاس الكبير لان لهُ سلطة على جمهور من الرهبان والحبساء والسيَّاح مثل سلطة الاسقف في رعيتـهِ. وهؤلاء جميعًا دون الاسقف ولا يفضاون القس الَّا بوظيفة الرئاسة وهم بمنزلة التلامذة السبعين الذين انتخبهم الرب

واما درجة الكهنوت فهي اشرف من درجات ولاة الارض وملائكة السماء. ولهذا يجب على الكاهن ان يجتهد في حسن السلوك مع نفسهِ ومع الله ومع القريب. فمن جهة نفسه يجب يكون تقيًّا لين الاخلاق محب التواضع شديد الايمان متيقظ الضمير مواظبًا على الصوم والصلاة وتلاوة الكتب الالهية حافظًا رتبة البيعة بعيدًا عن شرب الخمر ناجيًا من حب المال لان الرب شبَّههُ بالملح فاذا فسد يطرح على المزابل ويداس. وسماه نورًا فاذا كان هو ظلمة فكيف ينير غيره. ولذلك شهد الرسول على نفسهِ قائلًا « أقمع جسدي وأستعبده حذارَ أن اكون انا نفسي مرذولًا بعد ما وعظت غيري » (١

وقال القديس غريغوريوس النزينزي « يجب على الكاهن ان يكون طاهرًا ومطهّرًا. متعلّمًا ومعلّمًا. منيرًا لنفسهِ ولغيرهِ. مقدَّسًا ومقدِّسًا ومقدّمًا نفسه وشعبه لله. وبشان سلوكه مع الله يجب الَّا يتكل على احد سواه ولا يقدّم على خدمتهِ شيئًا لكي يحظى بالدالّة لديهِ كما كان موسى النبي. ويرفع الطلبات ليلًا

(١) ١ كورنتس ٩ : ٢٧

ونهارًا لاجل الأحياء والاموات من شعبهِ ويصلي كل يوم الصلوات السبع المفروضة. ويجتهد في مداومة تقدمة الاسرار الالهيــة . وان يكون طاهرًا نقيًا نفسًا وجسدًا وان تكون لهُ عناية بعمران بيت الله ونظافة اوانيه وغناء ارزاقه واحتفالات اعياده لانهُ هو المؤتمن على خزانة بيت الرب وبنيان بيتهِ

واما من خصوص سلوكه مع الشعب فيأمر الرسول انهُ يكون « بعل امرأة واحدة يحسن تدبير بيتهِ ويضبط ابناءهُ في الخضوع بكل عفاف » (١. وليس عليهِ ان يعتني فقط بزوجتهِ وبنيهِ الجسديين بل ينبغي ايضًا ان يُعنى بالبيعة واولاد الايمان اذ يرتبط بالرعية التي قبل عليها وضع اليد ويسوسها احسن سياسة بوعظهِ وحسن سيرتهِ. كالأب الروحي يربي ابناء رعيتهِ بالمحبة والرجاء والايمان والطاعة والصوم والصلاة وباقي الفضائل مثل المعلّم الذي يكتب نسخة بيده ثم يأمر تلميذه بالتشبه بها. اعني ان يسلك امامهم في طريق افعال الرحمة الجسدية والروحية لكي يقتدوا بهِ ويحذوا حذوه فاذا فعل كذلك استحق من غير شك ان يقول لهُ الرب « احسنت ايها العبد الصالح الامين قد وجدت امينًا في القليل فسأُقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربك » (٢

الفصل السادس

في الحبرية وسلطان الرئاسة

ان المرتبة الاولى التي هي اجلّ المراتب في الكنيسة هي الحبرية الحافظة نيابة السيد المسيح على الارض وخلافة الرسل الاطهار الذين اعطاهم مفاتيح الحلّ والربط وأمرهم برعاية خرافهِ اذ قال لهم « كل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطًا في السماء . وكل ما حللتموه على الارض يكون محلولًا في السماء » (٣. « وكما ارسلني الآب كذلك انا أُرسلكم » (٤

١) ١ تيموتاوس ٣ : ٢
٢) متى ٢٥ : ٢١
٣) متى ١٨ : ١٨
٤) يوحنا ٢٠ : ٢١

وهذه المرتبة حسبما سبق القول تنقسم الى ثلاثة اصناف . اساقفة ومطارنة وبطاركة . فالبطرك اعلى من المطران والمطران اعلى من الاسقف لان الاسقف اذا قبل وضع اليد على مدينة يجب ان يكون لهُ النظر على اهلها فيما يخص خلاصهم . والمطران على الايالة التي ولي عليها . والبطريرك على احد اقسام المسكونة لاجل حفظ الاتحاد بين اولاد الايمان فان اهواء الناس وآراءهم مختلفة وكثرة الآراء تسبب الانقسام الذي يولد الهلاك كما هو مكتوب « كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب » (١

فجميع المؤمنين كما انهم خاضعون للراس الواحد الذي بذل نفسهُ دونهم ويتدبَّرون بروح واحد كذلك يجب ان لا يتبعوا كثرة الارواح ولا يطلبوا الرئاسات لينقسموا بعضهم عن بعض كما ذُكر عن ساداتنا الرسل انهم قبل حلول روح القدس كانوا يسألون من هو العظيم فيهم . بل يجب ان تكون درجات البيعة متصلة بعضها ببعض دنياها مع علياها كحلق السلسلة وكالاعضاء في الجسد لكي يمجد الله كل من يراها

ولهذا حدَّد الآباء في مجمع نيقية ان تُكتب وتُعرف درجات الكهنة ومراتبهم لئلا يقع بينهم في ذلك خلاف وان يكون للبطاركة سلطان على المطارنة وللمطارنة سلطان على الاساقفة وللاساقفة سلطان على الكهنة ومن خالف يؤدَّب

وهكذا مذكور في العهد العتيق ان موسى كان مُقدَّماً على جميع الشيوخ والشيوخ على الشعب ليكون الجميع متدبّرين برأي الكبير ومن اجترأ وخالف امر الكاهن القائم هناك في خدمة الرب الاله فانهُ موتاً يموت لكي يزول الشرّ من بينهم

وكذلك في العهد الجديد يشهد الانجيل المقدس ان السيد المخلص اختار سبعين تلميذاً وقدَّم عليهم الاثني عشر رسولاً . ولما اراد الرجوع الى ابيهِ السماوي منح الرئاسة لبطرس على كل خرافهِ قائلاً لهُ « يا سمعان ابن يونا انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » (٢

١) متّى ١٢ : ٢٥ ٢) متى ١٦ : ١٨

يريد بذلك كما ان السيد المخلص هو صخرة الايمان وعنهُ سبق قول الآب على لسان النبي اشعيا « قال السيد الرب ها اني واضع حجرًا في صهيون حجرًا مختارًا رأس زاوية كريمًا اساسًا موثّقًا فمن آمن بهِ فلن يتزعزع » (١

كذلك اراد ان يدعى سمعان الذي اعطاه نيابته على الارض صخرةً وصفاة ووعده ان يبني على هذه الصفاة بيعته التي اشتراها بدمهِ الكريم قائلًا ان « ابواب الجحيم ان تقوى عليها » (٢

والمفهوم بابواب الجحيم القوم الكفرة واصحاب الانشقاق المخالفون فان هؤلاء ما قدروا اصلًا ان يخدعوا بطرس وخلفاءهُ بما يخص ثبات الايمان كما هو واضح . فهذه جميع كراسي البطاركة انتصب عليها قوم من الملحدين اما كرسي بطرس فلم يزل متمسكًا بالايمان المستقيم ولن يزال كذلك الى مجيي الرب الذي قال لهُ « سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطًا في السماوات . وكل ما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات » (٣

يريد بذلك انهُ مدبّر نعمته ومتصرّف بخزائن ملكهِ . وقد سألهُ ثلاثة دفوع اذا كان يحبهُ ازيد من رفقائهِ فاقرَّ بذلك من غير جزَع حينئذٍ امرهُ ثلاثة دفوع قائلًا « إرعَ خرافي . إرعَ خرافي . إرعَ غنمي » (٤

اراد بهذا كما ان الرعاة يهتمون بخرافهم والخراف تسمع اصواتهم وتتبعهم كذلك بطرس وجميع خلفائهِ يجب ان يهتمّوا ويعتنوا برعاية بني الايمان الذين هم ملتزمون بالطاعة والخضوع لهُ ولخلفائهِ . وايضًا قال لهُ المخلص « سمعان سمعان هوذا الشيطان سأَل ان يغربلكم مثل الحنطة لكن صلّيتُ من اجلك لئلا ينقص ايمانك . وانت متى رجعت فثبّت اخوتك » (٥

---

١) اشعيا ٢٨ : ١٦
٢) متى ١٦ : ١٨
٣) متى ١٦ : ١٩
٤) يوحنا ٢١ : ١٥
٥) لوقا ٢٢ : ٣١

والمفهوم بذلك ان الرب يسوع صلّى من اجل رسله ومن اجل سائر المؤمنين ولكنهُ طلب بنوع اخص من اجل بطرس لئلا ينقص ايمانه وعاهدهُ ان ابواب الجحيم ان تقوى عليهِ لانهُ اختاره اسطوانة الايمان وندبه لكي يثبّت اخوته الذين هم البطاركة والمطارنة والاساقفة الذين في النصرانية باسرها

ولاجل ان يعلن السيد المخلص هذا الامر في كل البيعة بدّل اسمهُ فدعاه الصفاة والصخرة دليلًا على ثباته في الايمان وفتح لهُ السماء وكشف لهُ انهُ ابن الله ليكون ايمانه وتعليمهُ ليس هو من لحم ودم بل من عند الآب ودخل الى سفينتهِ وكثّر اسماك شبكته اشارةً الى الشعوب الكثيرة التي كانت مزمعةً ان تتبع امانته · ودعاه الى جميع الامور السرية مثل التجلي وشفاء بنت يائير والصلاة في البستان وغيرها ليتناول معرفة الاسرار الخفية والظاهرة وامرهُ بصيد الحيتان وان يؤدي إستارين عن كليهما لانهُ كان مزمعًا ان يتولّى النيابة عنهُ · وبعد القيامة ظهر لهُ قبل الجميع حتى انهُ كما اعترف بهِ انهُ ابن الله الحي كذلك يعترف بقيامتهِ قبل الجميع · وقد اخبرهُ بنوعية موتهِ دون غيره ليفهم انهُ كما شابههُ بالرئاسة كذلك سيضاهيه بموت الصليب · وقدّمهُ على كل رفقائهِ في الصفوة وسلوك البحر وغسل الرجلين والبشارة واجراء المعجزات وباقي الامور ليجعلهُ رأسًا على الرسل واساسا للبيعة وصخرةً للايمان ومالكًا مفاتيح الحلّ والربط وحافظًا نيابته على الارض بجميع ما يخص تدبير بيتهِ

ومن ثم كان الرسل يكرّمونهُ اكرام اخيهم الاكبر الذي أُعطي الولاية على كل البيعة · والامر واضح فان يوحنا ما دخل القبر الّا بعد بطرس · ولا بولس خرج الى الكرازة الّا بعد استئذانهِ · ولا يعقوب اخو الرب أُقيم رأس الاساقفة الّا على يدهِ · ولا احد خرج للبشارة دون مشورتهِ فضلًا عن انهم كانوا يرفعون اليهِ كل مشكلاتهم ومن ذلك الوقت تسلّمت جميع الكنائس ان تكرّمهُ كما يحق الاكرام لنائب المسيح وهامة الرسل وصخرة الايمان كقول البيعة في حسَّاية صباح جمعة البياض

ܫܒܝܚܐ ܪܝܫܐ ܕܫܠܝܚܐ. ܫܬܐܣܬܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ
ܘܫܠܝܛ ܥܠ ܩܠܝܕܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܫܡܝܢܝܬܐ (١

اما بطرس فبحسب السلطان العام الذي أُعطي لهُ من الرب بشّر اليهود اول الجميع وكان الذين قبلوا كلامهُ وآمنوا واعتمدوا نحو ثلاثة آلاف نسمة. وهو اول من بشّر الامم بحسب الرؤيا التي رآها من السماء «اذبح وكل» (٢ وهو اول من جمع المجامع واصطفى متيّاً بدلاً من يهوذا. وهو اول من استعمل سلطان الحرم فامات حننيا وسفيرة. وهو اول من صنع المعجزات فشُفي المقعد واقام طابيثا من الموت

ومخافة ان أُطيل الشرح اكتفي بالقول انهُ هو وحده اقام كراسي البطركية اولاً في انطاكية ثم في رومية والاسكندرية على عدد الثالوث الاقدس المدبّر جميع الكائنات ليكون اصحاب هؤلاء الكراسي متولين سياسة جميع النصرانية

وكما ان نوحاً البار قسم الارض ثلاثة اقسام وولّى ساماً على بلاد الشرق المعروفة باسية. وحاماً على بلاد الجنوب المسماة افريقيـة. ويافث على بلاد الغرب المدعوة اوربة فعلى بلاد اسية كانت ولاية الكلدانيين وعلى افريقية ولاية اليونانيين وعلى اوربة ولاية الرومانيين

كذلك اوحى الرب لرسولهِ بطرس بان يقيم ثلاثة كراسي في المدن الثلاث المشرّفة في تلك الامصار لتكون مناداة البشارة مستولية على جميع اقطار الارض كما هو محرر في القانون السادس من مجمع نيقية «وليتذكر العوائد القديمة كل من كان بمصر ويخضعوا لاسقف الاسكندرية. ويكون لهُ سلطان على جميعهم لان اسقف رومية مواظب على هذه العـادة وكذلك بطرك انطاكية وليسلّطوا المطارنة على الاساقفة ولا يكن اسقف دون أَمر مطران. وان حدث بخلاف هذا شيء فالمجمع يأمر ان لا يكمل من حيث انهُ يبين ان كراسي البطركية كانت ثلاثة فقط

١) الترجمة: ان بطرس هو اول الرسل ورئيسهم واساس الامانة ومستولٍ على مقاليد الملكوت السماوي ٢) اعمال ١٠: ١٠

تتولى على المطارنة والاساقفة الذين في كل النصرانية »

ثم ان هؤلاء الآباء الذين اجتمعوا في نيقية أمروا بحفظ الزي القديم وان يُخصّ صاحب كرسي بيت المقدس بالكرامة والجلوس بعد البطاركة لانهُ جالس على كرسي يعقوب أخي الرب وماسك بيده صليب الخلاص وان يكون الرابع في عدد البطاركة بعد الانطاكي

ثم لما اجتمع المجمع الاول في القسطنطينية سنة ثلاثمائة واحدى وثمانين للتجسد أمروا في القانون الثالث بان اسقف القسطنطينية يحق لهُ عزّ الرئاسة بعد اسقف رومية لانها هي رومية الثانية وكان ذلك واجباً اكراماً لقسطنطين الملك المثلَّث الرحمة الذي اشهر الايمان المسيحي وباقي الملوك الذين صانوا بيعة الله. لكن لأن هذا القانون لم يرتَّب بحضور نوَّاب الكرسي الرسولي لم يُحفل بهِ

ولما انعقد مجمع خلقيدونية وانحط ديوسقورس عن الكرسي الاسكندري انتظر اناطوليوس بطرك القسطنطينية نهاية المجمع. وبعد ان انصرف قصّاد البابا لاون جمع حينئذٍ رؤساء بلاد الشرق وتعدَّى على رئاسة الكرسي الاسكندري والانطاكي في بعض امور تخصهما وزعم ان بطرك القسطنطينية يجب ان يكون مساوياً لبابا رومية في الكرامة والسلطة. وقال الذين التأموا « انما نحن تابعون رسوم الآباء الاطهار في كل مكان وعالمون بقانون الاساقفة المائة والخمسين احبَّاء الله

« وعلى مثالهم نرتّب القوانين في شان رئاسة الكنيسة المقدسة القسطنطينية رومية الثانية. وكما ان الآباء باستحقاق قد منحوا الاختصاص لكرسي رومية القديمة لانها كانت المدينة المتملّكة هكذا الآباء المائة والخمسون احباء الله مالوا الى ذلك الرأي بنفسهِ وخصُّوا كرسي رومية الجديدة المقدسة بما خص بهِ متقدموهم كرسي رومية القديمة. وبالصواب حكموا ان تشترك المدينة المشرفة بالملك والديوان في الاختصاص الذي انفرد بهِ مقام رومية الملكة القديمة حتى لا تكون هذه في الامور البيعية احطّ منها بل تحوز الثانية الارتفاع والشرف مثلها »

فلما بلغ ذلك قصَّاد الكرسي الروماني عادوا راجعين الى المجمع ووبَّخوهم على طمعهم وحكموا ان كل السلطة والكرامة ينبغي ان تكونا محفوظتين لراس اساقفة رومية القديمة وان رأس اساقفة القسطنطينية المتملكة رومية الجديدة يستوجب كرامة الرئاسة ولهُ سلطان ان يقيم مطارنة في رعايا اسية وبنطوس وتراقية

ولكن هذه الامور لما ان طرقت مسامع القديس لاوون ارسل الى الاخوة المجتمعين في خلقيدونية والى مكسيموس بطرك انطاكية يبطل جميع ما رتَّبوه بخلاف امور الدين قائلًا ان لا ثبات لهُ اصلًا . وان مدينة القسطنطينية ولو حوت الملك ليست هي رسولية مثل اسكندرية وانطاكية وكذلك كتب جيلاسيوس الذي قام بعده على الكرسي الرسولي

واستمرَّت هذه الخصومة الى عصر البابا زخيا الثالث فانهُ في سنة الف ومائتين وخمس عشرة للمسيح عقد مجمعاً عاماً في لاتران برومية ولاجل القاء الصلح بين الكنائس شرقًا وغربًا ارتضى ان يكون صاحب كرسي القسطنطينية الثاني بعد صاحب كرسي رومية ويؤَدي لهُ الطاعة كما يجب للقابض السلطان على كل البيعة

وعلى موجب هذه القوانين صار البطاركة الذين يدبرون كل بيعة الله خمسة وأُقيمت لهم هياكل وقصور في مدينة رومية ليسكنوا فيها اذا توجهوا الى هناك بسبب امور الامانة وعقد المجامع كما يذكر عبد الاحد مغروس في كتابه عن أَلفاظ الكنيسة ومعرفتها في معرض كلمة بطريركية قائلًا « وفي رومية اربعة هياكل أُقيمت لاجل الاربعة بطاركة اذا حضروا الى رومية لاجل حضور مجمع عام . هيكل مار يوحنا لاتران لاجل البابا . وهيكل مار بطرس لبطرك القسطنطينية . وهيكل مار بولس لبطرك الاسكندرية . وهيكل القديسة مريم لبطرك انطاكية . وهذا البطريرك كان يومئذٍ وحده كاثوليكيًّا وهو راعي ورأس طائفة الموارنة الطائعين الكرسي الروماني . ثم هيكل الصليب لبطرك اورشليم »

الفصل السابع

في ان صاحب كرسي رومية لهُ الرئاسة والسلطان على جميع البيعة

ان قبريانوس الشهيد الذي كان في القرن الثالث يدبّر كرسي قرطجنة بغاية التقوى والعلم اثبت في الرسالة الخامسة والخمسين الى كورنيليوس البابا ان الانشقاق والبدع لا تتولد في البيعة الا من ذوي الغايات والمنتفخين بالكبرياء لكي لا يطيعوا كاهن السيد المسيح الذي اختاره لنفسه كاهناً ونائباً الى وقت من الزمان

ولو ان جميع الكهنة ورؤساء الكهنة يخضعون لهُ لم يكن احد يتجاسر ان يقول ببدعة جديدة ولا يضاد مجمع الكهنوت ولا يخالف الكنيسة المتقدّمة وصاحب الكرسي الروماني الذي اختاره الله واقامهُ لاجل حفظ الاتحاد بين الكهنة

فلهذا الزمتنا الغيرة ان نبرهن بالاختصار للقاري اللبيب ان بابا رومية اقامهُ الله لهُ وكيلًا ونائباً لانهُ كما ان رعية المسيح واحدة وخطيئتهُ واحدة وحمامته واحدة كذلك يجب ان يكون الراعي المهتم بها واحداً على الارض

والبرهان الاول نتخذه من الموهبة التي منحها السيد المخلص لبطرس هامة الرسل ليكون صخرة الايمان لجميع المسكونة كما تقدم القول في الفصل السادس فان المواهب التي تتصل بالشعب كالكهنوت والسلطة والنبوّة هي على مثال وظائف ولاة الارض وقوّاد الجيوش ونوتيسة المراكب وباقي الوظائف فانهم يُعطون الولاية ليس لاجل نفوسهم بل لافادة الجماعة المستولين عليهم

كذلك نقول ان السيد المسيح ما اعطى سلطان الكهنوت ومفاتيح الحل والربط ورعاية خرافه لبطرس من اجل بطرس بل من اجل اتحاد بيعتهِ وتثبيت اخوتهِ . اذن بموت بطرس ما بطلت الموهبة ولا عدمت المواعيد التي شرّفهُ بها لتدبير شعبهِ الذي بذل نفسه دونه . بل انتقلت الى خلفائهِ الذين عقبوه بالخدمة كما هو الامر في السنَّة التي اعطاها لرسلهِ لكي يتلمذوا جميع الامم ويعمّدوهم ويغفروا لهم خطاياهم

ويوزعوا جسده ودمه. فان تلك السنّة ما كانت للتلاميذ فقط بل لهم ولسائر الكهنة الذين يأتون بعدهم على ممرّ الدهور الى مجيئهِ الثاني

كذلك النعمة على رئاسة البيعة ما كانت في بطرس وحده بل هي متواصلة في جميع الذين يخلفونه كقول يوحنا الذهبي الفم في الكتاب الثاني عن الكهنوت « ان الرب ما سفك دمهُ الّا ليربح الخراف التي سلّم رعايتها لبطرس وخلفائهِ ». ومن الواضح ان هذه الخلافة لم يتشرَّف بها احد غير اصحاب الكرسي الروماني المنتخبين بحسب ما في القوانين

اولًا لكونهِ غير معلوم ان احدًا غيرهم تولى رئاسة البيعة. ولا يمكن لاحد ان يرتاب في وقوع اقل تهامل في بيعة الله بما يتعلق بامر جليل القدر مثل هذا المنوط بهِ تدبير جميع النصرانية

ثانيًا لان جميع البيعة تسلّمت أنّ بطرس اقام ثلثة كراسي في انطاكية واسكندرية ورومية. فعلى كرسي انطاكية في حياتهِ اقام اوديوس نائبًا. وعلى الاسكندرية ولّى مرقس. اذن ثبتت الخلافة لكرسي رومية

ثالثًا لان بطرس مكث مدة طويلة يبشر في رومية وردّ اهلها الى طاعة الايمان كما شهد بولس الرسول قائلًا ان خبر ايمانهم قد شاع في كل العالم. وهناك كان كرسيه وهناك حقق بشارته باستشهاده على الصليب. فاذن ليس تحق الخلافة الّا للذي يتولى بعده على كرسيه

رابعًا لان السيد المسيح عاهد بطرس قائلًا « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (١

وهذا العهد يصحّ عليهِ في حياتهِ وبعد موتهِ في الموضع الذي يكون فيهِ جسده كقول الكنيسة في يوم عيده بصوت انا ابلا

١) متى ١٦: ١٨

ܦܫܛ ܐܝ̈ܕܘܗܝ ܫܡܥܘܢ ܡܢ ܕܚܠܬܐ ܘܩܪܒ ܘܣܓܕ
ܠܗ ܠܒܪܐ . ܡܪܢ ܩܪܒ ܠܟܬܦܗ ܘܐܡܪ ܠܗ ܒܒܣܝܡܘܬܐ
ܩܘܡ ܠܟ ܫܡܥܘܢ ܘܠܐ ܬܕܚܠ ܘܠܐ ܢܬܕܘܕ ܪܥܝܢܟ ܕܒܢܐ
ܥܠܝܟ ܥܕܬܐ ܡܗܝܡܢܬܐ ܕܠܐ ܢܙܘܥ ܐܢܐ ܠܗ̇ ܘܠܐ
ܡܬܬܙܝܥܐ ܠܥܠܡܝܢ (١

خامسًا لأن بطرس ما نصب كراسي البطركية الّا في المدن التي كانت اكثر شرفًا في العالم. ورومية كانت امّ المدن وفيها كان ملك الرومانيين. اذن هناك يجب ان تكون رئاسته كقول الرب لهُ على ما يقول يعقوب السروجي عن تلمذة بطرس في رومية

ܚܙܘܐ ܢܚܬ ܗܘܐ ܠܪܫܐ ܕܫ̈ܠܝܚܐ . ܘܫܪܝ
ܡܫܝܚܐ ܕܢܡܠܠ ܥܡܗ ܟܕ ܐܡܪ ܠܗ . ܫܡܥܘܢ ܟܐܦܐ ܪܫܐ
ܫܠܝܛ ܒܫ̈ܠܝܚܐ . ܠܪܘܡܝ ܪܒܬܐ ܬܪܘܨ ܠܐܘܪܚܟ
ܘܠܐ ܬܬܘܚܪ . ܪܘܡܝ ܪܫܐ ܕܡܕ̈ܝܢܬܐ ܘܕܐܬܪ̈ܘܬܐ . ܘܠܪܝܫܢܝܬܐ
ܪܫܐ ܐܢܐ ܠܟ ܠܬܠܡܕܘ (٢

١) اي سمعان تكتّف من الخوف فتقدم وسجد للابن . اما الرب فدنا منهُ وامسكه وقال لهُ ببشاشة ان انهض يا سمعان ولا تخف ولا يضطرب بالك لاني بانٍ عليك البيعة المقدسة المؤمنة فلن تتزعزع الى الابد

٢) معناه : انحدرت الرؤيا على رئيس الرسل وطفق المسيح يكلمه قائلًا لهُ اني اقمتك يا سمعان الصفاة زعيمًا على الرسل . فالى رومية العظمى قوّم طريقك غير متباطئ فان رومية رأس المدائن والاماكن وحقّ لي ان انصب لرئيسة المدائن رئيسًا لاجل القيام بالتلمذة

ثم عند ما يتكلم عن موته على الصليب وقطع رأسه يقول

ܘܡܬܛܝܒ ܠܟ ܣܝܦܐ ܕܚܝܠܐ ܘܒܗ ܡܫܬܡܠܬ. ܘܢܦܫܟ ܒܟܢܦܝ ܬܬܛܫܐ ܐܝܟ ܕܫܡܫܬܢܝ ܘܗܘܐ ܦܓܪܟ ܫܘܪܐ ܠܪܗܘܡܝ ܘܢܛܪ ܠܗ. ܘܠܐ ܢܥܡܪܘܢ ܒܗ ܫ̈ܐܕܐ ܕܓ̈ܠܐ ܐܝܟ ܕܩܕܡܐ (١

اخيرًا يذكر اقليموس في الرسالة التي كتبهــا الى يعقوب اخي الرب مخبرًا عن موت معلّمه ووصيتــه الاخيرة « ان سمعان بطرس لما ان علم بدنوّ وفاته وكان الاخوة محيطين بهِ امسك بيدي قائلًا اني أُقيم لكم هذا اسقفًا واسلّمهُ سلطــان الحل والربط الذي تسلمته من الرب فجميع ما يحكم بهِ على الارض يكون محكومًا بهِ في السماء »

فاذًا من الوكيد ان اقليموس والذين خلفوه بعد بطرس في الكرسي الروماني هم خلفاء بطرس وحائزون الرئاسة والسلطان الذي تسلّمهُ من الرب

والبرهان الثاني نتخــذه من تحديدات المجامع المسكونية فان الآباء الثلاثمائــة والثمانية عشر الذين التأموا في المجمع الاول بنيقية حدَّدوا في القانون الرابع والاربعين قائلين « ولينظر البطرك في كل اعمال مطارنتهِ او اساقفته في البلدان التي وُلّوا عليها فان وجد منها شيئًا بخلاف الواجب فليُبطلهُ ويأمر بهِ كما يراه لانهُ ابو جميعهم وهم بنوه . واما المطران فعلى اساقفتهِ ان ينزلوه منهم منزلة الاخ الكبير ويوقروه ويخدموه و يوجبون حقه وطاعته في حسن سياسته . وهكذا يجب ان يكون اصاحب رومية سلطان على جميع البطاركة مثلَ بطرس فيما كان لهُ من السلطان على كل التلاميذ . لان سيدنا يسوع المسيح اعطاه هذه الرتبة الجليلة في شخص بطرس وخوّلهُ الرئاسة

١) ترجمته : يتهيأ لك حُسام مخيف فتقتل بهِ ونفسك تستظل تحت كنَفي لانك خدمتني ويكون جسدك سورًا لرومية فيصونها و يحفظها حتى لا يأهلها الاباليس الكاذبة كسابق حالها

على جميع رؤساء النصرانية ومرؤوسيها لانهُ هو نائب المسيح وخليفة بطرس على بيعتهِ وكنائسه وشعوبهِ الروحية ومن خالف هذا فليكن محروماً »

وورد ايضاً في المجمع الثالث الذي انعقد في افسس ان فيلبوس قاصد البابا قالسطينوس قال في محضر الآباء « قد وضح وبان في كل الاوقات ان بطرس المطوّب رأس الرسل وهامتهم وعمود الايمان واساس الكنيسة الكاثوليكية تسلم مفاتيح الملكوت من سيدنا يسوع المسيح وأُعطي السلطان لكي يحلّ ويربط الخطايا ولم يزل الآن والى الابد حياً وحاكماً بواسطة خلفائه . والذي هو الآن خليفته بالرتبة وقائم مقامه هو قالسطينوس البابا الذي ارسلنا الى هذا المجمع »

واقرَّ الآباء الستمائة والثلاثون الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني بخلقيدونية ان رئيس الاساقفة هو صاحب كرسي رومية ولهُ مطلق الولاية مع اخص الكرامة على ما في القوانين

وفي الرسالة التي كتبها اناطوليوس بطرك القسطنطينية ومكسيموس بطرك انطاكية ويوبينال بطرك بيت المقدس مع بقية الآباء الى البابا لاون يعترفون انهُ ترجمان صوت بطرس الرسول نسبةً الى جميعهم وانهُ تسلم من المسيح حراسة كرم الكنيسة وانهُ ضابط سرّ الايمان على مثال السلسلة الذهبية ليوصلها اليهم . وانهُ تقدَّمهم مثل قائد الجيش حتى كشفوا ذخيرة الايمان لبني البيعة وان تعليم الايمان حالّ فيهِ كالشعاع في الاناء ليوزّعه على بني البيعة القسطنطينية كي يغنيهم بشركة خيوره كما صنع دفعات شتى اذ انهم كانوا يلتجئون اليهِ كما يلتجئ الابناء الى ابيهم ويستنصرونهُ كما تستنصر الاعضاء هامتها ويسأَلونهُ ان يشرّف احكامهم برسومهِ

وفي سنة الف ومائتين وثلاث وسبعين انعقد المجمع في مدينة لوجدون وحضر البابا غريغوريوس العاشر مع نحو الف من الرؤساء وارسل اليهِ ميخائيل بالولغوس ملك الروم مكاتيب برضاهم انهم خاضعون للكنيسة الرومانية ومعتقدون

انها تحوي السلطة والرئاسة التامة على جميع الكنائس الكاثوليكية وان الحبر الروماني هو خليفة بطرس هامة الرسل

وكذلك في سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين اجتمع الآباء من الشرق والغرب في مدينة فلورنسا لاجل ايضاح الايمان والقاء المصالحة بين الافرنج والروم وبعد ان طالت المباحثة بينهم نحو خمسة عشر شهرًا اتفقوا جميعًا على رأي واحد ما خلا العنيد مرقص اسقف افسس وبفم واحد سنُّوا قائلين « نقطع ان الكرسي الرسولي والحبر الروماني لهما الرئاسة على جميع المسكونة وان الحبر الروماني هو خليفة بطرس المطوَّب هامة الرسل ونائب المسيح على التحقيق وانهُ راس الكنيسة كلها وابو جميع المسيحيين ومعلمهم وقد تسلم من سيدنا يسوع المسيح بوساطة بطرس المطوَّب سلطانًا عامًا لكي يرعى ويسوس ويدبر البيعة الجامعة . كما هو محرَّر في المجامع المسكونية وفي القوانين المقدسة »

فمن هذه الشهادات وسائر الشهادات المدوَّنة في بقية المجامع المقبولة من البيعة خطيبة المسيح يتبين علنًا ان صاحب الكرسي الروماني تسلّم من الرب بوساطة بطرس ان يكون رأس البيعة ولسان الرسل وخليفة بطرس ونائب المسيح وحافظ كرم الكنيسة ومالك ذخيرة الايمان وهو بمنزلة الأَب ومثابة الرأس ليوصل اليهم معرفة الاسرار الالهية بل مثل السلسلة الذهبية

اما البرهان الثالث على سلطان الكرسي الروماني فيؤخذ من حوادث الالتجاء اليهِ فهولاء الآباء الثلاثمائة والستة والسبعون الذين اجتمعوا في مدينة سرديكي لاجل دعوة اثناسيوس الكبير حدّدوا انهُ اذا اجتمع اساقفة بلدة وحكموا بخلع واحد من الاساقفة واستغاث الاسقف بملجا رومية لا يجوز ان يقام على كرسيه اسقف آخر حتى تأْتي القضية من اسقف رومية

وكذلك اذا استغاث بصاحب الكرسي الروماني واتاه الامر موجبًا على اساقفة البلد ان يفحصوا امره بالعدل ثم التجأَ ثانيًا اليهِ لينفذ رسولاً من قبله وتنازل

الى طلبه فهو مخيَّر في ان ينفذ اليهِ أناساً من رومية ليقضوا في مسألته مع بقية اساقفة البلد او يكتب لاولئك اذا علم بكفاءتهم لكي ينهوا امره

وعلى موجب هذه السُّنَن مذكور انهُ لما انعقد المجمع في انطاكية بشأن بطركها بولس السميصاطي وحطوه عن الرئاسة من اجل اعتقاده الملتوي واقاموا عوضاً عنه دومنوس حدثت بينهم خصومة من اجل بيت الكنيسة وطلبوا من اورليانوس الملك ان يُنصف بينهم . فيذكر اوسابيوس القيساري ان الملك امرهم ان يرفعوا دعواهم الى نصارى ايطالية واساقفة مدينة رومية لكي تنتهي المسألة طبقاً لاجوبتهم

وهكذا لما ان عزل تاوفيلوس بطريرك الاسكندرية يوحنا فم الذهب ظلماً وعدواناً عن كرسي القسطنطينية استنجد فم الذهب باينشنسيوس البابا لينظر في دعواه ويؤدب بحكم البيعة الذين فعلوا الرديء كما يتضح من رسالتهِ الاولى المنفذة الى البابا المشار اليهِ

وكذلك القديس باسيليوس لما نظر الى الاضطهاد والضنك الذي كان القديس اثناسيوس يقاسيه من شيعة الاريوسيين كتب لهُ في رسالتهِ الثانية والخمسين قائلاً « ارى من الصواب أن تكتبوا الى اسقف رومية ليتأمل في الامور الحادثة هاهنا فيمدكم بمشورتهِ . واذا اوجب الامر ذهاب الناس الى تلك النواحي لانعقاد مجمع عام فانهُ يستعمل رئاسته بهذه القضية ويختار ناساً مناسبين وقادرين على احتمال مشقة السفر لكي بالتؤدة وحسن التدبير يؤدبوا من كان عاتياً ومعوجاً »

واما القديس اثناسيوس الكبير فارسل الى البابا فيلبس رسالة مشتملة على امور عديدة باسمهِ واسم اساقفة مصر وتيبايس وليبية ومن جملة كلامه فيها قوله « ايها الاب السعيد لما كنا نحن مع الذين سلفونا نستمد العون في كل وقت من كرسيكم الرسولي المقدس ونحن متحققون عنايتكم بنا فبموجب القوانين المرسومة نطلب الآن النجدة من هذا الكرسي الشريف الذي منهُ كان اسلافنا يقبلون الرسامات والتعليم والنصرة ونسرع اليهِ اسراعنا الى والدة لنغتذي بلبن ثدييها اذ يستحيل ان الام تنسى

ولدها. وانتم كذلك فلا تنسوا المتكلمين عليكم لان اعداءَنا شدَّدوا التضييق علينا ولم يزالوا كل يوم يكيدون لنا المكايد لكي يقبضوا علينا ويقيّدونا بالحديد بما اننا أَبَينا قبول مزاعمهم اذ لم نجترئ على ذلك دون مشورتكم فان القوانين تأمرنا ان لا يقضي احد في امور مهمة دون استشارة الحبر الروماني. ونعلم ايضًا ان الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر حدَّدوا كلهم بقلب واحد في مجمع نيقية ان لا يُعقد مجمع و يصدر فيهِ حكم من الاساقفة بغير امر الحبر الروماني

«اذًا على ما جرت العادة دائمًا في كرسيكم المقدس اعضدوا الذين هم في حال الخطر. انجدوا المظلومين. مدّوا ايديكم للملقين في الشدائد. ابعدوا عنا هؤلاء وضعوا السنَن لكي يوصل التعليم الرسولي الذي هو بالله حكمنا الى الانتصار والنفوذ وبواسطة بطرس هامة الرسل ينقذنا من الشدائد الشاملة » وبعد قليل يقول « ان الآباء المذكورين حدّدوا باتفاق انهُ اذا خاف الاساقفة او المطارنة امرًا من الولاة او القضاة فليلتجئ الى كرسيكم الروماني المقدس الذي قبل من الرب نعمة خاصة سلطان الحلّ والربط. فانهُ هو الكرسي الذي نصبهُ الله تعالى غير متزعزع لان الرب يسوع المسيح جعل كرسيكم الرسولي صورة مضيئة تحوي جميع الاوصاف » الخ

البرهان الرابع تُثبَت رئاسة الكرسي الروماني من قضائهِ في البطاركة لانهم متى اجتمعوا يجب ان يتقدَّمهم في التسمية والجلوس والتحرير حتى ان قصَّاد الكرسي الروماني ايضًا كانوا يتقدَّمون البطاركة. اولًا اكرامًا لمرسلهم

ثانيًا لانهُ ليس لاحد سلطان ان يبدّل شيئًا في مراتب البطاركة ولا ان يجدّد كراسي فوق التي اقامها بطرس الآ صاحب الكرسي الروماني كما يتضح من كرسي اورشليم وكرسي القسطنطينية الذي قُدّم على كرسي الاسكندرية وانطاكية اجابة لالتماس اصحابه الذين كانوا يطلبون ذلك منهُ بطلبات متواترة

ثالثًا لان اصحاب الكرسي الروماني متقلدون مفاتيح الحلّ كما يظهر من مسألة

القديس اثناسيوس الذي اضطهدهُ اربعة ملوك وانعقد ضدّه اربعة مجامع لكن البابا يوليوس استدعاه الى رومية واعاده الى كرسيهِ

وهكذا بولس المعترف كان الاريوسيون عزلوه عن كرسيهِ فاعادهُ اليهِ البابا المذكور . وكذلك بطرس الاسكندري الذي خلف اثناسيوس لما جرى فيهِ ما جرى من المخالفين سار الى رومية وقبلهُ البابا دامسوس بغاية الاكرام واعادهُ الى كرسيهِ

وهكذا تاودوريطوس حرمهُ الآباء لتحزّبهِ لمذهب نسطور لكنهُ لما تاب وقصد الدخول الى مجمع خلقيدونية لم يستطيعوا ان يردّوه الى كرسيهِ الّا بعد ان وضع خط يده في مكتوب البابا لاون وحينئذٍ قبلهُ قصّاد البابا وردّوه الى مقامهِ

ومثله ايضاً يوحنا فم الذهب لما عزلهُ تاوفيلوس عن كرسي القسطنطينية وابعده ارسل البابا اينوشنسيوس كتاباً الى اركاديوس الملك كما يتبين من ترجمة حال يوحنا المحفوظة عند الروم يأمرهُ فيها قائلًا « تحضر تاوفيلوس بطرك الاسكندرية والذين اجتمعوا معهُ ضد يوحنا الى تسالونيكي لنستقصي عما فعلوه بخلاف القوانين مع يوحنا البطريرك وغيره ونبين لتاوفيلوس ان لنا سلطان القديس بطرس المعظم في الرسل » ثم ان البابا نائب السيد المسيح على الارض برأ صفيّهُ ووضع اسمهُ بين القديسين وقبلتهُ البيعة شرقاً وغرباً

رابعاً لان صاحب الكرسي الروماني مالك مفاتيح الربط ايضاً على البطاركة فانه مذكور انه لما حُرم يوحنا بطريرك انطاكية في المجمع الثالث بما انه كان يحتج عن نسطور ويحرم القديس كيرلّس رفض الآباء ان يعزلوه عن كرسيه بل رفعوا امرهُ الى البابا قالسطين

وكذلك مذكور عن نسطور بطرك القسطنطينية ان الآباء دعوه دفعاً شتى ليحضر المجمع فامتنع عن الحضور ولكنهم لم يحرموه الّا بعد ان أعلموا البابا قالسطين بذلك . وحينئذٍ كتب الى كيرلس الذي كان متولّياً نيابته ان يعطي نسطور مهلة عشرة ايام لكي يفيق ويرتشد فاذا ابى الحضور بعدها ورفض ان يتبع قوانين البيعة

فليحرمه وقتئذٍ ويحطّه عن كرسيه وينصب غيره على كرسي القسطنطينية

وورد كذلك عن اغابيطوس بابا رومية انهُ سار بنفسهِ الى القسطنطينية وعزل انتيموس عن كرسيها وأبعده واقام عوضه مينا القسّ . وهكذا فعل البابا فيلكس فانهُ حرم بطرس القصَّار بطرك انطاكية وعزلهُ وقطعهُ مع اتباعهِ من شركة الكاثوليكيين . ومعلوم ايضاً ان مقاريوس بطرك انطاكية لمّا حرمهُ الآباء في المجمع السادس أرسلوه الى البابا اغاتون فاماتهُ في السجن

فمن هذه الشهادات وغيرها صحّ قول اثناسيوس الكبير في الرسالة المذكورة الى البابا فيلكس « ان دستور كرسيكم الرسولي المقدَّس لم يزل دائماً بقوَّتهِ وسلطانهِ يعيد المظلومين والمحرومين بغير حق الى كراسيهم ويردّ اليهم جميع اموالهم وبالموهبة الرسولية يؤَدب الذين حكموا عليهم وحرموهم كما قد جرى في زماننا وفي الازمنة التي سلفت »

اخيرًا يتثبَّت سلطان الكرسي الروماني على جميع البيعة من المجامع العامة التي لم تلتئم الَّا بامرهِ وسعيهِ كما هو واضح من اخبار المجامع فانه بموجب رسائل الباباوات كان يجري تحديد امور الديانة

ولهذا كان الآباء في المجمع الرابع يصرخون ان بطرس الرسول كان ينطق بلسان لاون . وكتبوا في المجمع السادس الى قسطنطين الملك ان بطرس هو المتكلم في فم اغاتون وفي المجمع الثامن ان نقولا كان مثل ارغن روح القدس

ولاجل ان ديوسقورس بطرك الاسكندرية تجاوز حدود الكنيسة واراد ان يجمع مجمعاً عامًا ويحرم فلابيانوس بطرك القسطنطينية ويحرم البابا لاون بخلاف ما سلف في الازمنة الماضية لم يأْذن لهُ قصَّاد الكرسي بالجلوس في المجمع الرابع بين الرؤساء بل اوقفوه على قدميهِ كالمجرم ثم حرموه وعزلوه عن كرسي الاسكندرية

وكذلك فوتيوس لما رام ان يتشبه بديوسقوروس ويقيم مجمعاً ويعزل اغناطيوس ويملك على كرسيه وشتم صاحب كرسي رومية انعقد المجمع الثامن في القسطنطينية

ولم يسمح لهُ الآباء ان يمسك بيدهِ عكازًا قائلين انهُ راعٍ غير مستحق ولهذا حرموه وعزلوهُ واعادوا اغناطيوس الى كرسيهِ

وممَّا برهنَّا يستنتج القارئ انهُ كما ان السيد المسيح جعل بطرس صخرة الايمان واعطاه السلطان العام على كل بيعتهِ . كذلك تلك الموهبة نفسها وتلك النعمة بعينها شرَّف بها اصحاب الكرسي الروماني ليكونوا اسطوانة الايمان ويميزوا الحنطة من الزوان ويعزلوا من يستحق العزل ويقبلوا من يجب لهُ القبول ويقيموا مجامع لايضاح اسرار الايمان لكي يعلم كل احد انهم هم الرعاة المتولون خلاص الرعية . فطوبى لمن دخل في حظيرتهم والويل لمن كان خارجًا عن سفينتهم

الفصل الثامن

في الكرسي الانطاكي الذي بيد الطائفة المارونية

بعد ان برهنَّا عن كرسي رومية وسلطانه العام على جميع الكراسي تلزمنا الغيرة الروحية ان نمدّ الشرح الى كرسي انطاكية لان هذين الكرسيين دون غيرهما تجملا باقنوم بطرس هامة الرسل فالانطاكي هو اقدم زمانًا لان بطرس الرسول جلس عليهِ حين خرج للكرازة لكن الروماني افضل منهُ بالرئاسة لان بطرس استُشهد في رومية . وكان بين اصحاب هذين الكرسيين منذ القديم تحابّ جزيل كما كتب البابا بسكاليوس الى برنردوس الافرنجي بطريرك انطاكية قائلًا « ان الكرسي الروماني شرَّفه الرب بنعمة من العلا من بين سائر الكراسي بوفاة بطرس الرسول الَّا اننا نقرأ انه بين اساقفة رومية وانطاكية كانت مودة متسلسلة من القديم » ولما كانت تعرض امور عسرة على بطريرك انطاكية لم تكن تُقضى الَا على يد صاحب كرسي رومية كما يشهد يوبينال بطريرك بيت المقدس حين حدثت الخصومة بين كيرلس الاسكندري ويوحنا بطرك انطاكية في مجمع افسس قائلًا « من الرسم الرسولي

ومن التسليم القديم قد جرت العادة بان الكرسي الانطاكي يرتشد ابدًا على يد الروماني ويرفع اموره اليهِ خاضعًا لاحكامه وكان ذلك بعناية من الله لكي يستمر الايمان القويم محفوظًا في بلاد الشرق . اما الرئاسة على كرسي انطاكية فان اكثر طوائف الشرق تتنازعها ولكل طائفة اسباب تحتج بها

اولًا طائفة اليعاقبة لان ساويروس تولى رئاسة هذا الكرسي سنة خمسمائة واثنتي عشرة للرب . لكنهُ لما انحرف عن صحة الامانة وزعم ان بربنا طبيعةً واحدةً عُزل عنهُ . اما التابعون لمقالتهِ فاقاموا عليهم سركيس ثم فطارو ثم يولينا ومن يليهم في الهرطقة والرئاسة بعده

ثانيًا جماعة الموارنة فانهم طلبوا الرئاسة عليهِ لان الآباء الذين اجتمعوا في المجمع السادس في القسطنطينية لما عزلوا مكاريوس عن كرسي انطاكية لانهُ زعم ان بربنا مشيئةً واحدةً لا غير نصبوا مكانه تاوافانوس ولما قضى اجلهُ في السنة الخامسة خلفهُ في البطركية وصحة الديانة يوحنا مارون ثم ابن اخته كوروس ومن يليهم

ثالثًا الروم حين اقاموا على بطريركية انطاكية بامر الملك اسطفان الراهب والذين جاؤوا بعده بقرب سنة سبعمائة واربعين

رابعًا الافرنج لما ملكوا سواحل بلاد الشام فانهم اقاموا لهم ملوكًا وامراء وبطاركة واساقفة يدبرونهم بما يخص سياسة الروح والجسد وذلك سنة تسعمائة وتسعين ونصبوا برندوس بطركًا على انطاكية وثبتهُ بابا رومية وارسل لهُ درع تمام الرئاسة ودامت ولايتهم مئة وخمسين سنة ثم انتقلوا الى بلاد الروم

واستقرَّت رئاسة كرسي انطاكية في يد ثلاث ملل كما تقدَّم القول . ولكي يتميزَ بطاركتهم اتفقوا على تغيير اسمائهم فبطرك الموارنة تلقّب باسم بطرس على اسم صاحب الكرسي . وبطرك اليعاقبة باسم اغناطيوس الثالث بعد بطرس . واما الملكي فبدل اسمه باسم آخر بحيث لا يتغيَّر الحرف الاول . واصحاب الكرسي الروماني اقاموا اربعة في رومية ولقبوهم ببطاركة الشرق . سمّوا احدهم بطرك القسطنطينية والآخر

بطرك الاسكندرية والثالث بطرك انطاكية والرابع بطرك اورشليم ولو لم يكونوا مهتمين بشؤون تلك الرعايا

واخيراً لما ادى الارمن الطاعة للكنيسة الرومانية طلبوا من البابا ان يتلقب بطركهم باسم انطاكية فلم يجبهم الى ذلك. غير ان رئاسة مثل هذه لكي تكون حقيقية لا بدّ لها من شروط ثلاثة

الاول ان يكون البطرك المختار على الكرسي جديداً متصلًا بالخلافة مع البطاركة الذين تقدَّموه ليكون الخَلَف متصلًا بالسلَف اتصال درج السلّم وحلَق السلسلة

ثانياً ان يكون المتقدّم صحيح الايمان ليكون خليفة بطرس صاحب الكرسي باستقامة الرأي والتعليم لان العود اليابس عديم الخلافة. والرؤساء الذين أنبتوا البدع والانشقاق عزلتهم البيعة من الرئاسة وقطعتهم من شركة اولادها

ثالثاً ان يكون الرئيس قاطناً في بلاد الشام حيث الكرسي الانطاكي لكي يكون رقيباً على خراف الرب مجتهداً في حفظها من الذئاب الخاطفة ويدعوها باسمها فتتبعهُ كقول الرب لبطرس «ارعَ خرافي ارعَ غنمي» وكما اوصى بطرس الرسول قائلًا «ارعوا رعية الله التي فيكم متعاهدين لها لا عن اضطرار بل عن اختيار ولا لمكسب خسيس بل بارتياح ولا كمن يتسلّط على ميراث الله بل كمن يكون مثالًا للرعية» (١

والحال ان هذه الشروط وغيرها متوفرة وغير منقطعة في بطاركة الموارنة دون من سواهم لان العرب لما خرجوا بجيوشهم على بلاد المشرق وملكوا دمشق وبيت المقدس واسكندرية والجزيرة وبرّ انطاكية والموصل في السنة الستين للهجرة الموافقة لسنة ستمائة وثمانين للرب كان التئام المجمع السادس في القسطنطينية وفيهِ حُرم سرجي وبيرو وبولس بطاركة القسطنطينية وعُزل مكاري عن كرسي انطاكية لانهُ كان يقول بعقالتهم ان لربنا مشيئة واحدة لا غير. ونُصب مكانه تاوفانوس بطركاً على انطاكية.

١) ١ بطرس ٥ : ٢

ولما قضى اجله في السنة الخامسة من رئاستهِ اقيم عوضه برضى الاكليروس يوحنا ابن اغاتون المسمى مارون رأس الملّة المارونية · وتشهد قصتهُ التي طبعها كوارسميوس انه دخل رومية وتثبّت في البطركية ولبس درع تمام الرئاسة من صاحب الكرسي الروماني ورجع الى انطاكية وهو حامل الوسم البابوي وردّ كثيرين من تلاميذ مكاري الى الامانة المستقيمة فكرزوا بطبيعتين ومشيئتين · وبسبب ان الروم حسدوا امانته واستاؤوا من طاعته لصاحب الكرسي الروماني انشأوا عليهِ اضطهاداً عظيماً ففرّ هاربًا من انطاكية الى دير مار مارون الذي على نهر العاصي ومن هناك الى جبل لبنان الذي كانت حدوده من الشمال نهر العاصي الذي ينحدر من الهرمل الى حماه فانطاكية · ومن الجنوب النهر الليطاني الذي يصبّ في القرعون بقرب صور

ولم يبرح البطرك يوحنا كل حياته يشدّد الشعب بكل تقوى وبرارة ولما ملك العرب انطاكية وداسوا اهلها ارسل فاعلم صاحب الكرسي الروماني بجميع احوال اهل الشرق مستمدًّا شوره فأتاه الجواب قائلًا لهُ ان يتجنَّب اصحاب التعاليم الفاسدة ويجعل مقامهُ في جبل لبنان كما قال المطران جبرائيل ابن القلاعي في ميمره عن المجامع « نرجع ونخبر عن مارون · كان عالم ما في القانون · من انطاكية ابوه اغاتون · مطران مع السريان قد كان · جا لطرابلوس وتكلم · مع الكردينال وعليهِ سلّم · لقاهُ شاطر فاهم معلّم · اخذهُ لرومية في الابحار · قال للبابا اخباره · وثبت قوله واسراره · ورسمهُ بطرك واعطى لهُ · درع واوصاه يتحذر · قال تجنب الملكية واليعاقبة مع القبطية · جبل لبنان يكون لك رعية · بكفرحي مات ذا المختار »

وبعد البطرك يوحنا قام ابن اخته كوروس في كرسي البطركية مقتفياً آثاره بالغيرة وصحة الايمان وطاعة بابا رومية واستمد منهُ درع تمام الرئاسة كما هو محرر في خبر خاله الذي تقدَّم ذكره · وكذلك البطرك جبرائيل ويوحنا الى ان ملك الكرسي الانطاكي يوسف الجرجسي فارسل الى البابا اوربانوس الثاني كتابات يطاب فيها التثبيت والنجدة مثل الذين سلفوه والذين جاؤوا بعده كما طلب ارميا من البابا زخيا الثالث

ويوحنا الجاجي من اوجانوس الرابع ويعقوب الحدثي من قاليسطوس الثالث وشمعون ابن حسان من لاون العاشر وغيرهم على ما هو واضح من اجوبة الباباوات المذكورين ورسائلهم المحفوظة الى وقتنا هذا في خزانة سيدة قنوبين

وقد ارسل اليهِ البابا اوربانوس التثبيت بحسب طلبه ثم جمع مجمعاً كبيرا في كلارمونت لاجل خلاص الارض المقدَّسة ولما قدم الجيوش الى جبل لبنان ونزلوا بارض عرقا ارسل اليهم البطرك يوسف الخِدَم والهدايا ورسائل المودة حسبما يخبر غليلمو اسقف صور. ولما تملكوا القدس الشريف واقاموا عليهِ ملكًا وبطركًا وارسلوا البشائر الى بلاد النصارى انفذ البطرك يوسف الجرجسي كما روى ابن القلاعي قصاده الى رومية فانفذ لهُ البابا تاجًا وعصاً مع رسائل البركة

ولم يفتأ الذين خلفوه جارين هذا المجرى حتى ارتقى الى البطركية ارميا العمشيتي وسنة الف ومائتين وتسع دخل الى رومية وحضر المجمع الذي عقده البابا زخيا الثالث في كنيسة مار يوحنا لاتران . وعند رجوعه الى جبل لبنان اعطاه البابا رسالةً بتاريخ سنة الف ومائتين وخمس عشرة في اليوم الثاني من كانون الآخر يقول فيها هكذا « وانتم ايها الاخوة والابناء نحتضنكم بالرب على موجب المحبة ونقبلكم مع الكنائس التي في اصقاعكم تحت حماية بطرس المطوّب وحمايتنا وبهذا الكتاب نؤيدكم ونأمر ان الرؤساء القاطنين في حدود الموارنة يلبسون ثياب الاحبار والعدد الموافقة لهم على زي اللاتينيين. وليجتهدوا في التشبه بكنيسة رومية في جميع الامور

« ثم اننا نثبت كراسي المطارنة والاساقفة التي سنأتي بذكرها وهي على مقتضى سلطان الرئاسة. لسيدة يانوح كنيستك ايها الاخ البطريرك المتولي رئاستها من الله تعالى وهم خاضعون لك وللذين يخلفونك. اعني مطرنية مار اسيا وجبة بشرّي واسقفية المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقة . والدرع المتضمن تمام الخدمة الحبرية تاخذهُ على مألوف العادة ويعطيك اياه بطرك انطاكية واجباً على الرضا من غير مانع. فاننا نحن نثبت لك العوائد الجارية التي كانت لك وللذين سلفوا قبلك في الكنيسة

الانطاكية الى هذا الآن وبالسلطان الرسولي نهبها لك وللذين يخلفونك »

وفي هذا كفاية لاثبات ما ذكرناه وهو ان كرسي انطاكية الذي بيد الموارنة ما زال دائماً مقيماً في جبل لبنان بقرب انطاكية وقد استمرّ ابدًا متحدًا مع الكنيسة الرومانية واصحابه يأخذون التثبيت من رؤساء كرسي رومية مع درع الرئاسة . وان اعترض احد بقولهِ ان كان هذا صحيحاً فلماذا البابا زخيا لم يُلبس الدرع للبطرك ارميا على موجب القوانين برومية بل كتب لهُ ان يأخذه من البطرك الفرنجي . فاعلم ان سبب ذلك واضح من الكتاب نفسه اذ يقول « اننا مثبتون لك العوائد الجارية التي كانت لك وللذين سلفوك في الكنيسة الانطاكية الى هذا الآن . وبالسلطان الرسولي نهبهُ لك وللذين يخلفونك »

ومن هذا يتبين ان البطاركة الذين تقدَّموا البطرك ارميا كانوا يسمون بطاركة انطاكية حتى في دولة الافرنج ايضاً وكانوا يأخذون التثبيت من بابا رومية على شبه البطرك يوحنا مارون وابن اخته كورَوس والسجلات باقية معهم . وقد ثبَّت هذه العادة لهم وللذين يخلفونهم كما هو واضح من كتاب التثبيت الذي انفذهُ الكسندروس الرابع الى شمعون الذي خلف ارميا

وكذلك كتب ادريانوس السادس الى شمعون الحدثي قائلاً « ادريانوس عبد عبيد الله الى الاخ المكرَّم بطرس بطرك انطاكية » وعلى مثالهِ كتب غريغوريوس الخامس عشر الى يوحنا الاهدني واوربانوس الثامن الى جرجس ابن عميره . وزخيا العاشر الى يوسف العاقوري . والكسندروس الى جرجس البشعلاني . واقليموس العاشر الى حقارتنا من غير مانع

ويثبت ذلك ايضاً مما حدَّه البابا زخيا في الفصل الخامس من المجمع اللاتراني وهو ان بطاركة الشرق عليهم ان يستمدوا الدرع المحتوي تمام الرئاسة من بابا رومية . واما سبب كتابته للبطرك ارميا ان يأخذ الدرع من البطرك الافرنجي فهو لان البابا كان ارسل لهُ التثبيت قبل ان يدخل الى رومية على موجب ما اخبره وطلب

منهُ الكردينال بطرس . ولما دخل روميــة لم يلتقِ بالرسول الذي كانت معهُ الدرع من اجل هذا كتب لهُ ان يأخذهُ من البطرك الافرنجي لانهُ كان وصل اليهِ

واما احبار كرسي رومية منذ الزمان القديم فلشدَّة اهتمامهم بسياسة بيعــة الله اظهروا محبــة جزيلة لطائفة الموارنة لاجل ثباتها في الطاعة واحتمالها المظالم والشدائد وهي بعيدة عنهم برًّا وبحرًا كما هو ظاهر من الرسائل التي انفذوها اليهم

ولنذكر الآن قليلًا من الرسالة التي انفذها اوربانوس الثامن للبطرك يوحنــا الاهدني سنــة الف وستمائة وخمسٍ وعشرين في ثلاثين يومًا خلت من شهر آب وفيها غنًى عن غيرها

« الى الاخ المكرَّم بطرس البطريرك الانطاكي

اوربانوس الثامن السلام والبركة الرسولية

لم يذبل البتة جمال الكرمل ومجد لبنان لم ينقص ولو ان العدو الباغي مدَّ يدهُ الخاطفة الى جميع طوائفه . وانتم ايها الاخ البطريرك الانطاكي وسائر اساقفة هذه الرعية المتسعة وكهنتها تكرمون سلطان بطرس المطوَّب في الكرسي الرسولي والحبر الروماني ومن قصد ان يصف نصرة صبركم واستحقاق ايمانكم وجب عليهِ ان يستمد الاكاليل من السماء فان الجحيم قد فتحت فاها في تلك البلدان وافاضت على كرم الرب الذي في نواحي المشرق فيضانات سامة وتعاليم الحادية فانقلب بعض الجهات التي كانت اشبه بفراديس الملائكة الى منازل للتنانين ولأن غير المؤمنين من جهة يستلّون عليكم سيف الكفر واهل البدع يقاتلون من أُخرى باسلحة غادرة شيطانية لكنكم انتم على مثال جبل صهيون تزدرون بشدَّة العواصف التي لا تقوى ان تزعزعكم » الخ

ولهذا كان البابوات يرسلون اليهم دائمًا احد الكردينالية كما هو مذكور في خبر البار يوحنا مارون ان البابا ارسل اليهِ كردينالًا فاجتمع بهِ في مدينة طرابلس الشام ومن هناك سافر معهُ الى رومية

كذلك يذكر ابن القلاعي في كتابهِ عن ثبات الصدق انهُ لما تغلّب انقليطوس الثاني عشر على كرسي رومية واوقع الانشقاق في بيعة الله انفذ البابا اينوشنسيوس الثاني في سنة الف ومائة واحدى وثلاثين الى البطرك غريغوريوس الذي من حالات الكردينال غوليلمو ليقسم لهُ بالطاعة ويكرز باسمهِ لا باسم المتغلّب. ويقول زخيا الثالث يذكر في رسالتهِ التي وجهها الى البطرك ارميا انهُ انفذ اليهِ الكردينال بطرس ليفتقدهُ ويدعوهُ لحضور المجمع برومية . وكذلك البابا غريغوريوس الخامس عشر الذي كان قد ربي في بلاد الشام مع عسكر الافرنج لما شرع في المجمع الثاني في لغدون لاجل انقاذ ارض الميعاد انفذ كردينالاً الى البطرك دانيال الحدشيتي سنة الف ومائتين واحدى وثلاثين وكذلك فعل ايضاً غيره من البابوات

ولما انهزم الافرنج من بلاد الشرق وصارت هذه الكنيسة مشتّتةً بين الامم الغريبة كالسفينة بين الامواج كان رؤساؤها يستنجدون بطلبات متواترة اصحاب الكرسي الروماني سائليهم ان يتعهدوهم بعنايتهم وقد ارسلوا اليهم عدّة كهنة من رهبان القديس فرنسيس . والبابا اوجانوس الرابع خصص اندريا اسقف رودس في جزيرة قبرص لقضاء مسائل البطرك حنا الجاجي اذا التجأ اليهِ

وكذلك كتب البابا نقولا الخامس الى البطرك يعقوب الحدثي ان يقصد اندريا المذكور وقت الضرورة . وحين تولّى سياسة البيعة البابا كسوسطوس الرابع اصدر اوامره الى رئيس رهبان مار فرنسيس الذي في تشيصمونتا موجباً عليهِ ان يرسل كل سنة من قبله كهنة مشهورين بالعلم والقداسة الى زيارة بطرك الموارنة في جبل لبنان . لكنهُ لما كانت التربية تقتضي زماناً مديداً والفوائد الناجمة عن المرسلين للطائفة قليلة لكونهم عابري طريق وغير عارفين بلغة البلاد استصوب البطاركة السالفون لكي يرشدوا رعاياهم بتعليم الايمان ويبعدوا عنهم الخطر الذي يتولد من مخالطة الامم الغريبة ومن قراءة كتب الهراطقة ان يقرروا تعليم اللغة اللاتينية الحاوية كافة العلوم الالهية والطبيعية

ولهذا عندما انفذ البطرك شمعون الحدثي رسوله الخوري يوسف ليؤدي الطاعة للبابا لاون العاشر انفذ معهُ شابين باسم الياس خبيرين في اللغتين العربية والسريانية ليتعلما اللغة اللاتينية ويتمكنا من افادة شعبهما عند رجوعهما لكنهما لم يفوزا بالغاية المطلوبة

ثم ان البطرك موسى العكاري الذي خلفهُ كتب الى بولس الثالث سائلًا اياه ان يأمر رئيس اديار القدس لكي يرسل من رهبانه ستة ليدرّسوا اللاتينية في جبل لبنان ولكن هذا السعي لم ينجح ايضاً . وبعد اتعاب جزيلة ومراسلات عديدة طلب البطرك ميخائيل الرزي من البابا غريغوريوس الثالث عشر ان يتفضل على الطائفة بانشاء مدرسة خصوصية لها في مدينة رومية لاجل تعليم الشبّان فتنازل قداسته الى اجابة سؤاله . على ان هذه المدرسة ولو انها كانت صغيرة فقد صدر عنها نفع كبير حتى ان الذين كانوا محتاجين الى من يترجم لهم صاروا تراجمين عند الملوك واصحاب الكرسي الروماني ونقلوا اسفار العتيقة من اللغات الشرقية الى اللاتينية ومن اللاتينية الى العربية . والذين كانوا امّيين في معرفة قواعد الايمان بلغوا اعلى الدرجات ونقّوا الكتب من الزؤان وتشرّفوا بالوعاظة على المنابر وهدّموا الآراء المضادّة واشهروا بالطبع مجلدات عديدة وردّوا كثيرين من الغرباء الى طاعة الكنيسة الجامعة

وقد تحقق عندنا انهُ كما ان السيد المسيح سأل الآب ان لا ينقص ايمان بطرس كذلك بنعمة مختصة من رحمتهِ جعل امانته محفوظة الى آخر الدهر في كرسيّي رومية وانطاكية اللذين جملهما بطرس باقنومهِ ليكون احدهما اسطوانة الايمان وميناء الخلاص في بلاد الغرب والآخر في بلاد الشرق لكل من يقصدهما . اما من حيث الكرسي الروماني فمن الواضح انهُ تحت ولاية بني الايمان . واما الانطاكي ولو انهُ تحت عبودية الامم الغريبة فقد برهنّا من مراسلات البابوات انهُ ما زال دائمًا متحدًا معهم وهو يشمل ويضمّ جميع الكاثوليكيين في بلاد الشرق وذلك امر ظاهر لانهُ من حين ملك

الهاجريون مدينة انطاكية فرَّ الافرنج القاطنون فيها الى جبيل وساحل جبل لبنان وكذلك لما وقع الاختلاف بين غويدون ملك القدس وبين ريمندوس البرنس في طرابلس تشتت جماعتهم ولم يجدوا ملجأ الَّا عند الموارنة . وهكذا القديس لويس الملك لما وقع في ايدي الاعداء عجز اتباعه عن العودة الى اوطانهم فهربوا من مصر الى جبل لبنان وكان الفريقان في تحاب وتوادّ ما عليهِ مزيد حتى كان كثيرون يتوهمون ان الموارنة فرع من الجيش الذي قادهُ غوفراد وتوهم آخرون انهم فرقة من عسكر لويس الملك . وبسبب هذه المخالطة احتملت الطائفة حروباً ومشقَّات لا توصف ولولا عناية الله الذي شاء ان يبقيها لحفظ امانتهِ في بلاد الشرق لكانت بادت وتلاشت

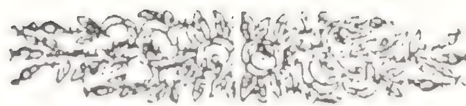
وفي سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين جلس على تخت السلطنة ناصر الدين محمد بن قلاون ومن شدَّة بغضته للافرنج ابرز امرًا عامًّا بالقبض على جميع رؤساء كهنة النصارى وسجنهم في دمشق . وفي تلك السنة قُتل البطرك جبرائيل من حجولا في مدينة طرابلس . وجهّز خمسين الفًا بين فارس وراجل لغزاة اعالي جبل لبنان ونهب اموالهم وسبي حريمهم واستئصال شأفتهم ووعد كل من يسبي امرأة انه يتركها لهُ جارية او صبيًا يتركهُ لهُ مملوكًا ومن احضر راسًا منهم يُعطى دينارًا

وفي سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين بسبب فراجوان رئيس دير بيروت نهبوا دير سيدة ميفوق كرسي البطركية وقتلوا كثيرًا من اعيان الطائفة في الزاوية وسلبوا اموالهم

وفي سنة الف وخمسمائة واثنتين وسبعين قتلوا منهم في جزيرة قبرص نحو ثلاثين الفًا . هذا ما خلا كثيرًا من الامور اضربنا عن ذكرها . وعندما اطمأنت البلاد وقدم القناصل والتجَّار من بلاد اوربا لبلاد الشام لم يكن يخدمهم في امور الدين قبل قدوم المرسلين سوى كهنة الموارنة ولم يسلك المرسلون في هذه البلاد الَّا بواسطة الموارنة ومن بطاركتها كانوا يأخذون الميرون وآلات القدس ويفرّقونها

على جماعتهم ليس في ابرشيــة انطاكية فقط بل في سائر بلدان المشرق ايضاً مثل قبرص واورشليم وفلسطين واسكندرية وغيرها

ولم يكن الموارنة يُجبرون الافرنج وحدهم بل سائر الطوائف الكاثوليكية في برّ الشام فانهُ لما جاءهم الارمن الطائعون لم يكونوا يعتمدون ولا يتقرّبون ويتزوّجون الّا على ايدي كهنة الموارنة. وكذلك السريان ورؤساؤهم وقت الضيق لم يكن لهم من ملجإ سوى كنائس الموارنة. حتى انهُ في سنة الف وستمائة واربع وتسعين لما برز الامر في اضطهاد كهنة البابا مانعاً كل احد ان يدخلهم بيته او يقبلهم في منزله و بذل الروم مجهودهم لكي يدخلوا الكاثوليكيين المقيمين في خدمة مدينــة بيت المقدس تحت طاعتهم لم يستطيعوا ذلك لان المذكورين قالوا انما نحن موارنة من جملة رعايا السلطان. فالحمد لله على عنايتهِ بخلاص شعبهِ فانهُ بصلاتهِ من اجل بطرس لم ينقص ايمانه ولم يطرأ الضلال على الكرسيين اللذين اقامهما في رومية وانطاكية



الشرح الثاني

فيما يخص الكاهن خادم القداس

بعد ما تكلمنا عن مراتب الكهنوت وجب علينا ان نتكلم عن خدمة الكهنة ونقسم هذا الشرح الى تسعة فصول

الفصل الاول في ان تقدمة جسد الرب وتوزيعه يخصَّان الكهنة فقط

الفصل الثاني في هل يجوز للكاهن ان يقدّس الاسرار من دون ان يتناولها

الفصل الثالث في هل يجوز ان يقدّس كاهنان او ثلاثة معاً

الفصل الرابع في هل يقدر الكاهن ان يمتنع عن خدمة القدّاس حياته كلها بغير اثم

الفصل الخامس في هل يجوز للكاهن ان يأخذ جراية اي حسنة على خدمة القدّاس

الفصل السادس في هل الخطيئة المميتة تمنع الكاهن عن خدمة القدّاس

الفصل السابع في هل يكون قدّاس الكاهن فاعلًا اذا اقامهُ وكان ساقطاً تحت حرم او في خطيئة او في هرطقة

الفصل الثامن في هل الادناس البدنية كالجنابة والمضجع وغيرهما تمنع الكاهن من القدّاس

الفصل التاسع في هل الفطور يمنع الكاهن عن خدمة القدّاس

الفصل الاول

في ان جسد الرب وتوزيعه يخصان الكهنة فقط

يذكر الكتاب المقدس ان الله لما اختار هارون وبنيهِ لتقدمة القرابين في العتيقة أَمر موسى بان يضع يده على رؤوسهم ويدهنهم بالطيب الطاهر ويلبسهم ثياب الكرامة ويدخلهم الى بيت القدس ويسلّمهم تضحية القرابين دون غيرهم . ولم يكتفِ بهذا فقط ولكنهُ أَمر امرًا قاطعًا ان كل اجنبي سواهم يتقدَّم الى التكهين موتًا يموت . وكذلك قال عن اللاويين ان كل اجنبي سواهم يمسّ المسكن فليُقتل . فاذا كان الله عزَّ وجلَّ قد كرَّم هكذا كهنوت هارون وجمَّل خدمته حتى انهُ جزم بقتل من يتعدَّى عليهِ وعلى ذريتهِ الى مجيءِ المخلص فمن يتوهم انهُ بعد زوال الرسم ومجيء الحقيقة يجعل كهنوت ابنه سائبًا لكل احد ويترك كل احد يتقدَّم الى تقديم جسده الكلي القداسة

فلذلك حين اجتمع الآباء الاطهار في نيقية وبلغهم ان الشمامسة الشيوخ في بعض الاماكن كانوا ينتهكون حرمة عوائد البيعة المقدسة فيقربون القسوس الاحداث وبعضهم كانوا يتقربون بايديهم مثل الاسقف والقسيس أَمروا في القانون الثامن عشر برذل هذه العادة الرديئة لان الذي لا يحلّ لهُ ان يقدّس القربان كيف يحلّ لهُ ان يقرّب القسَّان الذين يقرّبون ذبيحة جسد المسيح الطاهرة

ويذكر الانجيل الطاهر ان الرب لما اراد ان يقدّس جسده خلا بالرسل الذين كان قد تلمذهم ثلاث سنين واظهر لهم سرائر ملكوتهِ بالمواعظ والمعجزات ودخل بهم الى العلّيـة الصهيونية وامامهم قدَّس جسده ودمه الكريمين وعندما اعطاهم السلطان لتقديسه وتوزيعه على بني الايمان قال لهم « اصنعوا هذا لذكري الى حين مجيَّ » كقول يعقوب[١] السروجي في ميمره على آلام المسيح

ܟܕ ܐܬܐ ܒܣܘܦܐ ܗܘܐ ܠܗ ܕܢܚܘܐ ܟܕ ܠܫ̈ܠܝܚܘܗܝ

ܘܟܗܢ ܗܘܐ ܐܝܟ ܪܒ ܠܛܘܦܣܐ ܘܐܬܕܡܝܘ ܒܗ (١

ولم يرد الله ان يعطي هذا السلطان علانيةً لكن خفيــةً ليكون امره محتجباً ومحفوظاً بينه وبين كهنته ولذلك تسلَّم الكهنة منذ البدء ان يسبلوا الستائر على الابواب عند تقديس الاسرار والاشتراك فيهــا دلالةً على ان تقديس جسد الرب وتوزيعه غير سائب لكل احد بل هو مخصوص بالكهنة فقط

وبعد ان قام يسوع من بين الاموات اشهر هذا السلطان وكمَّلهُ حين ظهر للرسل في العليّة وقال لهم « كما ارسلني الآب انا أُرسلكم » (٢ . ثم نفخ في وجوههم قائلًا « خذوا روح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » (٣

واخيرًا في حال صعوده الى السماء رفع يديه وباركهم وبوضع يديه عليهم كمَّلهم في درجة الكهنوت . وهم ايضاً بوضع اليد ساموا بولس وسيلا وبقية الكهنة والرؤساء الى يومنا هذا فان جميع العطايا الكاملة والرتب الشريفة هي من العلا . والله بوضع يده على راس موسى منحهُ السلطان الجليل قدره . وموسى بوضع يده وهبهُ لهارون . ومن هارون جيلًا بعد جيل اتصل الى زكريا الكاهن الذي منحهُ لولدهِ يوحنا

ثم ان السيد المسيح لكي يتمم ما يقتضيه العــدل أَمر يوحنا الكاهن ان يضع يده على رأسهِ ليس لانهُ كان محتاجاً الى ذلك لان الله الآب كان قد ختمهُ باقنوم اللاهوت وارسل اليهِ روحهُ القدوس قائلًا « هذا هو ابني الحبيب » (٤ بل لاجل نظام الرتبة بين الذين يتعاقبون في البيعة ومن ثم يقول الشماس في رسامة الكهنة

ܚܙܐ ܪܡܐ ܟܠܗ ܛܘܪܣܝܐ ܘܐܠܝܢ ܐܡܪ ܟܠܗ ܡܘܡܐ

١) الترجمة : وقف كالحبر يكهّن امام تلاميذه ويقيم للكهنة مثالاً كي يأتموا بهِ

٢) يوحنا ٢٠ : ٢١   ٣) يوحنا ٢٠ : ٢٢

٤) متى ٣ : ١٧

ܘܣܡܗ̇ ܐܝܕܗ ܥܠ ܐܗܪܘܢ. ܘܐܫܬܠܡܬ ܥܕܡܐ ܠܝܘܚܢܢ.
ܘܝܘܚܢܢ ܣܡ ܐܝܕܗ ܥܠ ܡܪܢ. ܘܡܪܢ ܝܗܒܗ̇ ܠܫܠܝ̈ܚܐ. ܘܫܠܝ̈ܚܐ
ܕܟܝ̈ܐ ܣܡܘܗ̇ ܠܟܠܗܘܢ ܕܪ̈ܓܐ ܕܟܘܡܪܘܬܐ. ܘܩܝܡܘ ܗܕܐ
ܕܟܘܡܪܘܬܐ ܗܝ ܕܡܫܬܡܠܝܐ ܝܘܡܢܐ ܠܓܘ
ܥܕܬܐ ܒܐܝ̈ܕܘܗܝ ܕܐܒܘܢ ܡܚܣܝܢܐ (١

ولاجل هذا السبب اوجبت البيعة المقدسة ان لا يرقى احد الى درجة الكهنوت ما لم يُشهد لهُ انهُ ممتلئٌ روحاً وحكمة وانهُ خدم الشمَّاسية بغير لوم . وحينئذٍ نضع عليهِ اليد ونرفعهُ الى الدرجة الشريفة . وفي دعوة الروح ندهنهُ ونسأَل الله ان يعطيه خدمة مذبحه المقدسة اذ يقدَّم لهُ الذبيحة الكاملة التي هي جسد الرب ثم نحمِّلهُ الاسرار فوق رأسهِ ليزيّحها في البيعة ويطوف بها في القرى والمدن لافادة المؤمنين ثم نسلمهُ الجواهر المقدسة باليد ونأمرهُ ان يوزّع على الشعب خبز الحياة

اخيراً نوصيه قائلين « اعلم الآن ايها الحبيب ان الله قد اوصلك الى هذه العطية التي اشتاقت اليها الملائكة وفرحت بها . وانت ارتفعت الى هذه الخدمة المقدَّسة السريّة اي الى تقديس القربان الطاهر التي لم يكشفها للآباء المتقدّمين ولا للانبياء بل اوحى اليهم معرفتها بالنبوءَة من بعيد ورقدوا جميعاً على ذاك الرجاء الى مجيء سيدنا يسوع المسيح الذي جعل هذه القدرة لرسلهِ القديسين ولكلنا اجمعين جيلاً بعد جيل . لان الآباء الاولين والابرار والصديقين لم تكن اعمالهم كفوءًا لان يبلغوا الى هذه الجوهرة الثمينة التي هي جسد ودم ربنا الكريم الذي صارت لك

١) الترجمة : انحدر العليّ على طور سيناء ووضع يده على موسى وموسى وضع يده على هرون حتى انتهت الى يوحنا و يوحنا وضع يده على الرب والرب وهبها للرسل الاطهار فوضعوها لجميع درجات الكهنوت واقاموا هذه الدرجة الكهنوتية التي تتم اليوم داخل البيعة بايدي ابينا

الآن مقدرة على ان توزّعهُ بيديك وترفعهُ باناملك اللحمية وتفرّقهُ لشعبهِ المؤمن »

اذن تقدمة جسد الرب ليست مباحة لكل احد بل هي مخصوصة بالكهنة فقط الذين خلفوا الرسل وقاموا مقامهم

ويُبرهَن على ذلك ايضاً من تسليم البيعة المتفرّقة في الاربعة الآفاق ومن رتب الافاشين التي تألفت لهذا الامر ثم من قوانين المجامع لان الآباء الذين التأموا برومية في ايام البابا زخيا الثالث قالوا ان هذا السر الذي هو جسد الرب لا يجوز لاحد ان يقدّسهُ سوى الكاهن المرسوم على ما في القانون لان الكاهن هو وحده نائب المسيح والوسيط بينهُ وبين الشعب الذي اشتراه بدمهِ

ولذلك دوَّن الآباء في مجمع فلورنسا ان الكاهن بما انهُ متكلم باقنوم المسيح يقدس هذا السرّ. ولهذا السبب عندما يدخل لاقامة القداس يتوسل قائلًا

ܕܢܫܬܘܐ ܕܢܥܘܠ ܠܩܘܕܫ ܩܘܕ̈ܫܝܟ ܪ̈ܡܐ
ܘܡܥ̈ܠܝܐ ܘܢܩܘܡ ܩܕܡ ܡܕܒܚܐ ܕܩܘܕܫܟ ܒܕܟܝܘܬܐ ܘܒܩܕܝܫܘܬܐ
ܘܢܩܪܒ ܠܟ ܕ̈ܒܚܐ ܪ̈ܘܚܢܝܐ ܘܫ̈ܡܝܢܝܐ ܒܩܘܫܬܐ
ܕܫܪܪܐ (١

ويقول ايضاً فى الحسَّاية الافرعية

ܕܥܒܕܬܢ ܩܗ̈ܪܡܐ ܕܢܬܠ ܠܥܒ̈ܕܝܟ ܬܘܣܦܬܐ
ܘܢܫܡܫ ܥܠ ܦܬܘܪܟ ܦܓܪܟ ܘܕܡܟ ܕܟܝܐ (٢

وما ذكرنا عن تقديس جسد الرب يُفهم ايضاً عن ترتيبه وتوزيعه لان هذه

١) الترجمة : لنؤهل ان ندخل قدس اقداسك السامية والعلوية ونقوم امام مذبحك القدوس بنقاوة وطهارة ونقرب لك الذبائح الروحية والسامية بامانة الحق

٢) تفسيره : لانك جعلتنا قهارمة لنهب عبيدك القوت ونخدم على مائدتك جسدك ودمك الطاهر

الامور كلها تخص الكهنة حسب ما اوجب الآباء في القانون الثامن من مجمع نيقية الاول بقولهم « قد بلغنا ان الشمامسة الشيوخ في بعض الاماكن يخرقون عادات الكنيسة المقدّسة ويقرّبون القسوس الاحداث وان نفرًا منهم يتناولون القربان بايديهم مثل الاسقف والقس . فلهذا أمر الآباء باطّراح هذه العادة لكونها أمرًا غير جائز فان من لا يحلّ له ان يقدّس القربان ولم يُعطَ سلطانًا على ذلك كيف يقرّب القسّان الذين يقرّبون ذبيحة جسد المسيح الطاهرة وعليهِ فليلزم هؤلاء وغيرهم من الشمامسة الحدود التي وُضعت لهم ولا يتعدّوها وليتناولوا القربان من يد الاساقفة والقسوس لانهم دونهم في الدرجة »

وقد أذن الآباء للشمامسة من بدء البيعة ان يزيحوا دم المسيح ويناولوه للشعب في الكاس لانهم متوسطون بين الكهنة والشعب . والآباء الذين اجتمعوا في قرطجنة اذنوا للشماس الكبير ان يقرّب في الكنيسة بامر الكاهن ويأخذ القربان للمرضى باذنهِ . وان مرض الكاهن ولم يكن كاهن غيره يستطيع ان يأذن للشماس ان يحمل اليهِ القربان . فان عجز عن تناولهِ بيدهِ فلهُ ان يأذن للشماس لكي يقرّبهُ . وقد اثبت علماء اللاهوت انهُ اذا مست الضرورة ولم يكن كاهن فللشماس ان يقرّب نفسه ويحمل القربان للمريض المدنف فيقرّبه . ومفهومنا بالشماس هنا الانجيلي والرسائلي فقط

الفصل الثاني

هل يجوز للكاهن ان يقدس الاسرار بدون ان يتناولها

زعم البعض من الهراطقة ان الكاهن يقدر ان يقدّس بدون ان يتناول الاسرار . وقال آخرون انهُ لا يجوز لهُ ان يتقرَّب بيدهِ وبرهنوا على ذلك بقولهم كما انه لا يجوز للانسان ان يعمّد ذاته ولا يعرّف روحه ولا يرسم نفسه كذلك لا يجوز لهُ

ان يقرّب ذاته · لكن هذه الآراء فاسدة ومضادَّة لتسليم البيعة وعادات الكنيسة والفوائد التي تنبع من نَيل جسد الرب

اولًا لان المخلص هكذا صنع فانهُ اخذ الخبز وقدَّسهُ وتناول منهُ كما ذكر باسيليوس واوسطاتيوس في نوافيرهما وسنثبت هذا ان شاءَ الله في المنارة الاخرى · وهكذا ايضًا امر تلاميذه وسائر الكهنة ان يصنعوا كذلك ذكرًا لموتهِ لان تقديس الجسد في موضع وتقديس الدم في موضع آخر يُشار بهما الى موت الرب وبتناولهِ يُشار الى دفنهِ وقيامتهِ

ثانيًا يُبرهن ذلك من تسليم الكهنة بجميع اقطار النصرانية ومن تحديدات المجامع المقدسة لان الآباء الذين التأموا في مدينة توليدوس أمروا انه متى قدَّس الكاهن جسد ودم الرب على المذبح وجب ان يشترك في تناولهما · وكل كاهن يتقدَّم لتضحية جسد الرب ويمسك نفسه عن تناولهِ عليهِ ان يمتنع مدة سنة عن النعمة التي حرم نفسه منها بلا مسوّغ · وكذلك الآباء الذين التأموا بمجمع ترنت في المجلس الثالث عشر حرموا كل من يقول انهُ لا يجوز للكاهن ان يتقرّب بيدهِ

ثالثًا يُبرهن من راي البيعة لانهُ ليس من احد يغرس كرمًا او يزرع زرعًا ولا يأكل من تعبهِ · وكل كاهن هو خاطئ فاذًا كما يقرّب عن خطايا الشعب كذلك يقرّب عن نفسه وعن خطاياه كما يعلّم الرسول · ومثلما يوزّع جسد الرب لحياة الشعب كذلك يجب ان يشترك فيهِ لحياة نفسهِ · ويجب ايضًا ان يشترك فيهِ قبل غيرهِ لان الفلّاح يأكل من تعبهِ قبل كل احد كقول الرسول « ولا بد للحارث الذي يتعب ان ينال الاثمار اولًا » (١ والنبع يسقي اولًا الارض القريبة اليهِ ثم البعيدة عنهُ والمعلّم يكتسب العلم اولًا لنفسهِ ثم يوزّعهُ على الغير

رابعًا لان السيد المخلص لم يعطنا جسده كالخبز الّا ليكون لنا مأْكلًا ودمهُ كالخمر الّا ليكون لنا مشربًا وجعل المذبح شبه المائدة والكاهن مثل الخازن ورب

١) ٢ تيموتاوس ٢ : ٦

البيت الذي اقامهُ سيده على آل بيتهِ ليعطيهم القوت في حينهِ . اذن كما ان رب البيت وراس المتكئين يتقدَّم الجميع في التوزيع كذلك الكاهن يتقدَّم الكل في شركة جسد الرب وبعد ذلك يهبهُ لآل بيتهِ

خامساً لان الرب اعطانا جسده ليكون سرًّا وذبيحة . سرًّا لنتحد بهِ كقولهِ « من ياكل هذا الخبز فانه يعيش الى الابد » (١ . وذبيحةً حتى نقدّمه عن خطايانا فكل من يقدّم ذبيحةً يجب عليهِ ان يشترك فيها ويتناول منها ظاهرًا ليكون امره واضحًا انهُ ضحَّى نفسه لله واعتصم بهِ باطنًا كما قال الرسول « أَليس الذين ياكلون الذبائح هم شركاء المذبح » (٢

اخيرًا يظهر صدق هذا الامر من رتبة القداس فان جميع الآباء الذين رتبوا النوافير أَلزموا الكاهن بالشكر لله في اواخر القداس لاجل هذه الموهبة التي ادَّهنت بها شفتاه وتقدَّس جسده واستنار روحهُ . وعند ما يدور بالاسرار يصرخ قائلًا

ܬܘܒ ܘܬܘܒ ܒܟ ܡܗܝܡܢܝܢ ܘܠܟ ܬܫܒܚܬܐ ܡܩܪܒܝܢ

ܡܛܠ ܕܦܓܪܟ ܐܘܟܠܬܢ ܘܕܡܟ ܚܝܐ ܐܫܩܝܬܢ (٣

وبعد الختَام الاخير يتوسل قائلًا

ܕܐܟܠܬ ܦܓܪܟ ܩܕܝܫܐ ܢܘܪܐ ܠܐ ܬܐܟܠܢܝ. ܘܢܫܩܬܗ

ܠܥܝ̈ܢܝ ܚܢܢܟ ܡܪܝ ܚܙܝ̈ܢ ܟܠ (٤

ولاجل هذه الاسباب التي ذكرناها وغيرها يثبت علماء اللاهوت ان كل كاهن يقدّس دون ان يتناول يخالف رتبة هذا السرّ ويقترف مميتةً . وما قلناه عن تناول

---

١) يوحنا ٦ : ٥٩ ٢) ١ كورنثس ١٠ : ١٨

٣) ترجمته : ايضاً وايضاً نؤمن بك يا رب ونقدم لك التسابيح لانك اطعمتنا جسدك واسقيتنا دمك

٤) ترجمته : قد اكلت جسدك المقدس فلا تاكلني النار وقد ضممتهُ الى عينيَّ فلتشاهد عيناي رحمتك يا رب

الجسد نقوله عن تناول الدم ايضاً لان هذه الوليمة تكتمل بالخبز والخمر وان لم يكن احدهما كانت ناقصة . وكما ان الكاهن لا يحلّ لهُ ان يقدّس احد الشكلين دون الآخر كذلك لا يجوز لهُ ان يتناول الواحد دون الآخر . وان اعترض احد بقولهِ لماذا يجوز للكاهن ان يتناول ما يقدّسهُ ولا يجوز لهُ ان يعتمد ويعترف ويرتسم الّا على يد غيره . الجواب لان سائر الاسرار تصير بتقديس المادة واستعمالها ايضاً ولذلك لا يجوز لاحد ان يعمّد نفسه لئلا يكون فاعلاً ومفعولاً معاً . اعني مُعمِّدًا ومُعمَّدًا . واما سرّ جسد الرب فيصير بتقديس المادة التي هي الخبز والخمر وكلاهما لا يصيران جسد الكاهن حتى يصير هو الآكل والمأكول بل جسد الرب . وعند ما يقدّس الكاهن جسد الرب يجعلهُ ذبيحة لمغفرة الخطايا والذي يقدّم الذبيحة ظاهرًا يجب عليهِ ان يشترك فيها ليقدّم بها نفسه باطناً كما مرّ القول

الفصل الثالث

هل يجوز لكاهنين او ثلاثة ان يقدّسوا معاً

ارتاب بعضهم في هذا الامر وزعموا انهُ لا يجوز لكهنة كثيرين ان يقدسوا جملة لانهُ يعسر عليهم جدًّا ان يلفظوا جميعاً الكلام الجوهري ويتمّوه بدقيقة واحدة من غير ان يسبق احدهم رفيقه او ان يتأخر عنهُ في اللفظ . لكن العادة الجارية في بيعة الله شرقاً وغرباً لا سبيل الى ان نشكّ فيها ولا نزل ما استعملهُ الآباء الاطهار اركان الكنيسة لاسيما وان البابا زخيا الثالث والقديس توما المعظم واكثر علماء اللاهوت يثبتون ان ذلك حلال ومقبول في البيعة الجامعة . ويُبرهن عليهِ

اولاً من ان جميع الكهنة معطون سلطاناً لتقديس جسد الرب . اذن سواء كانوا كثيرين ام قليلين وقالوا كلام الرب على البرشانة باستقامة النية وموافقة اللفظ على قدر الاستطاعة فجميعهم يقدّسون

ثانياً يثبت هذا الرأي من تسليم البيعة منذ الزمان القديم لانهُ مذكور ان الرسل

القديسين لما اقتسموا البلدان للبشارة ولما اجتمعوا في وفاة السيدة قدَّسوا معاً. ويذكر لوقا البشير انهم « كانوا مواظبين بنفس واحدة على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات. ووقع الخوف على كل نفس » (١. ويقول الرسول ايضاً « فانا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأنَّا جميعاً نشترك في الخبز الواحد » (٢

وقد اجتمع الرسل وقدَّسوا ايضاً جميعاً لما قاموا برسامة الشمامسة مثل بولس وبرنابا وغيرهما وتسلَّموا ذلك من معلمهم الذي جمعهم كلهم وقدَّس امامهم جسده وأَمرهم ان يصنعوا هكذا لذكر موتهِ ووعدهم قائلاً « حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك فيما بينهم » (٣ « وكل ما تسألون الآب باسمي فانا افعله » (٤ وهم سلَّموا للبيعة ان يجتمع الكهنة في الكنيسة لا وقت الصلاة فقط لكن خاصةً لخدمة اسرار الرب لان القربان افضل من الصلاة وتقدمة جسد الرب افضل من جميع القرابين

ويذكر اقليموس تلميذ بطرس الرسول في الكتاب الاول الذي عند القبط « ان الرسل قالوا ان كان الاسقف هو المقدِّس فليقف القُسَّان عن يمينهِ وشمالهِ مثل التلاميذ ويشاركوه في الاسرار ويُعينوه في كل شيء. فالقسَّان الذين عن اليمين عليهم ان يهتمّوا بالتلحين على المذبح ليكرموا من يستحق الكرامة ويذلوا من يستوجب الذل. والذين عن الشمال عليهم ان يهتمّوا بالجمع ليكونوا على ما يجب من الهدوّ والادب والطاعة وهكذا تصنع كل كنائس الشرق في ايام الآحاد والاعياد الصارخة وخاصة في تكريس الميرون ووضع اليد وتقديس المذابح والكنائس كما هو محرَّر في بدء تقديس البيعة بصوت ܒܬܫܡܫܬܐ

ܘܪܝ ܠܟ ܩܝܡܝܢ ܐܦ ܟܗܢܐ ܩܘܪܒܐ

١) اعمال ٢ : ٤٢
٢) ١ كورنتس ١٠ : ١٧
٣) متى ١٨ : ٢٠
٤) يوحنا ١٤ : ١٣

ܡܪܢ ܡܫܝܚܐ ܕܗܘܐ ܝܬܒ ܒܝܬ ܓܘܕܐ ܕܫ̈ܠܝܚܐ. ܘܟܐܦܐ
ܘܡܪܗ ܕܡܫܡܫܢܐ ܦܬܘܪܐ ܒܝܬ ܡܘܡܬܐ ܠܒܘܫܐ ܡ̈ܫܒܚܐ
ܘܣ̈ܝܥܬܐ ܕܒܢ̈ܝܗ. ܗܘܐ ܐܝܟ ܒܢ̈ܝܬܐ ܕܙܝܬܐ ܩܐܡ ܒܪܝܫܐ
ܕܡܕܒܚܗ ܒܡܨܥܬܐ ܥܡܗܘܢ ܐܝܟ ܕܣܪ̈ܦܐ. ܘܟܗ̈ܢܐ
ܒܟܘܡܪܘܬܐ ܕܡܠܐ̈ܟܐ ܒܪܡܫ ܠܒܗ ܠܡܥܒܕܝ ܩܘܕܫܐ.
ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܡܩܒܠܐ ܠܗܘ

اعني كما ان السيد المخلص كان جالساً بين زمرة التلاميذ وسمعان الصفاة بين جمهور من الكهنة وسمعان ابن حونيا فوق صفوف بني هارون بمجدهم. كذلك راس الكهنة يقف امام المذبح ويكتنفهُ جميع الكهنة بنيهِ كغروس الزيتون حول مائدة الرب ومثل السارافيم والشيوخ حول مذبح الحمل واذ ذاك يحلّ روح القدس عليهم ويتقبّل قرابينهم

وهكذا تسلّمت الكنيسة الغربية كما يتضح من قوانين أَناقليطوس الذي كان في عصر الرسل وأَريستوس وصوتيروس وزافيرينوس الذين جمّلوا كرسي رومية بقداستهم وتدابيرهم فانهم امروا ان لا يُقدّس رؤساء الكهنة وحدهم واوجبوا ان يكون معهم قسوس يساعدونهم ويتقرَّبون معهم هم وجميع الخدَّام لئلا يمتنعوا عن درجات الكنيسة لانهُ هكذا دوَّن الرسل. وبمثل هذا قال أَناقليطوس البار في رسالتهِ الاولى

ويذكر البابا زخيا الثالث الذي تقلّد تدبير الكرسي الرسولي سنة الف ومائة وثمان وتسعين للرب ان الكردينالية القسوس كانوا يقدّسون معهُ. والقديس فرنسيس ابو الرهبان الصغار الذي ظهر في بلاد الغرب سنة الف ومائتين كان يحرّض تلاميذه على اقامة القداس الجمعي اذ يقول اعظكم واناشدكم بالرب ان يُقدَّس حيث تسكن الاخوة قدَّاس واحد فقط في النهار على رتبة الكنيسة الرومانية المقدَّسة

وان كان هناك كهنة كثيرون مرتبطون بالمودَّة فليرتضِ الواحد بحضور تكهين القس الآخر اي خدمته

ثالثًا يثبت هذا الراي من العادة الجارية الى يومنا هذا في البيعة جميعها لانهُ في بلاد الشرق في الاماكن العامرة لا يقدّس اكثر الكهنة الَّا جملة وخاصةً في خميس الاسرار والاعياد الفارحة. وفي سيامة الكهنة ورؤسائهم يجب ان يكون مع الراس اسقفان ثلاثة ما عدا القسَّان. وفي الكنيسة الرومانية عند رسامة الكهنة قبل النافور ثم انهم يقدّسون مع الراس ويقولون الكلام ويتناولون الاسرار من يدهِ. وعليهِ لا نستطيع ان نحتقر تسليمات البيعة ونذين الآباء المتقدمين بدون امرٍ داعٍ

رابعًا كما ان سرّ القربان هو سرّ المحبة وكما ان الخبز والخمر يجتمعان من حبوب كثيرة ويتناول منهما جملة أُناس كذلك اجتماع الكهنة لتقديسهما وشركتهما يصوّر لنا اتحادهم في السلام والمحبة مع الله ومع بعضهم كقول الرب « من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ » (١. ويبيّن انهم ينالون طلباتهم بسهولة كقول الرب ايضاً « الحق اقول لكم اذا اتفق اثنـان منكم على الارض في كل شيء يطلبانه فانه يكون لهما » (٢. ولهذا تطلب البيعـة في تجنيز الكاهن باسمهِ ان يذكره سائر الكهنة في اجتماعهم لتقدمة جسد الرب قائلة

ܐܚܝ ܐܬܕܟܪܘܢܝ ܒܟܢܘܫܝܟܘܢ ܘܒܝܬ ܣܕܪ̈ܝܟܘܢ (٣

وفي موضعٍ آخر نسأل قائلين

ܟܢܫ ܡܪܝܐ ܝܠ̈ܕܝܗ̇ ܠܘܬ ܚܕ ܡܒܘܥܐ ܕܢܗܘܘܢ

ܡܫܡܫܢܝܢ ܠܐܝܩܪܟ (٤

---

١) يوحنا ٦ : ٥٧ ٢) متى ١٨ : ١٩

٣) معناه : اذكروني ايها الاخوة في اجتماعاتكم و بين اجواقكم

٤) ترجمته : اجمع يا رب اولادها الى منهل واحد ليكونوا خدمة لجلالك

ثم ان القسوس ايضاً في القداس الجمعي عليهم ان يساعد بعضهم بعضاً حذرًا من الغلط والضجر والطيش فقد قال ابن سيراخ « الويل لمن هو وحده لانهُ اذا سقط فليس آخر ينهضهُ وان مات ليس من يخبر عنهُ » (١ وقال الحكيم « ان الاخ أَمنع من مدينة محصّنة » (٢

اخيرًا ان خدمة الله تصير بالكثرة مكرَّمة ومبجلة كقول داود « ما اطيب وما أَلذّ ان يسكن الاخوة معاً » (٣ لان انتظام أَلحانهم وتوافق ادعيتهم وحسن ترتبهم ينشر عرف التسبيح من افواههم والتهلّل من قلوبهم والبخورات من ايديهم فيهدمون قوَّة العدو ويبني كل منهم رفيقه ويجعلون الهيبة تشمل قلوب الحاضرين كقول البيعة في يوم الاحد « فيهِ البيعة تصير مبتهجة بترتيب الكهنة والشعب وفيهِ تتزين بافخر ملبوس بحسن الالحان وشرح الكتب » لكن فليحذر الكهنة في القداس الجمعي وليعلموا ان الذين لا يقدسون عندما يقال الكلام الجوهري ينبغي ان يقفوا الى الوراء ولا يقولوا لفظ التقديس جملة لان كل من يقولهُ يلتزم ان يتناول جسد الرب

واما الذين يقدسون مع المُبدِل فيجب ان يكونوا معهُ جميعاً بقلب واحد وروح واحد ويتبعوه في الرتبة والقراءة سرًّا . وليحذروا لدى تلاوة كلام التقديس ان يسبقهُ احد بل يجتهدوا ان يتلوه سرًّا تابعين لهُ حرفاً بحرف الى آخر الكلام . وعندما يسجد يجب ان يسجدوا هم ايضاً . واذا أَمر احدًا منهم ان يقرأ صلاة فليطعه كما يطيع الراسَ لاجل ان تكون خدمتهم واحدة ومقبولة عند الله

وعلى الكاهن الخادم ان لا يلتهي بما يخص خدمة الشماس ولا يتكلم مع المُبدل الا في اشياء ضرورية بل يجب ان يسعى معه بما يخص التقديس في النية والكلام

١) جامعة ٤ : ١٠ ٢) امثال ١٨ : ١٩

٣) مزمور ١٣٢ : ١

وهكذا نجاوب من يزعمون انهُ من العسر جداً ان اثنين يتلوان الكلام الجوهري في دقيقة واحدة. لان الله اعطانا جسده بصفة وليمة ويجب ان تتفق نية المدعوين على رأي واحد اي حضور جسد الرب كما يصير في رسامة الكهنة وغيرها

الفصل الرابع

في هل يقدر الكاهن ان يمتنع عن خدمة القداس حياته كلها بغير اثم

ان هذا السؤال لا يلاحظ كهنة الرعايا الذين اؤتمنوا على تدبير النفوس لانهم التزموا بخلاص خرافهم ليعطوهم القوت في حينهِ اعني تعليم الايمان وجسد الرب وباقي الاسرار كما قال الرب « ان الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (١. وقد شبههُ بالسراج المضيء الموضوع على المنارة والمدينة المبنية على الجبل والملح المصلح والخازن الامين (٢

وقال بطرس الرسول « ارعوا رعية الله التي فيكم متعاهدين لها لا عن اضطرار بل عن اختيار ولا لمكسب خسيس بل بارتياح. ولا كمن يتسلط على ميراث الله بل كمن يكون مثالاً للرعية » (٣

اما بشان القسوس الذين لم يؤتمنوا على رعية ولم يقبلوا وضع اليد على مدن ولا قرى كالرهبان والمتوحدين فنجاوب قائلين ان كل من قبل درجة الكهنوت يجب عليهِ ان يظهر فائدة الموهبة التي نالها من الرب كقول الرسول « وبما انَّا معاونون نسأ لكم ان لا يكون قبولكم نعمة الله في الباطل » (٤

والسيد المخلص لما قدَّس جسده في العلية الزم الرسل ان يقدّسوا قائلاً « هكذا تصنعون لذكر موتي ». وبهذا الامر اوجب على جميع الكهنة ان يقدّسوا جسده

١) يوحنا ١٠ : ١١ — ٢) متى ٥ : ١٣

٣) ١ بطرس ٥ : ٢ — ٤) ٢ كورنتس ٦ : ١

لتذكار موته ولمجد الله وقديسيه ولاجل افادة نفوسهم وبنيان بيعة الله الجامعة التي هي جسد الرب كما كتب الرسول « ان الله خصَّ العضو الناقص بكرامة اعظم لئلا يكون في الجسد شقاق بل يكون للاعضاء اهتمام واحد بعضها ببعض » (١

وايضاً لان خدمة القداس سهلة جدًّا لا تقتضي كلفة فضلًا عن كونها مبهجة وجزيلة الفائدة فلا يجوز ان يمتنع عنها احد كل حياته من دون ان يحتقر جسد الرب ويصير سبب شك وعثرة ما لم يكن لهُ عذر ضروري

والقديس امبروسيوس يخاطب الرب قائلًا « انهُ لامر شديد ان لا نتقدم الى مائدتك بقلب طاهر وايدٍ نقية . لكنه اشدّ من ذلك اذا امتنعنا عن التضحية خوفاً من الخطايا » لان الله ما اعطانا هذه الموهبة الا لتكون سبباً لغفران الخطايا واكتساب الحياة الدائمة . فمن يجعلها باطلة برضاه فهو يشبه الذي دفن وزنة سيده في الارض ولما أُحضر للحساب امر السيد خدَّامه ان يلقوهِ في الظلمة البرانية حيث يكون البكاء وصريف الاسنان (٢ . ويقول القديس افرام في مدرج يوم الاربعاء بصوت

ܐܘܝ ܠܝ ܗܘ ܐܬܐ
ܟܟܪܐ ܛܫܐ ܠܝ ܕܟܗܢܘܬܐ ܘܒܪܦܝܘܬܝ ܒܐܪܥܐ
ܛܡܪܬܗ̇ . ܘܡܢܝ ܗܘ ܕܐܬܐ ܘܐܬܒܥ ܡܢܝ ܠܘܬܝ ܥܒܕܐ ܐܢܐ
ܡܫܚܠܐ . ܘܠܐ ܐܬܬܓܪܬ ܒܟܣܦܗ ܘܐܥܦܦܗ ܠܟܠܗ (٣

ويقول القديس توما الملفان « ان كل كاهن يلتزم ان يقدّس اقل ما يكون في الاعياد الكبيرة مثل القيامة والعنصرة والميلاد وسائر الاعياد التي يتقرَّب فيها الشعب وكهنة الرعايا يجب ان يقدّسوا اقل ما يكون قدَّاساً في الاسبوع للرعية » اما

---

١) ١ كورنتس ١٢ : ٢٤ ٢) متى ٢٥ : ٢٥

٣) الترجمة : مخفي وزنة الكهنوت وبتراخيَّ طمرتها في الارض فالويل لي عند ما يأتي ويطلبها فانا عبد كسلان لم اتاجر بفضتهِ فأضاعفها

الذين طعنوا في السن وضعفت قوتهم وقلَّ نظرهم فلا لوم عليهم اذا لم يقدّسوا وكذلك الذين يأخذهم السهو والصرع والمسجونون في الحبوس من الحكام والمربوطون من الرؤساء . وهؤلاء ينبغي ان يبادروا الى القداس لدى فكاكهم . ثم المنفيون بسبب الامراض كالجذام وغيره فانهم لا يجب ان يقدّسوا علنًا في الرعية لكن سرًّا وخفية اذا كانت لهم رغبة وتسهَّل لهم الامر

الفصل الخامس

هل يجوز الكاهن أن يأخذ جراية (حسنة) على خدمة القداس

ان الناموس الطبيعي يوجب للفاعل اجرته وكل من يستوجر فحقّ لهُ ان يأكل من ثمرة خدمته الكرَّام من كرمهِ والراعي من رعيتهِ والجندي من جهاده والفلّاح من ارضهِ

وكذلك امر الله ان الذين يُنادون بالبشارة منها يعيشون والذين يخدمون بيت القدس من بيت القدس يقتاتون والملازمين للمذبح يُقاسمون المذبح . والحال ان خدمة القداس هي اجلّ الخدم الكهنوتية وافضلها فاذن متى كمَّلها الكاهن يستوجب الجراية ليعيش بها كما هو جارٍ في كل بيعة الله . ويأخذ الجراية حلالاً سواء كان فقيرًا او غنيًا لانها بدل تعبه واذا تنازل عنها برضاه فله الخيار لان صاحب الرزق لهُ ان يتصرَّف بهِ كما يشاء وعلى قدر النية يزداد أجرًا وثوابًا . وكما ان الرجل الفاضل يبيع مقتناه ويوزّعهُ على المحتاجين ليكون لهُ كنزًا في الآخرة كذلك يقدر الانسان ان يعطي القسيس برضاه ازيد من جراية القداس ويمكن للكاهن من نفسه ان يتخلّى عن تعبه ويجعلهُ خيرًا

واما كمية جراية القداس فقد اختلفت آراء العلماء اللاهوتيين فيها لان الاجر على قدر الاستحقاق . اما استحقاق القداس فقال البعض ان ليس لهُ حد ولا نهاية

لكن كما ان تقدمة جسد الرب على الصليب كانت تفوق كل قياس وبها المخلص ارضى الله وصار لنا حكمةً وبرًّا وطهارةً وخلاصاً كذلك يثبت المعلم كيتان مفسّر كتب توما الملفان ان استحقاق القداس غير محدود وان الكاهن يستطيع ان يوفي كفايةً بقداس مفرد عن نية واحد وكثيرين من دون فرق

واما العلاَّمة شكوتو وغيره فقالوا ان استحقاق القداس محدود وكل شيء اذا تقسم ينقص كذلك القداس اذا قدمهُ الكاهن عن كثيرين لا يُفيد كما اذا قُدم عن واحد فقط. ثم انهم يفرقون بين قداس الكاهن والتقدمة التي صارت على الصليب لان تقدمة الصليب قدَّمها اقنوم الهي غير محدود وهذه يقدّمها الانسان الذي هو خليقة ضعيفة ناقصة. وتلك التقدمة كانت كفوءا لا فاعلة. اما تقدمة الكاهن فيجب ان تكون فاعلة اذ تمنح النعمة لمن تُقدَّم من اجله

واما العالم سيليبسطروس فسلك في الطريق الاوسط بين هذين الرأيين وقال ان الكاهن عندما يقدّس من اجل كثيرين فان سمّاهم كان قداسه مفيداً لكل واحد منهم كأَنهُ قدس لهُ وحده. وان لم يسمهم بل قدَّس من اجلهم اجمالاً تكون حينئذٍ فائدة كل واحد منهم غير كاملة. ولكل من هذه الآراء أَتباع واسباب يحتجون بها نضرب عن ذكرها حبَّ الاختصار

واعلم اولاً. ان البيعة تأمر ان تُقام جميع الصلوات والقداديس تذكارًا عامًّا لاجل امان وسلام بيعة الله في سائر العالم. وخاصةً لاجل الكاهن الذي يقدّم القداس ولاجل والديه والمحسنين اليهِ ثم لاجل رؤساء الكهنة والملوك المؤمنين ولاجل الذين سعوا في تقدمة ذلك القربان. وهولاء جميعًا لا ينقصون شيئًا من القداس ولا استحقاقه لان الله يحبّ ان يحيا الناس جميعًا وقد جعلنا نحن واياهم جسدًا واحدًا بابنهِ الوحيد ليقرّب الطلب بعضنا عن بعض

ثانيًا. ان جميع الحاضرين في خدمة الاسرار بما انهم شركاء الكاهن في تقدمة الذبيحة السريَّة يربحون منها كلهم سواء كانوا كثيرين او قليلين من غير ان يعرض

على قيمة القداس نقصان كمثل ان يقرأ ناس كثيرون على نور شمعة واحدة او يصطلي جم غفير على نار واحدة

وقد ذكرنا هذا لئلا يتوهم الشعب ان القداس الذي يحضره ناس قليلون افضل وانفع من قداديس رؤساء الكهنة ومحافل القديسين التى تجتمع فيها كل الرعية لان جميع الشعب يشتركون مع الكاهن كل واحد على قدر نيته وتعبه . وحيث تزداد الطلبات مع القرابين والعبادة يلزم ان يكثر راس مال النعمة ايضاً

ثالثاً . ان القداس الجَمْعيّ الذي يلتئم فيهِ عدَّة كهنة ويقدّسون كلهم معاً قداساً واحداً فكل واحد منهم ينال استحقاقاً كاملاً من غير ان يخسر رفيقه شيئاً لان كل واحد منهم كفوءٌ لتقدمة القداس ويكمّله مع غيره كما لو كان وحده . فضلاً عن ان القداس الجمعي ربما كان ادعى لازدياد العبادة والكرامة وسرعة استجابة الطلبات المؤثرة

وكما ان كل احد من الكهنة والشمامسة يوفي عن ذمته في صلاة الجمعة كما لو صلّى وحده كذلك في تناول الجسد يمكن للشعب الكثير ان يشترك في قربانةٍ واحدة ويخصّص كل واحد منهم فائدته بمن يشاء من الاحياء والاموات . فبنوع احرى اذاً يستطيع كل واحد من الكهنة في القداس الجمعي ان يخصصه بمن يريد أما للاحياء فليزدادوا نعمةً بوجه الاستحقاق واما للموتى فلمغفرة العقاب مكافأةً

رابعاً . اذا أُعطيت للكاهن جرايات كثيرة في يوم واحد امـا لاجل المرضى او القتلى في الحروب وامـا لاجل الموتى في سنين الوباء او لان ذلك المذبح مكرَّم او لتكاثر ورود الزوار او لان صاحب الجمعة يحبّهُ الشعب . ففي هذه الحوادث وامثالها يقدر الكاهن ان يوفي بقداس واحد عن كثيرين لانهُ لا يجب ان لا يقبل حسنات المؤمنين ولا جرت العادة ان يطلب غيره من الكهنة لكي يقدّسوا معهُ ولا يلتزم ان يسافر للمواضع المنفردة كل يوم ليقدّس على ذلك المذبح . ولا يليق

بان الحسنات التي أُرسلت باسمهِ او باسم المذبح تعطى للغير وخاصةً اذا كان عوزه واضحاً

خامساً · جرت العادة من الزمان القديم ان الشعب في ايام الآحاد والاعياد المكرَّمة يقدّم للكنيسة طحيناً وقرابين وخمراً ويجمع الصواني وغيرها للكاهن فيوفي عن جميعهم في قدَّاسه بصفة تذكار من غير ان يلتزم ان يقدّس لهم يوماً آخر

ومما ذكرنا يُستدل انهُ ولو سلمنا ان استحقاق القداس محدود فان الكاهن يستطيع في بعض الاوقات ان يوفي بقداس واحد عن جرايات كثيرة اما بسبب العوز والفقر واما لكون الشعب يريد ذلك واما لاجل الضرورة · لان استحقاق القداس لا يثمَّن بالامور الجسدية ومن يساوم في جرايته كما يساوم في البيع والشراء فانه يقع في خطيئة سيمون الذي رام ان يقتني نعمة روح القدس بالنقود فقال لهُ بطرس الرسول « لتذهب فضتك معك الى الهلاك · لانك ظننت ان موهبة الله تُقتنى بالنقود » (١

ثم ان الآباء بحسب احوال البلدان المختلفة حدَّدوا جراية القداس للكهنة وروسائهم لكي تكون موافقة للكهنة والشعب معاً اي لا تكون ثقيلة على الشعب ولا قليلة على الكهنة

وكما ان الرب في العتيقة لم يأذن لسبط لاوي ان يأخذ حصَّة من الميراث مع اخوته بل جعل لهم العشور والبخور والقرابين لاجل معاشهم · وكان الكاهن منهم بيوم واحد يقدّم المحرقة الدائمة وذبائح الرضى وقربان الخطيئة ويوفي عن جميعها هذا عدا ما كان يُعطاه سرًّا

كذلك في الجديدة يجب ان يكون معاش الكهنة على الشعب المؤمن ليدمنوا

١) اعمال ٨ : ٢٠

على خدمة الله وخلاص الانفس لان تقدمة جسد الرب تحوي جميع ذبائح القدماء باشرف نوع

والذي كان يأخذه الكاهن في العتيقة بذبائح متفرّقة ففي الجديدة يستحقه الكاهن بذبيحة واحدة. لكن ان قدر الكاهن ان يوفي كل جراية وحدها فهو اصلح لهُ وانفع لواهب الجراية

الفصل السادس

في هل الخطية المميتة تمنع الكاهن عن القداس

لا ريب ان كل من يتقدَّم لتناول جسد الرب وهو في خطيئة كاملة يقترف خطية مميتة فقد قال الرسول « من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس وهو على خلاف الاستحقاق انما يأكل ويشرب دينونة لنفسه » (١

وسبب ذلك هو ان جسد الرب يمنح الحياة والخطية تولد الموت. جسد الرب يجعلنا واحداً معه بالروح والخطية تستعبدنا للشيطان. جسد الرب يلبسنا ثوب القداسة والخطية ثوب السخط واللعنة. جسد الرب بضيائه يرشدنا الى شركة الثالوث الاقدس في المجد الابدي والخطية بظلامها تحشرنا في الجحيم حيث ميراث الذين اسخطوا الله بسوء افعالهم

ولهذا يحذرنا الرسول قائلًا « لا تستطيعون ان تشربوا كاس الرب وكاس الشياطين. ولا تستطيعون ان تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين » (٢. وفي موضع آخر يقول « اية شركة بين البرّ والاثم واية مخالطة للنور مع الظلمة واي ائتلاف للمسيح مع بليعال » (٣

ويقول يوحنا « ان الله نور وليس فيهِ ظلمة البتة. وان قلنا لنا شركة معه

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٩
٢) ١ كورنتس ١٠ : ٢٠
٣) ٢ كورنتس ٦ : ١٤

وسلكنا في الظلمة نكذب ولا نعمل بالحق ولكن ان سلكنا في النور كما انهُ هو في النور فلنا شركة لبعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية »(١

وعليهِ فكل من يشترك في جسد الرب وهو في خطية يظلم جسد الرب ويأخذ دينونة لنفسه لانهُ اراد ان يجمع بين النور والظلمة وكل مرّة يتناول الكاهن جسد الرب او يقدّسه او يناولهُ للشعب وهو غير مستحق يقترف مميتة

اولاً . لان الكاهن نائب الله والنائب يجب ان يشبه من أنابه عنه كقوله تعالى « كونوا قديسين لاني قدوس » (٢ . وكقولهِ ايضاً « من اراد ان يتبعني فليسمع كلامي » (٣ . وقال في المزمور الخمسين « مالك تحدّث بحكمي وتأخذ عهدي على لسانك . وأنت قد ابغضت التأديب ونبذت كلامي وراءك . فظننت اني مثلك . لأوبخنك وانصبنَّ اثامك لعينيك » (٤

ثانياً . لان الكاهن رأس الشعب وقد قال الله على لسان ابن سيراخ على شبه قاضي الشعب تكون خدامه وعلى شبه رئيس المدينة تكون سكانها

ثم ان الله قد شبّه الكاهن بالخازن الامين وبالسراج المنير والملح المصلح ليرشد الشعب بكلامهِ وحسن سيرته والّا اباده من امام وجهه وطرده الى الظلمة البرانية كقولهِ تعالى « اي رجل من نسلكم على ممرّ اجيالكم تقدّم الى الاقداس التي يقدّسها بنو اسرائيل للرب وهو في نجاستهِ تُقطع تلك النفس من امامي انا الربّ » (٥

ثالثاً . لان الكاهن يحتقر النعمة التي نالها من وضع اليد ولذلك قبل ان اعطى الرب الرسل سلطان الحل والربط منحهم روح القدس قائلاً « خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم » (٦ .

---

١) ١ يوحنا ١ : ٥ ٢) احبار ١٩ : ٢
٣) متى ١٦ : ٢٤ ٤) مزمور ٤٩ : ١٦
٥) احبار ٢٢ : ٣ ٦) يوحنا ٢٠ : ٢٢

واراد بذلك ان ينبههم لكي لا يتصرَّفوا في اسراره الا بعد ان يكونوا قبلوا نعمة الروح وقال في سفر الخروج « وليتقدَّس ايضاً الكهنة الذين يتقدَّمون الى الرب كيلا يبطش الربّ بهم » (١

رابعاً . لان الكاهن يظلم جسد الرب الذي بذلهُ عنا ليهدم جسد الخطية بهِ . ولهذا قال الله على لسان اشعيا النبي « تطهروا يا حاملي آنية الرب » (٢ . وقال ايضاً « من نحر ثوراً فكأنما قتل انساناً ومن ذبح شاة فكأنما وقص كلباً ومن أَصعد تقدمةً فكأَنما اصعد دم خنزير . ومن قرّب لُباناً فكأَنما يبارك وثناً » (٣ . والقديس ديونيسيوس تلميذ الرسل قال « لا يجوز ان يدنو الاشرار من الاسرار »

فمما مرَّ يتضح انهُ لا يجوز للكاهن ان يتصرَّف في هذه الاسرار ذات الحياة وهو في خطية مميتة فانهُ يظلم جسد الرب ويأْخذ لنفسهِ دينونةً وحكماً وتحل عليهِ وعلى كل من يتناول جسد الرب بغير استحقاق الاثنتا عشرة لعنة التي حلّت على يوداس الذي تناول جسد الرب وهو في نجاسة الخطية وعلى الصالبين ايضاً الذين اشار اليهم داود بقولهِ « جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلاً . لتكن مائدتهم قدامهم فخاً وجزاءً وشركاً . لتظلم عيونهم فلا يُبصروا . واحنِ ظهورهم كلّ حين . صبّ عليهم سخطك وليدركهم وغر غضبك . لتصر دارهم خراباً ولا يكن في اخبيتهم ساكن . زد على اثمهم اثماً ولا يدخلوا في برّك . ليُمحوا من سفر الاحياء ومع الصديقين لا يكتبوا » (٤

فالذين يجعلون في طعام الرب وخبزه مرارة الخطية ويمزجون في كاس دمه النفاق يستوجبون هذه اللعنات . الاولى . انهُ يجعل مائدتهم امامهم فخاً اعني كما ان الفخ ينطبق على الطير عند اكلهِ الحبّ ومثلما سقط يوداس في فخ الشيطان عند اكلهِ خبز الربّ كذلك يصير في من يدنو اليهِ بغير استحقاق

١) خروج ١٩ : ٢٢ — ٢) اشعيا ٥٢ : ١١

٣) اشعيا ٦٦ : ٣ — ٤) مزمور ٦٨ : ٢٢

الثانية . يجعل مائدتهم جزاءً فانهُ كما ان الابرار يزدادون نعمةً وأيدًا من الله حين يتناولون جسد الرب بقداسة هكذا الذين يتناولونهُ وهم متلطخون بنجاسة الخطية يزدادون دينونةً ونقمــة كالبقرات التي ابصرها فرعون في الحلم ترعى على شاطئ النيل بعضها كان يزداد سمنًا وقوةً والبعض الآخر ضعفًا وهزالاً

الثالثة . ان تظلم عيونهم فلا يبصروا اي تضــل بصائرهم واذهانهم عن طريق الخلاص

الرابعة . ان تنحني ظهورهم كل حين اعني انهُ يصيرون على مثال آدم بعد ان أكل الثمرة المحرّمة فتتسلط عليهم شهوات الجسد وتُبعدهم عن فردوس الله وسبيل الفضائل وتصرف هممهم الى الامور الفانية

الخامسة . ان ينصبّ عليهم سخط الله اي ان الله يُنزل بهم غضبـه كسيول الطوفان ويُحدر عليهم رجزه كما احدر عمَد النار على سدوم

السادسة . ان يدركهم وَغر غضبه اي كما انهُ سخط على بني اسرائيل والطعـام في افواههم كذلك يُحلّ سخطه عليهم

السابعة . ان تصير دورهم خرابًا . اعني ان ارواحهم تحرم جميع الخيور الروحية مثل كهنة اسرائيل حين انشقّ هيكلهم

الثامنة . ان لا يكون في أَخبيتهم ساكن اي ان الله يقطع نسلهم ويبيد ذراريّهم كما فعل ببني قورح حتى لا يكون لهم وارث

التاسعة . ان يزيدهم اثمًا على اثمهم اي يجعل قرابينهم كالخمير الفاسد لينتقلوا من خطيئة الى شرٍ منها

العاشرة . ان لا يدخلوا في برّ الله اي لا يستوجبوا السعي في سبل الفضــائل ليسترجعوا النعمة

الحادية عشرة . ان يُمحوا من سفر الاحياء اي يعدموا استحقاق الخلاص لانهم كتبوا اسماءهم في سفر الهلاك وتعبَّدوا للشيطان

الثانية عشرة ان لا يُكتبوا مع الصديقين · اعني ان يُطردوا من الدخول الى الملكوت ومن صحبة الابرار لانهم اختاروا لانفسهم الهلاك · وقد أظهر الله هذا الغضب في العتيقة بعالي الكاهن لما احتقر ذبائح الله واكرم بنيه عليها فحطم ذراعه وذراع بيت ابيهِ وغيّر وعده معهم وأضعف عينيهِ وأحزن نفسه وأماته وأمات بنيهِ في يوم واحد ودعا على اولاده الصغار بالفقر وان لا يشيخ احد من بيتهِ جميع الايام بل يموت شابًا ويدخل خصمه بدلًا منهُ في خدمة الهيكل لانهُ قال عزَّ من قائل « ان الذين يكرموني اياهم اكرم والذين يستهينون بي يهانون » (١

واظهر الله تعالى هذا الغضب في الحديثة ايضًا بيوداس اللعين الذي لما تناول الخبز المقدس دخلهُ الشيطان وسلّم معلّمهُ للصالبين ثم شنق نفسهُ بيدهِ من شدَّة اليأس وبعد ما عدم الحياة عدم النعيم وشركة الرسل والقديسين وصار جزاؤه الهلاك الى ابد الابدين

وجرى مثل هذا في اهل كورنتس كما يذكر الرسول وفي غيرهم ايضًا كما يُعرف من كتب البيعة وكل احد يجازى على قدر شره لان خطية المعمَّد الذي نكر دينه ثم تقدم لقبول هذه الاسرار شرٌّ من خطيئة الهرطوقي · والهرطوقي الذي يناصب الحق هو اردأ من المحروم · والمحروم المحطوط من الرؤساء عن درجتهِ أشنع من الخاطئ · والخاطئ المتعدي الوصايا جهرًا اقبح من الخاطئ سرًا · والذي يتصرف في الاسرار سرًا بتعمّده ورضاه شرٌّ ممن يتصرَّف بغير رضاه · والذي يتصرَّف برضاه من غير ضرورة شرّ ممن تدعوه الضرورة · وخطيئة كاهن الرعية شرّ من خطيئة من لا رعيّة لهُ · وتعدّي الكاهن اعظم من تعدّي العامي · وقصارى القول ان الجزاء يتبع النية

---

١) ١ ملوك ٢ : ٣٠

الفصل السابع

في هل من سقط في خطيئة او حرم او هرطقة يكون قداسه فاعلًا مثل قداس الكاهن الصالح

زعم بعض الناس من الهراطقة انهُ اذا سقط الكاهن في خطيئة كاملة واجترأ على خدمة الاسرار الالهية تكون خدمتهُ فارغة وكلامهُ غير فاعل وكذلك اذا كسر الجوهرة وقرَّب بها احدًا لانهُ يكون بغيضًا الى الله وافعاله جميعًا غير مقبولة. وقد حاولوا اثبات ذلك من تسليم البيعة واقوال الآباء في القوانين ان القسوس والاساقفة الذين يسلكون سلوكًا معوجًا بغير تقوى هم مزوّرون ورسامتهم من الناس لا من الله. وكذلك الذين يتشبثون بهم ويتقرَّبون من ايديهم يشبهون الكفرة والوثنيين العادمين خشية الله ومعرفته. لكن رأي بيعة الله الجامعة هو ان خدمة الكاهن الطالح ليست فارغة وكلامه فاعل وعلى يدهِ يتحوَّل جسد المسيح كما يتحوَّل على يد الكاهن الصالح لان الكاهن بمجرَّد الرسامة يقبل من الله ختمًا روحانيًا في نفسهِ لا يقدر احد ان يمحوه او يعرّيه منهُ فهو كالمعمَّد اذا اخطأ او هرطق او كفر بالله لا ينتزع منهُ ختم المعمودية الذي أُعطيه من الله واذا عاد الى طاعة الديانة المستقيمة لا تأذن البيعة ان يُعمَّد ثانيًا بل توجب ان يجازى ويُقبل. كذلك الكاهن اذا اتعظ ورجع عما سلف منهُ لا تُجدَّد رسامته بل تفرض عليهِ عقوبة ويعود الى خدمته اذا كان مستأهلًا.

واعلم ان الكاهن لهُ ثلاث وظائف. الاولى انهُ انسان مسلَّط على ذاتهِ. الثانية انهُ نائب المسيح وقائم باقنومهِ. الثالثة انهُ رأس الشعب ووسيط بينهم وبين الله. فمن جهة ذاته يتصرَّف برأيهِ ويكون عرضة لحوادث الدهر و بلايا الخطيئة كبقية الناس. وعلى قدر تعبه ونصَبه يستحق الاجر والمجازاة ان خيرًا فخير وان شرًّا فشرّ وبموجب ذلك متى قدَّس الاسرار الالهية او اشترك فيها او ناول غيره وهو في خطيئة

مميتة فانهُ يحرق نفسه ويستوجب النقمة والغضب لذاتهِ كما يقول الرسول « من ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس وهو على خلاف الاستحقاق انما ياكل ويشرب دينونةً لنفسهِ اذ لم يميّز جسد الرب » (١

ومن حيث السلطان الذي أُعطيهِ من الله ليتولّى نيابتهُ على الارض فانهُ لا يتغير اذ لا يزداد بصلاحهِ ولا ينقص بخطائهِ لانهُ ليس هو الفاعل بل الله هو الفاعل على يدهِ فالله هو الذي يُقدّس والذي يكسر والذي يقرّب ويقضي هذه الامور بحسب مشيئتهِ ورحمتهِ لا بحسب استحقاق الآدمي ونصَبه . فاذا كنت انت جائعاً وقدمتُ لك طعاماً لتاكل فلماذا تبالي ان كنتَ انا جائعاً او شبعان بعد ان يكون الطعام كافياً لك من ذاتهِ . وكذلك ان كنت مريضاً واخذتَ من الطبيب علاجاً فالدواء ليس يزداد قوّةً ان كان الطبيب صحيح البنية معافىً او ينقص اذا كان عليلاً . فان قوّته لا تزال مفيدة لك لانها بذاتها فاعلة ونافعة لزوال مرضك . وهكذا القول عن الاسرار التي تتقدَّس بكلمة الرب وقوَّة الروح فانها تمنح النعمة والخلاص للذين يتناولونها باستحقاق . والكاهن هو وسيط فقط وما هو الّا كمن يقدّم الطعام للجائع والدواء للمريض فان كان صالحاً فصلاحهُ لنفسهِ وان كان خاطئاً فاثمه عليهِ على مثال الشمعة تحرق نفسها وتنير غيرها

ومن حيث انهُ رأس الشعب وخادم البيعة ووسيط بين الله والشعب فمهما قدَّم لله او للشعب باسم البيعة فهو مقبول ومرضي لاجل استحقاق البيعة الجامعة لا لاجل افعاله الردية . وقد قال الرب عن الكتبة والفريسيين « ان الكتبة والفرّيسيين جالسون على كرسي موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا بهِ واما مثل اعمالهم فلا تعملوا » (٢ لان الافعال تصدر عن قلب صانعها وقال ايضاً « ان قال ذلك العبد الرديُ في قلبهِ ان سيّدي يبطئُ في قدومهِ فجعل يضرب رفقاءَهُ ويأكل ويشرب

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٩ ٢) متى ٢٣ : ٢

مع السكارى . يأتي سيّد ذلك العبد في يوم لا يظنهُ وساعة لا يعلمها ويفصله ويجعل نصيبه مع المرائين » (١

يريد بذلك ان الكاهن ولو لم يصنع مسرّة سيّده الّا انهُ لا يزال عبده ويتصرَّف في اسراره الى حين تجبيتهِ . اما الاسرار التي يوزعها الله على يدهِ فانها كاملة غير ناقصة كما يُستدلّ من مثل ذلك الحبيس الذي اتخذ لهُ قسيساً ليخدمهُ بما يخص الروح والجسد فاتفق ان جاء بعض اناس وزاروا ذلك الحبيس ورموا القس الذي كان يخدمهُ بانهُ زانٍ ومرتكب فواحش . فاستاء الحبيس وهمَّ يصرفهُ من عنده مع انهُ كان ينفعهُ جدًّا . وبينما هو يفتكر في الامر غاص في سبات عميق ورأى في الحلم انهُ عطشان جدًّا واذ هو كذلك أبصر بئرًا عميقة فيها ماء صافٍ وعذب للغاية وعلى فم البئر دلو من الذهب الابريز بسلسلة من الفضة الخالصة الّا أن الذي يستقي رجل ابرص فهمّ ان يشرب لكنهُ امتنع متقززًا من برص المستقي . واذ ذاك ناداه الرب من السماء قائلًا « تقدَّم واشرب غير متقزز لان الماء صافٍ حلو والدلو ذهب واما البرص فعلى صاحبهِ » . فلما سمع الحبيس الصوت آمن ان سلطان الكهنوت من الله وان الاسرار كالماء العذب لا تتدنس من القسيس الخاطئ ولا تنقص شيئًا اذا قدَّسها ووزَّعها على الشعب بل ان الصلوات والقداديس التي يقدّمها الكاهن الصالح تنال زيادة اجر من استحقاقه

ولهذا كان طوبيا الاعمى يوصي ولده ان يجعل خبزه وخمره على قبر البار ويأكلهُ مع الجياع والمحتاجين لا مع قوم خطأة لان الله لا يسمع صوت الخاطئ . وان كان الكاهن مربوطاً او محروماً من رؤساء البيعة فاذ ذاك كما انهُ قطع عن رئاسة الشعب وشركتهم تصير افعاله مذمومة كما قال اقليوس في قوانين الرسل « اي اسقف او قسّ او شماس قبل المعمودية من الهراطقة او تقرَّب من قربانهم فليُقطع وان صلّى معهم فليُعزل »

١) متى ٢٤ : ٤٨

وكذلك تنهى المجامع عن حضور القداس والتناول من ايدي المحرومين وأتباع المبتدعة والذين لديهم مسيكة والذين يرابون والذين يخطئون جهرًا لا لانهم يعدمون ختم الكهنوت الذي قبلوه في الرسامة بل لانهم يصيرون عثرة في عيون الشعب ومثالًا رديئًا للساذجين فبدلًا من يسبحوا الله ويمجدوه يشتمونهُ ويتوهمون ان كل الكهنة ضالّون كهؤلاء. وعليهِ فان من يسلكون سلوكًا ملتويًا بغير تقوى يسميهم الآباء مزوّرين لانهم صاروا مرذولين عند الله لكونهم لا يستعملون سلطانهم كما يجب في القداسة ويدعونهم مرسومين من الناس لا من الله لان الرسامة تصير بوضع اليد وحلول روح القدس وهؤلاء انحرفوا عن نعمة الله وتعبَّدوا للشياطين او لقوم خطأة وافقوا مشيئتهم. وكذلك الذين يتشبَّثون بهم ويتقرَّبون منهم ويجلّونهم على الكهنة الصالحين فهؤلاء ليس فقط نكروا الحق وجحدوا الله ولكنهم احتقروا خلاص نفوسهم وتعدَّوا سنن الآباء المقدسة واقتفوا اثر المخالفين فيكون حظهم معهم كما هو مكتوب « اعمى يقود اعمى فكلاهما يسقطان في حفرة » (١

ومما ذكرنا يبين ان الكاهن اذا وقع في خطيئة او هرطقة او حرم لا يعدم الدرجة بل استعمالها فقط لان الله طاهر ويريد ان يكون خدَّامه اطهارًا. وان تجاسر احد وقدَّس فانهُ يُحضِر جسد المسيح مثل الكاهن الصالح بسبب الدرجة التي خُتم بختمها لكن يأخذ دينونة لنفسهِ لانهُ لم يميّز جسد الرب

الفصل الثامن

هل الادناس البدنية مثل المضجع او التنوُّم والاحتلام تمنع من خدمة القداس

ان كهنوت الناموس العتيق بما انهُ كان جسدانيًا أَمر الله الكهنة المتصرّفين فيهِ ان يحرزوا تمام العفة والطهارة من ادناس البدن مثل المضجع والاحتلام ونُطَف

١) متى ١٥ : ١٤

الزرع ولمس الميتات واكل المحرمات وامثالها ومن لا يتطهر من هذه فليمتنع لا عن تقدمة القرابين فقط بل عن الدنو من الاقداس ايضاً وعن التقدم الى بيت الله كما هو مأمور في سفر الخروج « وليتقدَّس ايضاً الكهنة الذين يتقدَّمون الى الرب كيلا يبطش الرب بهم » (١

واما في العهد الجديد فلما كان كهنوته متوسطاً أَمر الله المتصرّف فيهِ ان يحوي طهارة الروح والجسد كقول الرسول « اذن حيث لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع فلندنُ بقلب صادق وايمان كامل وقد طهّر الرشّ قلوبنا من دَنس الضمير وغسلَ الماء النقي اجسادنا » (٢ وكقوله ايضاً « أَسأَلكم ايها الاخوة براحم الله ان تقرّبوا اجسادكم ذبيحةً حيةً مقدَّسةً مرضية عند الله عبادةً منكم عقلية » (٣٠ اي ان يكون ذلك بطهارة الروح من خبث النية وخلوص النفس من ادناس الخطيئة المميتة كما برهنا في الفصل السادس من هذا الشرح لئلا يظلم المقدِّم جسد الرب ويأخذ لنفسهِ دينونة ٠ واما طهارة الجسد فانها لائقة اكراماً لجسد الرب الذي هو طاهر ويستريح في الاطهار

ومن ثم فان بعض الآباء نهوا الكهنة عن القداس والعوام عن تناول القربان اذا عرض لهم دنس من هذه الادناس اي من مضاجعة النساء كما يقول القديس ايرونيموس « ان كان خبز الوجوه لم يكن يحل اكلهُ لمن ضاجع زوجته فكم بالحري الخبز الذي نزل من السماء لا يجوز الدنو منهُ للذين يباشرون نساهم » ولسنا نقول هذا احتقاراً لسرّ الزواج لكن يليق بمن يتقدم الى جسد الرب ان يكون مبتعداً من الاشياء الجسدية ٠ وفي موضع آخر يقول ان « داود والذين كانوا معهُ ما استطاعوا ان ياكلوا خبز الوجوه حتى قالوا انهم من ثلاثة ايام لم يباشروا نساهم »

وكذلك الذين اجتمعوا سنة ثلاثمائة للمسيح في بلاد اسبانية لعقد المجمع

---

١) خروج ١٩ : ٢٢ ٢) عبرانيين ١٠ : ١٩

٣) رومية ١٢ : ١

الليبرتيني امروا بان يمتنع كل انسان قبل تناول الجسد الالهي عن اتيان امرأته من ثلاثة الى اربعة الى سبعة ايام . وكذلك القديس اوغسطين يقول في الكتاب الثاني عن الزمان « كلما اقبل عيد الميلاد او غيره من الاعياد كما اوصيتكم مرارًا كثيرة امتنعوا قبل ذلك بايام لا عن مضاجعة البغايا التي هي اثم مرذول بل ايضاً عن نسائكم » . وهكذا يقول القديس باسيليوس في رسالتهِ لامون . وايضاً غريغوريوس النزينزي في شرحهِ عن العماد . والقديس امبروسيوس في تفسيره الرسالة الاولى لاهل كورنتس ينهى عن وَطْء النساء ويقدّم الذين ينذرون التنسُّك مثالًا قائلًا انهم كانوا لا يمتنعون فقط عن الخمر لكن ايضاً عن العنب والزبيب . كذلك من يريد ان يتقدم لجسد الرب يجب ان يمتنع اولًا عن الزنا ثم عن المضجع . وبولس الرسول تكلم عما يخص الرجل وزوجتـه قائلًا « لا يمنع احدكما الآخر عن ذاته الّا على موافقة الى حين لكي تتفرَّغا للصلاة ثم عودا الى ما كنتما عليهِ لئلا يجربكما الشيطان لعدم عفتكما » (١

والمقصود بالصوم والصلاة انما هو خاصةً شركة الاسرار كما هو مذكور في اعمال الرسل ان الرسل بعـد ما صاموا وصلوا وضعوا اليد على برنابا وشاول . والقديس ايرونيموس يشرح قول الرسول في الطلاق بقولهِ « ان كانت مضاجعة الزوجة تمنع عن الشيء الادنى فـكم بالحري عما هو افضل واعزّ » اعني ان كانت تحول دون الصوم والصلاة فبنوع اولى تحول دون تناول الاسرار الالهية

فلهذه الاسباب وامثالها نهت الكنيسة الرومانية كهنتها وشمامستها عن الزواج ليتفرَغوا لخدمة الله بكل طهارة النفس والجسـد . وفي بلاد الشرق اوجب الآباء المتقدّمون ان ينبّه الكهنة الى الاعياد قبل حلولها . ومن اراد من الكاهن ان يقدّس على نيته ان يعلمهُ قبل ذلك بليلة . وعند رسامة القس المتزوّج تتخذ رضى زوجتـهِ لتتخلّى عن حقها وكتاب الشرطونية يأمر الكهنـة والشمامسة الكبار عند ما يقبلون

١) ١ كورنتس ٧ : ٥

وضع اليد ان يمتنعوا عن المضجع ثمانية ايام ليواظبوا على الاسرار

اما بشان قطر المني والاحتلام وحيض النساء فقيل انهُ مأمور في قوانين القورتوصا ان الذين يتدنّسون بالاحلام يجب ان يمتنعوا عن القداس والدنو الى درج المذبح ولو كان ذلك غير ملوم. وقال تيموتاوس بطريرك الاسكندرية « ان الرجل وزوجته اذا تجامعا فليس واجباً ان يتناولا الاسرار المقدَّسة في ذلك اليوم . والمرأة الحائض لا يجوز لها ان تتقدَّم الى الاسرار » . وكذلك يعقوب الرهاوي يقول « ان كل كاهن يحتلم في الليل ليس لهُ سلطان ان يقدّس ذلك النهار لا لانهُ قد تنجس بل لاجل وقار الاسرار اللهمَّ اذا لم تكن ضرورة »

وهكذا حرَّم الله ايضاً على النساء دخول الكنيسة وهنَّ حائضات واوجب عليهنَّ الامتناع عن القربان في حال الطمث الى ان تنقضي عدَّة ايامهنَّ . لكن لا ينبغي ان يتركنَ التسبيح في بيوتهنَّ ولو كنَّ حائضات لئـلا يُميلهنَّ العدو لطريق الباطل

واعلم ان هذه الادناس تحصل احياناً بغير مشيئة الانسان كحيض النساء واحياناً بارادتهِ كالمجامعة. وهكذا ايضاً الجنابة يمكن ان تحصل باختيار الانسان وبغير اختياره فالتي تحصل باختياره يمكن ان تكون خطيئة مميتة كالزنا والعَمْرة وهي تدنّس النفس والجسد معاً ولكن التي تحصل بغير اختياره فلا تدنّس الَّا الجسد فقط. اما حيض النساء فانهُ امر طبيعي خالص من لوم الخطيئة لان النساء اللائي يعرض لهنَّ بعضهنَّ متعبّدات وطالبات الطهارة كالعذارى الراهبات وبعضهنَّ عالميات مهتمَّات برضى ازواجهنَّ كما قال الرسول « ان المرأة غير المتزوّجة والعذراء تهتم فيما للرب لتكون مقدَّسة في الجسد وفي الروح . واما المتزوّجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها » (١

وقد اذن بعض الآباء للعذارى العابدات ان يدخلنَ الكنيسة وقت طمثهنَّ

(١) ١ كورنتس ٧ : ٣٤

ليفين لله نذورهنَّ . واما المتزوجات فلم يأذنوا لهنَّ بذلك توقيرًا للاماكن المقدسة غير ان البيعة الرومانية تأذن للجميع في الدخول لئلا يمتنعن عن ذكر الله . وقد قال يوحنا اذا كانت المرأة في عادة النساء يؤذن لها في الدخول الى الهيكل لاجل الصلاة ولم يأمر القانون ان تدنو من الاسرار لا لسبب الدنس بل لاجل توقير الاسرار . وفي بعض الاوقات يجوز لها ان تتقرَّب ايضاً اولًا اذا كان السيلان دائمًا لا انقطاع لهُ

ثانيًا . اذا اغتسلت وتطهرت في اي يوم كان من عدَّتها كقول الرهاوي ان المرأة التي تلد وبعد يومين او ثلاثة تقدر ان تغتسل وتطهر جسدها يجوز لها ان تتقرب لا في خميس الاسرار فقط بل في اي يوم كان . اما التي عرض لها سبيل النساء فلا يجوز ان تتقرب حتى ينقطع سيلان دمها . والا فلتغتسل وتتقرب لا لاجل الدنس بل احترامًا للاقداس

ثالثًا . اذا كانت في خطر الموت وان كان بعض النساء لم يمتنعن عن ذلك لانهُ ذكر في الدسقلية « ان ظننتِ ايتها المرأة انكِ في سبعة ايام الحيض تكونين فارغة من روح القدس فانك اذا متِّ في هذه الايام تذهبين فارغة مقطوعة الرجاء وان كان روح القدس ساكنًا فيك فلا تمتنعي عن الصلاة ولا عن سماع الكتب ولا عن القربان »

ومن جهة المضجع ولو حصل بالرضاء فانهُ خالص من الخطية حسب قول الرسول « ان الزواج مكرَّم في كل شيء والمضجع طاهر » (١ . لكنه لاجل احترام الاسرار الالهية يجب على المتزوج اذا آثر الخدمة ولاسيما في الآحاد والاعياد الجليلة كاهنًا كان او شماسًا او عالميًا يريد التقرُّب ان ينقي ضميره ويتجنب حلاله برضاه ليعتصم بالرب روحًا وجسدًا وينظر بصفاء العقل انهُ مشترك في دم ابن الله الذي

١) عبرانيين ١٣ : ٤

اختاره هيكلاً ليحل فيهِ حسب قول الرسول « اما تعلمون ان اجسادكم هي هيكل الروح القدس الذي فيكم الذي نلتموه من الله وانكم لستم لانفسكم لانكم قد اشتريتم بثمن كريم فمجدوا الله واحملوه في اجسادكم » (١

وكذلك الآباء الذين التأموا في المجمع السادس بقصر البها امروا في القانون الثالث عشر قائلين « ان المتزوجين حلالاً يستوجبون القسّانية والشماسية ولا يمتنعون عن نسائهم الا وقت خدمتهم »

وفي هذا المعنى فُهم قول الآباء في مجمع قرطجنة الثاني « ان القسوس والشمامسة عليهم ان يحفظوا الطهارة ويمتنعوا عن نسائهم عند ممارسة الاقداس » . لكن يحدث بعض الاوقات ان الكاهن يأوي الى مضجعه غير ناوٍ ان يقدس في الغد ثم تدعوه الضرورة ليقدس اما بسبب اجتماع شعب كثير او لاجل قدوم رجل ذي قدر او ليقرب مسافراً لبلاد بعيدة او ليقرّب مدنفاً في خطر الموت او ليخلُص من استهزاء الاشرار وملامتهم وعند ذلك لا جناح عليهِ اذا قدّس بسبب الضرورة وافادة البيعة

وان كان الكاهن المتزوج المؤتمن على رعية لا يستطيع ان يمتنع عن مضجعه ولا عن رعيته فنشير عليهِ ان لا يسلك في الجسديات كالعالميين بل يجتهد ان يمتنع عن مضجعه ايام الآحاد والاعياد المكرَّمة وايام الاربعاء والجمعة والاصوام . لان الآباء امروا ان لا يبطل القداس فيها لكي يجتمع بنو الايمان لتناول الاسرار . وكذلك امروا الشعب كله ان يجتنب المضاجع في هذه الايام ليتناولوا جسد الرب كما هو مذكور في حساي ستار صلاة مار سابا

ܘܐܦ ܒܥܐܕ̈ܐ ܕܡܪܢ ܘܕܘܟܪ̈ܢܐ ܕܩܕܝ̈ܫܐ ܘܒܚܕ̈ܒܫܒܐ

ܘܚܡܫ ܒܫܒܐ ܘܒܥܪܘܒ̈ܬܐ ܘܒܨܘ̈ܡܐ . ܘܠܐ ܢܫܬܡܫܘܢ

---

١) ١ كورنتس ٦ : ١٩

ܠܡܙܘܓ̈ܐ ܗܒ ܕܢܛܪܘܢ ܒܥܐܕ̈ܐ ܘܚܕ̈ܒܫܒܐ ܥܪܘܒܬܐ
ܘܨܘ̈ܡܐ (١

فاذا كانت البيعة تأمر العوام بتكريم هذه الايام المقدسة بتجنب الفراش الزواجي فبنوع اولى تأمر الكاهن . واما في بقية الايام فليتصرَّف حسب هواه ليخلص من مشقة الجسد . لكن اذا نام في فراشهِ ينبغي ان يكون عفيفاً كمن ليس لهُ زوجة حسب ما يوصي الرسول « اما انا فاني أُشفق عليكم . فاقول هذا ايها الاخوة ان الزمان قصير فبقي ان يكون الذين لهم نساء كانهم لا نساء لهم والباكون كانهم لا يبكون والفرحون كانهم لا يفرحون والمشترون كانهم لا يملكون والمستعملون هذا العالم كانهم لا يستعملونه » (٢

واراد بذلك ان لا يتصرَّفوا فيهِ بما يتجاوز حدود المنفعة اي لا يقصدوا مجرَّد اللذَّة والتنعم حتى اذا دعتهم الضرورة للتقديس لافادة الشعب يكونون خالصين من اللوم . واما العوام اذا باشروا نساهم فلا يليق بهم ان يتقرَّبوا لانهم ليس عليهم ضغط كالكاهن

وقد ذكر في كتاب الامثال عن رجل غني انهُ ليلة عيد القيامة المعظمة ضاجع امرأتهُ وعند الصبح تقدم ليتقرَّب مع الشعب ولكنه ما تناول الجوهرة حتى طارت من فيهِ وعادت الى الكاس . فندم على اجترائهِ واعترف بذنبهِ وتناول الجسد بغير مانع

والقديس غريغوريوس الكبير بابا رومية ينهى الرجل عن تناول خبز الرب اذا باشر زوجته بقصد اللذة . وكذلك مار توما الملفان مع باقي علماء اللاهوت يثبتون

١) الترجمة : هب للمتزوجين ان يحفظوا الفرائض اليومية في الاعياد والآحاد وفرائض الجمعة والاصوام ولا يقتربوا في هذه الايام الى المضاجع لانهم يشتركون بها في الاسرار الالهية

٢) ١ كورنتس ٧ : ٢٨

ان الرجل الذي يباشر زوجته لاجل التلذذ يجب ان يمتنع عن القربان. واما اذا كانت مباشرته ارضاء لقرينتهِ او طلباً للنسل دون قصد لذة ولا خطاء فلا جناح عليهِ

ومن خصوص الجنابة فعلى ضربين مذمومة وغير مذمومة. فغير المذمومة هي التي تصدر بغير مشيئة الانسان من امتلاء الطبيعة او من ضعف البدن وارتخائه او من البرودة وامثالها. ولا ينجو من هذه الا من طعن في السن. فمن كانت هذه حالته يقدر ان يقدّس من دون ان يمس كرامة الاسرار وخاصةً اذا كان عابداً مواظباً على تناول الاسرار وحصل لهُ ذلك قبل نصف الليل

غير ان الاحتلام يحصل في بعض الاحيان عن افراط في المأكل والمشرب واوقاتاً من المخاطبة ومن توارد الافكار قبل النوم واحياناً من الخيالات التي يرسلها عدو الخير. وهذه قد تُعدّ في بعض الاوقات خطية

فاذا علم الانسان أَن الاكثار من الاكل يهيج فيهِ القوّة النامية فيُمني فليحذره وكذا الافكار النجسة فانها تهيج الشهوة فمن يقبلها يخطئ ومن يبادر الى مقاومتها لدن شعوره بها واحتلم مع هذا فلا لوم عليهِ ولا اثم

وهكذا ايضاً الخيالات التي يبعث بها العدو فان كان الانسان قد اعتاد مقاتلتها بالعبادة والصلاة ثم اهمل ذلك كسلاً وتراخياً مفرطين فليس ينجو حينئذٍ من الخطاء. وان حصل لهُ شبق عن غير تراخٍ ولا اهمال بل عن دسّ الشيطان حسداً فلا جناح عليهِ. كما هو مذكور في اخبار الرهبان ان الشيطان دفعاتٍ شتى اوقعهم في الجنابة ليمنعهم عن دواء الحياة

ثم ان واحداً من الحبساء كان كلما يروم تناول جسد الرب أَلقاه الشيطان بهذا الداء لكي يحرمه القربان فحزن لذلك جدّاً فاطلع على امره الشيوخ فاشاروا عليهِ بان يواظب على تناول القربان بغير انقطاع فعمل بمشورتهم فخزي الشيطان من ذلك وكفَّ عن ارسال الخيالات

وَكذلك مذكور في سيرة بطرس قالسطينوس انهُ لما كان ينوي خدمة

الاسرار كان يحتلم فحزن حزنًا شديدًا فظهر لهُ الرب وقال لهُ انهُ لا يليق بالفارس ان يرجع عن السفر اذا تنجَّس حصانه

وهكذا ليس لائقًا بالنفس ان تنقطع عن التفكر في الالهيات لاجل البدن الذي هو شبه البهيمة المعدومة العقل اذا تنجس من العادة . ولاجل ازالة هذه الخيالات تطلب البيعة في باعوث ستار ليلة الاحد

ܘܛܪܢ ܐܠܗܐ ܕܡܘܟܟܐ ܡܠܝܐ ܕܢܝܚܐ ܗܒ ܠܝ . ܘܦܪܘܩ
ܡܢ ܚܠܡܐ ܡܫܓܫܢܐ . ܘܡܢ ܕܡܘܬܐ ܒܝܫܬܐ . ܘܟܠܗ ܠܠܝܐ
ܕܢܛܪܢ ܫܝܢܐ ܒܫܢܬܐ ܕܫܠܝܐ . ܘܠܐ ܢܫܬܠܛܘܢ ܒܝ
ܫܐܕܐ . ܘܚܘܫܒܐ ܕܚܛܗܐ ܟܘܠܐ (١

واما الجنابة المذمومة التي يقصدها الانسان في مخالطة الناس سواء كانت بفكر دنس ام بلمس نجس ام بنظر غير مرتَّب فهذه بلا امتراء تمنع الانسان عن خدمة الاسرار الالهية كما برهنا في الفصل السادس من هذا الشرح لانها تدنّس النفس والجسد وتصيّر الانسان ممقوتًا امام الله

وقد قال البار اثناسيوس الكبير « اننا لنتدنَّس اذا خدمنا الخطيئة التي هي انتن كل شيء . غير انا اذا حصل لنا سيَلان طبيعي بغير اختيارنا نحتمله للضرورة كما نحتمل سائر الامور »

وهكذا ايضًا انبا تاوناس حين كان يعظ الاخوة قائلًا « فلنسع ايها الاخوة كلَّ جهدنا حتى نحفظ الطهارة من كل دنس وخاصةً حين نروم التقدم الى المذبح الموقر لئلا نخسر نقاوة الجسد التي حفظناها سابقًا في الليلة التي نكون فيها

١) الترجمة : احفظني اللهمَّ بحق صليبك المملوء تواضعاً رقاد الراحة ونجني من الاحلام المقلقة ومن الاخيلة القبيحة وارعني الليل كله برقاد امين فلا تتسلَّط عليَّ الابالسة والافكار الاثيمة

مستعدين للاشتراك بمائدة الخلاص. وان حدث يا اخوة ان عدوّنا الثلاب طرق النفس وهي راقدة كي يعدمنا دواء العون الالهي فتدنّسنا بغير شهوة مذمومة ولذة اختيارية فنستطيع حينئذٍ ان نتقدم بدالة الوجوه الى نعمة خبز الخلاص »

غير انهُ ان حدث ذلك باختيارنا ورضانا فلنخشَ مما قالهُ الرسول « ان من يأكل خبز الرب ويشرب من دمهِ وهو على خلاف الاستحقاق انما يأكل ويشرب دينونةً لنفسهِ » (١

واما خطية الزنا فانها تهتك حرمة الاسرار المقدسة اكثر من سائر الخطايا لان الانسان بتناوله جسد الرب يمتزج بهِ روحاً وجسداً وعند مضاجعته الزانية يصير معها جسداً واحداً فكأنهُ جعل عضو المسيح عضو الزانية. ولا شيء اقبح من هذا الامر

وهكذا كتب الرسول لاهل كورنتس قائلاً « أَما تعلمون ان اجسادكم هي اعضاء المسيح. أَفآخذ اعضاء المسيح واجعلها اعضاء زانية. حاشى. أَما تعلمون ان من اقترن بزانية يصير معها جسداً واحداً لانهُ قد قيل يصيران كلاهما جسداً واحداً. اما الذي يقترن بالرب فيكون معه روحاً واحداً. اهربوا من الزنى فان كل خطية يفعلها الانسان هي في خارج الجسد اما الزاني فانهُ يُجرِم الى جسده » (٢

واما الكهنة فكما انعم الله عليهم ان يكونوا مدبّرين نعمته ومؤتمنين على توزيع جسده كذلك يجب عليهم ان يدبروا نفوسهم وشعبهم بالطهارة والكرامة كالاعضاء المعتصمة بالرب

الفصل التاسع

هل يمنع الفطور الكاهن من رتبة القداس

لا ريب ان الفطور يمنع الكاهن من خدمة القداس كما هو منصوص في وصايا الرسل حيث قيل « لا يقترب احد الى تناول القربان الّا وهو صائم ونقي.

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٩ ٢) ١ كورنتس ٦ : ١٥

ومن فطر من المؤمنين او المؤمنات ثم تناول القربان وقد فعل ذلك استخفافاً به فلينفَ من كنيسة الرب الى الابد · غير ان كثيرين من القدماء كانوا يقدّسون ويتناولون وهم فاطرون وذلك اعتماداً على شهادة الاناجيل المقدسة المنبئة ان السيد المخلص قدَّس جسده الطاهر ووزَّعهُ على التلاميذ بعد العشاء على ان البابا مرتينوس قد نهى المؤمنين ان يتناولوا القربان وهم فاطرون مطلقاً · ثم خلفهُ البابا اوتسكيانس سنة مائة وثمانين وثبّت تلك السنَّة القديمة ورتَّب قصاصاً على من يتعداها فان كان صغير السنّ فرض عليهِ ان يصوم ثلاثة ايام وان كان كبيراً فسبعة ايام وان كان كاهناً فعشرين يوماً

ومن ذلك الحين امتنع تناول القربان بعد الفطور ما خلا نهار خميس الاسرار فكانوا يتلون القداس فيهِ وهم مفطرون تشبّهاً بما صنع المسيح · وكذلك في الاعياد الكبيرة اذا حدث ان واحداً اكل او شرب بغير تعمد كان يتناول القربان باذن الكاهن كما ذكر يعقوب الرهاوي · وكذلك اذا مات احدٌ من الرؤساء او الكهنة كانوا يقدسون من اجله ولو كانوا فاطرين · غير انهُ لما اجتمع مجمع قرطجنة حدَّد الآباء في القانون التاسع والعشرين ان لا تتقدس اسرار المذبح الَّا ممن هو صائم ما عدا خميس الاسرار · واذا توفي اسقف او غيره بعد الفطور فلا يقدس من اجله الكهنة بل يجنزونه ويذكرونه في الصلاة والدعاء فقط · وبما ان بعضاً من الكهنة قد تعدَّوا هذه الوصية وبَّخهم الآباء الذين اجتمعوا في براقا وقرَّروا في القانون العاشر ان كل كاهن تجاسر وقدس لاجل المتوفين وهو فاطر فليعزل من درجتهِ · وكذلك الآباء الثلاثمائة والستة والستون الذين اجتمعوا في مدينة اللاذقية قد حكموا بان الخميس الكبير يجب فيهِ الصوم كمثل الايام الاربعين

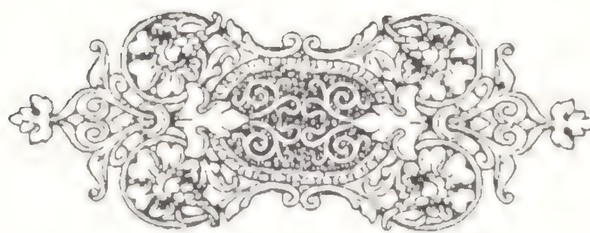
ولما التأم السوندوس السادس في القسطنطينية تقرَّر وجوب الصوم يوم خميس الاسرار وان لا يقدّس فيهِ احد وهو فاطر · فانقطعت تلك العادة وتلاشت وحصل الاتفاق في كل البيعة أن الكهنة لا يقدّسون الاسرار الَّا وهم صائمون · وان

العوامّ ايضاً لا يتناولونها الّا كذلك . وقال القديس اوغسطين ان العادة كانت في عصره ان يُكرَّم هذا السرّ العظيم الذي هو جسد الرب فيتناولهُ المؤمن بفمهِ قبل أن يذوق شيئاً من المأكل والمشرب واصبح هذا محفوظاً في المسكونة باسرها . وقد حلف يوحنا الذهبي الفم لقرياقوس الاسقف في رسالتهِ الثالثة مبرّئاً نفسهُ مما اتهمهُ بهِ بعض ذوي الغايات الفاسدة من انهُ ناول القربان المقدَّس بعض اناسٍ فاطرين وقال ان كنت فعلت هذا فليمحَ اسمي من دفتر الاساقفة ومن سفر الايمان الارثوذكسي ويطردني الرب من ملكوتهِ

ومما ذكرنا يفهم القاري ما اعظم سنن البيعة واشرفها وانها ما ترتَّبت الّا بتعب شديد والهام الروح القدس ولذلك تستوجب القبول والاكرام ومن تعداها بأن قدَّس او تناول القربان المقدس وهو فاطر دون خطر الموت يقترف اثماً مميتاً ويستحق النقمة من الله كما يذكر غريغوريوس اسقف طورونا ان الله انتقم من كاهن في مدينة الورنيا لانهُ مكث يعاقر الخمرة ليلة عيد الميلاد الى ما بعد نصف الليل ولما انبثق الصباح تقدَّم ليقدّس فللوقت ضربهُ الله بوجع شديد وأخذ يصرخ من جرائهِ صراخاً هائلًا واخيرًا قاء الجسد المقدَّس وخرجت من فيهِ رغوة كريهة الرائحة . فحملوهُ الى بيتهِ وبقي يتجدَّد عليهِ ذلك الوجع الاليم كل هلة شهر طول مدة حياتهِ تذكارًا لفعلهِ الردي واقتصاصاً منهُ

وفي بدء البيعة كان المؤمنون لا يأكلون بعد تناول القربان حالًا بل بعد مضي ثلاث ساعات عليهِ واكثر كما هو واضح من رسالة اقليموس الثاني الى يعقوب اخي الرب ومن عظات يوحنا الذهبي الفم في تفسير الرسالة الاولى لاهل كورنتس لاجل زيادة العبادة وقبول جسد الرب حتى يكونوا مماثلين الرسل الاطهار الذين كانوا بعد كسر الخبز المقدَّس يواظبون على الطلب والتسبيح . غير ان الآباء الاطهار ما ارادوا ان يُلزموا المؤمنين ذلك لاجل ضعف الطبيعة بل ألزموهم الصوم قبل التناول لكي يتحدوا بالرب في العقل والارادة لان زيادة الامتلاء من الاكل تشغل البال وتُغشي

على البصيرة وآدم الاول خسر النعمة بسبب المآكل. غير انهُ اذا صار الانسان الى خطر الموت فللكاهن ان يناولهُ زوادة الحيــاة الابدية ولو كان فاطرًا. وللكاهن ايضًا ان يتناول في بعض الاوقات عن غير عمدٍ ولو كان مفطرًا وذلك كما اذا اتفق انهُ لم يمزج الخمر بالماء او كانت التي مزجها فاسدة ولما ذاقهــا علم ان التقديس كان غير صحيح فحينئذٍ يجب ان يمزج خمرًا أُخرى بالماء ثانيــةً فيقدّسها فيتناولها ولو كان قد افطر بشرب الخمر الفاسدة التي كانت في الكاس. وكذا اذا اصاب الكاهن عارض بعد التقديس فعجز عن التناول فللكاهن الحاضر حينئذٍ او الشماس الكبير ان يتناول الاسرار ولو كان مفطرًا. وكذا ايضًا اذا لصقت البرشانة بالكاس او بسقف حنك الكاهن فلهُ ان يحركها باصبعهِ او يصبّ عليها قليلًا من الماء لتطفو عليــهِ ثم يشربهُ واياها. وكذا لهُ اذا وجد بعد غسل انامله فتاتًا دقيقًا من الجواهر المقدسة ان يتناولها وان كان فاطرًا او يحفظها في اناء مكرَّم. وكذا ايضًا اذا قدَّس الكاهن وبعد التقديس تذكر أَنهُ مفطر فليكمّل الذبيحــة ويتناول. وكذا اذا تذكر قبل التقديس الَّا انهُ خشي من العار وحصول العثــار فيقدر ان يكمّل القدّاس ويتناول ايضًا لان وصية الصوم ليست الهية بل كنسية سُنَّت لاحترام الاسرار. وفي وقت الضرورة لا تُمس كرامة الاسرار اذا تناولها بل يمكن ان يهان الكاهن اذا خلع ثياب الخدمة امام الشعب قبل تكميل القداس دون سبب ظاهر



الشرح الثالث

في ملابس الكهنة والشمامسة

قد رسم الآباء القديسون منذ الابتداء ان تكون ثياب الكهنة في خدمة الاسرار المقدسة مختلفة عن ثياب العوام ولكل درجة لبوسٌ مختص بها كي تتميز عن غيرها . وعن هذا نتكلم في هذا الشرح ونقسمهُ الى اثني عشر فصلاً

الفصل الاول في سبب ثياب القداس

الفصل الثاني في لبس النعل والهوزات بارجل الرؤساء اذ يقول ܡܫܒܚܘ ܡܪܝܐ

الفصل الثالث في لبس القميص اذ يقول ܐܡܠܐ ܕܐܘܡܥܘܒܠܐ

الفصل الرابع في شدّ الزنار اذ يقول ܠܡܒܠܥܝܢ ܡܡܠܠܐ

الفصل الخامس في المنصفة اذ يقول ܕܥܙܘܙ ܚܠܝܡ

الفصل السادس في البطرشيل اذ يقول ܚܠܡܨܪܐ ܘܚܡܘܟܡܐ

الفصل السابع في الزندين اذ يقول ܡܥܡܝܡ ܠܐܥܝܚܝܢ

الفصل الثامن في البدلة اذ يقول ܕܗܘܬܡ ܢܠܕܗܘ

الفصل التاسع في درع الرؤساء اذ يقول ܡܘܟܢܐ ܘܐܝܘܐ

الفصل العاشر في تاج الرؤساء اذ يقول ܡܟܠܠ ܚܙܝܡܘ

الفصل الحادي عشر في عصا الرؤساء اذ يقول ܡܘܠܙܐ ܕܡܘܥܠܐ

الفصل الثاني عشر في صليب اليد وصليب الصدر والشمسات والخاتم والكفّين وباقي ثياب الرؤساء اذ يقول ܚܡ ܢܚܪ

الفصل الاول

في سبب ثياب القداس لخدمة الله

اعلم ان الناس يتخذون الثياب لاسباب كثيرة منها صيانة الجسد بحسب اختلاف الفصول كقول الرب « لا تهتموا لاجسادكم بما تلبسون لان اباكم الذي في السماء يعلم انكم تحتاجون الى هذا » (١ ومنها لستر عراه كما هو مكتوب انهُ لما خرج والدانا من الجنة عريانين البسهما الرب من جلود البهائم. ومنها لاجل المجد والإعجاب كما جاء عن يوسف ومرداخ ودانيال أن الملوك اكرموهم بالثياب والخلع الفاخرة الشريفة. ومنها لاجل الاحتقار والهزء كما أَلبس الشرط المسيح ثوبًا ابيض وكما لبس داود ذلك الرداء قدام التابوت. ومنها لاجل تمييز الذكر من الانثى كما أَمر الرب في سفر التثنية. ومنها لاجل بيان السيرة والاخلاق الباطنة كقول الرسول « انبذوا عنكم من جهة تصرفكم السابق الانسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور وتجدَّدوا بروح اذهانكم. والبسوا الانسان الجديد الذي خلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق » (٢ وفي موضع آخر يقول « البسوا الرب يسوع المسيح » (٣ « والبسوا سلاح الله » (٤ أَلعل الانسان العتيق كان لباسًا لننزعهُ او المسيح كان ثوبًا لنلبسهُ. كلَّا. بل المراد ان ننزع عنا اخلاق الخطيئة وسيرتها ونقتدي بحياة المخلص وفضائله

وهكذا لما اختار الله هارون وبنيهِ لخدمة الكهنوت واراد ان يكونوا كالمرآة امام الشعب ليتشبهوا بهم أَمر موسى في الاصحاح الثامن والعشرين من سفر الخروج بأَن يجمع كل ذي لبّ حكيم ممن ملأهم الرب بروح الفهم والحكمة ليصنعوا لهارون ملابس الكرامة والمجد اي سراويل وجبة ورداء وسربالًا من كتان وعمامة ومنطقة وتاجًا كلها من الذهب والخز والارجوان وصبغ القرمز وغزل الكتان. ثم ان

١) لوقا ١٢ : ٢٢ — ٢) افسس ٤ : ٢٢

٣) رومية ١٣ : ١٤ — ٤) افسس ٦ : ١١

يضع على منكبيهِ حجريْ جَزع ينقش عليهما اسماء بني اسرائيـل في كل حجر ستة اسماء وان يضع ايضاً على صدره صُدرة الحكم والقضاء مربعة موضوعاً فيها اثنا عشر حجرًا من الجوهر على عدد اسماء بني اسرائيل ويجعل في وسط الصدرة حجراً منقوشا فيهِ العدل والحق ويضع كذلك على رأسهِ اكليلاً من عسجد مضيء وفوقهُ صفيحـة مكتوب عليها اسم الله الازلي كنقش الخاتم وينظمها بخيط من قز ويدليهما فوق العمامة وينيط باسفل للسراويل جلاجل ذهبية ليسمع صوتها عند دخولهِ وخروجهِ وقت الخدمة عند ما يكهّن للرب

وعلى شبه هذه تسلّمت البيعة المقدسة من زمان الرسل ان يلبس الكهنة والشمامسة في خدمة القداس الطاهر الثياب اللائقة بذلك كما أمر البابا اناقليطوس ان يكون في الايام الاحتفالية مع الاسقف سبعـة شمامسة او خمسة او ثلاثة ممن يدعون معاونين ثم الابودياكنية وبقية الخدام وكلهم يتشحون بالملابس القدسية

وكذلك أَمر البابا اسطفان الشهيد ان تـكون جميع ثياب الخدمة مقـدسة ومحفوظة في الكنيسة وان لا يؤذن لاحد من العوام بنقلهـا او استعمالها في الامور العالمية بل في خدمة الله لا غير كي تـكون خدمة الله مكرَّمة

وكذلك يأمر الآباء في سنن المجامع ان تـكون ملابس القدس نظيفة نقيـة وغير مدنَّسة . غير ان الفرق بين ثياب الكهنوت العتيقة والجديدة على راي يوحنا الذهبي الفم وباقي معلمي اللاهوت ان تلك الثياب لم تـكن تمنح النعمة لمن يلبسها بل كانت تدل على النعمة التي تعطى لنا في العهد الجديد

فـكما ان قبة الزمان كانت رمزًا الى البيعة والمنّ اشارة الى جسد الرب وارض الميعاد الى السماء وغسل الماء الى العماد . هكذا كانت تلك الثيـاب التي لو كانت تمنح النعمة لكان لبسها موسى النبي وانما كانت رمزًا الى فضائل المسيح وآلامهِ وقداسة البيعة وتدابير بنيها كما نقول في تقديس البيعة في صوت ܐܠܗܘܡܟܟ « طوباكِ ايتها البيعـة المقدسة فانهُ عوضاً من جلاجل الذهب التي كان يلبسهـا هارون في

ذلك الزمان يتجمل جميع اولادكِ بالطهارة والقداسة واصناف التدابير المجيدة ذات الفضائل »

وأمر الرب ان تكون ثياب الكاهن مكرّمة ليكون مبجّلًا بذاتهِ ومكرَّمًا بكافة الفضائل باطنًا وظاهرًا. وكانت ألوان الثياب خمسة ليكون الكاهن فاضلًا بافعالهِ وحواسهِ الخمس. وكان الكاهن يلبس الذهب والجوهر وينيط بهِ الجلاجل ليكون مفيدًا لذاتهِ وللحاضرين. وكان الكاهن يلبس في راسهِ العمامة والتاج ليعلم انهُ ولو كان راس الجماعة هو خاضع لله وتحت طاعتهِ. وكان يحمل على صدرهِ صُدرة الحكم ليكون قلبهُ وارادتهُ مائلين الى الحق والعدل لاجل خلاص نفسهِ وتدبير شعبهِ. وكان الكاهن يحمل على صدرهِ ومنكبيهِ اسماء اسباطه ليكون مماثلًا بالافعال والايمان رسُل ربنا الذين كانوا افضل من الحجارة الكريمة وحاملًا شعبهُ على منكبيهِ بالتعليم والوعظ كقول الرب لارميا « ان سأَلك هذا الشعب قائلًا ما هو حمل الرب فقل لهم انما انتم حمل الرب » ويطبعهم في قلبهِ كما كتب الرسول « اني احفظكم في قلبي » (١

واما ثياب الكهنوت في العهد الجديد فقد كتب عنها البابا زخيا الثالث انها سلاح الله وعلى الحبران يلبسها في المعركة ضد الارواح الخبيثة. لكن فليجتهد الكاهن ان لا يحمل الدليل خلوًّا من المشار اليهِ اي لا يلبس الثياب دون النعمة. وتدعى سلاحًا لانها لخدمة الرب وبها نهزم مواكب الشياطين ونستغفر من الذنوب ونستفيض النعمة لتكميل خدمة الاسرار بالطهارة والقداسة

وقد قال القديس ايرونيموس « يجب على الكهنة ان يتجملوا بطهارة النية وثياب الفضائل حتى يلبسوا اسرار الرب ». وكل يوم حين ننزع ثياب العالم ونلبس ثياب الخدمة نسأل الله قائلين « انزع عنا يا رب الثياب الوسخة التي أَلبسناها الشيطان وأَلبسنا ثيابًا نقية تليق بخدمة عظمتك »

١) فيلبي ١: ٧

ونطلب ايضاً في بدء تقديس البيعة قائلين « أهلنا ايها الرب الاله ان ندخل بالطهارة دار قدسك وألبسنا نواميسك المجلة وزيّنا بحلة وصاياك الروحانية لكي نبتهج مع المدعوين بني النور في خدرك المملوء نورًا

الفصل الثاني

في شد النعل والهوزات في رجلي الراس اذ يقول

ܡܣܟܐ ܡܟܝܟܐ ذلل اللهمّ

قد تأمّل الآباء الاطهار في ان الرب لم يأذن في العهد العتيق لموسى ان يدنو من العليقة التي كانت فوق الجبل تتوقد نارًا ولا تشتعل حتى خلع الحذاء عن قدميهِ قائلًا لهُ « اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذي انت قائم فيهِ ارض مقدسة » (١

وكذلك اراد الآب السماوي في العهد الجديد ان لا يتقدم الابن الشاطر الى مائدة العجل المعلوف الّا بعد أن ألبسوه الحلة الجديدة ووضعوا الخاتم باصبعهِ والحذاء برجلهِ. فأمروا من ثم بان من يريد ان يلبس اسكيم الرهبانية او يصعد على المذبح ان يخلع عنه ذلك الحذاء الذي كان في رجليهِ وهو في العالم ويحتذي نعلًا اخرى بدلًا منهُ إيماءً الى ترك السيرة العالمية ذات الشهوة الفاسدة والى السعي في تدبير الانجيل

ولهذا فعندما يلبس المرتل ذلك في الرسامة يأخذه الاسقف بيمينهِ ويدخله باب الدرابزون قائلًا « فليعطك الرب في الدخول طهارة السلوك والاستقامة والخدمة والدالة ». فان تلك العليقة التي كانت على الجبل تتقد ولا تحترق والعجل المعلوف المعدّ على المائدة هما رمزٌ الى جسد الرب الذي نقدّمهُ على المذبح لكي يحرق عفونات

---

١) خروج ٣: ٥

خطايا المتقدم اليهِ بصفاء النية . والحذاء الذي هو خاصّ بالرهبـان وخدام المذبح يدعى نعلًا لانهُ ضابط من اسفل القدم ومكشوف عن سطحها شبه القبقاب

اما النعل التي يلبسها رهبان مار فرنسيس الى يومنا هذا فانها تشير الى السلوك في الفضائل وأن من هو محتذيها قد قطع افكاره عن امور العالم وشهوات البدن ورفع عقله الى العلا ومناظر السماوات . وتدعى هذه النعل استعداد البشارة كقول الرسول « البسوا درع البر وانعلوا اقدامكم باستعداد انجيل السلام » (١

وان النسّاك والمنقطعين عن العالم الى عبادة الله والمرتبطين في خدمتهِ تعالى هم المرسلون ليتلمذوا العالم ويبشروه ببشارة السلام التي اتانا بها ابن الله من السماء . ولذلك نقول ان هذه النعل تدل اولًا على احتقـار العالم واذلال المضادّين للحق وقمع الشهوات التي تمزّق بسهامها المتوقدة خشيـة الله وحفظ وصاياه ولهذا عندما ينتعلها راس الكهنة في القداس يصرخ قائلًا

ܡܟܝܟ ܡܪܝܐ ܐܝܟ ܟܘܒܫܐ ܕܪ̈ܓܠܐ ܕܝܠܝ ܠܟܠ ܪܘܡܐ ܕܡܬܬܪܝܡ ܠܘܩܒܠ ܝܕܥܬܟ . ܘܒܥܘܕܪ̈ܢܐ ܕܡܢܟ ܐܕܘܫ ܟܐܒ̈ܐ ܡܫܚܢ̈ܐ ܠܥܠܡܝܢ (٢

وهذا قالهُ الرسول ايضًا « ان اسلحة حربنا ليست بجسدية بل هي قادرة بالله على هدم الحصون فنهدم الآراء وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ونسبي كل بصيرة الى طاعة المسيح » (٣

واذا كان الله قد أمر بني اسرائيل ألّا يأكلوا خروف الفصح الّا واحقاؤهم مشـدودة واحذيتهم في ارجلهم وعصيّهم بايديهم فكم بالاحرى يجب على الذين

---

١) افسس ٦ : ١٤

٢) ترجمته : اجعل اللهمَّ كل علو يتشامخ ضد معرفتك مدوسًا تحت قدميَّ ووفقني بعون منك ان اطأ الآلام المحمية الى الابد

٣) ٢ كورنتس ١٠ : ٤

يتقدمون الى تناول الخروف الذي ذُبح لخلاص العالم أن لا يتقدَّموا اليه الَّا بعد قمعهم شهوات الجسد وسلوكهم في طرُق الفضائل والافعال المستقيمة

ثانياً ان النعل تدل ايضاً على السلطان الذي منحهُ الرب بيعتهُ ضد قوة الشيطان الذي سأَل ان يغربلنا كالحنطة كقول الرسول « ان مصارعتنا ليست ضد اللحم والدم بل ضد الرئاسات والسلاطين وولاة هذا العالم عالم الظلمة والارواح الشرّيرة في السماويات . فلذلك خذوا سلاح الله لتستطيعوا المقاومة في اليوم الشرّير حتى اذا تممتم كل شيء تثبتون . فانهضوا اذاً وشدّوا احقاءكم بالحق والبسوا درع البرّ وانعلوا اقدامكم باستعداد انجيل السلام » (١

وقال سيدنا المخلص « ها انا قد اعطيتكم سلطاناً ان تدوسوا الحيَّات والعقارب وقوة العدو كلها » (٢ . ولما كان الشيطان يتشبه بالحيَّة كما فعل في البدء وخدع ابوينا الاولين أَعطى المخلص خدام مذبحهِ وخاصة رؤساء الكهنة سلطاناً ليطأوا رأسه ويدوسوه كالحية بالحذاء اعني بالسلطان الذي اعطاهم اياه ان لا تقوى عليهم ابواب الجحيم

ثالثاً بهذه النعل يُشار الى منارة الانجيل كما قال اشعيا النبي وبولس الرسول « ما اجمل اقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » (٣ . ثم انهُ عند ما يُلبسون الاسقفَ النعلَ في الرجل اليسرى يقول بصوت عالٍ

ܐܣܐܢܝ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܠܡܣܐܢܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܕܫܠܡܐ .
ܐܝܟܢܐ ܕܐܕܘܫ ܚܘܘܬܐ ܘܥܩܪܒܐ ܘܟܠܗ ܚܝܠܗ
ܕܒܥܠܕܒܒܐ (٤

١) افسس ٦ : ١٢ ٢) لوقا ١٠ : ١٩

٣) رومية ١٠ : ١٥

٤) معناه : احذني اللهمَّ استعدادَ انجيل السلام كي ادوس الحيات والعقارب وقوات العدو

وسُمّيت النعل استعداد انجيـل السلام لانهُ كما ان اللابس النعلَ يطأُ الشوك والحيات بغير أذًى ويسرع بفرح وسلامة هكذا بسلطـان الحلّ والربط نهدم قوة الاعداء المنظورين وغير المنظورين ونترجى الوصول الى ميناء الخلاص . ولما ارسل الرب تلاميذه الى التبشير بالانجيل نهاهم عن اقتناء المال والثياب والعصي وأذن لهم فقط في نعل الاقدام ليكونوا خالصين من الاهتمام بالعالم ومستعدين لكرازة البشارة . وقيل انهُ لا يحلّ لاحد ان يُلبس الاسقفَ الخفَّين غير رئيس الشمامسة فقط لانهُ هو يقرا الانجيـل والقس يفسّرهُ . وعليهِ فكان ككليهما ان يُلبسا الخفَّ الاسقفَ لاجل الاجتهاد في بشارة السلام وان لا يكونا مسرعين الى الغضب كما هو مكتوب « ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من البيت او من المدينـة فانفضوا غبار ارجلكم . الحقّ اقول لكم ان ارض سدوم وعمورة ستكونان اخفّ حالة من تلك المدينة في يوم الدين » (١

رابعًا تشير ايضًا هذه النعل الى تجسد ابن الله الذي واضع عظمته واخذ صورة العبد . ولهذا قال يوحنا المعمدان عن نفسهِ انهُ ليس مستحقًّا ان يحل سيور حذائهِ (٢ اي ان يكون خادم ناسوتهِ . وقيل في معناه « على أدوم انفض حذائي » يشير بذلك الى ايجاء تجسدهِ للشعوب كما يفسر المعلّم البرتوس

على ان استعمال الخفَّين قد بطل من الكنيسة الشرقية . واما في الكنيسـة الغربية فيلبَس الرؤساء تاسومة من حرير احمر عليها صليب مرصَّع . واعلم ان الاساقفة وبعض الشمامسة في الكنيسـة الغربية يلبسون هوزات قبل الخفاف لتكون ركبهم متشـدّدة وسعيهم مقوَّمًا في كرازة البشارة وتقديس الاسرار كما كتب الرسول « أنهضوا اذًا ايديكم المسترخية وركبكم المنحلّة واخطوا باقدامكم خطواتٍ مستقيمة » (٣

---

١) متى ١٠ : ١٤ ٢) مرقس ١ : ٧
٣) عبرانيين ١٢ : ١٢

الفصل الثالث

في لبس الكتونة اذ يقول

ܐܣܛܠܐ ܕܒܝܬ ܩܘܕܫܐ سلاح البر

مذكور عن القديس لينوس بابا رومية انهُ أمر بان تكون ثياب خدَمة القداس بيضاء لا ملوّنة . ويقال ايضاً عن موسى انهُ أَمر الشعب ان يلبسوا البياض لما خاطبهم الله على الجبل . وكذلك لما تجلّى المخلّص على طور تابور يذكر البشير ان ثيابه كانت بيضاء تلمع كالثلج حتى لا يقدر احد ان يبيّض مثلها . وكذلك مذكور أن الملائكة ظهروا في القيامة باللباس الابيض وجميع الاطهار بيّضوا حللهم بدم الخروف . والبياض يشير الى الطهارة والنعمة اللتين خلق الله عليهما الملائكة وابوينا الاولين وأسكنهما الفردوس وقد خسر آدم وذرّيته كلها تلك النعمة باقترافهِ الخطيئة في مخالفتهِ الوصية ولبس عوضها ورق التين وسراويل الموتى دلالة على عبودية الشيطان

ولهذا عندما نتقدَّم الى خدمة جسد الرب نسألهُ تعالى ان ينزع عنا الثياب الوسخة التي البسناها الشيطان ويكسونا ثياباً مختارة تليق بخدمتهِ . وفي طقس كنيسة الرومانيين اذ يلبس الكاهن القميص يقول « بيّضني يا رب وطهر قلبي لاكون مغسّلاً بدم الخروف واتنعم بالخيرات الابدية » وذلك صواب لان الله طاهر ويسكن الى الاطهار كما قال على لسان النبي « كونوا قديسين لاني انا قدوس » (١

وكذلك الجسد الذي نقدّسهُ طاهر ايضاً اذ لم يوبّخهُ احد على خطيئة ولهذا يجب على مَن يخدمهُ ان يكون طاهراً لئلا يصيبهُ ما اصاب يوداس اذ دخله

---

١) احبار ١٩ : ٢

الشيطان وساقهُ الى شنق ذاته او يصيبهُ ما اصاب ذلك الذي دعي الى الوليمة وليس عليهِ ثياب العرس فأُمر باخراجه الى الظلمة البرانية

ثانيًا ان القميص تشير الى البرارة التي بها نكمل وصايا الله اذ نقول حين نلبسها « ألبس اللهمَّ اعضاءنا سلاح البرّ لنكون مستعدين بالاعمال الصالحة لتكميل وصاياك يا رب » وتكون هذه القميص من كتان او من قطن لنكون متشبهين بالعشب الاخضر وقوة افعاله . ولا يجوز ان تكون من صوف البهائم او من حرير لان الله قد ألبس ابوينا الاولين من جلودها حين سقطا في الخطيئة وطُردا من النعيم . ويوجب القديس باسيليوس ان تكون الكتونة واصلةً الى اقدام الكهنة وعريضة على اكتافهم . وفي ذلك اشارة الى ان الكاهن يجب ان يكون واسع القلب كثير الرحمة والحلم وان تكون افعالهُ موافقة لمشيئة الله

ثالثًا تكون الكتونة بيضاء ليتشبه لابسها بالمخلص الذي في طبعهِ الالهي كان بريئًا من الخطيئة وقد افاض من مجد اقنومهِ على الجسد انوار اللاهوت في تجليه على جبل تابور وفي قيامتهِ من بين الاموات . وفي طقس الكنيسة الرومانية يلبس الاساقفة ورؤساء الاديرة جميعًا فوق القميص درعين قصيرين الواحد يسمى دلماتيقا والآخر يدعى طونيسلّه وهما يشبهان دروع الشمامسة وقيل انهُ لم يكن احد يلبسهما في الزمان القديم الَّا صاحب الكرسي الروماني وكان لونهما ازرق شبه الاستبخاره عند الروم . واما الآن فيلبسهما جميع الرؤساء اشارةً الى الفضائل الواجبة ان يتجمَّلوا بها لانهُ كما انهم يفوقون الجميع في الدرجة هكذا يلزمهم ان يفوقوهم بالافعال الصالحة

وليحذر الشماس عندما يلبس الكتونة ان يجعل طرفًا منها قصيرًا وآخر طويلًا بل عليهِ ان يساوي بين اطرافها . وعليهِ ان يفعل كذلك في لبس بقية الثياب حتى لا يجعل لاحد سبيلًا ان يتَّهم باطنه بما يراه من ظاهره . والشمامسة يلبسون كتونات وافلونيات ما خلا المرتلين لانهم بمنزلة الملائكة الذين ظهروا في قيامة الرب وصعوده بثياب بيض ليُرونا انهم ملتحفون بالنور والطهارة

وكانت القمصان والدروع قديمًا بغير أكمام واما الآن فقد أمر الآباء بان يُجعل لهما اكمام لتستر ايدي الشمامسة الّا ان بعضهم يوسعون الاكمام وبعضهم يضيقونها

الفصل الرابع

في شدّ الزنّار والحجر اذ يقول

ܐܣܪܢܝ ܚܝܠܐ تمنطقني القوة

كما ان الرب أمر هارون وبنيهِ في التوراة ان يشدّوا احقاءهم بالمنطقة هكذا أمرت البيعة بان يتمنطق الكاهن بالزنّار وذلك اولًا ليكون منتبهًا ومجتهدًا في خدمة المذبح كما هو مكتوب « انهُ يشدّ وسطه ويُتكئهم ويدور يخدمهم » (١

ثانيًا ليقهر شهوات الجسد ويسلك بالعفة كما كتب « ان الزهاد يشدون اوساطهم بسير من الجلد لتخمد سورة الشهوة عنهم »

ثالثًا لاجل الاستعداد لتناول جسد الرب كما أمر الله الشعب في مصر ان لا ياكلوا خروف الفصح الّا واحقاؤهم مشدودة (٢

رابعًا ليقاوم العدو الذي لم يزل يرمينا بسهامه النارية كقول الرسول « وبعد ايها الاخوة تشدَّدوا في الرب وفي قدرة قوّتهِ. البسوا سلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكايد ابليس » (٣

ولهذا عندما نشدّ أحقاءنا نلتمس العون والعضد من الله قائلين مع داود النبي « أرهقْ اعدائي وصرّع تحتي الواثبين عليَّ ومبغضيَّ أخمدهم » (٤ والزنار الذي يتمنطق بهِ الكاهن يشبه القوس التي يوتّرها الجندي الجبّار وبها يقهر العدو مثل داود لما خرج للقاء جليات الجبّار وأباد قوته . ويدلّ الزنار ايضًا على السياط التي

---

١) لوقا ١٢ : ٣٧ ٢) خروج ١٢ : ١١

٣) افسس ٦ : ١٠ ٤) مزمور ١٧ : ٣٨

جلدوا بها جسد الرب وعلى الحبال التي ربطوه بها وسحبوه من بيت حنَّان الى دار بيلاطس وهيرودس ثم الى الجلجلة . ويدل كذلك على طهارة الرب وبتوليته وقوَّة جبروته ثم على برّه وامانته كما قال اشعيا النبي « ويكون العدل منطقة حقويه والحق حزام كشحيه » (١

واما الشمامسة فانهم لا يتزنَّرون فوق القمصان والدروع لانهم بمنزلة الملائكة وهم مثبَّتون في النعمة وعارون من الاجساد والمواد التي تجذب الانسان الى الخطية وسابقاً كان المتقدّمون يعلّقون في الزنار تحت الكتف اليسرى حجراً شبه الكيس المربَّع والى الآن يستعملهُ رؤساء كهنة الروم

وفي الكنيسة الرومانية يعلّقهُ البابا وحده في الاعياد الفارحة وكنيستنا المارونية تستعملهُ على مثال التفَّاحة ولذلك تجعل الزنار ذا ثلاثة رؤوس على هيئة التفَّاحة اثنان لهُ اي المزنار والثالث بدل من الحجر اشارةً الى ان الكرازة بكلمة الله تخص رؤساء الكهنة كما يوصي الرسول قائلاً « اتخذوا سيف الروح الذي هو كلمة الله » (٢ . وكما ان السيف يُعلَّق تحت الكتف اليسرى كذلك الحجر يعلّق هناك ايضاً وعند تعليقه يصرخ الشعب قائلين مع داود « تقلّد سيفاً على فخذك ايها الجبَّار. بهاك ومجدك وسبحك يغلب » . ويريدون بذلك كما ان الجندي يتمنطق بالسيف هكذا الرئيس الذي تجنّد للمسيح يجب ان يتلمذ ويعظ ويوبخ في وقت ذلك وفي غير وقتهِ على ما في السنَّة

ويُعلَّق الحجر في الزنار ويتدلى نازلاً من الجانب الايسر لان الزنار هو بمثابة القوس التي نتذرع بهـا الى مقاومة الاعداء والحجر بمنزلة السهم نرشقهم بهِ . وقال بعض الآباء ان الحجر يدل على عمل الرحمة مع الفقراء ويُعلَّق تحت الكتف اليسرى لان الرب قال « اذا صنعتَ صدقة فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك » (٣ . وقد

١) اشعيا ١١ : ٥ ٢) افسس ٦ : ١٧

٣) متى ٦ : ٣

يدل الحجر ايضاً على المنديل الذي اتزر بهِ المخلص حين غسل ارجل تلاميذهِ

الفصل الخامس

في وضع المنصفة على الراس قائلين

ܢܕܢܚ ܥܠܝܢ يشرق علينا

ان ثالث شيء في ثياب الكهنوت هو المنصفة التي نضعها على الرأس شبه الازار ولئلا تسقط نربطها ببندين عند الخاصرتين . وقد أمر الآباء ان يلبس الكاهن عمامة يسدلها على كتفيهِ عريضةً انقص من الازار . وهي تُصنع عند الرومانيين من كتان ابيض واما عند اهل الشرق فتؤخذ من ألوانٍ مختلفة حسبما هو مذكور انها في العتيقة كانت تصنع من اربعة ألوان على عدد الاربعة العناصر

ثم ان الرومانيين يلبسون المنصفة قبل كل الثياب واما اهل الشرق فيلبسونها بعد الكتونة والزنار . وربما كان هذا النوع اقدم . وقيل ان الاكليروس في مديولان يجرون في لبسها على عادة اهل الشرق لانهم تسلّموا من القديس امبروسيوس ان يلبسوا الكتونة مع الزنار ثم يتعمموا بالمنصفة

وذكر البابا زخيا الثالث ان الحبر الروماني قديمًا كان بعد ان يلبس القميص والزنار يأخذ منديلًا يضعهُ على رأسهِ ويثنيهِ على كتفيهِ على مثال حبر الناموس . وكذلك يذكر المعلّم دوراندوس في الفصل التاسع من الكتاب الثالث ان الحبر الروماني بعد القميص والزنّار كان يأخذ منديلًا بشبه الازار يضعهُ على رأسهِ ويثنيهِ على منكبَيهِ وصدره وفوقهُ يلبس التاج كما هو واضح الى الآن من الايقونات القديمة الموجودة بمدينة رومية . وكان بعد ان يكشف راسهُ يلقي ذاك المنديل على كتفَيهِ

وانما توضع المنصفة فوق الراس فوق جميع ثياب الكهنوت دلالة على الاستعلانات التي وهبها الله للكهنة والهذيذ في الامور السماوية والسعي في خلاص الروح لان

المخلص قال « كونوا حكماء كالحيات » (١ والحيــة اذا تضايقت تخبئ راسها وتسلّم جسدها الضرب والجندي يحرس راسهُ بالخوذة وبقية جسده يحارب اعداه وقال الرب « لا تخافوا ممن يقتل الجسد بل ممن اذا قتل لهُ قدرة ان يلقي في جهنم » (٢

ولهذا نضع المنصفة على رؤوسنا رمزًا الى الاجتهاد في الخلاص كقول الرسول « اتخذوا خوذة الخلاص » (٣. ومن ثم يقول الكاهن في الكنيسة الرومانية عندما يلبس المنصفة « ضع يا رب على راسي خوذة الخلاص » ويُشار بها اولًا الى انتباه العقل للتأملات الالهية ورجاء الحياة من نعمة الله كقول الرسول « اما نحن اهل النهار فلنصحُ لابسين درع الايمان والمحبــة وخوذة رجاء الخلاص لان الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح » (٤. وكما ان السماء تحوي انوارًا الهية في الباطن ومادية في الظاهر كذلك المنصفة تُصنع من ألوانٍ مختلفة

ثانيًا تدل المنصفــة على مواهب الروح الكثيرة الاصناف التي تحلّ في اصفياء الله كقول اشعيا « السرور الابدي على رؤوسهم » وكما استقرت على السيدة الطاهرة بتجسد الكلمة وسربلتها نورًا وسرورًا كذلك تُسربل الكاهن ليُحضر جسد المسيح على المذبح . ولهذا عندما يلبسها يقول مع داود النبي « ارفع علينا نور وجهك ايها الرب لقد انشأت فرحًا في قلبي » (٥

ويدل وضع المنصفــة ايضًا على راس الكاهن على معرفة الاسرار الالهيــة واشراقات الحكمة التي يبعثها اليهِ الباريْ تعالى . اما ربط البنود عند الخاصرتين فيدل على السرور الذي بصليب ربنا ينحدر على قلوبنا

ثم يُشار بوضع المنصفة على راس الكاهن الى اكليل الكهنوت الذي بهِ يصير نائبًا للرب على الارض وخطيب البيعة كما قال اشعيــا « اني أسرّ سرورًا في الرب

---

١) متّى ١٠ : ١٦
٢) لوقا ١٢ : ٤
٣) افسس ٦ : ١٧
٤) ١ تسالونيكي ٥ : ٨
٥) مزمور ٤ : ٧

لانهُ ألبسني ثياب الخلاص وشملني برداء البرّ كالعروس الذي يتعصَّب بالتاج وكالعروس التي تتحلّى بزينتها » (١

وبوضع المنصفة ايضاً يُشــار الى اكليل الشوك الذي وُضع على رأس المخلّص وخوذة خلاصهِ كقول اشعيا « لبس البرّ كدرع وخوذة الخلاص على رأسهِ » (٢. ثم الى المنديل الذي مسحت بهِ وجهــهُ تلك المرأة في آلامهِ فارتسمت بهِ صورته الجزيلة القداسة . والى العمامة التي لفّ بها نيقوديموس رأسهُ في القبر. وقيل ان بطرس بعد القيامة اخذها وكان يلف بها راسهُ في الاعياد الجليلة وفي سيامة الاساقفــة كما يشهد الانجيل المُفسَّر الذي نسخهُ الحبيس جبرائيل الاهدني سنة الف وثمانمائة وست وثلاثين لليونان وهو الآن موجود في كنيسة مار جرجس كرسي اهدن . وايضاً نسخة يوسف ابن اوتوكوس ابن القس ابرهيم الحرديني اليعقوبي سنة الف وسبعمائة وستين لليونان وهو موجود في كنيسة السيدة في اهدن

وتحت المنصفة نربّي اكليلاً من شعر . وقيل ان بولس الرسول هو الذي ادخل هذا في البيعة وتسلّم ذلك منهُ الاكليروس في بلاد الشام والى الآن لا يزال كهنة الموارنة خاصةً مع رهبان الافرنج متمسكين بهِ . وآخرون قالوا ان البيعة امرت الكهنة ان يحلقوا شعرهم وان يربّوا اكليلاً بسبب الاهانة التي لحقت ببطرس الرسول لما أن نتف الكفرة شعر راسهِ او بسبب الاكليل الذي ضفروه ليسوع في آلامه

ويوضع المنصفة بما انها تغطي راس الكاهن يُشار الى تجسد ابن الله الذي اخفى صورتهُ وأخذ صورة العبد وجاء الى العالم وهو محتجب بمنديل الناسوت . وذلك الذي يتنعم باشراقات نور وجهــهِ جميع القديسين في السماء نزل الينا وهو مجلّل بمنديل الاعراض ليبسط علينا نور وجههِ ويفرحنا بمعرفتهِ

وايضاً يُشار بالمنصفة الى برقع موسى لان كثيرًا من الكهنــة لا ينزعونها عن

---

١) اشعيا ٦١ : ١٠ ٢) اشعيا ٥٩ : ١٧

رؤوسهم الى قراءة الانجيل كما قال بولس الرسول « اذا قرئ ناموس موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم وحين يرجعون الى الرب يُرفع البرقع » (١

وايضاً يُشار بالمنصفة الى السماء التي تحجب عنا مشاهدة الاسرار الالهية كقول الرسول « اما نحن جميعنا فننظر بوجه مكشوف كما في المرآة مجد الرب » (٢ . وكما ان المنصفة تكبس راس الكاهن ورقبته اذا لبسها يجب عليهِ في خدمة الاسرار ان يحبس نفسهُ عن الكبرياء ولسانهُ عن اللغو وحواسه عن الباطل وعقلهُ عن محاولة ادراك هذا السرّ الذي لا يُدرك

الفصل السادس

في البطرشيل اذ نقول

ܒܐܝܩܪܐ ܘܒܫܘܒܚܐ بالوقار والتسبيح

بطرشين او بطرشيل لفظة يونانية اصلها بتراكليون اي البغمة ويسمى هلّار وهرّار واورورا من اوراريون لفظة يونانية معناها الطلبة والموعظة والترم ويدعى ترم لان الشمامسة عندما يعطون السلام او يُخرجون السامعين او يُسكتون الشعب يمسكونه بانامل اليد اليُمنى ويومئون بهِ . ويدعى طلبةً لان الكهنة يستعملونهُ في توزيع الاسرار وتقدمة الطلبات لله . ويدعى موعظة لاننا نلبسهُ في موعظة الشعب . ويدعى بغمة لان جميع خدام المذبح يلبسونهُ على عواتقهم لكن مع اختلاف على حسب الدرجة والسلطان الذي أُعطيه كل منهم . فالقاري والابودياكن يضعانه على الكتف اليسرى مُسبلَين احد طرفيهِ على الصدر والآخر على الظهر . والرسائلي والانجيلي يضعانه على الكتف اليسرى ويطويانه تحت الابط الايمن

وفي رهبانية القرتوسيين يحمل الشماس البطرشين على الكتف اليسرى

---

١) ٢ كورنتس ٣ : ١٥ ٢) ٢ كورنتس ٣ : ١٨

ويطويه تحت الكتف اليمنى ثم يرد احد الطرفين على زنده الايمن · وعند الروم عندما يقبل الابودياكن والارشيدياكن وضع اليد يوضع عليهما منديل من الشمال · ونوع استعماله هكذا الانوغنسط يقبل البطرشين على عنقهِ كالكاهن ويطوي الطرف الشمالي على الكتف اليمنى فوق صدرهِ · والابودياكن يتزر بهِ فوق صدرهِ ثم يطوي الطرف الواحد على كتفهِ من الابط الايمن على الكتف اليسرى على ثديه الايمن الى ما تحت الزنّار ثم ينقل الطرف الآخر من تحت الابط الايسر الى الكتف اليمنى الى الثدي الايسر الى ما تحت الزنّار بنوع ان يتزر بهِ على صدرهِ ويكون على هيئة صليب من قدامُ ومن وراء · ولهذا يسمى البطرشين زنّارًا ايضًا

واما الكهنة والرؤساء جميعًا فيضعون البطرشين على المنكبين ويُرخون طرفيهِ الى قدام ويربطونه فوق الصدر · والكاهن عند الرومانيين يبسط البطرشيل في القداس بهيئة صليب على صدرهِ · ولم يمنع الآباء من لبس البطرشين الّا المرتل لانهُ لا يلبس كتونة وخدمته في الصلاة لا في القداس

والشمامسة يلبسون البطرشين على الجهة اليسرى اشارةً الى ما يجب عليهم من الطاعة والخضوع للكهنــة ودلالةً على حمل صليب الرب الذي تتلمذوا لهُ واخذوا على نفوسهم القيام بخدمتهِ ورمزًا الى اجنحة الملائكة لان الشمامسة قائمون مقامهم ولاجل اختلاف الخدم والوظائف التي تخص كل أحد منهم

وقيل ان البطارش كانت من قديم مناديل يحملها الشمامسة على الكتف اليسرى لاجل امساك الاواني المقدسة ومسحها ومسح عرَق الكاهن · واما الشمامسة الكبار فانهم يعقدون البطرشين تحت الابط اشارةً الى وجوب حفظ العفة او عمل الخير والتهيوء للخدمة وقراءة الانجيل

واما القس فيلبس البطرشين رمزًا الى حمــل نير الرب وحفظ وصاياه بقبول وطاعة كقولهِ « نيري ليّن وحملي خفيف » (١ · وكما ان المخلّص اخضع نفســه

١) متى ١١ : ٣٠

وحمل الخروف على منكبيهِ اعني طبيعتنا البشرية كذلك يجب على الكهنة ان يتضاعف تعبهم في البيعة ويحملوا صليب الرب على الكتف اليسرى كالشمامسة والشعب على الكتف اليمنى وذلك في كل وقت ومكان اي يمينًا وشمالًا في المدح والذم في السعة والضيق في الحياة والموت

ويُشار بالبطرشين الى سلطان الكهنوت الذي شرَّفهُ الله على ملوك الارض وملائكة النور ايضًا . ولهذا عند ما يلبسهُ راس الكهنة يصرخ الشمامسة قائلين مع داود « كلَّلتهُ بالمجد والكرامة . سلَّطتهُ على عمل يديك . واخضعت كل شيء تحت قدميهِ » (١

وقد رتَّب الآباء القديسون اولًا ان يقبل الادنى البطرشين ممن هو اعلى منهُ اعني ان الشمَّاس يقبلهُ من يد الكاهن والكاهن من الاسقف لاجل تكريم الدرجة وحفظ الرئاسة

ثانيًا اوجبوا ان يكون بطرشين الكاهن اعرض واطول من بطرشين الشماس يصل الى ركبتيهِ ويكون مصلَّبًا . ولذلك أمر الآباء الذين اجتمعوا في اللاذقية ان لا يلبس الشماس بطرشين القس

ثالثًا اوجب الآباء على الكاهن عند ما يتناول جسد الرب ان يكون لابسًا البطرشين . ومجمع براقا جزم بالحرم على كل كاهن يقدّس او يتقرَّب بغير بطرشين . وزعم بعض العلماء ان الذي يفعل ذلك اذا لم يسقط في الحرم يقترف مميتةً ما لم تكن هناك ضرورة ماسة فلا جناح عليهِ

رابعًا قال بعض العلماء ان الكاهن لهُ ان يلبس البطرشين خارج الكنيسة ايضًا لكن هذه العادة بطلت شرقًا وغربًا . وليس من احد يلبس البطرشين الَّا البابا فقط

خامسًا لا يجوز لاحد من خدام المذبح ان يستعمل بطرشينين لكن واحدًا لان الرئاسة واحدة . ولهذا عند ما يقدّم الحبر الاعظم الاسرار المقدسة يخلع البطرشين

١) مزمور ٨ : ٦

الذي اعتاد لبسهُ ثم يُعيده بعد ان يفرغ من خدمة الاسرار . ويذكر مجمع توليدوس ان بعض الشمامسة كانوا لطمعهم يلبسون بطرشينين معًا فنهاهم الآباء عن ذلك في القانون التاسع والثلاثين قائلين « الاسقف والقس لا يجوز لهما ان يستعملا بطرشينين معًا » فبنوع احرى لا يجوز ذلك للشماس الذي هو خادمهما

سادسًا البطرشين يشير الى طاعة المخلص حتى الموت . وقال القديس جرمانوس ان الطرف الذي يُرخى الى الجهة اليسرى يدل على حمله الصليب والطرف الذي يُسدل على اليمنى يشير الى القصبة التي اعطاه الشرط في يمينهِ

ويشير البطرشين ايضًا الى الحبال التي رُبط بها يسوع وسيق للتعذيب . ولهذا عندما نرسم خدام المذبح نضع للشماس بطرشينًا على عاتقهِ وللكاهن اثنين . ونأمر رأس الشمامسة والكهنة ان يقودوهما بهما ولا نعني بهذه البطارش سلطان الكهنوت بل انهم انتخبوا لتلك الدرجة لا برضاهم بل رغمًا بمسرَّة روح القدس وانهم سالكون في الطاعة شبه المخلص الذي اطاع الآب حتى الموت

الفصل السابع

في لبس الزندين او الكمين اذ نقول

ܝܡܝܢܟ ܐܣܡܟܬܢܝ يمينك تعضدني

ان الشماس الكبير والكهنة والرؤساء يستعملون في جميع الكنائس لدى خدمة القداس الطاهر اكمامًا في زنودهم لكنهم في الكنيسة الرومانية يلبسون كمًّا واحدًا باليد اليسرى ينحدر نازلًا شبه البطرشين ويسمى زَندًا . واما في الكنيسة الشرقية فيتخذون كُمَّين احدهما لليد اليمنى والآخر لليسرى واستعمالهما قديم منذ ايام الرسل . وقال البعض ان لبسهما قديمًا كان مخصوصًا برؤساء الكهنة . اما اليوم فيلبسهما جميع

المتكرّسين . وكانوا قديمًا يخيطونهما مع قمصان الشمامسة والقسوس كما هو واضح من الصور القديمة . لاجل ذلك لا تجد لهما ذكرًا في رتبة الرسامة

ولكن حينما يُرسم الرسائلي يعطى الكتونة التي تخصهُ وتكون مختلفة عن كتونة الابودياكن وكانوا قديمًا يخيطون فيهـا كمين احمرين . وعند ما يُرقى الى القسوسية لم يكن ينزعها بل كان يزرهُ الاسقف فوقها

واما رؤساء الكهنة فيلبسون اولًا الكتونة ويتزرون بالزنّار ثم يضعون المنصفة والبطرشين وبعد ذلك يلبسون الزندين في اليمين والشمال ويعقدانهمـا مع كمي القميص بقدة من حرير او بازرار من فضـة . وكان الحبر الروماني يلبس الزند بعد البدلة لكي يضمها بشمالهِ لئلا تعوقهُ

وهذان الكمان يدلان على الشجاعة والقوة في مصارعة العدو كقول ايوب الصديق « ألك مثل ذراع الله . أترعد بمثل صوته . اذن فتزيَّن بالعظمـة والسمو. والبس المجد والبهاء . صُبَّ فيوض غضبك وانظر الى كل متعظم واخفضـهُ . انظر الى كل متعظم وذلّلهُ واسحق المنـافقين في مواضعهم » (١ . ولذلك عند ما يلبس رئيس الكهنـة الزند الاول يصرخ مع داود قائلًا « يمينك تعضـدني ولطفك يعظمني . وسعت خطواتي تحتي ولم تتخلَّع عقباي » (٢ . وكذلك عندما يلبس الزند الآخر يقول « علّم يدي القتال فلوت ذراعاي قوس النحاس أُرهق اعدائي فأدركهم ولا انكص حتى افنيهم » (٣ . وقد ذُكر ان برج داود كان معلّقًا عليهِ الف ترس وانهُ شدَّد يديه بقوة الرب فظفر بالاسد والذئب وجليات الجبّار . كذلك الكاهن يلبس الزندين ليظفر بالعدو ويحظى بالأيد من السماء

ويلبس الكمَّين يُشار الى ان الكاهن يجب ان يكون مستقيمًا لا بنور الايمان وبهجة الروح اللذين يقبلهما في وضع المنصفة بل بفعل الصـلاح الذي يخص الايدي

١) ايوب ٤٠ : ٤ ٢) مزمور ١٧ : ٣٦
٣) مزمور ١٧ : ٣٥

ولهذا قيل ان يعقوب ربط يديه بجلود الغنم وأَخذ الرئاسة على اخيهِ والبكرية والبركة من الملاك الذي صارعهُ طول الليل

ويُشار بلبس الكمين ايضًا الى استعداد الكاهن لتقديس جسد الرب لانهُ كما قالت العذراء في تجسدهِ « ان الله صنع عزًّا بساعدهِ وشتت المتكبرين بافكار قلوبهم » (١ . كذلك ها هنا يمينهُ تعضد الكاهن ويؤيده الروح ليُحضر جسده على المذبح ويشتّت الذين يناصبون هذا السرّ بافكارهم الباطلة

ثم ان الكمَّين يشيران الى علم الايمان كقول ابن سيراخ « التأديب للفطن كحلية من ذهب وكسوارٍ في ذراعيهِ اليمنى » (٢ وايضًا الكمان يدلان على مجاهدة المخلص عنا وربطه مكتوفًا على العمود . وقيل ان الكم كان من قديم منديلًا لمسح الدموع والعرق كما هو مذكور عن انبا ارسانيوس انهُ كان غزير الدموع وكان ابدًا يمسك منديلًا لمسحها . ولهذا يقول الكاهن عند الرومانيين اذ يلبس الزند « اهلني يا رب لان احمل زند البكاء والوجع »

الفصل الثامن

في لبس البدلة والغفّارة اذ نقول

ܟܗܢܝܟ ܢܠܒܫܘܢ كهنتك يلبسون

ان سابع شيء في ثياب الكاهن هو البدلة وتسمَّى مدرّعة وافلونيّـة وبيرونة وغفَّارة . فافلونيَّة لانها قميص واسع مدوَّر لا كمّي لهُ ولا برنس يغطي جميع ثياب الكاهن الى الارض وعند ما يرفع الكاهن يده تنطوي على ذراعيهِ لئلا تعوقه . وكانوا يستعملونها منذ بدء النصرانية لكن الافرنج قطعوا جنَباتها واصبح الكهنـة الآن يخدمون بها بسهولة من غير طي . ومن عهـد البابا ادريانوس طفقوا يقدّسون على

١) لوقا ١ : ٥١ ٢) ابن سيراخ ٢١ : ٢٤

زي الافرنج . وقيل ان البيرونة لم تزل في بلاد فرنسا على الزي القديم وهم يلبسونها في سبّة الآلام فقط

واما المدرّعة التي يدعونها ساكوس فهي لبس ملكي لها كمّان وهبها قسطنطين الملك الى سيلبسطروس بابا رومية لما عمّده . ولم يزل بطرك القسطنطينية يستعملها الى يومنا هذا . ثم ان البابا انعم بالمدرّعة على شمامسة رومية ومنهم اتصلت الى جميع الشمامسة

والغفّارة اشبه بالمشلح استعملها الرهبان والآباء المتقدمون وتكون مفتوحة من قدام ولها برنس على الكتفين يغطي بهِ الكهنة رؤوسهم في الزيّاح وتقريب المرضى في المزارع . ويكون لها إبزيمان على الصدر ويلبسها الكهنة والرؤساء في الصلاة وتوزيع الاسرار ويقدّسون بها خاصة في رعية كرسي انطاكية

اما البدلة في خدمة القداس فاستعمالها قديم من زمان الرسل . فقد ذكر اوسابيوس المؤرّخ ان يوحنا الانجيلي كان يلبسها حين يقدّس . وسوريوس يذكر في سيرة القديس هيلدوفونصوس مطران توليدوس ان السيدة والدة الخلاص انعمت عليهِ ببدلة مكرَّمة من السماء لوضع عبادتهِ ومدافعتهِ عن بتوليتها . والبدلة شبه الجبة التي البسها موسى لهارون اخيهِ في تقدمة القرابين . وقيل انهُ كان مرسوماً على كتفها العالم كلهُ كقول سليمان « وقف هارون في الوسط وبيّن الطريق للاحياء لان العالم كلهُ كان على عطف لباسهِ » . كذلك أَوجبت البيعة ان يُرسم فوق البدلة صليب كبير او صلبان كثيرة لانهُ بصليب الرب حصلت النجاة والخلاص للعالم كله . ولاجل امان وسلام العالم يقدّم الكاهن القربان المقدس

ولهذا فيلبس البدلة فوق كل الثياب نفهم المحبة التي تعم جميع الفضائل او اتحاد الايمان وحلول روح القدس من العلا او فضيلة الحق والبر التي بها يتسلح الكاهن كالدرع كما قال الرسول « شدّوا احقاءكم بالحق والبسوا درع البر » (١

١) افسس ٦ : ١٤

وبالبدلة يشار كذلك الى مجد الملكوت لانهُ عند ما يلبسها رأس الكهنة تصرخ البيعة مع داود قائلة « ليلبس كهنتك البر وليرنّم اصفياؤك » (١. لان اصفياء الله في النعيم يشتملون بحلة النور كرداء ويصيرون ممجدين ثابتين في النعمة حتى « ان الفاسد يلبس عدم الفساد والمائت عدم الموت » (٢

والغفَّارة تكون مفتوحة من قدام ليسهل على الكاهن استعمال الخدمة . وهكذا قلوب الابرار في النعيم تكون مفتوحةً وايديهم مرتفعةً للتسبيح القدوس من غير ما عائق . وفي بعض الكنائس يزخرفون الغفَّارة بخطوط تنحدر من اعلاها الى القدمين ويجعلون لها بطرشيناً من قدام رمزًا الى انوار النعمة التي يُحدرها الروح المعزي للاطهار لكي يفيض عليهم الابتهاج وينتفي عن قلوبهم كل كدر

والبرنس المنحدر على كتفَي الغفَّارة يشير الى حمل صليب الرب وشعبه المؤتمن على تدبيره . فمن صبر واحتمل في هذا الدهر يجد الراحة لنفسهِ في العالم الآتي كقول موسى النبي حين بارك سبط بنيامين « حبيب الرب يسكن لديه آمنًا يستره طول النهار وبين منكبيهِ يسكن » (٣

الفصل التاسع

في درع الرؤساء اذ يقول

ܫܘܒܚܐ ܘܐܝܩܪܐ التسبيح والبهاء

ان درع الرؤساء يسميه الروم اوموفريون وباليون والسريان ܡܥܦܦܬܐ ܕܪܝܫܘܬܐ وبالعربي بغمة ودرع الرؤساء والبطرشين الاعظم . وقيل ان لينوس البار خليفة بطرس الرسول برومية هو الذي أَمر بلبسهِ

١) مزمور ١٣١ : ٩   ٢) ١ كورنتس ١٥ : ٥٣
٣) تثنية ٣٣ : ١٢

وفي سنة ثمانمائة وتسع وستين للرب لما التأم المجمع الثامن بالقسطنطينية بسبب رجوع اغناطيوس بطركها الى كرسيه ذُكر ان تاودوسيوس بطريرك اورشليم ارسل الى اغناطيوس درعًا وتاجًا مع بقية ثياب الكهنوت التي كان يلبسها يعقوب اخو الرب وبقيت محفوظة عندهم الى ذلك الحين بغاية الكرامة قائلًا لهُ « ارسلت لك البدلة والبطرشين مع التاج ولبس الكهنوت الذي كان للقديس يعقوب اخي الرب واول رؤساء الاساقفة الذين هم البطاركة اسلافي وهم كانوا يلبسونها حين يدخلون قدس الاقداس لخدمة الكهنوت »

وفي بدء البيعة لم يكن يحلّ لاحد ان يلبس الدرع الّا رؤساء الاساقفة اعني المطارنة والبطاركة . وشاهد ذلك ان يوسطينوس ملك الروم لما ابتنى اليوسطينيه واقام لها اسقفًا يدبّرها كتب الى اغابيطوس بابا رومية سنة خمسمائة وخمس وثلاثين ان ينعم على الاسقف المذكور بلبس الدرع فأَبى مجيبًا ان الدرع ليس للاساقفة لكنه مخصوص بالبطاركة والمطارنة

واستمر هذا التسليم واعتصام رؤساء البيعة بالخضوع والطاعة لصاحب الكرسي الروماني كاعضاء الجسد مع الرأس الى ايام رومانوس الملك لسنة تسعمائة واربع وثلاثين للرب واذ ذاك همّ الملك المذكور ان يقيم على بطركية القسطنطينية ابنه المسمى تاوفيلقطوس الخصيّ الذي كان ارائذٍ في سن السادسة عشرة ولأَن هذا الامر لم يكن يجوز عمله الّا برضا رأس البيعة التجأَ الى عضد البيريكوس وكان هذا ملكًا ظالمًا غشومًا تغلّب على مدينة رومية وأَثار على بيعة الله في تلك النواحي اضطهادًا عظيمًا فارسل اليهِ الهدايا والتحف ومكاتيب التودُّد وطلب اليهِ ان يجبر البابا ليأذن لابنهِ ولسائر الذين يخلفونه على كرسي القسطنطينية ان يستعملوا درع الرئاسة من غير مشورة اصحاب الكرسي الروماني . ونظرًا لشدَّة جور الملك المذكور تنازل البابا يوحنا الذي كان يومئذٍ متقلدًا تدبير الكرسي وسمح لهُ بذلك

ومن ذلك الحين صار بطاركة القسطنطينية لا يقتصرون على ان يلبسوا الدرع

هم بانفسهم ولكنهم كانوا يمنحونه ايضاً لسائر الاساقفة ولم يلبثوا بعد مدَّة ان اخذوا يانسجونه من حرير ويلبسونه في القداس الطاهر وغيره وكان كل هذا منهم على خلاف العادات القديمة

لكن ينبغي ان تعلم ان السيد المخلص اعطى النيابة والسلطان الاعلى لبطرس لا على رعاية المؤمنين فقط اذ قال لهُ « ارعَ خرافي إرعَ خرافي ارعَ غنمي » بل على تثبيت اخوته البطاركة والمطارنة بقولهِ « سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكنني صلَّيتُ من اجلك لئلا ينقص ايمانك . وانت متى رجعتَ فثبّت اخوتك » (١

وبسبب هذا السلطان الجزيل القدر تسلَّم الرسل الاطهار والآباء الاخيار منذ ابتداء البيعة ان يلتجئوا في المشكلات الى مشورة بطرس الرسول ويتدبروا بسُنَنهِ في الاحكام التي ينطق بها الله بلسانهِ وألسنة خلفائهِ على كرسي رومية . وان جميع البطاركة والمطارنة عند ما يتولون الكراسي العالية يطلبون تثبيتهم في الرئاسة من رئيس الرعاة

واذا اتفق ان يطمع احدٌ في الاستئثار بالرئاسة كما فعل فوتيوس بمدينة القسطنطينية او يتعدَّى على حدود الايمان كما صنع ديوسقوروس بطرك الاسكندرية ومقاريوس بطرك انطاكية فانهم يعزلونهُ بالسلطان العام الذي أُعطوه

وكذلك اذا انحطَّ احد الرؤساء عن كرسيهِ بخلاف القوانين او نُفي ظلماً وعدواناً كما جرى لاثناسيوس الاسكندري واغناطيوس ويوحنا فم الذهب بطاركة القسطنطينية وغيرهم يردونهُ الى كرسيهِ ويبرئونه من التهم التي قُذف بها

ولهذا السبب لا تُصنع دروع الرؤساء الَّا في رومية حيث جسد بطرس . وبعد ان توضع على جسدَي بطرس وبولس الرسولين وتتقدَّس بهما تُوزَّع على رؤساء الاساقفة في جميع النصرانية لكي يكون جسد البيعة ناجياً من الشقاق وكل مدبّريها خاضعين لصاحب الولاية كخضوع الاعضاء للراس وعند ما ينعم بالدرع على احدهم

١) لوقا ٢٢ : ٣١

او على قاصده يقول « اقبل الدرع المقدّس اكتمال درجة الحبرية » وعندما يلبسهُ هو في القداس في الاعياد الجليلة يرتل الشمامسة مع داود « المجد والجلال وضعت عليه لانك جعلتهُ بركة الى ابد الابدين »

ثم ان الدرع لا يصنع من حرير ولكن من صوف الغنم رمزاً الى النعجة الضالّة اي الطبيعة البشرية التي ضلّت عن معرفة الحق كما يقول الاسقف في كنيسة الروم عندما يلبسه « لقد رفعت على منكبيك الطبيعة الضالّة وقدمتها لله ابيك »

فان ابن الله الراعي الصالح ترك مواكب النورين التسعة الذين لم يضلوا وخرج يطلبها في ارض الخطأة فلما وجدها برحمتهِ وهي تحت عبودية الشيطان حملها على منكبيهِ كما كتب « الكلمة صار جسداً وحلَّ فينا » (١ واستفكها بصليبهِ واصعدها الى السماء واجلسها عن يمين ابيهِ وفرح الآب القدوس وكل من في السماء بخلاصها فرحاً عظيماً واعطى لابنهِ ان يكون مسلطاً على كل شيء . وان تجثو لاسمهِ كل ركبة

وكما ان السيد المخلّص منح ذلك السلطان لبطرس وبقية الرؤساء قائلاً « كما ارسلني الآب انا ارسلكم » (٢ كذلك يجب ان يتسلموا منهُ درع الحبرية على اكتافهم لتعليم البيعة ان السلطان الذي معهم هو من الله كقول الرسول « كيف يبشّرون ان لم يُرسلوا » (٣ . ولذلك مذكور في سيامة البطريرك ان الرأس يأخذ البطرشين ويضعهُ على عاتقهِ ويطويه على كتفهِ اليسرى قائلاً « لتمجيد ووقار وبهاء وتعظيم الثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر . ولاجل امان وبنيان بيعة الله المقدسة »

ولا يجب لبس هذا الدرع الّا وقت القداس الطاهر في الاعياد الجليلة ومواسم الموتى وسيامة خدام المذبح وتكريس الاماكن المقدسة . لانهُ في القداس يحضر جسد الرب الذي هو صاحب السلطان وبهِ يقبل الرؤساء الولاية على رعاياهم . ومذكور عن يوحنا مطران مديولان انهُ كان يلبس الدرع في بعض الزيّاحات فلما

---

١) يوحنا ١ : ١٤ ٢) يوحنا ٢٠ : ٢١

٣) رومية ١٠ : ١٥

اتصل ذلك بمسامع البابا غريغوريوس الكبير ارسل اليهِ مرارًا ينهاه عن ذلك الفعل

ثم ان الدرع يلبس فوق كل ثياب الكهنوت على هيئــة البطرشين ويطوى ذيلهُ الايمن على الكتف اليسرى بحيث ينسـدل على الكتف اليمنى طاق وعلى اليسرى طاقان احدهما الى قدام والآخر الى وراء . وينعقـد الاثنان بجوهرة فوق الصدر لئلا يتضيق العنق

وعلى مثل ذلك الدرع الذي يرسله البابا الى رومية وهم يخيطونه مدوَّرًا لكي لا يضيق على عنق لابسه . ويجعـلون الطاقين على الكتف اليسرى ويعلّقونه بالبداءة بابرة من ذهب بدلًا من الجوهرة وبابرة أُخرى يعلّقون الذيل بالصـدر . وباخرى يعلّقون الذيل الى خلف وذلك على عدد الثلاثة المسامير التي ثُقبت بهـا يدا الرب ورجلاه . وعلى عدد الفضائل التي يجب ان تكون في رأس الكهنة كما هو مكتوب

ܘܟܕܢ ܨܘܪܐ ܕܢܦܫܗ ܘܦܓܪܗ ܒܣܒܪܐ ܘܚܘܒܐ
ܘܗܝܡܢܘܬܐ (١

وتُرسم على الدرع ستة صلبان اثنان على الكتفين واثنان على الصدر والظهر واثنان على الطرفين دلالةً على انهُ يجب ان يتحمَّل رعيتــه التي اؤتمن على تدبيرها اوان الضيق والسعة ويهديها بأَفعالهِ وكلامهِ ويقرّب الطلب والقربان لاجل الاحياء والاموات منهم

وهذا الدرع يختص بالرئيس وبالرعية التي أُقيم عليها ولذلك فاذا انتقل الرئيس الى رعيــة أُخرى لم يجز لهُ ان يلبسه الَّا برضى راعيها وان خلع نفسه من الرئاسة وترهَّب او ارتقى الى كرسي آخر وجب عليهِ ان لا يستعمـله بل يبقيهِ الى وقت مماتهِ . واذا فقد الدرع او احترق او سُرق فلا يجوز لهُ ان يصنع آخر مثله بل عليهِ ان يلتمس من رومية غيره . واذا مات الرئيس قبل ان يصل اليهِ الدرع وجب ان يُحرق

١) وكدن عنق نفسه وجسده بالرجاء والحب والايمان

ويُطرح رماده في جرن المعمودية . واذا مات بين رعيته فلهـا ان تلبسهُ اياه لكنهُ اذا مات خارجاً عنها وجب ان يوضع تحت راسهِ

الفصل العاشر

في تاج الرؤساء اذ نقول

ܣܡܬ ܒܪܫܗ ܟܠܝܠܐ وضعت على رأسهِ اكليلاً

ان استعمال التاج قديم في بيعة الله لانهُ مذ أمر الرب موسى ان يصنع ثياب المجد لهارون اخيهِ قال لهُ « تصنع صفيحةً من ذهب خالص وتنقش عليها كنقش الخاتم قدسٌ للرب وتكون على جبهة هارون . ولبني هارون تصنع قلانس للكرامة والبهاء » (١

وفي العهـد الجديد يذكر القديس ابيفانيوس وايرونيموس ان يعقوب اخا الرب رئيس اساقفة اورشليم كان يلبس على راسهِ تاجاً مرصعاً بالذهب بقي في المدينـة المقدسة الى زمان البطريرك تاودوسيوس وهو ارسلهُ مع باقي ثيـاب الكهنوت الى اغناطيوس بطرك القسطنطينية كما تقدم القول . وذكر فوليقطار في رسالتهِ الى منصور البابا ان يوحنا الرسول كان يلبس على راسهِ تاجاً شبه الذي تكلمنا عنـهُ . وقيل انهُ في بلاد اسبانية لم يزل محفوظاً الى الآن التاج الذي كان يلبسـهُ مار اوغسطين اسقف هيبونة وهو منسوج من حرير وذهب وقصَب

ومن خصوص البطاركة الاربعة الروماني والقسطنطيني والانطاكي والاسكندري الذين هم عَمَد البيعـة واسطوانة الامانة المسيحيـة ومنهم يتفرَّق الآباء على سائر الكراسي لم نعلم ان احداً منهم لبس تاجاً قبل السنة الثلاثمائة للمسيح . وزعم البعض انهم ما كانوا يلبسون التيجـان ولكنهم لدى ارتقائهم الى المرتبة السامية كان

١) خروج ٢٨ : ٣٦

يُوضع على رؤوسهم الانجيل الطاهر الذي هو قوَّة الله

وقال آخرون ان جميع الرؤساء يلبسون الاسكيم الذي اعطاه الرب للقديس انطونيوس ابي الرهبان وهو تاج الملائكة. لكن هذا يخص البطاركة وجميع الرؤساء كما يتضح من كتاب الشرطونية . وانا أرى ان بطرس الذي اقام كراسي البطريركية لم يلبس تاجاً ولكنهُ لما دخل قبر المخلص اخذ العمامة وعمَّم بها راسهُ وكان يلبسها في خدمة الاسرار المقدسة وخاصة في الاعياد الفارحة والتكريسات المقدسة

وحقًّا ان تلك العمامة ضمَّت رأس الرب ينبوع كل الخيرات فلذلك كانت اشرف وافضل من كل التيجان الكريمة . وعلى مثال مار بطرس سلك سائر الآباء الذين شرَّفوا كراسي البطركية بعده ولم يشاؤوا لبس الاكاليل مفتكرين في الرب يسوع الذي هو راس البيعة ونحن اعضاؤه . وفي بعض الكنائس الى الآن ليس احد من الكهنة يستعمل المنصفة سوى الرؤساء فقط

وبعد السنة الثلاثمائة للمسيح لما اهتدى قسطنطين الملك الى الايمان المسيحي واعتمد قيل انهُ وهب لسيلبسطروس البابا لِبسه وتاجه وقصره حتى المدينة نفسها . ومن ذلك الوقت صار صاحب رومية يلبس تاجاً . وقيل ان ذلك التاج هو المعروف بالملكي وبهِ يتتوَّج الباباوات الى الآن وهو مزنَّر بثلاثة صفوف من الحجارة الكريمة وهيئته مدورة وفي رأسه صليب من ذهب

وقال آخرون ان هذا التاج كان لانسطاس ملك الروم ارسلهُ الى كلودوبيكس ملك فرنسة لما ان دخل في ايمان المسيح وملك فرنسة ارسلهُ الى هرميزدا البابا دلالة على المحبة والطاعة لكرسي بطرس

وفي رومية محفوظ تاج آخر باسم سيلبسطروس مدوَّر مثل الطاسة من اسفل ورقيق من اعلاه كالفنجان طولهُ نحو شبر ومنسوج من حرير وذهب وعليهِ نقش صورة العذراء في حضنها الطفل يسوع وحولها من هنا وهناك ملاكان بلبس الشمامسة

ومع تمادي الزمان صار البابا يلبس تاجاً مفرطحاً غير الملكي وعلى مثاله يلبس سائر رؤساء الكهنة والديارة في بلاد المغرب وجميع التيجان التي يلبسونها مفرطحة عالية بعضها منسوج من حرير ابيض والبعض الآخر مزخرف بذهب ولؤلؤ وحجارة كريمة على حسب درجة لابسه . ويكون اعلا التاج منقسماً قسمين ينعقدان بجوهرة واسفله مدوَّراً على قدر الراس ولهُ من وراء ذؤابتان تنحدران على كتف الاسقف

اما بطرك الاسكندرية قد ارسل اليهِ قالسطينوس البابا من زمان كيرلّس كوكب البيعة تاجاً مكرَّماً على الهيئة التي ذكرناها وولّاه نيابته في مجمع افسس . ومن ذلك الزمان صار بطاركة الاسكندرية يلبسون التيجان على مثال تيجان كنيسة رومية او يتخذونها مدوَّرة كالطاسة . واما بطاركة القسطنطينية فيجعلون التاج على هيئة الطاسة غير اننا لم نعرف في اي زمان تسلموا ذلك بل قيل انهُ نحو سنة الف للمسيح بينما كان باسيليوس الصغير متولياً تدبير مملكة الروم حصلت وحشة بينهُ وبين البطرك فلما اتصل خبر ذلك بمسامع بطرك الاسكندرية امر حبًّا بالقاء المصالحة بينهما ان يصنعا تمثالين من شمع احدهما يشخّص الملك والآخر يشخّص البطرك ويجعلا تمثال البطرك مقطوع اللسان وتمثال الملك مقطوع اليد ويزيلا الفتنة من بينهما فلما فعلا حسب ما قضى الاسكندري عاد الملك والبطريرك الى التواد واعطى الملك للبطرك تاجاً ملكياً والبطرك ادخل الملك في عدد خدام البيعة

ومن ذلك الوقت اخذ بطاركة القسطنطينية يلبسون التاج وانعموا على رؤساء الكهنة من المسكوب وبلاد الروس وغيرهم بلبس التاج المدوَّر ما خلا اسقف نوبيغردا الذي يلبس تاجاً ابيض مفرطحاً على مثال التاج في كنيسة رومية

واما بطاركة انطاكية فانهم ابتدأوا في استعمال التاج نحو سنة سبعمائة في عهد البابا سركيس الانطاكي لما ان دخل البطرك يوحنا المنتمي الى رهبان القديس مارون الى مدينة رومية وحضر المجمع اللاترانيّ الذي انعقد ابطالاً للمجمع الذي كان جمعه يستنيانوس الاخرم وحينئذٍ ثبّت البابا سركيس القديس يوحنا بطركاً على كرسي

انطاكية والبسهُ خاتمًا في يده وتاجًا في راسه كتاج الكنيسة الرومانية

ومما ذكرنا يخزى علماء الملة اليعقوبية الذين يضادون لبس التاج ويشتمون رؤساء الموارنة في كتاب اعتقادهم اذ يقولون « ان بطرك الموارنة يضع على رأسه تاجًا مرصعًا بذهب وحرير. وهذا الفخر خبيث وغير واجب »

غير اننا نجيب ان اللبس الذي امر الربّ ان يتتوَّج بهِ احبار الناموس عند تقدمة القرابين والذي استعمله الرسل المفعمون كل حكمة ومن بعدهم رؤساء الكهنة والبطاركة المكرَّمون لتقديس جسد الرب ليس هو افتخارًا خبيثًا وغير واجب وانما هو محترم ولائق لان الرسول قال « من يفتخر فليفتخر بالربّ لانهُ ليس من وصَّى بنفسه هو المزكى بل من وصَّى بهِ الرب » (١

ويثبت ذلك من المعاني الروحانية التي يشير اليها لبس التاج لان وضع التاج على الرأس يدل اولاً على ان سيدنا يسوع المسيح هو راس البيعة وفخرها وتاجها كما نطلب في صلاة الخميس في التاسعة اذ نقول « اجمعنا لديك يا رب يا اله الارواح وكل ذي جسد. لانك انت هو ذخرنا وكنزنا ومعتمدنا واكليلنا وتاجنا » بما انهُ خطب البيعة بدمهِ وقبل على راسهِ اكليل الشوك ليغفر لها جميع ما اخطأَت في فكرها ويزيل عنها تعبّدها للشيطان ويردّها الى حرّيتها الاولى

ثانيًا. ان راس الكهنة يلبس التاج دلالةً على انهُ راس البيعة وخطيبها كقول اشعيا النبي « اني اسرّ سرورًا في الرب وتبتهج نفسي في الهي لانهُ البسني ثياب الخلاص وشملني برداء البرّ كالعروس الذي يتعصب بالتاج والعروس التي تتحلى بزينتها » (٢

وكما ان العروس يحب قرينته ويغار عليها ويبذل نفسهُ دونها ويفرح بطهارتها كذلك رئيس الكهنة يلبس التاج امام اولاد البيعة ليريهم غيرته على خلاصهم وعنايته بهم وتعليمه اياهم كلام الحياة وفرحه بسلوكهم في تقوى الله ومحبته لهم حتى

١) ٢ كورنتس ١٠: ١٧ ٢) اشعيا ٦١: ١٠

سفك الدم كقول الرسول لاهل تسالونيكي « ماذا رجاؤنا او فرحنا او اكليل فخرنا أليس اياكم امام ربنا يسوع المسيح عند مجيئهِ . نعم انتم مجدنا وفرحنا » (١

ثالثاً . ان الله امر رؤساء الكهنة ان يلبسوا تيجان المجد والكرامة ليعرّفهم اكليل المجد والسرور الذي اعدَّهُ لمكافأة الذين يسهرون ويتعبون في تدبير خرافهِ الناطقة كما كتب الرسول الى تيموتاوس قائلاً « قد جاهدتُ الجهاد الجميل واتممتُ شَوْطي وحفظت الايمان وانما يبقى اكليل العدل المحفوظ لي الذي يجزيني بهِ في ذلك اليوم الرب الديّان العادل » (٢

ويذكر يوحنا في كتاب الرؤيا انهُ « شاهد الرب جالساً على العرش وقوس الغمام حول العرش واربعة وعشرين شيخاً جلوساً لابسين ثياباً بيضاً وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب » (٣

والمراد بالاكاليل بهجة المجد وإسفار الوجه قدام الحق والانتصار على مكاره الاعداء . وبطرس الرسول يوصي الرؤساء بالتعب والمجاهدة في خلاص الشعب لنيل المجازاة قائلاً « كونوا مثالاً للرعية وحين يظهر رئيس الرعاة تحصلون على اكليل المجد الذي لا يذوي » (٤

وانما يُقرأ هذا الفصل في انتخاب الرؤساء ردّاً على من يشنّعون في استعمال التاج اذ يقول المفسّر « ها هنا يذكر الرسول تاج التسبحة خزياً لمن يجادلون لحسدهم قائلين ليست من حاجة الى التاج لانهم لا يستعملونهُ في مذهبهم » وهذه الشهادة تكفيهم منا جواباً لانهم بغير مخافة الله يطعنون في المجد الذي جاد بهِ ربنا على الكهنوت وزينه بهِ كما زيّن كهنوت هارون ونصبهُ دلالةً على شرف كهنتهِ في ملك السماء

فلاجل هذه الاسباب وغيرها نقول ان لبس التاج ليس خبيثاً ولكنهُ واجب

١) ١ تسالونيكي ٢ : ١٩ ٢) ٢ تيموتاوس ٤ : ٧

٣) رؤيا ٤ : ٢ ٤) ١ بطرس ٥ : ٣

وعندما يضعهُ الرؤساء يصرخ الشمامسة مع داود قائلين « جعلت على راسه اكليلًا من ابريز واعطيتهُ الحياة طول الايام مدى الدهر والى الابد » (١

ويُصنع التاج من حرير وذهب وحجارة كريمة رمزًا الى احسان السيد المسيح والفضائل والمحامد التي يتجمل بها رئيس الكهنة. والطرَفان العلويان اللذان ينعقدان بالجوهرة اشارة الى العهدين القديم والحديث اللذين جمع بينهما الرب بجوهر لاهوته. واما الذوأبتان فاشارة الى الحرف والروح اللذين يشتمل عليهما العهدان

هذا وان الاسقف يلبس التاج في جميع خِدَم البيعة دلالةً على الرئاسة ويخلعهُ وقت قراءة الانجيل لاجل احترام كلام الرب ولانهُ بكرازة الانجيل بطل الناموس الذي منهُ ابتدأ لبس التاج ويخلعهُ ايضًا في تقديس الاسرار لانهُ بتقدمة جسد الرب اكتملت كل الذبائح

وفي بعض الكنائس يلبسونهُ بعد دعوة الروح ثم ينزعونهُ مع الدرع عند رسم الصلبان على الكاس اذ نقول ܘܫܩܠܗ ܘܒܪܟܗ لانهُ في آلام الرب انشق ستر الهيكل وثوب رئيس الكهنة اشارةً الى بطلان ذبائح القدماء وكهنوتهم

واعلم ان البيعة اذنت للخوارنة الكبار ولرؤساء الرهبانيات ولكردينالية كنيسة رومية في لبس التاج. وفي كنيسة القسطنطينية كان يستعمل ما يضاهي التاج جماعة الموكلين بالمكتب العظيم وقد اذنوا لهم في لبس التاج لاجل الكرامة والرئاسة على الذين تحت طاعتهم

---

١) مزمور ٢٠ : ٤



الفصل الحادي عشر

في عصا الروساء اذ يقول

ܫܒܛܐ ܕܥܘܫܢܐ عصا العزّ

ان السيد المخلص بما انهُ شبَّه المؤمنين بالخراف الضالة لصوت بشارتهِ سمى الرؤساء الذين يهتمون بخلاصهم رعاةً ليبذلوا نفوسهم دونهم على مثال الراعي الصالح الذي يبذل ذاته دون خرافه

وكما ان سلاح الراعي عصاهُ كذلك تشهد التوراة ان هارون رئيس الاحبار كان لهُ عصاً وأورقت وموسى بالعصا ضرب مصر عشر ضربات وبها دبَّر الشعب وشقّ بحر القلزم واخرج الامياه في القفر من الصخرة. هكذا رؤساء البيعة من بدء النصرانية كانوا يمسكون العصا في خدمة الاسرار ما خلا بابا رومية. وسبب ذلك هو أَن بطرس الرسول حين كان يتلمذ في رومية بلغهُ ان تلميذه ماتورنيوس قد توفي في مدينة تريبور من اعمال النمسا. فارسل عصاه الى اوكاريوس اسقف تريبور وامره ان يضعها على المائت وبقدرة الله وشفاعة الرسول نهض الموقت حياً وعاش مدة من الزمان وصار اسقفاً على مدينة تريبور بعد وفاة اوكاريوس وبقيت عصا بطرس الرسول محفوظة الى سنة الف ومائتين لعهد البابا زخيا الثالث كما ذكر كتابه ولهذا نرى صاحب الكرسي الروماني لا يمسك عصاً الا في رعية تريبور اكراماً لبطرس الرسول الذي ارسل العصا اليهم

ثم ان العصا تدل على سلطان الكهنوت في رعاية الشعب كما قال الرب لبطرس « ارعَ خرافي » وعندما تُسلَّم العصا لرئيس الكهنة حال وضع اليد وفي القداس تصرخ البيعة مع داود المغبوط قائلة « عصا عزَّتك يرسلها الرب من صهيون تسلّط فيما بين اعدائك » (١

١) مزمور ١٠٩ : ٢

واما البطريرك فلأن سلطانهُ يعلو سلطان الاساقفة والمطارنة فحين يُسلمون اليهِ العصا لدى ترقيته يمسكونها جميعاً كل واحد بحسب رتبته وتكون يده ادنى من جميع ايديهم الى ان يقولوا «عصا عزّتك يرسلها الرب من صهيون» حينئذٍ يأخذ رئيس المجمع يمين المنتخب ويرفعها فوق الكل ويصنع ذلك ثلاث مرَّات ليعلموا انهُ برضاهم ورضى الثالوث المقدّس أُعطي السلطان الشريف عليهم وعلى جميع البيعة

ثم ان العصا تومئ ايضاً الى علم الايمان ولذلك تأمر البيعة ان يُعطى رئيس الشمامسة عصاً في الرسامة لكي يقرأ الانجيل الطاهر على الشعب. وفي بعض الكنائس عندما يقرأ الشماس تذكار الملافنة في القداس يُمسك البطريرك العصا ويُنهضها عن الارض فيمسكها كل الكهنة والشمامسة دليلاً على حسن اعتقادهم تعليماً واحداً وايماناً واحداً وتكون جميع الايدي دون يد البطريرك للاقرار ان رعية المسيح هي واحدة وراعيها واحد يُطيعه الجميع ويخضعون لسننهِ قلباً وفعلاً

وبعد قراءة الانجيل يرفع العصا لانهُ حينئذٍ يخرج المتتلمذون ولا يبقى الا الاصحاء الايمان المستعدون لتناول جسد الرب الذي هو قوت النفوس ويجري بذلك على مثال الراعي الذي يسوق غنمه الى مروج الخضرة ومياه الراحة ليسقيهم فيلقي العصا ويربض قبالتهم

وفي كنيسة الرومانيين لا يُمسك الرؤساء عصاً في قداديس الموتى لانهم خرجوا من تحت ولايتهم. واما في بلاد الشرق فانهم يستعملون العصا في قداديس الموتى لانهم بجرمهم يُحرمون من مشاهدة الله كما ذكرنا في المنارة الثانية وبطلباتهم ينجون من عذاب المطهر وبقوَّة سلطانهم يعيدهم الله بعض الاحيان الى هذه الحياة كما ذكرنا عن ماتورنيوس

وبالعصا يشار كذلك الى الحربة التي طُعن بها جنب السيد والقصبة التي اعطاهُ اياها الشرط بيده استهزاءً بهِ

واختلف الآباء في كيفية العصا فالرومانيون يجعلون رأسها منعقفاً والروم يصنعونه على مثال العكاز والموارنة على شبه التفاحة وبعضهم يصنعها قطعةً واحدةً وآخرون ثلاث قطع وغيرهم اربعاً. وفريق يمسكها مجردةً كالحربة وآخر ملفوفةً بمنديل وغير هؤلاء يصنعونها من المعادن وجماعة من العود المطلي وبعضهم من العود المطعَّم بالعظم ولكل نوع معنى جميل

واما رعية انطاكية منذ البدء فتسلّمت ان تصنع العصا من عود مطعَّم بعظم بثلاث قطع وفي راسها بلّورة على هيئة الرمّانة . وقد احسن وصفها إيسودوروس قائلًا « تصنع العصا من عظم وعود متصل بكرة من بلّور او ذهب في الراس العالي معلّمة وفي الحديد الفوقاني محدَّدة » . ثم يفسّر مدلولاتها اذ يقول « ان العصا تدل على سلطان العلم الذي تغتذي بهِ خراف الرب وتنساق الى مرج الحياة . وصلابة العظم تدل على قسوة الناموس ولين العود على عذوبة الانجيل والكرة في الراس اشارة الى لاهوت المسيح والقبّة العالية الى ملكوت السماء والحديد الاعلى الى الحكم »

ومن ها هنا نعلم انهم كانوا يجعلون في العصا من قديم فوق الجوهرة شوكة اشبه بحربة لاجل مصادمة العدو او لاجل تفريق ازدحام المقصّرين الى كلام الروح ونيل خبز الحياة . ثم بدلوا الشوكة بصليب لان الرب ارتفع بهِ فوق الكل وبهِ حصل الخلاص لجنس البشر . وهو سمّاه شوكة اذ قال لشاول « صعب عليك ان تدوس الشوك » (١ اي تناصب قوة الصليب الذي بهِ طُعنت الخطية وخضع لهُ العالم باسره

ولهذا عند رسامة البطريرك يتقدم المجتمعون فيقبلون يده وهو يباركهم بالعصا ثلث دفعات . فاذاً على كل من لهُ سلطان ان يمسك عصاً ان يحفظ ما يُشار اليهِ بها لئلا يكون كالقصبة الفارغة والعود اليابس كما هو مذكور عن فوتيوس الذي تغلّب جوراً على كرسي القسطنطينية انه لما دخل المجمع الثامن الملتئم في القسطنطينية ممسكاً

١) اعمال ٩ : ٥

بيدهِ عكازًا أَمر مارينوس قاصد البابا ان يُنزع العكاز من يدهِ لانهُ غير مستحق ان يرعى خراف المسيح فأُخذ منهُ سريعًا ولبث مخزيًا

ولاجل هذا عندما يبارك الاسقف العصا في الرتبة الرومانية يقول « اللهمَّ يا عاضد ضعف بشريتنا بارك هذه العصا . والمشار اليهِ بها ظاهرًا اجعله بحنو رافتك باطنًا في خصال عبدك هذا بحق ربنا يسوع المسيح »

ويُراد بذلك كما ان العصا مستقيمة ومرتفعة الى العلو كذلك يجب ان تكون نية الرئيس راقيةً الى السماء . وكما انها تُصنع مجرَّدة عن الاغصان والعُقد ينبغي ان تكون أَفعاله ناجيةً بريَّةً من كل عيب . وكما انها تعضد الشيوخ وتريح المُتعبين كذلك ينبغي ان يعضد بوعظهِ الضعفاء في امور الايمان ويُريحهم وقت التجارب . ومثلما تجمع شتات الشاردين وتحفظ الواردين كذلك يجب ان يسعى في اعادة الضالّين الى طريق الخلاص ويصون من هم داخل الحظيرة . ومثلما انها تُستعمل لتحريك البطالين على العمل وتحريض المقصّرين . كذلك عليهِ ان يعظ الخطأة ويحرض الزاهدين بمثالهِ على حفظ الوصايا . وكما انها تؤدّب العصاة وتُرهب المذنبين . كذلك عليهِ ان يؤنب ارباب البدع باقوال الانجيل ويخوّف المناصبين بعقاب الجحيم . وكما انها تُبيد الدبابات السامَّة وتبعد الوحوش الكاسرة . كذلك فليقطع بتعليمهِ العادات الردية وبسلطانهِ ينفي الاشرار . وكما انها صلبة في العظم ولينة في العود . كذلك عليهِ ان يجتهد لتكون اوامره شديدة ونفسه رضية

ولا يمسك الاسقف العصا بيمينهِ لكن بيسارهِ ليعلم ان يده لا يجب ان تسرع الى الضرب ولا يقع منهُ توانٍ في حفظ الشريعة لئلا يصيبهُ ما اصاب عالي الكاهن بل يجب ان تكون افعالهُ مزهرة بالفضائل ورعاية الشعب مثل هارون الذي اورقت عصاه . حينئذٍ يمسك الرب بيده ويذلّ لهُ رقاب المخالفين وقوة الشياطين كما يذكر صفرونيوس عن انبا يوسف انهُ اخزى الشيطان وطرده بالعصا كما يُطرد الكلب

الفصل الثاني عشر

في الصليب الذي يمسكهُ الاسقف بيمينهِ وبقية اثواب الرؤساء اذ يقول

ܒܟ ܕܒܪܢ ܠܒܥܠܕܒܒܝܢ بك نقهر اعداءنا

بعد ان يُمسك الاسقف العصا بشمالهِ ويتدرَّع بجميع سلاح الروح يأتيهِ رئيس الشمامسة بالصليب فيقبّلهُ ثم يسلّمهُ اليهِ ويقبّل يمينه وعند ما يمسكهُ الاسقف يقبلهُ ويبارك بهِ الشعب قائلاً مع داود « بك ننطح مضايقينا وباسمك ندوس القائمين علينا » (١

المراد بذلك كما ان المخلص بالصليب طعن الموت واهلك جسم الخطية وهدم الهاوية وفتح لنا ابواب الملكوت واحب ان نتسلح بهِ ونتخذهُ كالسيف القاطع لمقاومة جميع حيل العدو كما يقول الحكيم انهُ يتدرَّع بهِ في مجيئهِ الثاني لدينونة العالم قائلاً « لبس البرّ كدرع وخوذة الخلاص على راسهِ وتسربل ثياب الانتقام لباساً واشتمل بالغيرة كرداء » (٢

وكما ان الملاك الذي قاد عسكر الرب تراءى ليشوع بن نون في المكان المقدس ماسكاً بيمينهِ سيفاً مجرَّداً فخوَّلهُ النجدة على هدم اريحا . كذلك رئيس الكهنة يدعو الاكليروس الذي يتبعهُ وسائر الجماعة ان يتكلوا على قوة الصليب القاهر واعداً اياهم انهم باسم يسوع يغلبون جميع اعداهم ويطأون مبغضيهم

وتقدم الكاهن الى المذبح حاملاً صليب الحياة هو اشارة الى حمل المخلص الصليب ومضيّه الى الجلجلة ليقدّم جسده ذبيحةً مرضاة لله ابيهِ . وانما يُعطى الصليب بعد كل ثياب الكهنوت لانهُ بهِ كملت آلام الرب

---

١) مزمور ٤٣ : ٦   ٢) اشعيا ٥٩ : ١٧

ويُشار بتسليم الصليب الى السلطـان على صنع الآيات كما كُتب أنَ موسى لما بسط يديه صليباً ظفر بجيوش الاعداء ولما رفع حيـة النحاس خلّص الشعب من الموت ولما ضرب الصخرة صليباً فجرّ منها الماء . هذا فضلاً عن ان الآباء برسم الصليب صنعوا الآيات والمعجزات وبطابعه المقدس نختم كل يوم الشعب والاسرار التي نقدسها

واعلم ان الآباء استعملوا في خدمة الاسرار الخاتم في اليد والشموس وذخائر القديسين ضمن صليب على الصدر والكفوف في الايدي . اما الخاتم فيستعمله في كنيسة الرومانيين جميع الروساء باليد اليمنى ويُصنع من فضة او من ذهب مدوّر ولا تُنقش عليهِ كتابة او صورة بل يُرصّع فيهِ حجر كريم اشارةً الى ان رئيس الكهنة هو خطيب البيعة ومعلمها ومؤتمن على تدبيرها وضبط خزائنهـا . وكما ان اهل الدنيا يُلبسون الخواتم للعرسان والعلماء ليهتموا بذويهم في كل ما يفيدهم جسداً وروحاً هكذا ينبغي ان تكون غيرة الاسقف على بني الايمان اشدّ وازيد لكي يبذل نفسه دونهم ويقدر ان يقول مع هوشع النبي « اتزوجكِ بالعدل والحكم والرافة والمراحم واتزوجكِ بالامانة فتعرفين الرب » (١

وتُعطى الخواتم للاحرار كالبنين وذوي الكرامة ليمثلوا امام الملوك بوجوه مشرقة من غير فزع ويدبّروا الرعية كمـا تخبر الكتب المقدَّسة عن يوسف ومرداخ ودانيال والابن الشاطر وغيرهم . وحرية رؤَساء الكهنة اشرف من كل حرية لان الله منحهم ذخيرة البنين والحبرية والملك كقول يوحنا « جعلنا ملكوتاً وكهنةً لله ابيهِ » (٢

وتُعطى الخواتم كذلك للخزَنة والأُمناء ليختموا خزائن الملوك . والرب آمن الرؤَساء على اسراره المقدسة وباقي امور الايمان واعطاهم مفاتيح الحلّ والربط ليكون ما يحلونه ويربطونه على الارض محلولاً ومربوطاً في السماء . ويستعمل الاسقفُ الخاتمَ

١) هوشع ٢ : ١٩ ٢) رؤيا ١ : ٦

خاصة في القداس لان الرب ائتمنهُ على جسده ودمه اللذين يفضلان جميع ما في العالم . ولذلك في تكليل العرسان عند الباسهم الخواتم نقول

ܦܓܪܗ ܘܕܡܗ ܝܗܒ ܠܗ̇ ܡܗܪܐ ܠܟܠܬܐ
ܒܥܙܩܬܐ ܕܣܡ ܠܗ̇ ܒܐܝܕܗ̇ ܪܗܒܘܢܐ ܕܚܝ̈ܐ
ܩܒܠܬ: ܒܥܙܩܬܐ ܢܛܘܪܬ ܐܪ̈ܙܐ ܐܬܡܟܪܬ: ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ
ܘܩܒܠܬ: ܐܦ ܦܓܪܗ ܘܕܡܗ ܕܝܫܘܥ ܚܬܢܐ ܐܠܗܝܐ (١

وانما يجب ان يكون الخاتم مدوّرًا مزخرفًا بالحجارة الكريمة بغير كتابة ولا صورة اشارة الى ان سلوك الرئيس ينبغي ان يكون كاملًا وتعليمه غير مرتبطٍ برموز القدماء ورسوم الناموس لكن بالاسرار الالهية التي تشبه الدرَّ النفيس . ويوضع في اليد اليمنى لانهُ بها يرسم الصليب ويُقدّس الاسرار ويُقرّب الشعب ويَرسم خدام المذبح ليقبلوا درجة الكهنوت والشعب لينالوا نعمة روح القدس وذخيرة البنين

ويُشار بالخاتم ايضًا الى المسامير التي ثُقبت بهـا يدا الرب والى خطبتهِ للبيعة المقدسة واهراق دمه من اجلها كما يقول السروجي في ميمر الآلام

ܥܙܩܬܗ ܕܡܠܟܐ ܒܣ̈ܢܐ ܕܐܝ̈ܕܘܗܝ ܡܨܝܪܐ ܗ̱ܘܬ .
ܘܡܟܝܪܘܬܐ ܒܕܡܗ ܕܟܝܐ ܡܨܛܒܬܐ ܗ̱ܘܬ (٢

وفي البيعة الرومانية يعلّق الرؤَساء الذين لا يلبسون الدرع صلبانًا من فضة او من ذهب باعناقهم ويجعلون فيها ذخائر الشهداء والقديسين . وبطاركة الروم يعلّقون بدل الصليب شموسًا . والمراد بحمل الصليب وذخائر القديسين هو انهُ كما كان

١) ترجمتهُ : اعطى البيعة جسده ودمه مهرًا على الجاجة بواسطة الخاتم الذي وضعه بيدها عربونًا على الحياة فقبلت بواسطة الخاتم حفظ السر وخُطبت بيعةً مقدسة وقبلت ايضًا جسد ودم يسوع العروس الالهي

٢) اي ان خاتم الملك مصوغ بمسامير يديه والخطبة معطاة بدمه الطاهر

احبار الناموس يحملون اسماء الآباء على مناكبهم وصدورهم هكذا رؤساء عهد النعمة يحملون الصليب وعظام القديسين ليضاهوهم في المجاهدة والحب والغيرة

وكما ان الاحبار كانوا يحملون اسماء الاسباط عند دخولهم القدس ذكرًا امام الرب دائمًا . كذلك الرؤساء يحملون ذخائر القديسين لاجل الذكر وطلب الشفاعة . واما رؤساء الروم فيعلّقون الشموس لان الشمس هي اشرف الخلائق من حيث النور والحرارة مع التأثير لان النور يفرق بين النهار والليل ويهزم الوحوش ويوقظ الناس الى اعمالهم . والحرارة تليّن بعض الطبائع وتشدد بعضها . والتأثير يحرّك المائية الجيدة في الاجسام ويسكّن الردية

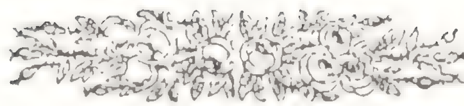
ومن حيث ان البطريرك هو أبو الآباء ورأس الرؤساء في البيعة يضع ثلاث شموس على صدرهِ لكونهِ مشرَّفًا بثلاث درجات وقد ضمن على نفسهِ انهُ خطب البيعة بالبرّ والحكم والنعمة كما تقدَّم القول . فبالبرّ يلزمهُ ان يفرّق بين ما يوافق الايمان وما يضادّه ويرشد شعبه الى طريق الخلاص لئلا يتظلَّموا منهُ في الحشر قائلين مع الحكيم « اننا عدلنا عن سبيل الحق لانهُ لم يظهر لنا نور البرّ ولا اشرقت علينا شمس البرارة » . وبالحكم يلزمهُ ان يقضي للشعب بالعدل بغير محاباة كما طلب داود النبي لاجل ابنهِ سليمان قائلًا « اللهمَّ اجعل احكامك للملك وعدلك لابن الملك فيحكم لشعبك بالعدل ولبائسيك بالانصاف ويحطم الجائر فيخشونك ما دامت الشمس والقمر الى جيل الاجيال » (١ . وبالنعمة لكي تكون نعمته كالشمس مشرقة على الضعفاء والفقراء والضالين فيفحص عنهم ويقبلهم بفرح وبشاشة متشبّهًا بالرب الذي يشرق شمس رحمتهِ على الاخيار والاشرار

وفي كنيسة رومية يلبس جميع الرؤساء كفوفًا من حرير في القداس في الاعياد يستترون بها ايديهم الى الزنود ولا ينزعونها الّا وقت الغسل . ويشار بهذه الكفوف الى أَن افعال الرؤساء ينبغي ان تكون موافقة لتعاليمهم وايمانهم . وقال البابا زخيا

١) مزمور ٧١ : ١

الثالث انها تدل على تجسد ابن الله الذي اخفى لاهوته وظهر للعالم بصورة العبد لكي يعتقنا من عبودية الشيطان

ومما ذكرنا في هذه المنارة يُستدلّ ان الرب أمر بدرجة الكهنوت لكي يكون الكهنة معتنين بتدبير المؤمنين وتقدمة القرابين عنهم لله سيّد البرايا . وانتصاب الكاهن امام مذبح الخروف هو شبه المنارة المضيئة قدام الله لانهُ حين يرفع على يديهِ جسد الرب ودمه الكريمين يشبه ابن الله حين رفع يدي الجسد على خشبة الصليب وبدَّد ظلام الخطية وساق كل العالم الى نور الايمان ومعرفة الحق . ولبس الكهنوت يدلّ على شرف السلطان والفضائل التي يتجمل بها خادم الاسرار من الله لاجل مقاومة العدو واستقامة السلوك في سبل الخلاص كما برهنا من قول الرسول لاهل افسس ولكي تكون مرسومة على الكاهن آلام المسيح والاحسان الذي تفضل بهِ على نظرائهِ كما ذُكر في نبوءة اشعيا المجيد ومزامير داود الكلي الغبطة . أهلنا اللهُ الى حلة المجد وتكهين مذبحه الذهبي في هيكل قدسهِ السماوي آمين



المنارة الرابعة

في استعداد الكهنة وصمدة الاسرار المقدسة وتجسد الله

قال الرسول لتيموتاوس « تعلم كيف يجب عليك ان تتصرَّف في بيت الله » (١

صدر القول

ان جميع الصنائع المرتَّبة ترتيباً حسناً لا بد ان تسبقها تنبيهات وقوانين يرتشد بها الصانع للعمل كما في المنائر ليبلغ اربه ويدرك مقصوده . المصوّر يقصد الرسم والبنَّاء التخشيب وضارب الارغن شدّ الاوتار ليصير عمل الفاعل مرضياً لصاحب الشغل . ومن لا يصلح الاوتار حتى يحضر الملك لا يجني غير ملامة لنفسهِ وسخطاً من الملك

هكذا في خدمة القداس الذي بهِ يُقدَّم لله الآب جسد ابنه الكلي القداسة لمغفرة الخطايا يجب على الكاهن ان يضيء سراج عقله ويستيقظ بضميرهِ ويشدّ حواسَّهُ ويهيئ نفسهُ بحرارة المحبة لدى الله وقريبه ليكون مرضياً لله كعرف البخور والوقود الكامل حسب وصية الحكيم « اعدّ نذورك قبل ما تنذر لئلا تكون كالانسان الذي يجرّب الله » وقال المخلص « لتكن احقاؤكم مشدودة وسرجكم موقدة وكونوا مثل رجال ينتظرون سيدهم متى يرجع » (٢

ولتكن حواسّ الكاهن مشدودة بالنعمة حذراً من استرخاء الخطية وافعاله في طريق الفضائل كالسراج المنير وعقلهُ منتبهاً بسلاح الروح منتظراً متى يأتي ابن الله الى الذبح . ولاجل ان اهالي كورنتس كانوا متوانين بهذا الاستعداد حذَّرهم الرسول

---

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٥ ٢) لوقا ١٢ : ٣٥

قائلاً « فليختبر الانسان نفسه وهكذا فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس لان من يأكل ويشرب وهو على خلاف الاستحقاق انما ياكل ويشرب دينونة لنفسهِ » (١

وبخلاف ذلك من تكون احقاؤهم مشدودة وسرجهم منيرة فانهم يظفرون بالبركة وفيضان النعمة من جسد الرب كما قد كتب « طوبى لاولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم وجدهم ساهرين . الحق اقول لكم انهُ يشدّ وسطهُ ويُتكئهم ويدور يخدمهم » (٢

اعني انهم بدلاً من التعب والسهر ينالون الراحة والغبطة . وبدل قيامهم في الخدمة السرية يجلسون على سُدَد النور ويقف يخدمهم بانوار المجد وعرْف النعيم في هيكل قدسهِ

ومن اجل ذلك تأمر البيعة المقدسة كهنتها قبل الدخول الى خدمة القداس ان يزيّنوا نفوسهم بالايمان والمحبة والطهارة والاتضاع وينفوا عنهم كل ظلام الخطية ليصيروا شركاء لابناء النور ومستحقين الجلوس على مائدة الرب . وضد منارة الاستعداد هذه اخرج الجحيم قتاماً كثيفاً ليطفئ انوارها وهم الهراطقة فبعضهم نكروا التوبة والاعتراف . وآخرون جحدوا الايمان والخضوع والطاعة والطهارة التي تجب لتقديس الاسرار . وآخرون احتقروا لبس الكهنوت . والبعض هزأوا بوجوه المذابح وآنيتها . وآخرون اظهروا الريبة في الخبز والخمر المعدَّين ليصيرا جسد الرب ودمه فصح فيهم قول الرب « انهم يزرعون الريح وسيحصدون الزوبعة . زرع لا يقوم على ساق وغلة لا تخرج دقيقاً » (٣

وكما ان العذارى الخمس الجاهلات طُردنَ من العرس لانهنَّ كنَّ غير مستعدَّات بخلاف الحكيمات اللاتي دخلنَ العرس لانهنَّ خرجنَ للقاء العروس

---

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٨ ٢) لوقا ١٢ : ٣٧

٣) هوشع ٨ : ٧

بمصابيح موقدة. كذلك لا يستطيع الدخول الى شركة جسده كل من يفتري عليه ويدنو منهُ ومصباح استعداده منطفئ. ونقسم هذه المنارة الى شرحين. الاول في استعداد الكاهن. الثاني في صمدة مادَّة الاسرار اعني الخبز والخمر. ونقسم الشرح الاول الى ثمانية فصول

الفصل الاول في قدوم رئيس الكهنة الى الكنيسة في ايام الاعياد الفارحة

الفصل الثاني في استعداد الكاهن اذ يقول ܐܠܗܐ ܪܒܐ ܚܢܢ ܦܫܝܛܐ

الفصل الثالث في طلب النعمة المحتواة بلفظة ܐܠܗܐ ܪܒܐ

الفصل الرابع في طلب الايمان والخضوع والمحبة والطهارة اذ يقول ܥܡ ܦܫܝܛܐ

الفصل الخامس في صلاة الحلّة اذ يقول ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪ̈ܘܡܐ ܠܥܠܡܝܢ

الفصل السادس في ايقاد الشمع اذ يقول الشماس ܒܢܘܗܪܟ ܢܚܙܐ ܢܘܗܪܐ

الفصل السابع في غسل ايدي رئيس الكهنة اذ يقول ܐܪܚܘܨ ܒܕܟܝܘܬܐ

الفصل الثامن في خلع ثياب العالم ولبس البدلة اذ يقول ܐܠܒܫܢܝ ܡܪܝܐ

الشرح الاول

في استعداد الكاهن

الفصل الاول

في قدوم رئيس الكهنة الى البيعة في ايام الاعياد الفارحة

عند ما يتوجه رئيس الكهنة الى الصلاة او القداس يجب ان يصحبهُ خوري وشماس احدهما عن يمينهِ والآخر عن شمالهِ لا يفارقانه الَّا عن ضرورة . ويجب ايضاً ان يرسل امامه شماساً او عامياً الى البيعة ليخبر بقدومهِ لكي يخرج القسَّان والشمامسة لاستقبالهِ الى خارج الدار وحينئذٍ يلبس واحد من الكهنة بطرشيناً ويحمل بيده مبخرةً

اما الشمامسة فيحمل واحد منهم صليباً واثنان آخران شمعتين ورأسهم غفارةً وبعد ان ينتهوا اليهِ ويقبلوا يده ويتردَّى بالغفَارة ويضع بخوراً في الماطورية يبدأون هم بتلحين ܒܫܝܢܐ ܐܬܐ فيجيب الاسقف ببيت السيدة او غيره كما يشاء ويُبخِّر ثلاث دفعات بشكل صليب . ثم يسيرون امامهُ الى الكنيسة وعند ما يبلغون بابها يقف الكهنة والشمامسة من هنا وهنا لكي يدخل الاسقف وبعده الاكليروس وبقية الشعب . واذا كان الاسقف ساكناً في دار الكنيسة يلبس هو وكهنته ويخرج الاكليروس الى لقائهم براية الصليب والماطورية كما هو محرَّر في تقديس البيعة

ܒܫܝܢܐ ܐܬܐ ܪܝܫ ܪ̈ܥܘܬܐ ܘܪ̈ܥܘܬܐ ܡܫܬܘܝܢ ܒܥܠܡܝܢ

ܕܨܠܘܬܐ ܘܕܬܫܡܫܬܐ. ܘܢܦܩܝܢ ܟܗܢܐ ܡܢ ܥܕܬܐ ܒܬܫܡܫܬܐ
ܠܩܘܒܠܗܘܢ ܘܨܠܝܒܐ ܥܡܗܘܢ (١

وحين يدخل الكنيسة يقف امام الباب الملكي ويطلب من الله الرحمة . والماسك المجمرة يبخر المذبح ورئيس الكهنة وباقي الشعب. ثم يجلس على كرسيه ويبدأ الصلاة . وان كان قد جاء وقت القداس فليستمد النعمة من الحق تعالى اذ يقول سرًّا ܥܠܝܬ ܠܟ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܕܒܟ ܦܪܝܫܝܢ ܥܠܡܝܢ

وبعد ما يقبل المذبح وهو مكشوف الراس يصيح الشعب ܒܪܟ ܡܪܝ ܣܛܘܡܢ حينئذٍ يجثو واحد من الكهنة على ركبتيه ويطلب الحلّة بتمامها بصوت عالٍ قائلًا ܐܢܐ ܦܣܛܘܪܐ والرئيس يمنح لكل من في البيعة الحلة قائلًا ܐܠܗܐ ܢܫܪܐ ܠܟܠܟܘܢ ثم يمضي ويجلس على كرسيهِ وراس الشمامسة يرتّل ܣܝܡܘ ܠܚܕܐ. ܒܡܘܪ ܡܪܡܝܢ ܢܘܗܪܐ واثنان من الابودياكونية يُسرجان شمع المذبح. وبعد ذلك يأتيهِ الشمامسة بابريق وطست فيغسل يديه قائلًا ܐܪܚܨ ܒܣܚܝ. ثم يقوم فينزع عنهُ الغفّارة اذ يقول ܐܠܒܫܢܝ ܡܪܝ ثم يُلبسونه الكتونة قائلين ܐܣܐ ܕܢܦܫܬܐ. ثم ينطقونهُ بالزنار قائلين ܠܐܣܘܪܝܢ ܚܝܠܐ وبعد ذلك يجلس على الكرسي ويُلبسونه سائر الاثواب ويسلّمون اليهِ التاج والعصا والصليب . ثم يقوم ويسير امام المذبح ويقول الطلبة « اللهمَّ اني اسألك الخ » ويسجد امام المذبح بشكل صليب قائلًا ܘܐܢܐ ܥܒܕܟ فيجاوب الاكليروس ܣܒܝܠܝ

١) اي انهُ في الصباح يأتي رئيس الكهنة ومعهُ الكهنة رفقاؤه بلباس الكهنوت والطلبة فيخرج الكهنة من البيعة بالصلاة للقائهم ومعهم الصليب

وقد رتَّبت البيعة كل هذه الامور لاجل احترام الكهنوت ووقار التقدمة ولاجل ان تُصوّر للحاضرين رسم تجسد ابن الله لان قدوم الاسقف الى البيعة يدلّ على قدوم ابن الله الى العالم. والقس والشماس اللذان بصحبتهِ اشارة الى الناموس والنبوءة اللذين سبقا واخبرا عن اتيانهِ وعنهما شهد الانجيل « ان الرب لم يأتِ ليحلهما لكن ليتممهما » (١

والشماس الذي يتقدَّم الاسقف ليخبر البيعة يشبه يوحنا السابق الذي ارسلهُ امام وجههِ لينهج لهُ الطريق كقول زخريا ابيهِ « وانت ايها الصبي نبي العلي تدعى لانك تسبق امام وجه الرب لتعدّ طرقهُ وتعطي شعبه علم الخلاص لمغفرة خطاياهم » (٢

وخروج الشعب الى لقاء الاسقف بفرح يشير الى خروج البيعة للقاء الرب وقبول بشارته كما هو مكتوب « فاما كل الذين قبلوه فأعطي لهم سلطاناً أن يكونوا ابناء الله » (٣

اما رئيس الكهنة فيلبس الفَقَّارة لانها ثوب الانبياء ويتقدَّمهُ الصليب لان بشارته بالمسيح مصلوبًا. ويلبس الفقَّارة خارج الكنيسة لان اصفياء الله ولو كانوا خارج الجماعة لا يزالون يتعبون في كرم الرب كما هو مكتوب « ان الابن الاكبر كان في الحقل » (٤

وتقدُّم الشمامسة والكهنة بالمباخر والشمع يشار بهِ الى التلامذة الذين ارسلهم المخلص اثنين اثنين امام وجههِ. والبخور يدل على وفرة محبتهِ لتعليم الشعب. وضوء الشمع على انوار الروح الحال عليهِ. والترتيل على تماجيد الشعب الذين كان يذهب اليهم كقول لوقا « رجع يسوع بقوَّة الروح الى الجليل. وذاع خبره في جميع الناحية » (٥ والاسقف يُلبس البطرشين للكاهن اشارةً الى السلطان الذي اعطاه المسيح

١) متّى ٥ : ١٧   ٢) لوقا ١ : ٦٧
٣) يوحنا ١ : ١٢   ٤) لوقا ١٥ : ٢٥   ٥) لوقا ٤ : ١٤

للكهنة لاجل بنيان رعيتهِ. والذي يصرخ ܨܠܘܬܗ ܫܘܪܐ (لتكن صلاتها سورًا) هو شبه جبرائيل رئيس الملائكة الذي بشر العذراء بعنصر الخلاص وبشر الرعاة قائلًا « هاءنذا ابشركم بفرح عظيم » (١

وانما يختلط البرّانيون والجوّانيون عند دخول الاسقف الى الكنيسة اشارةً الى المصالحة التي جرت بين الملائكة والبشر وشعب اليهود والامم حتى صارت الرعية واحدة لراعٍ واحد. ويدخل الى بيت القدس قدام المذبح لان المسيح صعد بالجسد الى القبّة العالية التي لم تصنعها الايدي وصار لنا وسيطًا وشفيعًا قدام الآب حتى ظفر بالفداء الابدي

الفصل الثاني

في استعداد الكاهن لخدمة القداس اذ يقول

ܐܗܠܢ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܟܕ ܪܣܝܣܝܢ ܠܒܘܬܢ

اهلنا ايها الرب الاله حالما تكون قلوبنا مرشوشةً

لما كانت تقدمة جسد الرب اشرف وانفع من كل الخدم الكهنوتية اقتضت من الكاهن قبل ان يتقدَّم اليها ان يُجرّد ذهنه وحواسّ جسده من الهذيذ بامور الدنيا لكي يفتكر في النعمة الجزيلة الشرف التي تفضل بها السيد المخلص على الشعب الذي فداه بدمهِ الذكي. ثم يمعن نظره في ضعف طبعهِ ونقص استعدادهِ لقبول هذا السرّ المانح الحياة ويستمد المعونة من لدن الرب الذي منهُ تأتي كل عطية كاملة وموهبة صالحة

وقد ذكر القديس فروقلوس بطريرك القسطنطينية عن الرسل القديسين أَنهم لما قدَّسوا القداس الاول ثبتوا طويلًا في الصلاة. ويخبر ايضًا يوحنا الذهبي الفم في تفسير الرسالة الاولى الى اهل كورنتس بانهم لما كانوا يتناولون العشاء السرّي كانوا

١) لوقا ٢ : ١٠

يُدمنون الطلبة والتسبيح بسهر طويل وتعليم وفلسفة جزيلة٠ وذكر ديونيسيوس البار عن قربس تلميذ الرسل انهُ كان يهيّئ نفسه بطلبات وتضرعات متواترة ولم يكن يتقدَّم الى خدمة القداس حتى يأتيه الوحي من الله ٠ ويُوصي بولس الرسول حين يتكلم عن قبول الاسرار بهذا الاستعداد قائلًا « فليختبر الانسان نفسه وهكذا فلياكل من هذا الخبز » (١ اي خبز الرب ٠ ويحذرنا ايضاً حين يتكلم عن ترقية القسوس والشمامسة الى درجاتهم قائلًا « وليُختبروا اولًا ثم يباشروا الخدمة ان وجدوا بغير مشتكى » (٢ لان الذين يحسنون الخدمة يكتسبون لانفسهم مرتبة صالحة وإسفار وجه في الايمان بيسوع المسيح

فمن هذه الشواهد المقدسة وغيرها يتعلم الكاهن كيف يختبر ذاتهُ ويفحصها ثم يصلحها بالتوبة والاعتراف ٠ وحينئذٍ اذا وجد نفسه بغير لوم يتقدَّم الى مذبح الرب ويحظى بجسدهِ وبالنعمة التي تصدر منهُ ويكتسب لنفسهِ مرتبة صالحة في الفضائل واشراق وجه قدام عظمتهِ ٠ لان مَن يجالس العلماء يجب ان يكون مؤدّباً بالحكمة ٠ ومَن يحضر ديوان الملك يلبس ثياباً فاخرة ٠ ومن يروم مخاطبة الباري تعالى يوصيه ابن سيراخ بان يُعدَّ نفسه قبل الصلاة ويحفظ رجله من الزلق عند دخولهِ بيت الرب ٠ واما من يريد ان يقدّس جسد الرب ويتناولهُ فيجب ان يقدّس ذاتهُ اولًا بالطهارة والبرارة لكي يماثلهُ ويتحد بهِ

ولهذا رسمت البيعة للكاهن اذا تقدَّم الى خدمة الاسرار ان يقف في باب المحراب اي الخورس ويتضرَّع الى الله قائلًا « أهّلنا ايها الرب ان تكون قلوبنا نقيةً من خبث النية وخاليةً من الافكار النجسة لنستحق الدخول الى قدس اقداسك السامية الموقرة ونقف امام مذبحك بالطهارة والنقاوة ونقدّم لك ذبائح روحانية علوية بصدق الايمان »٠ ثم يقول اسألك ان تجعلني مستحقاً . ثم ارحمني يا الله كعظيم رحمتك وغيرها من الطلبات كل واحد على قدر عبادتهِ

(١ ا كورنثس ١١ : ٢٨ ٢) ا تيموتاوس ٣ : ١٠

والمراد بذلك كله اولاً بيان الفرق بين دخولنا لاجل تقدمة جسد الرب في العهد الجديد ودخول كهنة آل اسرائيل لاجل تقدمة القرابين في العهد القديم فان دخولهم لم يكن يجديهم الّا نفعاً يسيراً لان تلك الضحايا لم تكن ترحض اوساخ الخطايا بل كانت تجعل الكاهن الذي يضحي بها دنساً الى المساء. وهكذا كان دخوله جسدياً وقربانهُ غير مرضٍ كقول داود « انك لاتبتغي ذبيحة فابذل ولا ترتضي بمحرقة » (١

واما دخولنا نحن لتقدمة جسد الرب فهو مرضٍ ومانح الحياة لانهُ يصير بنا الى تقديس جسد ودم يسوع المسيح الذي فتح لنا باب الخلاص بفتح جنبه بتلك الحربة لندخل منهُ الى الحياة الدائمة. ولذلك بدخولنا بيت المقدس نأخذ دالّةً على الرب اذ نترجا غفران الذنوب والحياة الدائمة بقلب سليم وايمان صحيح وحي

ثانياً ان الكاهن وهو يتلو تلك الطلبات المذكورة لا يفحص نفسه على الخطايا التي يكون قد اعترف بها فقط بل انهُ يمتحن نفسه اذا كان نقياً من خبث النية ايضاً وخالياً من الافكار الدنسة لانهُ كثيراً ما تُقطع الاشجار وتبقى اصولها وتقتل الافعى وتربى فراخها وتخمد اللهبة وتبقى النار مضطرمة فتكون آخرة ذلك الانسان شراً من اولاه. وعليهِ فليضئ سراج العقل ويمتحن بكل جهده هواه ومشيئته لئلا يبقى تحت ستار الحجة عقرب ردية متوارية او تحت غبار الاعتذار وحش ضارٍ كامناً اي بعض خطايا تقلق ضميره ولا يُخرجها من قلبهِ بالندامة الحقة

ثالثاً فليحسب الكاهن نفسه بدخولهِ بيت القدس أنهُ واقف في قدس الاقداس امام منبر ملك الملوك ومشاركٌ لملائكة النور وعازمٌ على تقديم جسد السيد المخلص كفّارةً عن خطايا العالم. ومثلما كان ذلك النوتي يخاطب يونان اذ وقعت عليهِ القرعة بان يُلقى في البحر وهمَّ بان يلقيه قائلاً لهُ مَن انت وما هي بلادك ومن اي شعب انت وما شأنك وعملك ومن أين مأتاك والى اين انت منطلق.

١) مزمور ٥٠ : ١٨

هكذا يتأمل الكاهن ما هي درجتهُ ومقامهُ وفعلهُ ونيتهُ

وكما ان خمس العذارى الحكيمات لم يستحققنَ الدخول الى عرس العروس الّا بعد ان اصلحنَ مصابيحهنَّ . هكذا الكاهن وسائر المؤمنين بني النور لا يمكنهم ان يدخلوا مائدة العروس السماوي ان لم تكن احقاؤهم مشدودة وسرجهم موقدة كما اوصى الرسول قائلًا « فليختبر الانسان نفسه اولًا وهكذا فليأكل من هذا الخبز » (١

واصلاح نفسه يكون كما نطلب يوم خميس الاسرار في بدء صلاة النوم قائلين « أعدّنا ايها الرب وهيّئنا لكي نستحق بالطهارة والقداسة الدنو من خدمة اسرارك المجيدة الطاهرة والتمتع بلذة مائدتك السرّية في شركة فصحك المقدَّس » لانهُ كيف تشترك النفس الدنسة والجسد الطاهر والجاهلة وذو الحكمة . وكيف تجتمع النفس المتعبدة للشيطان مع ابن الله والعادمة الايمان مع عظيم الاحبار والخالية من جميع الفضائل مع من هو حالٌ فيهِ كمال اللاهوت كقول الرسول « أية شركة بين البر والاثم . واية خالطة للنور مع الظلمة واي ائتلاف للمسيح مع بليعال واي حظ للمؤمن مع الكافر . واي وفاق لهيكل الله مع الاوثان » (٢

ولاجل ذلك يأمرنا الرب ان نشدّ اوساطنا ونوقد سرجنا كي ندخل فرحه بدالةٍ عظيمة كابناء النور كقول الرسول « اما الآن فانتم نور في الرب فاسلكوا كابناء النور فان ثمر النور هو كل برّ وصلاح وحق » (٣ . غير ان المخلص قد فسرها معلنًا في بدء نبوءة هوشع النبي قائلًا « اتزوجكِ الى الابد بالعدل والحكم والرأفة والمراحم . واتزوجكِ بالامانة فتعرفين الرب . واقول للبس بشعبي انت شعبي وهو يقول انت الهي » (٤

---

١) ١ كورنتس ١١ : ٢٨ ٢) ٢ كورنتس ٦ : ١٤

٣) افسس ٥ : ٨ ٤) هوشع ٢ : ١٩

الفصل الثالث

في طلب النعمة اذ يقول

ܐܗܒ݂ܠܢ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ اهلنا ايها الرب الاله

ان البيعة المقدَّسة تأمرنا في ابتداء جميع الصلوات ان نطلب التأَهُّل للنعمة والتوفيق الى ما يرضيه تعالى قائلين « أَهلنا ايها الرب الاله » غير اننا كثيرًا ما نطلب ولا نستجاب كالعذارى الجاهلات اللواتي قال لهنَّ الرب اني لستُ اعرفكنَّ اعني لا اعرفكنَّ مستحقات للاستجابة

وعليهِ فاعلم ان ابانا الاول حين خالف وصية ربّه خسر النعمة وفقد العلم والمعرفة وضلَّ عن طريق الخلاص كالخروف الضائع في براري الخطايا معدوم القوت وقد سلبتهُ اللصوص نعمته واصبح غير واجدٍ لهُ سبيلًا يفضي بها الى النجاة . غير ان الراعي الصالح لما ان رآه قد يئس من الخلاص ووصل الى الهلاك نظر اليهِ بعين الرحمة وهداه بنور لاهوتهِ ورفعهُ من دركات الهلاك بيمينهِ . كما كان داود النبي يتضرَّع قائلًا « ضللت كالخروف الضائع فانشد عبدك فاني لم أَنسَ وصاياك » (١ . وقال بولس الرسول « استيقظ ايها النائم وقم من بين الاموات فيضيء لك المسيح » (٢

فهذه اليقظة من موت الخطيئة وهذا الانبعاث الى عمل الخير الذي نلناه بغير تعب بل من جود المسيح واستحقاق آلامه المانحة الحياة هما نعمتان جليلتان انعم بهما الله علينا مجانًا حسب قول الرسول « ان الجميع قد خطئوا فيعوزهم مجد الله فيبررون مجانًا بنعمتهِ بالفداء الذي هو بالمسيح يسوع » (٣

---

١) مزمور ١١٨ : ١٧٦ ٢) افسس ٥ : ١٤

٣) رومية ٣ : ٢٣

على اننا اذا طلبنا في ابتــداء الصلوات التأهُّل من الله لنعمتهِ فانما نريد الاهتداء والارتشاد الى ما نطلبهُ لان قوتنا ضعيفــة عاجزة من طبعها وبنعمة الله تنال القوة والاستطاعة كما قال الرب « ان ما لا يستطاع عند الناس مستطاع عند الله » (١

والنعمة على رأي علماء اللاهوت على ضربين سابقة ولاحقة فالسابقة هي التي يهبهــا الله للخاطي ليرتد عن اثمهِ · وتدعى سابقة لانها تسبق عملهُ وتشملهُ · وفي هذا المعنى قال داود « الهي رحمة لي يبادر الله اليَّ » (٢

واما اللاحقة فهي التي تعطى بعد عمل الخير كقول داود ايضاً « لتأتني رحمتك يا رب » (٣ · فعلى الاولى يصحّ قول الرب « لا يقدر احد ان يُقبل اليَّ ما لم يجتذبهُ الآب » (٤ · وعلى الثانية يصحّ قولهُ « انما اتيت لكيما تكون لهم الحياة وتكون لهم اوفر » (٥

فبالنعمة الاولى يريد الله ان يجتــذب الخاطي اليهِ ويرده الى طاعتهِ كما هو مذكــور عن النعجة الضالَّة والدرهم الضائع أنهُ اضاء سراج الانجيل وكنس بيت العالم بشريعة الوصايا حتى وجدهما · وعن الابن الشاطر حين كان متردّداً في الرجوع الى بيت ابيهِ هبطت اليهِ النعمة واقتادتهُ الى الطاعة كقول البيعة في احد الوارث في الباعوت

ܡܛܠ ܛܝܒܘܬܐ ܕܡܚܝܢ ܐܫܟܚܬܗ ܠܥܠܝܡܐ܂ ܘܡܪܕܝܬܗ
ܪ̈ܓܘܢܗ ܡܢ ܦܬܟܪܐ ܠܗ ܡܚܝܠ ܕܚܛܐ܂ ܐܬܐ ܐܒܐ ܛܝܒܐ ܠܐܦܘ̈ܗܝ
ܐܚܕܗ ܘܠܐ ܐܬܬܘܝ ܡܟܫܠܗ ܦܘ ܠܗ ܘܪܗܛ ܥܡܗ ܠܛܝܒܘܬܐ܂

---

١) لوقا ١٨ : ٢٧ — ٢) مزمور ٥٨ : ١١
٣) مزمور ١١٨ : ٤١ — ٤) يوحنا ٦ : ٤٤
٥) ١ يوحنا ١٠ : ١٠

ܐܙܠ ܐܙܠ ܠܘܬ ܐܒܘܟ ܛܠܝܐ ܠܐ ܬܬܘܚܪ܀ ܘܚܕܐ ܥܡ ܐܒܘܟ ܡܩܒܠܐ
ܐܢܐ ܠܟ ܘܡܫܕܪܐ ܐܒܘܟ (١

ثم ان النعمة السابقـة تنقسم الى قسمين فعَّالة وكافية. فالفعَّالة هي التي تحيط بالخاطي وتفعل بهِ فتجذبهُ الى طاعة الله والعمل بمسرَّتهِ كقول يوحنا الرسول في بدء بشارتهِ « فاما كل الذين قبلوه فاعطى لهم سلطـاناً ان يكونوا ابناء الله » (٢. وفي كتاب الرؤيا يقول الرب « هاءَنذا واقف على الباب اقرع فان سمع احد صوتي وفتح الباب ادخل اليهِ واتعشى معهُ وهو معي » (٣

ويشهد لوقا الانجيلي بان الرب لما انـكرهُ بطرس وكفر بهِ نظر اليهِ نظر المذكر ففطن بطرس لكلام الرب « فخرج من ساعتهِ فبكى بكاءً مرًّا » (٤. وقال ايضاً لمتى العشَّار اتبعني وجذبهُ الى الطاعة (٥. وهكذا باشراق النور اقتاد بولس وبكلامهِ مع السامرية والزانية واللصّ وغيرهم استمالهم الى الايمان بهِ

واما النعمة الكافية فهي التي لا ينتهي بها الخاطي ويرجع عن طريقهِ الردية. وليس ذلك من ضعف النعمة بل من الانسان الذي لا يقبلها بارادتهِ لكن يسـدّ أُذني قلبهِ عن استماع صوتها لان لهُ ارادةً حرَّةً تقبل ولا تقبل. فان قبل النعمـة خلص وان اباها اهلك نفسه برضاهُ كالذي يغمض عينيهِ لئلا يرى الشمس ويسدّ أُذنيهِ لكي لا يسمع الذي يناديه واثباتاً لذلك تقول البيعة في عشية الاحد

ܐܘ ܦܬܚܘ ܥܡ ܒܥܠܡ ܪܘܚ ܟܠܗܘܢ ܡܬܪܚܡܢܐ ܡܡܠܠܐ

---

١) اي نظرت اليهِ النعمـة مائلًا الى التوبة فدنت منهُ تعلمهُ ماذا يفعل قائلةً لهُ تعالَ ايها الفتى واذهب الى ابيك ولا تُبطئ فانهُ يقبلك ويُسرّ برجوعك اليهِ ولا تخف ايها الفتى فاني اشيّعك واقدّمك الى ابيك لتراه افضل من امك

٢) يوحنا ١ : ١٢ ٣) رؤيا ٣ : ٢٠

٤) لوقا ٢٢ : ٦٢ ٥) متى ٩ : ٩

ܢܗܦܘܟ ܠܘܬܗ ܘܢܬܒ ܕܡܪܚܡܢܘܬܗ ܣܓܝܐ ܥܠܝܢ (١

فانها تريد بذلك ان نعمة الله الرحيم هي من ذاتها وافرة وقادرة غير انها لا تُكره الخاطي وتقسرهُ على الرجوع الى الله بل ان سمع صوته تعالى طوعًا فرجع عن الاثم فحينئذٍ يكون لهُ كفوءًا ويُفيض عليهِ الرحمة. وان قسَّى قلبهُ وسدَّ اذنه برضاه عن صوتهِ تعالى فاثمه يكون على هامتهِ كما قال المخلص لليهود حين رفضوا كلمتـه « لو لم آتِ واكلّمهم لم تكن لهم خطيئة. وامَّا الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم » (٢ وكتب الرسول الى العبرانيين يحذرهم قائلًا « كونوا متحفظين متيقظين من ان يوجد فيكم احد خالٍ من نعمة الله » . فهذا التحذير يدلّ على ان الخلوّ من النعمة ليس من قبل النعمة بل من قساوة قلوب الذين يحـذرهم كي يكونوا متحذرين متيقظين والَّا يكن باطلًا تحذيره اياهم من شيء هو فوق طاقتهم

والنعمة اللاحقة هي التي يعطيها الله الذين يتقونهُ ويسلكون طريق طاعتهِ ولا تكون باطلة فيهم بل تجديهم نفعًا كبيرًا لاجل حفظ المودَّة ليرتقوا الى اعلى المراتب لان الطبيعة البشرية ضعيفة من اصل فطرتها ومائلة الى الفساد بسبب الخطيئـة الاصلية ومضادَّة الطبائع ومُساورة الشهوة الناشئة فيهـا ورداءة الخصال القديمة ونقص الثبات في الراي وفخاخ العدو والميل الى الامور الدنيوية ومعـاشرة القوم الاشرار والاخذ برأيهم الفاسد

فلاجل هذه الاسباب وامثالها يجب ان لا يفتخر احد بما هو عليهِ من النعمـة بل يسأل الله ان يثبّتهُ ويزيدهُ نعمة كما هو مذكـور ان الرسل القديسين كانوا يطلبون من الرب ان يزيدهم ايمانًا وقوة. والبار اوغسطين كان يتضرَّع قائلًا « قوّني يا رب حتى اقدر واعطني ما تأمر ومُرْ بما تشاء » والآباء الاطهار يثبتون ان هذه

١) الترجمة : ان رجعنا عن اثمنا تائبين الى الله الرحوم فحينئذٍ يكون لنا كفوءًا ويفيض علينا مراحمه

٢) يوحنا ١٥ : ٢٢

النعمة للانسان كالجناحين للطائر والدفّة للسفينة والعكاز للشيخ الكبير ليسلك بسهولة ورفق ويحمل نير الوصايا بلذةٍ وينتصر على اعدائهِ في حومة التجارب. والبعض يشبّهونها بالندى الذي يبلّ الارض وبالماء الذي يحيي العشب وبالخمر التي تفرح القلب. ويعقوب السروجي يشبهها بالروح الذي يحيي وبالجسد الذي يحرّك المعازف للضرب كما يقول في ميمرهِ عن العشر العذارى

ܛܝܒܘܬܟ ܡܪܝ ܬܗܘܐ ܪܘܚܐ ܡܚܝܢܝܬܐ. ܘܬܙܝܥ ܒܟܢܪܐ
ܕܝܠܝ ܒܗ ܩ̈ܠܐ ܕܡܠܦܢܘܬܐ (١

والبعض يشبهونها ايضًا بالنار التي تحرق الخصال الرديئة وتُفنيها وبالمصباح الذي ينير في الظلام. وبناءً على ذلك تأمرنا البيعة ان نطلب هذه النعمة في جميع الصلوات لتكون لنا عضدًا. واما ههنا فلا تأمرنا ان نسأَل الرب ان يؤهلنا للدخول الى قدسهِ فقط بل ان يؤهلنا لنكون مستحقين للدخول ايضًا الى قدس الاقداس لان سرّ القربان افضلُ من جميع الاسرار وبهِ افاض الله علينا نعمته واصعدنا للامتزاج بهِ في الروح والحياة ولذلك وجب علينا ان نطلب هذه النعمة دائمًا وفي كل مكان

الفصل الرابع

في طلب الايمان والخضوع والمحبة والطهارة اذ يقول،

ܟܕ ܪ̈ܣܝܣܝܢ ܠܒܘ̈ܬܢ وقلوبنا مرشوشة

ان داود المعظم قد نظر بعين الروح الى خبز الرب والعجائب التي جعلها فيهِ قائلًا « جعل لمعجزاتهِ ذكرًا. الرب رؤوف رحيم. اعطى الذين يتقونه غذاءً. ذكر الى الابد ميثاقه » (٢ اعني كما ان الله جعل الانسان سيدًا على الطبيعة كلها وجعل

١) الترجمة: لتكن نعمتك يا رب روحًا محييًا وتحرك فيّ بالنقاوة اصوات العلم

٢) مزمور ١١٠: ٤–٥

كل ما هو موزَّع على البريةِ مجتمعاً فيـهِ بنوع اسمى واشرف . هكذا آثر ان يكون جسده الذي يتقـدم على المذبح راس الكل وينبوع كل الخيرات وجعل كل ما هو مشترك بين الاسرار مجتمعاً فيـهِ بنوع اشرف وافضل . وكما ان علماء الهندسة يجمعون بالرقم الهندي اليسير ربوات وكرات من الاموال . وعلماء المساحة يوجهون الى نقطة المركز جميع الخطوط هكذا خص ابن الله عزَّ وجلَّ في سرّ جسده كل معجزاته ووجَّه اليهِ جميع ما يخص قدرته وحكمته وجوده وعدله ومحبته وبقية اوصافه السامية ومواهبه الكاملة حتى ان الآباء الاطهـار سموه بكل صواب سرّ الاسرار وكمال الكمالات

فـكما ان القدرة الالهية قد ظهرت لنا في خلق الكائنات اذ قال الله لها كوني فـكانت وفي خلق الانسان حين ربط الروح مع الجسد بطبع واحد وفي تجسـد الكلمة الازلية بواسطة اتحاد الطبيعة الالهيـة بالطبع البشري في اقنوم واحد هكذا تظهر لنا كل يوم قدرته في تقديس الاسرار الالهيـة . فبقول الكاهن على الخبز « هذا هو جسدي » يستحيل حقًّا جوهر الخبز الى جسـد الرب ويحضر الله تعالى كاملًا بكلما يخص الجسـد والروح واللاهوت حقًّا ويصيران سرًّا واحداً معجباً منقطع النظير ابدًا وبقـدرة الله تتحفظ اشكال الخبز واعراضه بلا موضوع ومن غير تغيير ولا تعطيل بل في كل الاقسام واعدادها التي تتجزأ اليها الجوهرة المقدسة يحضر جسد الرب كاملًا بلاهوتهِ وناسوتهِ من غير ان ينقسم جسـده او ينفصل عن الروح او عن اللاهوت حتى ان من تناول جزءًا صغيرًا من الجوهرة يكون قد تناول المسيح كله من غير ان يمسّهُ نقصان او نفاد منذ الف وستمائة سنة

ثانيًا في سرّ القربان تظهر لنا حكمة الله غير المدركة لانهُ عندما اكمل السيد المخلص تردّده على الارض وقصد الرجوع الى الآب لم تدعهُ رحمته يغادرنا أيتامًا على الارض الى انقضاء العالم بل اختار ان يصعد الى ابيـهِ بجسده على ما هو عليهِ . واختار ايضًا ان يترك لنا جسده في سرّ الافخارستيا بحكمة لا توصف ونوع لا يدرك

حتى انهُ وهو الذي من حيث طبع ناسوته ذو قامة من ثلاثة اذرع ومن حيث طبع لاهوتهِ لا تحصره السماوات والارض قد استتر تحت الاعراض دون احتقار وانحصار كما سبق وتنبأ اشعيا قائلًا « رتلوا للرب لانهُ اكمل اعمالهُ السامية كما هو معروف في الدنيا كلها. افرحي وسبحي يا ساكنة صهيون. لان الرب الذي فيكِ هو العظيم وقدوس اسرائيل »

ثالثًا يظهر لنا ايضًا في هذا السرّ عدل الله فان ابوينا الاولين كانا متشحين بالنعمة ومُقيمَين في الجنة وموعودين بالنقلة الى مجد الملكوت اذا حفظا الوصية ولم يأكلا من الثمرة المنهيّ عنها. ولما ان جهلا نعمة مولاهما فاكلا من تلك الثمرة طردهما الله من الفردوس وعرّاهما من النعمة والحياة كما سبق فحذّرهما بقولهِ « انكما يوم تاكلان منها موتًا تموتان »

فاما ابن الله فلكي يبعثهما وذرّيتهما بالعدل من ذلك الموت لبس طبعنا وبذل نفسه دوننا وبدلًا من تلك الثمرة اعطانا جسده وعليهِ « فمن ياكل من هذا الخبز يحيا الى الابد » (١

رابعًا في هذا السرّ الكلي قدسه تظهر لنا محبة الله وجوده ورحمته وكرمه مع بقية صفاته السامية. فان الله ما اخذ جسدنا الّا ليُفيض عليهِ نِعَمه ويصير لنا اخًا وشبيهًا لتكون لنا دالة ان نتقدَّم اليهِ بوجوه باشَّة ضاحكة. ولما اراد الصعود الى ابيهِ تركَ لنا جسده ليبقى معنا الى انقضاء الدهر ليظهر عظم محبته غير الموصوفة كقول يوحنا « انهُ احب خاصته الذين في العالم واحبهم الى الغاية » (٢

ثم انهُ ليظهر لنا غاية جوده وكرمه رام ان يترك لنا جسده ايضًا بمنزلة الطعام حتى انهُ كما ان الطعام يستحيل الى الانسان ويصير معهُ شيئًا واحدًا. هكذا نحن بتناولنا جسده نستحيل اليهِ ونصير معهُ جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا. وقد سبق فاخبرنا عن غاية هذه المحبة بلسان هوشع النبي قائلًا « اني اجتذبتهم بحبال البَشَر برُبُط الحب

١) يوحنا ٦ : ٥٩ ٢) يوحنا ١٣ : ١

واكون لهم كمن يَرفع النير عن فكوكهم وامدّ له وأُطعمه » (١

يعني كما ان الوالدة تحركها احشاء الرحمة لتلقي يديها على عاتق الولد فتحضنهُ وتقبّلهُ لتنفي عن قلبهِ الاحزان وتفرّحهُ ثم تحنو لهُ صدرها وتُدني منهُ ثدييها ليغتذي بلبنها ويحيا. هكذا السيد المخلص لم يُحدرهُ من السماء الّا احشاءُ رحمتهِ ومسرّته بخلاصنا وجذبنا اليهِ بحبال البَشَر اي بواسطة الجسد الذي اخذه منا. ولما صار كواحد منا بذل نفسهُ دوننا حتى ازال نير العبودية عن اعناقنا. ثم احبنا للغاية وبرُبط محبتهِ حنا لنا ذاتهُ في جسده الذي تركهُ لنا في هذا السرّ طعاماً نأكلهُ للحياة الابدية

فلاجل هذه المعجزات التي جعلها الله في ميثاقهِ الجديد واظهرها لنا في طعام جسده الذي اعطى خائفيه اياه امرتنا البيعة المقدسة ان نذكرها كلما تقدّمنا الى تقديس جسد الرب على المذبح كقول الرسول « لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع وطريق جديد حيّ قد كرَّسهُ لنا نجوز بهِ في الحجاب وهو جسده وكاهن عظيم على بيت الله. فلندنُ بقلب صادق وايمان كامل وقد طهّر الرشّ قلوبنا من دنس الضمير وغسل الماء النقي اجسادنا » الخ (٢

فالمراد بذلك كما ان الله اظهر لنـا عظم قدرته بوضع هذا السرّ. هكذا نحن فلندنُ اليهِ بايمان صادق اذ نُخضع عقولنا وأَفهامنا ونؤمن ايماناً اكيداً بأَن الذي تراه الحواسّ الظاهرة الجسدية بشبه الخبز والخمر هو حقاً جسد الرب ودمه لان الله قادر على كل شيء ويريد ان نعتقد كل ما اوحاهُ الينـا ونسلّم بهِ ونأخذ بهِ دون فحص ولا بحث لان معرفتنا بالامور الطبيعية قليلة وقاصرة وحواسّنا كثيراً ما تخدعنا فان ابصرنا العود في الماء نظن انهُ مكسور. وان نظرنا الى تكسُّر شعاع الشمس في السحاب نعتقد انها بيضاء وحمراء وخضراء. وان تأَملنا في النجوم ليلاً نزعم انها تتساقط مع ان ذلك كله لا يكون بحسب الواقع. واما الله فلا يمكن ان

---

١) هوشع ١١ : ٤ ٢) عبرانيين ١٠ : ١٩

يخدع او يغش احداً كقولهِ « السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول » (١
ولهذا اعطى الطوبى لمن يؤمن بهِ ولا يراه . والرسول يثبت ان الايمان من السمع لا من النظر ولا من اللمس . ويوحنا الذهبي الفم يوصينا قائلًا « فلنؤمن بالله في كل شيء ولا نعصه في أمر من الامور اصلًا ولو قال لنا شيئاً مخالفاً لعقلنـا ونظرنا لان كلامه يستحق القبول وهو ارفع من فهمنا وبصرنا »

فالنتيجة كما ان الله اظهر لنا قدرته في هذا السرّ . هكذا نحن نطلب منهُ ان يعزّز امانتنا ويقوي ضعفنا ܘܢܬܠ ܠܢ ܗܝܡܢܘܬܐ ܕܚܝܠܐ كي نخدمه بايمان حق

ثانياً في هذا السرّ تظهر لنا حكمة الله لنخافهُ ونتصف بالتواضع والخشوع حسب قول داود النبي « انك لا تبتغي ذبيحة فابذل . انما ذبائح الله روح منكسر » (٢
ويقول مار افرام في ميمره عن التواضع

ܙܕܩܬܐ ܕܠܐ ܡܟܝܟܘܬܐ ܠܐ ܡܬܩܒܠܢ ܒܫܡܝܐ . ܘܩܘܪܒܢܐ
ܕܠܐ ܡܟܝܟܘܬܐ ܠܐ ܡܪܚܦܐ ܥܠܘܗܝ ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ (٣

والمراد بذلك انهُ كما ان الجسد بغير روح ميت . هكذا القربان دون التواضع هو فارغ من روح القدس . وكما ان السيد المخلص اظهر للعـالم غزير حكمته بوجود لاهوتهِ وناسوتهِ تحت اعراض الخبز والخمر هكذا يجب على الكاهن اذا اراد ان يكون قربانهُ مقبولًا ان يقدّم نفسه باطناً مع الضحيةِ التي يقدمها على يديه ظاهراً ويجعل عقله بمنزلة المقدِم ومشيئته بمنزلة الذبيحـة المقدَّمة والتواضع بمنزلة الحطب والمحبة بمنزلة النار وصدره بمثابة المذبح والندامة بمنزلة السكين والصلاة بمنزلة البخور

---

١) متى ٢٦ : ٣٥   ٢) مزمور ٥٠ : ١٨
٣) الترجمة : ان الصدقات العارية عن التواضع غير مقبولـة في السماء والقربان العاطل من التواضع لا يحل عليهِ الروح القدس

وكما ان البخور لا تفوح رائحته ما لم يُحرق بالنار كذلك قرابيننا وصلواتنا لا تستطيع ان تؤهلنا للاتحاد بالله ما لم تُحرق بنار التواضع وتتقد بالمحبـة كما يعلمنا الكتاب المقدس ان سيدتنا مريم العذراء لما قبلت البشارة بابن الله خرَّت بوجهها على الارض ساجدة وقالت « ها أنا أَمة الرب » (١

ولما رأَتها القديسة اليصابات مقبلة عليهـا خرجت للقائها صارخة « من اين لي هذا ان تأتي ام ربي اليَّ » (٢ وكذا رئيس الجماعة لما رأى المخلص آتيًا الى بيتـهِ هتف بخشوع عظيم قائلًا « أنا لا استحق ان تدخل تحت سقفي » (٣

فهكذا يجب على الكاهن عندما يتقدَّم الى مذبح الله لتقديس جسد ابنه ان يكون متصفًا بالتواضع والخشوع شاكرًا لله الذي أَهَّلهُ لهذه الخدمة الالهية قائلًا

ܢܫܬܘܐ ܕܢܥܘܠ ܠܩܘܕܫ ܩܘܕܫܝܢ ܕܝܠܟ ܪ̈ܡܐ ܘܡܥ̈ܠܝܐ (٤

ثالثًا في هذا السرّ يظهر لنا عدل الله والبيعـة المقدسة تأمرنا بان نطلب مع الرسول « ان تـكون قلوبنا مطهرةً بالرش من دنس الضمير » (٥

والمراد بذلك انهُ كما ان الله هو طاهر بذاتهِ هكذا لا يريد الّا الاطهار. وكل من يريد ان يتقدَّم الى هذا السرّ يجب عليهِ ان يقتني الطهـارة نفسًا وجسدًا كي يتحد معهُ بروح واحد كالطُعم الجيد مع الغصن البرّي وكالزرجون مع الكرمة لكي يأتي بثمار كثيرة . واما من يتقدَّم اليهِ بغير استحقاق فانهُ يهين عدل الله ويحتقر جسد الرب ويأخذ دينونة لنفسهِ . وكل من يتأَمل حسنًا في حيـاة السيد المسيح يتأكـد لديه انهُ تعالى منذ صباه ما آثر الّا الفقر والتواضع لينقض بجسمهِ كبرياء طبيعتنا ورغبتنا الشديدة الى المجد الفارغ

١) لوقا ١ : ٣٨ ٢) لوقا ١ : ٤٣ ٣) لوقا ٧ : ٦

٤) ترجمته : لنستحق الدخول الى قدس اقداسك السامية والعلوية

٥) عبرانيين ١٠ : ٢٢

قال لوقا البشير في ميلادهِ تعالى انهُ ولد في مذود البهائم في مغارة صغيرة « لانهُ لم يكن لهُ موضع » (١ وشهد لنا بانهُ كان يقول في حياتهِ على الارض « ان للثعالب أَوجرةً ولطيور السماء اوكارًا واما ابن البشر فليس لهُ موضع يسند اليه راسه » (٢

وانهُ لما اراد ان يترك العالم ويرجع الى ابيهِ تآمر الكهنة وكل الشعب عليهِ حتى يميتوه ولكن ليس مستورًا في بيت بل على مرأى من جميع الناس مصلوبًا عريانًا على خشبة اللعنة بين الخطأة واللصوص · غير ان جسده لم تسمح العناية الَّا ان يكفن باكفان من كتان ويُصب عليهِ قنطار من الطيب الغالي الثمن ويدفن في قبر جديد بغاية الاكرام والاجلال

وكذلك لما اراد تقديس هذا السرّ اختار غرفة كبيرة مفروشة معدَّة · وعندما اجتمع تلاميذه غسل ارجلهم بيديه وعلَّمهم بوعظـهِ الالهي واطعمهم الفصح مع الفطير. ثم اخذ خبزًا بيديه المقدَّستين اللتين لا مذبح افضل منهمـا وبفمهِ الطاهر قدس جسده بعد ما اكمل كل شيء · كما يليق بعظمتهِ كما تشهد البيعة عشية خميس الاسرار

ܘܟܠ ܡܕܡ ܐܝܟ ܕܘܳܠܶܐ ܘܝܳܐܶܐ ܠܟ ܐܬܬܒܬ ܐܝܟ ܒܛܝܒܘܬܟ
ܣܘܓܐܐ ܐܬܡܟܟܬ (٣

وعليهِ فلكي يكون عملنا مرضيًّا يجب علينا ان لا نتقـدَّم الى مذبحهِ الَّا بغاية الطهارة وقلوبنا مبتلَّة بندى نعمتهِ ومطهرة من دنس الضمير وخالصة من الافـكار الردية

اخيرًا ان السيد المخلص في تقديس جسده كشف لنا غزير محبتـه وجوده

١) لوقا ٢ : ٧ ٢) لوقا ٩ : ٥٨

٣) معناه : ولما كمل كل شيء يجب لك و يليق بك جلست هنـالك بنعمتك بحب عظيم

ورحمته وكرمه على بني البشر حتى انهُ اعطانا بملء السعة وارتياح النفس ما كان لهُ ليضمّنا اليهِ ويجعلنا معهُ ومع الآب واحدًا . وعليهِ فيلزم كل من يروم التقدُّم الى هذه الضحية المقدسة ان لا يعتدّ بجالهِ ولا باعمالهِ ولا بجسدهِ ولا بنفسهِ بل يطلب الدنو من الرب والامتزاج بهِ كما كان يشهد الرسول عن نفسهِ قائلًا « لست انا الحي بل المسيح هو الحي فيَّ »

وكما كان القدماء يختارون الذبيحة التي يضحون بها ويربطونها بسلاسل الحديد قرب المذبح . هكذا يجب على الكاهن ان يجذب نفسه بسلاسل المحبة ويحرقها بنارها قائلًا مع داود « الرب هو الله فزينوا العيد باغصان مشبكة الى قرون المذبح » (١

واقتناء هذه الفضائل ضروري كي يكون دخولنا الى المذبح مقبولًا وتقدمتنا مُرضية لله كالزيت في مصابيح العذارى . والبيعة المتعلّمة من الروح القدس لا تزال تطلب لنا ذلك ههنا في ابتداء القداس والنافور وعند قراءة الصلاة الربانية وشركة الاسرار الالهية كقول كيرلوس في اول صلاة النافور « اهلنا يا ربنا والهنا ان نكون ممتلئين تواضعًا ورجاءً ومزينين بالامانة المستقيمة والمحبة الروحانية لك ولبعضنا ويقبّل بالروح احدنا الآخر » . نسأل نعمته ان تؤيدنا حتى لا تكون طلبتنا بالفم فقط بل بالقلب والروح ايضًا

الفصل الخامس

في صلاة الحلّة اذ يقول

ܢܪܚܡ ܥܠܝܟܘܢ ܐܠܗܐ يرحمكم الله

ان رئيس الكهنة عندما يقبّل المذبح ويلتفت الى الشعب يحيّيهم ويطلب منهم

١) مزمور ١١٧ : ٢٧

الدعاء قائلًا « صلوا لاجلي » . فيجيبونهُ « ليقبل الله منك قربانك ويرضَ عنا بصلواتك » ثم ان واحدًا من الكهنة او رئيس الشمامسة يخرّ ساجدًا على الارض قائلًا « اعترف لله الآب بتمامها » والرئيس يعطيه وجميع الحاضرين الحلة قائلًا « يرحمكم الرب الاله » او رئيس الكهنة يبشر الشعب بالسلام والخيرات لان ابن الله انحدر من علو السماء ليبثّ السلام ويبشر سكان الارض بالخير. ثم ترك لنا جسده لمغفرة الخطايا وعربون الحياة. ولذلك أَمرنا بان نعطي السلام كل بيت ندخلهُ وخصوصًا في هيـاكل قدسهِ التي أُقيمت لتقديس اسمه وبشارة السلام ليكمل بنا قول اشعيـا النبي القائل « ما اجمل على الجبال اقدام المبشرين المسمعين بالسلام المبشرين بالخير المسمعين بالخلاص القائلين لصهيون قد ملك الهكِ » (١

ثم يطلب المغفرة والدعاء من الشعب لانهُ مظنَّة العيب ولابس جسد البشرية وسريع الزلل والخطاء كقول الحكيم « ان البار يتعيب ذاته في بدء كلامه » . وقال ايضًا « يوجد صديقون وحكماء وافعالهم في يد الله فلا يعلم الانسان ان كان يستحق المحبة او البغضة والكرامة او الاهانة بل يترك الجميع بغير حساب الى يوم الحساب » . وهكذا قال الرسول « اني لست اشعر بشيء في ضميري لكني لست مبرَّرًا بذلك. فاما الذي يحكم فيَّ فهو الرب » (٢

ولذلك وجب على رئيس الكهنة ان يقرّ بضعفهِ ولا يتكل على برارتهِ بل يستمد العون من الله بواسطة دعاء شعبهِ كما كان الرسول يطلب من اهل تسالونيكي ومن العبرانيين قائلًا « صلوا من اجلنا فان لنا ثقةً بان ضميرنا صالح واننا نرغب ان نحسن التصرف في كل شيء » (٣

ثم ان رئيس الكهنـة يستغفر الشعب من ذنبهِ لكي يعطيهم مثالًا ليستغفروا بعضهم بعضًا ذنوبهم لانهُ اذا كان رئيسهم ونائب المسيح يُخضع ذاته الذين هم

---

١) اشعيا ٥٢ : ٧ ٢) ١ كورنتس ٤ : ٤

٣) عبرانيين ١٣ : ١٨

اولاده وتلاميذه فيسألهم المغفرة فكم بالاحرى هم ان يفعلوا هكذا مع بعضهم بعض لانهم مرتبطون بالامور الدنيوية ومتقلبون في الجسدانيات . وبهذا التواضع يعلمهم عظم قدر جسد الرب ودمه وان من اراد ان يتحد بهِ يجب عليهِ ان يتصف بالتواضع والطهارة والاعتراف النقي والمحبة لجميع الناس اذ يحذرنا قائلاً « اغفروا يُغفر لكم . وان لم تغفروا لا يُغفر لكم » (١ . وقال ابن سيراخ « ان كان الانسان يحقد على صاحبه ولم يعفُ عنهُ فكيف يطلب المغفرة والبرّ من الله »

ثم ان رئيس الكهنة يستغفر الشعب ليريهم في فعلهِ ما يأمر بهِ الانجيل القائل « اذا قدمت قربانك الى المذبح وذكرت هناك ان لاخيك عليك شيئاً فدع قربانك هناك امام المذبح وامضِ اولاً فصالح اخاك » (٢ وقال يشوع بن سيراخ « انزع ما في قلبك من البغضة ثم صلِّ فتغفر لك ذنوبك كلها »

اخيرًا ان البيعة أمرت ان نستغفر اخواننا وجميع الشعب في هذا الوقت وفي ابتداء جميع اجزاء القداس الطاهر ليجعل الله سعينا كله موافقاً لخدمتهِ المقدسة كما كان يوصي الرسول اهل كولسي قائلاً « واظبوا على الصلاة واسهروا فيها بالشكر مصلين من اجلنا ايضاً ليفتح الله لنا باب الكلام حتى ننطق بسرّ المسيح » (٣

وبعد ان يستغفر الراس الشعب وهم يدعون لهُ بقبول قربانه حينئذٍ يخرّ ساجداً بين يديه احد القسوس او الشمامسة ويقول بصوت منخفض اعترف لله الآب ويطلب منهُ الحلة مما اقترفهُ من سالف الذنب قولاً وفعلاً وفكرًا . وهذا الاعتراف النقي يصير باسم البيعة ويجب ان يكون بحضور رئيس الكهنة على حين اذ كل الشعب يكشفون عن رؤُسهم ويحنون اعناقهم طالبين الحلة والمغفرة . وسبب ذلك هو أننا جميعنا جسد واحد وروح واحد بالرب وكلنا نشترك في تقدمة جسده لله

---

١) لوقا ٦ : ٣٧ ٢) متى ٥ : ٢٤

٣) كولسي ٤ : ٢

الآب عن خطايانا وننتظر الشركة في تناولهِ لاجل الحياة الابدية . ولهذا يجب علينا ان نزيل من قلوبنا كل حقد لان الحقد يخمد حرارة الروح ويدنس مذبح الغفران ويمنع موهبة جسد الرب . ثم انهم يحرصون على عمل الخير مع كل الناس ويسالونهم ليفيض الرب عليهم نعم جسده ودمه الكريمين ويصلون من اجلهم ويدعون لهم بالبركة كقول الرسول « باركوا الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا » (١ . وقال يعقوب اخو الرب « صلُّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأُوا » (٢

وتخبرنا الكتب المقدسة ان الله كثيرًا ما يؤدّب البنين لاجل خطايا آبائهم والعبيد لاجل آثام مواليهم والشعب لاجل شرور ملوكه ورؤسائه . وبعض الاحيان لاجل زلات الشمامسة وخطايا الشعب يمسك روحه لكيلا يحل جهرًا على الكهنة كما هو مذكور عن القديس ابيفانيوس اسقف قبرص أنهُ اذ كان يدعو الروح القدس كان يحل عليهِ عيانًا غير أنهُ دعاهُ ذات يوم ثلاث مرات في القداس فلم يفز بهِ ولا حل عليهِ . فحزن حزنًا شديدًا وخشي ان يكون الله قد امسك روحه عنهُ . واذ كان يفحص نفسه ويسأَل الله سبب ذلك نظر الى الشماس فرآه ممنوًّا بالبرص في جبهتهِ ولم يرَ ذلك فيهِ احدٌ غيره . فللحين اخذ المروحة من يدهِ واعطاها شماسًا آخر وأَمر ذاك بالخروج من البيعة ومنعهُ من قبول الاسرار . ثم دعا الروح فحلَّ عليهِ للوقت جهارًا . وبعد انتهاء الخدمة استدعى الشماس وسأَلهُ ماذا فعل حتى ضربهُ الله بالبرص فاجابهُ بانهُ غشي امرأَته في تلك الليلة . فحينئذٍ أَمر القديس ان يكون الشمامسة كمن لا نساء لهم ولم يسم بعدُ شماسًا الّا من حسُنت سيرته في الرهبانية او الترمل

ومذكور ايضًا في سيرة يوحنا الذهبي الفم أنهُ لما كان يرفع الجسد كان يشاهد الروح القدس يحل عليهِ . فرفع الاسرار ذات يوم حسب عادته فلم يرَ الروح حل عليها . فاستولى عليهِ غم شديد فأُوحي اليهِ من السماء بأَن الشماس يتلفت الى الشعب

١) رومية ١٢ : ١٤ ٢) يعقوب ٥ : ١٦

ويغمز امرأَةً . فزجرهُ القديس عن تلك الحال الرديئة وللوقت عاين روح الرب يرفرف فوق الجسد الطاهر

ويذكر صفرونيوس مثل ذلك في كتاب الامثال ان اسقف روميلة كان يقدس مرةً بحضرة اغابيطوس بابا رومية . ولما ان بلغ الى التقديس توقَّف عنهُ وابطأَ كثيرًا حتى تشكى البابا من توقفهِ وابطائهِ وأَمرهُ بتكميل الخدمة . فالتمس الاسقف منهُ ان يُبعد الشماس الماسك المروحة فلما أُبعد حل الروح ورآه الاسقف والبابا عيانًا

ويثبت ذلك ما يذكرهُ عاموص النبي من ان الله لم يمقت اعياد اسرائيل الَّا لانهم تركوا الرب وتبعوا الشر. وعليهِ فلكي يفيد القربان من يقدّمهُ ومَن يُقدَّم لاجلهِ يجب ان يكون الاثنان في نعمة الله لتحل عليهما النعمة ويكون لهما اوفر

ولهذا أَمرت البيعة بالاعتراف الطاهر في ابتداء القداس لكي يُعلَم ان الاعتراف السرّي ضروري لكل من هو في خطية . وكما ان الكهنة يحلون في وجه الكنيسة من الخطايا العرضية هكذا يحلون في سرّ التوبة المعترفين التائبين من الخطايا المميتة لاجل الشركة بجسد الرب

الفصل السادس

في ايقاد الشمع وترتيل الشامسة

ܫܒܚܘ ܠܡܪܝܐ . ܒܢܘܗܪܟ ܢܚܙܐ سبحوا الرب . بنورك نرى

يذكر سفر التكوين ان الله لما اراد ان يخلق الكائنات خلق اولًا النور ليفصل بين الليل والنهار اعني بين العدم والوجود ورأَى ذلك انهُ حسن . كذلك في خدمة القداس تُسرج المنائر لكي نضيء بالنور الحسي مصابيح عقولنا ونميّز بين النور والظلمة وبين افعال الرذيلة والفضيلة ونُباعد عنا اعمال الظلمة التي تؤَدي الى الموت

ونقتفي اثر الرب القائل « انا نور العالم من تبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة » (١

فبعد ان يعطي رئيس الكهنة الحلّة يجلس على كرسيهِ ويدعو الشماس كل الحاضرين الى تمجيد الرب قائلاً بصوت شجيّ « سبحوا الرب يا جميع الامم وهللوا لهُ » ويضي الشموع من عن يمين المذبح وشماله

وعند اضاءة الشمعة الاولى يجاوب الذين عن اليمين قائلين « بنورك نشاهد النور يا من انت منبع النور لانك انت هو النور الحقيقي المنير كل الخلائق . انرنا بضيائك الالهي وابهجنا باشراق صبحك المبهج »

اعني ان طبيعتنا منذ البدء خُلقت على شبههِ القدوس لكنها عدلت عن معرفتهِ والوصول اليهِ بسبب الخطية ولم تزل كذلك حتى اتى الرب وانار العالم باسرهِ بنور لاهوتهِ كما نقرأ في حساية اثنين الآلام قائلين « انهُ قد كفى بنور معرفتهِ كلما تحت الشمس واشرق كالشهاب اللامع والمصباح الساطع ينير لنا طريق الحياة لنسلك فيها وصار لنا مرشداً الى الصدق »

ثم يوقد الشمعة الثانية ويصرخ قائلاً « سبحوه يا جميع الامم وهللوا للبار القدوس القائم ما بين المنائر . ابعد عنا الآلام السمجة والافكار الردية وانعم علينا بطهارة القلب لنعمل اعمال البرارة »

اي كما انهُ بنور الشمس تضمحلّ الظلمة والقوات المضادة . كذلك نلتجئ الى الرب القائم ما بين المنائر لكي ينفي عن قلوبنا ظلام الخطية فنخدمهُ بالتقوى كابناء النور كقول الرسول « فلندع عنا اعمال الظلمة ونلبس اسلحة النور لنسلكنّ سلوكاً لائقاً كما في النهار » (٢

ثم يوقد الشمعة الثالثة ويهتف الشماس قائلاً « فلنرفعنّ المجد للثالوث الاقدس ونتضرعنَّ اليهِ تعالى لكي يقبل صلواتنا وقرابيننا كما قبل قربان هابيل ونوح وابرهيم

١) يوحنا ٨ : ١٢ ٢) رومية ١٣ : ١٢

وباقي الآباء الذين تشرفوا في العهد القديم بصدق الايمان ونقاوة الضمير»

اي ان الله كان يقبل قرابين الآباء الاقدمين لا لكونها فاخرة سنيَّة بل لكونها مقدَّمةً بنيَّة صالحة نقيَّة . فجعلهم الله لنا مثالًا لنتشبَّه بهم لتكون ذبائحنا مرضية من اجل شرف التقدمة التي هي جسد الرب ومن اجل استقامة النية ايضًا

ثم يوقد الشمعة الرابعة ويقول «من الآن والى كل اوان والى دهر الداهرين» . ثم يسألون الله الصفح والغفران كما صفح عن اللص اليمين والخاطية وسمعان بطرس وغيرهم الذين تشرَّفوا في العهد الجديد لان الرب اعطانا سرَّ جسده لمغفرة الخطايا . وبقولهِ «من الآن وكل اوان والى دهر الداهرين» نفهم ان الثلاثة الاقانيم هم متساوون في الذات والسلطنة والكرامة قبل التجسد وفيهِ وبعده الى الابد

ثم يوقد الشمعة الخامسة ويقول «لتكن لنا صلاة البتول المباركة سورًا حصينًا» فيجاوب رئيس الكهنة «ان الرب قد اصطفاها من جميع النساء واقام في مستودعها تسعة اشهر واخذ لنفسهِ جسدًا من دمها الطاهر» . اي كما ان الرب فضل هذه المـلكة المختارة على سائر المخلوقات وقرَّبها اليهِ والبس طبيعتنا من دمها . كذلك يجب علينا ان نفضل ذكرها على البرايا كافةً لتعضدنا ضد الاعداء

ثم يوقد الشمعة السادسة ويطلب المعونة من صلوات الشهداء لأنهم قدموا اجسادهم للعذاب والآلام حبًّا بالسيد المسيح . اي اننا في المشقات والضيقات نلتجي الى شفاعتهم لان الرب قد قبل قرابينهم وجعلهم شفعاء لاخوتهم الذين في الجهاد امام مذبحهِ السموي

ثم يوقد الشمعة السابعة ويطلب الرحمة والراحة للموتى المؤمنين . فيجاوب رئيس الكهنة طالبًا من ابن الله انهُ كما مات وقام ليحيي الراقدين ويشجعهم بالانبعاث . كذلك ان يبعث ويحيي جميع الموتى المؤمنين بسرّ الثالوث المقدس

والمراد بذلك ان تقدمة القداس تفيد غفران الخطايا للاحياء والموتى والخلاص من العقاب . وكما اننا نستمد المعونة من والدة الله والقديسين ليشفعوا فينا . كذلك

لا نهمل الطلب وتقدمة القداسات من اجل الموتى المحتاجين الى مساعدتنا. وبهذه الشفاعة نرفع التسبيح لله قائلين ܘܠܟ ܡܪܝ ܫܘܒܚܐ ولك المجـد يا رب. لان الشفاعة ليست على قدر الاجابة ومسرَّة الله

وانما تُوقد السبع شمعاتٍ امام رئيس الكهنة لانهـا تشير الى مواهب الروح القدس السبع التي رسمهـا الله لزكريا النبي بسبع الاعين كما قال «هاءنذا آتٍ بعبدي النبْت فهوذا الحجر الذي جعلتــهُ امام يشوع. ان على حجر واحد سبع اعين» (١. يريد بعبدهِ السيد المخلص الذي اخفى صورة لاهوتهِ وظهر للعالم بشبه العبد ويدعونهُ دِنحًا واشراقًا لانهُ انحدر من السماء كما قال زكريا ابو يوحنا «المشرق من العلاء ليضيء للجالسين في الظلمـة وظلال الموت» (٢. ونحن كذلك نطلب ههنا ان ينير قلوبنا بضيائهِ البهي ويبهجنا باشراق صباحهِ

واما الصخرة فهي مائدة المذبح التي عليها يتقدس جسد الرب. والاعين السبع هي مواهب الروح التي حلّت عليهِ في الجسد كما قال هو «روح الرب عليَّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لابشر المساكين» (٣ ونقول سبع مرات «هللوا» لاجل ثمار الروح التي تبتهج بها النفس المؤمنة لتخدم الله بارتياح وتسالك في العالم بلا عثرة كقول ايوب الصديق «يوقد الرب مصباحهُ على رأسي فاسلك الظلمة بنوره» (٤

واما في قداس الكهنة فتوقد من عن يمين المذبح وشمالهِ شمعتان او اكثر اشارةً الى جميع الذين استناروا بتجسد المخلص من شعب اسرائيل ومن الامم الغريبة

وامرت البيعة المقدسة ان تبدأ خدمة الاسرار المقدسة بالتسابيح والتهاليل بألحان منخفضة ونغمات لذيذة ليتعلم الشعب من اتفاق الاصوات واتحاد الشمامسة في الخدمة كيف يقدمون لله قرابينهم ليتَّحدوا بهِ. ومثل ذلك يذكر في سفر ܕܒܪܝ ܝܘܡܝܢ

---

١) زكريا ٣: ٨

٢) لوقا ١: ٧٨

٣) اشعيا ٦١: ١ ولوقا ٤: ١٨

٤) ايوب ٢٩: ٣

ان شعب اسرائيل كان يقدّم لله القرابين ويحظى بالاستجابة قائلًا « قام اللاويون بتسابيح داود والكهنة ينفخون بالقرون المعوجّة والمستقيمة »

وامر حزقيا الملك باصعاد الذبائح على المذبح وحين ابتدأوا بذلك هتف هو صارخًا باصوات المجد لله مثل داود وكل شعب اسرائيل سجد لله ومجّده . وهذه التماجيد التي ترتلها الشمامسة قبل تقدمة الاسرار تشير الى طلبات الآباء القدماء واشواقهم الى مشاهدة تجسد ابن الله كقول متى الانجيلي « الحق اقول لكم ان كثيرين من الانبياء والصديقين اشتهوا ان يروا ما انتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم سامعون ولم يسمعوا » (١

وحينما نصعد القرابين الى المذبح انما نقصد تسابيح داود النبي لانها تحوي جميع ما هو منصوص في سُنَن الرب لنشكره ونحمده . وقد قال ديونيسيوس النوراني انهُ قبل ان نقدّم القرابين يجب علينا ان نقدّم لله اولًا ذبائح الشكر والثناء اللذين يليقان بعظمتهِ اقتداء بهِ تعالى كما يشهد الانجيل بأنهُ لما قدس الربّ الخبز شكر اولًا ثم بارك وقدّس . ونحن ايضًا لكي تكون افعالنا مقبولة يجب ان نقدّم الشكر لله مع التقدمة الحسية

وقد رتّب الآباء ان تختلط تسابيح داود مع تراتيل الآباء لكي نُسدي من العتيقة والجديدة مجدًا واحدًا لجسد الرب الذي جمع بين الاثنين شبه حجر الزاوية . وقد اختار الآباء المفعمون كل حكمة المزمور المائة والسادس عشر دون غيره لأن داود يدعو بهِ جميع الشعوب الى سر تجسد ابن الله كما هو مذكور ان الملائكة هتفوا في يوم ميلاده وقال اشعيا « انهُ سيكون ليسّى اصل ثابت والذي يقوم منهُ يكون رئيس الشعوب واياه يترجى الامم » (٢

وهذا النداء يصير في خدمة القداس لان القداس تذكار حياة الرب وموته وقيامته وفيهِ يجتمع المؤمنون الى تناول جسد الرب ودمه الذكي كما هو واردٌ في

١) متى ١٣ : ١٧ ٢) اشعيا ١١ : ١٠

سفر الامثال « الحكمة بنت بيتها ونحتت اعمدتها السبعة ذبحت ذبائحها . ومزجت خمرها وصفَّفت مائدتها . ارسلت جواريها تنادي على متون مشارف المدينة من هو غِرٌّ فليملْ الى هنا وتقول لكل فاقد اللب هلمّوا كلوا من خبزي واشربوا من خمري التي مزجت اتركوا الغرارة واحيوا » (١

وعند ما يرتلون هذه التماجيد يلبس الكهنة الغفَّارات والشمامسة الهرارات اي البطارش كل واحد بحسب رتبتـــهِ كما يليق بالمدعوين الى فرح المسيح مع عروسهِ البيعة . وحينئـــذٍ يأخذ القندلفت آنية التقديس ويصمدها على المذبح نظير الرسولين اللذين ذهبا فاعدَّا الفصح

الفصل السابع

في غسل ايدي رئيس الكهنة اذ يقول

ܬܘ ܢܣܚܐ هلمَّ نغتسل

بعد ما يلبس الكهنة والشمامسة كما ذكرنا حينئذٍ يدعو رئيس الكهنة الجماعة للغسل قائلًا بصوت عالٍ « هلمَّ نغتسل » . والمراد بذلك الغسل من الادناس كما أَمر الله في سفر الخروج بان يصنع موسى مغتَسلًا من نحاس بين خباء المحضر والمذبح ويجعل فيهِ ماء التطهير فيغسل هارون وبنوهُ منهُ ايديهم وارجلهم اذا دخلوا خباء المحضر . ويكون ذلك لهم رسم الدهر لهُ ولنسلهِ مدى اجيالهم لئـــلا يموتوا » (٢ . فـكذلك أَمر الآباء بان يغســـل جميع المؤمنين اياديهم ووجوههم سحرًا عند ما يقومون للصلاة تطهيرًا للجسد

وبهذا الغسل الخارجي يُشار الى التطهير من الاحلام والافـكار الدنســة

---

١) امثال ٩ : ١ ٢) خروج ٣٠

والافعال الردية كما كان يتوسل داود النبي قائلًا « زدني غسلًا من اثمي وطهرني من خطيتي » (١

وبناءً على هذا آثر الرب ان يغسل اقدام تلاميذه قبل تقديس جسده قائلًا « انتم انقياء ولكن لا جميعكم » (٢

وكذلك لما أن تآمر الكهنة على قتل الرب وحكموا إنهُ مستوجب الموت في ناموسهم أخذ بيلاطس ماءً وغسل يديه قدام الجمع ليبرّئَ نفسه من فعلهم قائلًا « اني بريٌ من دم هذا الصديق » (٣

واما رئيس الكهنة ههنا فيعلن قائلًا هلمَّ نغتسل ونتطهر ومع الغسل الخارجي نتطهر ايضاً في الباطن لكي نصرخ بقلب نقي مع داود النبي قائلين « زدني غسلًا من اثمي وطهرني من خطيتي »

وكما ان الاكليروس جميعهم يترنَّمون في هذا الترتيل بصوت عالٍ . كذلك يجب على جميع الذين يتناولون القربان المقدس ان يكونوا اطهارًا بواسطة سرّ الاعتراف النقي . واما الذين لا يتناولون فليندموا على خطاياهم لينالوا النعمة كما هو مكتوب عن الانبا فولا اول الحبساء ان الرب انعم عليهِ بان يطّلع على بواطن الناس كما نعاين نحن ظواهرهم . ولما كان واقفاً على باب الكنيسة في بعض الاعياد ينظر الى الجماعة داخلين بوجوه مشرقة بالنور والملائكة محيطون بهم وهم مسرورون رأى واحدًا من الداخلين ووجههُ اسود مكسوف وملاكهُ حزين متباعدٌ عنهُ والشياطين يتجاذبونهُ من جهة الى اخرى . فحزن القديس من هذا المنظر وأخذ يقرع صدره ويسأل الله من اجلهِ ببكاءٍ شديد . فلما خرج من الكنيسة نظر وجههُ بهيًا منيرًا وملاكهُ الى جنبهِ مسرورًا والشياطين مبتعدين عنهُ لا يستطيعون الدنوّ منهُ

فلما عاين القديس هذا امتلأ سرورًا ونادى الجماعة بصوت عالٍ قائلًا تأملوا

---

١) مزمور ٥٠ : ٤   ٢) يوحنا ١٣ : ١٠

٣) متى ٢٧ : ٢٤

في عجائب الله وتعجبوا من احكامهِ فانهُ يسرّ بخلاص جميع الناس. ثم سأل ذلك الرجل الذي ظهرت فيهِ آية الله امام الحاضرين عن سيرتهِ وطرقهِ من قبل ومن بعد. فاجابهُ اني منذ زمان بعيد مرتكب خطية الزنا . والآن لما سمعتُ قول اشعيا النبي القائل « اغتسلوا وتطهروا وازيلوا شرّ اعمالكم من امام عينيّ وكفّوا عن الاساءة. تعلّموا الاحسان والتمسوا الانصاف. انهُ ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف » (١ أشرق عليّ نور الرب وفاضت من عينيّ الدموع وقلت يا من اتيت الى العالم لاجل خلاص الخطاة أنجز لعبدك الخاطئ ما وعدت بهِ على لسان نبيك وندم قلبي على ما سلف مني ووعدت الله باني اخدمهُ بنقاوة وطهارة ولا ارجع الى تلك الخطية . فلما سمع القديس والحضور هذا أسدوا الشكر لرأفة ربنا على بني البشر

وكان في ابتداء البيعة انهُ لما كان رئيس الكهنة يغسل يديه كان كل القسوس يقفون بالترتيب الحسن ويغسلون ايديهم كما يذكر القديس ديونيسيوس قاضي اثيناس ومتى اكملوا ذلك بحسب الرتبة يغسل حينئذٍ رئيس الكهنة يديه مع الكهنة بهيئة حسنة . وفي موضع آخر ان الحبر والكهنة عندما يغسلون ايديهم يجلس رئيس الكهنة في الوسط امام المذبح

وقد رمز الى ذلك سليمان الملك بالحوض النحاسي الذي نصبهُ على اثني عشر ثورًا من نحاس . وجعل لهُ اثني عشر أنبوبًا حتى يغسل رئيس الاحبار والكهنة ايديهم وارجلهم كلما قدّموا المحرقة الدائمة . فهكذا يغسل الاسقف والكهنة ايديهم تطهيرًا لها ليتناولوا بها خبز الحياة . ثم لما ابطلوا المناولة في الكفوف ابطلوا ايضًا غسل الايدي في هذا الموضع

---

١) اشعيا ١ : ١٦

الفصل الثامن

في خلع ثياب العالم ولبس ثياب الكهنوت اذ يقول

ܐܫܠܚ ܡܢܝ انزع عني يا رب

بعد ما يغسل رئيس الكهنة يديه وينشّفهما يقف على قدميهِ ويخلع عنهُ الغفّارة والمباذل اي الثياب التي تستعمل كل يوم ويلبس ثياب الخدمة التي أَمرت بها البيعة المقدسة اذ يقول سرًّا « انزع عني يا رب الثياب الوسخة التي البسنيها الشيطان وأَلبسني الثياب المختارة التي تليق بخدمتك ومجد وقارك »

والغرض من هذا اولاً احترام سلطان الكهنوت الذي يتشرَّف بهِ خادم الاسرار على غيره ويفضُله كما أَمر الرب موسى ان يصنع لهارون الحبر ثياب المجد والكرامة ليلبسها عند تقديم القرابين عن الشعب . وكذلك يقول السروجي ان المخلص لم يستعمل في تقديس الاسرار المدرّعة ومنصفة الاحبار لانهُ كان حاوياً بذاتهِ السلطان الالهي بل تزيًّا للرسل بزيّ الكهنوت حين اخذ الخبز وباركه وقال « هذا هو جسدي »

ثانياً انما ينزع خادم الاسرار عنهُ ثياب العالم ويلبس ثياباً مختصة بخدمة الله ليتعلَّم بذلك انهُ يخلع الانسان العتيق السالك بحسب الجسد الفاسد كما هو مكتوب ان أَبوينا لما خالفا الوصية لبسا ورق الشجر . ثم يلبس ثياب الخدمة اي الطهارة التي تؤهله لتقديس جسد الرب وللجلوس على مائدتهِ

وفي هذا المعنى يقول زكريا النبي « ان ملاك الرب تراءى ليشوع الكاهن العظيم وهو لابس ثياباً قذرة فانتهر الشيطان الذي همَّ ان يضربهُ وقال للواقفين امامه انزعوا عنهُ الثياب القذرة وقال لهُ اني قد نقلت اثمك عنك والبستك جديداً وقال لهم اجعلوا تاجاً طاهراً على رأسهِ والبسوه ثياباً جديدة » (١

١) زكريا ٣ : ١

وبناءً على هذا أَمرت البيعة ان يطلب جميع الكهنة في ابتداء القداس من الرب ان ينزع عنهم الثياب الوسخة التي أَلبسهم اياها الشيطان وان يُلبسهم بدلًا منها الثياب المختارة. ثم ان ديونيسيوس يطلب في اول النافور قائلًا « انزع عنا ثياب الاثم التي نحن لابسوها كما نزعت عن يشوع بن يوصاداق الكاهن العظيم تلك الثياب ومنطقنا بالحلّة النقية ذات البرّ حتى اذا اتحدنا بالطهارة بهذه الذبيحة الموضوعة امامنا نصير هياكل نقية لسكنى لاهوتك »

ثالثًا قد أَمرت البيعة ان تكون ثياب الخدمة غير الثياب المألوفة لان الله قدوس وكذلك يريد ان يكون كل من يدنو منهُ ويلابسهُ مقدّسًا مختصًا بخدمتهِ سواءً كان كاهنًا او هيكلًا او مذبحًا او اواني او ثيابًا كما سبق البرهان في المنارة الثالثة. ولما طلب موسى الدنو من العلّيقة التي كانت تلتهب وهي لا تحترق أمره الله ان يخلع نعله من قدميهِ لان الارض التي حلّ فيها مقدّسة وهي رمزٌ الى تجسد كلمة الله

هكذا تأمرنا البيعة ان نلبس ثيابًا يكون رئيس الكهنة قد باركها او أَذن فيها لكي تكون خدمة الله طاهرة مكرَّمة. ومذكور عن الشهيد المختار القس ابرهيم البشراوي انهُ لبس اسكيم الرهبانية اليسوعية ومضى الى بلاد الحبشة ليكرز ببشارة الايمان. اما هو فلكي يجتذب الناس الى طاعة الانجيل ولا يُعرف خلع اسكيمه وتزيّا بزيّ التاجر ولما انكشف امره وعُرف امروا بقتله. فطلب حينئذٍ ان يمهلوه ريثما ينزع عنهُ ثياب العالم. وهكذا قدَّم في اسكيم النذر نفسه وجسده لله ذبيحة مرضية

رابعًا نريد بتغيير الثياب نبذ الخطايا العرضية التي تفثأ سورة المحبة وتخمد حرارة الشوق وهذه الخطايا على ضربين. إما ان تُرتكب في حال خدمة الاسرار واما ان تكون مرتكبة من قبل. فالتي تكون مرتكبة من قبل تغفر بتناول الاسرار ان كان لها بعض التأثير كما نرى في الخبز الطبيعي فانهُ يقيت الجسد ويردّ اليهِ الرطوبة التي افنتها الحرارة ويعطي البدن أيدًا وقوة عوض الضعف

واما الخطايا التي تُرتكب في حال الخدمة كما اذا قصد ان يقدّس لاجل المِدحة والمجد الفارغ او لاجل ربح الدراهم والفائدة او لاجل الخجل والحياء من الناس او في كره وضجر بناءً على العادة فلا ريب اذ ذاك في انها تُعدمه اللذة والفوائد الجزيلة الصادرة عن هذا الخبز الالهي كما قال يوحنا الذهبي الفم « لا يتقدم احد الى خدمة الاسرار مكرهاً او متغافلاً بل يجب عليهِ ان يكون كل الوقت منتبهاً مستيقظاً »

فان كان اليهود كانوا ياكلون الفصح بسرعة وهم واقفون واحذيتهم بارجلهم وعصيهم بايديهم فكم يجب عليك انت ان تكون مستيقظاً عندما تاكل فصح الرب . وكما ان اولئك لم يكن يحلّ لهم ان ياكلوه نيًا او مطبوخاً بل مشويًا . هكذا لا يجوز لك ان تتناول هذا بضجر وزهد لا بطياشة عقل ولا بمعرفة اهل العالم وحكمتهم بل بحرارة الايمان ونار المحبة ولهذا شبهوه بالجمرة حتى يحوي حرارة الرغبة كل من يتقدم اليهِ ويكون مستنير العقل منتبه الضمير متشحاً بالبرارة شبه ملائكة السماء

ولقد تكلمنا في المنارة السابقة عن ثياب الخدمة وعددها ومفادها وهنا نذكر شيئاً عن كيفية لبسها فنقول : اذا كان القدّس رئيس كهنة يُلبسهُ رئيس الشمامسة القميصَ والزنار وهو واقف . ثم يجلس على الكرسي فيلبسهُ المنصفة والبطرشين والزندين والبدلة والخاتم بحشمةٍ . وان كان يلبس الدرع يلبسهُ اياه المتقدم في الكهنة او الاسقف اذا كان حاضراً . وليحذر ان يكون الطي على غير كتف الشمال . ثم يناولهُ التاج والعصا وصليب اليد . وعندما ياخذه يصرخ مع داود النبي قائلاً « بك ننطح مضايقينا . وباسمك ندوس القائمين علينا » (١ . ثم ينهض عن الكرسي ويتوجَّه الى المذبح فيسجد لهُ كل الشعب . وفي هذا اشارة الى قدوم ابن الله الى العالم متجسداً كقول بولس انهُ عند دخول البكر الى العالم ثانيةً يقول « فتسجد لهُ جميع ملائكة الله » (٢ وقول داود وسمعت صهيون ففرحت وابتهجت (٣

١) مزمور ٤٣ : ٦ ٢) عبرانيين ١ : ٦ ٣) مزمور ٩٦ : ٨

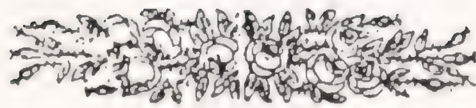
وحينئذٍ يرفع رئيس الكهنة يديه وعينيــه وعقله الى السماء ويقول بصوت عالٍ وهو واقف تحت الدرجة « اللهمَّ اسألك ان تجعلني مستحق التقــدم الى مذبحك الطاهر الخ » . وهذه الطلبة تحوي فوائد جمة اولًا الندامة واستغفار الله ممّا أَسلف

ثانيًا الاستئهال لنعمتهِ تعالى وأيد الروح لاجل تقدمة القربان

ثالثًا ان تـكون تلك التقدمة مقدّسة لمغفرة خطايا الذين تتقدَّم من اجلهم

رابعًا ان يكون لكل مَن لهُ شركة فيها من الاحياء والاموات ذكرٌ مع الابرار في ملكوت السماء . ويسأل هذه الموانح بشفاعة السيدة مريم ام النور ومار يوحنا المعمدان وجميع القديسين

وقد أمرت البيعة بان يقول ههنا هذه الطلبات كل الكهنة لانهــا ضرورية . ولما كانت تقتضي شرحًا طويلًا ذكرنا بعضه فيما مضى والباقي سنذكره فيما يأتي ان شاء الله اضربنا عن ذكرها الآن في هذا الموضع . ولله المجد دائمًا



الشرح الثاني

في صمدة الاسرار

بعد ان تكلمنا عن استعداد الكاهن الخادم الاسرار رأينا من الوجوب ان نتبع الرتبة ونتكلم عن مادة القداس اي صمدة الخبز والخمر اللذين يتقدسان ويستحيلان الى جسد الرب ودمه الكريم ۰ وعليهِ فنقسم هذا الشرح الى تسعة فصول

الفصل الاول في ان الخبز هو مادة جسد الرب والخمر مادة دمه

الفصل الثاني في مادة الجسد أَلخبز الفطير هي ام الخمير

الفصل الثالث في معاني القربان على فطير وعلى خمير

الفصل الرابع في مادة الدم أَلخمر ام الماء

الفصل الخامس في كمية الخبز والخمر في القربان وكيفيتهما

الفصل السادس في ضمّ القرابين وتبخيرها اذ يقول ܐܠܗܐ ܗܘ ܗܘ̇ ܦܚܠ

الفصل السابع في تقدمة البرشانة ووضعها في الصينية اذ يقول ܐܠܗܐ ܗܘ ܕܩܒܠ

الفصل الثامن في مزج الكاس اذ يقول ܐܦ ܡܫܝܚܐ ܗܘܠ

الفصل التاسع في تبخير الاسرار والكهنة والشعب اذ يقول ܩܕܝ̈ܫܐ ܕܩ̈ܠ

الفصل الاول

في ان الخبز مادة جسد الرب والخمر مادة دمهِ

لما رأى عدوّ الخير ان السيد يسوع المسيح قد ترك لنا جسده ليكون سبباً لغفران خطايانا والحياة الدائمة لم يبرح منذ البدء يغربل اولاد المعمودية ليخدعهم بحيلهِ ويصدهم عن الفوائد التي تنشأ عنهُ كما منع ابوينا الاولين عن اكل شجرة الحياة على ما سبق فانبأنا الرسول بذلك قائلاً « ان قوماً يرتدّون عن الايمان في الازمنة الاخيرة ويصغون الى ارواح الضلال والى تعاليم الشياطين مرائين ينطقون بالكذب وضمائرهم مكوِيَّة » (١

فخدع الشياطين بعض الهراطقة الذين يسمّون ارطوطوريين فعجنوا خبز القربان بالجبن كما يذكر القديس ابيفانيوس ذلك في كلامهِ عن الهراطقة. ثم ان اليعاقبة قد ادخلوا في الدقيق والماء ملحاً وزيتاً ليصير من اربعة عناصر . وكذلك القطفريجيون كانوا يستنزفون دماء الاطفال بالابر ويعجنون بها خبز التقدمة. ونقل مار اوغسطين عن الاوفيطيين انهم كانوا يربّون حيــة وراء المذبح وعندما يقدمون القربان اي الخبز بالسحر يُبرزونها لتلحسهُ بلسانها. ويخبر طرطوليانوس عن آخرين أنهم كانوا يسحرون الخبز والخمر

ويذكر المجمع السادس عن الارمن أنهم كانوا يذبحون شاةً ويشوونها عند المذبح ويفرقونها على جماعتهم. ومن اجل هذا أمر الآباء في القانون التاسع والتسعين ان كل كاهن يفعل ذلك في الكنيسة يُنزع عن درجتهِ. ثم لم يزل الشيطان بالكفار حتى أشاعوا عن النصارى بأنهم يتخذون الخبز والخمر الهاً يعبدونهُ وقد شنّعوا عليهم ذلك ليمتنعوا عن هذه الضحية الالهية التي بها ينالون الغفران والحياة الدائمة. غير أن

---

١) ١ تيموتاوس ٤: ١

الرب قد اخزى هؤلاء المشنّعين المغتابين اذ قد عاهدنا « بأنهُ يكون معنا الى منتهى الدهر » (١

واما بيعة الله فقد تسلّمت منذ نشأت النصرانية ان تكون مادة جسد الرب خبز القمح كما هو واضح من الانجيل المقدس حيث يقول ان المخلص قد اخذ خبزًا وباركهُ قائلًا « هذا هو جسدي » (٢ . ولم يكن الخبز الذي كانوا يستعملونهُ ايام الفصح الجليل الّا من دقيق الحنطة . وقال ايضًا وقد عنى بهِ جسده « ان حبة الحنطة التي تقع في الارض ان لم تمت تبقى وحدها » (٣

واما الخمر فقد قال الانجيليون انهُ اخذ كاسًا وباركها واعطاها التلاميذ ليشربوا منها قائلًا « هذه هي كاس دمي » ولم يقصدوا بقولهم انهُ اخذ كاسًا الوعاء الفارغ لان الكاس نفسها لا تُشرب بل الخمر التي سقاهم وقال « اني لا اشرب بعد من عصير الكرمة الى ذلك اليوم الذي فيهِ اشربهُ جديدًا في ملكوت الله » (٤

فينتج مما تقدم ان السيد المخلص لم يقدّس الّا على خبز وخمر وهما مادة جسده ودمه كقول الآباء في مجمع قرطجنة « انهُ لا يُقدم في السرّ شي غريب عمّا سلّمهُ الينا الرب يسوع »

ويتبرهن ذلك ايضًا من تسليم الرسل الاطهار الى المؤمنين فان بولس الرسول كتب الى اهل كورنتس « تسلّمت من الرب ما قد سلّمتهُ اليكم أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزًا وكاسًا . فكلما اكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكاس تذكرون موت الرب » (٥

وكذلك سلّم الى البيعة بطرس ويوحنا ومرقس ولوقا وتلاميذهم في النوافير

---

١) متى ٢٨ : ٢٠ ٢) مرقس ١٤ : ٢٢
٣) يوحنا ١٢ : ٢٤ ٤) مرقس ١٤ : ٢٥ ومتى ٢٦ : ٢٩
٥) ١ كورنتس ١١ : ٢٣

المنسوبة اليهم · ومحتوم في قوانين الرسل بان لا يُقــدَّم على المذبح غير السميذ النقي وماء العنب · واي اسقف او قسيس يخلط بدقيق القمح اشياء أُخرى غريبة كالعسل والحليب او يجعل خمرًا مسكرًا او طيرًا اوحيوانًا فانهُ يُنزع عن درجتهِ وانما يجوز لهُ دقيق الحنطة وعصير العنب لا غير

فمن هذا القول يتبرهن اولًا ان جسد الرب لا يكون الَّا من سميذ الحنطــة ومن ماء العنب ومهما يكن من غير ذينك فليس مقبولًا · ومن يستعملهُ يكــن منزوعًا عن درجتهِ · ولم يسمهِ الآباء خبزًا وخمرًا لان كلمة خبز هي لفظة شائعة تطلق على كل ما يعجن كالفول والبلّوط والحمص والشعير والذُرة وغيرها · وكذلك كلمة خمر تطلق على ماء الزبيب والبطيخ وما شاكلهما · فاذن مادة جسد الرب ودمه هي الخبز الذي هو من سميذ الحنطة والخمر التي هي من حبوب العنب

ويتحقق ذلك ثانيًا من تسليم جميع الكهنــة الذين في اربعة آفاق المسكونة ومن المجامع التي التأمت في براقا وقرطجنة وترولا ولاتران وفلورنسا وغيرها بان الخبز يكون مادة جسد الرب والخمر مادة دمه · ومن خالف ذلك يكن محرومًا ومنفيًّا من شركة المؤمنين

ويثبت ثالثًا من نوافير الآباء الاطهــار الذين زينوا كراسي النصرانية · وأراد الرب بتقديس جسده على الخبز والخمر ان يحصر فيهما قرابين جميع الآباء القدماء لان تلك كانت ذبائح من طيور السماء او من نعَم الارض · فالقرابين التي هي من الارض هي الخبز والسميذ والملح وحصا اللبان · واما النضوح كالخمر والماء فهــذه باسرها كمّلها الرب في تقدمتهِ وتسليم روحه على الصليب · وفي عليّة صهيون اعطانا مثالًا لنكملها بالخبز والخمر من غير سفك دم لان جسده يتقدَّم كالقربان بشبه الخبز وكالنضوح بشبه الخمر · وكالذبيحة متى كان الجسد في الصينيــة والدم في الكاس على شبه ما كان دمه منفصــلًا عن جسده وهو معلّق على الصليب

واختار ايضًا الرب الخبز والخمر لتقــديس جسده ودمه ليجبر كسرنا الاول لان

ابوينا الاولين خسرا النعمة باكل الثمرة . ولكي يرجعنا بحكمتهِ الى مقامنا الاول اصطادنا باكل الخبز والخمر لان اكثر تعبنا واعظم اجتهادنا في ان نفوز بهما . وكل يوم نطلب ان يعطينا خبزنا كفايتنا لكي يجذبنا اليهِ برضانا واختيارنا كما يستنزل الصيّاد الطير بالحب . ولهذا اخفى جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر كما يوضح السروجي في الميمر عن مجي المجوس

ܐܝܟ ܨܝܕܐ ܠܦܪܚܬܐ ܕܒܙܩ ܒܗ . ܘܟܠ ܓܢܣܐ
ܠܡܐܟܘܠܬܐ ܕܪܚܝܡܐ ܠܗ ܡܫܕܐ ܝܕܥ ܗܘ ܓܝܪ ܕܐܠܐ ܢܨܛܢܥ
ܐܦܠܐ ܨܐܕ . ܡܛܠ ܗܢܐ ܒܕܡܘܬܐ ܕܓܢܣܗ ܨܐܕ ܠܗ ܨܝܕܐ (١

وآثر الرب ايضاً شكلي الخبز والخمر دون غيرهما لنعلم انهُ كما ان الخبز والخمر يجتمعان من حبوب كثيرة ويوزّعان على اشخاص كثيرين هكذا نحن الكثيرين نصير جميعنا واحداً بالاتحاد بالرب في تناول جسده كقول الرسول « فانا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد » (٢

وانما اعطانا الرب جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر لانهُ كما ان الخبز يمنح الحياة للبدن والخمر يزيد الدم ويقوّيه . كذلك نفهم ان جسده ودمه يعطيان النعمة والقوة كما يقول متى الراعي في تقديس الاسرار ܢܣܒ ܠܚܡܐ ܕܪܐܙܐ ܕܚܝܐ ܒܗ اي اخذ الخبز الذي فيهِ سرّ الحياة

وكذلك جعل السيد المخلص الخبز والخمر تقدمة جسده ودمه لتكون خدمة كهنوته على رتبة ملكيصادق الحبر العظيم الذي قدَّم لله خبزاً وخمراً كما ذُكر في سفر التكوين وعنهُ تنبأ داود قائلاً « انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (٣

---

١) الترجمة : انما ينثر الصياد الحبّ ليخادع بهِ وكل جنس يختله بما يلذّ لهُ من الاكل فيصطاده ويعلم يقيناً بانهُ ان لم يخدع لا يستطيع ان يصطاد ولهذا يصطاد كل جنس بمثله

٢) ١ كورنتس ١٠ : ١٧ ٣) مزمور ١٠٩ : ٢٤

ثم اختار ايضاً الرب الخبز والخمر والماء لتقديس جسده لانهما ضرورية لقوت البشر وخدمتها نظيفة واستعمالها سهل ومقبولة اكثر من غيرها لندرك بهما افعال جسد الرب كما سنبيّن ان شاء الله في المنارة التاسعة الفوائد الناشئة عن قبولهِ

اخيرًا قد سُرَّ الرب ان يتقدَّم جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر تتميماً لنبوَّات الانبياء الذين تنبأُوا عنهُ لان موسى قال انهُ « أَكل دسم لبّ الحنطة وشرب دم العنَب صرفاً » (١

ومعلوم ان ليس للحنطة شحم ولا للعنب دم بل انهما رمزٌ الى جسد الرب المحتجب تحت اعراض الخبز والى دمه المنطوي تحت صورة الخمر. وقد قال داود « اطعمتهم من شحم الحنطة وأَشبعتهم من الصخرة عسلًا » (٢. وقال ايضاً « يجعل تخومك سلاماً ومن شحم الحنطة يشبعك » (٣. وقال هوشع « انهم يحيون بالحنطة ويزهرون كالكرم (٤ . وقال ارميا « انهم يجرون الى طيّبات الله الى البرّ والسلاف » (٥. وقال زكريا « ان البرّ والسلاف ينميان العذارى » (٦. وقال يعقوب « انهُ يغسل بالخمر لباسه وبدم العنب رداءه » (٧. وقال الحكيم « اكلت شهدي مع عسلي وشربت خمري مع لبني. كلوا ايها الاخلاء واشربوا واسكروا ايها الاحبَّاء » (٨. وقال اشعيا « ما بال لباسك أَحمر وثيابك كدائس المعصرة » (٩

فهذه الآيات وامثالها قد فسرها الآباء القديسون بجسد الرب ودمه الكريمين المحتجبين تحت شكلي الخبز والخمر

---

١) تثنية ٣٢ : ١٤
٢) مزمور ٨٠ : ١٧
٣) مزمور ١٤٧ : ١٤
٤) هوشع ١٤ : ٨
٥) ارميا ٣١ : ١٢
٦) زكريا ٩ : ١٧
٧) تكوين ٤٩ : ١١
٨) نشيد ٥ : ١
٩) اشعيا ٦٣ : ٢

الفصل الثاني

فيما اذا كان الفطير مادةً لجسد الرب ام الخمير

لا ريب في ان بيعة الرب قد تسلّمت منذ نشأتها ان تقدّس على الفطير كما يشهد الانجيل المقدس ان السيد المخلص نفسه قد قدَّس على الفطير . وتلك العادة بقيت محفوظة الى السنة المائة والعشرين كما يذكر البابا زخيا الثالث حتى قام ابيون الهرطوقي واشياعه والقوا الانشقاق بين اولاد الايمان واخذوا يعلمون ان حفظ ناموس موسى لواجب . فاما الآباء عمد الكنيسة فلكي يبطلوا هذا الافتراء أَمروا ان لا يكون القداس الَا على خمير خلافًا للناموس والعادة وبقيَ الكهنة يقدّسون على الخمير الى ان انقرضت بدعة ابيون

فحينئذٍ أَمر الآباء بالعود الى الفطير كما يقول البابا لاون التاسع في رسالتهِ الى ميخائيل ملك الروم . غير ان أَمرهم هذا لم يصب طاعة عند جميع الكنائس بل اطاعه بعضها وبعضها بقي على ما كان قد تسلّمهُ من الرؤساء بغير تغيير الى نهاية الالف ونحو الخمسين سنة . وحينئذٍ لاجل ما حدث من الفتن وما وقع من الانشقاق بين الروم والرومانيين اخذ الروم يشنّعون على كنيسة رومية ويثلبونها ويثبتون ان الرب قد قدَّس على خمير وان الفطير لا يسمى خبزًا ولا يجوز التقديس عليهِ . وتبع هذا الراي اليعاقبة وحرَّفوا كلام الرسول عن مواضعهِ حيث قال « فلنعيد اذن لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق » (١ وكتبوا مكانه « بخمير الخلوص » ليثبتوا ان القربان يجب ان يكون خميرًا . وكذلك يزيدون في نوافير كثيرة ܘܚܡܝܪܐ ܗܢܐ ܠܚܡܐ اي هذا الخبز الخمير تقريرًا لرايهم

واما نحن والارمن فقد تبعنا الراي القديم وفقًا للبيعة الرومانية . غير أَنَّ من

---

١) ١ كورنتس ٥ : ٨

اراد ان يقف على حقيقة هذا الامر عليهِ ان ينزع من قلبهِ الهوى والميل والغرَض والعناد وليتفهّم ما هو مأمور بهِ في كتب التوراة يوم عيد الفصح حيث يقول الرب « في الشهر الاول في اليوم الرابع عشر منهُ بالعشي كلوا فطيرًا الى اليوم الحادي والعشرين من الشهر بالعشي . سبعة ايام لا يوجد خمير في بيوتكم . فان كل من اكل خميرًا تنقرض تلك النفس من جماعة اسرائيل من الدخيل والصريح في الارض . لا تاكلوا شيئًا من المختمر بل في جميع مساكنكم تأكلون فطيرًا » (١

فمن هذا الكلام يتضح علانية ان فصح الناموس كان يبتدئ من مساء اليوم الرابع عشر من قمر نيسان . وكان يُحرَّم فيهِ اكل الخمير الى نهاية اليوم السابع عند المساء

ثم أَمعن نظرك في ما يخبر بهِ الانجيل المقدس عن الزمان الذي قدَّس فيهِ الرب جسده . فمتَّى يقول « انهُ في اول يوم الفطير دنا التلاميذ الى يسوع قائلين اين تريد ان نُعدّ لك الفصح لتأكل » (٢ . ويقول ايضًا « انه فيما هم ياكلون اخذ خبزًا وباركهُ » وكذلك يخبر مرقس قائلًا « وكان الفصح والفطير بعد يومين وكان رؤساء الكهنة والكتبة يلتمسون كيف يمسكونهُ بمكرٍ ويقتلونه . وفي اول يوم من الفطير حين يُذبح الفصح قال لهُ تلاميذه اين تريد ان نمضي ونعدّ لتاكل الفصح » (٣ ومثل ذلك يقول لوقا « انهُ لما جاء يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيهِ الفصح ارسل بطرس ويوحنا قائلًا امضيا فاعدّا لنا الفصح لنأكل » (٤

فمن هذه الآيات يُعلم يقينًا ان الرب اكل الفصح اولًا ثم الفطير في مساء العيد . وبعد عشاء الفصح اخذ خبزًا وقدَّسهُ . اذن ذلك الخبز الذي قدَّسهُ الرب كان فطيرًا كما سبق الكلام اي انهُ لم يكن خمير في بيوتهم من مساء اليوم الرابع عشر الى نهاية السبعة اياماً . ومن اكل في تلك الايام خميرًا يهلك من جماعة اسرائيل

١) خروج ١٢ : ١٨ ٢) متَّى ٢٦ : ١٧
٣) مرقس ١٤ : ١ ٤) لوقا ٢٢ : ٧

كما هو وارد في سفر الخروج وفي سفر اللاويين ومكرَّر في سفر العدد

وقد شهد المخلص بانهُ ما جاءَ ليحلّ بل ليكمّل الناموس وقد اتمَّ بنفسهِ سنّة الختان والتطهير وتقدمة القرابين وباقي تسليمات الناموس . فكم بالاحرى ان يتمم ويحفظ سنّة الفطير وعيد الفصح الذي هو اعظم واشرف من جميع اعياد العهد القديم لئلا يكون مخالفًا عند آخر حياتهِ ويُحكم عليهِ بالقتل

وهذه الشواهد الواضحة والحجج الدامغة لم تقنع الروم لكي ينبذوا ما في نفوسهم من العناد والاغراض ويقلعوا عن عادتهم بل انهم تمحّلوا لاضعافها تفاسير غير سديدة . فقال بعضهم ان اليهود عيّدوا الفصح حسب عادتهم اي في عشية اليوم الرابع عشر كما هو مذكور في التوراة (١ . غير أَن المسيح تقدّمهم يومًا ليستعدَّ للآلام . على أَن هذا الرأي فاسد وبعيد عن الصواب

اولًا لان المسيح ما جاءَ ليبطل الناموس بل ليتممه

ثانيًا لانه من الواجب ان الرمز يتقدَّم المرموز اليهِ . ولا ريب ان الفصح رمز الى موت المسيح

ثالثًا لان اكثر الآباء القديسين مثل يوحنا الذهبي الفم واوريجانوس وثاوفيلوس ومار افرام ويعقوب وثاوفانوس وثاودوريطوس وطورطوليانوس وقبريانوس وامبروسيوس واوغسطينوس وايرونيموس وبيدا وتوما وغيرهم من علماء البيعة يثبتون ان المسيح قدَّس جسده في اليوم الرابع عشر اول يوم الفطير بعد العشاء كما نقرأ في ܠܚܡܐ اي خدمة خميس الاسرار

« وأَكل ربنا الفصح بحسب الناموس ومعهُ تلاميذه في علية صهيون في يوم الخميس الرابع عشر من القمر كما أَمر ابن عمران بني اسرائيل وقت المساء » . وفي موضع آخر نقرأ « ان ابن الله اتَّكأ مع الاثني عشر وسط العلّية . واكل معهم خروف

١) خروج ١٢ : ١٨

الفصح بحسب الناموس الذي كتبهُ موسى . وحينئذٍ اخذ خبزًا وجعله جسده اذ باركهُ وكسرهُ واعطاهم اياه »

رابعًا لان المبشرين يشهدون بأنهُ قدَّس جسده في اول يوم الفطير حين يَذبح اليهود الفصح . ويذكرون ايضًا انهُ اكل الفصح قبل تقديس جسده . وقال آخرون من الروم ان الرب اكل الفصح وقدَّس جسده في اليوم الرابع عشر حسب الناموس غير ان اليهود اخَّروا فصحهم الى اليوم الخامس عشر اعني الى عشية السبت حتى يكون الفصح والسبت يومًا واحدًا

ويحتج هؤلاء بان هذا التأخير انما حدث لكيلا يُعيّدوا يومين متواليين وان هذا التأخير غير مذكور في كتاب بل تسلَّموه من المشائخ بعد رجوعهم من السبي كفايةً لمؤونة المشقة في الخبز والطبخ يومين متتابعين . ولان العيد تلك السنة التي قدَّس فيها الرب جسده اتفق أن كان يوم الجمعة نقل اليهود الفصح الى السبت وان المسيح قدَّس وقتئذٍ على خمير لان الفطير حينئذٍ لم يكن قد جاء وقته . على أن هذا الرأي ايضًا مضادٌّ لكلام المبشرين لان متى ومرقس يشهدان بان التلاميذ دنوا من يسوع اول يوم الفطير وقالوا لهُ اين تريد ان نهيئ لك لتاكل الفصح (١ . فاذا كان التلاميذ قد تقدَّموا اولًا الى معلمهم وسألوه اين يريد ان يهيئوا لهُ الفصح فبلا شك انهم كانوا تابعين عوائد جماعتهم وان اليهود كانوا يُفصحون في ذلك المساء ايضًا

ويؤَيد رأي البيعة كلام مرقس القائل « وفي اليوم الاول من الفطير اذ كانوا يذبحون الفصح » (٢ وفي النسخة السريانية « وفي أوَّل يوم الفطير الذي فيهِ يذبح اليهود الفصح » وفي النسخة اللاتينية « وفي أوَّل يوم الفطير حين يُذبح الفصح قال تلاميذه اين تريد ان نمضي فنعدّ لناكل الفصح » . وكذلك يقول لوقا « فلما جاء يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيهِ الفصح » (٣

---

١) متى ٢٦ : ١٧ ٢) مرقس ١٤ : ١٢

٣) لوقا ٢٢ : ٧

فتحقق اذًا ان الرب قدَّس جسده واكل الفصح مع اليهود . واما احتجاجهم بان اليهود نقلوا عيد الفصح من يوم الجمعــة الى السبت لئلا يشقّ عليهم الخبز والطبخ فليس بصحيح لان الله قد سمح لهم بذلك كما يقول في سفر الخروج « ويكون لكم اليوم الاول احتفال مقدَّس وفي اليوم السابع احتفال مقدَّس لا يُعمل فيهما عمل الَّا ما يؤكل لكل نفس هو وحده يُصنع لكم » (١

ܘܟܠ ܥܒܕܐ ܠܐ ܬܥܒܕܘܢ ܒܗܘܢ ܐܠܐ ܡܕܡ ܕܡܬܐܟܠ
ܠܢܦܫ ܗܘ ܬܥܒܕܘܢ ܠܟܘܢ (٢

على اننا ولو سلمنا بأَن الرب لم يعيّــد مع اليهود بل سبقهم او هم تأَخَّروا عن الزمان المعيَّن فليس يمنع كون الرب قد قدَّس على الفطير لانهُ اطاع اباه في كل شيء حتى الموت . وكما امر ابوهُ بان الفصح لا يؤكل الَّا في الفطير وان الفطير يبقى الى نهاية سبعة ايام وفي كل مساكنهم لا يوجد خمير البتــة ومن اكل خميرًا بعد دخول الفطير يهلك هكذا يلزمهُ هو نفســهُ ان لا يخالف اباه في شيء من هذه الاوامر التي تقضي على مخالفها بالموت

وزد على ما تقــدَّم ان الآباء القديسين يثبتون في مواعظهم وتفاسيرهم أَنهُ تعالى قد حفظ كل ما أُمر بهِ على يد موسى . ثم ان بعضًا من الروم لما ان ضــاقوا ذرعًا عن دحض الشهادات والبراهين التي ذكرناها ازدادوا عنادًا فافتروا على قول الله كذبًا وادَّعوا بان متى ومرقس ولوقا الانجيليين قد ضلُّوا وغلطوا في تعيين الفصح وان يوحنا لما قرأَ كتبهم دوَّن انجيله لكي يصلح غلطاتهم فقال « انه قبل عيد الفصح كان يعلم يسوع ان ساعتهُ قد أَتت » (٣ ومن هذا الكلام ينتج ان الرب قدَّس جسده قبل يوم العيد

١) خروج ١٢ : ١٦

٢) ترجمته : لا تعملوا فيهما عملًا قط الَّا ما يكون طعامًا للانسان فاياه اعملوا لا غير

٣) يوحنا ١٣ : ١

وبناءً عليهِ فلا يكون قد قدَّس الَّا على الخمير لان الفطير لم يكن قد اتى وقته بعدُ. ولما مات يسوع قال اليهود «لا تبيت هذه الاجساد على صلبانها لاجل السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً» (١. وانما كان عظيمًا لانهُ كان سبتًا وعيدًا معًا. وكذلك لما جاءوا بيسوع سحر يوم الجمعة من عند قيافا الى الايوان لم يريدوا ان يدخلوا الايوان يوم الجمعة لئلا يتنجسوا قبل ان ياكلوا الفصح الذي اخَّروهُ وقتئذٍ الى يوم السبت. وكان المسيح قد أكلهُ عشية يوم الخميس دخول يوم الجمعة

اما نحن فنقول ان كل بيت يُقسم يخرب واذا كان يوحنا مضادًّا لبقية المبشرين بطلت شهادتهُ وشهادتهم معًا اذ الناموس يقول «على شهادة اثنين او ثلاثة تقوم كل كلمة» وبيعة الله متمسكة منذ الابتداء بقول اربعتهم ومثبتة ان روح الرب هو الذي نطق فيهم ومن منهم غيَّر حرفًا واحدًا يمحى اسمهُ من سفر الحياة

ولهذا نضطر ان نقول ان كلام يوحنا موافق للآخرين وغير مناقض لهم البتة. واما كون العيد يوم الجمعة فيظهر من كلام يوحنا لانهُ قال انهُ كانت للقائد عادة بان يطلق لهم في الفصح اسيرًا ممن ارادوا. ومن ثم قال هو نفسه ان بيلاطس قال لهم يوم الجمعة «ان لكم عادة ان اطلق لكم في الفصح واحدًا افتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود» (٢. فاذًا كان فصح اليهود على رأي يوحنا ايضاً يوم الجمعة. واما قول يوحنا ان «يسوع عرف قبل يوم العيد ان ساعته قد أتت» فانه يثبت قول المبشرين الآخرين وذلك لان العيد كان يبتدئ من المساء وذلك المساء ان سميتهُ عيدًا واول يوم الفطير يكون كلام المبشرين الثلاثة صحيحًا لانهُ بدء العيد وفيهِ يؤكل الفصح والفطير. وان سميتهُ قبل يوم العيد كقول يوحنا فهو كذلك صحيح لان اليوم الطبيعي يبتدئ من طلوع الشمس وذلك المساء الذي كان يؤكل فيهِ الفصح كان قبل طلوع الشمس وهكذا كيفما سميتهُ فهو صحيح وغير مضاد

وعليهِ فمن هذه الشهادات يتضح جليًا ويتحقق ان الرب قدس على فطير لان

١) يوحنا ١٩ : ٣١ | ٢) يوحنا ١٨ : ٣٩

ساعتهُ التي عرف انها دنت تدل على يوم آلامهِ . وعليهِ فاذا كان عرف بساعتهِ قبل يوم العيد وتألم في العيد فبلا شك انهُ اكل الفصح وقدس على فطير حسبما رُسم في الناموس أنهم من المساء الذي يتقدم العيد ياكلون الفطير

واما قول يوحنا ان ذلك السبت كان عظيماً فليس يعني الفصح بل الفطير وذلك لان اليهود كانوا يعيّدون عيدين عيد الفصح وعيد الفطير كما هو مأمور بهِ في سفر اللاويين « في الشهر الاول في اليوم الرابع عشر منهُ بين الغروبين فصح للرب وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير » (١ . والرب عيَّد الفصح في مدخل يوم الجمعة . وعند مدخل يوم السبت كان يبتدئ عيد الفطير ولذلك دعي يوم السبت عظيماً لانهُ كان يومئذٍ سبتاً وعيداً معاً

واما قول يوحنا ان اليهود لم يدخلوا الايوان لئلا يتنجسوا قبل ان ياكلوا الفصح (٢ فليس مفاده ان امتناعهم من الدخول لان ذلك اليوم كان اول الفصح بل لانهُ كان واحداً من سبعة ايام الفصح كما هو مأمور « سبعة ايام تاكلون فطيراً . . ويكون لكم في اليوم الاول احتفال مقدس » (٣ . واليهود كرَّموا ذلك اليوم لانهُ سبت وعيد الفطير ولذلك امتنعوا عن الدخول للايوان

وعليهِ فليس قول يوحنا مضادّاً للمبشرين الآخرين بل موافق لهم . ومع هذا فلو سلَّمنا بأَن المسيح لم يعيّد مع اليهود بل وحده فلا يستطيعون ان يثبتوا انهُ بارك على خمير لان الفطير كان مأموراً بهِ من الله ولو كان قد استعمل الخمير مع الفصح لقدر يهوذا وغيره ان يقرفوه بأنهُ ما عيَّد مع الجماعة وخالف الناموس واكل مع الفصح خميراً

هذا واما قول غريغوريوس ابن العبري ان المسيح بعد ما اكل الفصح بالفطير واكل العشاء اخذ خميراً وقدَّس عليهِ مبرهناً قوله هذا من قول المبشرين ان الرب

١) احبار ٢٣ : ٥   ٢) يوحنا ١٨ : ٢٨
٣) خروج ١٢ : ١٥

اخذ خبزًا وباركهُ والخبز لا يطلق على الفطير الذي هو كالميت بل على الخمير الذي هو شبه الحي فهو فاسد ومجوج وبراءٌ من شبه الحق بل هو مضادّ لقول الله الذي حتم عليهم بان لا يكون خمير في كل بيوتهم سبعة ايام بل فطير لا غير وان من ياكل فيهِ خميرًا ينقرض من اسرائيل (١. فكيف اذًا يمكن ان يكون المسيح قد قدَّس بعد الفطير على خمير ضد ناموس ابيهِ. فتبيَّن اذًا انهُ ليس عندهم شهادة بينة ولا دليل واضح يحتجون بهِ على الخمير سوى العناد. واما قولهم ان لفظة الخبز تطلق على الخمير فقط فكاذب لان كلمة خبز انما هي لفظة شائعة تعمّ الخمير والفطير ايضًا كما هو واضح من الكتب المقدسة لان لوقا قد شهد بانه لما ظهر يسوع للتلميذين السائرين الى قرية عمَّاوس وقد كان دنا المساء أمسكاه وأدخلاه معهما القرية. وعند ما كانوا يتعشّون في بيت قوم من جنسهم اخذ الرب خبزًا وباركهُ وكسرهُ فعرف التلميذان عند كسر الخبز بانهُ يسوع (٢. ولا شك في ان ذاك الخبز كان فطيرًا لان الوقت اذ ذاك كان اليوم الثالث من الفطير

وكذلك مذكور في سفر صموئيل انهُ لما علم شاول الملك ان داود اذ هرب من امام وجههِ وسار الى قرية نوب اعطاه الكاهن السيف وخبز الوجوه لياكل هو والذين معهُ ما كان منهُ الّا ان أرسل فقبض على الكهنة وقال لاحيملك « لماذا تظاهرت عليَّ انت وابن يسَّى فاعطيتهُ خبزًا وسيفًا » (٣ وذلك الخبز انما كان فطيرًا لانهُ كان يُقدَّم لله كما ذكر « جميع التقادم التي تقربونها للرب لا تُعمل بخمير » (٤ فاذًا لا يطلق الخبز على الخمير فقط بل على الفطير ايضًا

ومما شرحنا يتحقق القاري ان المسيح قدَّس جسده على الفطير وكذلك فعل الرسل القديسون. وجميع الكنائس في اول الكنيسة شرقًا وغربًا كانت تقدّس ايضًا على الفطير حتى ظهرت شيعة ابيون فحينئذٍ أمر الآباء بالتقديس على الخمير ضدًّا

١) خروج ١٢ : ١٥ ٢) لوقا ٢٤ : ١٣
٣) ١ ملوك ٢٢ : ١٣ ٤) احبار ٢ : ١١

لتعليمهم الملتوي ولما انقرضت تلك البدعة رجع البعض الى الفطير وبقي آخرون على الخمير ومن جراء كثرة الفتن والعناد اخذ اصحاب الخمير يعيبون الذين يقدّسون على الفطير

ولما اجتمع المجمع المسكوني في فلورنسا سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين وحضره اوجانيوس الرابع بابا رومية ويوحنا بالالغوس ملك الروم ويواصف بطريرك القسطنطينية ورؤساء وعلماء كثيرون من كل صقع شرقًا وغربًا اجمعوا متفقين على ان يبقى اصحاب كل طقس على ما تسلّموه من آبائهم لان الفطير والخمير كليهما يستحيلان الى جسد الرب حقًّا لانهما خبز ومن دقيق الحنطة ويُعجنان بالماء العنصري ويخبزان على النار وبهما يغتذي البشر وانما يوكل الخمير اكثر من الفطير لانهُ لذيذ وسريع الهضم والفرق بين الخمير والفطير في التقديس كالفرق بين الخمر الحمراء والصفراء وحرموا كل من يقول ان القربان لا يكون من الشكلين اي الفطير والخمير

الفصل الثالث

في معاني القربان من الخبز الفطير والخمير

ليس للذين يستعملون الخمير حجةٌ في ان يعيبوا استعمال الفطير إثباتًا لرأيهم الَّا لكون الفطير من فرائض الشريعة العتيقة وتسليمات اليهود ولدلالتهِ على الموت ولذلك يستعملون الخمير ليكون فريضة جديدة للشريعة الانجيلية ويدل على الحياة. غير ان هذا القول يضادّ ما صنع الرب وأمر كهنته ان يصنعوه بعده كما تقدم البرهان

وزد على ذلك ان الرب قد حذَّرنا من الخمير بقولهِ « احذروا من خمير الفريسيين الذي هو الرياء » (١ وقال الرسول « ان الخمير اليسير يخمّر العجين كله » (٢ . وقال ايضاً في القربان الذي يتقدَّس بهِ جسد الرب « فلنعيد اذًا لا

١) لوقا ١٢ : ١ ٢) ١ كورنتس ٥ : ٦

بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق » (١ والبيعة المقدسة تفسر ذلك بأن الله أمر بأن يؤكل الفطير لا الخمير لان الفطير يدل على تجديد حياتنا ودخول العهد الجديد . والنهي عن الخمير يدل على بطلان العهد العتيق والحياة العتيقة كما نقرأ يوم خميس الاسرار سحر

ܗܐ ܥܐܕܐ ܕܒܗ ܦܛܝܪܐ ܠܚܘܕܬܢ ܡܬܐܟܠ ܗܘܐ .
ܘܡܒܛܠ ܗܘ ܕܠܚܡܐ ܕܡܫܘܕܥ ܥܬܝܩܘܬܢ ܗܘܐ (٢

وكذلك في الصلاة قبل الحساية

ܒܟ ܦܛܝܪܐ ܕܚܕܬܐ ܘܡܪܢܐ ܕܐܘܪܚܐ ܐܠܝܨܬܐ ܢܫܬܘܬܦ
ܒܦܓܪܟ ܘܕܡܟ (٣

وبما ان بيعة الله تثبت ان القربان يجوز استعماله من الفطير والخمير نقول ان للاثنين معانيَ مختلفة وسامية . فان تقديس جسد الرب على فطير يُشار بهِ الى ان الكلمة صار جسدًا من غير زرع بشري كالعجنة التي لا يدخلها خمير . والتقديس على الخمير يدل على ان اللاهوت اتحد بطبيعتنا وانماه كما ينمي الخمير العجنة كقول مار افرام عن ذلك الخمير الذي اخذتهُ المرأة

ܡܟܟܬ ܡܠܬܐ ܚܝܐ ܕܐܠܗܐ ܘܠܒܫܬ ܦܓܪܐ . ܘܗܘܬ
ܚܡܝܪܐ ܠܓܒܝܠܬܢ ܕܒܗ ܐܬܚܒܠܬ ܒܚܛܝܬܐ (٤

ثم ان الخمير يُشير لنا الى حرارة الايمان كما كُتب « يُشبه ملكوت السماء

---

١) ١ كورنتس ٥ : ٨

٢) معناه : هوذا العيد الذي يؤكل فيهِ الفطير لتجديدنا ويُبطل الخبز الذي يشير الى قدمنا ٣) الترجمة : انا نشارك في جسدك ودمك فطير العهد الجديد وجهد سلوك الطريق الضيقة

٤) معناه : تصاغر كلمة الله الحي ولبس الجسد وصار خميرًا لجبلتنا التي فسدت بالخطية

خميرةً اخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة اكيال دقيق حتى اختمر الجميع » (١

والفطير يشير الى طهارة جسد الرب وان من يتقدَّم لتناولهِ يلزمه ان يكون بريئًا من كل خطية كقول الرسول « القوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديدًا كما انكم فطير » (٢

كذلك يشير الخمير الى زيادة النعمة والتلذذ الذي يصدر من تناول جسد الرب لان كل من ياخذهُ باستحقاق يحيا بهِ ولا يذوق الموت كما قال الرب « من اكل من هذا الخبز يعيش الى الابد » (٣ . ويسمي متى الراعي القربان في نافوره خمير الحياة

واما الفطير فيشير الى العتق عن عبودية الشيطان والخطية والهلاك كما ذكر ان بني اسرائيل نجوا باكلهم الفطير من ملاك النقمة ومن عبودية فرعون ومن مياه البحر ومثلما افاض الله نعمه في القفر على الاسرائيليين الذين اكلوا الفطير واوصلهم الى ارض الميعاد كذلك ينال الذين يتناولون جسده كما يجب فيضان الخيرات والبلوغ الى الملكوت

غير ان الآباء الاقدمين كثيرًا ما ذكروا في ميامرهم ان الخبز الذي قدَّسهُ المسيح كان فطيرًا قبلما اخذه بيديه واما بعد ان رفعهُ بيديه الطاهرتين فقد صار خميرًا . ومن هذا الكلام اخذ ديونيسيوس ابن الصليبي وغيره يقولون ان القداس يجب ان يكون على الخمير لا على الفطير لان المسيح في العشاء الاول استعمل الخبز الفطير على ما هو مأمور بهِ في الناموس وفي العشاء الثاني استعمل الخمير لتقديس جسده . لكن هؤلاء ضلّوا عن ادراك معاني اقوال الآباء لان الآباء لم يعنوا بقولهم الخمير الطبيعي بل عنوا الخمير الروحاني اي ان القربان الذي قُدّم في الشريعة العتيقة كان خبزًا عاديًا بسيطًا فطيرًا يدل على فطرة ناموس موسى الذي ليس لهُ قدرة على منح الحياة والنعمة . واما الخبز الذي قدَّسهُ الرب وصيَّره جسده فليس خبزًا عاديًّا بسيطًا بل

١) متى ١٣ : ٣٣ ٢) ١ كورنتس ٥ : ٧

٣) يوحنا ٦ : ٥٩

جسده حقًّا وهو الذي يُنمي الروح بالنعمة والحياة الروحانية نظير الخمير الذي ينمي العجين

وكما ان جسد الرب هو افضل من الفطير كذلك الشريعة الجديدة هي افضل واشرف من الشريعة العتيقة كما يفسر ابن العسال في كتاب الناموس في الباب الخامس عشر عن الصوم قائلًا « ولما أكمل المخلص ذلك الفصح الى آخرهِ بيَّن لتلاميذهِ حينئذٍ وقال ان هذا الفصح إتمام الناموس العتيق والشريعة الموسوية التي رمز بها الرب اليهِ وقد انتهت الآن بهِ وكان هذا الفصح آخر مناسكها . ثم ابتدأ ينشئ وصايا الشريعة المسيحية . فاخذ حينئذٍ بيديه من الخبز الفطير الذي كان على المائدة وباركهُ وقسمهُ وقال لهم « خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يقرَّب من اجلكم لمغفرة الخطايا » فاخذوا حينئذٍ واكلوا جسدًا حقًّا لا ريب فيهِ

« وانما اختار الخبز لا غير لانهُ قوت الحياة فاشار بهِ الى الحياة الابدية . واما الفطير الذي أَمر بأكله فهو اشارة الى الناموس العتيق والى فطرة وشريعة موسى وغلاظتها وما فيها من الامور السخيفة فانها تشبَّه بالفطير

« واما الخبز الجديد الذي لا يُباح اكله بعد انقضاء الفصح فهو هذا الخبز الذي أكلتموهُ والكاس التي شربتموها وقد أُعطيتموهما لغفران الخطايا وللصفح عن الذنوب وهما اصل المسرة والحياة وابتدأ بهذه الشريعة الالهية اللطيفة يوعز الى ما يبشرون بهِ في اقطار الارض . الى هاهنا كتاب الناموس

وقد سأل غريغوريوس في كتاب المحاورة التي بينه وبين باسيليوس عن الخبز الذي اخذهُ سيدنا عن المائدة وجعله جسده أَفطيرًا كان ام خميرًا . فاجابهُ باسيليوس قائلًا حقًّا انهُ لقد اخذ خبزًا فطيرًا وجعله جسده الذي هو خمير الحياة . ومن هذه التفاسير يفهم القاري ما قالهُ مار افرام في ميمر آلام الرب

ܘܢܟܣ ܗܘܐ ܦܛܝܪܐ ܕܦܘܪܫܢ ܟܠܠ ܘܐܫܬܘܡܠ ܐܬܐ

ܠܟܘܢ ܠܚܡܐ ܚܝܐ ܕܡܚܡܥ ܟܠܗ ܒܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ (١

وفي مدرج ܗܘܐ ܦܛܝܠܐ ܗܘ ܕܡܨܪܝܢ ܐܡܪ يقول

ܝܗܒܬ ܠܢ ܥܕܬܐ ܠܚܡܐ ܚܝܐ ܚܠܦ ܗܘ ܦܛܝܪܐ
ܕܝܗܒܬ ܡܨܪܝܢ. ܐܟܠ ܡܪܢ ܦܨܚܐ ܥܡ ܬܠܡܝܕܘܗܝ. ܘܒܗ
ܠܚܡܐ ܕܒܗ ܒܛܠ ܦܛܝܪܐ. ܠܚܡܐ ܕܩܨܐ ܠܗ ܐܝܬܝ
ܠܥܡܗ ܚܠܦ ܗܘ ܦܛܝܪܐ ܕܡܝܬܘ ܐܒܗܬܗܘܢ. ܠܐ ܗܘܐ ܦܛܝܪܐ
ܡܚܕܬܐ ܢܦܫܐ. ܦܓܪܐ ܗܘ ܕܒܪܐ ܡܚܕܬܐ ܟܘܠܐ. ܗܐ ܒܗ
ܥܡܡܐ ܚܕܬܝܢ ܒܚܡܝܪܐ ܘܥܬܝܩ ܐܦ ܥܡܐ ܥܡ ܦܛܝܪܐ (٢

وقد قدمنا ان ما ذكره ابن الصليبي اثباتاً لرأيهِ ليس يُثبت أَن المسيح قدَّس على خمير بل على فطير حسب سنة الناموس وانه بكلمتهِ وبقوة الروح صيَّره خميراً حتى اصبح جسده يمنح الحياة الابدية

الفصل الرابع

في تعيين مادة الدم المقدس أخمر هي ام الماء

كان بعض الهراطقة القدماء ينهون الشعب عن شرب الخمر والكهنة عن التقديس عليها حبًّا بالقناعة ومنعاً للسكر وكانوا يُسمَّون مائيين لانهم كانوا يجعلون في

١) الترجمة : وانا اعطيكم بدلاً من هذا الفطير الذي يُثقل القلب والمعدة خبزاً حياً مختمراً بالروح القدس

٢) معناه : ان البيعة اعطتنا خبزاً حياً بدلاً من الفطير الذي اعطتهُ مصر . اكل ربنا الفصح مع تلاميذه وابطل الفطير بذلك الخبز الذي كسره وقدَّم لشعبهِ جسده الحي بدلاً من ذلك الفطير الذي مات آكلوه ولم يكن الفطير ايجدّد النفس . واما جسد ابن الله فانهُ يجدّد النفس والجسد معاً وبخميرة تجددت الشعوب وعتق ذلك الشعب مع الفطير

الكاس عند التقديس ماءً فقط . وقد كتب في ذلك العصر ضدهم يوحنا الذهبي الفم وغيره من الآباء السعداء

واما الارمن فهم بعكسهم اي يقدّسون الخمر وحدها ويحتجون لذلك بقول يوحنا الذهبي الفم لانهُ يذكر في مواعظهِ أن الرب قدَّس على خمر ولم يذكر الماء اصلاً فلم يعلموا ان قوله هذا طعن على المائيين المتقدم ذكرهم . واما رايه المستقيم فهو واضح من نوافيره ومن تسليمات كنيسة انطاكية وقسطنطينية اللتين ولد وترعرع فيهما . والمؤَرخ نيقافور يثبت ان الارمن ما تمسكوا بهذا الراي الّا لزعمهم ان في المسيح طبيعة واحدة . واما الراي المستقيم فهو ان يُمزج في الكاس خمر بماء ويتضح هذا من تسليم الاربعة كراسي التي تحكم كل النصرانية ثم من جميع الطوائف المنتشرة في اربعة الاقطار ما عدا الارمن

ويتبرهن ذلك ايضاً من تفاسير الآباء الذين هم عمَد البيعة مثل مار يوستينوس الشهيد ومار يعقوب وايسيدورس وشمونا اسقف غزة وامبروسيوس اسقف مديولان وغريغوريوس النيساوي وغيرهم ممن لا يُحصون عدًّا اضربنا عن ذكرهم حبًّا بالاختصار

ويتبرهن ايضاً رأي البيعة ممَّا سنّهُ الآباء في مجمع قرطجنة وفلورنسا وغيرهما ثم ممَّا حكم بهِ اولئك الذين اجتمعوا للمجمع السادس في القانون الثاني والثلاثين وهو ان كل كاهن لا يحفظ ما هو محتوم بهِ يُنزع من درجتهِ

وكذا يتبرهن ذلك مما صنعهُ السيد مخلصنا كما هو واضح في نوافير يعقوب اخي الرب وبطرس ويوحنا الرسولين ولوقا ومرقس ومتى الراعي واقليموس واغناطيوس وديونيسيوس تلاميذهم وغيرهم من اصحاب النوافير الذين يشهدون بان المخلص قد مزج في الكاس خمرًا بماء ثم قدَّس

ويُثبت ذلك ايضاً العادة الجارية عند اهل الفراسة والقناعة انهم يشربون الخمر ممزوجة ليبقى مزاج الانسان معتدلًا كقول الحكيم « اشربوا من الخمر التي

مزجت » (١ . وكذلك صنع الرب الذي هو حكمة الآب فرتَّب للبيعة هذا السرّ بواسطة الماء والدم اللذين خرجا من جنبِهِ ومن رأى شهد وشهادتهُ حق لنؤمن نحن

ويكفي من الحجج الراهنة ما تقدَّم ليفهم القاري أَن الكاهن الذي يهمل مزج الخمر بالماء يخطئُ مميتاً ويستوجب اللائمة على قدر معرفتهِ. وهذا المزج يشير الى معاني شتى روحانية

منها انهُ يشير الى الماء والدم اللذين خرجا من جنْب الرب على الصليب ولهذا حين نمزج الخمر بالماء نقول « ان هذه الخمر والماء هما رمزٌ الى الدم والماء اللذين خرجا من جنب ابنك الحبيب »

ومنها انهُ يشير الى اتحاد الطبيعتين الالهيــة والبشرية اللتين في المسيح باقنوم واحد كما يرنّم الشماس بلحن ܦܩܘܕܐ الذي يقال في ܩܘܡ ܦܘܠܐ

ܩܪܒܬ܆ ܥܕܬܐ ܡܗܝܡܢܬܐ ܘܦܫܛܬ ܟܦܝܗ̇܆ ܘܢܣܒܬ܆
ܒܗܝܢ ܕܡܐ ܘܡܝܐ ܪܕܝܐ ܕܬܪܝܗܘܢ ܣܗܕܐ ܥܠ ܨܠܝܒܐ ܓܠܝܘ
ܠܐܠܗܘܬܗ ܘܐܢܫܘܬܗ ܕܒܪܗ ܕܒܬܘܠܬܐ (٢

ومنها انهُ يشير الى النموّ الروحاني لانهُ كما جعــل الله الخبز والخمر والماء قوتاً لجسد كذلك يقول غريغوريوس النيساوي واقليوس الاسكندري انهُ جعل جسده ودمه غذاء للنفس المؤمنة

ومنها انهُ يوضح اتحادنا بالمسيح بروح واحد لان المخلص هو ينبوع النعمة والفرح ونحن المياه كقول الملك ليوحنا « اما المياه التي رأَيتَ فهي شعوب وجموع وأُمم وأَلسنة » (٣

---

١) امثال ٩ : ٥

٢) الترجمة : دنت البيعة المؤمنة وبسطت راحتيهــا واخذت بهما الدم والماء الجاري اللذين هما شاهدان عدلٌ على الصليب قد اظهرا لاهوت وناسوت ابن البتول

٣) رؤيا ١٧ : ١٥

وبهذا المعنى يوبخ قبريانوس البـار الذين يهملون مزج الخمر قائلًا « وان تقدست الخمر خاليةً من الماء صار دم المسيح متباعدًا عنّا »

ومنها انهُ يشير الى غفران الخطايا والحياة الابدية اللذين يُعطاهما من يتنـاول جسد الرب باستحقاق كما هو مكتوب « ان القديسين بيضوا حللهم بدم الخروف »

ومنها ان الخمر تمثّل تقدمة ملكيصادق التي كانت خبزًا وخمرًا والماء يشير الى الماء الذي اخرجهُ موسى للشعب من الصخرة كما كتب الرسول « كلهم اكلوا طعامًا روحيًا واحدًا وشربوا شرابًا روحيًا واحدًا فانهم كانوا يشربون من الصخرة الروحيـة التي كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح » (١

واما كيفية المزج فهي ان توضع اولًا الخمر ثم الماء وذلك واجب لان الخمر قد أمر بها الرب كما برهنا في الفصل الاول. واما الماء فامرت بهِ الكنيسة لا غير لانه لم يرد بهِ نصّ في الانجيل المقدس ولا في الرسائل الكاثوليكيـة ولكن الآباء الذين التأموا في مجمع ترنتوس قالوا ان البيعة امرت بمزج الخمر بالماء. ويقول البار قبريانوس في رسالتهِ الى اخيهِ ان الذين قدسوا وقد نسوا ان يمزجوا الخمر بالماء فليُسامحوا لانهم فعلوا ذلك عن سذاجة او عدم دربة. ويقول البابا اسكندر الاول انهُ قـد قبِلَ هذا التسليم من الآباء. وحين يتكلم مجمع فلورنسا عن الارمن الذين لم يمزجوا الخمر بالماء لم يحكم بأن قداسهم فاسد ولا بانهم مخالفون امر الله بل يأمرهم بان يوافقوا باقي المؤمنين

فمن هذه الشواهد وغيرهـا يتضح ان المزج بالماء ليس بضروريٍّ الّا من قِبَل ناموس الكنيسة ولذلك فهو كليّ الوجوب حتى ان من يهمله عمدًا يقترف مميتة لاجترائه على مخالفة امر البيعة. واما من يفعل ذلك بغير معرفة فلا جناح عليهِ غير انه اذا فطن قبل التقديس لعدم المزج فيجب عليه حينئذٍ ان يمزج غير معذور. واما

(١) ١ كورنتس ١٠: ٣

اذا فطن لذلك بعد التقديس فلا يمزج لانهُ ليس بضروري · وان اعترض احد بقولهِ انك بيّنتَ سابقاً ان المسيح قدَّس على خمر وماء فاذاً كما ان الخمر ضرورية كذلك ينبغي ان يكون الماء ضرورياً ايضاً ومأموراً بهِ في ناموس الرب • فنجيبهُ ان الرب انما قال عن الخمر « اني من الآن لا اشرب من عصير الكرمة هذا الى ذلك الذي فيه اشربه معكم جديداً في ملكوت ابي » (١

واما الماء فلم نجد لهُ ذكراً في الكتب الالهية اصلاً على انه لو كان ضرورياً لما اهمل ذكره · ثم ان الخمر تستحيل الى دم المسيح والماء لا يستحيل الى ماء بل هو رمز الى ما يخص اتحادنا نحن بجسد ابن الله ودمه · وعلى فرض ان الرب استعمل الخمر ممزوجةً بالماء فما مزجها الّا خارجي وليس بضروري كما بيّنا انهُ قد قدَّس حقيقةً على الفطير ولكن يجوز القداس على الخمير ايضاً وكذا قدس على خمر حمراء ويجوز القداس على خمر صفراء ايضاً

ولا ريب في ان القداس يصحّ على الخمر الممزوجة وغير الممزوجة كما تسلمت بيعة الله المقدسة · الّا ان المزج اصلح واوجب ومن تركه تعمّداً يخطئ • غير ان قداسه لا يكون فاسداً

الفصل الخامس

في كمية وكيفية الخبز والخمر في القربان

مذكور عن بعض الكهنة في الزمان القديم انهم ما كانوا يقدّمون الخبز والخمر على المذبح الا بمقدار معيَّن عندهم في الوزن وما كان يقلّ عن القدر المعيَّن لم يكونوا يقدّسونهُ • وطائفة الارمن الى الآن لا يقدّسون سوى قربانة واحدة اعتماداً على ما هو مذكور من ان المسيح اخذ خبزاً وباركه وكسره · وتلك القربانة يكبرونها ويصغرونها على قدر الحاجة

---

١) متى ١٦ : ٢٩

واما اليعاقبة فيستعملون اقراصاً كثيرة غير انها لا تكون أشفاعاً بل أوتارًا اي أفرادًا ما خلا اثنين كقول يوحنا بن وهبون « لتكن أفرادًا لا ازواجاً الّا اثنتين » وكذلك ابن الصليبي يقول في الاصحاح السادس عن القربان انه يُرفع برشانة واحدة ويُعنى بها ان الكلمة الذي تجسد هو واحد ويُرفع اثنتان على المذبح ويراد بذلك انه من اللاهوت والناسوت نعرف واحدًا هو السيد المخلص. وثلاث ويراد بذلك كون ثلاثة اقانيم الهًا واحدًا. وبعد تقديم البرشانات لا ينبغي ان تنقص منها شيئاً بل قبل رفع النافور تجب الزيادة وينبغي ان تكون افرادًا اذا جاوزت الاثنتين

وطوائف الشرق يرغبون ان يكون خبز القربان طريًا ابن يومهِ واهل الغرب يقدّسون على الخبز القديم اي البائت وبعض الكهنة ارادوا ان الماء يساوي الخمر التي تمزج بهِ وآخرون ان يكون اقل منها. وتمييزًا لهذه الامور نقول ان بعض الاشياء تكون ضرورية وواجبة وبعضها يُقصد بها التحسين لا غير وبعضها يراد بهِ تنفيذ المآرب. فالتي هي ضرورية وواجبة هي التي تلاحظ الخبز والخمر لانهما مادة جسد المسيح ودمه واذا كان احدهما فاسدًا فالتقديس باطل

ولهذا حتم الآباء ان يكون الماء اقل من الخمر لئلا يُفسد بكثرتهِ الخمر الرقيقة ويكون التقديس باطلًا. وقيل عن بعض الكهنة انهم كانوا يأخذون خرقاً من قطن ويغمسونها في ماء العنب ويدَّخرونها عندهم وحينما يريدون ان يقدّسوا في ايام السنة يغسلون بعض الخرق في الكاس ويقدّسون على غسالتها. فنهاهم عن ذلك البابا بيوس منعاً للخطر. والتي يُقصد بها التحسين والتنميق هي كما ذُكر في قوانين الرسل والدسقلية ومجمع نيقية ان يكون خبز التقدمة حديثًا ابن يومهِ لان القدماء كانوا يقدّسون على ما هو من وجه الخبز والروم كانوا يقدّسون على ما هو تحت الطبع من لباب الخبز وهذا اذا يبس تصير معالجته صعبة ولذلك امروا بالصواب بان يكون الخبز طريًا ليصير امره سهلًا

واما الذين يقدّسون على البرشان المخبوز في قوالب الحديد فهم ناجون من هذه

الصعوبات لان خبزهم سواء كان حديثًا ام كان لهُ ثلاثون يومًا لا يُمنع من التقديس عليهِ لعدم تغير الجوهر في الخبز الحديث والعتيق كما لا يتغير الجوهر في الخمر الجديدة والعتيقة . على ان المنّ وان لم يثبت الى اليوم الثاني الّا ان خبز الوجوه كان يستمرّ كثيرًا . وكذلك شجرة الحياة وغيرها مما هو رمز الى جسد المسيح وكذلك خبز القربان سواء كان كثيرًا او قليلًا وفردًا او زوجًا فهو جميعهُ خبز ومثله الخمر سواء كانت صفراء او حمراء فهي خمر ولا فرق في ذلك كله

غير ان الآباء استحسنوا ان يكون الخبز رغيفًا واحدًا رمزًا الى التوحيد وتشبيهاً بما قدسهُ الرب وان يقدّسوا نهار السبت على ثلاث برشانات رمزًا الى سرّ الثالوث ويوم الاحد على اربع في شكل صليب اشارة الى اصحاب الاناجيل الاربعة الذين بشروا بهذا السرّ واذاعوه . واما في باقي الايام فبحسبما تدعو الضرورة . وفي بعض الكنائس يؤثرون العدد المفرد من البرشان على العدد المشفوع لان ليس لهُ قسمة

وقد رتَّبت البيعة صلوات النوافير مفردة وكذا عدد الطباليت عند تكريسها وآثر اناس في التقديس الخمر الصفراء على الخمر الحمراء صونًا لمناشف الكاس من الاختضاب . غير ان هذه جميعها يراد بها التحسين والتمنيق . وهكذا قل عن البرشانة في ان تكون مستديرة بقدر الكف مطبوعة تُشبه القرص لانهما مختارة لخدمة الله لتستحيل الى جسده الطاهر . واما التي يُقصد بها تنفيذ المآرب فكمثل الاستمساك بالخمير والعاندة بهِ كما تكلمنا سابقًا في ان الرب قدس على الفطير وان الرسول قال « القوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديدًا كما انكم فطير فانهُ قد ذبح فصحنا المسيح . فلنعيد اذًا لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق » (١

واولئك الذين ذكرناهم يقاومون ويقدّسون على الخمير . وكذلك الارمن فانهم يقاومون ولا يقدّسون الّا على واحدة لزعمهم ان المسيح قدَّس على خبز واحد . واما

١) ١ كورنتس ٥ : ٨

نحن فلا نلتزم بان نحفظ كل ما فعل المسيح اذ قد ورد انهُ قدَّس جسـده في الرابع عشر من قمر نيسان بعد العشاء على جبل صهيون في العلية باللغـة العبرانية بحضور اثني عشر رجلاً على فطير حديث طريّ غير مطبوع وعلى خمر ربما كانت صفراء عمرها ستة اشهر وغير ذلك من العبارات التي لا يمكننا ان نرتبط بها على حين ان المخلص اعطى كهنته سلطاناً عاماً ليتصرفوا بتلك الامور على حسب ما تقتضيهِ الضرورة وتمسّ اليهِ الحاجة لاننا حضرنا في بعض الكنائس فوجدنا ان قد تناول فيهـا في يوم واحد ثمانية آلاف نفس وفي غيرها فوق الاثني عشر الفاً

واليعاقبة يعاندون بوجوب كون خبز القربان مفرد العـدد لا مشفوعه حسب تعليم اليهود في كتاب التلمود حيث يقـال ان الاكلات يوم السبت مفردةً احبّ الى الله منها مشفوعةً . وحسناً كتب ضدهم مفريانهم ابن العبري في الفصل الاول عن القربان قائلاً « اما عدد البرشان الذي يُقدَّم فلم نجد لهُ تعييناً سوى ما ذكر في الكتاب الاول لاقليموس هكذا . اننا نقـدّس يوم السبت ثلاث برشانات اشارةً الى كمال الثالوث الاقدس ويوم الاحد اربع خبزات اشارةً الى الاناجيل الاربعة » . وفي الكتاب الثاني يقول « ان الذين يعتمدون لا يحملون معهم شيئاً آخر سوى خبزة واحدة للتقديس »

وبناءً على ذلك نقول انهُ يجب ان يُقدَّس من الخبز بقدر الحاجة واقتضـاء عدد الشعب غير منظور فيهِ الى الوِتر او الى الشفع لانهُ لم يأتنا بذلك امر رسمي

الفصل السادس

في جمع القرابين وتبخيرها اذ يقول

ܐܠܗܐ ܗܘ ܪܒܐ ايها الرب العظيم

في العهد العتيق أمر الله بان لا احد يظهر قدامه فارغاً وذلك لكي يترجى المقدِّم لله شيئاً اضعاف ما قدَّمهُ عوضاً عنهُ . وكذلك كان جارياً في بيعة الله أن من يتقدَّم

في الاعياد المفرحة الى خدمة الاسرار وهو فارغ يُعدّ تقدمه عارًا عليهِ عظيمًا حتى ان القديس قبريانوس اسقف قرطجنة كان يوبخ رعيته قائلًا « كيف تتجاسر يا غني ان تدخل الكنيسة خاليًا من القربان وانت تتناول من القربان الذي قدَّمهُ الفقير » . ومار اغوسطين اسقف هيبونة كان يعظ شعبه قائلًا « فليخزَ الرجل العاقل من نفسه عندما يشرك الغيرَ في قربانهم »

وكان الكهنة يخرجون ايام الآحاد والاعياد المفرحة يصحبهم شماسان قاصدين الشعب في جمع الخبز والخمر لاجل التقدمة فيجمع احد الشماسين الخبز من الشعب والآخر يجمع الخمر ثم يعودون جميعًا الى الكنيسة لتقدمة القداس . ولم يكن الكهنة المحتاجون وحدهم يفعلون هذا بل سائر الاساقفة ايضًا حتى بابا رومية كما هو واضح من رتبة القداس الروماني حيث يقال فيها « ههنا الحبر الروماني الاعظم بعد ان يلبس الثياب الحبرية والمرتلون يلحنون صلاة التقدمة يصحب الارشيدياكنَ مع شماسين تكون نوبتهما في ذلك حينئذٍ وقارئين ويسير بهم الى حيث البطاركة والاعوان فيأخذ منهم الخبز ويسلّمهُ الى الشماس الاول وهو يسلّمهُ الى الثاني فيضعهُ في منديل ابيض يحمله القارئان

« وكذلك يأخذ الارشيدياكن منهم تقدمة الخمر ويفرغها في الكاس التي بيد الرسائلي ومتى امتلأت يفرغها في الاناء الموكول بهِ الى احد القارئين . ثم ينتقل البابا من هنا الى مكان النساء فيتناول منهنَّ الخبز والخمر كما تقدم القول وبعد ذلك يجمع الاسقف صاحب النوبة من بقية الشعب قرابينهم ويضعها في منديل ويجمع الشماس الذي بصحبتهِ الخمر وبعد الفراغ من جمع ذلك يأتي الارشيدياكن فيختار منها ما هو ضروري لتناول الشعب يومئذٍ ويدخر الباقي للآتي . ثم ان البابا ايضا وهو مستوٍ على الكرسي يقدم عن نفسهِ قنينة خمر فيتناولها الرسائلي صاحب الخدمة ويسلّمها الى الارشيدياكن حتى يصفّي الخمر براووقٍ من فضة ومن ذلك الراووق يصبّ الخمر في الكاس ثم يمزجها ببعض قطرات من الماء الذي يحمله الشماس

وحينئذٍ يقوم البابا عن الكرسي ويذهب الى المذبح والكاهن صاحب النوبة في تلك السبة ياخذ القربان من الشماس ويناولهُ اياه والارشيدياكن يناولهُ ايضاً ما قدمه البابا نفسه من الخمر وحين يقدّم البابا لله الخبز يمزج الارشيدياكن تلك الخمر في الكاس ويضعها عن يمين ذلك الخبز المقدَّم »

هكذا كانت الرتبة في رومية حين كان صاحب الكرسي الروماني يجمع القرابين ويقدّمها لله في الاعياد الجليلة الفارحة . وهكذا كان يفعل ايضاً البطاركة والاساقفة والخوارنة في رعاياهم وكانت عبادتهم هذه عظيمة جدًّا وعامةً ايضاً بحيث لم يكن الاشتراك في هذه التقدمة يفوت احدًا قط حتى ان المرتلين انفسهم يشتركون في هذه التقدمة ايضاً ولكن بما انهم مكلفون بالتلحين وامور الخدمة اعفوهم من التقديم لما ذُكر وكلفوهم فقط بحفظ الماء وتقديمه عنهم لئلا تفوتهم الشركة . وعلى قدر حسناتهم وحسن نياتهم كان الله يفيض عليهم البركات والخيرات

ولما كثر المؤمنون والكهنة والكنائس فلئلا تُهمل هذه التقدمة المكرَّمة وتنسخ هذه العادة الجليلة اخذ البعض يعينون للكهنة جُعْلًا ووظائف وآخرون يقفون للكنيسة املاكاً وعقارات واناس يقدّمون خبزًا وخمرًا على حسب ما يقتضيه الزمان والمكان كقول القديس باسيليوس « فلتُعدّ القرابين من مال الكنائس واذا لم يكن لها مال أُعدَّت مما يتبرَّع بهِ عليها حتى لا تبرح خدمة الله تنمي وتزداد وتنتشر في كل الدنيا »

واذا كان الشعب الاسرائيلي من العشور والقرابين يكفي سبط لاوي كل ما كانوا يحتاجون اليهِ فكم بالاحرى يجب على المسيحيين ان يكفوا الكهنة ما يحتاجون اليهِ في ما يتعلَّق بخدمة جسد الرب ودمه الكريم لمغفرة خطاياهم ومحو ذنوبهم كما تقول البيعة في الافرامية

ܗܘ ܩܒܠ ܚܠܦ ܚܛܗ̈ܐ ܘܣܟܠܘ̈ܬܐ ܚܠܦ ܥܡܐ

ܡܚܣܝܢ ܩܘܪ̈ܒܢܐ ܘܡܥܣܪ̈ܐ ܘܐܠܡܘܣ̈ܢܐ ܘܙܕܩ̈ܬܐ (١

اما القرابين فهي الخبز والخمر اللذان يستحيلان الى جسد الرب ودمهِ . واما العشور فهي التي تُعطاها الكهنة للقيام بمؤوناتهم . واما البكور فهو باكورة الزرع والفاكهة . واما الصدقات فهي التي تعم جميع افعال الرحمة كالاوقاف والدعوات والزكاة والنذور . فان كل ما يقدَّم لبيت الله او للكهنة او الديورة او للفقراء يُستجل لمقدِّمه في سفر الحياة والله يعوّضه من الواحد ثلاثين وستين ومائة في هذه الدنيا وفي الآخرة المجد الابدي

فاذا كان الاكّار يلقي البذار في الارض وهو يأمل أن تُغلّ لهُ بغزارة فكم يحق لمن يعطي الله الذي هو ينبوع الخيرات ان يأمل نيل الاضعاف . وقد تقدَّم سبحانهُ وتعالى فعاهدنا انهُ لا يُضيع اجر المحسن ولو كان ما يحسن بهِ شربة ماءٍ باردٍ وقد قال الحكيم « اعطِ العليّ كعطيتهِ وبعين جيدة اعمل صنعة يديك لان الله يكافيك ويجازيك سبعة اضعاف » . وبالعكس فان من يبخل على الله بما قد تفضَّل عليهِ بهِ يمنع الله تعالى نعمته عنهُ لانهُ لم يُحسن استعمالها كما يجب . ثم ان القرابين متى تمَّ جمعها ياتي بها الشماس الى باب الهيكل ويضع الكاهن بخوراً ويرسم عليها صورة الصليب المقدس قائلاً « اللهمَّ العظيم العجيب الى الابد الذي قبل قرابين عبيده المؤمنين ونذورهم وبخورهم وعشورهم وزكاتهم » . والمراد بذلك بيان مسرَّة الله بها وانها تُقبل في هيكل قدسه كالعرف الطيب كما كتب الرسول الى اهل فيلبي « تسلَّمت من افروديتس ما هو من قِبَلكم رائحةً طيبةً وذبيحةً مقبولةً مرضيةً لدى الله » (٢

وعليهِ فكما رضي سبحانهُ وتعالى بصلب ابنهِ ولاجلهِ قبل قرابين الآباء وعشورهم

---

١) معناه : ان القرابين والتقادم والعشور والصدقات تغفر ذنوب وخطايا الذين يقدمون الذبائح

٢) فيلبي ٤ : ١٨

وندورهم وذبائحهم فارسل النار من السماء كذلك يشتم كالرائحة الطيبة القرابين التي يقدّمها لعزته الالهية عبيده حبًّا بهِ وبتقديس جسد ابنه وعوض النار الزائلة يرسل لهم روحه غير الزائل حتى يستقرّ عليهم ويباركهم ببركاتهِ الروحانية اذ يمنح اجسادهم الطهارة ونفوسهم القداسة وأَمواتهم الراحة الدائمة وبعد هذه الحياة الفانية يُفرحهم في النعيم الذي لا يمسهُ تغيير ويُفيزهم بالرجاء الموعود بهِ قديسوه وعوض الرزق الزمني يعطيهم الحياة الدائمة للابد

الفصل السابع

في تقدمة القرابين ووضعها في الصينية اذ يقول

ܡܪܝܐ ܗܘ ܕܩܒܠ ܩܘܪܒܢܗ ايها الرب الذي قبل قربان

بعد ان يجزّ الكاهن القرابين ويختار منها رئيس الشمامسة ما يعرف انهُ ضروري للخدمة وشركة الشعب يُقدّم ما اختاره للكاهن بكمال الهيبة والوقار كما يأمر الرسل في القوانين ثم يحمل الشماس القربان الى المذبح فيتناولهُ منهُ الكاهن بيده اليمنى قائلًا مع اشعيا النبي « قُدّم وهو خاضع ولم يفتح فاه. كشاةٍ سيق الى الذبح وكحمل صامت امام الذين يجزّونهُ » (١. ثم يمسكهُ بيديه الاثنتين ويقدّمهُ لله قائلًا « اللهمَّ الذي قبل قربان هابيل في البقعة الخ ». ثم يرسم بهِ صورة الصليب على الصينية ويضعهُ عليها ويقول مع موسى النبي « جعلت يا رب كرسي مجدك في مقدسك فاصلحهُ يا رب بيديك. الرب يملك الى ابد الابدين » ويغطيه بالنافور الصغير قائلًا مع داود « الرب قد ملك ولبس البهاء » (٢

ولما كانت هذه الامور رسمًا لتجسد ابن الله الكلمة في احشاء البتول اقتضت ان نوضح ما تشير اليهِ فنقول

---

١) اشعيا ٥٣: ٧ ٢) مزمور ٩٢: ١

اولًا ان اختيـــار رئيس الشمامسة للقربان وحمله الى المذبح يشير الى جبرائيل رئيس الملائكة الذي ارسله الله الآب بالبشارة الى البتول الكليـــة الطهارة كما ارســل ابرهيم عبده فخطب رفقا لابنِهِ اسحق . وانتخاب القربان من اشباهِهِ يشير الى قول البيعة في نشيد الاناشيد « حبيبها مختار من بين ربوات » (١

ثانيًا ان الكاهن ياخذ القربان بيده اليمين ليـــدل على ان الله تعالى اظهر في تجسد ابنِهِ قوته للعالم كما شهدت السيـــدة البتول حين قبلت البشارة قائلة « صنع عزًا بساعده » (٢ وهل ساعد الآب اي يمينه الَّا كلمته التي بها خلق الكل وبهـا صنع جميع البرايا كما كان يطلب داود قائلًا « خلصني يا رب بيمينـــك » (٣ . وفي موضع آخر يقول « يمين الرب رفعتني . يمين الرب صنعت القوة فلا اموت » (٤

ثالثًا ان القربان يتبخر لان الله قد رضي في تجسد ابنـــهِ عن العالم كما بشرت الملائكة يوم ميلاده قائلة « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام للناس الذين بهم المسرَّة » (٥

رابعًا نقرأ عليهِ من نبوءة اشعيا قائلين « سيق كشاةٍ الى الذبح » لان اشعيا وصف للبيعـــة ميلاده تعالى وموته اكثر من جميع الانبياء حتى استحق ان يدعى خامس الانجيليين . وانما يُمثَّل بالشاة المسوقة الى الذبح لانهُ يُذبح عن الخطاة وهو بريء من الخطية ليطهرهم بدمهِ ويصير لهم برًّا وخلاصًا من قبل الله كما قال السروجي في الترنيـــمة السادسة والستين عن آلام الرب

ܐܘ ܕܡܬܢܟܣ ܥܠ ܕܚܛ̈ܝܐ . ܚܘܒ ܘܐܬܚܣܝ ܕܠܟܘ ܗܘ̇

ܕܚܛܐ ܚܛܝ ܕܢܚܣܐ . ܚܫܐ ܕܡܬܢܟܣ . ܢܣܒܬ ܚܛܗܐ

١) نشيد ٥ : ١٠ ٢) لوقا ١ : ٥١
٣) مزمور ٥٩ : ٧ ٤) مزمور ١١٧ : ١٦
٥) لوقا ٢ : ١٤

ܘܡܫܬܠܡ ܐܝܟ ܐܡܪܐ ܕܠܐ ܚܛܝ ܘܡܬܢܟܣ ܕܢܬܠ ܠܥܠܡܐ
ܚܘܣܝܐ ܕܚܛܗ̈ܐ (١

ولذلك قال عنهُ يوحنا الصابغ حين اظهر امره للبيعة « هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (٢ . وشهد يوحنا الانجيلي ان « ليس احد يقدر على فتح الكتاب المختوم بسبعة ختوم الَّا الحمل الذي ذُبح لاجل خلاص العالم » (٣

خامساً ان الكاهن يمسك البرشانة بيديه ويقدّمها لله رافعاً اياها لانهُ هكذا كان الآباء يقدّمون لهُ تعالى قرابينهم برفع الايدي . وهكذا ايضاً قدَّم السيد المخلص ذاتهُ للآب ويداه مبسوطتان على الصليب

وعليهِ فتأمرنا البيعة ان نتشبه بهِ ونقدّم صلواتنا وقرابيننا ونحن رافعون ايدينا واعيننا طالبين منهُ تعالى ان يقبل قرباننا كما قبل قرابين الآباء هابيل الذكي الذي تفضَّل على الاولياء بالايمان والبر . ونوح الذي تشرَّف في زمان الطوفان بالبرارة والبركة وصار ابا ثانياً لجنس البشر . وابرهيم الذي امتُدح في البركة والمواعيد ودعي ابا الامم . وداود الذي تعظَّم في الملك والنبوَّة ودعي قلب الله . وايليا الذي ذاع خبرهُ بالنبوَّة والغيرة ولُقِب بذي الروح المضاعف . والارملة الوارد ذكرها في الانجيل التي مدح الرب غيرتها ومحبتها لبيت الله . فان هؤلاء كلهم قبل الله قرابينهم لاجل ايمانهم القوي الرائع كما يذكر بولس في رسالتهِ الى العبرانيين

سادساً ان وضع البرشانة على الصينية وتغطيتها يشيران الى نزول ابن الله من السماء ولبسه جسدنا في مستودع البكر مريم البرية من الدنس . ورسم صورة الصليب

---

١) يا مقرّباً جميع الذبائح انظر وتأمل ان الذبيحة لا تكون مستحقة الموت عند ما تُقدم انما يأثم الشعب فيوثق الخروف بغير ذنب ولهذا مثل النبي سيده بالخروف

٢) يوحنا ١ : ٢٩ ٣) رؤيا ٥ : ٥

بها لدن وضعها تعني أنهُ قد اخضع ذاته برضاه وحمل اوجاعنا منذ لبس جسدنا كقولهِ على لسان داود « اني في البؤس والشقاء منذ صباني » (١ وقال ايضاً « انا قريب من الزلل ووجعي لديَّ كل حين » (٢

وما قلناه عن تجسد الكلمة يقال ايضاً عن تقديس جسده لان الرب ارسل بطرس ويوحنا ليعدا لهُ الفصح ثم اخذ خبزاً بيديه ورفعهُ لله الآب وبعد ما قدَّسهُ وضعهُ في القصعة محجوباً بستائر الاعراض. ويقال ايضاً عن دفنهِ لان نيقوديموس ويوسف انزلاه من على الصليب وحملاه على اكتافهما ولفَّاه بالكتان ودفناه في قبر جديد. وما برح في جميع هذه الاحوال صامتاً كالخروف المسوق الى الذبح وكالنعجة لم يفتح فاه لاتضاعهِ اذ هو متحد في اقنوم واحد بالكلمة الازلية ليصير لنا وللعالم كلهِ بروائح احسانه غفراناً وخلاصاً

واعلم ان أُناساً زعموا ان البيعة تقدّم لله قربانين كاملين احدهما هنا حين تقدمة الخبز والخمر والآخر حين تقديس جسده ودمه تعالى. ولكن هذا الزعم باطل لان تقدمة العهد الجديد هي واحدة اي جسد الرب ودمه لا غير. والتي نصنعها هنا ليست تقدمة كاملة بل استعداد لها لكي يُخصّ الخبز والخمر بخدمة الله كالشيء الذي يُنذر لله او يوقف للبيعة

وعليهِ فلم يكن الكاهن منذ البدء يمزج الخمر بالماء في الكاس بل كان رئيس الشمامسة يفعل هذا وهو ايضاً يختار القربان مما يقدّمهُ الشعب. وانما البيعة لم تأمر بان يكون ما في الكاس تقدمة تامة لازالة الشكوك والظنون بل امرت بان يتقدَّم الخبز اولًا ثم يُفرز لخدمة الله ومنح البركة للذين قدَّموه. وكذلك انما يوضع الخبز في الصينية والخمر في الكاس منفصلين عن بعضهما لان جميع القرابين في العهد العتيق والجديد هي رسم لتقدمة جسد الرب وموته كما اوضحنا في المنارة الاولى

وكما ان جسده في موتهِ تعالى كان معلّقاً على الصليب ودمه مهرقاً على

١) مزمور ٨٧ : ١٦ ٢) مزمور ٣٧ : ١٨

الارض هكذا رتّب سبحـانه تعالى ان جسده يتقدّس ويوضع في الصينية ودمه يتقدس ويحفظ في الكاس ذكرًا لموته . وهكذا امرت البيعـة ايضاً ان يوضع الخبز حين اعداد المواد في موضع والخمر في آخر حتى يكون الرسم مطابقاً للحقيقـة كما رتّب الرب . وكذلك نحن نفعل بالصمدة اي التقدمة لتكون مطابقةً للرسم والحقيقة معاً

وتصديقاً لهذا الامر اننا نقول حين نمزج الخمر بالماء في الكاس انهما رسم الدم والماء اللذين خرجا من جنب ابنك الحبيب . وحينما ناخذ الخبز نقول ايضاً سيق كالشاة الى الذبح ومثل الخروف امام الجزّار كان صامتاً . فمن يتأمل بعين البصيرة في هذا الكلام يعترف حقًّا ان ههنا استعداداً للتقدمة الحقيقية فقط لا تقدمة حقة بل كمن يهيئ خروفاً ليذبحـهُ وفي هذا الاستعداد نفسه نبدأ نسمي الخبز والخمر قرباناً وذبيحة مقدسة

الفصل الثامن

في مزج الخمر بالماء في الكاس اذ نقول

ܐܦ ܡܣܟܢܐ ܗܘܠ ܠܬܘܩܦܠ

في ابتداء البيعة كان رئيس الشمامسة وحده يتولى مزج الخمر بالماء في الكاس وعندما كان الكاهن يقدّم لله القربان كان ياتي رئيس الشمامسة وياخذ الكاس ويضع فيها الخمر صرفاً ثم يمزجها بالماء ويضعها عن يمين القربان وذلك لان قائد المائة هو الذي طعن جنب الرب فخرج منهُ دم وماء . وعندما كان المسيح يصلي في الجسمانية ارسل لهُ الآب ملاكًا يقويه حاملاً بيده الكاس . وكذلك ارسل التلميذين ليعدّا لهُ الفصح والخمر . وعندما احال الماء خمرًا في عرس قانا الجليل أمر الخدام ان يملأوا الاجاجين ماء

فلاجل هذه الامور وامثالها أمرت البيعة في ابتدائها بان يتولى الكهنة ما يخص

تقدمة الخبز وتوزيعه على الشعب . واما مزج الخمر بالماء في الكاس فالشمامسة كانوا يتولونه ويسقون الخراف المسيحية اياه لان الشمامسة هم وسطاء بين الكهنة والشعب ثم ان مزج الخمر بالماء يدل على اتحاد الشعب برب الكهنوت . وبقيت هذه العادة محفوظة حتى وقع الانشقاق بين المؤمنين وحصل من ذلك خلل ذو بال لان البعض اخذوا يجعلون في الكاس ماء دون خمر وآخرين يضعون خمراً غير ممزوجة بالماء وآخرين يكثرون من الماء ويقلون من الخمر وآخرين يجعلون الماء والخمر معاً دون سبق الخمر للماء وربما كانوا بعض الاحيان يضعون الماء قبل الخمر . ثم ان رئيس الشمامسة والرسائلي كثيراً ما كانا يكونان غائبين ولا يحضران دائماً فلاجل هذه الحوادث وغيرها أمرت البيعة بان الكاهن يمزج الكاس ويوزعها على المؤمنين كما ان المسيح رب الكهنوت هو مزج الكاس ورفعها على يدهِ وقدسها ووزعها على التلاميذ قائلاً « خذوا اشربوا منها كلكم »

فهكذا وجب على الكهنة ان يفعلوا لازالة كل شك او خطر يمكن حدوثهُ . والكاس انما كانت توضع عن يمين الصينية لان الرب طُعن بالحربة في جنبه الايمن حيث هو الكبد ينبوع الدم ومستقر الحياة . ومن ذلك الجنب بعينهِ خرج دم وماء لخلاص كل العالم كما نظر حزقيال « ان الماء كان يخرج من الهيكل من يمين المذبح ويسقي وجه الارض وتخرج حيتان وتنبت اشجار كثيرة لا تنتثر اوراقها ولا تنقطع اثمارها بل تكون اثمارها للاكل واوراقها للشفاء » (١

وكذلك شهد الرب انهُ يوم القيامة يقيم الصالحين عن يمينهِ كالخراف عن يمين الراعي لينقلهم الى مجد وجههِ الكريم . وعليهِ فالى ذلك الجنب يجب ان يلتجئ الطاهرو الارواح كما التجأت الحمامة الى كوَّة السفينة . والى الآن لم تزل الكاس توضع في بعض الكنائس عن يمين الصينية . وفي بعضها توضع شرقيها لانهُ اسهل في رسم الصلبان والتبخير وغيرهما . وعند ما يريد الكاهن ان يصبَّ الخمر في الكاس يحملها

١) حزقيال ٤٧

بيدهِ اليسرى ويتوجه الى جهة اليمين قائلًا مع داود « كاس الخلاص والحياة اقبل واسم الرب ادعو وأوفي لله نذوري » ثم يتناول ابريق الخمر من الشماس ويرسم عليهِ صورة الصليب اذ يقول « ان هذه الخمر رسم الدم الذي خرج من جنب ابنك الحبيب سيدنا يسوع المسيح اصبّهُ في هذه الكاس كاس الخلاص باسم الآب والابن والروح القدس الى ابد الابدين » وعند كل واحد من اسماء الثالوث يجاوب الشعب آمين

ثم يرسم على ابريق الماء ايضاً صورة الصليب ويتناولهُ من الشماس ويصب منهُ فوق الخمر مازجاً وهو يقول « وكذلك هذا الماء رسم الماء الذي خرج من جنب ابنك الحبيب سيدنا يسوع المسيح امزجهُ في هذه الكاس » الخ

ثم يحمل الكاس بيديه ويرجع بها الى نصف المذبح ويصلّب بها على الطبليت ثم يضعها عليهِ ويوجه نحو الشماس النافور الصغير ليبخره ثم يغطي بهِ الكاس قائلًا مع داود « الرب قد ملك ولبس البهاء . لبس الرب العزة وتنطق . لقد ثُبتت المسكونة فلن تتزعزع » (١

اخيرًا يوجه النافور الكبير نحو الشماس ليبخره ثم يغطي بهِ كل الاسرار قائلًا مع النبي « تغطت السماوات ببهائهِ المجد ومن تسبحتهِ امتلأت كل الارض » . فمن هذا الكلام يثبت ما قد شرحنا سابقاً ان الخمر والماء يمتزجان في الكاس ليصيرا رسماً للدم والماء اللذين خرجا من جنب الرب

اولًا نسمي الكاس كاس الحياة لاجل الماء الذي خرج من جنب الرب وهو رسم لماء العماد الذي رحض خطايانا واحيانا بالروح كما يوضح الرسول للرومانيين . ونسميها ايضاً كاس الخلاص لاجل الدم الثمين كقول بطرس الرسول « لم تفتدوا بما يفسد من الفضة او الذهب من تصرفكم الباطل بل بدم كريم دم حمل لا عيب فيهِ » (٢

---

١) مزمور ٩٢ : ١ ٢) ١ بطرس ١ : ١٨

ثانيًا يُرسم على الخمر والماء صورة الصليب ليتَّسما بسمة الرب و ينتقلا من المادة العديمة الحياة الى الروح الحية والى خدمة الباري عزَّ وجلَّ

ثالثًا ان الكاهن يمسك الكاس بشماله ويسكب الخمر والماء بيمينه رسمًا الى خضوع ناسوت الرب الى لاهوتهِ وسنة الاعضاء الى سنة الضمير التي من الله

رابعًا يعود بالكاس وهي في يديه الاثنتين ويضعها على المذبح ويرسم بها صورة الصليب لان آدم الاول كما انهُ ادخل الموت الى العالم لما مدَّ يدهُ الى الثمرة برضاه ومسرة زوجتهِ وآدم الثاني برضاه ومشيئة ابيهِ بسط يديه على الصليب واهرق الدم والماء من جنبهِ على مذبح الصليب لاجل حياة البشر وخلاصهم من الهلاك . هكذا يجب على الكاهن ان يخضع حواسه الظاهرة والباطنة ويقدّمها مع تقدمة القربان

خامسًا يبخر الكاهن الناقور ثم يغطي بهِ الاسرار رسمًا للبهاء والمجد اللذين اتشح بهما جسد الرب . بالبخور نفهم انهُ بذل نفسهُ دوننا قربانًا وذبيحة لله كالعرف الطيب . وبالغطاء الخارجي نفهم ان اسرار الرب لا تُفحص ولا تدرك ولهذا يستر الكاروبيم وجوههم من عظم هيبتهِ والشمس قد كُسفت في موتهِ . واما تجسده فقد ثبت تسعة اشهر محتجبًا عن العالم في مستودع البتول التي هي اقدس من الكاروبيم واشرف وأبهى من الشمس

واما كيفية المزج وكمية الخمر والماء فنقول ان الآباء كانوا في البدء يسكبون الخمر والماء في الكاس ثلث دفعات بصورة الصليب ومثله الماء متمسكين بان المسيح صبَّ الخمر والماء معًا كما هو مذكور في نوافير يوحنا الذهبي الفم واوسطاتيوس وغريغوريوس ومتى الراعي وغيرهم لكنهم رتبوا فيما بعد بالهام الروح القدس ان الماء يكون اقل من الخمر لان الخمر ضرورية للتقديس ولانها اذا كانت رقيقة وكانت اقل من الماء امكن للماء ان يُفسدها بكثرتهِ

ثم لان الخمر تمثل لنا جسد الرب والماء يمثل طبعنا الضعيف الملتصق بهِ وقليل

ما هم المختارون فلهذا وجب ان تكون الخمر اكثر من الماء

وقد عيّن الآباء الذين التأموا في بلاد النمسا سنة ثمان مائة وخمس وتسعين كمية الماء بان تكون الثلث فقالوا في القانون التاسع عشر لا يجوز ان يجعل في الكاس الخمر وحده ولا الماء كذلك لان كليهما خرجا معًا من جنبهِ بل يجب ان يكون الثلثان خمرًا والثلث ماء لان دم الرب اعظم شرفًا وافضل من الشعب الحقير الممثَّلِ الماء

وكذلك يوصي ابن العسَّال في كتابه المدعو كتاب الناموس متمسكًا بتعليم القديس باسيليوس ان يكون الماء من الثلث الى العشر اعني ان لا يتجاوز مقدارهُ الثلث اذا كانت الخمر جيدةً واذا كانت رقيقةً فليكن الماء عشر الخمر على انهُ ليس المراد ان يحرّر ذلك بالميزان او بالكيل بل يكفي فيهِ التخمين والتقدير وامر الآباء الذين اجتمعوا في فلورنسا بان يكون الماء قليلًا جدًا وبهذا الرأي تمسك علماء اللاهوت وعليه عوَّلوا وهو الأسدُّ والاعدل ويكفي من الماء ثلث نقطات على عدد الثلاثة الاقانيم

الفصل التاسع

في تبخير الاسرار والكهنة والشعب قائلين

ܫܘܒܚܐ ܘܐܝܩܪܐ ܘܣܓܕܬܐ (القرابين النقيَّة التي يقرّبها)

في مبتدا البيعة كانت الاسرار تُصمَد في الخزانة او على مذبح صغير عن جهة الشمال وكان ذلك يصير سرًّا كما سوف نتكلم في المنارة السادسة ان شاء الله اما هنا فنقول ان رئيس الكهنة بعد ان يدخل بيت القدس يذهب الى الخزانة ويصمُد الاسرار هناك حال كون الشمامسة يرتلون مدخل القداس ويوقدون الشموع على المائدة. ومتى أتمّ صمدة الاسرار يخرج فيجلس على الكرسي حيث يلبس

ثياب الكهنوت ويتقدم الى المذبح ولدى وصولهِ الى الدرجة الاولى يقف تحتها ويجأر بالصلاة قائلًا « اللهمَّ اسألك ان تجعلني مستحق التقدم الى مذبحك الطاهر الخ » . ثم يصعد الى الدرجة ويسجد امام مائدة الحياة قائلًا ܘܐܢܐ ܒܣܘܓܐ ܕܛܝܒܘܬܟ (وانا بكثرة نعمتك) . ثم يستغفر الشعب وياخذ الماطورية (المبخرة) فيبخر المائدة والكهنة والشعب وهو يقول ܬܘ ܢܫܒܚ (تعالوا نسبح)

هذه الامور كلها هي كما تقدم الشرح رمز الى تجسد الكلمة الازلي لانهُ بعد ما سبق فانبأنا بانواع مختلفة انحدر هو بنفسه الى غربة حقارتنا ولبس ثياب بشريتنا في ذلك المستودع الطاهر ثم قدَّم نفسهُ عنا لله الآب قربان الرضى . وفي العهد العتيق كان القربان يُقدم على مذبح والبخور على غيره حسب ما امر الله موسى بان يقيم مذبحين احدهما للذبيحة والآخر للبخور . ولما اجتمع المجمع الاول في نيقية نظر اصحابه في جميع امور الديانة المسيحية ووضعوا لها قواعد وسننًا بحسبما الهمهم الروح القدس وتأملوا شأن التقدمة المانحة الغفران وقد كان الله ازال عنهم نير الكفار وابطل تسليمات الناموس وامرهم بتقريب جسدهِ الكلي قدسهُ . وان مذبح الذبيحة ومذبح البخور كانا اشارةً الى موتهِ تعالى على خشبة الصليب فداء للعالم وانهُ اعطانا ذلك الجسد بعينه لنقدمهُ في السر فديةً عن شعبهِ

وعليه فقد امروا بان يُقام في الهياكل مذبح واحد لاغير يُقدم عليهِ القربان والبخور معًا . ومن ذلك الزمان امروا بان يصير اعداد التقدمة اي صمدتها في بيت القدس على المذبح بدلًا من اعدادها في الخزانة فاخذ اهل الشرق من ذلك الحين يُعدون الاسرار في اول القداس واما اللاتين فبعد قراءة الانجيل

واما الروم فقد ثبتوا على العادة القديمة والى الان ينصبون مذبحين . غير ان ما قضى بهِ الآباء جديدًا هو الاجدر والاولى . لان المسيح واحد وهو المذبح والقربان والبخور وكما ان الرسول يقول في تقدمتهِ تعالى على مذبح الصليب « انهُ بذل نفسهُ

٥٠

لاجلنا قرباناً رائحة مرضيَّة »(١ كذلك واجب ان يُقدم جسده في السر حيث يُقدم البخور ايضاً لنفهم ان موته تعالى بكمال ارادته ومعظم خضوعه واضطرام نار محبته اضحى كالوقود الكامل ولما استنشق الآب رائحته افاض نعمه على العالم كفيض دخان البخور في البيعة

وانما يقدم البخور على ايدي الكهنة والشمامسة ليكون طبقاً لما ذكر في سفر الاحبار عن قربان السميذ وهو ان بني هارون كانوا ياخذون منهُ بايديهم ويقدمونهُ مع الدهن واللبان ذكرًا لنشر رائحة الرب . وكذلك يقول يوحنا انهُ « رأى الشيوخ الذين امام عرش الحمل يقدمون البخور الذي هو صلوات القديسين »(٢

واما الآن فقد حتمت البيعة بان يقدّم البخور على يد رئيس الكهنة اذا كان حاضرًا اولًا لتكون نذور الشعب وقرابينهم مقبولة كما كتب الرسول « ان الله يحب المعطي المتهلّل والذي يرزق الزارع زرعاً وخبزًا للقوت سيرزقكم زرعكم ويكثره ويزيد غلال بركم . لتستغنوا في كل شيء لكل سخاء خالص ينشئ بنا الشكر لله »(٣ وعلى شبه ذلك تتوسل الكهنة الى الله ليقبل بخور شعبه المقدم لهُ على ايديهم كما قبل قربان ابرهيم على راس الجبل وبخور هارون المرضي في وقت الرجز

ثانياً كما كان في العهد العتيق عظيم الاحبار يخرج بالبخور من قدس الاقداس ويبخر القبة والشعب ثم ياخذ دم العجلة فيرشهُ على ادوات القدس وعلى كل الشعب للمغفرة والتطهير . كذلك وضعت البيعة ان يبخر رئيس الكهنة في اول القداس ادوات القدس والكهنة والشعب وفي آخره يحمل دم العهد الجديد ويدور بهِ على جميع من في بيت القدس لنفهم ان الرب في ميلادهِ وفي موتهِ افاض النعمة على كل جنس البشر . وبهذا يتم قول الرب على لسان ملاخيا النبي

١) تيطس ٥ : ٢٢ ٢) رؤيا ٥
٣) ٢ كورنتس ٩ : ٧

« في كل موضع تُوقد الابخرة وتقرَّب لاسمي القرابين » (١

ثالثًا ان رئيس الكهنة بعد ان يقدّم قرابين الشعب يدعوهم الى تسبيح الله وتمجيده قائلًا « هلمَّ نمجد الرب ونرتل لله مخلصنا . هلمَّ نخرّ ونسجد لهُ ونبارك الذي صنعنا » لان الرب ما اعطانا دمه ليذهب سدًى بل ليغفر خطايانا ولذلك يجب علينا ان نقف امامهُ بالتسابيح والشكر كما هو مكتوب انهُ « اخذ خبزًا على يديهِ ورفع عينيهِ الى الآب وشكره » ولهذا امرت البيعة ان نقدّم لله القرابين وبعد ذلك ندعو الشعب الى تقديم الطلب والبخور وينقسم الشعب فريقين قائلين هذه التسبحة التي تعم تقديم القربان والبخور الذي هو صلوات القديسين

رابعًا تُسبَّح هذه التسبحة بالتهليل والترتيل ودخان البخور متصاعد لنكافي البارى بيسيرٍ عمَّا تفضل بهِ علينا وخاصة لانهُ ترك لنا جسده ورحض بدمهِ نتانة الكفَّار وابطل اشباه اليهود وانعم على بيعتهِ بمغفرة الخطايا واكرمها بالحياة الدائمة . وهذه الاشياء قد تسلمتها البيعة ممَّا قد ذكر في سفر الايام عن داود النبي وسليمان ابنه . فان داود حين رام ان يبني الهيكل قدَّم لله ممَّا فاضت نعمته بهِ بين يديه وايدي شعبه وكان يقول بسلامة قلبي قدمت هذه الاشياء وما اكتسبه شعبك الى اليوم يقدمهُ ههنا بفرح . اللهمَّ اله ابائنا ابرهيم واسحق ويعقوب احفظ هذه الافكار الحسنة التي في قلب هذا الشعب واجعل قلبهُ مستقيمًا امامك في كل زمان . وبعد ما شكر لهُ وحمده أَمر الشعب ان يباركوه فبارك اللهَ كلُّ الشعب وخرّوا ساجدين امام عظمتهِ . وكذلك صنع سليمان لما اكمل بنيان الهيكل وادخل اليهِ تابوت الرب فجمع سائر الكهنة واللاويين وبقية الشعب وكانوا يمجدون الرب بالذبائح والتسابيح وآلات الالحان والاصوات العالية حتى غشيتهم الضبابة وامتلأ البيت كله من مجد الرب . كذلك نحن حين نصعد الخبز والخمر اللذين يحلّ في اعراضهما ابن الله كما كان يحل في الهيكل والتابوت المقدس . يجب علينا ان نرفع لله التمجيد

١) ملاخي ١ : ١١

والتهليل والاصوات الشجية مع عطر البخور ليستقر على ذلك كله الروح ومجد الباري افضل من الضبابة التي غشت هيكل سليمان الذي كان شبهاً فزال . ولله المجد الى الابد

النتيجة

يفهم القاري مما ذكرنا أنَّ استعداد الكاهن امام المذبح المقدس بالطهارة والتواضع والايمان وبقية الفضائل الالهية هو كالمنارة المضيئة ذات السرج الكثيرة والانوار المختلفة كقول الرب « لتكن احقاؤكم مشدودة وسرجكم مُوقدة وكونوا مثل رجال ينتظرون سيدهم متى يأتي من العرس » (١

وكذلك ان الخبز والخمر لا يقدَّمان اي يُصمدان على المذبح الَّا ليتباركا و يستحيلا الى جسد ودم الرب الذي هو النور الذي اتى العالم ليضيء للجالسين في الظلام وكما ان الحبر الاعظم ملكيصادق باقتناء الفضائل وبتقدمة الخبز والخمر صار منارة لكل العالم في جيل الطبيعة هكذا الكاهن المسيحي بلبس الفضائل و بتقدمة الخبز والخمر على المذبح يصير منارة ذات اشعة مضيئة وانوار متلالئة لكل من في بيت الله لينزعوا عنهم ثياب الدنس التي ألبسهم اياها الشيطان ويتقدموا الى مائدة الرب بمصابيح مضيئة وحلل نقية تصلح لقبول جسده والاتحاد بهِ بروح واحد وجسد واحد

---

١) لوقا ١٢ : ٣٥

المنارة الخامسة

في الذين تُقدم من اجلهم الاسرار
وفي ظهور المسيح بالجسد

قال الرسول « عظيم سرّ التقوى الذي تجلَّى في الجسد » (١

فاتحة المقالة

كما ان الاساس يتقدَّم البنـاء ووجود كل شيء يسبق افعاله هكذا الامر في رتبة القداس الذي هو تذكار حياة المسيح فكما اننا استوفينا الكلام قبلًا في شرح صمد الاسرار فوق المذبح مبيّنين انهُ رسم لتجسده تعالى في احشاء مريم البتول الطاهرة هكذا يجب علينا الآن ان نبسط الكلام في ايضاح ظهور السيد المسيح في العالم وتبشيره وتعليمه لاجل خلاص الناس كلهم اجمعين ثم في تذكار الذين تقدم من اجلهم الاسرار فنقول

اما ظهور الرب في العالم بالجسد فقد تقدم اشعيا النبي وقال عنهُ « انهُ لعجيب يفوق وصف الواصفين وتعجز عن ادراكهِ عقول النورانيين » ولذلك أَعلنهُ لموسى اول الانبيـاء في لهيب نارٍ من وسط العليقة التي كانت تتوقـد وهي لا تحترق ولابرهيم ابي الآباء في المصباح المنير الجائز بين القرابين وللبلعام في الكوكب المشرق من السماء ولكهنة الناموس في المنارة ذات سبعة السرج

وماذا تكون تلك المنارة التي امر الله ان تُنصب في قبة الزمان . قال غريغوريوس الكبير ان تلك المنارة هي مخلص البشر الذي اشرق في الطبيعة البشرية نور لاهوتهِ

---

١) ١ تيموتاوس ٣ : ١٦

ليصير منارة للعالم وبنوره يعاين الخاطي كثافة الظلام الذي هو جالس فيهِ وقد قال يوحنا الانجيلي ان « النور اضاء في الظلمة وحلَّ فينا وقد أَبصرنا مجـده مجد وحيد من الآب » (١

واما سبعة السرج فهي سبع العجائب التي ظهرت في تجسده تعالى

الاولى ان مريم امه حبلت بهِ من غير زرع بشري

الثانية انهُ أكمل حالًا في النفس والجسد

الثالثة ان نفسه في حال خلقتها امتلأت أَيدًا ونعمة

الرابعة انها اكتملت حالًا بالعلم والحكمة

الخامسة انها اتحدت حالًا بالجسد واللاهوت في اقنوم واحد

السادسة انها حال الاتحاد شاهدت اللاهوت افضل من القديسين في السماء

السابعة انهُ خرج من حشاء امهِ والخواتم باقية . وانوار هذا السر معظمـة كقول الرسول « عظيمٌ سرّ التقوى الذي تجلّى في الجسد » (٢

وعلى عدد هذه العجائب السبع رسمت البيعـة للكهنة ان يقدّموا سبع طلبات ١ الصلاة ٢ تسبحة الملائكة ٣ الحساية اي صلاة الغفران ٤ المقدمة ٥ البخور ٦ تذكار المخلّص ووالدتهِ وقديسيه ٧ الطلب من اجل الاحيـاء والاموات الذين يقدَّم لاجلهم القداس . وهذه نقدّمها للسيد المخلص يوم تذكار ولادتهِ كالمنارة ذات سبعة السُرج

وكما نشأَت ضد تجسد الكلمة شيع كثيرة من اليهود والكفرة الذين تآمروا على الله ومسيحهِ حسبما تنبأَ سمعان الشيخ انهُ « يكون لقيام وسقوط كثيرين من اسرائيل » (٣ هكذا ناصب هذه المنارة كثير من الهراطقة وغير المؤمنين فالبعض منهم نهوا عن اقامة الصلاة لله . وآخرون ضادّوا شفاعة القديسين . وآخرون مقتوا تقدمة القربان والطلبـة للاحياء . وآخرون زعموا ان الموتى لا يستفيدون من دعاء الاحياء

١) يوحنا ١ : ١٤ ٢) ١ تيموتاوس ٣ : ١٦ ٣) لوقا ٢ : ٣٤

وقرابينهم لكنَّ هؤلاء صار لهم جسد الرب حكماً ودينونة فبادوا واضمحلوا كالدخان امام الريح وكالظلام عند طلوع الشمس

واما بيعة الله التي تختص بها هذه المنارة فلم تعثر ولن تعثر الى الابد. ولاجل بيان الرتبة وفهم القاري نضع لها ثلاثة شروح . في الاول نتكلم عن تقديم الطلب والتسبيح والبخور لابن الله الذي ظهر في العالم متجسداً. وفي الثاني نوضح تذكار طفوليته وسائر تدابيره ثم تذكار والدته وقديسيه. وفي الثالث نبرهن عن تذكار الاحياء والاموات الذين تقدم الاسرار لاجلهم



الشرح الاول

في تقديم الطلب والتسبيح والبخور لابن الله الذي ظهر في العالم متجسداً

وفيهِ ستة فصول

الفصل الاول في قراءة هذه الطلبات وهي ܫܘܪܝܐ ܒܫܡܗ ܘܫܘܠܡܐ ܠܐܠܗܐ ܘܐܒܘܗܝ ܕܡܫܝܚܐ في ابتداء جميع الصلوات

الفصل الثاني في تسبحة الثالوث ورسم الصليب قائلين ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ الخ

الفصل الثالث في شروط الصلاة لتكون مقبولة قائلين ܢܩܘܡ ܟܠܢ ܕܚܝܠܐ ܒܛܟܣܐ

الفصل الرابع في باقي شروط الصلاة كأن تكون حسنة وجمهورية

الفصل الخامس في تسبحة الملائكة قائلين ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܐܠܗܐ

الفصل السادس في صلاة الغفران اذ نقول ܚܘܣ ܡܪܝܐ ܘܪܚܡ



الفصل الاول

في قراءة هذه الطلبات

ܩܘܪܝܠܝܣܘܢ . ܩܕܝܫܬ ܐܠܗܐ . ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ

كيرياليسون وقدوس الله وابانا الذي في السماوات

ان الكاهن حين افتتاح الجزء الاول من القداس يرفع صوتهُ قائلًا في ابتداء جميع الصلوات ܩܘܪܝܠܝܣܘܢ . ܩܕܝܫܬ ܐܠܗܐ . ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ ثم يرسم على نفسهِ صورة الصليب قائلاً ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪܘܡܐ فيجيب الشماس ܒܪܟ ܡܪܝ فيبتدئ الكاهن حينئذٍ بالصلاة الاولى . وهذه الرتبة لا تختص بهذا المقام بل تستعمل ايضًا في بدء جميع الصلوات التي نقدمها لله في الكنيسة وخارج الكنيسة وسنتكلم عنها في محلها

واما الآن فنشرح هذه الرتبة باختصار ليفهم الكاهن مغازيها فيتمسك بها . اعلم ان كلمة ܩܘܪܝܠܝܣܘܢ هي لفظة يونانية تفسيرها يا رب ارحمنا . وقد شاء الآباء ادخال أَلفاظ غريبة في خدمة الاسرار مثل ܩܘܪܝܠܝܣܘܢ من اليوناني ܘܗܠܠܘܝܐ من العبراني ܘܐܡܝܢ من السرياني وغيرها ليحصل الاتفاق بين كل الكنائس على اختلاف طقوسها كما ان تقريب جسد الرب هو سرّ المحبة والاتحاد بين جميع اولاد الايمان

وانما نطلب الرحمة من الله في مبادئ جميع الصلوات لان هذه الطلبة مرضية لله ومفيدة لنا وحينما يرانا قد تركنا سيرتنا الاولى المذمومة ورجعنا اليهِ طالبين العفو والرأفة يزيل عنا شدَّة القساوة ويفتح لنا ذراعيه كالاب الحنون ويحتضننا بعظم

المحبة ويطرد عنا التجارب ويقهر محاربنا وينعم علينا بسعة الروح بكل ما نسألهُ فتكون طلباتنا مرضية لهُ ومفيدة لنا كما تخبرنا الكتب المقدسة عن الرحمة التي شمل بها شعب اسرائيل واهل نينوى وغيرهم حين تابوا ورجعوا الى طاعتهِ

وقد شهد الانجيل الطاهر قائلاً انهُ لما تقدَّم اليهِ ذالك الاكمه المولود اعمى والكنعانية والابرص والرجل الذي يعتريه الجنون في رؤوس الاهلة صارخين « يا ابن داود ارحمنا » تحنن عليهم حالاً ومنحهم سؤلهم بسهولة وارتياح نفس

فلهذا امرت البيعة المقدسة منذ بدء النصرانية ان يدمن الآباء في كل الطلبات والدورات وباقي الرتب على طلب الرحمة قائلين ܩܘܪܝܐܠܝܣܘܢ

ولما نظر الآباء الذين اجتمعوا في مدينـة واسا من نواحي الغرب في عصر لاون الاول أن هذه اللفظة غير مستعملة في بلادهم اتفقوا جميعهم قائلين « بما ان هذه العادة الحسنـة والمفيدة جدًّا جارية في الكرسي الرسولي وفي نواحي الشرق وبلاد ايطاليا وهي انهم يصرخون بانسحاق القلب وحرارة الشوق ܩܘܪܝܐܠܝܣܘܢ ارتضينا نحن ان تجري ايضاً تلك العادة المقدسة بعون الله في جميع كنائسنا فتقال في صلاة الصبح والمساء والقداس ايضاً »

اما هذه اللفظة من حيث هي فاعلم ان الكهنة في الرتبة السريانية يقولونها في اول الصلاة واما الشعب ففي آخر الصـلاة لان الله ينبوع الخير وبدون معونتهِ وعضده لن نستطيع شيئاً ولذلك حين يريد الكاهن ان يرفع الى الله اكف الضراعة طلباً لما يحتـاج اليهِ هو وشعبه يعلمهم اولًا طلب الرحمة لكي يكون وقوفهم مرضياً وحينئـذٍ يقول الشعب عند آخر الطلبة ܐܡܝܢ ܩܘܪܝܐܠܝܣܘܢ · اي نحن راضون وقابلون بما طلبهُ لاجلنا · وتقال هذه اللفظة احياناً مرة واحدة واوقاتاً ثلاث مرات وآونةً مرتين · فحينما تقال مرة واحدة يكون المراد ارتفاعهـا الى الله الواحد بالطبيعـة او الى واحد من الاقانيم الثلاثة · ومتى قيلت مرتين كان المراد

توجيه الطلب الى الابن المتجسد والدلالة ان طبعه الالهي هو واحد لا يقبل الزيادة ولا النقصان قبل التجسد وبعده . وحينما تقال ثلاث مرات يكون المراد توجيه الطلب الى الثلاثة اقانيم

واعلم ان الفرق بين صلوات الساعات وصلوات النافور هو ان صلوات الساعات تتقدمها دائماً هذه الطلبة وهي « ايها الرب الرحوم ارحمنا واعضدنا » كما ينبّه الحبيس المطران سركيس في شرح صلاة الغروب . واما صلوات النافور فلا يتقدمها سوى كلمة ܣܛܘܡܢ ܩܠܘܣ . وهاتان الطلبتان وان كان معناهما واحداً لم تأذن لنا البيعة ان نستعمل واحدة عوض الاخرى لان الكاهن في صلوات الساعات يرفع الطلب لاجله ولاجل شعبه كالمجرمين الذين هم أُسراء الخطيئة كما يشهد متى الانجيلي عن الامرأة الكنعانية التي خرجت من تخوم صور وصيدا في اثر الرب صارخة « ارحمني يا ابن داود » ولم يجبها بكلمة ولما وصلت اليه خرَّت بين يديه قائلة « أغثني يا رب » فاجابها قائلاً « ليس حسناً ان يوخذ خبز البنين ويُلقى للكلاب » (١ لان خروجها كان من بين الكفَّار ولما ان سمع خضوعها وامانتها رحمها وشفى ابنتها . وكذلك يذكر مرقس البشير عن ذلك الذي كان بهِ روح ابكم ان يسوع ما اخرج منهُ الروح الردي حتى صرخ ابوهُ قائلاً « اني أُومن يا رب فأَعن قلة ايماني » (٢

فمن هذا القول وامثاله رسمت البيعة لبنيها ان يطلبوا في اول الصلوات أَن يرحمهم الرب ويعضدهم وبعض من الكهنة كانوا يسألون ان يطرد الشيطان من امامهم لانهُ قد يكون بين الجمع بعض اناسٍ في عبودية الخطية وأسر الشيطان واما صلوات النافور فلا يليق ان يحضرها الَّا من هو كامل في النعمة وبريءٌ من الاثم كما يقول الشماس « امضوا بالسلام ايها السامعون واقتربوا ايها المعمدون الكاملون »

---

١) متّى ١٥ : ٢٦ ٢) مرقس ٩ : ٢٣

وبناءً على ذلك فليس على الكهنة ان يصرخوا الى الله صراخ الكنعانية والتخبطين في رؤوس الاهلة بل بدالة الابناء يطلبون لهم وللشعب رحمةً وتحنناً اي جسد ودم ابنه الحبيب كقول زكريا الكاهن « باحشاء رحمة الهنا الذي افتقدنا بها المشرقُ من العلاء » (١. وهذه الرحمة المشرقة من العلاء نسأل الله اياها بلفظة ܗܘܦܠܚܘܡ وتعلمنا أنَّ معنى هذه اللفظة مثل ما هو ظاهر لاصحاب اللغة اليونانية وخفي عن الغرباء عنها كذلك جسد الرب الذي نطلبهُ بصلوات النافور مُخفيٌ ومحجوب عن بصائرنا وظاهر للملائكة سكّان السماء

ولهذا أمر الآباء ان نرسم على انفسنا صورة الصليب قبل الشروع في الصلوات واجزاء القداس وباقي خدم البيعة قائلين« المجد للآب والابن وروح القدس » لكي تكون كلّ افعالنا لمجدهِ كقول الرسول « فاذا أكلتم او شربتم او عملتم شيئاً فاعملوا كلَّ شيءٍ لمجد الله » (٢. وبعد تمجيده تعالى نستمد الرحمة ونرفع الطلب لاجل نفوسنا كما أَمرنا الرب قائلاً « فاطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم » (٣. وفي موضع آخر امرنا « ان نحب الله اولاً بكل قلوبنا ثم قريبنا مثل نفوسنا » (٤ لان الله خلقنا ليتمجد بنا وهذا المجد اذا كان بقلبٍ صافٍ يرجع الينا ويفيدنا النعمة ويكمّل بنا المجد في الحياة الاخرى. ثم يقول الكاهن« قدوس الله » الخ

على ان هذا التسبيح عند الروم والرومانيين يُسبح للثالوث الاقدس واما اهل الشرق فيسبحونهُ لابن الله المتجسد لاجلنا كما سنبرهن ذلك في المنارة السادسة. وبعده يقولون تُسبيح الثالوث وهو « المجد للآب والابن ». ورسم الآباء بتقديم التسبيح للاقنوم الثاني على ما هو للثالوث الاقدس لانهُ سبق واخبرنا انهُ « هو الطريق والحق والحياة وان ليس احد يأتي الى ابيهِ الَّا بهِ » (٥ « وبغيرهِ لا نقدر ان نعمل

١) لوقا ١ : ٧٨
٢) ١ كورنتس ١٠ : ٣١
٣) متى ٦ : ٣٣
٤) مرقس ١٢ : ٣٣
٥) يوحنا ١٤ : ٦

شيئاً» (١ « وان كل ما نسأل الآب باسمهِ يفعلهُ لنا » (٢ وسبب ذلك كون طبعنا ضعيفاً ومائلاً الى النقص وعادم النجاح والدالة على الله الآب . واما الابن لانهُ لبس جسدنا واعطانا جسدهُ فقد صار لنا طريقاً وشفيعاً كي نتقـدم بوساطتهِ الى الآب ثم نقرأ الصلاة الربية «ابانا الذي في السماوات» الخ لنرفع قلوبنا لله الآب القاطن في السماء ونطلب بها ما يجب لتقديس اسمه وتكميل ارادتهِ وان يعطينا خبزنا كفاءة يومنا لقيام حياتنا الروحية والجسدية وان يخلصنا من جميع حيل العدو لنبلغ ملكوته وسنوضح ان شاءَ الله معاني هذه الصلاة في الشرح الثاني من المنارة التاسعة

الفصل الثاني

في تسبحة الثالوث ورسم الصليب قائلاً

ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ (المجد للآب)

ان الكاهن بعد ما يقول « قدوس الله والصلاة الربية » يرسم على نفسهِ صورة الصليب في بدء جميع الرتب البيعيـة قائلاً « المجد للآب والابن والروح القدس من الآن والى ابد الابدين آمين » . ثم يبدأ بالصـلاة الاولى والمراد بهذه التسبيحة بعد الصلاة الربية اننا مثلما اعترفنا في تلك بتوحيد الطبع الالهي وقدسنا اسمه كذلك نقرّ في هذه باقانيمه الثلاثة ونمجده لاننا منهم اخذنا الوجود والخـلاص ومنهم نرجو الحياة الدائمة وهذه التسبحة مرضيـة لله ومفيدة لجنس البشر لانها جهيرة الاقرار بالثالوث الاقدس ولذلك نقهر بذكرها الارواح الخبيثـة المنظورة وغير المنظورة كما ذكر الانبا صفرونيوس في كتاب الامثال ان رجلاً سائحاً كان في احد الايام سائراً في البرية فظهر لهُ الشيطان بزيّ راهب متعبـد فلما رآه قال لهُ « بارك يا سيد هلمَّ نمجد الله » فالثلاَب لم يشإِ الخضوع والسجود لله بل قصد مفاتحته بكلام آخر غريب

١) يوحنا ١٥: ٥ ٢) يوحنا ١٤: ١٣ و١٤

عن تسبيح الله . فمنعهُ الشيخ عن الكلام الباطل وكرَّر عليهِ القول هلمَّ نمجد الله قبل كل خطاب فالعدوّ لئلا يفتضح غشهُ بدأ يعضغ كلامهُ ويحرّك شفتيهِ قائلًا منذ البدء والى دهر الداهرين فقال لهُ الشيخ سبح الباري وقل المجـد للآب والابن والروح القدس . فلما سمع الشيطان هذا لم يحتمل ان يمجد خالقهُ فخزي وولّى هاربًا

وكذلك مذكور في كتاب المرج الروحاني انهُ في زمان البابا منصور الثاني سنة الف وخمس وخمسين بلغ البابا المومأ اليهِ ان بعض الناس كانوا يرتقون درجات الكهنوت بالرشوة . فامر بالتئام مجمع في مدينة لوغدون لاجل البحث عن هذه الخطيئة التي يتولد منها خراب بيعة الله . ولما اجتمع بالروح القدس كل الآباء بلغهم خبر اسقف واحد قد تقلّد الرئاسة برشوة . فسألهُ قاصد البابا عن ذلك فانكر الاسقف فأَمرهُ حينئذٍ ان يقول تسبحة الثالوث فقال « المجد للآب والابن » مرتين وثلاثًا ولم يقدر ان يكمّلها اي والروح القدس وللوقت انكشف امره وأَقرَّ بخطيتـهِ . فعندئذٍ نزعوه من الاسقفية ولما نُزع أَمره أَن يقرأ هذه التسبحة فقرأها بتمامهـا من غير مانع لان الرشوة تضاد موهبة الروح القدس التي تعطى في الرسامة كما قال بطرس لسيمون الساحر « لتذهب فضتك معك الى الهلاك لانك ظننت أَن موهبـة الله تقتنى بالنقود فلا حصة لك ولا نصيب في هذا الامر » (١ . وقيل ان خمسـة واربعين رجلًا قد تخلّوا برضاهم عن الدرجة الكنسية التي كانوا قد ارتقوا اليها برشًا من شدة الرعبة التي داهمتهم في ذلك المجمع

واما من خصوص تأليف هذه التسبحـة فذهب البعض الى انها من تسليم الرسل وآخرون الى ان الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر قد أَلّفوها في مجمع نيقية وأَمروا بقراءَتها في اواخر المزامير ردًّا على آريوس الذي انكر ان الابن مسـاوٍ للآب في الجوهر والاكرام . وآخرون قالوا انها أُنشئت في مدينة انطاكية في عصر قسطنطينوس ابن قسطنطين الملك الكبير سنـة ثلاثمائة وثلاث واربعين للمسيح وذلك لان

١) اعمال ٨ : ٢٠ و ٢١

ليهونسيوس الاريوسي كان متغلباً على كرسي انطاكية في ذلك الحين وحدث بين الرعية انشقاق عظيم بسبب مساواة الابن للآب غير ان اكثر اهل المدينة كانوا متمسكين بمجمع نيقية ويرتلون المجد للآب والابن

واما الاريوسيون فكانوا يقولون « للاب في الابن » او « بوساطة الابن بالروح القدس » . ولما كان ليهونسيوس البطرك يحضر الصلاة لم يكن يتلوها بصوت عالٍ خوفاً من الملك ومن اهل المدينة بل كان يقولها سرًّا حتى ان من كان يُنصت لكلامهِ لم يكن يفهم منهُ سوى قوله « الى ابد الابدين » . فلامه على ذلك بعض من حاشيتهِ فكان يومئ لهم الى شيبتهِ قائلاً « متى ذاب هذا الثلج فكم يجرف بذوبانهِ من الطين » . اعني انهُ سيحدث بعد موتي انشقاق عظيم بسبب هذا التسبيح

ومن الذين كانوا يعضدون الرأي السديد فلبيانوس الذي استوى فيما بعد على كرسي انطاكية وديودوروس فهذان كانا شديدي الغيرة على حث الشعب على اقامة التسبيح في البيعة ليلاً ونهاراً وكانا يلحنان في اواخر المزامير المجد للاب والابن . وكان في تلك السنة ان رجع اثناسيوس الكبير من رومية الى انطاكية ولما سمع هذا التسبيح مدحهُ كثيراً وحين وصل الى الاسكندرية نشره في كل الكنائس وقد اورده في كتابهِ عن البتولية اذ يقول « الرب رحوم ورؤوف مأكلاً اعطى خائفيهِ المجد للاب والابن والروح القدس »

وقيل انهُ قبل ذلك الزمان ذهب القديس افرام السرياني الى قيسارية ليجتمع بباسيليوس الكبير ويقبل منهُ وضع اليد . ولما كان باسيليوس يعظ الشعب سمعهُ افرام يقول المجد للاب والابن دون ان يذكر الاقنوم الثالث اي والروح القدس واذا اتفق ان يذكره فما كان يجعل قبله حرف العطف الواو . فخاطبهُ في ذلك مار افرام وبرهن لهُ انهُ لا يتمّ التسبيح للثالوث الاقدس ان لم تذكر اسماء الثلاثة اقانيم مع حرف العطف الواو فاذعن لهُ القديس باسيليوس وقبل مشورته

وبعـد ما رجع القديس افرام الى الجزيرة اخذ القديس باسيليوس يخطب في شعبهِ عن اقنوم الروح القدس وقد أخذهم العجب حين سمعوه يقول « الآب والابن والروح القدس » مخالفاً لما كان يقولهُ لهم سابقاً. فقالوا لهُ في ذلك فاجابهم لا يقلقكم هذا ايها الاخوان فاني قد سمعتهُ من رجل من بين النهرين عالم يتقي الله وقد قال ان التسبيح لا يتمّ بحسب لغتـهِ للثالوث الاقدس ما لم تربط اسماء الثالوث بحرف العطف الواو ويقال هكذا « المجد للآب والابن والروح القدس » . فاذعن الشعب لقولهِ وانتشر هذا التسبيح في تلك الكنائس والآباء زادوا عليـهِ « منذ الابد والى دهر الداهرين » تأكـيدًا للايمان بان السيد المسيح بعد تجسده لم يعترِ طبعه الالهي زيادة ولا نقصان عما كان منـذ الابد بل هو واحد مع الآب والروح القدس في الذات والسلطان والاكرام الى ابد الابدين وقد اخذوا ذلك من قول داود

ܒܪܝܟ ܐܠܗܐ ܕܐܝܣܪܝܠ ܡܢ ܥܠܡ ܘܥܕܡܐ ܠܥܠܡ

« تبارك اله اسرائيل منذ الازل والى دهر الداهرين » (١

ورسموا لنا ان نرتلها في بدء الصلوات ونهـاية المزامير واصوات التلحين ليكون الله البداية والنهاية في جميع افعالنـا وطلباتنا. ورتبوا ايضاً ان الكاهن حين يقرأها يرسم على نفسـه صورة الصليب لان الثالوث تمجـد بآلام الرب وقبلنا نحن معرفته ونعمته واذ نقول « المجد للآب » نضع يدنا اليمنى على الجبهة ثم تحت الصدر قائلين والابن ثم على الكتفين قائلين والروح القدس

والمقصود بذلك ان الآب يتمجـد على الراس لانهُ راس الثالوث والابن على البطن لانهُ ولد منذ الابد من عقل الآب وتجسد آخر الازمنة في احشـاء السيدة وولد منها والروح القدس يتمجد على الكتفين لانهُ منبثق من الآب والابن لما بينهما من المحبة والاتحاد. ثم ان نقل اليد اليمنى من الراس الى الصدر يشير الى نزول ابن

١) مزمور ٤٠ : ١٤

الله من السماء الى الارض لاجل خلاصنا ونقلها من الشمال الى اليمين يشير الى قيامتهِ من الموت الى الحياة لانهُ بصليبهِ نقلنا من العظمة الى التواضع ومن شقاء هذا العالم الى المجد الدائم ونرجو انهُ سوف ينقلنا يوم الدينونة من عداد الجدا الذين عن يساره الى عداد الخراف الذين عن يمينهِ . وانما نرسم الصليب بيدنا اليمنى لان المسيح هو يمين الآب وقوته

الفصل الثالث

في شروط الصلاة لتكون مقبولة قائلين

ܠܒܝܬܟ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ (اهلنا ايها الرب الاله)

لما كان الكثيرون يسألون لماذا لم يستجب لهم الله قط وقد اكثروا من الصلوات والتضرعات اليهِ والصياح بآلام النفس ويقولون كما كان حبقوق النبي يقول « الى متى يا رب استغيث ولا تستجيب اصرخ من الظلم ولا تخلص » (١ . وضعت البيعة للصلاة شروطاً لتكون حسنة مقبولة عند الله وأمرت الكهنة والشعب بحفظها حينما تريد في هذا الجزء ان تقدم الطلبة عن الاحياء والاموات من اولادها . اما تلك الشروط فهي هذه : ان يكون الانسان مدمناً للصلاة كقول البيعة « اهلنا ايها الرب الاله للدخول الى بيتك دائماً » وان يجعل اتكاله على الله لا على برّ نفسه قائلاً « ونقرع بابك بالتوكل » وان يقدم صلواته لله بقلب صافٍ نقي اذ يقول « ونسجد في هيكلك بصفاء عقل » ثم برفقة قوم اطهار قائلاً « وتستجيب لنا بسهولة » ثم ان تكون الطلبة حسنة اذ يقول « وتقضي مسائلنا الحسنة من مخزن رحمتك » . ولكي يفهم الكاهن هذه الشروط جيداً نوضحها باختصار فنقول

١) حبقوق ١ : ٢

الشرط الاول هو ملازمة الصلاة وادمانها وذلك واضح لان الله يعطي الانسان اجره على قدر تعبهِ وحسب استحقاقه . ولهذا تشهد الكتب المقدسة ان حنه النبية (١ وابرهيم ويواكيم ما اعطاهم الله البنين الّا بكثرة الصلاة كما ان يعقوب بمصارعتهِ للملك كل الليل اخذ البركة (٢ وحزقيا بادامة الطلب زاد الله في عمرهِ خمس عشرة سنة (٣ بعد ما ارسل يقول لهُ مع اشعيا انهُ موتاً يموت ولا يحيا (٤ وايليا النبي ما انزل المطر الّا بعد ما صلّى سبع مرات (٥ وموسى انما منع النقمة بملازمة التضرع (٦ والسيد المخلص مما سهر في الليالي وصلّى في الجسمانية (٧ علّم تلاميذه الى يصلّوا بلا فتور ومريم المجدلية بملازمة القبر استحقت ان تشاهد قيامة الرب قبل الرسل (٨ واذا اتفق ان لا يكون الانسان اهلاً لاستجابة طلبه فقد يناله ويستجاب لهُ بالادمان والمواظبة كما يخبرنا الانجيـل المقدس عن الكنعانية (٩ وعن الذي طلب الخبز من صديقه بالليل فقام صديقه واعطاه لاجل اللجاجة (١٠ وكذلك قال الرب « اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم » (١١

فالمقصود ههنا المداومة على تقديم القربان والصـلاة كما هو مذكور في جيل الطبيعة ان ايوب كان كل يوم يقرب قرباناً عن اولادهِ (١٢ . وفي ناموس موسى ان الله أمر الكهنة بان يقدموا لهُ القرابين كل يوم صباحاً ومساء (١٣

وفي بدء البيعة كان المؤمنون كل يوم يلازمون الصلاة وكسر الخبز (١٤ والآباء

١) لوقا ٢ : ٣٦ ٢) تكوين ٣٢ : ٢٤ و٢٥ و٢٦
٣) اشعيا ٣٨ : ٥ ٤) اشعيا ٣٨ : ١
٥) ٣ ملوك ١٨ : ٤٣ ٦) خروج ٣٢ : ٣١ العدد ١١ : ٢ و١٤ : ١٣ و١٧ و٢١ : ٧ تثنية ٩ : ١٨
٧) متى ٢٦ : ٣٦
٨) مرقس ١٦ : ٩ ٢) يوحنا ٢٠ : ١١ و١٤ ٩) متى ١٥ : ٢٢
١٠) لوقا ١١ : ٨ ١١) لوقا ١١ : ٩
١٢) ايوب ١ : ٥ ١٣) خروج ٢٩ : ٣٩ و٣٠ : ٧
١٤) اعمال ٢ : ٤٢

الذين التأموا في مجمع لاتران في رومية ونَّخوا الكهنــة الذين ما كانوا يقدسون الَّا في الآحاد والاعياد المفرحة اشد التوبيخ . وما قيل عن الكهنة يعمّ الرؤساء ايضاً لانهم ملزومون بالمبادرة الى خلاص رعيتهم بالصــلاة وتقدمة الاسرار كما هو مذكور عن القــديس ديونيسيوس قاضي اتيناس وعن يوحنــا الذهبي الفم وعن ايرونيمــوس وامبروسيوس وغيرهم انهم ما كانوا يمتنعون عن القداس كل يوم الَّا وقت الضرورة والقديس باسيليوس قد شهد في كتبهِ انهُ كان يقدس كل اسبوع اربعة ايام . ولان بعضاً من رؤساء الكهنة كانوا قد تكاسلوا قليــلاً أمرهم الآباء الذين اجتمعوا في اروسيقا بان يواظبوا على تقدمة الاسرار كل يوم ان قدروا بغير ضجر

الشرط الثاني ان لا يتوكل الانسان على برّ نفسه لان الانسان محط الضعف ومظنة النقص لا ثبات لهُ في الراي ميَّال الى الشرّ ولهذا قال النبي ارميا « ملعون من يتوكــل على البشر » (١ . فاذًا يجب علينا ان نجعل كل رجائنا في الله وتوكلنا عليهِ تعالى لانه هو وحده قد خلقنــا ولا معين لهُ وانقذنا من يد العدوّ وهو راغب في ان كل الناس يدخلون ملكوته وهو وحده ينبوع البركات ومانح المتوكلين عليهِ النصر والغبطة كقول داود « هؤلاء بالعجلات وهؤلاء بالخيول اما نحن فباسم الرب الهنا نعتزّ الى الابد هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا » (٢

وقد ظهر صدق هذا في داود فانهُ لما افتخر بكثرة الشعب ارســل الله عليهم الوباء فاهلك منهم جمًّا غفيرًا (٣ ولما تواضع امام الله كالفطيم العاجز امام امهِ حظي بالنبوَّة واشبه قلبه قلب الرب

وقد وعظنا المسيح بمثل الفريسي والعشَّار اللذين دخلا يصليان في الهيكل . فالفريسي خرج مديناً لانهُ اتــكل على برارتهِ وحسنــاتهِ . واما العشَّار فلانهُ توكل على الله الواحد خرج مبرَّرًا . وكذلك الانبا انطونيوس قد اعطانا مثالًا جيدًا حين

١) ارميا ١٧ : ٥ ٢) مزمور ١٩ : ٨

٣) ٢ ملوك ٢٤ : ١٥

باع ما تملكه يده وفرقهُ على المساكين وابقى لهُ منهُ زادًا ثلاثة ارغفة غير انهُ لما تروّى في امرهِ طرح الخبز على الارض وسار فارغًا الى البرية متوقعًا الرحمة والقوت والكسوة من الله القادر ان يكفيه في الطريق والبرية

الشرط الثالث ان تكون الصلاة صفاء عقل اعني ان لا يكون الانسان اذا التمس من الله نعمة مشتت الافكار مبلبل الضمير ولا متشككًا بقلبهِ كقول السروجي في الترنيم التاسع للسيدة

ܨܠܘܬܐ ܕܟܐܢܐ ܥܡ ܐܠܗܐ ܡܡܠܠܐ ܐܡܪܐ. ܘܡܡܠܠܐ ܠܗ
ܘܫܡܥܐ ܡܢܗ ܘܡܫܬܪܪܐ ܒܗ (١

ولكي يجعل السيد المخلص ذلك راسخًا بعقولنا يأمرنا ان نتشبه بهِ قائلًا لنا « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » ويأمرنا ايضًا بان نتشبه بالاطفال في السذاجة وان نكون كالحمام في الوداعة لان الطفل ولو ضربتهُ امهُ واهملتهُ لا يتركها اذ ليس لهُ امل في غيرها ولا يمدّ يده ولا يميل قلبه الى سواها. واما المتشكك في قلبهِ فلا ينال شيئًا كما بان ذلك في بطرس الرسول الذي اراد ان يسرع الى يسوع حبًّا بهِ ماشيًا على الامواج. فلما شاهد اضطراب الامواج وطغيان المياه اعتراه الخوف والشك فأوشك ان يغرق لو لم يمدّ اليهِ الرب يمين رحمتهِ وينقذه. كذلك موسى كليم الله الذي صنع الخوارق والمعجزات بارض مصر لما امره الله بان يضرب الصخرة ليخرج منها ماء للشعب وشك في قلبهِ لم يسمح الله لهُ بخروج الماء ولا ادخلهُ الى ارض الميعاد تعليمًا لنا لكي تكون قلوبنا صافية معتمدة عليهِ وحده

ولهذا أمرنا الرسول بان نسأل الله بايمان وثيق العرى من غير تشكك البتة لان المشكك يشبه امواج البحر التي تلعب بها ايدي الرياح. والانسان المتردد في رأيهِ الشاك في امره والمرتاب في جميع طرقهِ لا يظن انهُ ينال شيئًا من الرب (٢

١) الترجمة: صلاة البار تناجي الله وتقول لهُ وتسمع منهُ وتثبت فيهِ

٢) يعقوب ١: ٦

الفصل الرابع

في سائر شروط الصلاة

الشرط الرابع ان تكون الطلبة حسنة لان الرب طاهر ولا يشاء ان يسكن الَّا في الاطهار ولا يعمل الَّا مسرَّة الذين يرضونهُ . فمن هنا يظهر لنا جليًا انهُ تعالى لا يستمع صلاة الخاطي حسبما قال يعقوب الرسول « انكم تسأَلون ولا تنالون لانكم تسيئون المسأَلة » (١ . وقال الله ان الذي يسدّ اذنيهِ عن سمع الناموس تكون صلاته ممقوتة كما جرى لشاول الملك الذي احتقر الرب طلباتهِ ونزعهُ من الملك لاجل مخالفتهِ

وكذلك الذين يلتجئون الى السحر او الامور المحرمة فانهم لا يستفيدون شيئًا واذا يئسوا منها والتجوا حينئذٍ الى الله لا يستحقون الاستجابة كما ظهر علنًا في احاز ملك اسرائيل الذي لم يلتجئ الى الله الَّا بعد ما يئس من بعل زبوب . ومثل هؤلاء كثيرون ممن لا يميزون النافع من الضارّ كما اصاب راحيل التي كانت تطلب الولد ولو ماتت فكان لها ما طلبت فماتت بالولادة . وآخرون يطلبون النقمة كما فعل ابنا زبدى اللذان طلبا ان تنزل نار من السماء على اهل كفرناحوم فاجابهما الرب « ما تعلمان من اي روح انتما » (٢ وآخرون يسأَلون الدرجات والرئاسات كما طلبت امرأَة زبدى ان يجلس ولداها احدهما عن يمين الرب والآخر عن شمالهِ في ملكوتهِ . فوبخها الرب قائلًا « ما تدرين ما تطلبين » (٣ وآخرون يبتغون حكمة العالم الزائلة كفحص التلاميذ عن يوم القيامة وسؤَال بطرس عن موت يوحنا فاجابهم الرب « ما لكم وهذا » (٤ وآخرون يطلبون الفرار من التجارب كما طلب

---

١) يعقوب ٤ : ٣
٢) لوقا ٩ : ٥٥
٣) متَّى ٢٠ : ٢٢
٤) يوحنا ٢١ : ٢٢

بولس الرسول فقال لهُ الرب « تكفيك نعمتي » (١ وآخرون يطلبون امور الجسد والغنى والنجاة من الاعداء

وهذه كلها في يد الله الذي علَّمنا ان نطلب اولًا برّه وعدله ثم وعدنا انهُ يعطينا ما نحتاج اليهِ ولا شكَّ ان الذين يطلبون عدل الله وبرّه لا يمسك نعمته عنهم ولا يخيب دعاءهم بل يعطيهم ازيد مما يطلبون . فان ابرهيم طلب ولداً حفظاً لنسلهِ فاعطاه الرب اسحق ووعده ان يكثره اكثر من نجوم السماء ورمل البحر . ويعقوب سألهُ القوت والكسوة في الغربة فزاده نساءً واولادًا ورزقًا ومواعيد شريفة واحلامًا الهية وان اجناد السماء ترافقهُ وتحرسهُ . وسليمان طلب الحكمة ليدبر شعب اسرائيل فمنحهُ الحكمة والمدحة والعز حتى فاق جميع ملوك الارض . والسامرية طلبت الماء الفاني فانعم عليها بالذي لا فناء لهُ . والقائد سألهُ شفاء فتاه فزاده على الشفاء موعد الخلاص والاتكاء مع ابرهيم على سدد النور ثم انحدر برحمتهِ الى العالم لكي يُظفر الناس بالحياة المؤبدة ثم منحهم افضل من ذلك فعل المعجزات واثمار الروح وتقديس الاسرار والاتحاد بهِ في السرّ المقدس كقول داود « قطرت السماء من وجه الله . مطر نِعمٍ انزلتَ يا الله وميراثك في اعيائهِ انت أيدتَه » (٢ وسبب ذلك ان عطية الله تنحدر من السماء بكل رحمتهِ ورضاه وبكل سهولتهِ ومشيئتهِ بعد ان يكون الانسان مستعدًا متأهبًا لقبولها

الشرط الخامس ان تكون الصلاة في بيت الله مع زمرة الاطهار نعم ان الله هو حقًا في كل مكان ويستجيب عبيده اين ما دعوه كما قال داود « قريب هو الرب من الذين يدعونهُ ومن الراغبين اليهِ بالحق . يفعل مسرَّة اتقيائه ويستجيب تضرعهم واستغاثتهم » (٣ لكن خيراته تفيض خاصة في هيكله كقول الرب عن هيكل سليمان « اني قد اخترت هذا المكان بيت ذبيحة . فان حبستُ

١) ٢ كورنتس ٢ : ٩ — ٢) مزمور ٦٧ : ٩
٣) مزمور ١٤٤ : ١٨

السماء فلم يكن مطر اوارسلتُ الجراد ليرعى نبات الارض او بعثتُ الوباء فعاد شعبي وطلب اليَّ متذللاً فاني استجيب لهُ في هذا الوضع واسمع دعاءهُ» (١

ومن ثم فكلما كثرت علينا التجارب يجب ان نكثر الدعاء والطلب لازالتها لان الاسوار الحصينة لا تهدم الّا بالصدور التي هي اقوى منها والذرعان القوية لا تُثنى الّا بالقلوب المتفقة. ونحن لما كانت حربنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء والسلاطين ومع ولاة هذا العالم المظلم ومع الارواح الخبيثة التي تحت السماء وجب علينا ان نطلب لهزيمة الزاحفين على ابادتنا نجدة من الجنود السموية ومن مواكب الاطهار ومن شركة الكهنة والشمامسة ومن طلبات الشعب المؤمن كما هو مذكور ان هيرودس بعدما قتل يعقوب اخا الرب قبض على بطرس ودفعهُ الى ستة عشر فارساً وصفّده بالحديد والقاه في السجن. ولما كانوا هامين بقتالـهِ ارسل الرب ملكهُ واخرجهُ سالماً لان الكنيسة كانت مديمة الصلاة لله من اجلهِ

وذكر قبريانوس الشهيد ان الكفّار لما قبضوا عليهِ واصاب بيعة الله مشقـة عظيمة لانهم كانوا يصرخون الى الله من اجلهِ ولم يستجبهم اجتمع الكهنة والشمامسة وارسلوا يخبرون معلمهم بذلك ويطلبون منهُ الدعاء والعون. فطلب القديس من اجلهم فقال لهُ الله انهُ لم يسمع صلواتهم ولم يستجب دعاءهم لان اصوات طلباتهم مختلفة ونياتهم متقسمة وليس بينهم اتفاق ولا محبة

فأمرهم القديس حينئذٍ ان يجتمعوا للصلاة وهم متفقو النيات ففعلوا كما أمرهم فبلغوا مرادهم. ولما سمع يوحنا الذهبي الفم ان بعضاً من الناس يجتزئون بالصلاة في البيت عن المجيء للصلاة في الكنيسة وبّخهم قائلاً ان الصلاة في البيت وان كانت محمودة لا تكسبهم شركة الشعب الذي يطلب من اجلهم ولا يكون لهم في منازلهم من يحثهم على العبادة كما يصير في بيت الله حيث تتفق وتشترك ارواح المؤمنين مع اصوات الكهنة ويرتبط الجميع بالمودّة والصلح والسلام.

---

١) ٢ ايام ٧: ١٢

فطلبات الشعب هذه وان كانت ضعيفة من حيث هي تتقوَّى حينئذٍ للغاية بواسطة اتفاق الجمهور واتحادهم معًا وتصعد معًا الى السماء قارعةً باب الرحمة . ثم ذكّرهم باولئك الذين كانوا قد عاثوا في البلاد في ايامهم والقوا الشغب والفتن بين الشعب حتى أمر الملك بالقبض عليهم وحكم بالقتـل على واحد منهم فتقدم كثيرون الى الملك ليشفعوا فيـه اليهِ فما شفّعهم

فاجتمعوا حينئذٍ كلهم كبارًا وصغارًا رجالًا ونسـاء بالبكاء والعويل طالبين اليهِ ان يشفّعهم فيهِ فلما رآهم الملك على تلك الحال رأف بهم والتزم ان تقبـل طلبتهم ويطلق لهم المجرم المربوط ويعفو عنهُ . وبعد هذا قال الذهبي الفم ألعل الله اقسى من الملك الارضي قلبًا واقل رحمة . حاشا واذا كان بسبب سؤال الشعب تحنَّن قلبه وغيَّر ما كان قد قضى بهِ على صانعي القلق المستوجبين القتـل فكم بالحري الملك السموي تتحرّك احشاء رحمتهِ ويترأف عند ما يرى كثيرين يسألونهُ متضرعين . وقد كُتب في اشعيا النبي « ويكون الابرار منطقة حقويه والحق حزام كشحيه » (١ اعني ان طلبة الابرار توجب عليهِ ان يعطيهم ما يسأَلونهُ

ومما ذكرنا يفهم القاري ان البيعـة بوصف هذه الشروط تعلّم الكهنة كيف يطلبون من الله ان يفيض عليهم وعلى امواتهم البركة والغفران كما افاضها في ميلاده على العالم جميعهِ وكان من العناية الالهية ألّا يوجد لهُ بيت فولد في مغارة بيت لحم ليجتمع اليهِ كل من يريد الخلاص ويعلمنا ان جسـده ودمه لا تتقدسان في بيوت المؤمنين بل في الكنائس المختصة بخدمتهِ لئـلا يمتنع احد عن المجيء اليهِ في بيت لحم اعني تحت اعراض الخبز . وكما ان داود تاقت نفسه الى مياه بيت لحم دون غيرها من المياه كذلك فلتشتهِ نفوسنا كأس دمه الصانع الحياة دون غيره

---

١) اشعيا ١١ : ٥

الفصل الخامس

في تسبيح الملائكة اذ نقول معاً

ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ (المجد لله)

يذكر لوقا البشير ان السيد المخلص لما ولد في بيت لحم ظهر ملك الرب مع كثير من اجناد السماء يسبحون الله قائلين « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام والرجاء الصالح لبني البشر » (١

وقد رسمت لنا البيعة ان نتلو هذه التسبحة في اول جميع الصلوات الليلية والسحرية والعصرية وفي رتب السياميد وباقي التكريسات ليكون ميلاد المسيح مصوّراً في عقولنا ونجدّد كل حين بشائر الامان والسلام في بيعة الله ليكفروا بالنفاق ويعتصموا بالرب بقلب واحد كقول الرسول لتيطس « قد ظهرت نعمة الله محيينا وهي تؤَدبنا لنكفر بالنفاق » (٢

واما تلاوة هذه التسبحة في خدمة القداس فأَليق واوجب لان جسد الرب في القداس يكون موجوداً حقاً ويوضع على المذبح تحت اعراض الخبز كما هو مكتوب انه « في ميلاده وُضع في المذود ولُفَّ بالقماط » وكما ان الطاهرة مريم وزمرة المختارين كانوا يحملونه ويضمونه الى صدورهم ويقبلونه بافواههم كذلك الكهنة وبنو الايمان يرفعونهُ على اياديهم ويتناولونهُ بافواههم وعلى مذبح صدورهم يقبلونهُ

وهذه التسبحة نسميها تسبحة الملائكة لان الله الآب حين ترأف بخليقتهِ راحماً وارسل ابنهُ الحبيب ليخلصهم جعل البشارة والتسبيح على يد الملائكة المرسلين. ولذلك يرفع هنا رئيس الكهنة القائم باقنوم الرب صوته قائلاً « السلام للبيعة واولادها » فيقبل منهُ الشماس الذي هو بمنزلة الملك السلام وينادي بهِ في كل

---

١) لوقا ٢ : ١٤ ٢) تيطس ٢ : ١١

البيعة قائلًا « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام » لان ابن الله الذي يُقدَّم على المذبح قد امرنا ان نوزّعهُ على ابناء الايمان ليطهرهم ويقدسهم

ثم في اننا هذه التسبحة نرفع التمجيد لله قائلين « المجد لله » لان الرب قبل الميلاد كان معروفًا في اليهودية فقط وكان سائر الناس عبدة أصنام ولما تجسد منا قرَّبنا اليهِ واعطانا معرفته لنقرّ بانهُ هو وحده الهنا الذي نزل الى الارض ليرفعنا اليهِ الى السماء كما تجذب الشمس بشعاعها البخار الارضي اليها. وهذا التمجيد نعيده ونجدده في خدمة الاسرار المقدسة اذ نؤمن ونقرّ بان المحتجب تحت ستائر الاعراض هو المجد في السماء ومن استحق الاتحاد بهِ على الارض يكون لهُ شريكًا في المجد السماوي ومن ثم نقول « وعلى الارض السلام » لان الله كان قد لعن الارض من البدء وامرها ان تنبت لنا شوكًا وحسكًا

ولما ارسل ابنهُ ولبس جسدنا واعطانا لاهوته انعقد الصلح بين العلويين والسفليين وعوض الشوك الذي كان ينبت في الارض ترك لنا جسده تحت اعراض الخبز والخمر لانهُ كما يستحيل الخبز الى آكلهِ ويصير معهُ واحدًا كذلك نحن نستحيل الى جسده ونصير معهُ واحدًا. ثم نقول « والرجاء الصالح للبشر » لان الله بعد خطيئة آدم سخط على ذريتهِ وكمثل رب الجنود واله النقمة طردهم من الجنة وأغلق بوجوههم باب السماء وأمر بحراسة الطريق بسيف من نار. ثم ارسل الطوفان ثم النار ثم ضربات أُخر مختلفة على سكّان الارض المعتقلين في عبودية الشيطان. ولما تعطف بالرحمة أرسل لهم ابنهُ وبعث انوار الرجاء على قلوبهم وفتح لهم ابواب النعيم وتردَّد بينهم واعطاهم جسده عربون الحياة لكي يستحق الدخول الى المجد السماوي كل من يتناولهُ كقول البيعة في اوخر القداس ان القربان الذي يقدمهُ الاحياء لاجل الموتى ينشئ فرحًا عظيمًا للعلويين ورجاءً صالحًا للسفليين

وبعد هذا التسبيح نقول تسبيح البيعة الذي هو « المجد للآب والابن والروح القدس » لنعلم ان الاله المجد في العلا هو موحَّد في الجوهر ومثلث بالاقانيم. ثم

نقول المزمور المئة والسادس عشر وندعو كل الامم لتسبح الله لانهُ افاض علينا نعمتهُ وارسل لنا ابنهُ الذي هو الرب الى الابد وتلك النعمة كل يوم يجددها لنا بحضورهِ على المذبح . ولهذا يجب ان نحمدهُ ونشكر لهُ دائماً . ثم نسأل الله ان يرسل ملائكتهُ لتحرس افواهنا وشفاهنا التي خلقها الله لتسبيحهِ وتقديس جسده كي لا تميل الى النطق بالشرّ طالبين انهُ كما ارسل ملائكتهُ في ميلاده ليبشروا المجوس والرعيان والذين يتقون الله واتوا بهم الى بيت لحم ليسجدوا لهُ كذلك يجذب ألسنتنا وقلوبنا وعقولنا لتسبيح جسدهِ

الفصل السادس

في قراءة الحساية اي صلاة الغفران والفاتحة وما يلي ذلك قائلين

ܠܗܘ ܪܒܐ ܕܐܬܡܟܟ (لذلك العظيم الذي تصاغر)

الحساية اي صلاة الغفران هي طلبة تقدَّم لله على ايدي الكهنة لاجل مغفرة ذنوب الشعب . فكما ان اهل العالم الجاحدين نعم مواليهم يعتقلون في السجون ويكابدون العقوبات الفادحة حتى يستعطفوهم بواسطة خواصهم سائليهم الصفح والمغفرة كذلك رسمت البيعة ان تُقدَّم صلاة الغفران هذه لله عن اولادها المجرمين لاستعطافهِ واسترضائهِ وهذه الصلاة تتضمن

اولًا التمجيد والتقديس لعظمتهِ تعالى

ثانياً تكريم والدتهِ واصفيائهِ الذين اقامهم شفعاء ووسطاء

ثالثاً تصف الضربات والعقوبات العامة والخاصة التي يُعاقب بها اولاد البيعة ثم تسأل العفو والمغفرة للاحياء والاموات منهم

ولهذا تسمى الحساية وهي كلمة سريانية معناها المغفرة . واننا نحرق البخور

في اثناء تلاوتها لاستعطافه ورضاه وعند تمامها نقرأ السلام على الجماعة لاجل نيل النعمة كقول داود « لتقم صلاتي كالبخور امامك » (١

وهذه الصلاة (الحساية) تقدم احيانًا للثالوث المقدس واحيانًا لواحد من الاقانيم الثلاثة. واما المرتبة ههنا فمنها ما يقال في الاعياد الربانية ومنها ما يقال في الاعياد السيدية ومنها ما يقال في تذكار القديسين ومنها ما يقال لاجل الموتى المؤمنين وتُقدم خاصةً لابن الله المتجسد لاجلنا لاننا نصنع ههنا تذكار ميلاده المقدس. ومثلما كانت الملائكة تمجد الله هناك وبشرت العالم بالخلاص ووافى المجوس من المشرق وقدموا لهُ القرابين كذلك نرفع ههنا المجد لذاك العظيم الذي صغَّر نفسهُ وعظم البتول الصغيرة لذاك الذي تأنس وخلَّص البشر لذاك العالي الذي اتضع ورفع المتواضعين واعلى المتذللين. ونأمر الشعب بان يلتجئ الى شفاعة والدتهِ وقديسيه الانبياء والرسل والشهداء والذين ارضوه كالرعيان واهل بيت لحم الذين أتوا بواسطة الملائكة الى المغارة وهنَّأوا يوسف ومريم بالمولود الجديد

ثم نسألهُ ان يرفع عن الارض الضربات العامة كالطوفان والغريق والضربات الروحانية كالحسد والنميمة والجسدانية كالحرب والسبي والغلاء والموت وما يلاحظ كل واحد كالمرض والظلم والفقر ويمنح الموتى الراحة والاحياء الامان وصلاح الآخرة لانهُ تعالى ما لبس جسدنا الَّا ليفيض إنعامه علينا وما ترك لنا جسده الَّا ليصير لنا ولجميع الموتى المؤمنين سبب الامان والآخرة الصالحة

وحينما يقدّس رئيس الكهنة لا يقول هو نفسه الحساية اي صلاة الغفران لانها موجَّهة للسيد المسيح الذي هو نائبه حينئذٍ بل يقولها الكاهن المعاون لهُ في الخدمة وقبل ان يبدأ بقراءتها يقدم لهُ البطرشين ليضعه في عنقهِ ثم يقبل يده قائلًا ܒܪܟ ܡܪܝ (بارك يا سيد) بأمر الله ثم بأمرك ايها الاب رئيس الكهنة نرفع المجد والثناء الخ

١) مزمور ١٤٠ : ٢

وانما يُقدَّم البطرشين لرئيس الكهنة ليجعلهُ في عنق الكاهن لان البطرشين يحوي سلطان الكهنوت وكما ان الكهنة قبلوا الدرجة من رئيس الكهنة كذلك يجب عليهم ان يؤدّوا لهُ الطاعة والخضوع ويستمدوا منهُ البركة والسلطان ويبادر حينئذٍ كلٌ منهم الى ما يخص مرتبته. ثم يرتلوا الحساية اي صلاة الغفران بأسم البيعة وبعد قراءتها يلحن الشمامسة الفاتحة ويشار بها الى افتتاح البشارة في كل المسكونة اذ شهدت الارض والسماء بأن المولود في المغارة هو ابن الله

وقد شهد لهُ اولاً الملك الذي بشّر الرعاة بقولهِ « اني ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب لانهُ ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح » (١

ثانياً شهد لهُ جنود السماء الذين كانوا يسبحون فوق المغارة قائلين « المجد لله في العلاء » (٢

ثالثاً شهد لهُ النجم في السماء الذي قاد المجوس من المشرق ووقف حيث كان الصبي

رابعاً شهد لهُ الرعاة قائلين « سيروا بنا الى بيت لحم لننظر الكلام الذي اعلمنا بهِ الرب » (٣

خامساً شهد لهُ المجوس القائلون« اين المولود ملك اليهود » (٤

سادساً شهد لهُ رؤساء كهنة اسرائيل لانهم حين سألهم هيرودس اين يولد المسيح اجابوه في « بيت لحم يهوذا »

سابعاً شهد لهُ ميخا النبي بعين الروح قائلاً « وانتِ يا بيت لحم يهوذا انتِ صغيرة في ألوف يهوذا ولكن منكِ يخرج من يكون متسلطاً على اسرائيل » (٥

ثامناً شهد لهُ هيرودس بقولهِ « امضوا ابحثوا عن الصبي باجتهاد واذا وجدتموه اخبروني لامضي انا اسجد لهُ » (٦ . فالمجد لاسمهِ تعالى كيف انهُ باسرع وقت ادهش

١) لوقا ٢ : ١٠
٢) لوقا ٢ : ١٠
٣) لوقا ٢ : ١٥
٤) متى ٢ : ٢
٥) ميخا ٥ : ٢
٦) متى ٢ : ٨

العالم واحضر لهُ شهودًا من السماء والارض من اليهود والكفّار ومن الملوك والرعاة حتى يقرَّ الجميع بانهُ ابن الله كما يوضح ذلك جيـدًا يعقوب السروجي في الترنيم الثامن عن المجوس

ܐܬܐ ܫܪܪܐ ܣܗ̈ܕܘܬܐ ܠܨܒܘܗ ܡܢ ܟܠ ܓܒܝ̈ܢ. ܕܡܢ ܪ̈ܚܝܩܐ ܘܡܢ ܩܪ̈ܝܒܐ ܡܬܡܠܠ ܗ̱ܘܐ. ܫܡܝܐ ܘܟܘ̈ܟܒܐ ܣܒܪܐ ܣܗܕܘ. ܥܠ ܡܘܠܕܗ. ܘܢܒܝܘܬܐ ܒܪܙܐ ܐܟܪܙܬܗ ܓܠܝܐܝܬ. ܣܗܕ ܠܗ ܡܓܘ̈ܫܐ ܒܩܘܪ̈ܒܢܝܗܘܢ ܕܚܙܘ ܕܢܚܗ. ܘܣܦܪ̈ܐ ܕܥܡܐ ܕܐܦܫܩܘ ܫܪܒܗ ܒܦܘܫ̈ܩܝܗܘܢ. ܟܘܟܒܐ ܒܕܢܚܗ ܢܒܝܐ ܒܩܠܗ ܠܟܠܗܘܢ ܣܗܕ ܗ̱ܘܐ. ܪܘܡܐ ܘܥܘܡܩܐ ܗܘܘ ܠܗ ܣܗ̈ܕܐ ܕܒܪ ܐܠܗܐ ܗ̱ܘ (١

وعلى شبه هؤلاء رسمت البيعة ان يرنّم الشمامسة مع الكهنة عند تذكار ميلاده صلاة الفاتحة في بيت الله ليشهدوا بان الذي يتقدَّس على المذبح هو حقًّا ابن الله

اخيرًا يقول الكاهن صلاة البخور ويقدّمهـا لابن الله المولود في تذكار والدتهِ ليصير مقبولًا بواسطة صلاتها ومرضيًا لسيادته شبه بخور الرضا ثم لانها كما كانت تحفظ جميع الكلام الذي كانت تسمعهُ عنهُ وتعيه في قلبها وترفع لهُ الشكر والمجد على سائر احكامهِ كذلك نحن يتحتم علينا ان نشكرهُ ونمجدهُ لانهُ لبس جسدنا واعطانا اياه لنقسمهُ على المذبح لخلاصنا

١) ترجمتها : لقد اتى الحقّ سبحانه وتعالى بشهودٍ لهُ على امره من كل جهة حتى تكلم عنهُ الداني والقاصي . السماء والكواكب اخبرت بمولده والنبوَّة رمزت بهِ سرًّا وجهرًا . شهد لهُ المجوس بقرابينهم اذ نظروا اشراقه واساتذة الشعب اذ ترجموا خبره بتفاسيرهم . شهد لهُ النجم باشراقه والنبيّ بصوتهِ . العلو والعمق شهدا لهُ بانهُ هو ابن الله

الشرح الثاني

في السيد المخلص مع تذكار قديسيه

بعد صمد الاسرار وتقديمها لله مع الحساية اي صلاة الغفران والتمجيد ترسم البيعة ان يُصنع تذكار لجميع تدبير المسيح ووالدته وقديسيه وقد اصابت بذلك لانهُ تعالى ما صنع شيئاً الّا ليتمجد بهِ. واما بشان اسرار القداس فقد أمرنا قائلاً « اصنعوا هذا لذكري ». ونقسم هذا الشرح خمسة فصول

الفصل الاول في تذكار تدبير المسيح اذ نقول ܘܕܘܟܪܢܗ ܕܡܪܢ

الفصل الثاني في تذكار والدتهِ قائلين ܐܬܕܟܪܬ ܒܫܘܒܚܐ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ

الفصل الثالث في تذكار الملائكة والقديسين

الفصل الرابع في تذكار القديسين والقديسات قائلين ܐܬܕܟܪܬ ܒܫܘܒܚܐ ܩܕܝܫܐ ܟܠܗܘܢ

الفصل الخامس في المذابح الموهوب لها الغفران

الفصل الاول

في تذكار السيد المخلص اذ نقول

ܘܕܘܟܪܢܗ ܕܡܪܢ (تذكار ربنا)

ان الذبائح التي كانت تُقدَّم لله في الشريعة العتيقة قد أمر الله بان تكون ثلاثة اصناف

الاول ما كان يقدَّم لله وحده بصفة كونهِ ربًّا وخالق البرايا كلها وسيد العالم وهذا كان يحرق بالنار ويسمى وقودًا كاملًا ومحرقة تامة

الثاني ما كان يُقدَّم لله لاجل الاستغفار عن خطايا الشعب وهذا كان الكاهن يقسمهُ فياخذ منهُ جزءًا لنفسهِ والجزء الآخر يحرقهُ بالنار ويسمى قربان الخطية واذا حدث ان الكاهن اقترف خطية او ضلَّ كل الشعب عن ناموس الرب فحينئذٍ كان يُحرق ذلك القربان جميعهُ

الثالث ما كان يقدّمهُ الانسان لله اما بسبب نذر او لشكر لهُ على نعمٍ قبلها منهُ او لطلب خير يحتاج اليهِ وهذا يسمى ذبيحة الرضا وكان يقسم ثلاثة اجزاء . الاول كان يحرق والثاني ياخذه الكاهن والثالث يُعطاه صاحب الذبيحة . وهذه الاصناف باسرها حواها السيد المخلص بنوع اشرف في جسده الذي اخذه منا لان تلك الذبائح كانت خرساء عادمة الفائدة . اما جسد الرب فناطق وافضل من دم هابيل ويمنح الخيور والنعم لاجل اتحاده مع ابن الله باقنوم واحد . ولذلك قال الرسول وداود « وان يستطيع دم الثيران والتيوس ان يطهر الخطايا لذلك يقول عند دخولهِ للعالم ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ لكنك البستني جسدًا ولم ترضَ بالمحرقات التامة بدل الخطايا . حينئذٍ قلت هاءنذا آتٍ لانهُ مكتوب عليَّ في راس الكتاب ان اعمل بمسرَّتك يا الله »(١ . فمسرَّته هي تقدّسنا بقربان جسد يسوع المسيح . وهذا الجسد الذي لبسهُ منا المخلص قدَّمهُ للآب مرة واحدة كفوءًا عن المحرقات التامة وعن قربان الخطية وعن ذبيحة الرضا

اولًا عن المحرقات التامة لانهُ تقدَّم عريان على مذبح الصليب افضل من اسحق واحنى راسهُ كالعبد قدام مولاه وكالمجرم امام الحاكم وبالمحبة التي تتفاضل بغير قياس على النار الطبيعية اطاع الآب حتى الموت وفي يده سلَّم روحه ليكون ممجدًا بهِ الى ابد الابدين

---

١) عبرانيين ١٠ : ٥

ثانياً قدَّم جسده كفوءاً عن جميع الخطايا لانهُ برضاه لبس جسدنا ومع كونه البرارة بالذات حمل جسد الخطية واتحد معهُ وصعد بهِ على خشبة اللعنة ومد يديه عن جميع الناس واهرق دمه على الصليب ليغسل خطايا العالم وصار لنا برًّا وغفراناً وظفر بالخلاص الابدي

ثالثاً قدَّم جسده كتقدمة النذور حين كان يتشفع بنا في جميع حياتهِ ويطلب على خشبة الصليب بخوار شديد فأُجيب · ومن ثم نشكر بهِ الآب لاننا بهِ آمنّا وبهِ تجدد كل شيء وكمل تدبير الازمنة وبهِ نترجى ان تُستمع صلواتنا وننال كلما نسأل منهُ · ثم ان ذلك الجسد نفسه الذي حوى جميع القرابين العتيقة وقد تقدَّم كفوءاً عن جميع العالم جعلهُ لنا عهداً لنقدمهُ كل يوم فيفعل فينا اضعاف ما كانت تفعل ذبائح العتيقة واعطانا المثل انهُ لما سرّ بتقديس جسده رفع عينيهِ الى السماء ومجد الآب وشكره وشهد ان جسده يكسر لمغفرة الخطايا ودمه يهرق عنا وعن كثيرين حينئذٍ امرنا ان نصنع كذلك لذكرهِ

ولهذا فان البيعة المقدسة تأمرنا ان نصنع تذكار تدابيره وقديسيه وشعبه الاحياء والاموات قبل التقديس وبعده معتقدين انهُ افضل من قرابين الخطية وذبائح الرضا والمحرقات التامة التي كانت تتقدَّم في العتيقة ولذلك بعد التقديس حين نقدمهُ لله نقول « كالقربان الشهي تقدم لاجلنا وكذبيحة الغفران ضحى ذاته ومثل الخروف صار لنفسهِ حبراً وضحية »

والمقصود من ذكر تدبيره ان نشكره على محبتهِ وغزير رحمته ورأفته لدينا ونتخذه شفيعاً قدام الآب لكي نجد الرحمة لنا ولكل اولاد الايمان فنمجده ونسلك في المنهج الذي تركهُ لنا بتواضعهِ

الفصل الثاني

في تذكار والدة الخلاص اذ نقول

ܬܫܪܝܬ ܠܛܘܒܢܝܬܐ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ (للطوباوية ام الله)

بعد تذكار السيد المخلص نصنع تذكار والدتهِ وهذا امر واجب لانها اقرب اليهِ من الخلائق باسرها في الطبيعة والنعمة . ومثلما انهُ بين الكرامات ليس اجل ولا افضل من كرامة الوالدين كذلك بين الطلبات والشفاعات ليست طلبة يجب قبولها افضل من طلبتهما كما قال سليمان الحكيم لوالدتهِ بتشابع « اسألي يا امي فاني لا اردّ وجهكِ » (١

وعن والدة الخلاص تقول البيعة في حساية ليل الاثنين « انها وحدها صاحبة دالة الوجه امام الله ولا تُرد شفاعتها في الخطاة وبما انها والدة فليست ترجع خائبة » لأن الله قد انعم على بيعتهِ بان كافة القديسين يكونون لها متوسلين وشفعاء وكما ان الشمس في السماء تفضل القمر بالطبع والحرارة والروحانيات والقمر الكواكب والكواكب النجوم وبعض النجوم البعض الآخر في البهاء كذلك الرسول تكلم عن القديسين في السماء فقال « ان مجد السماويين نوع ومجد الارضيين نوع آخر . وبهاء الشمس نوع وبهاء القمر نوع آخر . وبهاء النجوم نوع آخر . وبعض الكواكب تفضل بالبهاء البعض الآخر . هكذا قيامة الموتى » (٢ وشفاعة القديسين الذين فازوا بخلاف الذين هم باقون في الحياة وبهاء السيد المسيح بين الذين فازوا كبهاء الشمس ونور السيدة اشبه بنور القمر وبهاء الرسل والآباء اشبه بالكواكب وبهاء باقي القديسين اشبه بالنجوم

وكما ان بعض الكواكب يفضل البعض الآخر في البهاء والتأثير كذلك اصفياء

---

١) ٣ ملوك ٢ : ٢٠ ٢) ١ كورنتس ١٥ : ٤٠

الله في القرب اليهِ يفضل بعضهم بعضاً في انوار الفضل والمودَّة والشفاعة

وكما ان بهاء الشمس هو خارج من قوتهـا وبهِ تستنير جميع النيرات كذلك شفاعة السيد المسيح هي مقبولة عند الآب لانها صادرة من اقنومهِ الالهي وتفيض على جميع الاطهار

وكما ان القمر هو الثاني بعد الشمس هكذا والدته ذات الشفاعات تستمد منهُ وتمنح فضلها للاطهار ولجميع الجالسين في ظلام هذا العالم لانهُ منها اشرقت شمس البرارة التي منها تستضيء جميع النيّرات الروحانية

ولذلك مثلها الله لشعب اسرائيل بالقمر الذي كان يتدبر الشعب بموجبهِ في جميع اعيادهم وسبوتهم . ويعقوب مثلها بالسلّم التي بواسطتها ترتفع صلواتنا مقبولة لديه . وآدم شبهها بالفردوس الحاوي جميع الخيور والبركات الالهية . ونوح بالسفينة التي بهـا ننجو من طوفان الآلام ونبلغ مستقرّ الراحة . وحزقيال بشجرة الحيـاة المغروسة على مجاري ماء النعمة وتعطي ثمر الخلاص في حينهِ . وموسى بالعلّيقة التي بها ينجو الشعب من عبودية فرعون وعمود النار الذي كان يظلّل الشعب من حرارة النهار ويضيء لهم في ظلام الليل وتابوت العهد الذي كان يرافقهم الى ارض الميعاد . ويشوع بن نون بمدينة النجاة التي كان يخلص من التجأ اليها . وهارون بمنارة القدس التي تنير بصيرة بني الايمان وتزيل ظلام المبتدعين

ومثلها رسم الله ان يخرج نبع من الفردوس ينقسم الى اربعة انهر ويسقي كل وجه الارض . كذلك جعل والدته شبه قنـاة الرحمة وينبوع الحياة ليفيض بوساطتها خيوره وبركاته على كل الارواح الطامئـة كقوله على لسان الحكيم « طوبى للرجل الذي يسمع لي والانسان الذي يحفظ طرقي اذ يسهر كل يوم على ابوابي لان مخارجي مخارج الحياة ومن وجدني وجد الحيـاة ونال مرضاةً من الرب ومن اخطأني ظلم نفسهُ » (١

١) امثال ٨ : ٣٤

ثم ان شفاعة السيدة واجبة لاسباب شتى اولًا لاجل طهارتها ومناقب النعمة والكرم والجود التي حظيت بهـا من لدن الرب كقول الملاك « السلام عليك يا ممتلئة نعمة » . والجود يقتضي ان يفيض على الغير ويجذبهم اليهِ كما جذبنا الرب اليـهِ

ثانيًا لانها ام الاله فانهُ مثلما صار ابنهـا وسيطًا وشفيعًا لنا عند الآب لاجل الجسد الذي لبسهُ منا وعاهدنا ان كل ما نطلبهُ من الآب باسمهِ نعطاه . هكذا هي الوسيطة بيننا وبين الكلمة الازلية التي اخذ طبيعتنا منها . اذن يجب انها تكون لنا وسيطة وشفيعة قدامه حتى ننال كل ما نسأَلهُ باسمها

ثالثًا لان الله جعلنا بنيها كما قال ليوحنا « هوذا امك » . وكما ان الام الحنونة تعدل بين اولادها بالسواء كذلك هي تعدل بيننا وبين ابنها البكر

رابعًا لاجل شرفها لان الله اختارها وشرَّفهـا لتعطي ابنه جسدًا . وعليهِ اذا كانت بسبب ذلك الجسـد صارت ملكة على ما في السماوات والارض فكيف لا تتوسل لاجلنا ليلًا ونهارًا لتكافينا عوض النعمة التي حظيت بها بسببنا

خامسًا لاجل رأفتها ومحبتها فاذا كان الله رحمنا واعطانا ابنه حين كنا اعداءه ومعهُ وهبنا كل شيء . واوصى بحراستنا الملائكة الذين يفرحون بتوبة الخاطي فرحًا عظيمًا وامرنا ان نحب ابناء جنسنا مثل انفسنا فكم بالحري تلتزم بنا اذ هي من جنسنا وسلطانة الملائكة وامّ الله

سادسًا حتى تجبر كسر حوَّاء لان تلك نسلهـا الباري من آدم الاول لتكون لهُ معينة ومعتصمة معهُ بالمحبة وتربية الاولاد . وسميت حوَّاء من الحياة . وهذه منهـا اخذ الرب جسده لكي تكون امًّا وشريكة في تجديد الخليقـة لانهُ حيث دخل الموت تفاضلت النعمة والحياة . ولذلك اقامها الله شفيعة لجنس البشر ولم تزل متوسلة لاجل خلاصهم

الفصل الثالث

في تذكار الملائكة

لما نظرت البيعة المقدسة وفرة الخيور الجزيلة التي نحظى بها كل يوم وكل ساعة من حراسة الملائكة وانهم احبَّاء الله ومكملون مشيئته ليلًا ونهارًا ويقومون بخدمتهِ بلا فتور ولا يزالون يمجدونهُ ويسبحونهُ قائلين « قدوس قدوس قدوس الرب الاله الضابط الكل الذي كان والكائن والذي سيأتي » (١ وقد اوصاهم بحراستنا وتعليمنا وارشادنا وتقدمة قرابيننا وان يُصعدوا على ايديهم صلوات الاطهار مثل البخور الطيب فوق مذبح الحمل اوجبت من نشأة النصرانية ان نلتجئ الى صلواتهم ونلتمس الرحمة بحسن تضرّعهم ونقيم لهم اعيادًا وصلوات وبيعًا ومذابح ونشكر لنعمهم ونرفع التمجيد للذي خلقهم لئلا نكون قليلي الوفاء وكنودين لخيورهم كما نقول في بدء صلاة عيدهم « يجب علينا نحن الترابيين اولاد آدم ان نعيّد لرئيسي الملائكة جبرائيل وميخائيل العظيمين ونمدح اعيادهم ونقدّم المجد والتهليل في محافلهم للذي كوَّن صفوفهم ورتّب اجواقهم لكي يبتهلوا من اجلنا »

ومن اقوال الكتب المقدَّسة نعلم ان الباري لما خلق هذا العالم ائتمن الملائكة على تدبيره فأَمر البعض منهم ان يحرسوا الاقطار الاربعة وآخرين ان يحفظوا العناصر والبعض ان يدبّروا الاقاليم وغيرهم الممالك والمدن والبشر فيصونوا اجناسهم لئلا تبطل وحركاتهم لئلا تزول . ويبعدوا عنهم مكايد العدو ويمنعوا الاقوياء عن الضعفاء لتجري احوالهم في ترتيب ونظام

اولًا من جهة تدبير الاقطار الاربعة يذكر زكريا في بدء نبوّتهِ ان الله اقام اربعة ملائكة ليطوفوا اربعة اقطار الارض راكبين خيلًا حمرًا وشقرًا وشهبًا وهم المعبر عنهم بالاربعة حيوانات الجالسة حول عرش الله

١) رؤيا ٤ : ٨

ثانيًا عن العَناصر مذكور في رؤيا يوحنـــا ان الله اعطى للسماء ملاكًا وللارياح ملاكًا وللبحر ملاكًا وللحيوانات ملاكًا

ثالثًا عن الارض واقاليمها يذكر السفر المذكور ان قدام الله والحمل سبعة ارواح يرسلها الى كل الارض

رابعًا عن الممالك يذكر دانيال انهُ لما كان يتوسل ليرد الله شعبه من السبي ظهر لهُ جبرائيـــل رئيس الملائـكة وقال لهُ « ان صلاتك قد قبلت » ولما ابتغى ان يرد الشعب من السبي اعترضهُ رئيس مملكة الفرس وقام بوجههِ واحدًا وعشرين يومًا حتى قدم لمعونتهِ ميخائيل احد الرؤساء المتقدمين

خامسًا عن المدن مذكور في سفر التكوين انه لما رجع يعقوب من بلاد الجزيرة الى ارض كنعـــان اتى الى لقاه جنود الله . وفي ايام اليشع النبي حين اتت عساكر الشام الى جبل داثان لتسبي الشعب فتح الله عيني تلميذه ورأى ملائكة الله آتين لنجدتهم . وكان عددهم ينيف على عدد العساكر الشامية . وهؤلاء كانوا ملائـكة ارض القدس ومدنها . وقال الله على لسان اشعيا النبي « على اسوارك يا اورشليم جعلت طول الليل والنهار حراسًا يسبحون اسم الرب بلا فتور » (١ . وهكذا يثبت قوم من العلماء ان كل ملّة وطائفة لها ملاك يحرسها

سادسًا عن البشر كُتب ان كل واحد لهُ ملاك يحرسهُ من وقت ميلاده كقول يعقوب « ان الملاك الذي نجاني من جميع الشرور يبارك هذين الطفلين » (٢ . وقال المخلص « احذروا ان تحتقروا احدًا من هؤلاءِ الصغـــار . فاني اقول لكم ان ملائـكتهم في السماء كل حين ينظرون وجه ابي الذي في السماوات » (٣ . وقال داود « يوصي الله الملائـكة بك وعلى ايديهم يحملونك لئـــلا تصدم بحجر رجلك » (٤ . ولما خرج بطرس من السجن وقرع الباب قالوا « لعله ملاكه » (٥ .

١) اشعيا ٦٢ : ٦ ٢) تكوين ٤٨ : ١٦ ٣) متى ١٨ : ١٠
٤) مزمور ٩٠ : ١٣ ٥) اعمال ١٢ : ١٥

وفضل الملائكة واحسانهم على نوع البشر عظيم جدًّا لا يفي بهِ الوصف . وقد ذكرت الكتب المقدسة من هذا القبيل ما هو كافٍ

سابعًا يثبت علماء البيعة ان كل مذبح من حين يتكرَّس يتعين لهُ من الله ملاك لحراستهِ كما يذكر بستان الرهبان عن ذلك السائح الذي قصد نهر الاردن ليسكن في مغارة الانبا برنابا . ففي حال دخولهِ المغارة ابصر ملاك الرب قائمًا على المذبح المنصوب فيها . فسألهُ السائح من يكون وماذا يصنع هناك . اجابهُ انهُ ملاك الرب اؤتمن على حفظ ذاك الموضع من حين تقدَّس . وكذلك يذكر يوسيفوس العبراني في تاريخهِ عن بيت المقدس انه لما استولى عليهِ ملك رومية كان الناس يسمعون اصوات الملائكة تصرخ في الهيكل « لنخرج من ها هنا »

اخيرًا كل مرة نقدّس الاسرار الالهية تنحدر ملائكة السماء لتخزي الارواح الخبيثة وترشدنا لعمل الصلاح وتقدّم صلواتنا وقرابيننا لله كما سوف نتكلم عن ذلك ان شاء الله في المنارة السابعة في تقديس الملائكة . ولهذا يجب علينا كما امرهم الرب بحراستنا ومعونتنا وتقريب صلواتنا ان نتخذهم لنا شفعاء ونستعين بهم اوقات المشقة ونكرمهم ونتهيب الروح الحال فيهم ونطلب منهم ان يقدّموا صلواتنا وقرابيننا فوق المذبح السماوي . واذا لم نطع الهامهم ودسنا وصية مولاهم لا يأنفون من عضدنا بل يدبّروننا كالقهارمة الامناء لنكون لهم اخوة في هذه الحياة وفي الدائمة

الفصل الرابع

في تذكار القديسين قائلين

ܥܘܗܕܢܗ ܕܡܢ ܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܦܠܢ (وخصوصاً القديس مار فلان)

ان قومًا من الاشياع المبتدعة انكروا شفاعة القديسين زاعمين ان ذلك ينقص

من مجد الله لكن ما زعموه فاسد لان نور الكواكب ابعد من ان ينقص نور الشمس وكرامة العبد تزيد شرف مولاه . واذا كان احد اعضاء الجسد متعافياً مكرَّماً لم يضرّ ذلك بالبدن الذي هو فيهِ . ولهذا يقول الكتاب المقدس « كريم امام الرب موت اصفيائهِ » « والله يفعل مسرَّة اتقيائهِ ويستجيب تضرّعهم »

وتشهد البيعة في حساية الشهداء ليل الاربعاء قائلة « ايها الرب الهنا المبارك القدوس وحده . انت الذي في كل حين تسرّ بان نذكر شهداءك ونعيّد لهم بتماجيد الروح وتدابير البرّ ونبتهج بتذكارهم الالهي لانك عظمت شرفهم في كافة الافاق ومن اعضائهم الموضوعة في القبور تنهزم الشياطين باسمك المقدس وكالنصبة الجيدة التي تينع بعد القطع كذلك تذكار الشهـداء الاطهار ينبت ويتفرع في سائر الاقطار » . والانجيل الطاهر يشهد ان الرب نفسه أمر بان يصير ذكر في العالم كله للمرأة التي افاضت الطيب على رأسهِ

وفي صلاة قتل الاطفال مذكور ان الرب اوصى البيعة ان تصنع لهم تذكاراً وكذلك قيل عن يوحنا المعمدان . وقد امر الرسل بتذكار اسطفانوس اول الشهداء وغيره . وهو امر واضح من العهدين العتيق والجديد . والعادة الجارية في كل الكنائس شرقاً وغرباً تغني عن ايراد ادلة ازيد الّا اننا رغبةً في وفرة الايضاح نذكر

اولًا ان الآباء المتقدمين كانوا في اوقات الضرورة واعطاء البركة يدعون اسماء رؤساء الآباء ابرهيم واسحق ويعقوب كما يذكر سفر التكوين ان يعقوب حين عاد الى ارض كنعان كان يطلب من الرب ان يخلصهُ من يد اخيهِ عيسو بدعاء والديهِ قائلًا « يا اله ابي ابرهيم واسحق نجيني من يد اخي عيسو » (١ . وحين بارك ولدي يوسف « قال الله الذي سلك ابواي امامـهُ ابرهيم واسحق . الله الذي دعاني مذ كنتُ الى هذا اليوم . الملاك الذي خلصني من كل سوء يبارك الغلامين وايدعيا باسمي وباسم ابويَّ ابرهيم واسحق وليتمتعا كثيرًا في الارض » (٢ . وكذلك موسى

١) تكوين ٣٢ : ١١ ٢) تكوين ٤٨ : ١٥

كليم الله لما ان رأى الشعب قد عبدوا الاصنام قال « اذكر يارب ابرهيم واسحق ويعقوب عبيدك ولا تنظر الى قساوة رقابهم » (١ . وكذلك كان يطلب داود وايليا وطوبيا والفتية الثلاثة كما هو مذكور في الكتب المقدسة

وقد جاء في سفر العدد ان الله تعالى لما غضب على جماعة داثان وابيرام واهلك منهم نحو خمسة عشر الف نفس اخذ هارون الكاهن المجمرة ووقف بين الاحياء والاموات وهتف قائلًا « يا اله ابرهيم واسحق ويعقوب ارفع الضربة» (٢ . وتقول البيعة في صباح الثلثاء ان هذه الابتهالات الثلاثة كانت كالمجامر المقدسة واسماء الآباء الثلاثة كالبخور الطيب وشفاعة ابرهيم واسحق ويعقوب كفّت الضربة ودفعت الغضب

ثانيًا أمر الرب ان تُنقش اسماء رؤساء الاسباط على حجارةٍ من المعادن وان يحملها الكهنة لدى قيامهم في خدمته وينصبوا المذابح على عددهم ويبنوا لهم قبورًا ومدافن ويكرموا اعضاءهم (٣ . ولماذا هذا الّا ليكونوا شفعاء للشعب عند الله فينال بوساطتهم الرحمة والنعمة كما تقول البيعة في صلاة ليل الخميس « ان عظام يوسف الشريف صارت سورًا منيعًا لآل يعقوب . وبها خلص الشعب من الغضب كذلك عظام الشهداء توضع في البيعة المؤمنة لينبع منها الشفاء والمعونة للمحتاجين . مبارك الرب الذي عظّمهم وجعلهم ينبوع المسكونة الشفاء »

ثالثًا أخبر الكتاب المقدس انهُ لما طُرح الميت في قبر اليشع النبي ومسّ عظامهُ عاش وقام على قدميهِ (٤ . واليشع المذكور عبر الاردن على اليَبَس برداء معلمه ايليا (٥ . واثبت يعقوب المفسّر ان الله ألقى الرعب في الطيور الخاطفة والوحوش الكاسرة لئلا تؤذي سائر الحيوانات في السفينة اكرامًا لجسد آدم الذي كان فيها وانهُ رعايةً لداود حفظ مدينة اورشليم من عساكر الموصليين بعد ما اهلك منهم

١) خروج ٣٢ : ١٣ ٢) العدد ١٦ : ٤٦ ٣) خروج ٢٨ : ٢١
٤) ٤ ملوك ١٣ : ٢١ ٥) ٤ ملوك ٢ : ١٤

الملاك مائة وخمسة وثلاثين الفًا كقول الرب على لسان اشعيا النبي « أَحمي هذه المدينة واخلصها من أَجلي ومن أَجل داود عبدي » (١ . وكقول البيعة المقدسة في صلاة الشهيد بصوت ܠܡܣܗܕܐ « ان اهل ابرهيم البار وهم في القبور استطاعوا ان يمنعوا الموت عن الشعب ومن اجل داود خلصت اورشليم من عسكر الاشوريين في ايام حزقيا الملك . ونحن ايها الشهيد الذي اهلنا الرب لقبول ذخيرة عظامك المملوءة حياةً بصلاتك ننجو من الرجز »

رابعًا . مذكور في سفر المكابيين انهُ لمَّا احاطت الأُمم ببني اسرائيل حرَّضهم يهوذا المكابي ان لا يخافوا كثرتهم بل ان يقاتلوا ببأس متكلين على الله وشهد لهم انهُ رأى في الحلم أُونيا عظيم الاحبار قائمًا امام الرب متضرعًا عن الشعب وبينما هو مثابر على الطلبة ابصر مع اونيا رجلًا آخر صبيح الوجه ملتحفًا بالنور فسأَلهُ يهوذا عمن يكون فاجابهُ اونيا قائلًا : هذا ارميا نبي الله محب الاخوة وشعب اسرائيل وانهُ مجتهد في تقديم الطلب عن الشعب والمدينة المقدسة باسرها

وعلى مثال هولاء تريد البيعة ان يسارع قديسو الله لنجدة بني الايمان بازيد من عساكر الملائكة الذين شاهدهم اليشع النبي يعضدون مدينة السامرة. كقول البيعة بصوت ܐܢܐ ܐܒܐ

ܠܐ ܫܒܩ ܐܠܗܐ ܕܢܬܒܗܬܘܢ ܠܡܬܓܘܣܝܢ ܒܓܪܡܝ ܒܢܝ ܢܘܗܪܐ . ܕܡܫܪܝܬܐ ܐܝܟ ܕܡܫܡܫܐ ܕܥܡܗ ܠܐܠܝܫܥ ܢܒܝܐ . ܘܐܢ ܠܫܡܥܐ ܙܟܐ ܗܘܐ ܒܡܫܪܝܬܐ ܕܒܢܝ̈ ܕܥܡܗ ܠܗ . ܟܡܐ ܙܟܝܐ ܥܕܬܐ ܒܗܕܡܐ ܕܣܗ̈ܕܐ ܕܡܫܟܚܝܢ ܒܗ ܕܚܝܠܐ ܗܘ ܕܐܠܗܐ ܒܗܘܢ (٢

خامسًا . تُثبّت شفاعة القديسين من العهد الجديد . وقد قال الرب على فم لوقا الانجيلي « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادرككم الاضمحلال يقبلونكم

---

١) اشعيا ٣٧ : ٣٥

٢) اي ان الله لا يخيب من يلتجئ الى عظام بني النور لانهم هم عسكر السلام المرافق للبيعة المقدّسة فان كان اليشع قد انتصر بعسكر الملائكة الذي رافقهُ فكم تنتصر البيعة المقدسة باعضاء الشهداء الموجودة فيها لان قوة الله مستقرة بها

في المظال الابدية » (١ . وشهد يوحنا في سفر الرؤيا « انهُ رأى تحت مذبح الحمل نفوس المقتولين لاجل كلمة الله » (٢ . و« رأى حول العرش اربعة وعشرين شيخًا جلوسًا لابسين ثيابًا بيضًا وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب (٣ . وهم يسجدون امام الحمل ولكل منهم كنارة وجامات من ذهب ممتلئة بخورًا وهي صلوات القديسين (٤

اخيرًا يتضح ذلك من تسليم الرسل والآباء الذين أمروا ببناء الكنائس ونصب المذابح وتصوير الايقونات على اسم والدة الخلاص والقديسين وان نلتجئ اليهم في الشدائد ونطلب معونتهم وقت الضرورة راجين بوساطة طلباتهم المقبولة ان يعطينا الرب كلما نسأل . ولهذا الامر رتبت لهم البيعة الصلوات والافاشين والدعوات حتى يجتمع المؤمنون في كنائسهم ويستغيثوا بهم بقلبٍ واحد ونية واحدة . وقد أبقى لنا الرب على الارض بقاياهم لنتبرك بها واسماءهم لنمجدها واعضاءهم لنستمد منها نعمة الشفاء واعيادهم لنسبحهم فيها وصورهم لنقهر بها الاعداء وصلواتهم لنتحصن بها كالقلاع المنيعة ونسترضي بها كالبخور المقبول . وكتبهم كنز الحياة وكنائسهم ملجأً ومذابحهم لتقدمة قرابين الرضى كما قال ابن سيراخ « ذكرهم يدوم للبركة وتزهر عظامهم كالسوسن ويخلفون اسمهم الصالح لبنيهم ولجميع الشعب بمذختهم » (٥

وذُكر عن الاسرائيليين انهم في السبي كانوا يستغيثون بشفاعة يهوديت وفي الغلاء والعطش باليشع وموسى وشمشون وفي النار والحريق بدانيال وفي القحط بايليا الغيور كذلك في العهد الجديد أمر يوحنا الانجيلي باقامة اعياد للسيدة درءًا للضربات عن الكروم والزروع . وكذا المؤمنون ايضًا يبنون المذابح لمار عبدا على رؤوس الانهر لئلا تنشف . ويأخذون من تراب مار سمعان لاهلاك الدبابات والهوامّ ويستغيثون

(١ لوقا ١٦ : ٩ (٢ رؤيا ٦ : ٩ (٣ رؤيا ٤ : ٤
(٤ رؤيا ٥ : ٨ (٥ ابن سيراخ ٤٦ : ١٤

في الحروب بمار تادروس . و يبتهلون الى مار الياس لاستنزال المطر . والى مار نوهرا لشفاء الامراض العارضة على النظر . والى مار انطونيوس لدفع الصرع . والى مار دوميط لتسكين الرياح . والى مار رومانس لبرء القروح . والى القديسة بربارة لدفع البُرداء . والى مار أسيا والقديسة مورا لشفاء السخونة . والى مار جرجس لازالة مخاطر الاسفار . واذا كثرت الضربات واشتد غضب الله على الشعب من اجل خطاياهم يحملون اعضاء الشهداء وايقونات القديسين وبزيحونها فيتعطف الله عليهم بالرحمة ويرفع عنهم قضيب الغضب

ثم اننا في ايام السنّة نذكر اولاً جميع القديسين الذين ارضوا الله من آدم الى يومنا هذا . ثم القديس الذي نكرم عيده ونصنع محفله ونتخذه شفيعاً ونذكره هاهنا في خدمة القداس قائلين « خاصةً نذكر القديس فلان الذي من اجله يتقدم هذا القربان ليكون مبتهلًا اليك يا رب عن فلان الذي التجأ الى صلاتهِ واستعد لتقدمة هذا القربان في هيكلهِ . انت يا ربنا والهنا الرحوم اجب بنعمتك سؤاله وأجز عنهُ التجارب والضرر وقضبان الغضب والحمى والبرداء وكل وجع واصفح عن ذنوبه وخطاياه برحمتك »

فمن هذه وغيرها يفهم القاري النجيب ان الله اقام القديسين كالوزراء المتوسطين لكي يشفعوا فينا . واذا كان الله يصنع مشيئتهم وهم على الارض ويمجدهم ويقبل الذين يقبلونهم ويحتقر من يحتقرهم ولا يخيب طلباتهم فكم بالحري اذا اعتصموا معهُ بروح واحدٍ في المجد الدائم

الفصل الخامس

في المذابح المعطاة الغفران من رؤساء البيعة

ان الانسان حين يسقط في الخطية المميتة يصيبهُ ضرران احدهما انهُ يُزيل عنهُ

نعمة الله ويبتعد منهُ. والثاني انهُ يصير مجرماً مستحق الهلاك الابدي. فلما نظر الله الينا بعين الرحمة وجدّد بابنهِ كل شيء ومنح الكهنة مفاتيح الحل والغفران اذ قال لهم «كل ما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السماء . وكل ما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء» (١

فعلى هذا الموعد الصادق حين يندم الانسان على ما سلف منهُ و يعترف بهِ امام الكاهن المعطاة لهُ مفاتيح الحل والربط ينجو من جرمهِ الذي سبب لهُ الهلاك لكنهُ حتى يدخل الملكوت يجب عليهِ ان يبدّل سالف سيرتهِ وذلك بان يعوّض على القريب ما الحق بهِ من الضرر ويخضع لخالقهِ فيما خالفهُ بهِ و يعذّب نفسهُ بالقوانين التي يفرضها عليهِ الكاهن ليكفّر عن اللذة التي ذاقها من الخطيــة. وكانت القوانين في القديم شديدة وصعبة وكان التائبون يلتزمون بصدقاتٍ كثيرة وزيارات بعيدة وصيامات طويلة والذين أمرت التوراة بقتلهم كانوا يمنعونهم عن تناول الاسرار وحضور نافور القداس سبع سنين وعشراً وعشرين حسب ثقــل خطاياهم . وآخرون كانوا يجلدونهم امام ابواب الكنائس كما يُعرَف من الكتب القديمة . ولما بردت في المؤمنين تلك الغـيرة والحرارة الاولى صار الآباء يفسّحون لهم في حضور القداس وتخفيف القوانين لكن لم يأذنوا لهم في تناول القربان والحلة الكاملة حتى يوفوا اولاً القوانين المرتبة عليهم . ولم يزل ذلك محفوظاً في ملتنا المارونية الى اواخر القرن الذي مضى

ولما اتى الاب جوان باطيشتا من الرهبانية اليسوعية لزيارة البطريرك ميخائيــل الرزي فسّح بان تكون قوانين التوبة على حسب ما يشاء معلم الاعتراف وفقاً لما هو جارٍ برومية في اغلب الكنائس . وسبب ذلك هو انهُ بتمادي الزمان خمــدت حرارة الايمان وقلّت المحبة في قلوب البشر وصاروا يرتكبون الفواحش و يعدلون بسهولة عن حفظ الوصايا حتى ان بعضهم كانوا يمتنعون عن الاعتراف من شدة القوانين والذين يعترفون كانوا يستصعبون حفظها

---

١) متى ١٦ : ١٩

فلاجل هذا وخوفًا من ان يهلك الناس ويقطعوا رجاهم ونظراً الى فساد الطبيعة وضعفها أمر الرؤساء بان يُعامل بالرحمة التائبون وتخفّف عنهم القوانين كما ورد في كتاب الطب الروحاني عن يوحنا الانجيلي أنهُ لما امسك الحلة على رجل بسبب خطيئة الزنا ولم يأذن لهُ في التقرب ثم رأى انهُ يئس من الخلاص فمضى وشارك اللصوص في القتل والسرقة انطلق هو بنفسهِ اليهِ وقرَّبهُ الاسرار الالهيــة. وكذلك الرسول خاطب اهل كورنتس عن ذلك الذي نهاه عن شركة المؤمنين بسبب زناه فلمّا بلغهُ انهُ يئس عفا عنه وكتب اليهم ان يعفوا عنه ويُخلصوا لهُ ودهم لئلاَّ يهلك حزنًا كما يقول «أحرى لكم ان تسامحوه وتعزوه لئلا يُبتلع من فرط الغمّ. فاسألكم ان تؤكدوا لهُ محبتكم بل لذلك كتبت اليكم لاطلع على تزكيتكم هل انتم مطيعون لي في كل شيء.. فمن سامحتموه بشيء. فانا ايضًا مسامحهُ. لاني ان كنت مسامحًا بشيء فانما انا مسامحٌ بهِ من اجلكم في شخص المسيح لئلا يمكر بنا الشيطان فاننا لا نجهل افكاره» (١

لكن لان جميع طرق الرب عدل ورحمة كما قال داود و بعدله ورحمته أكمل خلاصنا لا يجب أن نستعمل العدل والقوانين العسرة دون الرحمة فيكون ذلك جورًا وظلمًا ولا نستعمل التسامح واللين المفرط فنكون قد جهلنا ماهية العدل وطمحنا الى الذنوب ومن ثم يجب ان تكون جميع اعمالنا مقرونة بالفطنة والتمييز. ولهذا السبب لم يشإ الرب ان تدوّن القوانين في الانجيـل المقدس لانهُ علم بسابق معرفتهِ ان اجسادنا مختلفة الطبائع ولا يمكن ان يُدبَّر الضعيف والقوي والفقير والغني والكبير والصغير بقانون واحد فمنح بيعته السلطان وجعل الكهنة أُمناء ليوزعوا اسراره بتقوى وفطنة كقول الرسول «كل شيء هو لكم وانتم للمسيح والمسيح لله (٢

وبهذه المنزلة فلنكن عندكم كخدام المسيح وخزنة سرّ الله وكما ان الخازن يجب ان يكون امينًا على رزق مولاه ويوزعه في حينهِ حسب مسرَّة موئتمنهِ كذلك الله

١) ٢ كورنتس ٢ : ٧ ٢) ١ كورنتس ٣ : ٢٢

الآب مع ابنهِ اعطانا كل شيءٍ وافاض علينا غنى نعمته حسب مقال الرسول « لنحمد مجد نعمة الله التي أنعم بها علينا في الحبيب الذي لنا فيهِ الفداء . بدمهِ مغفرة الزلات على حسب غنى نعمتهِ التي افاضها علينا في كل حكمة وفطنة اذ أعلمنا سرّ مشيئتهِ على حسب مرضاتهِ التي سبق فقصدها فيهِ لتدبير ملء الازمنة ليجمع ويجدّد في المسيح كل شيءٍ » (١

على ان هذا الغنى لم يتركه مهملاً بل سلمهُ الى الرسل والكهنة ليوزعوه على المحتاجين كقولهِ تعالى « من ترى هو العبد الامين الحكيم الذي اقامه سيده على اهل بيتهِ ليعطيهم الطعام في حينهِ . طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيدهُ فيجدهُ يصنع هكذا » (٢ . واماَّ البيعة فتفسر هذا في خدمة الرسل قائلة
ܣܡ ܒܐܝܕܝܗܘܢ ܩܠܝܕ̈ܐ ܘܓܙ̈ܐ ܕܡܠܟܘܬܐ . ܘܥܒܕ ܐܢܘܢ ܓܙܒܪ̈ܐ ܥܠ
ܓܙܗ ܐܠܗܝܐ (٣ . وفي بدء حساية الكهنة تقول « لنرفعنَّ المجد مع الاكرام لمزيّن الكهنة ومكمّل الاحبار الذي اصطفى لذاتهِ كهنة ترابيين وولاَّهم على خزانة ملكوتهِ وسلَّم اليهم مفاتيح بيت مالهِ ليوزعوا غناه وذخائرهُ على المحتاجين » وبسبب هذا العهد الصادق والسلطان المعظَّم صرحت البيعة المقدسة التي سماها الآباء ܓܙܒܪ̈ܐ اي المولاة على خزائن الله ان الكهنة ليسوا مجبورين بفرض القوانين القديمة خشيةً من ان ييأس التائبون ويقطعوا رجاهم ولكن يجب ان يفرضوا عليهم من القوانين ما يوافق كل احد منهم اي انهم ينبغي ان ينظروا في الخطايا أهي عرضية او مميتة إرادية او غير ارادية متجددة او متأصلة مضرة بالغير او عادمة الضرر في موضع مكرس او غير مكرس الخ . وعليهم كذلك ان يراعوا حالة التائب أهو متَّقٍ لله او بالعكس متعود السقوط في الخطايا او لا قابل للقانون بطواعية او كاره . ثم أهو فقير او ضعيف

١) افسس ١ : ٦ ٢) متى ٢٤ : ٤٥
٣) الترجمة : وضع بين ايديهم مقاليد وكنوز الملكوت وجعلهم قهارمة على خزانته الالهية

او جاهل او غير ذلك. وبعد النظر في كل هذه الامور يحمّلونهُ قانونًا موافقًا لضعفهِ ولسماجة خطيئتهِ ويعطونهُ الحلّة

وقد أمرت البيعة ايضًا ان يذكرهم الكهنة في الصلوات والقداسات وخوّلت رؤساء الكهنة ان يجودوا بالغفرانات على من يُحسن الاعتراف ويتناول جسد الرب بنية صافية في معرض تقديس كنيسة ومذبح او رسامة كهنة وشمامسة او تقديس ميرون او عيد قديس او زيارة كنيسة او حفلة زياح او دعوة وما شاكلها . وذلك بان يمتّعوا التائبين باستحقاقات السيد المخلص وحسنات والدته وقديسيه لان المسيح كان قادرًا ان يخلص العالم بنقطة واحدة من دمهِ ولكنهُ افاض كل دمه مسفوكًا على عود الصليب في حين انهُ بريء زكي بعيد من كل شر ليعظّم فينا صلاحه بكل حكمة وبكل قوة الروح. وكذلك والدتهُ البرية من الدنس تحملت عن رضًى وطيبة نفس مشقات جزيلة واحزانًا لا توصف. وهكذا الرسل والشهداء والعلماء والمتوحدون والمتبتلون وجماعة الاطهار الذين صلبوا انفسهم للعالم وكفروا بالشيطان وجنوده ولذاته وقدموا لله اجسادهم كقول الرسول « وآخرون ذاقوا الهزء والجلد والقيود والسجن ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وقُتلوا بحدّ السيف وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم معوزون مضايقون مجهودون ولم يكن العالم مستحقًا لهم فكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الارض » (١

فهذا الغنى الزائد وهذه الذخائر الثمينة هي محفوظة في خزانة البيعة امهم وعلى ايدي رؤساء الكهنة تقدمها لله بنوع شفاعة عن بنيها الباقين في مجاهدة العالم وعن اخوتهم المعذبين في المطهر. لاننا واثقون بانه لا يخيب شفاعة اصفيائهِ ولا طلبة بيعته عن الذين صُلب ابنهُ من اجلهم. وانما نمنح الغفران في الاعياد الجليلة والايام الفارحة والمذابح المقدسة ليجتمع بنو الايمان بابتهاج الروح لشركة الاسرار ونيل الغفران

١) عبرانيين ١١ : ٣٦

الشرح الثالث

في تذكار الاحياء والاموات المؤمنين الذين من اجلهم يُقدّم القداس

بعد ما تكلمنا عن اصفياء الله الشفعاء المجيدين لاق ان نتكلم عن الاحياء والاموات الذين يحتاجون الى الشفاعة والذين رسمت البيعة المقدسة ان نذكرهم ههنا ليستفيدوا من تقدمة جسد الرب. ونقسم هذا الشرح الى ثمانية فصول

الفصل الاول. في تقريب الطلب عن الناس جميعاً. خاصةً عن بني الايمان اذ نقول ܡܬܩܪܒܐ ܥܠܝܟ ܒܥܕܢܐ ܗܢܐ

الفصل الثاني. في تقدمة الطلبة عن المرضى قائلين ܐܠܗܐ ܣܥܘܪܗܘܢ ܒܥܕܢܐ ܗܢܐ

الفصل الثالث. في تقريب الطلب عن الموتى اذ نقول ܡܬܩܪܒܐ ܥܠܝܟ ܒܥܕܢܐ ܗܢܐ ܕܫܢܝܘ ܡܢܢ

الفصل الرابع. في وجود المطهر واثبات ذلك من العهد العتيق والجديد

الفصل الخامس. في تقريب الطلب عن الوالدين واصحاب الاحسان قائلين ܐܠܗܐ ܥܒܕ ܕܘܟܪܢܐ ܛܒܐ ܠܐܒܗܝ ܘܠܐܚܝ

الفصل السادس. في تذكار القديسين والاحياء والاموات في ايام السبّة

الفصل السابع. في تقريب طلب الكاهن عن نفسه قائلاً ܠܡܚܝܠܘܬܝ ܕܝܠܝ ܐܬܪܚܡ ܥܠܝ

الفصل الثامن. في افعال الكاهن حين يقرأ هذه الاسرار

الفصل الاول

في تقريب الطلب من الناس جميعاً وخاصة عن بني الايمان قائلين

ܝܬܝܪܐܝܬ ܡܛܠ ܥܒܕܟ ܦܠܢ ܕܒܥܐ ܥܘܕܪܢܟ

(خصوصاً من اجل عبدك فلان الذي يطلب معونتك)

ان بولس الرسول معلم المسكونة كتب الى تيموتاوس يوصيه قائلًا « أسأل قبل كل شيء ان تُقَام تضرعات وصلوات وتوسُّلات وتشكرات من اجل جميع الناس فان هذا حسن ومقبول عند الله مخلّصنا الذي يريد ان جميع النـاس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق لان الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ فداءً عن الجميع » (١

وقد اراد الرسول بهذه الوصية اقامة الصلاة التي تقال في كل وقت اعني في القداس الطاهر وخارجاً عنه . ولهـذا رسمت البيعة المقدسة انهُ حين يرسم الكاهن في بداءة الصلوات اشارة الصليب على وجههِ قائلًا « المجد للآب والابن الخ » يصرخ الشماس « نتضرع لاجل امان وسلام العالم جميعه المؤمنين بالمسيح من منتهى الدنيا الى منتهاها »

وكذلك رسمت ان يصرخ في نهاية القداس قائلًا « نتضرع اليك ايها الرب الاله الحي القوي من اجل امان وسلام وحسن ترتيب العالم جميعـاً » وانما أوجبت ذلك من اجل تثبيت البيعة المقدسة الجامعـة الرسولية وصيانة اولادها المتوفّين والاحياء . وقد شهد الرسول ان الطلب من اجل الناس جميعاً هو حسن ومقبول لدى الله لانهُ يحب ان يحيا الناس جميعاً ويُقبلوا الى معرفة الحق ولذلك ارسل ابنهُ الوحيد الى العالم ليجدّد بهِ الكل واذا كان لم يعفُ عنهُ من اجلنا فكيف لا يعطينا معهُ كل شيء . وكذا هو حسنٌ ومقبول لدى الابن لانهُ لبس جسدنا وقبل عليهِ

١) ١ تيموتاوس ٢ : ١

جميع خطايانا كما قال اشعيا النبي . ولذلك مات عن البشر كلهم ليفتديهم جميعاً ويصير وسيطاً وشفيعاً فيهم قدام الآب . وهو ايضاً حسن ومقبول لدى الروح القدس لانهُ ينبوع الحياة وكما ان الروح يعطي الحياة مع الحركة لكل البدن كذلك هو حالّ في كل الاسرار وخاصةً في سرّ القربان المقدس ليعطي اثمار الحياة ونور القداسة لكل جسد البيعة

وبناءً عليهِ يجب ان يكون الطلب حسناً ومقبولاً لدى اصحاب الكهنوت . لانهم ما قبلوا هذه النعمة الاّ ليكونوا متوسطين بين الله والشعب . وكما ان هرون كان يضع على عطف لباسهِ رَسم العالم كلهِ وعلى عنقهِ اسماء الآباء حين كان يتقدم لتقريب الذبائح . كذلك كاهن المسيح يجب ان يستنجد بشفاعة جميع الاطهار ويتراءى في جسد الرب عن العالم كلهِ . وايضاً يجب ان يكون حسناً ومقبولاً لدى جميع الناس لانهم كلهم نوع واحد وجسد واحد . وكما امر الرب قائلاً « حبّ قريبك مثل نفسك » هكذا يريد منهم ان يقدموا الطلب بعضهم عن بعض ويحب كل واحدٍ قريبه بحيث يتعاونون على الخير كاعضاء البدن الواحد ولا سيما ابناء الايمان المشتركين في جسد الرب الذي هو جسد المحبة والاتحاد

على ان البعض لما تأملوا سماجة الخطيئة وميل الطبع البشري اليها منعوا الكهنة عن تقدمة القربان لاجل الاحياء وبهذا الرأي ضلّلوا كثيرين من الارمن ولكن رحمة الله هي اعظم من الخطايا ومحبته لخلاص جنس البشر اوفر من كل محبة ولذلك الهم الناس منذ بدء الخليقة ان يقدموا القرابين عن نفوسهم وعن خطايا غيرهم . كما ذكر في بدء سفر ايوب « انه كان يبكر في الغداة فيُصعد محرقاتٍ على عدد جميع اولادهِ قائلاً لعل بنيَّ خطئوا وجدفوا على الله في قلوبهم » (١

ولما اعطى الله الناموس أمر هارون انهُ عندما يدخل ليقدم الذبيحة يلبس ملابس الكهنوت ثم يأخذ من الشعب التقدمة ويصلي عن نفسهِ وعن اهل بيتهِ

---

١) ايوب ١ : ٥

حسبما يشرح الرسول بقولهِ « كان الرجل منهم كل يوم يبدأ بتقريب الذبائح عن خطاياه ثم عن الشعب » (١ . واماَّ السيّد المخلّص فلأنهُ كان منزَّهاً عن الدنس وبعيداً عن كل خطيئة لم يكن لهُ من حاجة ان يقرّب القرابين عن نفسهِ كما كان يفعل رؤساء الكهنة ولكنهُ قرَّب نفسهُ مرةً واحدة عن العالم كلهِ وظفر بالخلاص الابدي . وحين كان على مذبح الصليب صلّى من اجل صالبيه وأفاض عليهم نور إنعامهِ حتى آمن اللص واعترف القائد وتشجع يوسف الحسن الراي وأخذ الحراس يقرعون صدورهم قائلين « حقًّا انهُ ابن الله » . وكذلك حين قدَّس جسدهُ الطاهر في العليَّة قال لتلاميذهِ « ان جسدهُ يُكسر ودمه يُهرَق من اجلهم ومن اجل كثيرين لمغفرة الخطايا » ثم جعله عهداً لمجيئهِ الثاني وأمر رسله والكهنة خلفاءهم ان يقدّسوه ويقدّموه عنهم وعن الشعب لمغفرة الخطايا وقال « ان أكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد . وان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في نفوسكم » (٢

ولهذا السبب رسمت البيعة المقدسة ان نُقدم كل يوم الجسد والدم ليس لاجل خطايانا وخطايا الشعب فقط بل لنذكر اسماء الذين يقدّمان من اجلهم ليصفح الرب عن ذنوبهم ويغفر نقائصهم ويُريح امواتهم ويخلّصهم من جميع المضرات والضربات الردية . وكذا أمر البابا بيوس الثالث عشر ان يصنع الرجال والنساء جميعاً في كل الآحاد والاعياد تقدمة الخبز والخمر حتى يخلصوا بها من رباطات الخطايا . وكذلك الآباء الذين اجتمعوا في ماتيسكونه أمروا في القانون الرابع قائلين « نأمر ان تصنع في كل ايام الآحاد تقدمة الخبز والخمر على المذبح من جميع الرجال والنساء لينحلّوا بهذه القرابين من رباطات خطاياهم ويستحقوا الشركة مع هابيل وجميع فاعلي الخير »

وقد جرت على هذه العادة جميع الكنائس المتفرقة في المسكونة راجية من

١) عبرانيين ٥ : ٣ ٢) يوحنا ٦ : ٥٢

الله أن يفيض نعمته على الذين يستحقونهـــا . وان لا يخيب طلبات المؤمنين اذا كانت لائقة ومفيدة لهم . واماً غير المعتمدين والذين بعد العماد وقعوا في بدعة او جرم او خطيئة ظاهرة فقد أمرت البيعة ان نصلي من اجلهم لكن دون ان نذكر اسماءهم كما سوف نوضح ذلك في المنارة السادسة

الفصل الثاني

في تقريب الطلب عن المرضى اذ نقول

ܐܠܗܐ ܚܘܣܝܐ ܠܥܒܕܟ ܦܠܢ اللهمّ ترأف على عبدك فلان

قد اعلمنا الله مراتٍ شتى على افواه انبيائهِ الاطهار ان اكثر الضربات التي تنزل بنا انما ترسل لتأديبنا وعقابنا على ما اجترحناه من الخطايا كما قال على لسان هوشع النبي « اللعنة والكذب والقتل والسرقة والفسق قد فاضت والدماء تُلحق بالدماء . لذلك تنوح الارض و يذبل كل ساكن فيها مع وحش الصحراء وطير السماء بل سمك البحر ايضاً يهلك » (١

وقال على فم ارميا « لذلك تقتلهم الأُسد من الغـــاب ويتلفهم ذئب العِشاء و يسهر النمر حول مدنهم فكل من خرج منها يُفترس لان معاصيهم قد تكاثرت وارتداداتهم قد تعاظمت » (٢

وكذلك يقول على لسان حزقيال « اربعة احكام شديدة أرسلها على اورشليم السيف والجوع والوحش الضاري والوباء لأقرض منها البشر والبهائم » (٣

وذكّرهم بخطـــاياهم قائلاً « انكم جميعاً قد صرتم خبثاً لذلك هاءنذا

---

١) هوشع ٤ : ٢ ٢) ارميا ٥ : ٦

٣) حزقيال ١٤ : ٢١

اجمعكم في وسط اورشليم جمع الفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير في وسط الكور لانفخ عليها النار حتى اسبكها . هكذا اجمعكم في غضبي وحنقي وادعكم هناك واسبككم . احشدكم وانفخ عليكم في نار وَغْري واسبككم في وسطها كما تُسبك الفضة في وسط الكور كذلك تُسبكون في وسطها فتعلمون اني انا الرب صببت حنقي عليكم » (١

و يتحقق ذلك مما هو مدوَّن في الانجيل الطاهر وسائر الكتب المقدسة انهُ عندما كان يُقدَّم ذوو الاسقام للسيد المسيح وقديسيهِ يُبادر اولاً الى اصلاحهم وردّهم لطاعة الله وحفظ وصاياه ثم يمنحون اجسادهم الشفاء ويحذرونهم من العود للخطيئة لئلاَّ يزدادوا تأديباً وتصير آخرتهم شرّاً من اولاهم . ولهذا عندما تلمّ بنا التجارب والضربات والمكاره نلتجئ الى رحمة الله كما يلتجئ الابن الى ابيهِ ولو أدّبهُ على مخالفتهِ اذ تحنّ عليهِ احشاؤهُ ويرحمهُ و يحتضنهُ . وان لم تكن لك دالة عليهِ لاجل انك اسخطتهُ واحنقتهُ فاقصد الكهنة وذوي الفضل الذين وجوههم مسفرة لديه ليشفعوا بك كما ذكر عن ابرهيم انهُ خلص زوجة ابيمالك وجواريها من العقر بصلاته . وموسى خلّص شعب اسرائيل في البرّية من الغضب . وداود طرد روح السوء عن شاول بقراءة المزامير . وبطلبة لوط نجت مدينة شاكار من الحريق . وبتضرع البيعة انحلت قيود بطرس . و بطلبة بولس خلص النوتية من الغرق وغيرهم كثيرون

وقد ابقى لنا الرب ذخائر القديسين واجسادهم ليصيروا شفعاء ومتوسلين عن الذين يلتجئون اليهم كما هو مكتوب ان بطرس كان بظلّ جسده يشفي المرضى و بولس كان بالخِرَق التي سقطت عن جسده يُبرئ السقماء وبواسطة داود خلصت اورشليم من عسكر الموصل . و بشفاعة أُونيا وارميا انتصر المكابيون على الاعداء وامثال هذه كثيرة في الكتب المقدسة

وفي صلاة ستار الجمعة نقول « عظيمة قوة الصلاة التي يصلّيها البار صلّى

١) حزقيال ٢٢ : ١٩

موسى و بصلاته انهزم العمالقة من الاسرائيليين . وطلب داود فقتل الجبَّار . ويشوع ابن نون فربط الشمس والقمر . وفي هذا الجيل الخالي من الابرار الذين يتوسلون اليك لتكن عظام القديسين مبتهلة لاجل الخطأة لتصفح عن ذنوبهم » وكذلك ابقى لنا السيّد المخلّص جسده على المذابح مؤنساً في غربة هذه الحياة ومؤيداً ضد الاعداء وشفيعاً في الشدائد كقول الرسول « قد دنوتم الى يسوع وسيط العهد الجديد والى رش دم ينطق بابلغ من دم هابيل » (١ . فان دم هابيل كان يطلب النقمة على اخيهِ واماّ دم المسيح فيطلب النعمة والغفران . وكما ان النازفة بلمسها هدب ثوب السيّد نالت الشفاء كذلك البيعة بلمسها جسده تنال الشفاء من جميع اسقامها ونقدر ان نقول مع اشعيا « لولا ان رب الجيوش ترك لنا بقيّة يسيرة لصرنا مثل سدوم واشبهنا عمورة » (٢ . ولا يخفى ان هاتين المدينتين لم يكن بهما ابرار يشفعون امام الله فيهما كما كان يقول الرب على لسان حزقيال النبي « تطلّبت من بينهم رجلاً يشيّد جداراً ويقف على الثلمة امامي مدافعاً عن الارض لكي لا ادمّرها فلم اجد (٣ . فبعد صعود ربنا يسوع المسيح الى السماوات ابقى لنا جسده لينطق من اجلنا ويشفع بنا بابلغ من دم هابيل



الفصل الثالث

في تقريب الطلبة من أجل الموتى المؤمنين اذ نقول

ܡܛܠ ܡܗܝܡܢܐ ܕܡܝܬܘ ... [illegible]

(خصوصاً من اجل عبدك فلان الذي انتقل من بيننا)

ان ارواح الموتى المؤمنين تستفيد من الصلوات والقرابين التي نقدمها لله من

---

١) عبرانيين ١٢ : ٢٤
٢) اشعيا ١ : ٩
٣) حزقيال ٢٢ : ٣٠

اجلهم وهو أمر في غاية الوضوح حتى انهُ لا يحتاج الى برهان لان اهل الثقة والورع منذ بدء البيعة لم يزالوا يجنّزون اجساد الموتى بوقار ومصابيح و بخور و يقرأون عليها اناجيل ونبوّات وحسايات وطلبات ويكرمونها بالغسل والتكفين ويفرّقون عنها صدقات وحسنات و يقدمون قداسات وغربانيات وشمعاً وبخوراً وخدماً كل واحدٍ على قدر استطاعتهِ وما أفاضت النعمة بين يديهِ. فكل هذا تسلّمتهُ البيعة من الرسل والآباء القديسين لانهُ يفيد ربح الغفران والرحمة والنجاة من عقوبات النيران كما كتب في باعوت القومة الثالثة يوم الاربعاء

ܒܓܠܝܢ ܗܘܐ ܠܟܠ ܦܪܘܫܐ ܕܡܬܝܪܝܢ ܡܝ̈ܬܐ ܒܩܘܪܒܢ ܐܪ̈ܙܐ ܕܥܒܕܐ ܥܕܬܐ ܡܛܠܬܗܘܢ
ܘܚܕܝܢ ܡܝ̈ܬܐ ܥܡ ܩܘܪܒܢܐ ܕܡܩܪܒܝܢ ܚ̈ܝܐ ܘܪܓܫܝܢ ܒܓܗܢܐ ܒܕܒܚܬܐ ܚܝܐ ܡܛܠܬܗܘܢ (١

وكذلك رسمت البيعة ان جميع الصلوات والقداديس والبخورات والتذكارات التي نقدّمها لله يوم السبت تكون خاصة من اجل نفوس الموتى المؤمنين لكي يريحهم الرب مع القديسين في ملكوت السماء قائلين

ܢܣܝܡ ܐܚ̈ܝ ܐܦ ܩܘܪܒܢܐ ܐܦ ܕܘܟܪܢܐ ܕܐܚ̈ܝܢ ܘܕܡܢ ܐܦ ܕܐܒܗ̈ܝܢ ܪ̈ܘܚܢܝܐ ܒܫܘܦܪܐ
ܢܫܡܠܐ ܕܘܟܪ̈ܢܝܗܘܢ ܒܩܝܡܬܐ ܘܒܫܗܪ̈ܐ ܘܒܙܡܝܪ̈ܬܐ ܘܒܬܫ̈ܒܚܬܐ ܥܡ ܪܝܚܐ ܕܒܣܡ̈ܐ. ܢܒܥܐ ܠܐܠܗܐ
ܗܘ ܦܪܘܥܐ ܕܛܒ̈ܬܐ ܕܢܦܪܘܥ ܐܢܘܢ ܒܟܠ ܛܒ̈ܬܐ ܒܥܠܡܐ ܚܕܬܐ. ܚܠܦ ܐܘܠܨܢܐ ܕܣܒܠܘ
ܗܘ ܗܪܟܐ ܢܫܘܐ ܐܢܘܢ ܠܢܝܚܬܐ ܘܠܚܕ̈ܘܬܐ ܕܥܡ ܩܕ̈ܝܫܐ (٢

١) اي من الواضح لكل بصير ان الاموات يستفيدون من تقدمة الاسرار التي تصنعها الكنيسة من اجلهم ويفرحون بالقربان الذي يقربهُ الاحياء ويشعرون وهم في الجحيم بالذبيحة الحية المقدمة لراحتهم

٢) اي ثم لنضع يا اخوتي قرباناً وتذكاراً لاخوتنا وابائنا الروحيين ونكمل حسناً تذكاراتهم بالقيام والاسهار والتراتيل والتهاليل مع عطر البخور . نتوسل للاله ذاك المكافي الحسنات ان يجازيهم بكل الخيرات في العالم الجديد وعوضاً عن الشدائد التي احتملوها هنا يؤهلهم للراحة وللافراح مع القديسين

لكن كما انهُ بين جميع الافعال الفاضلة لا اجلّ ولا أفضل من تقدمة جسد الرب كذلك لا يفيد نفس المتوفى شيء مثلها كما نقرأ في دعوات الموتى بصوت ܦܘܡܗ̇ܐ

ܩܘܪ̈ܒܢܐ ܩܪܒܘ ܚܠܦܝ ܐܡܪܐ ܢܦܫܐ ܠܐ ܐܝܬ ܡܕܡ ܕܡܘܬܪ ܠܝ ܐܝܟ ܦܓܪܗ ܕܡܪܢ ܘܡܣܝ̈ܢܐ ܠܐ ܡܘܬܪܢ ܠܝ ܒܟܝܐ ܘܐܢ̈ܚܬܐ ܐܝܟ ܕܡܘܬܪ ܠܝ ܦܓܪܗ ܕܡܫܝܚܐ. ܘܐܢܬܘܢ ܟܗ̈ܢܐ ܕܩܝܡܝܢ ܒܒܝܬ ܩܘܕܫܐ ܨܠܘ ܥܠܝ ܕܐܙܠܐ ܕܐܬܩܒܠ ܩܕܡ ܡܪܗ ܕܥܠܡܐ (١

وبما ان قوماً من الروم قالوا ان الارواح لا تتعذب قبل القيامة واخرين زعموا انهُ ليس من محل لعذابها وافترى غيرهم قائلين ان الموتى لا يستفيدون شيئاً من طلبات الاحياء والقداديس التي يقدّمونها من أجلهم وجب ان نوضح الراي المستقيم من تسليمات البيعة المقدسة ومن كتب الشريعتين العتيقة والحديثة

اعلم ان الانسان من حيث انهُ انسان مركب من نفس وجسد. ففي وقت الموت تفارق النفس جسدها فالجسد يُحمل الى القبر والنفس تأخذها الملائكة الى امام الديّان العادل لتُحاسَب على افعالها الخاصة كقول الرسول « قد حُتم على الناس ان يموتوا مرّة واحدة و بعد ذلك الدينونة » (٢ . ولم يخفَ ذلك على علماء الروم فانهم في جناز الميت يقولون باسمهِ حين يودعونهُ هكذا « تعالوا يا جميع احبّاي قبّلوني قبلة الموت. لاني لست اعود فيما بعد اذهب معكم ولا اخاطبكم. بل انا ماضٍ الى الديّان الذي ليست عنده محاباة ولا أخذ بالوجوه. حيث يقف العبد والسيّد والملك والجندي والغني والفقير معاً في رتبة متساوية لان كل واحد بحسب اعمالهِ امّا ان يتمجد اويخزى. لاجل ذلك اطلب اليكم متوسلاً أن تبتهلوا الى الرب الاله من اجلي بغير فتور لكيلا أُرتَّب في مكان العذاب بسبب خطاياي لكن في نور الحياة» الخ

١) اي تهتف النفس قائلة قدّموا القرابين لاجلي فلا شيء يفيدني مثل جسد الرب. لا يفيدني البكاء والحسرات كما يفيدني جسد المسيح. وانتم ايها الكهنة الواقفون في بيت القدس صلوا لاجلي انا الذاهبة لاكون مقبولة امام سيد العالم

٢) عبرانيين ٩ : ٢٧

فمن هذه الشهادة البيّنة يثبت اولاً ان جميع الارواح حين تنفصل من اجسادها تذهب الى امام الديّان الذي ليس عنده محاباة ولا أخذ بالوجوه ليجازي كل واحدٍ على قدر افعاله . وهذه الدينونة تسمى خاصة لانها متعلّقة بكل نفس وحدها خلوًّا من الجسد الذي تنفصل منهُ . واماَّ الدينونة العامة فتكون في نهاية العالم حينما يرسل الله ملائكته لتجمع الاجسام من القبور بصوت البوق ويرسل كلّ الارواح لتلبس اجسادها وتحضر معًا للحساب العام

ثانيًا يتبيَّن من هذه الشهادة ان الانسان الخالص من الدنس والرجس مثل الطفل الذي يتوفى بعد العماد وكالشهداء الذين بذلوا حياتهم في حبّ المسيح فانهم يتمجدون ويُرتبون في نور الحياة كقول الرب «حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور» (١ . «وحيث اكون انا فهناك يكون خادمي» (٢

وهكذا يقرأون عدّة مرار في الجناز «أرحْ يا رب نفس عبدك الراقد في مكان نيّر في موضع خضرة في مقرّ راحة حيث زوال الشدة والتنهد والحزن» وفي موضع آخر «افتح لهُ باب الفردوس وأهلهُ للتلذذ السموي وهب لهُ الصفح عمّا اجترم في عمره . ورتّب نفسهُ حيث لا يوجد وجع ولا حزن الّا حياة لا تفنى . وايضاً نطلب من اجل راحة نفس عبد الله فلان الراقد ومن اجل غفران خطاياه الطوعية والكرهية لكيما يرتّب الرب نفسهُ حيث يستريح الصديقون لينال الرحمة الالهية والملكوت السموي وغفران خطاياه من المسيح الذي لا يموت»

ثالثًا من هذه الشهادة يتبيّن ان الانسان الذي تكون افعالهُ رديّة يخزى في الحساب ويترتّب في مكان العذاب بسبب خطاياه ويكون في وجع وحزن وتنهد الى الابد كما يذكر الرب عن الغني الذي دُفن في الجحيم حيث لهيب النار والعطش المحرق. وعن صاحب الوزنة الذي طُرِد الى الظلمة البرانية حيث البكاء وصريف

---

١) متى ٢٤ : ٢٨ ٢) يوحنا ١٢ : ٢٦

الانسان وبين هذا الموضع وبين مقرّ الصالحين اليأس وقطع الرجاء كما قال ابرهيم لذلك الغني « بيننا وبينكم هوّة عظيمة لا يقدر احد على العبور من هاهنا اليكم ولا من هناك الينا » (١ اعني لا يمكن لمن ترتّب في مكان العذاب ان يُفلت منهُ ويدخل النعيم ولا لمن ترتّب في نور الحيـاة ان يعدم ذلك النور وينتقل الى العذاب بل كلّ أحدٍ من الفريقين يخلد في موضعهِ كقول الرب على لسان الحكيم « اذا وقعت الشجرة جهة الجنوب او جهة الشمال فحيث تقع الشجرة هناك تكون » (٢

رابعاً يظهر من هذه الشهادة ان من لم يكن خالصاً من كل دنس وليس فائزاً بالطهارة الكاملة ليترتب في نور الحياة ولا هو متلطخ بالدنس الكامل ليترتب في الجحيم مكان العذاب ولكنهُ اعترف بخطاياه ومات على حب المسيح وبقيت عليهِ بعض قوانين او زلات او جرائم ليست مميتة يوضع في مكان ثالث ليوفي عن قوانينهِ ويتحلّ من هفواتهِ اما بعقاب يكون مرتباً في ذلك السجن او بشفاعة الاحياء الذين بصلواتهم وقداديسهم يطلبون لهُ الرحمة من الله لكي يغفر لـهُ وينقلهُ الى مقر الراحة ونور الحياة حيث يتمجد مع القديسين . ومن ذلك الموضع الثالث يتوسل المائت قائلاً « اطلب اليكم متوسلاً ان تسألوا الرب الاله من اجلي بغير فتور كيلا أُرتب في مكان العذاب بسبب خطاياي بل في نور الحياة »

وكذلك يطلبون من اجلهِ قائلين « نيّح عبدك يارب وأعرض عن زلاتهِ . فك قيود خطاياه يا جزيل الرحمة . امنحهُ النجاة من الزلات والجرائم . أعرض عن ذنوبهِ المفعولة منهُ باختياره او بغير اختياره التي بمعرفة او بغير معرفة . وبما انك صالح ومحب البشر اغفر لهُ كل خطية فعلها بالقول او بالفعل او بالفكر لان ليس انسان يحيا ولا يخطئ الّا انت وحدك بريءٌ من الخطايا وعادل الى الابد »

ولاجلهِ يطلبون شفاعات السيدة والقديسين اذ يقولون « ايتها الطاهرة العذراء النقية وحدك انت ولدت الاله بغير زرع توسلي اليهِ ان يخلّص عبدك هذا » وايضاً

١) لوقا ١٦ : ٢٦ ٢) جامعة ١١ : ٣

« ايها المسيح ان شهداءك الابطال في المنازل السموية يتوسلون اليك دائمًا من اجل المؤمنين الذين نقلتهم اليك فأهلهم لنيل الخيرات الابدية »

فمن هذه الشهادات وكثير غيرها يتبين ان الروم يقرّون بان ارواح الصالحين تدخل السماء وتتمجد بمشاهدة الحق قبلما تلبس اجسادها كما يقول الرسول « لي رغبة ان انحل فأكون مع المسيح » (١ . وأن ارواح الاشرار تهبط الى الجحيم وتتعذب هناك في لهيب النار والدود الذي لا يموت كما ذكر الانجيل عن ذلك الغني وأن انفس المؤمنين الذين رقدوا على الرجاء ثابتة في موضع ثالث للوفاء عن الدين الباقي عليها وانها تستفيد كثيرًا من طلبات وقداسات المؤمنين ومن شفاعة القديسين وتضرعهم

فلهذا رسم الآباء ان نتصدق عنهم للكهنة والفقراء والبيَع ونقدّس لهم خاصة في اليوم الثالث لان الرب في ثالث يوم قام من بين الاموات وصار بكرًا ورأس المضجعين . وفي الاربعين لانهُ في الاربعين صعد الى السماء . وفي التاسع ليصيروا شركاء لتسع طغمات الملائكة ولاسيما لان الرب بعد صعوده بتسعة ايام ارسل الروح البارقليط حتى احيا الرسل وشجعهم . وفي تمام السنة حتى كما نكرم بهِ ميلاد القديسين كذلك يكونون لهم شركاء في الحياة الدائمة

اخيرًا يثبت هذا الراي من اقوال الآباء اركان البيعة الذين جملوا كنيسة الروم وكل المسكونة بعلومهم الالهية لان يوحنا الذهبي الفم قال « فلنسعف الموتى لا بالدموع بل بالطلب والابتهال والزكاة » وفي موضع آخر يقول « لم يأمر الرسل باطلًا ان نصنع تذكار الموتى لانهم علموا ان ذلك يفيدهم فائدة جزيلة » وايضًا القديس ابيفانيوس يقول « ان الصلاة من اجل الراقدين هي من جملة تعليم الكنيسة . وبما ان هيرودوس اعتقد بخلاف ذلك دعي مبتدعًا ومناصبًا للحق » وقال البار كيرلوس « فانطلب من اجل جميع الذين توفوا من بيننا لاننا نعتقد حصول منفعة عظيمة

١) فيلبي ١ : ٢٣

للانفس التي تُقرَّب من أجلها ضحية القربان الطاهر »

وسئل القديس اثناسيوس عما اذا كان الموتى يستفيدون من طلبات الاحياء فاجاب انهم يستفيدون لا محالة . ويقول غريغوريوس النيساوي في شرحه على الصلاة لاجل الموتى ان النفس اذا كانت مائلة الى الشهوات البهيمية في حال خروجها من الجسد تعرف ما هو الفرق بين الشر والخير ولا تقدر ان تشارك اللاهوت اذا لم تنتقِ اولاً في نار المطهر من جميع أدناسها . فمن هذه الشهادات ومن غيرها وهي كثيرة العدد يثبت ان هذه الامور بمعزل عن الشبهة وما ابدع خلافها الّا ذوو الغايات وأهل الفساد العادمون تقوى الله

الفصل الرابع

في البرهان على وجود المطهر من العهدين الجديد والعتيق

بعد ان استوفينا الكلام في الفصل المتقدم طلب منا بعض الكهنة ان نذكر نصوص الكتب الالهية المثبتة عذاب المطهر فرأينا سؤالهم يستحق الاجابة لان الامر محجوب عن ابصار الناس واكثر طلبات المؤمنين وقداديس الكهنة لاجل الموتى وعليهِ نثبت ذلك

اولاً من قول بولس الرسول ضد الذين ينكرون قيامة الموتى قائلًا « ان كان الموتى لا يقومون فماذا يصنع الذين يصطبغون من اجل الاموات . وان كان الاموات لا يقومون البتة فلماذا يصطبغون من اجلهم » (١ . كأنهُ يقول ان كان الاموات لا يقومون فلماذا الحزن والبكاء لماذا لبس السواد والعذاب وان كانوا لا ينتفعون فلماذا المحافل والدعوات ولماذا الجناز والرحمات ولماذا الزكاة والصدقات ولماذا الصلوات والقداسات وان كان الموتى لا ينتفعون من هذه الافعال فلنا ان نقول بكل جراءة

١) ١ كورنتس ١٥ : ٢٩

انهُ ليس اكفر واعظم دينونة من الكهنة الذين يأكلون خبز الايتام ورزق الارامل لاجل الدعاء والصلاة . وقد قال الله « لا تظلموا الارملة والقريب واليتيم » (١ . وقال ايضاً « أغيثوا المظلوم وانصفوا اليتيم وحاموا عن الارملة » (٢ . واذا كان الموتى لا يستفيدون تكون الصلاة والقداديس ظلماً معاذ الله من ذلك

ثانياً يثبت ذلك من قول بولس الرسول « كل يأخذ اجرته على قدر تعبه . وان بنى انسان على هذا الاساس الذي هو المسيح ذهباً او فضة او حجارة ثمينة او خشباً او حشيشاً او تبناً فان عمل كل واحد سيكون بيّناً لان يوم الرب سيظهره اذ يُعلَن بالنار وستمتحن النار عمل كل احد ما هو . فمن بقي عمله الذي بناه على الاساس فسينال اجره ومن احترق عمله فسيخسر الا انهُ سيخلص ولكن كما يخلص من يمرّ في النار » (٣

يريد بقولهِ ان الله لا يحرم احداً من تعبه بل على قدر تعبه ونصبه في هذه الحياة تكون مجازاته في الآخرة . وتعب كل انسان يفحصهُ الله ويطهره بالنار لا في نار الجحيم التي بلا رحمة بل في نار المطهر . وايضاحاً لكلامه رسم لنا مثال البنّاء الحاذق الذي يجعل اساس بنيانه وجدرانه من الحجارة الثمينة حتى اذا احاطت بهِ النار يخلص هو وبناؤه من الحريق . وان كان بناؤه من الحشيش والخشب يحترق بيته لكن هو ينجو . كذلك الانسان المؤمن ان كان هو كاملًا في الايمان والافعال وجعل اساسه على الايمان كالذهب وحيطانه على الرجاء كالفضة وسقفهُ بالحجارة الكريمة على المحبة وبقية الفضائل فاذا رقد بالرب ودخل نار المطهر ليُمتحن يكون عمله مقبولاً ومرضياً . وكشبه البنّاء الحكيم يأخذ الجزاء في ملكوت السماء ويقيمهُ الرب على جميع ماله . وان كان هو مستقيم الامانة وحسن السيرة لكنه متوانٍ في وفاء القانون وتنظيف نفسه من الجرائم والزلات حينئذٍ يحترق عمله وهو ينجو . اعني انهُ اذا

١) زكريا ٧ : ١٠ ٢) اشعيا ١ : ١٧

٣) ١ كورنتس ٣ : ٨و١٢

حضر قدام الله يأمر ان يلقى في النار ليغتسل كالثوب الوسخ ويُسبك كالمعدن وتحرق النار زلاته العرضية ثم يخلص من النار ويدخل في مستقر الراحة الدائمة

ثالثاً يثبت وجود المطهر من قول الرب في الانجيل الطاهر «من جدف على الروح القدس فلا مغفرة لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي» (١

فمن هذا يُستدل ان من الخطايا ما يُغفر في هذا الدهر وفي الآتي اي في المطهر. وفي موضع آخر قال «بادر الى موافقة خصمك ما دمت معهُ في الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضي ويسلمك القاضي الى الشرطي فتلقى في السجن الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس» (٢

اذاً يوجد في الآخرة سجن يوفي بهِ الانسان آخر فلس عليهِ وهذا هو المطهر. وكذلك حين يتكلم عن ذلك العبد الذي خنق رفيقه من اجل ما كان لهُ عليه فيذكر ان سيده غضب عليه ودفعهُ الى المعذبين حتى يوفي عن جريمتهِ. وكذلك يقول «ان لم تغفروا الناس فابوكم ايضاً لا يغفر لكم زلاتكم» (٣

اذاً يوجد في الآخرة موضع يوفي بهِ الانسان جميع ما عليهِ والى هذا الموضع نزل المسيح بروحهِ وخلّص كل الذين كانوا مستعبدين فيهِ تحت تَبِعة الخطيئة كقول بطرس الرسول انهُ «نقض الهاوية» لانهُ غير ممكن انه يتعذب لاجل الخطية اذ هو بريء من كل خطية والذين هم ساكنون في المطهر هم احباء الله ويمجدون لهُ ويترجون رحمتهُ كقول الرسول عن المسيح «تجثو لهُ كل ركبة مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض. ويعترف كل لسان ان الرب يسوع المسيح هو في مجد الآب» (٤

رابعاً يُبرهن وجود المطهر من وصية طوبيا البار لولده ان يعطي من اجله صدقة ويضع خبزاً وخمراً على قبره ولا يأكل ذلك مع المنافقين بل مع

١) مرقس ٣ : ٢٩ — ٢) متى ٥ : ٢٥
٣) متى ٦ : ١٥ — ٤) فيلبي ٢ : ١٠

الصالحين . ولماذا ذالك الا لعلمه انهُ بطلبات الابرار يشفق الله على الاموات ويعطيهم الراحة

خامساً يُبرهن وجود المطهر مما هو محرّر في سفر المكابيين الثاني وهو انهُ لما انتشبت الحرب بين اليهود والامم الغريبة وانتصر الاعداء عليهم أَمر يهوذا المكابي ان يُجمع في اليوم السابع القتلى ويدفنوا مع آبائهم فوجدت بينهم اصنام فتحققوا ان الله ما اهملهم الا لاجل تدنسهم بالاصنام . ولذالك امر الشعب ان يبادر للصلاة وجمع منهم ثلاثة آلاف درهم وارسلها الى بيت المقدس لتقدم بها ذبائح لله استغفاراً عن خطية القتلى

ويذكر السفر المقدس ان قد ابتدأ كل العسكر بتقريب الصلاة والطلبة لله كي لا تُكتب عليهم خطية كاملة وجمع ثلاثة آلاف من الفضة وارسلها الى بيت المقدس لكي تقرّب بها ضحايا لاجلهم وكان صنيعهُ هذا قرين الحكمة . ولو لم يكن لهُ رجاء بالقيامة لكان من اعظم الجهل ان يلتجئ الانسان الى الصلاة وتقدمة القرابين لراحة الموتى

فمن هذه الشهادة وكثير غيرها مما لم نذكره يلتزم المؤمنون بتقريب الصلوات والقرابين عن امواتهم لان كثيرين منهم يموتون بالقداسة دون ان يكونوا ابرياء من ادران الخطية التي تُمحى بطلبات المؤمنين وقرابين الكهنة . ولهم موضع للوفاء والعقاب ويسمى سجن المطهر وفيهِ الانفس توفي عن زلّاتها في النار وعنهُ قال بطرس الرسول « ان المخلص انطلق الى الارواح التي كانت محبوسة فبشرها » (١ . والبيعة تسميه الفخ الممتلئ ظلاماً وفزعاً ونهر اللهبة والهاوية القاتمة وذى الكبريت والروائح المنتنة والسجن المريب المتوفر السجس والاحزان والكآبة والمدخل المظلم حيث يسكن الشياطين وتكمن الشيع الخبيثة وتخرج النار متدفقة كالنهر من قدام وجه الرب لتمحص ارواح البشر وتنقيها . واخص عذاب في ذلك الموضع هو

١) ١ بطرس ٣ : ١٩

النار كما قال الرسول « ستمتحن النار عمل كل واحد » (١

وقد اوردنا من كلام غريغوريوس النيساوي ان النفس لا تقدر ان تشارك اللاهوت اذا لم تتنقَّ اولاً في نار المطهر من جميع الادناس وفي هذا المعنى فسر الآباء مقال داود « ادخلتنا في النار والماء ثم اخرجتنا الى ريف » (٢ . وكلام اشعيا « يرحض السيد قذر بنات صهيون ويمحو الدماء من اورشليم بروح العدل وروح الاحراق) (٣ . وقول ملاخيا « من يحتمل يوم مجيئه ومن يقوم عند ظهوره فانهُ مثل نار المحص وكأُشنان القصَّارين فيجلس ممحصاً ومنقياً الفضة فينقي بني لاوي » (٤ . وقول ذكريا « وانت بدم عهدك اطلقت اسراك من جب لا ماء فيهِ » (٥

فمن هذه الشهادات الالهية يتبين علناً ان الرب يدخل عبيده الى جب قاتم لا ماء فيهِ وينظفهم بالعدل والنار كما تنظَّف الفضة في الكور ثم يخرجهم كالاسرى الى الفرج والراحة واخيرًا يرتبهم مع القديسين في الخدور السماوية

الفصل الخامس

في تقريب الطلب من الوالدين وذوي الاحسان اذ نقول

ܐܠܗܐ ܥܒܕ ܕܘܟܪܢܐ ܠܐܒܝ ܘܠܐܡܝ

(اصنع اللهمَّ تذكارًا صالحاً لوالديَّ)

لما اعطى الحق سبحانهُ وتعالى الوصايا العشر على اللوحين أَمرنا في اللوح الاول ان نحب الله ونكرمه فوق كل شيء . وفي الثاني ان نكرم والدينا ونحب قريبنا مثل نفسنا . وقال الله « اكرم اباك وامك ليطول عمرك على الارض » (٦ وقال ايضاً « من

---

١) ١ كورنتس ٣ : ١٣
٢) مزمور ٦٥ : ١٢
٣) اشعيا ٤ : ٤
٤) ملاخي ٣ : ٢
٥) ذكريا ٩ : ١١
٦) خروج ٢٠ : ١٢

ضرب اباه او امهُ فليُقتل قتلًا » (١ وقـال الرسول « ايها البنون اطيعوا والديكم في الرب فان هذا هو العدل . اكرم اباك وامك تلك اولى الوصايا في الموعد » (٢

فاذا كان الرسول يشهد ان هذه الوصية ابرّ واتقى واهل العالم يحافظون عليها فكم يكون التزام اهل الكهنوت بها شديداً . والمقصود من اكرام الوالدين ان نحبهم ونسمع كلامهم ونسرع لمكافأتهم عن صنيعهم معنـا كما اوصى ابن سيراخ قائلًا « اكرم اباك وامك ولا تنسَ مخاض امك . اذكر انك بهما كوّنت فماذا تجزيهما مكافأة عما جعلا لك » (٣

اما فضلهم فهو اولاً انهم اعطونا الوجود ولولاهم لما كنا . ثانياً انهم ربّونا بتعب وشقاء . ثالثاً انهم علّمونا الصنائع والادب . فمن جهة الوجود لا يمكننا ان نكافئهم لكن يجب ان نحتمل نقائصهم ونحبهم بكل قوتنا حتى يحفظنا الله بحسن دعاهم في الوجود الذي اعطونا اياه كقول الحكيم « يا بنيّ أعن اباك في شيخوختـه وان ضعف عقله فاعذره ولا تُهنهُ وانت في وفور قوتك . فان الرحمة للوالد لا تُنسى . اكرم اباك بفعالك ومقالك لكي تحل عليك البركة منه » (٤

ومن جهة التربية فهذه لا نستطيع ان نكافئهم عليهـا الا بأَن نقدم لهم حاجتهم من القوت والكسوة لان هذا هو خاصة المقصود بامر الرب القائل « اكرم اباك وامك » كأَمر الرسول « ان الكهنة الذين يحسنون التدبير هم اهل لكرامـة مضاعفة » (٥ اي القوت والكسوة . ولما كنا لا نستطيع مكافأَتهم بدل العلم والادب وجب ان نجتهد لنوفيهم حقهم بالصـلوات والقداديس لكي يشملهم الله بالرحمة وبعد الآخرة الحميدة يريحهم في ملكوتهِ السماوي فمن قام بهذه الشروط مع والدَيه استحق الاكرام من الله والناس كما بارك اسحق ابنـه يعقوب قائلًا « يعطيك الله من ندى السماء ودسم الارض » (٦

١) خروج ٢١ : ١٥ ٢) افسس ٦ : ١ ٣) ابن سيراخ ٧ : ٢٩
٤) ابن سيراخ ٣ : ١٤ ٥) ١تيموتاوس ٥ : ١٧ ٦) تكوين ٢٧ : ٢٨

اعني خيور السماء والارض. فخيور الارض هي خمسة: طول العمر وكثرة الرزق وزيادة البنين ودوام الزرع وحفظ العز والكرامة. وهذه الخيور قد وعد الله بها كل من يكرم والديه في كتبه المقدسة وخاصةً على لسان ابن سيراخ فعن طول العمر قال «من احترم اباه طالت ايامه» (١. وعن زيادة الرزق قال «من احترم امه فهو كمدخر الكنوز» (٢. وعن كثرة البنين قال «من اكرم اباه سُرّ باولاده» (٣. وعن دوام النسل قال «بركة الاب توطد بيوت البنين ولعنة الام تقلع أُسسها» (٤. وعن الكرامة قال «فخر الانسان بكرامة ابيهِ ومذلة الام عارٌ للبنين» (٥

اما الخيور الروحية فهي خمسة ايضاً: اجابة الصلاة والنجاة من التجارب ومغفرة الخطايا والبركة في هذه الدنيا والحياة الدائمة في الآخرة. وهذه الخيور الخمسة قد وعد بها الله ايضاً على لسان الحكيم لمن يكرم والديه اذ يقول عن اجابة الصلاة «من اكرم اباه في يوم صلاته يُسمع لهُ» (٦. وعن النجاة من التجارب قال «الرحمة للوالد لا تنسى وتُذكر يوم ضيقك» (٧. وعن مغفرة الخطايا قال «الرحمة للوالد تحل خطاياك كالجليد في الصحو» (٨. وعن البركة في الدنيا والحياة الدائمة في الآخرة قال «اكرم اباك لكي تحل عليك البركة منهُ وتبقى بركته الى المنتهى» (٩

وبخلاف ذلك من يحقر والديه او يلعنهما او يضربهما يعدم كل هذه الخيور ويستحق التأديب في هذه الدنيا وفي الآخرة كما هو مكتوب في سفر الخروج «من لعن اباه وامه فليقتل قتلًا» (١٠

ورسمت البيعة ان نذكر الوالدين بالقداس اذ نقول «اللهمَّ اصنع رحمةً وذكرًا

---

١) ابن سيراخ ٣: ٧ ٢) ٣: ٥ ٣) ٣: ٦
٤) ٣: ١١ ٥) ٣: ١٣ ٦) ٣: ٦
٧) ٣: ١٥ ٨) ٣: ١٧ ٩) ٣: ٩ ١٠) خروج ٢١: ١٧

صالحاً لابي وامي » حتى يتحرك القلب لمحبتهما وتكريمهما بتقريب الطلب عنهما ونحظى نحن وهما بالغفران كقول الحكيم « الرحمة للوالد لا تنسى و باحتمالك هفوات امك تجزى خيرًا وتُذكر يوم ضيقك وكالجليد في الصحو تحل خطاياك » (١

وبعد تذكار الوالدين أمرتنا بتقريب الطلبات عن المحسنين الينا كوصية الرسول « ادّوا لكلٍ حقه المهابة لمن لهُ المهابة والكرامة لمن لهُ الكرامة » (٢ . كذلك توصي البيعة ان نذكر هاهنا كل من لهُ معنا تعب واشتراك او اوصانا بان نذكره وأفهم بذلك اولاً المحسنين الينا . ثانياً المعتصمين بنا روحاً او جسداً . ثالثاً المتفضلين على الكنيسة . رابعاً المشتركين معنا في خدمة الاسرار . فمن جهة المحسنين الينا في العلم او في التربية او في القوت والكسوة فهولاء تذكارهم واجب لانهُ ليس احد يتعب الا اذا رجا الربح ولهذا قال الرسول « ادّوا لكل حقه »

ثانياً اما المعتصمون بنا روحاً كالذين قبلونا من حوض المعمودية والذين علّمونا وهدونا الى طاعة الله والذين تلمذونا في الكهنوت والرهبانية فتذكارهم واجب ايضاً وهكذا المعتصمون بنا بالجسد هم كالاخوة والبنين والاقارب وقد كتب ان هارون الكاهن كانْ يصلّي عن نفسه وعن اهل بيته . وذكر في الانجيل المقدس انهُ بطلبات سمعان واخيهِ ابرأ الله حماته من الحمّى وبطلبة موسى عفا الله عن خطية هارون حين صنع العجل وبصلاة برهيم خلص لوط من نار سدوم وطوبى لذلك البيت الذي ينشأ منه كهنة صالحون لانهُ بصلواتهم تجوز عنهم الضربات وينالون خيوراً جزيلة من الله

ثالثاً المتفضلون على البيعة في البناء او الصيانة او الخدمة او النذور يستحقون الذكر الصالح كما ذكر لوقا الانجيلي « ان المسيح شفى ابن القائد لانهُ بنى مجمعاً للشعب » (٣ . وسليمان لاجل انهُ بنى الهيكل ظهر لهُ الله مرتين ووعده انه يثبت كرسيه الى الابد ان سلك في سنته

١) ابن سيراخ ٣ : ١٥
٢) رومية ١٣ : ٧
٣) لوقا ٧ : ٥

رابعاً يشترك مع الكاهن في استحقاق القداس جميع الحاضرين اولاً الشمامسة وباقي الشعب لانهم شركاء معهُ في تلك التقدمة فلهذا يستغفر منهم وهم منهُ ويطلب لاجلهم وهم لاجله وعنهُ وعنهم يقدّم لله تلك الضحية راجياً ان الله بصلاة بيعته يُفيض إنعامه على كل احد حسب استحقاقه كما يُفرّق القوت على البدن ونور الشمس على الارض. وتذكار الوالدين وذوي الاحسان هو امر واجب في تذكار طفولية الرب لانه مكتوب «انهُ كان يطيع ويخضع ليوسف ومريم ويتقدّم في الحكمة والسن عند الله والناس» (١

الفصل السادس

في كيف يجب ان يُصنع تذكار القديسين والاحياء والاموات في ايام السبة

بعد ما تكلمنا مفصلاً عن تذكار القديسين واولاد البيعة والمحسنين الينا رأينا من اللائق ان نضع ترتيب تذكارهم في الاسبوع فان كثيراً من الكهنة ليس عليهم قداديس يلتزمون بها ولا يعلمون من اجل من يقدسون فلذلك آباؤنا المتقدمون بالهام الروح القدس رتبوا الصلوات والقداسات ليُحفظ هذا الرسم في رعية انطاكية وسائر المشرق : يوم الاحد للكهنة والشمامسة والموتى المؤمنين . الاثنين للتائبين والملائكة . الثلاثاء من اجل خطية العالم . الاربعاء لوالدة الاله . الخميس للانبياء والرسل والآباء العلماء والنسّاك . الجمعة للصليب ولحفظ الاحياء وراحة الموتى ولكل من لهُ شركة . السبت للغرباء الذين ماتوا في البرّ والبحر والايتام والارامل

وهذه الرتبة هي حسنة ومقبولة . لانها تشمل طبقات البشر الثلاث الاحياء والموتى والقديسين . فالاحياء يُقدم القداس عنهم يوم الاثنين . ويوم الثلاثاء يُقدّم عن

١) لوقا ٢ : ٥١

الموتى وكذا الاحد والسبت · والمطوبون يصنع تذكارهم الخميس والجمعة · ويوم الاربعاء لوالدة الله · والسبت للمنقطعين

وهذه الرتبة موافقة لخلقة العالم والصلوات المرتبة في ايام الاسبوع اولاً يوم الاحد هو اول الايام وفيه خلق الله السماء والارض وفيه قام المخلص من بين الاموات لذلك يجب فيه الانقطاع عن كل الاشغال وينبغي لاولاد الايمان ان يجتمعوا الى بيت الله لسماع الصلوات والكتب المقدسة وتعليم الاباء القديسين وشركة الاسرار ويتوسلوا من اجل الموتى · وخاصةً من اجل الرعية التي هم مقيمون فيها كما نتوسل في حسباية الصبح

ثانياً يوم الاثنين يُصنع تذكار الملائكة الاطهار الذين يعضدون بيعة الله ويرشدون بنيها بعمل الصلاح لانه في هذا اليوم خلق الله الرقيع · ثم نتوسل بالصلوات لاجل الخطاة لان الرب قال انهُ يصير فرح في السما عظيم بتوبة خاطئ واحد افضل من تسعة وتسعين لم يخطئوا

ثالثاً يوم الثلاثاء خلق الله النبات والاشجار ولأن والدينا اكلا من شجرة المعرفة واخطاءا وخسرا النعمة لذلك الصلوات والقداديس نقدّمها عن خطية العالم

رابعاً نهار الاربعاء خلق الله النيرات في السماء ومن ثم رسمت البيعة ان نطلب فيهِ نور معرفتهِ لنسلك مستقيماً في سبل شريعتهِ بلا عثرة · وفي هذا اليوم يصنع تذكار خصوصي لوالدة الله والراقدين من الكهنة واكراماً لها ننقطع عن الزفر لانهُ فيهِ صارت مؤامرة الكهنة على موت الرب فحزنت البتول مع التلاميذ وفيهِ اقتسم الرسل البشارة وقدّسوا القداس الاول بعد صيام طويل

خامساً يوم الخميس يصنع تذكار لجميع مواكب الاطهار الآباء والانبياء والرسل والملافنة والنساك وباقي القديسين الذين ارضوا الله بحسن افعالهم لانهُ بهِ خلق الله الحيوانات والدبابات وطير السماء وقد ماثلها القديسون في اصناف

الشجاعة والخنو والتعب والطيران بالمناظر الالهية وباقي الفضائل . وانما يُصنع تذكارهم بعد والدة الله لاجل سلوكهم في النقاوة وجهادهم في انتشار الايمان . ولا يصنع تذكار الشهداء لانهم كثيرون جدًّا فنذكرهم في القومة الثانية من صلاة الليل وفي سنكسار الشهداء

سادساً يوم الجمعة خُلق ابونا آدم وفيه تعدى الوصية وفيه كان تجسد ابن الله وموته على خشبة الصليب فاستفكه هو وجميع ذريته من الهلاك . ومن ثم نطلب فيه من اجل حفظ الاحياء وراحة الموتى ومن اجل المحسنين الينا الآن . وفيه بذل المسيح نفسه لخلاص كل واحد . وبما انهُ صنع هذا كلهُ مجانًا فكذلك نسألهُ ان يكمل فضلهُ ونعمته مع المحسنين الينا ويجازيهم بالخيور في هذا الدهر والآتي

اخيرًا يوم السبت فرغ الله واستراح من خلقة العالم وفيه نطلب منهُ ان يفرّج عن الايتام والارامل ويريحهم من شقاء هذا العالم . وكما ان المخلص يوم السبت أقام العازر من بين الاموات وعزّى اخوته وفيهِ سبَت هو في القبر ثم ظهر لوالدته وتلاميذه كذلك نطلب من اجل آبائنا واخوتنا ومعلمينا بالروح والجسد وجميع الذين رقدوا بالرب في مدينتنا او قريتنا لكي ينجيهم الله من الهاوية ويريحهم في ملكوته السموي

الفصل السابع

في تقريب الكاهن الطلب عن نفسه قائلًا

ܬܠܝܬܝܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܐܬܪܚܡ ܥܠܝ

(ايها الثالوث الاقدس ارحمني)

بعد ان يكمل الكاهن تذكار الاحياء والموتى عمومًا وخاصةً يقرب التضرع عن نفسهِ وهو امر واجب لان الرب امر ان يحب الانسان قريبهُ مثل نفسهِ . وبما

انهُ كان في العتيقة كل يوم يبدأ بتقريب الذبائح عن خطاياه ثم عن الشعب كما هو محرر في سفر الاحبار فكهنة العهد الجديد يبدأون بتقريب الضحية الالهية عن خطايا الشعب ثم عن نفوسهم لان ابن الله مات دون كل الناس وكذلك الراعي الصالح السالك كالتلميذ الجيد في اثر معلمه يبذل نفسه دون خرافهِ كما قال الرسول « وددت لو اكون انا نفسي مُبسلًا للمسيح من اجل اخوتي ذوي قرابتي بحسب الجسد » (١

وكما ان الراعي الصالح يسوق غنمهُ قدامهُ في موضع الخطر لئلا تنهشها الذئاب الكاسرة كما هو مكتوب ان العمالقة كانوا يكمنون للشعب في القفر ويبطشون بالمقصرين عن اخوتهم كذلك ههنا الكاهن يذكر اولاً جميع مراتب البشر وبعد ذلك يذكر نفسه ويقول سرّين عن ذاتهِ . في الاول يطلب الرحمة والعفو عما سلف منهُ . وفي الثاني يسأل الثبات والصيانة في الزمان المزمع . ومن خصوص السر الاول يطلب الرحمة وقبول القربان منهُ وان يصفح الرب عن جميع ما اخطأَ وأَجرم بهِ فيسأَل اولاً الرحمة لانهُ بدون رحمة الله لا نقدر ان نأتي بشيء من الصلاح ولا نستطيع ان نقول او نلفظ كلمة فاذن كيف تُقبل بدونها قرابيننا

ثانياً نطلب منهُ ان يغفر ويمحو جميع جرائمنا لان الانسان ضعيف ومحل النقص ولو اعترف بخطاياه لمعلم الاعتراف لا يمكنهُ ان يصف سائر العرضيات التي يتعذر خلوه منها ما دام مرتبطاً بالهيولى . وهذه ولو انها لا تمنع النعمة ولا تزيل حلول الروح لكنهـا تبرد الحرارة وتجعل الانسان يتوانى في الفضائل ويخدم ربه بضجر ومن احتقرها سريعاً يسقط كما قال الحكيم « الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً في الكثير (٢ . ثم ان الانسان ولو اعترف بالخطية لا ينجو من الميل اليهـا وخاصة اذا كان متعوداً كقول الرسول « لكني ارى ناموساً آخر في اعضائي يحارب ناموس روحي ويأسرني تحت ناموس الخطية الذي هو في اعضائي » (٣

١) رومية ٩ : ٣ ٢) ابن سيراخ ١٩ : ١ ٣) رومية ٧ : ٢٣

وضد هذا الميل نطلب من الرب ان يُزيل عنا رباطات العوائد الردية ويقوّم عِوَجنا الذي يجذبنا الى الاهواء السمجة . وبما ان الانسان ولو اعترف بخطاياه لا يندم عليها ندماً يعادل التذاذه بها ولا يوفي قريبه وفاء يضاهي الخسارة التي انزلهـا بهِ ولا يخضع لله الخضوع الواجب ولا يكون القانون الذي يقوم بـهِ كفوءاً لمحو آثار الخطية ونُدوب كلومها لذلك نطلب من الله ان يصفح عنا ويمحوها من دفتر السخط كما كان يطلب داود قائلاً « احجب وجهك عن خطاياي وامحُ جميع آثامي » (١ وفي موضع آخر يلتمس الصيانة من الخطايا المزمعة اذ يقول « أَمل قلبي الى شهاداتك واصرف عيني عن النظر الى الباطل وأَحيني في طريقك » (٢

واراد بذلك ان يوليهُ ضبط القوى الباطنة والحواس الظاهرة فان « العين هي سراج الجسد فاذا كانت عينك — يا هذا — بسيطة فجسدك كلهُ يكون نيّراً وان كانت شرّيرة فجسدك كلهُ يكون مظلماً واذا كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كيف يكون » (٣ اعني اذا كان عقلك يا انسان مرتبطاً بالزائلات فكيف تكون سائر حواسك كالنظر والسمع والذوق والشمّ واللمس التي هي نوافذ يدخل منها الموت الى النفس كما قال ارميا النبي . والقديس اثناسيوس بطرك اورشليم لما فسر هذا الكلام قال « ان النفس اولاً تبصر الشيء ثم تشتهيه ثم تتكلم بهِ ثم تسمع الجواب ثم تلمس وتشمّ وحينئذٍ تكمل الخطية »

والقديس غريغوريوس الثاولوغوس قال « ان الحواس هي سُبل الذهن وبها يخرج ظاهراً فيشتهي باطناً ما يكون خارجاً عنه » . وقد شبهها بعض الآباء بالمنارة لانهُ بوساطتها يحصل الهلاك كقول الرب « من نظر الى امرأة غيره لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (٤

وقال القديس برنردوس « لو لم يكن سمع لما وجد من يتكلم بالرديء واذا لم يعد

١) مزمور ٥٠ : ١١ ٢) مزمور ١١٨ : ٣٦

٣) متى ٦ : ٢٣ ٤) متى ٥ : ٢٨

الانسان يده للقتل والسرقة لا يحصل شيء منهما » . ثم ان داود بعد طلبه الصيانة من الخطايا يطلب قائلاً « امتحن بالنار كليتيَّ وقلبي لكي اسلك في حقك واحدّث بجميع عجائبك » (١

ولا يقصد بذلك الا ان يعتصم بالرب في الروح حتى يصير معهُ واحداً كقول الرب « لاجلهم اقدّس ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدّسين بالحق ويكونوا باجمعهم واحداً . كما انك ايها الآب فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً فينا واحداً » (٢ . كثيرون المدعوون الى تناول جسد الرب لكن قليلون المختارون الذين يتناولون مع جسد الرب مواهبه . ولكن كيف يصير هذا الاعتصام فقد فسرتهُ لنا البيعة انهُ لا يكون بالكلام فقط ولهذا تأمر الكاهن ان يجمع يديه ويضعهما فوق الاسرار اعني انهُ يقدّم روحه وجسده قربان رضًى مع تقدمة جسد الرب كقول داود « انك لا تبتغي ذبيحة ولا ترتضي بمحرقة انما ذبائح الله قلب منكسر » (٣

وقال السروجي في الميمر العشرين عن التوبة ܗܘܝܘ ܫܒܩܘܗܝ ܕܘܟܝ ܠܫܒܝܐ ܐܝܟ ܐܒܪܗܡ . ܘܫܒܘܩ ܠܫܒܝ ܐܝܟ ܠܫܒܝܬܐ ܩܕܡ ܡܟܣܘܗܝ فان الله قد ابطل تقدمة الثيران والكباش ولا يطلب منا قرابين وعشوراً خارجية بل يريد انفسنا واجسادنا المعتصمة بهِ وان تكون مشيئاتنا واهواؤنا منقادة اليهِ ومضحّاة امامه كضحية الرضا حتى لا يكون لنا انجذاب الى آخر سواه ليُسرّ بنا ويستنشق روائحنا افضل من العطر الطيب . لان الذين هم جسديون ففي امور الجسد يهتمّون وآخرتهم للموت والذين هم للروح فبما للروح يهتمّون وعاقبتهم الحياة الابدية

---

١) مزمور ٢٥ : ٢ ٢) يوحنا ١٧ : ١٩ ٣) مزمور ٥٠ : ١٨

الفصل الاخير

في افعال الكاهن حين يقول الاسرار

اعلم اولاً ان التذكارات التي تكلمنا عنها في هذين الشرحين تُسمَّى اسرارًا لان الكاهن يقرأها سرًّا وبذلك نستدل على طفولية المسيح التي كتم المبشرون اخبارها. ثم ان الكاهن عندما يستنجد بشفاعة القديس ويقدّم الطلب عن الاحياء والاموات المؤمنين سرًا يأخذ الشمامسة فيرشدون الشعب ليلتجئوا الى شفاعة والدة الله وزمرة الاطهار والى تقريب الطلب عن اولاد المعمودية

والمقصود بذلك الدلالة على ان ملائكة الله الذين كانوا يخدمون الطفل يسوع ويدبّرون والديه لا يزالون يهتمون بخلاص المؤمنين وتقريب التضرّع عنهم. وينبغي عندما يقرأ الكاهن تذكار تدبير السيد المخلّص ووالدته وقديسيه والاحياء والاموات ان تكون يده اليمنى موضوعة على اليسرى مثل صليب فوق الاسرار كما صنع يعقوب لما وضع يده على ولدي يوسف ليباركهما

والكاهن عند اليعاقبة يمسك الكاس باليمنى والصينية باليسرى على هيئة صليب حتى ان اليد اليمنى تكون فوق اليسرى الى حين يبدأ السرّ عن نفسه وحينئذٍ يضع الصينية قدام الكاس وينشر الناقور الكبير عليهما اذ يقول ܐܬܟܣܝ ܡܥܛܦܢܐ. والنوعان جائزان مقبولان. لكن بما ان اليعاقبة يذمون رتبتنا تضطرنا الحال ان نبين معايبهم اولًا ان كلامهم ينقض فعلهم لانهم في بدء التذكار يقولون ܡܥܗܕܝܢܢ ܥܠ ܙܒܢܐ ܗܢܐ ܥܠ ܐܒܘܢ ܐܕܡ ܘܥܠ ܩܘܪܒܢܐ ܣܝܡܐ ܠܩܕܡܝܢ ܐܡܢ ܘܐܡܢ ܚܘܐ.

اعني اننا نذكر في هذا الوقت على هذا القربان الموضوع أمامنا لابينا آدم وامنا حوا فاذا كان القربان موضوعاً امامهم فلماذا يرفعونهُ على ايديهم ويقولون « نذكر على هذا القربان » اذن يجب ان تكون الايدي فوق القربان لا تحته لئلَّا يقع التناقض بين فعلهم وكلامهم قال الرسول « لهذا يجب على كل كاهن ان يقرب لاجل الشعب

كما يقرب لاجل نفسهِ » (١ فاذن كما انهُ في تقريب الطلب عن الشعب يحمل القربان على يديه كذلك يجب ان يحملهُ لدى التقريب عن نفسهِ وقد امر الرب في التوراة كل من اخطأ خطية مما نُهي عنهُ ان يأتي بقربان الى باب الشهادة ويجعل يده على راس الخطية اعني على راس الضحية التي قدمها عن الخطيـــة ويذبح في المكان ويأخذ الكاهن من دم الخطية وينضحها بهِ ليستغفر لهُ عن الخطية التي اخطأها

وتلك الضحية كانت رمزاً الى جسد الرب الذي ذبح لاجلنـــا وكل يوم يُرش دمهُ على المذبح لمغفرة الخطايا· اذن حتى يكمـــل الرمز يجب على الكاهن ان يضع يده عليه كما امر يوحنا أن يضع يده على رأسهِ في العماد لاجل اكتمال السر. وحتى لا نميل بجرف عن رتبة القداس قلنا سابقاً انهُ في هذا الجزء يصير تذكار طفولية الرب وتقال الطلبات سراً لاجل كتم الاخبار عنها لكن لوقا البشير يقول « لما تمت ثمانية ايام ليختَن الصبي سمّي يسوع كما سماه الملاك قبل ان يحبل بهِ في البطن » (٢

ولهذا السبب نذكر اسمه هاهنا في القداس قائلين . ܘܕܘܟܪܢܗ ܕܡܪܢ ܘܐܠܗܢ ܘܦܪܘܩܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ . (٣ . ثم يقول البشير عن والديهِ « انهُ لما كملت ايام التطهير بحسب ناموس موسى صعـــدا بهِ الى اورشليم ليقدّماه للرب على حسب ما كُتب في ناموس الرب من ان كل ذكر فاتح رحم يدعى مقدَّساً للرب وليقرّبا ذبيحة على حسب ما قيل في ناموس الرب زوجي يمام او فرخي حمام » (٤

فمن تأمل ظاهر القصة يقول كما ان والدي يسوع صعدا بهِ وسمعان الشيخ حملهُ على ذراعيه كذلك يجب ان تُحمل الاسرار على يدي الكاهن فنجيب انْ والدي يسوع ما صعدا بهِ ليقدماه قرباناً بل ليقربا عنهُ وعن امه لاجل التطهير كما هو مأمور في سفر اللاويين ان المرأة التي تلد ذكراً عندمـــا تكمل ايام تطهيرها تمضي بهِ الى

١) عبرانيين ٥ : ١
٢) لوقا ٢ : ٢١
٣) اي تذكار ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح
٤) لوقا ٢ : ٢٢

باب الشهادة وتقرب عنهُ حملًا حوليًا او فرخي حمام او زوج يمام احدهما محرقة والاخر ذبيحة خطاء (١

فمن تأمل قول الله يعلم انهُ لم يكن يؤذن ان تقدم تقدمة واحدة لتطهير المرأة بل اثنتان احداهما للوقود والاخرى عن الخطية كما يصير في الاستغفار في تقدمة الوقود تذبح ويهرق دمها للتطهير والاستغفار. والتي عن الخطية كان يقيمها هرون حية امام الرب ويضع يديه على رأسها وعلى رأسها يحمّلها خطايا الانسان الذي تُقدم عنه ثم يرسلها الى القفر مع رجل مستعد ويطلق سبيلها

وهذا جميعهُ كان رمزًا الى المسيح الذي كان ذا طبعتين الهية وبشرية. فالطبيعة البشرية ذُبحت وماتت على الصليب وقودًا لله. واما الطبيعة الالهية فكانت مبتعدة عن الموت ولم تزل حية سرمدًا. وكذلك السيد المخلص قرَّب نفسهُ على نوعين لله أبيهِ ذبيحة دموية وذبيحة غير دموية فالدموية كانت على عود الصليب لأنه حقًا صُلب ومات مرة واحدة. والغير الدموية هي التي سلمها الى بيعته وامر الكهنة ان يصنعوها لتذكار موته الى انقضاء الدهور بغير سفك دم لانهُ قام حيًا وما عاد يتسلط عليهِ الموت مرة ثانية

اذن مثلما كان هرون يضع يديه على راس الحي ويقرّ بجميع ذنوب بني اسرائيل وخطاياهم ويحملها على راسهِ ليحظوا بالغفران. هكذا يجب على الكهنة ان يضعوا ايديهم على الاسرار المقدسة ويتوسلوا عن نفوسهم وعن كل الشعب لمغفرة الخطايا كما يفسر ذلك السروجي. لكن وضع اليد على الضحية يختلف عن وضع اليد على الآدميين لان وضع اليد على البشر هو اشارة الى دعوة الله وهبوط النعمة واستقرارها عليهم. فقد كتب ان الرب وضع يده على الصبيان وباركهم وموسى وضع يده على يشوع بن نون وملأه من الروح القدس وكذلك الرسل على بني الايمان. وما قلناه عن الاحياء يقال عن المرضى والموتى ايضًا كما هو مكتوب « انهم

١) احبار ١٢: ٦ و٨

يضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » (١ . فان ايليا واليشع اقاما الموتى بلمس اجسادهم والمسيح اقام ابن الارملة بمد يده الى النعش وابنة يائيروس بمسك يدها. واما وضع اليد على التقدمة فلا يشار به انها تنال النعمة بل انها تصير سبب الاستغفار للذي قدسها كما هو مذكور ان هرون كان يضع يده على رأسها و يقرّ بذنوب الشعب الذي قدمها (٢ وبهذا المعنى نضع ايدينا على الاسرار ونذكر الاحياء والاموات ليكون ذلك لمغفرة الخطايا وللحياة الدائمة . وانما توضع الايدي فوق الاسرار بشكل صليب لانهُ بصليب الرب صار خلاص العالم وبهِ نرجو كل ما نسأل من مراحمهِ كما كتب ان يعقوب أبا الآباء بوضع يديه على افرام ومنسى منحهما البركة وموسى برسم الصليب منع ملاك النقمة من الشعب وبهِ فتح لهم طريقًا في البحر واخرج الماء من الصخرة. وبهذا النوع تقول البيعة ان الرب بارك تلاميذه يوم صعوده الى السماء ܘܣܡ ܐܝܕܘܗܝ ܥܠܝܗܘܢ ܘܒܪܟ ܐܢܘܢ اي وضع يديهِ عليهم وباركهم

كذلك يجب ان يستمد الكاهن الرحمة من جانب الحق حين يتراءى قدام مذبحه كالشفيع وعلى اسراره المقدسة يقدّم لهُ الطلب عن الاحياء والاموات. وحين يقرأ السرّ الاول عن نفسه يقرع صدره ثلاث مرّات قائلًا « ايها الثالوث المقدس ارحمني » ثم يكتف يديه على صدره او يجمعهما فوق الاسرار ويطلب لهُ وللشعب الصفح عن كلما جهلوه ضد وصاياه. ويُشار بقرع الصدر الى ذكر خطاياه والتبرؤ منها وبتكتيف يديه فوق الاسرار الى الاقرار بآثامهِ كالمذنب امام سيده و بجمعهما الى تقريب نفسه وشعبه الملتجئ لصلواته قربان الرضا كالنعجة امام الجزار. وحين يقرأ السرّ الثاني يرفع يديه وعينيهِ الى العلاء قائلًا « ايها الرب ابسط يدي وقلبي ومنك اسأل الصفح عن جميع خطاياي ». والمراد بذلك استمداد النعمة من هيكل قدسه وطلب الصيانة والثبات بنعمته كالابن المطيع لابيهِ بدالة وجه كقول داود النبي « ارجُ الرب وهو يعطيك سؤلك » (٣

١) مرقس ١٦ : ١٨ ٢) احبار ١ : ٤ ٣) مزمور ٣٦ : ٤

وهذه الامور كلها قد رسمها لنا المخلص بمثــل الابن الشاطر الذي بدَّد مالهُ بالاسراف ثم عاد لابيهِ تائبًا قائلًا « اخطأت في السماء وقدامك ولست مستحقًا ان ادعى لك ابنًا لكن اجعلني كاحد عبيدك » ففرح بهِ وقبلهُ وامر بذبح العجل المعلوف الذي هو جسده مانح الحياة لهُ المجد الى ابد الابدين

النتيجة

ومما برهنا بهذه المنارة يفهم القاري الحبيب ان الكاهن الفاضل يقف امــام المذبح مثل الخروف وكالمنارة المضيئة اذ يُقدّم لهُ تسابيح البيعة وبخورها مع ابتهال الدته وقديسيه ليتعطف بالرحمة على شعبــه وميراثه الذين واضعَ عظمته لاجلهم والقى نفسه في مذود البهائم ليرفع عنهم قضبــان الغضب ويمنحهم غفران الذنوب والحياة الدائمة كما سُطر في سفر الخروج ان هارون وقف بين الموتى والاحياء وجعل أمجاد الاسباط على عنقه ونقش العالم كله على ثوبــه . ثم كالشفيع صاحب الدالّة والمصباح المنير تقدم الى رب الجنود وابتهــل قائلًا « يا اله ابرهيم واسحق ويعقوب ارفع الغضب » (١

فاستنشق السيد المتعطف رائحة طلبتهِ وبشفاعة ابرهيم واسحق ويعقوب وأَمجاد الاسباط الاثني عشر الذين كانت اسماؤهم منقوشة على حجارة كريمة ومناطةً بثوبهِ رفع قضيب غضبه واهطل ندى الرحمة والغفران . هكذا تضرع الكاهن حين يصدر من قلب حار بالايمان ويشترك باحسان المخلص وابتهال بيعتهِ ويتقدم لله الرحوم شبه رائحة البخور على ايدي الاطهار فانهُ يجرح احشاء رحمته فتفيض منها النعمة كالمطر الهاطل على الذين تتقدم لاجلهم

١) العدد ١٦ : ٤٨

المنارة السادسة

في قراءة الانجيل وتعليم الموعوظين وتقديم الطلبة لاجل الكاهن ولاجل غير المؤمنين

حسب قول الرسول لتلميذه تيموتاوس «بشَّرتُ بهِ الامم» (١

المقدمة

ان هذا الجزء الحاوي التهليل والرسائل مع الانجيل الطاهر والمواعظ والتعليم الذي هو ضروري لارشاد الموعوظين يتضمن بشارة المسيح من السنة الثانية عشرة من عمره الى قيامة العازر واليهِ تشير كل الشرائع والنواميس التي انزلها الله على يد موسى وسائر الآباء الاطهار لان طبيعتنا البشرية خلقهـا الله من البدء مستقيمة فوثب عليها اللصوص اعداء خلاصنا وسلبوا نعمتهـا واخرجوها من فردوس النعيم وجرحوها بسهام الشهوات وهشموها بالخطايا وتركوها عرضة الهلاك فارسـل الخالق في اول جيل العالم الكهنة واعطاهم الاستعلانات لكي يرشدوها فابصروها وجازوا ثم وجَّه الاحبار واللاويين في جيل الناموس وكذلك نظروها وجازوا. اخيرًا ارسل ابنه الوحيد فدنا منها بالجسد الذي اتخذه منا وتحنن عليها وبادر الى شفائها وحملها على دابته كما هو مسطر في الانجيل المقدس واتى بها الى الفنـدق (٢. وما هو الفندق الاَّ بيعة الله والدابة هي البشارة المقدسة كقول مار افرام في آخر باعوث الجمعة ܗܝ ܥܕܬܐ ܘܣܒܪܬܐ ܢܦܫܬܗ . ܘܕܒܪܐ ܡܫܬܡܫ ܚܒܪ ܠܗ

ان ما سماه هنا دابة قد دعاه في موضع آخر سراجًا توقده حكمة الله وقد مثلهُ بالسراج الذي تشعله المرأة لتجد الدرهم الضائع (٣. وقد شبهه بطرس الرسول في

١) ١ تيموتاوس ٢ : ٧ ٢) لوقا ١٠ : ٣٠ ٣) لوقا ١٥ : ٨

رسالته الاولى باللبن العقلي الذي لا غش فيهِ وبهِ ننشأ للحياة. وفي الثانية يدعوه مصباحاً ومنارة وكوكباً يضيء في قلوب المؤمنين قائلًا «اذا أصغيتم اليهِ كأنهُ مصباح يضيء في مكان مظلم الى ان ينفجر النهار ويشرق كوكب الصبح في قلوبكم» (١

ويلقبه بولس المعظم في رسالته الى العبرانيين بالطعام القوي (٢. وفي الثانية لاهل كورنتس يقول «ان الله الذي امر ان يشرق من ظلمة نورٌ هو الذي اشرق في قلوبنا لانارة معرفة مجد الله في وجه المسيح يسوع» (٣. واما الهالكون فقد اعمى الله هذا العالم قلوبهم لئلا يظهر لهم نور الانجيل

فمن هذه الشهادات المقدسة يظهر جلياً ان الخطية تشبه الظلمة لانها تظلم البصيرة وتعمي القلب ليزيغ عن طريق الخلاص. اما كلام الانجيل الذي هو قوة الله فيشرق معرفته في قلب الانسان فتستقيم خطواته في سبيل الحياة كما كان يقول داود «كلمتك مصباح لقدمي ونور لسبيلي» (٤. وقد اوجبت البيعة أن نقرأ في هذا الجزء الكتب المقدسة على السامعين ونقدّم لله الطلبة عنهم ليرفع عن بصيرتهم غشاء الخطية وينير قلوبهم بنور معرفته ليقبلوا الى الحياة الدائمة

اما هذا النور الالهي فقد ائتمر عليهِ كثيرون ليزعزعوا منارته مثل سيمون الساحر وماني وابيون واريوس وقيرينتوس ومرقيان وطاسيان وغيرهم من اهل البدع لان بعضهم ضادّوا العهد العتيق وزعموا انهُ من الاله الطالح وانكر آخرون ان العهد الجديد من تصنيف الرسل. وزاد آخرون على عدد الاناجيل المثبتة من البيعة أناجيل اخرى مزوَّرة وانقص غيرهم منها واضاف اليها قوم بعض فصول وقوم انقصوا طوعاً لما علّمهم روح السوء حتى غادروا الكتب المقدسة كالخشب الذي عاث بهِ السوس والنسيج التي أكلته الأَرَضة. ومنهم جماعة قاوموا رتب البيعة وودوا لو يطفئوا نور

١) ٢ بطرس ١ : ١٩
٢) عبرانيين ٥ : ١٣
٣) ٢ كورنتس ٤ : ٦
٤) مزمور ١١٨ : ١٠٥

البشارة لكن من اين لهولاء الضعفاء ان يُزيلوا ما وعد الرب بدوامهِ الى نهاية الدهور ليكون شاهداً كالمصباح على تقدمة جسده الذي لن يزال ثابتاً لمجيئه الثاني

ونقسم هذه المنارة الى ثلاثة شروح

الاول في تقريب الطلبة عن الموعوظين لتزرع في قلوبهم كلمة الله

الثاني. في الترمير والتهليل اللائق بكرامته

الثالث. في قراءة الرسائل والانجيل



الشرح الاول

في تقريب الطلبة عن الموعوظين لتزرع في قلوبهم كلمة الله وهو ثلاثة فصول

الفصل الاول   في اصناف الموعوظين وتقريب الطلبة عنهم وعن غير الطائعين

الفصل الثاني   في طلب المعرفة والمخافة وحسن الرتبة لاجل الموعوظين اذ نقول ܐܘܕܐ ܠܟ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܕܟܠ ܚܝܠܐ

الفصل الثالث   في طلب المغفرة لاجل التائبين وغيرهم اذ نقول مزمور ܕܚܘܢܢܝ (ارحمني يا الله) والصلاة التي بعده



الفصل الاول

في اصناف الموعوظين وتقريب الطلب عنهم وعن غير الطائعين

تكلمنا في بدء الشرح الثالث الذي تقدم ذكره عن وصية الرسول لتلميذه تيموتاوس وسائر الكهنة اي ان يبدأوا في جميع الصلوات والتضرّعات بتقريب الطلب عن الناس جميعاً «لان ذلك حسن ومقبول لدى الله مخلصنا» (١ . وسبب ذلك هو ان الله يحب ان يحيا الناس جميعاً ويقبلوا الى معرفة الحق. لكن بما ان كل شيء طبقات عالٍ ودون متقدّم ومتأخر هكذا في الحياة الروحية يريد ان تكون درجات ورتب مختلفة على قدرِ الايجاب واستحقاق كل واحد اذ يقول «لاننا نرجو الله الحي الذي هو مخلّص الناس اجمعين ولاسيما المؤمنين» (٢

وفي رسالتهِ للغلاطيين يوصي قائلاً «فلنحسن الى الجميع ما دامت انا الفرصة ولاسيما الى اهل الايمان» (٣ . وقال ايضاً «بالمسيح يحيا الجميع كل واحد في رتبته. المسيح على انهُ باكورة ثم الذين للمسيح عند مجيئهِ وبعد ذلك المنتهى» (٤

ولاجل ذلك رسمت البيعة المقدسة ان يصير اولاً تذكار والدته وقديسيه الذين فازوا بالشركة معهُ في حياة المجد. ثم بعد هولاء يصير تذكار الاحياء والاموات المشتركين معهُ في حياة النعمة. واخيراً رسمت ان نقرّب الطلب في هذا الجزء عن جميع الضالين ليقبلوا الى معرفة الحق ويحيوا كوصية الرب «انطلقوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص» (٥ . وكقوله ايضاً «اسألوا رب الحصاد ان يرسل عملة لحصاده» (٦

---

١) ١ تيموتاوس ٢ : ١
٢) ١ تيموتاوس ٤ : ١٠
٣) غلاطية ٦ : ١٠
٤) ١ كورنثس ١٥ : ٢٣
٥) مرقس ١٦ : ١٥
٦) متى ٩ : ٣٨ ولوقا ١٠ : ٢

وقال الرسول « اني عبّدت نفسي للجميع لاربح الاكثرين فصرت لليهود كيهودي لاربح اليهود والذين هم تحت الناموس كأني تحت الناموس مع اني لست تحت الناموس لاربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع اني لست بلا ناموس الله بل انا تحت ناموس المسيح لاربح الذين بلا ناموس. وصرت للضعفاء ضعيفاً لاربح الضعفاء. وصرت كلاً للكل لاخلّص الكل وانا اصنع كل شيء لاجل الانجيل لاكون شريكاً فيهِ » (١

وقال قالسطينوس بابا رومية يوصي اهل كولية في رسالة وجهها اليهم « ان رؤساء الشعب المقدس عندما يوفون بالرسالة التي اؤتمنوا عليها ينبغي لهم ان يحتجوا امام الاله الكريم عن جنس البشر وحين تنتحب وتبكي معهم كل البيعة فليتوسلوا ويطلبوا حتى يُرزق الايمان من كان غير مؤمن ويرجع عن الكفر من كان كافراً ويتمزق البرقع عن قلب اليهود ويشرق عليهم نور الحق وينتبه اهل البدع ويقبلوا على الامانة الكاثوليكية وينال المنقطعون عن اتحاد البيعة روح المحبة المتجددة ويُعطى اهل الزلات مرهم التوبة ويُرزق المتلمذون نسيم الرحمة من السماء وينقادوا الى اسرار الولادة الثانية »

ولما كان الشعب في جلاء بابل امر الرب على لسان ارميا النبي قائلاً « اطلبوا سلام المدينة التي أُجليتم اليها. وصلوا من اجلها الى الرب فانهُ بسلامها يكون لكم سلام »(٢ وكذلك في خدمة الاسرار المقدسة تأمر البيعة راس الشمامسة ان يصرخ للشعب بصوتٍ عالٍ قائلاً « نتضرّع اليك ايها الرب الاله الحي القوي من اجل امان وسلام وحسن ترتيب العالم جميعه » اي من اجل تثبيت البيعة المقدسة الجامعة الرسولية ومن اجل حفظ جميع اولادها الموتى والاحياء

ويُقرّب هذا الطلب عن جميع الناس عموماً الخارجين عن طاعة الله وحفظ وصاياه. وكان في بدء البيعة يقرّب خصوصاً عن الذين يحضرون الصلاة والقداس الى

١) ١ كورنتس ٩ : ١٩   ٢) ارميا ٢٩ : ٧

بدء النافور . وكانوا يسمونهم موعوظين وسامعين من سماع الكتب المقدسة ومواعظ الآباء ولاجلهم يسمى هذا الجزء قداس الموعوظين . وهؤلاء كانوا ينقسمون الى ثلاث طبقات . فالطبقة الاولى تسمّى ܫܡܘ̈ܥܐ اعني موعوظين ومُتلمذين لانهم كانوا يطلبون علم الايمان وقد سمح لهم الآباء ان يستمروا اربعين يوماً الى ثلاثة اشهر في التتلمذ ليتعلموا الصلاة الربية وقواعد الايمان ومتى انقضت كانوا يمتحنونهم فاذا رأوهم انهم حفظوا قواعد الايمان عمدوهم واشركوهم في الاسرار والاّ أبقوهم ليزدادوا ثواباً وغيرةً كالارض التي تنبت اولاً عشباً ثمّ سنبلاً واخيراً قمحاً . وكالطفل الذي يربى اولاً باللبن ثم بالطعام الليّن حتى اذا تكاملت قوته تناول اليابس والطعام القوي

والطبقة الثانية تسمّى ܫܐܕ̈ܢܐ . اي متعبدين وهؤلاء صنفان . فالاول عبارة عن المجانين اي المتخبطين من روح السوء . والثاني عبارة عن اللذين يخالفون الشريعة ويكونون عثاراً للساذجين

والطبقة الثالثة تسمى ܬܝ̈ܒܐ اي التائبين . وهم صنفان ايضاً كبار وصغار . فالكبار هم الذين منعهم معلمو الاعتراف من شركة الاسرار لاجل خطاياهم . والصغار هم الحديثون في الايمان والاميّون الذين بعد ما قبلوا سر المعمودية وقعوا في الخطايا التي اعتادوها قبل التتلمذ . وهؤلاء كان يشفق عليهم الآباء في القوانين لكن لا يحصونهم مع الكملة لاجل ضعفهم في الايمان

فهذه الخمسة الاصناف كان الشمامسة يدخلونهم الى البيعة ويرتبونهم خلف الشعب قدام باب الكنيسة اولاً المتلمذين ثم المتعبدين والتائبين . اما التائبون الكبار الذين بدل التقدم في حسن السيرة كانوا يزدادون رداءة فكانوا يخرجونهم الى خارج الكنيسة وهناك ينوحون على خطاياهم ويطلبون الدعاء من الداخلين

الفصل الثاني

في طلب المعرفة مع المكافأة وحسن الرتبة لاجل الموعوظين اذ نقول

ܐܫܘܐ ܠܢ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܕܒܝܕܥܬܐ ܘܕܚܠܬܐ

لما خلق الله ابانا آدم اعطاه ثلاث قوى ليفهم الخير ويتبعهُ وهي العقل والذكر والارادة فبواسطة العقل يفهم ويميّز الاشياء . وبالذكر يتذكر ما مضى وفات ويجعلهُ كالحاضر امام عينيهِ . وبالارادة يحكم بين الاشياء الموضوعة امامهُ ويختار ما يجب اختياره ويرذل ما يجب رذلهُ

وهذه القوى كانت مهذبة مستقيمة لان الله خلق الانسان على صورتهِ مستقيماً ورأى انهُ حسن . ولما عدل عن الوصية فسدت طبيعته وانقلبت قواه حتى العقل الذي كان حياً كالمصباح المنير صار كالعين الموجوعة التي تعجز عن النظر الى الشمس والذكر الذي كأن يتذكر الاشياء السالفة كانها منقورة في صخر امامه اعتراه السهو والغفلة حتى نسي خالقه وسائر الخيرات المعدّة لهُ وكذا الارادة التي كانت موافقة لمشيئة الله صارت اشبه بالطائر المقصوص الجناح تترك السماويات وتتعلق بالزائلات

فلما ارسل الله لنا ابنه الوحيد ليجدّد بجسده الخليقة اعطانا ثلاث فضائل الهية وهي الايمان والرجاء والمحبة . فالايمان انعم به علينا ليستنير بهِ العقل وينظر الامور الالهية والطبيعية . والرجاء منحنهُ للذكر حتى لا يزال متيقظاً على الخيرات الموعودة لعاملي الصلاح والعذاب المعدّ لصانعي الاثم . والمحبة أيّد بها الارادة لتحب الله وتشترك معهُ وتبغض العالم وكل ما فيهِ

وقد رسمت البيعة ان نطلب هذه الفضائل الثلاث هاهنا لاجل الموعوظين اذ نقول « آهلنا يا رب حتى بالمعرفة والمخافة وحسن الترتيب الروحاني نقف قدامك بالطهارة والقداسة » فنطلب اولًا المعرفة وعلم الايمان من اجل المتلمذين الذين لم

يقبلوا صبغة المعمودية ولا ذخيرة البنين لان الرب قال « ما من احد يقدر ان يقبل اليَّ ما لم يجتذبه الآب » (١

فلهذا نبتهل لاجل الضعفاء في علم الايمان ليزيل الضلالة عن قلوبهم وينير عقولهم بمعرفتهِ كما كتب الرسول لاهل افسس قائلًا « اني لا ازال شاكرًا من جهتكم وذاكرًا اياكم في صلواتي ليعطيكم اله ربنا يسوع المسيح ابو المجد روح الحكمة والوحي في معرفتهِ لتعلموا ما رجاء وما غنى مجد ميراثهِ في القديسين » (٢ وهكذا اوصى بطرس الرسول في رسالتهِ الثانية ان يتمسكوا بما قد تسلَّموه ليزدادوا نشوءًا في النعمة والعلم قال « فانتم اذًا ايها الاحباء اذ قد سبقتم فعلمتم فتحفظَّوا لئلا تنقادوا بضلال الفجار فتسقطوا عن ثباتكم فانموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح لهُ المجد الآن والى يوم الابد. امين » (٣

ثانيًا نطلب المكافأة من اجل التائبين الذين تطهروا من خطاياهم مرات عديدة بدم الرب واشتركوا معهُ في سرّ جسده مانح الحياة ثم عادوا الى الخطية كالكلب الذي يعود الى قيئه وكالخنزير الذي يتمرّغ في الحمأة بعد ان يغتسل نعم ان الله رؤوف وجزيل الرحمة على المتواضعين ومنكسري القلوب. لكنه عادل وشديد الغضب على العصاة الذين يحتقرون رحمته كقول البيعة في آخر ليل الاربعاء ܘܐܒܢܝܢ ܚܣܒ ܘܫܡܝܐ ܡܢܘܚܢ ܒܪܘܚܡܐ

ولاجل ذلك يجب ان نحبهُ ونترجى بهِ لانهُ حنون ومتعطف بالرحمة. ويجب ان نخافهُ ونرتعد منهُ لانهُ عادل وشديد النقمة كما قال الرسول « انك بالايمان تثبت فلا تستكبر في نفسك بل احذر وخف » (٤. وقال داود « اعبدوا الله بخشية وابتهجوا برعدة » (٥. لان الانسان ولو حوى جمًّا من الفضائل فليحذر من السقوط ولا يكن لهُ اتكال الَّا على رحمة الله. فهذا الملاك قد سقط من السماء. وهذا آدم

١) يوحنا ٦ : ٤٤ ٢) افسس ١ : ١٥ ٣) ٢ بطرس ٣ : ١٧
٤) رومية ١١ : ٢٠ ٥) مزمور ٢ : ١١

قد هوى من الفردوس ويهوذا من بين الرسل وسليمان من بين الحكماء واوريجانوس من بين العلماء

وانما نطلب ههنا المكافأة للتائبين لتكون خشية الله في قلوبهم فيحيوا كقول الحكيم ان مخافة الله مَبعدة عن الشرّ . وكتب الرسول لاهل فيلبي « اذن يا احبائي كما اطعتم كلّ حين اعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة » (١ . وقال الرب « خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد في جهنم . نعم اقول لكم من هذا خافوا » (٢

ثالثاً نطلب استقامة الوقوف وحسن الترتيب في الجسد لاجل المتعبدين للآلام السمجة والارواح الردية حتى ينقذهم الله برحمتهِ من تلك العبودية ليخدموه بحسن المعرفة والمخافة وينتصبوا قدامه بالخضوع والطهارة على مثال الملائكة في السماء الذين لم يزالوا مقيدين بتسبحتهِ ليلًا ونهاراً بصحة النيّة واستقامة القلب والخضوع كقول الرسول لاهل كولسي شاكراً ترتيبهم واستقامة ديانتهم « أحب ان تعلموا اي جهادٍ لي عنكم وعن الذين باللاذقية وكلّ من لم يرَ وجهي بالجسد لتتعزّى قلوبكم اذا كنتم ملتئمين في المحبة وبالغين الى غنى فهم كامل اليقين الى معرفة سرّ الله الآب والمسيح المكنون فيهِ جميع كنوز الحكمة والعلم . وانما اقول هذا لئلا يغرّكم احد بكلام مموّه فاني مع كوني غائباً بالجسد حاضر معكم بالروح فرحاً ومعايناً نظامكم وثبات ايمانكم بالمسيح » (٣

ثم نطلب حسن الهيئة بالروح لان الله لا يرضى بحفظ الاتفاق في الجسد وحده بل يريده في الروح ايضاً كما يوصي الرسول اهل افسس قائلًا « كونوا محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ومجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السلام فانكم جسد واحد وروح واحد كما دعيتم الى رجاء دعوتكم الواحد » (٤ . والامران ههنا ضروريان بسبب ان المتعبدين هم على نوعين . بعضهم متعبدون في الجسد للروح الردي ويقلقون

١) فيلبي ٢ : ١٢
٢) متى ١٠ : ٢٨
٣) كولسي ٢ : ١
٤) افسس ٤ : ٤

الكمَلة وخدَمة الاسرار بصياحهم · و بعضهم متعبدون بالروح لآلام الخطايا وبذلك يكونون عثاراً لابناء البيعة ولاجل ذلك ضُمّنت الطلبة ما يوافق النوعين ليكونوا مستقيمي الهيئة بالروح والجسد كما يجب لبيت الله الذي له يحق التقديس طول الايام · وهذه الثلاثة اي المعرفة والمخافة وحسن الهيئة بالروح نطلبها للموعوظين باثمار البر من سماعَ كلام البشارة · وفي هذه الصلاة نتذكر وقوف المسيح بين العلماء وهو ابن اثنتي عشرة سنة يسمع منهم ويسألهم · وكان كل من سمع كلامه وقتئذ يبهت من علمه وجوابه بهيبة ووقار واستقامة الهية · كذلك نطلب ان يكون الموعوظون وسائر الحاضرين في بيت الله · وقد ذكر انهُ لما ابصرهُ ابواهُ بهتا وقالت لهُ امهُ لمَ صنعت يا ابني بنا هكذا ها اني انا وابوكَ كنا نطلبك باجتهاد متوجعَين · فقال لها « لِمَ تطلباني أَلم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي » (١

واراد بذلك اولاً كما ان المسيح بتدبيره الالهي تخلّف في الهيكل ليظهر للعالم كنوز الحكمة المكنونة فيهِ وان ابويه كان يطلبانه باجتهاد هكذا ينبغي ان نعلم انهُ باحكام غامضة من الله لم يقبل بعض الناس حميم الصبغة ومعرفة الايمان على صغر لتشرق بهم نعمة الله كما اشرقت في دعوة بولس الرسول واللص الايمن وغيرهما وكما ان السيدة و يوسف كانا يطلبانهِ باجتهاد كذلك يجب على الموعوظين وسائر الخطاة ان يسعوا في طلبهِ والتمسك بهِ بغاية الاجتهاد · ومن كلام السيدة ومن جواب ابنها نستدل ان الرب بدأ يظهر نفسهُ للعالم في السنة الثانية عشرة انهُ ابن الله لان الجمع كانوا يظنونه ابن يوسف كما ذكر لوقا البشير وهو بنفسه كان يدعوه اباه ويوسف يسميه ابنهُ خاصةً بين الغرباء

فلما قالت لهُ امهُ « يا ابني ما هذا الذي صنعت بنا ها اني انا وابوكَ كنا نطلبك باجتهاد متوجعين » لم يحتمل ان يدعوه يوسف ابناً لهُ · بل انهُ كما كشف حكمته للعلماء كذلك شاء ان يشهر لاهوته وانهُ ابن الله قائلاً « لِمَ تطلباني اما

---

١) لوقا ٢ : ٤٨

تعلمان انهُ ينبغي لي ان اكون فيما لابي » اعني في هيكــل الله الذي هو بيت ابي السماوي . وقد فسر ذلك يعقوب السروجي قائلًا :

ܟܕ ܛܠܝܐ ܗܘܐ ܒܫܢܘܗܝ ܩܛܝܢܐ ܘܡܫܬܐܠ ܗܘܐ ܥܠ ܕܡܢܐ ܠܗܝܟܠܐ ܐܬܐ ܠܐ ܝܕܥܐ ܕܘܠܐ ܢܒܥܝܢܘܗܝ ܠܗܘ ܕܒܝܬ ܐܒܝ . ܡܫܠܠ ܪܘܚ ܐܠܗܘܬܐ . ܐܚܫܒܗ ܠܗܝܟܠܐ ܕܐܝܬ ܠܗ ܐܒܐ ܘܠܗ ܡܫܡܫ ܗܘ . ܕܠܐ ܢܬܠܐ ܗܘܐ . ܘܐܝܟ ܡܫܘܕܥܢܐ ܢܗܘܐ ܗܘܐ ܒܫܡܗ . ܚܘܝ ܕܐܬܐ ܐܠܗܐ ܐܝܟ ܠܗ ܕܒܪܐ ܘܝܠܝܕ . ܘܗܡܠܠ ܡܘܕܐ ܕܐܫܬܘܕܥ ܒܡܠܬܗ ܕܐܬܐ ܝܠܝܕܐ . ܘܒܚܟܡܬܗ ܕܐܝܬ ܗܠܐ ܗܘܐ ܠܗܝܟܠܐ ܐܡܪ . ܘܗܢܐ ܡܠܬܗ ܥܠ ܕܡܢܐ ܠܗܝܟܠܐ ܐܬܐ . ܘܚܘܝ ܡܢܗ ܐܬܐ ܒܒܝܬܐ ܘܒܝܬܗ ܐܒܘܗܝ (١

ولهذا السبب فكما ان الرب اظهر ههنا حكمته ونعمة لاهوته وانهُ ابن الله لا ابن يوسف رسمت البيعة ان نبتهل من اجل الموعوظين كي يشرق عليهم غنا حكمته ومجد اسراره ومعرفة لاهوته حتى يلازموا بيته بالطهارة والقداسة ويخدموه ويمدحوه كما يجب لسيد الكل وصانعهم



الفصل الثالث

في طلب المغفرة لاجل التائبين اذ نقول

ܘܚܢܢ (ارحمني)

ان كلمة البشارة شبهها السيد المخلص بالزرع الذي يُزرع في الارض . فكل ارض تحرث مرّتين او ثلاثًا وتشرب المطر اولاً وآخرًا تقبل البركة من الله كقول الرسول « ان الارض التي تشرب المطر النــازل عليهــا مرارًا فتخرج نبــاتًا يصلح

للذين حرثوها تنال البركة من الله لكنها ان انبتت شوكاً وحسكاً فهي مرذولة وقريبة من اللعنة وعاقبتها الحريق » (١

ولاجل هذا لما اراد الرب ان يعطي الناموس لشعب اسرائيل امرهم ان يغسلوا ثيابهم ويتطهروا نفساً وجسداً من كل دنس وفي اليوم الثالث يصعدوا الى الجبل ليقبلوا منهُ الشريعة التي يلتزمون بحفظها كما كتب يعقوب لبني الايمان « اقتربوا الى الله فيقترب اليكم . طهروا ايديكم ونقوا قلوبكم » (٢

وعلى مثال هولاء رسمت البيعة ان يهيئ السامعون نفوسهم بالتوبة ويقتربوا بندم صادق عما اجترموا ليقترب اليهم الرب بالرحمة والبركة . ولذلك قبل قراءة الانجيل الطاهر نبتهل قائلين « امنحنا يارب غفران الذنوب وترك الخطايا انفِ عنا الحسد والغش وقدّسنا بروحك القدوس لنكون سامعين وفاعلين كوصية انجيل مسيحك »

اما من جهة الرتبة فان رئيس الكهنة بعد ان يقرأ الصلاة يضع بخوراً وينتقل الى كرسيه وحينئذٍ يأخذ واحد من الكهنة المبخرة ويبخر الاسرار والصليب وذخائر الشهداء ثم يبخر رئيس الكهنة والقسوس وباقي الشعب اذ يقولون مزمور « ارحمني يا الله » . وقد الّف هذا المزمور داود لما اتى اليهِ ناتان النبي ووبخهُ على خطيتهِ مع امرأة اوريا وقتله اياه فندم داود على ما صدر منهُ ضد وصية الله الذي اختاره من رعاية الغنم لسياسة شعبه

وهذا المزمور يحوي جميع درجات التوبة واصنافها . ولهذا ترجمهُ علماء البيعة في جملة مصنفات ورسموا بان يقرأه الكهنة كل يوم في صلوات المساء والستار والصبح والثالثة والتاسعة لاجل طرد التجارب وقهر العدوّ . وكذلك التائبون والمتوحدون يقرأونهُ كلّ حين

وهنا نقرأه في القداس لاجل توبة الموعوظين لتُطرد عنهم حيَل الشياطين .

١) عبرانيين ٦ : ٧

٢) يعقوب ٤ : ٨

ونحن الان نتبع نظام الآباء القديسين الموعبين كل حكمة الذين جمعوه في الصلاة التي نقرأها بعد المزمور لانها تحوي جميع درجات التوبة حتى ان الموعوظين من سماع الكتب المقدسة يهتدون الى درجة الكملة ويتحدون مع المسيح في جسده الطاهر مانح الحياة

الدرجة الاولى هي دعوة الروح القدس التي تُظفر الخاطئ بنعمة الله وعندما يكون راقداً في ظلام الخطيئة وغافلاً عن الخلاص يرسل لهُ شعاع النعمة ليمزّق سحابة الظلام عن قلبهِ ويجتذبهُ اليهِ كما هو مكتوب « ما من احد يقدر ان يقبل اليَّ ما لم يجتذبهُ الآب الذي ارسلني » (١ . وقال الرسول « ليس فينا كفاءة لان نفتكر فكرًا بانفسنا كأنهُ من انفسنا بل كفاءتنا من الله » (٢ . ولاجل ذلك نطلب قائلين اولاً ارحمني يارب كنعمتك

وقد تكلمنا عن نعمة الله السابقة في الفصل الثالث من الشرح الاول من المنارة الرابعة . وانواع هذه النعمة خفية مختلفة شبه الريح وشعاع الشمس واصول الشجر كقول الرب لنيقوديموس « الروح يهبّ حيث يشاء وتسمع صوتهُ الا انك لست تعلم من اين يأتي ولا الى اين يذهب » (٣ . وانما نقدم هذه الطلبة قبل قراءة الكتب المقدسة لكي يجتذبهم الله بوساطتها كما تخبر التواريخ عن الانبا انطونيوس وتاوناس وغيرهما

الدرجة الثانية الطاعة لكلام الله لان كثيرين كالحية التي تسدّ اذنيها لئلا تسمع صوت الحاوي يُصمون آذان قلوبهم لئلا يسمعوا كلام البشارة ويعاصون النور الالهي مثل الخلد لئلا يسلكوا في طرق الحياة . فلهذا نطلب هاهنا قائلين « واغفر خطايانا برحمتك » اعني لا تأذن لنا ان نقسّي قلوبنا اذا سمعنا صوتك بل ان نطيعك وانت تغفر لنا لاجل كثرة رحمتك كقولهِ المحيي « تعالوا يا جميع المتعبين

١) يوحنا ٦ : ٤٤ ٢) ٢ كورنتس ٣ : ٥

٣) يوحنا ٣ : ٨

والمثقلين وانا اريحكم » (١

الدرجة الثالثة التوبة الكاملة الصادرة من قلب منسحق ودموع فائضة كقول حزقيال النبي « توبوا وارجعوا عن طرقكم الردية ولا تموتون يا آل اسرائيل بل تحيون » (٢

وقال في بدء نبوءة اشعيا « اغتسلوا وتطهروا وازيلوا شرّ اعمالكم من امام عينيَّ وكفوا عن الاساءة . انهُ لو كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف » (٣ . ولهذا نطلب هاهنا قائلين « اغسل آثامنا وشرورنا بكثرة تحننك » . وانما نسأل الرب ان يغسل شرورنا بتحننهِ لاننا عاجزون عن كل خير من ذاتنا

الدرجة الرابعة امتلاك جميع الفضائل حتى ينتقل الانسان بسهولة من قوة الى قوة ومن فضيلة الى فضيلة كقول الرسول « ونحن نعلم ان الذين يحبون الله كل شيء يعاونهم للخير » (٤ . وكما كان يتضرّع ارميا قائلًا « أعدنا يارب اليك فنعود . جدّد ايامنا كما كانت في القدم » (٥ . كذلك نطلب هاهنا قائلين « جدّد فينا قلباً طاهرًا وروحاً مستقيماً ذا اتضاع »

الدرجة الخامسة هي التقديس لا بالنفس فقط بل في الافكار ايضاً اذ نقول « قدس افكارنا اكثر من المحرقات الكاملة وافضل من ذبائح الناموس » والمراد بذلك ان التطهير لا يقصد بهِ التنقي من الخطايا فقط بل من الاسباب التي تقود اليها كقول الرب ان من كان طاهرًا يجب ان يزداد طهارةً ونقاوةً فيتضاعف ثوابه

وكما ان الرب امر بذبح الكباش والعجول واحراقها بالنار ليستنشق روائحها ويتقبلها بالرضى هكذا من يطلب الاتحاد مع الرب بجسده الكريم يجب ان يقدم

١) متى ١١ : ٢٨ ٢) حزقيال ١٨ : ٣٠ ٣) اشعيا ١ : ١٦
٤) رومية ٨ : ٢٨ ٥) مراثي ارميا ٥ : ٢١

نفسه وجسده باطنًا وظاهرًا لله بنار المحبة لكي يعتصم معه بالروح ويُحصى مع الابرار والكملة الذين اخبر عنهم سليمان الحكيم انهم يزدادون نورًا حتى يصيروا كالنهار المشرق فقال « اما سبيل الصديقين فمثل النور المتلالئ الذي يتدرَّج في انارته الى قائم النهار » (١. واذ ذاك يبلغ درجة المذبح حيث الرب متكئ كما شاهده يعقوب متكئًا على السلم فيتناولهُ ويتحد معهُ ويصير لهُ الرب حارسًا كيفما توجه شرقًا او غربًا اي في الشبوبية والشيخوخة وبداءة الحياة ومنتهاها. واذا سار جنوبًا او شمالاً اي سواء كان في سعادة ورخاء او في تجارب وهوان يكون لهُ حافظًا وعاضدًا ليوصلهُ الى مجد وجهه

اخيرًا ان البيعة ترشدنا الى درجتين اخريين وهما ان نطلب من الرب ان يعلّم المنافقين طرقه ويردّ الضالين اليهِ. اي بعد ان توسلنا لاجل الموعوظين ليبلغوا درجة الكمال بسماع كلام الرب يجب ان نتوسل ايضًا لاجل المنافقين والكفرة غير المؤمنين الذين لم يسلكوا سبل الوصايا ولا تطهروا بماء العماد ثم لاجل رجوع الضالين الذين بعد صبغة المعمودية خدعهم الشيطان وسقطوا في الخطايا او وقعوا في بدعة وصاروا غرباء عن شركة الاسرار لان الله يجب ان يحيا جميع الناس ويقبلوا الى معرفة الحق فانهُ قد قال على لسان حزقيال « اني لا اشاء موت الخاطي. بل انهُ يتوب عن طريقه فيحيا » (٢

وشهد لنا في انجيلهِ الطاهر انهُ ما اتى ليدعو الصديقين بل الخطأَة الى التوبة (٣ وانهُ يصير فرح عظيم في السماء بخاطئ واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين صديقًا لا يحتاجون الى التوبة (٤. ولهذا السبب امر تلاميذه والكهنة الذين خلفوهم ان يخرجوا الى العالم باسره ويتلمذوا الامم ويعمدوهم لانهُ رب الجميع وخالقهم وراغب في خلاصهم

١) امثال ٤: ١٨
٢) حزقيال ١٨: ٢٣
٣) متى ٩: ١٣
٤) لوقا ١٥: ٧

ومما شرحنا باختصار يتبين ان كل هذه الدرجات محصورة في « مزمور ارحمني يا الله كعظيم رحمتك » وما اوجبت البيعة قراءة هذا المزمور الا لاجل السامعين ليرجعوا الى التوبة · وانما نسأل هذه الخيرات من الله للموعوظين لانهم عاجزون من قبل انفسهم عن نيلها ومن ثم نطلب الى الله ان يعضدهم بنعمتهِ ورحمتهِ لكي يُرزقوا القوة كالوالدة التي تمد يديها للولد الذي تحت السلم وتصعده في الدرج من غير اغتصاب · ومن ذلك يظهر جمال رتبة القداس التي بها نقرب الطلبة لله لاجل الاحياء والاموات المتوشحين بالنعمة ولاجل الشاردين عن شركتهم ليردهم الله الى صيرتهِ . ويشار بقراءة هذا المزمور قبل الانجيل الى توبة الابرار الذين تقدموا تجسد ابن الله والمناداة ببشارته · والكاهن الذي يبخر ويقرأه يُشار بهِ الى يوحنا الصابغ الذي ارسلهُ الرب امام وجهه ليسهل طريق البشارة كما تنبأ ابوه زكريا قائلًا « وانت ايها الصبي نبي العلي تدعى لانك تسبق امام وجه الرب لتعد طرقه وتعطي شعبه علم الخلاص لمغفرة خطاياهم» (١

وقد تضوعت روائح يوحنا افضل من العطر الطيب حتى استمال اليهِ خواطر كل الشعب وتلمذهم قائلًا « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » (٢· اعني بشارة الانجيل التي بها نجحد العالم لكي نرث الملكوت وفرض عليهم العماد بالماء للتوبة ليرجعوا عن طريق الشر ويستعدوا لبشارة الحياة ودلهم باصبعهِ على الرب قائلًا « هوذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم » (٣· كذلك الكاهن يبخر الشعب لكي يستمد رضاهم وقبولهم كلام الرب

---

١) لوقا ١ : ٧٦ ٢) متى ٣ : ٢

٣) يوحنا ١ : ٢٩

الشرح الثاني

في قراءة الحسايات مع المزمور والتهليل

بعد ان نقدّم الطلب عن الموعوظين ونحرضهم على التوبة يأخذ الكهنـــة في تلاحين الحساية والشمامسة في ترتيل المزمور والهلّال ليسمع الشعب كلام الله بخوف ويقبلوه برعدة . ونقسم الشرح الى ثمـــانية فصول

الفصل الاول . في الوقوف الحسن اذ يقول الشماس ܢܩܘܡ ܫܦܝܪ ܟܠܢ

الفصل الثاني . في جلوس رئيس الكهنة وتلاحين الحساية اذ نقول . ܡܙܡܘܪܐ ܕܕܘܝܕ

الفصل الثالث . في تسبحة قدوس الله

الفصل الرابع . في البرهان على ارتفاعها للابن من كتب البيعة ومناصبتها لرأي بطرس القصار

الفصل الخامس . في البرهان على قدمها

الفصل السادس . في إيراد الادلة اللاهوتية

الفصل السابع . في معنى هذه التسبحة وصلاة العطر التي بعدها

الفصل الثامن . في المزمور والهلّال الذي يتقدم قراءة الانجيل

الفصل الاول

في الوقوف الحسن اذ يقول الشماس

ܢܩܘܡ ܫܦܝܪ ܒܨܠܘܬܐ (لنقم حسناً بالصلاة)

ان بولس الرسول في معرض كلامه على بشارة الانجيل يقول « اني لا استحي بالانجيل لانهُ قوة الله لخلاص كل من يؤمن لليهودي اولاً ثم لليوناني » (١ وكتب للعبرانيين قائلاً « ان كلمة الله هو حي عامل أمضى من كل سيف ذي حدين نافذٌ حتى مفرق النفس والروح والاوصال والمخاخ ومميز لافكار القلب ونياتهِ » (٢

وعليهِ فكما ان التجار بين يبذل كل احد منهم جهده ليدرك الاكليل هكذا تشاء البيعة ان يتهيأ الموعوظون بافضل من ذلك لمجاهدة الخطيئة والشيطان ويقوموا امام الله رب الجنود ويلبسوا كاصفياء الله الرحمة والمحبة والتواضع ويشغلوا نفوسهم عن امور العالم الزائل ويؤدبوا حواسّهم بالمزامير والتسابيح ويُخضعوا ذواتهم لسمع كلام الله ليدركوا الاكليل الذي لا يفسد كوصية الرسول لاهل كولسي « كونوا شاكرين ولتحل كلمة المسيح فيكم بكثرة معلّمين وناصحين بعضكم لبعض بكل حكمة وبمزامير وتسابيح واغاني روحية مرنّمين في قلوبكم بالنعمة لله » (٣

وبغية ان يتمموا هذه الامور اوجبت البيعة ان يصرخ رأس الشمامسة قائلاً « لنقف حسناً بالصلاة قدام اله الالهة ورب الارباب وملك الملوك » يشير بذلك انهُ كالقائد لجند المسيح يتقدم الجيش لينبههم الى التيقظ والقيام الحسن كما يوصي الرسول اهل كورنتس « اسهروا واثبتوا على الايمان تشددوا ولتكن اموركم كلها بالمحبة » (٤. لان من يتجند لله يجب ان يتجند على ما في الناموس ويتدرع بجميع سلاح الله

---

١) رومية ١ : ١٦
٢) عبرانيين ٤ : ١٢
٣) كولسي ٣ : ١٦
٤) ١ كورنتس ١٦ : ١٣

اذ من اليقيني ان قليلًا من الخمير يخمر العجنة كلها وصوتًا واحدًا يعكس النغم ونقبًا صغيرًا يغرق السفينة ونارًا قليلة تحرق غابات كثيرة وعشرةً واحدة او فعلًا غير مرتب في البيعة يزيل استقرار الروح ويلقي الشك في قلوب الحاضرين. واذا كان اهل العالم يخشون هيبة الملك الارضي ويقومون قيامًا حسنًا فكم بالحري من وُعدوا بمشاهدة اله الآلهة ورب الارباب يجب ان يرتعدوا من مجده الحالّ في البيعة ومن الجنود النوارنيين المحيطين بمذبحهِ ويُحسنوا التيقظ والوقوف

وقيل ان هذه المناداة تسلمتها البيعة من ميخائيل رئيس الملائكة حين انتشبت الحرب العظيمة بينه وبين التنين الطاغي وجنوده فتعظم الشيطان ورام ان ينصب كرسيهُ في العلا ويتشبه بالخالق جلّت قدرته فقام لمحاربتهِ ميخائيل العظيم قائلًا مم امو املا اعني من مثل الله — ولذلك سمي ميخائيل — فمزق باتضاعه ذلك المتكبر واسقطهُ من سمو مرتبتهِ الى الظلمة القصوى. وحينئذٍ قيل ان ميخائيل نادى جنوده الاطهار ان ينتصب كل واحد منهم في رتبتهِ ويقدم ذبيحة التقديس لله الجليل مالك كل ما يرى وما لا يرى قائلًا « فلنقف حسنًا امام الهِ الالهة وملك الملوك ولتبتهج السموات والقاطنون فيها » واذ ذاك اشرق عليهم النور الالهي وامتلأت قلوبهم فرحًا وسرورًا وبهجةً وحبورًا وصرخوا قائلين « ان الخلاص والقدرة والملك لالهنا والسلطان لمسيحهِ »

ورئيس الشمامسة على مثال ميخائيل في مرتبتهِ بعد ان تكون قد اضمحلت قوة الشيطان عن السامعين بوساطة روح المعرفة والمخافة والهيئة الروحانية يناديهم لكي يُحسنوا القيام في تقريب الطلبة والابتهال قدام اله الالهة ورب الارباب وقدام مذبحه الغفور واسراره الممجدة. هذا وان البيعة تأذن ان نسمي الخبز والخمر قبل تقديسهما سرّين ممجدين باعتبار انهما انتُخبا وأُعدّا للتقديس

اما مناداة السامعين ليُحسنوا الوقوف فلا شك انها مرضية لله لانها رمز الى التمسك والتدبّر بروح الرب فان كل جماعة ينفصل بعضها عن بعض تنقص قوتها

وينهدم بنيانها كقول الرب « كل مدينة تنقسم على نفسها تخرب » (١ . وقال على لسان هوشع النبي « قد تقسَّمت قلوبهم فالان يعاقبون » (٢

وبخلاف ذلك من يتوافقون ويترابطون بربط الوداد والسلام يحل الله بينهم حسب قولهِ الصادق « حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك بينهم » (٣ ويجذب كل احد قرينه الى طاعة الله وخدمته كما يذكر لوقا البشير عن المؤمنين في بدء البيعة ان الكنيسة في كل يهوذا والسامرة والجليل كانت فائزة بالسلام والترتيب وسائرة في مخافة الله وكانت تتكاثر بطاعة روح القدس . وقال المخلص انهُ « لا يوقد سراج ويُوضع تحت مكيال . لكن يوضع على منارة ليضيء لكل من في البيت . هكذا فليضيء نوركم امام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماء » (٤ . ولا شك ان تشبيه الهيئة الحسنة بالنور والبنيان هو في غاية الملاءمة لان النور يبدد ظلام الانقسام والشكوك والبنيان الوثيق يصير من الحجارة المنحوتة المهندمة

وبما ان هذا البنيان في امور الله مفيد جدًا اوجبت البيعة ان تُقسَّم درجات الكهنوت وترتب ليتمجد بها . ولذلك لما سمع الرسول ان النساء في كورنتس كنَّ يتكلمنَ في البيعة امرهنَّ بملازمة الصمت لان التكلم في البيعة شين لهنَّ

وقد اوجبت ايضًا ان ما يُقرأ من الكتب يجب ان يحوي ترتيبًا حسنًا حتى يكون كل ما في البيعة ذا قدر واعتبار حسب قول الرسول الذي اوصى « ان لا نكون متقلبين مائلين مع كل ريح تعليم بخداع الناس بمكر يفضي بهم الى مكيدة الضلال . بل نصدق بالمحبة فننمو في كل شيء للذي هو الراس المسيح الذي منه كل الجسد يُنسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة . فبحسب العمل الذي يناسب كل عضو ينشئ لنفسهِ نموًا لبنيانهِ في المحبة » (٥

١) متى ١٢ : ٢٥ ٢) هوشع ١٠ : ٢ ٣) متى ١٨ : ٢٠
٤) متى ٥ : ١٥ ٥) افسس ٤ : ١٤

واوجبت كذلك ان يكون الكهنة والشمامسة في الترتيل كما يوصي داود قائلاً « سبحوا اسم الرب بالمصاف سبحوه بالعود والكنارة » (١ . اي باتفاق الانغام والنظام كآلات الطرب والموسيقى . وحفظ هذا الامر واجب في خدمة الله الا ان رئيس الشمامسة ينادي بهِ ويأمر بحفظه خاصة في خدمة الاسرار لان جسد الرب هو سر الاتحاد ومن يدمن على حضور القداس باستقامة الهيئة وحسن القيام تحل عليهِ كلمة الرب وتغنيه بكل حكمة



الفصل الثاني

في جلوس رئيس الكهنة على الكرسي وقراءة الحساية اذ نقول

ܡܫܝܚܐ ܕܕܢܚ (المسيح الذي ظهر)

ذكرنا في الشرح المتقدم ان رئيس الكهنة بعد قراءة الصلاة الاولى عن الموعوظين ينقل الى الكرسي ويجلس هناك الى بدء النافور لان السيد المسيح قال لليهود « اني لست اطلب مجدي ولا اشهد لنفسي وتعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني . وان كنت اشهد لنفسي فليست شهادتي حقاً . لكن الذي يشهد لي آخر وهو الآب الذي ارسلني فهو يشهد لي » (٢

واتماماً لذلك رسمت البيعة ان يبتعد رئيس الكهنة الذي هو نائب المسيح عن المذبح ويجلس على الكاتدرا التي يشار بها الى كرسي الله في هيكل قدسهِ — كما سبق البرهان — الذي هو ينبوع الحكمة ومن لدنه تهبط كل عطية كاملة وموهبة صالحة . واما البخور فيُقدَّم على يد واحد من الكهنة ليكون بمنزلة يوحنا السابق الذي لما سألوه ان كان يشهد للرب شهد لهُ حقاً ولم يقبلوا شهادته

١) مزمور ١٥٠ : ٣

٢) يوحنا ٥ : ٣٠

واما الحساية والتهليل والرسائل والانجيل فيتلوها الكهنة والشمامسة كما كتب ان الملائكة كانت تخدمه والذين عاينوا معجزاتهِ مجدوا الله قائلين « لقد قام فينا نبي عظيم وقد صنع كل شيء حسناً الصم يسمعون والخرس يتكلمون مبارك الآتي باسم الرب »

وقد مشت هذه الرتبة منذ الابتداء في جميع البِيَع وقد وصفها يوحنا الحبيب قائلًا « والوقت صرت في الروح فاذا بعرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس. ومنظر الجالس كحجر اليشب والياقوت الاحمر وحول العرش اربعة وعشرون عرشاً وعلى العروش اربعة وعشرون شيخًا جلوسًا لابسين ثيابًا بيضًا وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب. وفي وسط العرش وحول العرش اربعة حيوانات ممتلئة عيونًا من قدام ومن وراء. ولا تزال ليلًا ونهارًا تقول قدوس قدوس قدوس ويخر الاربعة والعشرون شيخًا امام الجالس على العرش ويسجدون للحي الى دهر الدهور ويطرحون اكاليلهم امام العرش قائلين مستحق انت ايها الرب الهنا ان تأخذ المجد والكرامة والقوة لانك انت خلقت جميع الاشياء وبمشيئتك كانت وخلقت

« ورأيت بيمين الجالس على العرش كتابًا مكتوبًا من داخل ومن خارج مختومًا بسبعة ختوم. فلم يستطع احد في السماء ولا على الارض ولا تحت الارض ان يفتح الكتاب ولا ان ينظر اليهِ. ورأيت فاذا في وسط العرش بين الحيوانات الاربعة في وسط الشيوخ حمل قائم كانهُ مذبوح لهُ سبعة قرون وسبع اعين وهي ارواح الله السبعة المرسلة الى الارض كلها. فأتى واخذ الكتاب من يمين الجالس على العرش ولما اخذ الكتاب خرّت الحيوانات الاربعة والاربعة والعشرون شيخًا امام الحمل وكان لكل منهم كنارة وجامات من ذهب ممتلئة بخورًا وهي صلوات القديسين وهم يسبحون تسبيحة جديدة قائلين مستحق انت ان تأخذ الكتاب وتفض ختومه لانك ذُبحت وافتديتنا لله بدمك من بين كل قبيلة ولسان وشعب وامة وجعلتنا لالهنا ملكوتًا وكهنة ونحن سنملك على الارض. ورأيت فاذا انا اسمع اصوات ملائكة كثيرين حول

العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات والوف الوف قائلين بصوت عظيم مستحق الحمل المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (١

فهذه الاسرار قد اكملها السيد المخلص في بشارته على الارض وموته على عود الصليب حين كشف لنا سر الثالوث المقدس الذي كان خفيًا منذ الابد عن عقول البشر وفك ختوم معرفتهِ حتى انهُ شكر الآب قائلًا « اعترف لك يا أبتِ رب السماوات والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال نعم يا ابت لانهُ هكذا حسن لديك » (٢

ثم انهُ لكي يجعلها ثابتة حتى مجيئه الثاني امر تلاميذه ان ينادوا بها في سائر الخليقة و يتلمذوهم ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وقدس لهم جسده واعطاهم السلطة لتقديسهِ حتى يكون لهم عهدًا ابديًا الى نهاية الزمان

على ان البيعة المقدسة وفقًا لما تسلمت من الرسل الاطهار رتبت انهُ متى قدسنا جسد الرب وصنعنا ذكر موته نكون نعلِم الجهال حياته ونرشدهم بمعرفة لاهوته وناسوته ليكون دوام البشارة شاهدًا على دوام القربان الى نهاية الدهر. ورسمت ان يكون رئيس الكهنة جالسًا على الكرسي العالي الدال على كرسي الآب لنفهم ان بشارة الانجيل ليست من تعليم البشر بل منزلة من لدن الاب كما قال هو نفسه « تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني » (٣

قال يوحنا انهُ رأى على يمين الجالس على العرش كتابًا مختومًا بسبعة ختوم وعني بذلك سر الثالوث المقدس فان كثيرين راموا الفحص عنهُ في العلل الطبيعية والبراهين العقلية غير ان ذراع الرب لم تُعلن لاحد منهم ولا استطاع مخلوق فك ختومهِ لانها مضبوطة بيمين الاب ومختومة باصبعهِ

وقال يوحنا ان الكتاب المختوم ما قدر احد في السماء ولا على الارض ان يفكه

١) رؤيا ٤ و٥ ٢) متى ١١ : ٢٥ ٣) يوحنا ٧ : ١٦

ولا يراه الا الحمل المذبوح الذي من سبط يهوذا الذي له سبعة قرون وسبع عيون . يريد بذلك كما ان السيد المخلص في ارتفاعه على عود الصليب ارضى الاب وجذب اليهِ العالم كذلك في تقريبهِ كل يوم على المذبح يُرضي الاب ويجذبنا الى معرفتهِ . وقال ان له سبعة قرون وسبع عيون والمراد بالقرون سبع مواهب الروح القدس التي بها هدم وحطم سبعة رؤوس التنين اعني الخطايا الرئيسية التي منها تتولد جميع الخطايا. والسبع عيون هي سبعة ارواح الله اعني سبعة كتب العهد الجديد التي ارسلها الآب الى سائر اقطار الارض لتستنير بها عقول البشر

ولذلك رسمت البيعة ان كل من يقرأ قطعة من الرسائل او من الانجيل يجب اولاً ان يقبّل يد الجالس على الكرسي لنعلم ان معرفة اسرار الله هي صادرة من العلا ويعطيها لمن يشاء . وقال يوحنا ان مذبح الخروف كان قدام العرش وفي وسط العرش اربعة حيوانات يصرخون قدوس قدوس قدوس. وانه حول الجالس على الكرسي رأى اربعة وعشرين كاهناً يسجدون قدام الحمل والكل منهم قيثارة وجامات من ذهب ممتلئة بخوراً وهي صلوات القديسين وهم يسبحون للحمل الذي اشتراهم بدمهِ تسبيحاً جديداً

فهذا منطبق على ما تعلمته البيعة من الرسل الموعبين كل حكمة وهو انه عندما تقرأ البشارة ويتتلمذ الشعب يجلس رئيس الكهنة على كرسيهِ ويحيط بهِ جميع الكهنة من هاهنا وهناك على وجه افضل مما رواه ابن سيراخ عن سمعان الحبر ابن اونيا اذ قال عنه « انه كان يتناول اعضاء الذبيحة من ايدي الكهنة وهو واقف على مُوقد المذبح ويحيط بهِ اذ ذاك اكليل من الاخوة احاطة الفروع بارز لبنان والشَطْب بالنخل » (١. لان الشريعة الانجيلية اشرف من الناموسية وكهنوت ملكيصادق امجد من كهنوت هرون وقربان جسد الرب وخدمته اجل وابهى من ذبائح موسى

وعلى مثال الاربعة الحيوانات يرتل الكهنة التقديس للحمل وعلى مثال الاربعة

١) ابن سيراخ ٥٠ : ١٣

والعشرين كاهنًا يقدمون له البخور الذي هي صلوات القديسين ويسبحونه تسبيحًا جديدًا اذ يقرأون المزامير والتهاليل وخاصةً الحساية . وهذه حين يقولها احد الكهنة يقبّل يد الجالس على الكرسي قائلًا « بأمر الله وبأمرك ايها الاب رئيس الكهنة نرفع السبح والثناء والسجود » . وحينئذٍ يبدأ الحساية يمدح بها ابن الله الذي ارسل علينا اشراق نور معرفتهِ وزرع في قلوبنا بشارة لاهوته واعطانا سر جسده ودمه لنعبده ونتحد معه

وانما تُقرأ بتلحين وانغام لاجل قبول بشارة المخلص بفرح وابتهاج الروح كما هو مكتوب « ان الذين قبلوه اعطاهم سلطانًا ان يكونوا ابناء الله » (١ ولكي نجذب قلوب السامعين لتمجيد يسوع بزيادة الغيرة والعبادة كما يمجده الملائكة في السماء والاطفال في عيد الشعانين . وفضلًا عن ذلك فان الله اذا نظر اتفاق الشعب روحًا ونغمةً يقبل طلبة بيعته في السعة وفيضان الرحمة كما ذكر في سفر المكابيين ان الكهنة اخذوا من ماء البئر ونضحوا بهِ الذبائح وهم يرتلون التسابيح فاستجاب الله ابتهالهم وبدل الماء بنار حتى اضطرمت واكلت الذبائح والحطب (٢

وقال يوحنا انهُ رأى ملائكة كثيرة حول العرش والحيوانات والشيوخ يمدحون الحمل بصوت عظيم قائلين « مستحق الحمل المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (٣

فعلى مثال ذلك يرتل اولاد البيعة هاهنا للرب ويطلبون الرحمة وهم قائمون حول بيت القدس . واما الشمامسة فيتناولون هراراتهم ويقدمونها لرئيس الكهنة ليضعها على اكتافهم حتى انهم كما تسلموا منهُ درجة الخدمة كذلك منه يستمدون هاهنا تجديد ذلك السلطان ليقرأُوا بدالّةٍ الكتب المقدسة على الشعب ويقدموا المجد لابن الله في التراتيل والتهاليل المتفقة كل واحد حسب مرتبته

---

١) يوحنا ١ : ١٢

٢) ٢ مكابيين فصل ١

٣) رؤيا ٥ : ١٢

الفصل الثالث

في التقديسات الثلاثة ولمن ترفع اذ نقول

ܩܕܝܫܐ ܐܠܗܐ (قدوس الله)

عندما تكمل الحساية يرسم رئيس الكهنة اشارة الصليب على الشعب ويجدد رئيس الشمامسة مناداة الشعب قائلاً بصوت عال « انقف حسناً ونصلِّ » وعند ذلك يتناول المتقدم في الكهنة المجمرة ويبخر الاسرار بشكل صليب من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ويرتل معهُ باقي الكهنة قائلين « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت » ويعيدونها ثلاث مرات وفي آخر كل مرة يطلب الشمامسة والشعب الرحمة من ابن الله على حسب الاعياد وايام السنة. ففي عيد الميلاد يقولون « ايها المسيح الذي ولد من بنت داود ارحمنا » وفي الغطاس يقولون « ايها المسيح الذي اعتمد من يوحنا ارحمنا » وفي القيامة يقولون « ايها المسيح الذي قام من بين الاموات ارحمنا » وكذلك في باقي الاعياد . واما في سبّة الآلام فيقولون « ايها المسيح الذي صلب لاجلنا ارحمنا »

لكن بما انهُ قد جرت خصومات وانشقاقات بسبب هذه التسبحة في بيعة الله وبما ان الاباء القديسين الذين اجتمعوا في مدينة القسطنطينية سنة اربعمائة وثلاث وثمانين للميلاد حرموا بطرس القصار لاجلها وعزلوه عن كرسي انطاكية. وبما ان بعض المؤرخين اتهموا اهل الشرق انهم شايعوا بطرس القصار على بدعتهِ وزادوا الصلب على التقديسات الثلاثة. وهؤلاء المؤرخون مثل بوتيروس وتوما الكرمليطي وغيرهم اضطرنا الامر ان نشرح بالاختصار مسألة هذه التسبحة وكيف تأولها اهل الشرق ونذكر معانيها وقِدَمها وراي بطرس القصار فيها حتى يتميَّز الزور من الصدق والزؤان من القمح

اعلم ايها القاري ان هذه التسبحة توجد في كل الكنائس لكن على نوعين الواحد

هو بسيط اي « قدوس قدوس قدوس » والثاني مركب كقول الروم « قدوس الله قدوس الحي قدوس الذي لا يموت » او « قدوس انت هو ايها الاله. قدوس انت هو ايها القوي. قدوس انت يا من لا يموت »

وهذان النوعان تسلمتهما البيعة من الملائكة لكن بهذا الفرق وهو ان البسيط رتلهُ الملائكة قبل تجسد ابن الله. واما المركب فبعد التجسد كقول فيلكس بابا رومية في رسالته الى بطرس القصار « ان هذه التسبحة قد تعلمناها من الملائكة لان الملائكة قبل ان يُصلب المسيح استحق اشعيا ان يراهم قائلين « قدوس قدوس قدوس » واما بعد ما صلب فيسبحونه قائلين « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت » واكثر الآباء يرفعون هذه التسبحة البسيطة للاقانيم الثلاثة

وبهذا المعنى رسمت البيعة المقدسة ان نقولها في صلاة السرّ قبل تقديس جسد الرب. وسنتكلم عنها في المنارة الثامنة ان شاء الله. لكن الاباء في تفسيرهم نبوة اشعيا ورؤيا يوحنا ينسبونها احياناً للآب المتحجب في هيكل قدسهِ. واحياناً ينسبونها لاقنوم الابن المتجسد. وبالعرش يعنون البشارة وبالاربعة الحيوانات المبشرين واما التسبحة المركبة فاهل الشرق ينسبونها لاقنوم الابن الذي تجسد وصلب. ولهذا بعد قراءتها يقولون « يامن صلبت لاجلنا ارحمنا »

واما اهل الغرب والروم فيضيفونها الى الثلاثة الاقانيم. وبهذا المعنى يحرمون كل من يزيد عليها الصلبوت. لكن من تأمل حسناً في هذين الرأيين يقرّ علانية انهما مستقيمان لان ابن الله حقاً تجسد وصلب بالجسد الذي اخذه منا. وبهذا المعنى لا يخطئ من يزيد الصلبوت. وعلى موجب الراي الآخر يجب القول حقاً ان الثالوث لم يتجسد ولم يصلب. ولذلك من زاد الصلبوت يستحق الحرم والنفي من بين اولاد الايمان

لكن بما ان بعض اناس مثل زينوبيوس (احد مشايعي ساويروس الذين لم يكن لهم قصد سوى اثارة الفتن والقاء الشكوك بين اولاد البيعة) يثبتون ان كنيسة الشرق

منقسمة عن الغربية بسبب زيادة الصلبوت ليفسدوا القلوب السليمة. فلاجل ذلك نضع هنا بعض براهين نوضح بها ان اهل الشرق لا ينسبون الثلاثة التقديسات للثالوث بل لاقنوم المسيح وحده

الشهادة الاولى من قول افراميوس السرياني الذي يمدح المؤرخون جميعاً امانته وقداسته وغيرته على بنيان البيعة الكاثوليكية فهذا المعلم في سنة خمسمائة وست وعشرين تولى تدبير كرسي انطاكية اربعين سنة بعد بطرس القصار وكان شديد المناصبة لزينوبيوس وساويروس القائلين بطبيعة واحدة ولهذا فانهُ في احتجاجهِ عن البارلاون والمجمع الرابع هكذا يقول بحسب رواية فوسيوس في الكوديكوس الاثنين والثامن والعشرين من مكتبتهِ «اما هذه التسبحة فينسبها اهل الشرق الى يسوع المسيح وفي هذا المعنى لا يخطئون اذا زادوا عليها يا من صلبت لاجلنا. واما اهل القسطنطينية وسكان الغرب فيضيفونها الى ينبوع جميع الخيرات الثالوث المتساوي في الجوهر تعالى وتقدَّس». وعلى هذا الراي لا يطيقون ان يُزاد عليها «يا من صلبت لاجلنا» وفي بلاد اوربة عوضاً عن «يا من صلبت لاجلنا» يزيدون مرات كثيرة في صلواتهم «ايها الثالوث المقدس ارحمنا». وراي المتعبدين واضح بيّن انهم ينسبون هذه التسبحة «قدوس الله قدوس الحي قدوس الذي لا يموت الى الثالوث المقدس» ثم ينسبون «يا من صلبت لاجلنا» الى الصلاة التي بعدها»

وعلى موجب ذلك يكون رأي الفريقين مستقيماً لا يلابسهُ فساد وهذه الشهادة بسبب قدمها وصدق كاتبها هي كافية وحدها لايضاح راي الكنيسة الشرقية

والشهادة الثانية نذكرها تبرئة للموارنة أخذاً عن كتاب القديس يوحنا مارون الذي خلف البطريرك تاوفان نحو سنة ستمائة وخمس وثمانين على كرسي انطاكية. فان ابانا القديس هذا في احتجاجه ضد الروم الذين ثلبوا جماعته قائلين عنهم انهم يزيدون الصلبوت على التقديسات يقول هكذا «يا حبيب نفسي وابن نذرري توبخنا اننا كلما زدنا على التقديسات الثلاثة «يا من صلبت لاجلنا» فاننا صلبنا

نصلب كل الثالوث المقدس فاقبل مني هذا باختصار وتأمل مقصودنا فاننا نقول كما نقولون انتم وسائر المؤمنين ان السيد المسيح واحد من الثالوث المسجود لهُ من الجميع لانهُ لم يتجسد الثالوث كله لكن واحد من الثالوث المقدس فقط تأنس وتجسد وصلب . وهذا هو ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي ولد من الآب قبل كل الدهور الذي هو نور من نور اله حق من اله حق الذي من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن البتول مريم وصار انسانًا وصلب من اجلنا في ايام بيلاطوس البنطي وكل ذلك وفقًا لتعليم الآباء الاطهار الثلاثمائة والثمانية عشر . فانظر الان ايها الحبيب وابصر لمن ينتسب رأينا أإلى ذلك الذي صُلب من اجلنا في عهد بيلاطوس البنطي ام الى كل الثالوث المقدس»

الشهادة الثالثة عن طائفة اليعاقبة من قول ديونيسيوس ابن الصليبي اسقف آمد هذا كان سنة الف ومائة للميلاد وفي رسالتهِ الى اغناطيوس مطران بيت المقدس قال في الراس الرابع عن الثلثة التقديسات« ان هذه التسبحة تُرفع الى الابن وحده لا الى الثلاثة الاقانيم . فنقول قدّوس الله اذ انهُ ولو تمسكن بما انهُ كان انسانًا الاَّ انهُ غني ولم يتغير الا بانه صار انسانًا و بذلك بيّن انه اله . ونقول قدّوس القوي ونريد ان الكلمة الذي تجسَّد لاجلنا وتبين ضعيفًا ثبت قويًا غير متألَم وقهر المحتال . ونقول قدّوس الذي لا يموت فنمجد الكلمة الذي اعترك في الجسد مع الموت وثبت غير مائت كالاله . ونقول يا من صلبت لاجلنا فنؤدي لهُ الشكر لانهُ تقدم من اجلنا للصلب والموت في الجسد ورحمنا وخلصنا » وعلى شبه ذلك يقول البطرك ابن معدني والبطرك حنا بن وهبون وغيرهما

الشهادة الرابعة عن طائفة الارمن والروم في بلاد الشام محررة في المجمع الذي انعقد في طرسيوس من بلاد ارمينية فانه عندما وبخهم الروم على زيادة الصلبوت اجابوهم قائلين « اننا نرتل الثلاثة التقديسات للمسيح وندعوكم انتم ايضًا الى الشهادة فان هذه التقديسات موجودة عندكم في مدينة دمشق وفي مدينة

منسوسطا ومسطرة في بعض كتب بلغاتكم هكذا « قدوس الله قدوس الحي قدوس الذي لا يموت يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » وانما نزلها على هذه الصورة لا من تلقاء نفسنا بل موجود عندنا اننا هكذا تعلمناها منكم »

اي من اقرار افراميوس بطرك انطاكية ومن قول جميع طوائف الشرق يتحقق انهم لا يرفعون هذه التسبحة للثالوث المقدس بل لاقنوم الابن وحده الذي تجسد وصلب

الفصل الرابع

في البرهان على صدق هذه التسبحة من كتب البيعة ومن مناصبة راي بطرس القصار

كثيرًا ما يعرض ان السنن التي يضعها رؤساء القبائل يزيغ عنها العامة ويتمسكون بغيرها كذلك لئلا يظن احد ان اهل الشرق تمسكوا بتسليمات غريبة عما كتب علماؤهم يضطرنا الامر ان نوضح هنا بعض شهادات محررة في كتب البيعة والصلوات التي في كل سنة يقرأها الكهنة ورؤساء الشعب في الاعياد وغيرها . ومنها يفهم القارئ ان ملة الموارنة لا ترفع الثلاثة التقديسات المركبة الا للابن المتأنس

اولاً في صباح الدنح نقرأ « قدوس الله الذي انحنيت بمشيئتك واعتمدت بالاردن . قدوس القوي الذي بعمادك تسامح الخطاة . قدوس الغير مائت الذي منحت الحياة بواسطة الماء يا من صلبت برضاك عن بيعتك المقدسة ارحم بنيها الذين يزيحون عمادك »

ثانيًا في صباح دخول الرب للهيكل نقول . « قدوس الله الذي كالانسان دخل هيكل القدس حين تجسد . قدوس القوي الذي بهِ تأيد سمعان وحمله على ذراعيهِ

قدوس الذي لا يموت الذي حل الشيخ كما طلب من حياة الشقاء يا مخلصنا الذي صلبت لاجل بيعتك ترأف على بنيها »

ثالثاً في صباح خميس الاسرار نقول « قدوس الله الذي اكل الفصح مع تلاميذه الاطهار في العلية . قدوس القوي الذي قسم جسده ودمه الحي لتلاميذه لمغفرة الخطايا . قدوس الغير مائت الذي مات وعاش ويهوذا باعه بالمكر ليقتلهُ . ايها الرب الذي صلبت فخاف الرسل وتبددوا فجمعتهم بقيامتك يا ابن الله »

رابعاً في عيد الصليب نقول « قدوس الازلي المحتجب الذي من حضن الاب اشرق في المسكونة لمغفرة الذنوب . قدوس القوي الذي بقوتهِ قتل الحية الشريرة وعساكرها . قدّوس الذي بصليبه خلص بيعته من الضلالة . ايها الاله الذي صلبت لاجل رعيتك »

خامساً في صباح الاحد الجديد « قدوس انت يا الله الذي نزلت من السماء ولبست طبيعتنا . قدوس انت ايها القوي الذي بقيامتك خلصتنا من الضلالة . قدوس انت ايها الغير مائت الذي بصوتك تشجع التلاميذ في العلية . يا من صلبت برضاك في طبيعة الادميين ارحم اولاد البشر »

ولا باس ان نزيد على ما تقدم بعض شهادات سريانية كما هي في الكتب لتصديق كلامنا فاننا نقول في صباح ميلاد السيدة :

ܩܕܝܫܬ ܐܠܗܐ ܗܘ ܕܡܠܠ ܒܟܐܢܐ ܘܢܒܝܐ ܥܠ ܐܪܙܐ ܕܡܐܬܝܬܗ . ܩܕܝܫܬ ܚܝܠܬܢܐ ܕܓܠܝ ܫܪܪܗ ܠܘܬ ܝܘܝܩܝܡ ܘܚܢܐ ܐܢܬܬܗ . ܩܕܝܫܬ ܠܐ ܡܝܘܬܐ ܕܫܟܒ ܥܠ ܣܒܪܗܘܢ ܕܟܐܢ̈ܐ ܘܕܢܚ ܡܢܗܘܢ ܝܪܬܐ ܡܒܪܟܐ . ܕܐܨܛܠܒܬ ܦܪܘܩ ܠܢ ܒܗܘ ܦܓܪܐ ܕܟܝܐ ܕܢܣܒܬ ܡܢ ܒܪܬ ܕܘܝܕ (١

١) قدوس الله الذي تكلم الابرار والانبياء عن سرّ مجيئه . قدوس انت ايها القوي الذي اظهر صدقه لدى يواكيم وحنة زوجته . قدوس غير المائت الذي رقد على رجائه الابرار واشرق منهم الوارث المبارك لانك صلبت يا مخلصنا بذاك الجسد النقي الذي اخذته من بنت داود

وفي صباح نياحتها

ܩܕܝܫܐ ܐܠܗܐ ܕܝܩܪ ܘܪܘܪܒ ܡܥܢܕܢܗ ܕܝܠܕܬܗ ܦܓܪܢܐܝܬ. ܩܕܝܫܐ ܚܝܠܬܢܐ ܕܒܗ ܐܬܚܝܠܬ ܐܡܗ ܦܓܪܢܐܝܬ ܥܠ ܟܣܐ ܕܡܙܓ ܐܕܡ. ܩܕܝܫܐ ܠܐ ܡܝܘܬܐ ܕܒܦܘܩܕܢܗ ܡܘܬܐ ܛܥܡܬ ܒܪܬܐ ܕܕܘܝܕ ܐܝܟ ܢܡܘܣܐ (١

وفي صباح مديحها

ܩܕܝܫܐ ܐܠܗܐ ܕܢܚܬ ܘܠܒܫ ܦܓܪܐ ܕܟܝܐ ܡܢ ܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ ܕܟܝܬܐ. ܩܕܝܫܐ ܚܝܠܬܢܐ ܕܐܫܪܝ ܚܝܠܗ ܒܕܟܝܬܐ ܐܝܟ ܕܨܒܐ ܠܗ ܘܕܢܚ ܡܢܗ. ܩܕܝܫܐ ܠܐ ܡܝܘܬܐ ܐܠܗܐ ܕܠܒܫ ܦܓܪܐ ܡܝܘܬܐ ܡܢ ܒܪܬܐ ܕܕܘܝܕ. ܕܐܨܛܠܒܬ ܥܠ ܙܩܝܦܐ ܡܛܠ ܦܘܪܩܢܢ. ܚܘܣ ܥܠܝܢ ܒܨܠܘܬܗ ܝܠܘܕܐ ܕܕܢܚ ܡܢܗ ܗܐ ܥܕܬܐ ܒܟܢܘܫܝܗ ܫܘܒܚܐ ܡܙܡܪܐ ܠܐܒܘܟ ܐܦ ܠܟ ܘܠܪܘܚܟ ܒܟܠܗܘܢ ܥܕܢܝܢ. (٢

ولو اردنا ان نذكر سائر الشهادات بهذا المعنى لطال الكلام وما ذكر منها كافٍ لاقناع من سلم ضميره وتجرد عن روح العناد والمكابرة. لكن واضح بيّن ان هذه التسبحة المركبة لم تكن قط عندنا تُرفع للآب للابن وحده . لان الابن وحده تجسد وصلب . ولهذا حين نقول هذه التسبحة قبل قراءة الانجيل بالقداس يجاوب الشماس « يا من ولدت او اعتمدت من يوحنا او يا من صلبت او يا من قمت من بين الاموات ارحمنا » لانهُ لم يولَد ويعتمد ويصلب ويقم سوى المسيح وحده

ويتبين ذلك بكل جلاء من الصلاة التي نقرأها بعد التسبحة اذ نقول « قدوس وممجد وقوي وغير مائت انت هو ايها الرب الساكن في القديسين يا من

١) قدوس الله الذي كرم وعظم انتقال والدته بالجسد . قدوس القوي الذي تقوّت امه بالجسد على الكاس التي مزجها آدم . قدوس الذي لا يموت من بامره ذاقت الموت حسب الشريعة ابنة داود

٢) قدوس الله الذي انحدر ولبس جسداً نقياً من مريم البتول النقية . قدوس القوي الذي احلّ قوته بالطاهرة كما حسن له واشرق منها . قدوس الاله غير المائت الذى لبس جسد الموت من ابنة داود . يا من صلبت على الصليب من اجل خلاصنا ترأف علينا بصلواتها ايها الولد الذي ظهر منها هوذا البيعة ترتل بمحفلها التسبحة لابيك ولك ولروحك بكل الاوقات

في القديسين تستريح مثلثة لاهوتك قدّس افكارنا لترفع لك التسبيح ولابيك ولروحك القدوس »

هذا وان البطريرك سركيس ابن الرز حين بلغهُ ان بعض اناس ثلبوا طائفتهُ واخاه البطرك ميخائيل ببعض هرطقات من جملتهـا انهم يصلبون الثالوث اغتاظ غيظاً شديداً وامر بالتئام مجمع في جبل لبنان سنة الف وخمسمائة وست وتسعين بحضور الاب جيرونيموس دنديوس الذي كان من اليسوعيين قاصد اقليموس الثامن بابا رومية واوضح ان تلك التهمات كانت كلها زوراً (١

اما الثلاثة التقديسات فنشهد انها في كتبنا على نوعين . اعني انهُ عندما تضاف اليها الولادة والصلب والموت تُرفع للاقنوم الثاني الذي تجسد . والدليل على صدق هذا المقال مناصبة رأي بطرس القصّار الذي حرمهُ الآباء لانهُ افسد الثلاثة التقديسات

وقد ذكر البابا فليكس الثالث في الرسالة التي كتبها ضده ان قد انتهت اليهِ عدة كتابات من اهل المشرق تخبرهُ عن بطرس القصار انهُ تبع راي ابوليناريوس وزعم ان المخلص كان عديم الروح والعقل وان المذكور وقع في جنون والنتيانوس ونكر ان الثلاثة الاقانيم ذات طبيعة واحدة لا بل زاد كفراً على كفر بان قال ان الله الآب لهُ ابنان احدهما قوي مولود قبل الازمنة والثاني متجدد ضعيف وهو الذي صُلب وبذلك شايع بولس الصميصاطي وفوتينوس وارتيموس

وهذه الاراء جميعاً ممقوتة مرذولة في كتبنا . زعم ان المسيح عديم الروح والعقل وضد هذا نقرأ في حساية عشية عيد البشارة . « وصور لذاتهِ نفساً وعقلاً في بطن غير المزوَّجة اذ هو يصور كفوءًا صورة الزواج في احشاء المزوجات » . نكر توحيد الثالوث في الجوهر وضده نقرأ كل يوم في الحسايات والنوافير وغيرها كما سوف نتكلم عن ذلك في تسبحة الغلبة

زعم ان للاب ابنين وضدهُ نقرأ في حساية ستار الاحد السابق الميلاد « هكذا

١) انظر صورة هذا المجمع في الصفحة ٢٨٧ من تاريخ الموارنة الذي طبعته سنة ١٨٩٠

نبشر وهكذا نعترف انك رب واحد كما تنبأ الانبيــاء وابن واحد كما قرّ بك والدك وولد واحد كما بشّر بك الرسل وانك واحد وحيد كما افتخر بك بولس ومسيح واحد كما أوحيت لبطرس واله واحد صار لحماً كما صرخ ابن الرعد. تشبه ابيك في كل شيء دون الجسد وتشبهنا نحن في ما خلا الخطية »

واما البطريرك يوحنا مارون فيخبرنا بوضوح عن بدعة بطرس القصار واعتقاده الفاسد اذ يقول في شرحه عن هذه التسبحة ان الآباء حرموا فطرا (اي بطرس) لانهُ زعم بضميره الفاسد ومعرفته الغاشة انهُ يزيد رابوعاً على الاقانيم شبه نسطور اليهودي الجديد اذ يفهم بقدّوس الله الاقنوم الاول وبقدّوس القوي الاقنوم الثاني وبقدّوس الذي لا يموت الاقنوم الثالث وبقدّوس الذي صلب لاجلنا اقنوماً رابعاً . واذ تعلّق بهذا الراي الفـاسد زاد على افـتراه ان اللاهوت تألم ولهذا سماه الآباء وللقائلين بمقاله مؤلمي اللاهوت. فاما نحن فبعيدون عن جنون هذا الزعم

فمن هذا الشرح الواضح يفهم القاري ان بطرس القصــار كان يكرّر قدوس اربع مرات لينقض سرّ الثالوث ويقيم رابوعاً . وضد هذا الزعم الفاسد نقرأ في حساية ليل عيد الدنح « وهم ثلاثة اقانيم قديسون ليس لهم رابوع اله واحد حقاني غـير مفحوص من العلويين ولا مدرك من السفليين »

زعم ايضاً ان اللاهوت تألم وضده نقول في حساية صباح اربعاء الآلام « لك المجد ولك الشكر ايها المسيح الهنا غير المتألم وغير المائت المقتني طبعاً ازلياً عديم الالم والموت مع ابيك وروحك القدوس . ولاجل انك ارتضيت ان تجعلنا غير مؤلمين وغير مائتين بمحبتك واختيارك صرت انساناً مثلنا وقبلت ان تحتمل الآلام السرية »

وانما سموه فطرا لا فطروس لانهُ غير مستحق ان يسمّى باسم راس الحواريين اذ هو بعيد عنهُ في الايمان وفي الثواب كقول الحكيم « ذكر الصديق بركة واسم المنافقين يبلى (١ . وكأنّ ابانا القديس يوحنا مارون يقول فيما تقدم من كلامهِ انهُ هو

١) امثال ١٠ : ٧

وسائر بني ملته الذين سلفوا والذين يأتون بعده جميعهم بعيدون عن هذا المجنون وهذيانه لان هذه الطائفة بنوع مختص تلعن لهُ والكل من يتبع رايه كما هو واضح من امانة رهبان دير مار مارون الذين كانوا يناصبونه في حياته كل المناصبة وفي سنة خمسمائة ونحو سبع عشرة بعثوا برسالة لهرميزدا بابا رومية قالوا فيها اننا نحرم جميع المحرومين والمقطوعين من كرسيكم الرسولي . ونعني بذلك نسطور الذي كان اسقف القسطنطينية واوطاخي وديوسقورس وبطرس الاسكندري الملقب بالالثغ وبطرس الانطاكي المعروف بالقصار واقاس شريكهم الذي كان اسقف القسطنطينية وجميع من يحامون عن احدٍ من اولئك الهراطقة

ثم ان اباءنا الذين جاؤوا بعدهم لم يزالوا في كل عام يعدونهم بين المبتدعين الذين اقلقوا بيعة الله وكدروا بفساد رايهم تعاليم الآباء الاطهار كما نقرا في صباح عيد القديس باسيليوس وغريغوريوس بصوت ܡܥܘܛ قائلين « ان القديسين الذين هم كالانهر المباركة استقوا من ماء الحياة الشراب اللذيذ الحلو واسقوا منهُ المسكونة الظامية الى كلام الحق وزيَّفوا كلام فطرا الذي عكر مورد التعليم باتباعهِ لمقالة اريوس وسائر الضالين »

فهذه الشهادات الواضحة تكذب مزاعم توما الكرملي الذي افترى على الامة المارونية واهل الشرق ناسباً اليهم البدع عن غير معرفة بكتبهم والمام بلغاتهم ولكن الله تعالى لم يتركه دون قصاص فانتقم منه في حياته وبعد مماته أُحرق كتابه في دير قنوبين . وكان قصدنا ان نثبت اعتقاد اهل الشرق في سرّ الثالوث وتجسد ابن الله لكننا اضربنا عن ذلك الآن الى ان نستتم بيان غرضنا

الفصل الخامس

في البرهان على صدق هذه التسبحة من قدمها

نتخذ البرهان الرابع من قدم هذه التسبحة فالبعض يقولون انها ابتدأت من مدينة القسطنطينية سنة اربعمائة وست واربعين للمسيح في ايام تاودوسيوس الملك وفروقلوس البطريرك . فانه في تلك الايام عرضت زلازل مريعة في المدينة خرّبت سورها الذي كان متجدداً مع سبعة وخمسين برجاً وطالت ستة اشهر حتى ان الملك والبطريرك وباقي الشعب اضطروا ان يتركوا المدينة ويقيموا في الصحاري

ففي ذات يوم بينما هم مجتمعون يقدمون التضرّع والصلاة بدموع فائضة للرب ليتعطف على شعبه خطفت الريح طفلاً في الفضاء وغيّبته عن الابصار وبعد ساعة يسيرة هبط الصبي الى الارض واخبر انه سمع ملائكة الله يرتلون « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا » وامرهم يفعلون كذلك فينجون من الغضب . قال هذه التسبحة ثم فاضت روحه وللوقت امر القديس فروقلوس كل الشعب بان يرتلوا هذه التسبحة وباذن الله بطلت الزلازل وزال الغضب

وقيل ان ملك الروم أمر حينئذٍ بترتيل التسبحة المذكورة في كنائس مملكته . ولما التأم المجمع الرابع في خلكيدونية قبلها الآباء واثبتوها غير انها بلا شك كانت جارية في بيعة الله قبل ذلك الزمان كما يتبين ذلك من كتب صلواتنا التي رُتّبت من ايام المجمع النيقاوي ومن رتبة القداس التي هي اقدم منها . ومن سيرة يوحنا فم الذهب عند الروم يبين جلياً انها كانت في عصره

وذكر سقراط المؤرخ في الكتاب السادس ان القديس اغناطيوس ثالث بطاركة انطاكية بعد بطرس الرسول شاهد الملائكة يرتلونها وادخلها في كنيسته ومنها تسلمت باقي الكنائس كما هو محرر في سيرة يوحنا فم الذهب عند الروم بهذا الكلام

« ان اغناطيوس بطرك انطاكية الشام ثالث البطاركة بعد بطرس الرسول الذي عاشر الرسل وخاطبهم . ابصر طغمة من الملائكة يسبحون الثالوث المقدس بترنيمات ملحنة فسلّم ذلك الى كنيسة انطاكية ومنها نشأ هذا التقليد في جميع الكنائس » وآخرون قالوا ان هذه التسبحة من جملة تسليمات الرسل اركان البيعة

واما اهل الشرق فيقولون ان هذه التسبحة نشأت من حين ما أحدروا جسد الرب عن الصليب فتأمله نيقوديموس مائتاً وشمله العجب كيف ان ذاك الذي بكلمته اخرج الشياطين واقام الموتى وصنع معجزات كثيرة وشهد لهُ الآب من السماء انهُ ابنه يتغيَّر ويتولاه الموت فناداه بامانة قائلاً . « اين جبروتك يارب » فالتفت اليهِ متبسماً لان اللاهوت لم يفارق الجسد اصلاً . وسمع الملائكة يسبّحونه من العلاء قائلين « قدّوس الله قدّوس القوي قدوس الذي لا يموت » حينئذٍ رفع نيقوديموس صوته قائلاً . « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » . وهذا الخبر مكتوب مع التسابيح المزيدة على مزامير داود النبي في النسخة السريانية . وعليهِ يدل قول البيعة في سوغيت صباح السبت الكبير

ܩܪܒ ܗܘܐ ܝܘܣܦ ܘܫܐܠ ܗܘܐ ܦܓܪܗ ܡܢ ܦܝܠܛܘܣ ܘܐܚܬ ܐܚܬܗ . ܘܪܥܡܐ ܘܫܘܒܚܐ ܕܥܝܪܐ ܘܐܢܫܐ ܡܫܬܡܥܐ ܗܘܐ ܟܕ ܢܚܬܗ ܗܘܐ . ܡܫܒܚܘ ܥܢܝܐ ܕܫܡܝܢܐ ܩܕܝܫ ܩܕܝܫ ܒܗܘܠܠܝܗܘܢ . ܬܡܗܘ ܒܪܝܬܐ ܟܕ ܐܬܪܡܝ ܗܘܐ ܒܝܬ ܡܝܬܐ ܫܘܒܚܐ ܠܫܡܗ (١

ويثبت هذا من استعمال جميع الكنائس التي تُرتل هذه التقديسات الثلاثة يوم الجمعة الكبيرة لدى السجدة للصليب المحيي واما الروم فانهم في خدمة القداس لدى الزياح الكبير ونقل الاسرار من المذبح الى المائدة يضعون ستراً فوق رؤوسهم مزخرفاً ومصوراً عليه المسيح مدفوناً في القبر والشمامسة يرتلون هذه التقديسات

١) دنا يوسف والتمس جسده من بيلاطوس واحدره واذ ذاك سمعت ضجة المجد بين الملائكة والناس وبينما هو ينزله مجدت الجماهير السماوية بتهاليلها قائلة قدوس قدوس فانذهلت البرايا لانهُ اضجع بين الاموات فالمجد لاسمه

ويلوحون حوله بالمراوح . فتلك النقلة تدل على انحدار جسد المخلص عن الصليب وتجنيزه اذ يقول الكاهن « ان يوسف الحسن الراي انزل جسدك في قبر لهُ جديد» وتقديسات الشمامسة تدل على ترنيم الملائكة . وتلويح المراوح يشير الى حيرة الملائكة (كما يقول القديس جرمانوس بطرك القسطنطينية) الذين عاينوه في مكاره الالم والى تحويل وجوههم حين رأوه سلّم الروح . وكانت تُصنع هذه النقلة قبل مجمع نيقية في كل الكنائس . واما الرؤيا التي رآها الطفل في القسطنطينية بايام فروقلوس فمذكور في سنكسار الروم انها جرت قبل عيد القيامة بنوع ان الطفل سمع من الملائكة نفس الترتيل الذي سمعه نيقوديموس

ومما ذكرنا يفهم القاري ان هذه التسبحة اقدم من بطرس القصار ومن رؤيا الطفل وهي محررة في التشمشتات السريانية التي تألفت من عهد مجمع نيقية وفي رتبة القداس التي تسلمناها من يعقوب اخي الرب وموجودة في جميع كنائس النصارى فاذاً لا يجب ان نحقرها بسبب افتراء بطرس القصار واتباعه المؤلمين اللاهوت الذين انقرضوا وبادوا وكل طوائف الشرق تلعنهم

الفصل السادس

في البرهان على صدق هذه التسبحة من الاسباب الالهية

نتخذ البرهان الخامس من الاسباب الالهية اولاً ان الصفات العامة تقال على جميع ما ينضاف اليها ويتصل بها وهذه الصفات اله وقدوس وقوي وحي وغير مائت هي شائعة . وتقال بنوع مستقيم على الطبع الالهي وعلى جميع الاقانيم بالاجمال والافراد وعليه فاذا نسبناها لاقنوم الابن تكون مستقيمة وناجية من اللوم

ثانياً ان هذه التسبحة المركبة قد رتلها الملائكة بعد تجسد المسيح وتشتمل على بعض صفات مثل حي وقوي وغير مائت توافق الاقرار بالاقنوم الثاني بعد

التجسد اكثر مما هو بذاته لان كثيرين بلبلوا طبع اللاهوت بالناسوت وآخرين قالوا انهُ مثلنا مائت وغير قوي وما من احد زعم ان الآب لهُ ابن طبيعي . ثم انهم تجاسروا على القول بانهُ غير حي وغير قوي وان روح القدس ليس الهاً بالجوهر وزعموا انهُ مائت اما نحن فلكي نزيف افتراءهم نقول عن الابن قدوس الحي والقوي وعن روح القدس قدوس الذي لا يموت

ثالثاً اذا نسبت هذه التسبحة الى اقنوم الابن المتجسد يتسهل تفسير الاسرار التي تخصه لاننا نقول ثلاث دفعات قدوس بما انهُ واحد من الثالوث ورداً على اليهود الذين صرخوا ثلاث مرات اصلبهُ . ونقول انهُ اله قوي وغير مائت اقراراً بطبعهِ الالهي المجرد عن الضعف والموت . ونقول انهُ صُلب لاجلنا لنعترف بطبعهِ البشري الذي بهِ ضَعُف وصُلب ومات كقول الرسول « فانهُ وان يكن قد صُلب عن ضعف لكنهُ حي بقوة الله» (١ . ثم نقول « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » للاقرار بان المخلص الحاوي طبيعتين الهية وبشرية هو اقنوم واحد الهي مخزن الرحمة

اخيراً لو سلمنا ان هذه التسبحة « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت » تُرفع للثالوث المقدس فقط لا ينتج من ذلك ان زيادة الصلبوت بعدها تكون خارجة عن قوانين الكنيسة الاَّ اذا قيلت بنية فاسدة لان هذه الاستغاثة « يا من صلبت لاجلنا » هي متوسطة بين تسبحة الثالوث وبين طلب الرحمة فان اضافتها لذكر الثالوث هي غير صوابية لانه لم يتجسد الثالوث ولا صلب لكن اضافتها الى طلب الرحمة والكلام التابع تكون مستقيمة وناجية من الكذب لان المسيح صلب حقاً لاجلنا ويريد ان نسأله الرحمة كقوله « اسألوا فتعطوا اطلبوا فتجدوا » (٢

وهذا الراي ليس برأي منحرف ولا صادر عن هوًى وغرض لكن افراميوس بطرك انطاكية يقول ان رأي المتعبدين واضح جلي لانهم ينسبون هذه التسبحة

١) كورنتس ١٣ : ٤ ٢) متى ٧ : ٧

قدّوس الله قدّوس القوي قدّوس الحي الذي لا يموت الى الثالوث المقدس. ويا من صلبت لاجلنا الى الصلاة التي تتبعها»

واعلم ان هذه التسبحة لها جزءان منفصلان احدهما ترتب من الملائكة والآخر من البشر وكل واحد معناه كامل ليس مفتقراً الى الآخر. فالجزء الاول يتضمن تقديس الملائكة «قدّوس الله قدّوس القوي قدّوس الذي لا يموت او قدّوس قدّوس قدّوس» كما ورد في نبوة اشعيا وفي كتاب الرؤيا بغير ذكر الصلبوت ولا طلب الرحمة لان الملائكة خواطر عقلية ثبتوا في النعمة من قبل خلقة الانسان ولذلك ليسوا بمحتاجين الى طلب الرحمة

واما الجزء الآخر فيتضمن طلب البيعة «يا من صلبت لاجلنا ارحمنا» وهذه الطلبة صارت بعد صلبوت الرب وهي بذاتها صادقة ومعناها كامل اذاً لو سلمنا ان الجزء الاول يُرفَع الى كل الثالوث يكون الجزء الثاني يُرفع الى الابن لا الى الثالوث جميعه. ويثبت قولنا من تسليم الكنائس فانهُ مثلما كان الملائكة يسبحون في العلا قائلين «قدّوس الله قدّوس القوي قدّوس الذي لا يموت». كذلك رتب اباؤنا المتوشحون بالله على الكهنة ان يرتلوا في خدمة الاسرار المقدسة فوق المذبح هذه التسبحة من غير زيادة ولا نقصان وكما صرخ نيقوديموس «يا من صلبت لاجلنا ارحمنا» كذلك رسمت البيعة ان يجاوب الشماس والشعب من غير زيادة ولا نقص

وعملاً بذلك فان كل الكنائس يوم جمعة الآلام تسجد لصليب الرب وهي ترتل «قدّوس». فالكنيسة الرومانية تأمر عند السجود ان ينقسم المرتلون افواجاً و يرتلوا ثلاثة فتغامات. الاول يرتلونهُ باسم اقنوم السيد المخلص قائلين «يا شعبي ماذا صنعت بك جاوبني او بماذا احزنتك فكلمني». والفتغام الثاني يرتلونهُ باسمهِ ايضاً قائلين «انا اخرجتك من ارض مصر فهيأت صليباً للذي خلصك». والفتغام الثالث هو هذه التسبحة يرتلونها باسم البيعة قائلين «قدّوس الله قدّوس القوي قدّوس الذي لا يموت ارحمنا» ويقولونها في اللغة اليونانية والرومانية معاً. ثم

يراجعون الفتغام الاول من غير تغيير وكذلك الثالث واما الثاني فيبدلونهُ بهـذا الكلام « انا لاجلك جلدتُ مصر وابكارها وانت اسلمتني للجلد انا اخرجتك من مصر وغرّقتُ فرعون في البحر الاحمر وانت اسلمتني لرؤساء الكهنة. انا شققتُ البحر قدامك وانت ثقبتَ جنبي بحربة. انا سقتك بعمود الغمـام وانت سقتني الى دار بيلاطوس. انا رفعتك بقوة عظيمة وانت علّقتني على عود الصليب » وبعد كل من هذه الاقوال يرتلون « قدّوس الله » الى ان تنتهي السجدة

فاذًا كما انهُ في الكنيسة الرومانية التي هي اسطوانة الايمـان يجوز ان يقول الفوج الواحد باسم المسيح « يا شعبي لماذا جلدتني وثقبتَ جنبي وعلقتني على عود الصليب » فيجيب الفوج الآخر « قدّوس الله قدّوس القوي قدّوس الذي لا يموت » كذلك يجوز بغير خطية انهُ عندما يرتل الكهنة قدّوس الله يُجاوب الشمامسة « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا. ايها المسيح الذي ولدت واعتمـدت وقمت من بين الاموات ارحمنا »

فمن هذا البرهان يفهم كل ذي عقل انهُ ولو سلمنا ان التقديسـات الثلاثة تُرفع للثالوث الاقدس فان زيادة الصلبوت لا تقع على الثالوث ولا على الكلام السابق بل على السيد المخلص الذي صُلب. الا ان اهل الشرق لم ينسبوها الى الثالوث القدس بل الى المسيح المتجسـد الذي مات وقام كما ظهر بوضوح من الشهادات والبراهين التي تقدم ذكرها

وان اعترض احد بقوله ان كان هذا رايكم فلماذا عند ما طُبع شحيمـكم في رومية سنة الف وستمائة واربع وعشرين لم يأذن العلماء الذين فحصوه وقتئـذٍ بطبع الصلبوت مع هذه التسبحة بل امروا برفعه. وقبـل ذلك غريغوريوس البابا الثالث عشر في الرسالة التي انفذها الى البطريرك ميخائيل الرزي سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين نهاه عن هذه الزيادة فعن ذلك نجيب :

ان الكنيسة الغربية لم تأمر برفع هذه التسبحة للمسيح وحده بل للثالوث

كله . ولما سمع البابوات اننا نزيد عليها الولادة والصلبوت توهموا كوننا نعتقد بان الثالوث كله تجسد او كله صُلب واننا متمسكون براي فطرا الفاسد كما هو واضح من رسالة غريغوريوس الثالث عشر حيث يقول « بلغنا انهُ في تقدمة القداس عندما تقال الثلاثة التقديسات تزيدون عليها بعض كلام يبعد عن الصواب وعن الراي الذي تتمسك بهِ الكنيسة الكاثوليكية اعني« يا من ولدت ويا من صلبت لاجلنا ويا من قمت وصعدت الى السماء ارحمنا » . وهذا انما يضاف باقتراء الى كل الثالوث ويناسب بدعة بطرس القصار الذي كان قديمًا بطرك انطاكية وحُرمت بدعته في المجمع القسطنطيني الخامس فانهُ لا الآب تجسد ولا روح القدس بل يسوع المسيح ابن الله الوحيد تجسد وحده واخذ شبه الانسان وصلب وذبح عن خطايا كل الشعب . ولذلك حكمنا بان تنسخ وتمحى هذه الصلاة من عوائدكم »

واما نحن وجميع اهل الشرق فرأينا كما سبق الكلام اي ان هذه التسبحة لا يُقصد بها الثالوث بل الابن وحده الذي هو وحده ولد واعتمد وصلب وقام حقًا لاجل خلاصنا . وأما العلماء الذين فحصوا كتاب الشحيم فما ازالوا هذه الزيادة بما انها مضادة لراي البيعة بل ليكون بين الكنيستين المارونية والرومانية اتفاق تام واتحاد كلي بالمعنى والكلام كما هو واضح من الرسالة التي كتبها الكردينال بنديوس الى البطريرك يوحنا الاهدني وهي محررة في بدء الكتاب على الوجه الآتي « اننا وجدنا بعض اشياء من شأنها ان تلقي بعض شكوك لو لم يكن يتضح من اقوال اخرى في نسخ كتبكم المذكورة انكم تعتقدون وتتمسكون بالامانة الكاثوليكية لكن حتى لا يبين انكم مفترقون ولو بكلمة عن التعليم الرسولي — لانكم في المعنى غير مبتعدين — أمر سيدنا الاب الاقدس ان يصلح ذلك جميعه بحسب قانون الكنيسة الرومانية »

ثم ان العلماء لما فحصوا فيما بعد الفنقيطات الصيفية والشتوية وتحققوا ان هذه التسبحة تُرفع للابن وحده اذنوا ان يزاد عليها « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » وطبعت هذه الزيادة في نفس رومية من غير معارض ولا مانع

الفصل السابع

في معنى هذه التسبحة وصلاة العطر اذ نقول

ܩܕܝܫܐ ܡܫܒܚܐ (قدوس وممجد)

بعد ان تكلمنا عن قِدم هذه التسبحة وبرهنا ان اهل الشرق يرفعونها لاقنوم الابن وجب ان نرجع الى شرح القداس فنقول ان هذه التسبحة هي من رتبة القداس الطاهر وموجودة في جميع القداديس السريانيّة والشرقيَّة منذ زمان الرسل . ويشار بها الى عماد السيد وحسن الشهادة انهُ ابن الله وان كلامه يستحق القبول كقول يوحنا « والروح يشهد ان المسيح هو الحق وان الشهود ثلاثة في السماء الآب والكلمة وروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١

وعندما اعتمد بيد يوحنا عبده شهد الانجيل المقدس انهُ اكمل البرّ فسمع صوت الآب من السماء قائلًا « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت فلهُ اسمعوا وحل عليهِ روح الرب مثل حمامة » (٢

ولاجل تصديق الصوت وبنيان الذين يسمعونه وتتميم ذلك السر العظيم رسمت البيعة ان الكاهن يأخذ الماطورية ويبخر الاسرار اذ يقول ثلاث مرات « قدّوس الله » لتكون الاسرار بمقام الرب الذي تعمَّد والبخور فوق الاسرار بمثابة استقرار الروح والكاهن خادم الاسرار بمنزلة يوحنا خادم العماد وصوت التقديس بمقام صوت الآب من السماء

وانما نقول اولاً ثلاث مرات « قدّوس » ليسمع الموعوظون ويؤمنوا ان السيد المخلص هو واحد من الاقانيم الثلاثة

ثانيًا نقول انهُ قوي وغير مائت ليتحققوا ان الذي صلب بضعف البشرية كان في طبيعة لاهوتهِ ناجيًا من الضعف والموت

١) ١ رسالة يوحنا ٥ : ٦ ٢) متى ٣ : ١٦

ثالثاً نصنع رسم الصليب على الاسرار قائلين « قدّوس » لنصور لهم ترتيل الاربعة الحيوانات ويعلموا اننا ما عرفنا سرّ الثالوث الاَّ في تجسد ابن الله والآمه المحيية

رابعاً نقدم البخور فوق الاسرار حتى كما شهد الروح ان المسيح هو الحق ويوحنا قبل الوحي من العلا ان الذي يرى الروح حالاً عليه ذلك هو ابن الله فعاين وشهد قدام كل الشعب (١ . كذلك الكاهن يرفع يده فوق الاسرار ويصرخ ثلاث دفعات « قدّوس » قدام البيعة ليشهد لهم انهُ ابن الله

خامساً نطلب من الرب أَن يقدس افكارنا ويطهر ضمائرنا من كل دنس وخطية ليفهموا انهُ في سرّ العماد يموت الانسان عن الخطيئة ويحيا بالروح حياة جديدة . وكذلك يجب ان يفعل كل من يطلب الدخول الى عماد الرب

سادساً نرتل هذه التسبحة قبل قراءة الانجيل حتى انهُ كما امر الآب من السماء أَن نسمع لابنهِ والروح شهد انهُ هو الحق وهو قال عن نفسهِ « انهُ الطريق والحق والحياة » (٢ . وسمع لهُ كل العالم وآمنوا بهِ هكذا يذعن كل السامعين الكلام بشارتهِ ويتمسكوا بالاسرار المحتواة فيها

اخيرًا ان جميع البيعة تجاوب « ايها المسيح الذي ولدت او صلبت من اجلنا ارحمنا » والمراد بذلك اقرارهم بلاهوته وناسوتهِ وطواعيتهم لهُ وطلبهم الرحمة من نعمتهِ وانهُ كما صَرَخَ شعب اسرائيل في جبل سيناء انهم قابلون كل ما يأمرهم بهِ الله على يد عبده موسى كذلك هم قابلون جميع ما يأمرهم بهِ في انجيلهِ الطاهر على يد كاهنه . ثم نرفع التقديس والبخور للسيد المسيح لانهُ قدوس ويسكن ويستريح في القديسين

وانما نرفع لهُ ثلاثة تقديسات ردًّا على اليهود الذين تآمروا على قتله واحتقروا لاهوته وصرخوا ثلاثاً امام بيلاطوس « ارفعه اصلبهُ » . ومن ثم فاننا ردًّا على

١) يوحنا ١ : ٣٣   ٢) يوحنا ١٤ : ٦

اقوالهم نقر انهُ ابن الله ومستوجب التقديسات الثلاثة كما تقول البيعة في صلاة ستار الاحد بصوت ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ

ܩܕܝܫ ܐܢܬ ܐܠܗܐ ܐܒܘܢ ܕܡܫܒܚܝܢ ܠܟ ܡܠܐܟܐ. ܩܕܝܫܐ ܫܡܟ ܒܪܡܐ
ܩܕܝܫ ܩܕܝܫܐ ܩܕܝܫ ܠܗ

ثم رسمت البيعة ان تُكرر هذه التسبحة ثلاث دفعات حتى يكون عدد التقديسات التي نمجد بها الرب تسعة ليفهم السامعون ان المخلص هو ابن الله وانهُ حاوٍ كمال اللاهوت . وكما ان اليهود صرخوا ثلاث مرات « اصلبهُ » اوجبت البيعة على الكهنة والشمامسة في صلاة ليلة الجمعة العظيمة ان يرتلوا في كل صوت ثلاثة تقديسات

وها نحن نذكرها مترجمةً ليُفهم انها مرتفعة للابن وحده لا للثالوث جميعه وهي « قدّوس الله الذي لا يحدّه جميع السمويين والبشريين . قدّوس انت ايها القدّوس الذي لاجل محبتك انحنيت ولبست الجسد وبهِ خلصتنا . قدّوس انت الذي ظهرت كالانسان وصلبك شعب اليهود الملعون على العود . قدّوس انت ايها القوي الذي قوّته الخفية تحمل وتدبر البرايا وسكانها . قدّوس يا من احتملت من الضعفاء الاشقياء الآلام والصلب والشتم والعار . قدّوس انت يامن عضدك الملاك وانت واقف بالصلاة شبه انسان . قدّوس انت أيها الغير المائت بطبعهِ الذي في طبع البشر ذاق الموت . قدّوس انت يا من ادخلك المائتون للحكم والكهنة والكتبة اوجبوا عليك الصلب والموت . قدّوس انت الذي بموتك خلص ادم صورتك من ايدي الشرير والموت »

واما في سوغيت عيد الميلاد فقد رتبت البيعة ان نقول تسبحة التقديس هذه ثلاث مرات عند كل حرف من حروف الهجاء فيكون المجموع ستًّا وستين مرة والمراد بذلك الدلالة على ان الله تعالى حاوٍ كل قداسة وانهُ كما ان الفاظ اللغة لا تتركب الا من الحروف الهجائية هكذا الرب يستحق منا التقديس والتسبيح ليلًا ونهارًا بلا فتور فقد قال يوحنا « ان الاربعة الحيوانات لا تزال نهارًا وليلًا تقول قدّوس قدّوس قدّوس الرب الاله القدير الذي كان والكائن والذي سيأتي » (١

١) رؤيا ٤ : ٨

الفصل الثامن

في المزمور والتهليل اللذين يسبقان قراءة الانجيل اذ نقول

ܐܡܪ ܫܒܚܘ (رتل وسبح)

لما اراد الله ان يظهر مجده لشعب اسرائيل ويعطيهم الناموس امرهم ان يتطهَّروا ويتقدسوا من جميع الادناس ثم يصعدوا الى الجبل وهناك لكي يجعل خوفه في قلوبهم ويضطرهم بالرعب الى حفظ شريعته نزل امامهم بالرعد والبرق وبنار محسوسة مضطرمة وفي ضباب وظلمة دامسة وعواصف واصوات شديدة وهكذا ايضاً ملوك الدنيا عندما يأتون مكاناً يتقدمهم الجند بالسلاح والخيل والطبول والزمور حتى يستعد الناس لاستقبالهم بهيبة ووقار

ولهذا فان البيعة المقدسة قبل قراءة ناموس النعمة تأمر الموعوظين ان يؤدبوا نفوسهم بحكمة وخوف وروح الاستقامة والاتضاع وبتقديس افكارهم وضمائرهم من جميع الادناس كما تقدم الكلام في الصلوات الثلاث التي مرَّ شرحها في هذه المنارة. وهاهنا تأمر رئيس الشمامسة ان يرشدهم لا ببوق وصياح بل بتراتيل واغاني الروح قائلةً ܐܡܪ ܫܒܚܘ ܠܟܢܘܫܐ حسب قول الرسول « امتلئوا من الروح متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغاني روحية » (١. وقوله ايضاً « انصحوا بعضكم لبعض بكل حكمة وبمزامير وتسابيح واغاني روحية مرنمين في قلوبكم بالنعمة لله »(٢

وقد اراد بذلك انهُ كما ان كل ارض تُزرع وتُفلح على وجه خاص وكما ان كل نسيج يصقل ويصبغ على طريقة خاصة كذلك ناموس النعمة يجب ان يكون قبوله لا بالسيف والقهر بل بالرضى والطاعة كما سبق ورسم الله لايليا النبي حين ظهر لهُ في الجبل داخل المغارة فانهُ « هبت ريح عظيمة وشديدة تصدع الجبال وتحطم الصخور امام الرب ولم يكن الرب في الريح وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة

١) افسس ٥ : ١٩ ٢) كولسي ٣ : ١٦

وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار وبعد النار صوت نسيم لطيف» (١. وكان الله في النسيم فكلمه واوحى لهُ مشيئته واحكامه. اعني ان ناموس النعمة ما اوحاه لنا بعواصف وزلازل ولا بنار لكن بكلام لطيف انعطافي بواسطة ابنه الحبيب وروحه المعزي الذي ارسلهُ الى الرسل كصوت الريح فملأهم حكمة ونوراً

ومن ثم رسمت البيعة المقدسة عندما نريد قراءة هذا الناموس في البيعة ان نقدّمه بالتقديسات والتراتيل والتهاليل فالتقديسات تتضمن التسابيح التي وردتنا من الملائكة كما رآهم اشعيا قدام وجه الله « يرفرفون بستة اجنحة طائرين قائلين قدّوس قدّوس قدّوس الرب» (٢. والتراتيل تحوي تسبيح داود والكهنة والشعب الاسرائيلي عند خروجه من البحر الاحمر وتماجيد زكريا الكاهن وسمعان الشيخ ومريم والدة الخلاص في العهد الجديد. والتهليل يشبه تسبحة القديسين في بيعة الابكار كقول يوحنا « سمعت صوتاً في السماء كصوت مياه غزيرة وكصوت رعد قاصف والصوت الذي سمعتهُ هو صوت عازفين بالكنّارة » (٣. وبهذه التسابيح نمجد المسيح الذي امرنا ان نتلمذ جميع الخليقة بناموسهِ الطاهر ونقدس جسده ونوزعهُ عليهم وكل تسبحة من هذه التسابيح الثلاث نكررها ثلاث مرات اقراراً انهُ واحد من الاقانيم الثلاثة

اما بشان الرتبة فكما ان الملك عند دخوله الى المدينة يتقدمهُ الجنود واكابر الدولة كذلك المخلص تقدم تجسده الآباء والانبياء. وهكذا رتّب آباؤنا ان تَسبِقَ قراءةَ انجيل الحياة طلباتٌ وقراءاتٌ تدل عليها حتى ان السامعين بواسطة تقريب الطلب يتشبثون بالايمان الذي هو كالاساس في البنيان الروحاني وبواسطة تعليم الكتب يرفعون جناح قلوبهم لله بالرجاء كالسور المتين. وبواسطة سماع البشارة يعتصمون بهِ ومع بعضهم بوثاق المحبة كالبيت بجدرانه كما قد كتب « المحبة هي كمال الناموس » وعلى موجب ذلك رُتّبت التقديسات قبل الصلاة والمزامير قبل

١) ٣ ملوك ١٩ : ١١ ٢) اشعيا ٦ : ٢ ٣) رؤيا ١٤ : ٢

الرسالة والتهليل قبل الانجيل والتقديسات قبل الصلاة وقراءة الكتب لتقدس السامعين وتطهرهم من الخطايا كما ذكر ان اشعيا النبي لما سمع تقديس الساروفيم قال انهُ « دَنِس الشفتين ومقيم بين شعب دنس الشفـاه . فطار اليهِ اذ ذلك احد الساروفيم وبيده جمرة اخذها بملقط من المذبح ومسّ بها فمهُ فأُزيل اثمهُ وكفرت خطيئته » (١ . هكذا بعد تلحين التقديسات الثلاث نطلب من الرب ان يقدس افكارنا ويطهر ضمائرنا من كل اوساخ الخطية

ويقول الشمامسة المزمور قبل الرسالة اشارةً الى غنا روح القدس وافعاله بنسا كقول الرسول « امتلئوا من الروح متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغاني روحية » (٢ : وقال يعقوب في رسالتهِ الكاثوليكية « ان كان فيكم مكروب فليصلِ او مسرور فليرتّل » (٣ . والبيعة من ايام الرسل الموعبين كل حكمة تسلّمت الترتيل بالالحان فكان يبدأ بهِ راس المجمع ويتبعـهُ الكهنة والشمامسة وكانوا يرنمون كترنيم شعب اسرائيل عند خروجهم من البحر . وكالترنيم الذي نستعمله الان في القداس لدى تبخير الشعب وغسل ايدي الرؤساء ولبس الثياب الحبرية . وقيل ان هيروتاوس تلميذ بولس الرسول هو الذي ادخل التلحين في البيعة ثم تسلّم كرسي انطاكية اغناطيوس المتوشح بالله وشاهد الملائكة اجواقـاً يسبحون الله فامر ان ينقسم المرتلون فوجين . ومن انطاكية تسلّمت هذا الترتيل كنيسة القسطنطينية في ايام فلبيان بطرك انطاكية وقونسطـا ابن قسطنطين الملك وكذلك بقية الكنائس

غير ان هذه التسابيح لم تُرتَّب على عدد الهجاءات ولم تنتظم بالشعر الى عصر مجمع نيقية . فان برديص الفيلسوف السرياني وابنه رمقوص تأدبا بالحكمة الجسدية وعدلا عن الديانة المسيحية بما يخص الروح ونشوء الجسد والقامة وغيرها . فانحاز اليهما قوم من النصارى وتبعوا رأيهما وسمُّوا برديصيين اشتقاقاً من برديص . ثم ان رمقوص

١) اشعيا ٦ : ٥ ٢) افسس ٥ : ١٨ ٣) يعقوب ٥ : ١٣

تأدب باللغة اليونانية وبلغ فيها مرتبة عالية حتى صار خطيباً وحرر اوزان الشعر والترنيم وطرب الاوتار والانغام وجذب اليهِ قلوب كثيرين من الروم والسريان . ثم ان القديس افرام السرياني لشدة غيرته ولو انهُ لم يكن يعرف اللغة اليونانية الا انهُ اجتهد في حفظ قواعد الشعر ونظم الالحان حتى انهُ ملك منها الغاية القصوى وبقوة الروح صنف في اللغة السريانية ميامر ومدارج لا تحصى في قواعد النصرانية وفي عواقب الانسان والتوبة وغيرها بغاية الفصاحة ومن اجل ذلك لُقّب بكنّارة الروح القدس وقتل جليات الجبار بسيفهِ وعلقه في بيت الله ليكون عاضداً لبني الايمان ضد كل معاند

واما اللحن المعروف الى الان باسم مار افرام فهو الحاوي سبعة هجاءات . واما مار يعقوب المترجم فانشأ اللحن المتضمن اربعة هجاءات . ثم ان مار اسحق تابع مار افرام في تأليف المسبّع . ويعقوب السروجي نظم المربّع ومن هذين الصنفين تألفت باقي الانغام التي تزيد على سبعين صنفاً وبكثرة تراكيبها المختلفة واشكال ترنيمها الموافقة تدل على افعال الله في الارواح الطاهرة . واما القوانين التي عند الروم المعروفة بالقوقليون فقيل انها من تأليف قوريني ابن منصور والانباء قزما الدمشقي في بدء دخول المسلمين . وترنيمات المزمور الذي تلحنه الشمامسة هاهنا هي اجمل واشرف من سائر الترانيم لاجل مجد جسد الرب وغنا حكمته المتلألئة في الانجيل . ويقال المزمور قبل قراءة الانبياء والرسائل وفقاً لوصية الرسول القائل « فالان ايها الاخوة اذا قدمت اليكم وانا ناطق بالسنة فماذا انفعكم ما لم اكلمكم اما بوحي او بعلم او بنبوة او بتعليم » (١

واما التهليل فلا يقال قبل النبوات ولا قبل الرسائل بل قبل الانجيل لانه وحده يدل على ابتهاج القديسين في الملكوت حين يشاهدون الله عياناً ومواجهةً ومعنى هاللويا مجدوا لصاحب الوجود . والانجيل وحده هو قوة الله وسبب حياة كل

١) ١ كورنتس ١٤ : ٦

من يؤمن بهِ . واما سائر الكتب الأُخرى فهي دلائل او تفاسير لما فيهِ ولاجل ذلك عندما يقرأ الشماس التهليل نباركهُ قائلين « يقبل الله تهليلك ويفرّح قلب سامعيك في ملكوت السماء الى الابد »

والتهليل يقال ثلاث مرات اثنتين قبل الفتغام والواحدة بعده حسبما يذكر يوحنا « انهُ سمع صوتاً كصوت جمع كثير قائلين هللويا اولاً وثانياً . ثم خرّ الاربعة والعشرون كاهناً والاربعة الحيوانات وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين امين هللويا » (١ . ويُرتل صوت التهليل في كل مدى السنة في اوان الحزن والفرح في الصلاة والقداس لئلاَّ نمل مجد الله كما قال داود « ابارك الرب في كل حين وكل اوان تسبحته في فمي » (٢ . ما خلا جمعة الآلام لانهُ في آلام الرب حزنت البيعة خطيئته والشمس انكسفت والصخور تشققت وجنود السماء اضطربت ولاجل ذلك يُبدّل التهليل بتهميم وصوت الفرح بهدير اليمام حين تعدد وتنوح على فقد قرينها . والمراد بذلك كما ان التهميم الذي يصير في سبّة الآلام هو يسير بالنسبة الى تهليل كل السنة كذلك جميع ما نحتمل من الشدائد والمكاره في هذه الحياة لا يوازي جزءًا من الفرح والخيرات التي اعدها الله لاتقيائه في الآخرة

وبين التهليل يقال دائماً الفتغام من كلام العهد العتيق ويسمَّى فتغاماً من اللفظ والاجابة لان جميع ما كتب في العتيقة هو منسوب للمسيح الذي قال « اني ما اتيت لابطل بل لاكمل » وقد رسم لنا الله ذلك في الكروبَين اللذين وضعهما موسى فوق التابوت موضع الغفران وكانا ينظران الى موضع الغفران والى بعضهما . فالتابوت الزماني كان رسماً للبيعة المقدسة من آدم الاول الى الاخر . وموضع الغفران يدل على المسيح الذي وضعهُ الله للغفران والخلاص

واما الكروبان فهما العهد القديم والحديث وكما كان الكروبان ينظران احدهما الى الآخر والى موضع الغفران كذلك غاية العهدين هي المسيح وكل منهما موافق

١) رؤيا ١٩ : ٤ ٢) مزمور ٣٣ : ٢

الاخر . والاباء المتقدمون قد قسموا المزامير وكل التراتيل الى فتغامات على شبه القضايا والابيات . حتى انهُ في الصلاة يبدأ الفوج الواحد بيتاً ثم يتبعه الفوج الآخر بانشاد بيت ثانٍ . واما هاهنا فيبدأ الراس بالفتغام ويجاوبهُ الشعب بصوت واحد كما هو مكتوب « ان الشعب كان يسبح الله ويمجده ويشكره ويباركهُ كمن فم واحد » (١ . يريد بذلك انهُ ما دمنا في هذا العالم فان الاطهار الذين ثبتت لهم الشهادة لا ينالون الوعد ولا يكملون دون اخوتهم واما في آخر العالم فيكون الله كلاًّ في الكل

١) لوقا ١٨ : ٤٣



الشرح الثالث

في قراءة الكتب المقدسة

ان خدام المذبح بعد ان يهيئوا الموعوظين باصناف الطلبة والتوبة والتسبيح يقرأون عليهم الكلام الموحى من الله في كتبه المقدسة ليثمر فيهم ثمار البركة والخلاص على مثال الارض التي تأتي بالاثمار بعد ان تكون قد عُزقت لتنال هذا الغرض . ونقسم هذا الشرح الى خمسة فصول

الفصل الاول . في قراءة الرسالة اذ يقول الشماس ܡܢ ܦܘܠܘܣ

الفصل الثاني . في استعداد الشعب والكهنة قبل قراءة الانجيل

الفصل الثالث . في قراءة الانجيل

الفصل الرابع . في الوعظ بعد قراءة الانجيل

الفصل الخامس . في كرازة الشماس اذ يقول ܢܩܘܡ ܫܦܝܪ وفي الشكر



الفصل الاول

في قراءة الرسالة اذ يقول الشماس

ܡܢ ܦܘܠܘܣ ܫܠܝܚܐ (من بولس الرسول)

من حين اوحى الله الناموس امر الكهنة بقراءته امام الشعب ليخافوه ويعرفوا شريعته ولا يميلوا عنها يميناً ولا شمالاً وقال داود النبي « شريعة الرب كاملة تردّ الانفس وشهادة الرب صادقة تحكّم الغبي » (١

وكتب الرسول الى تيموتاوس « ان الكتاب كله اوحي بهِ من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج وللتقويم والتهذيب بالبرّ لكي يكون رجل الله كاملًا متأهبًا لكل عمل صالح » (٢ . لان طبيعة الانسان مائلة الى الفساد ومن غير ارشاد الروح لا تستطيع ان تهتدي الى طريق الخلاص ومن ثم اعطاها الناموس والانبياء لكي يرشدوها ويوضحوا لها الطريق ويكونوا كالسراج المنير في الموضع المظلم . ولهذا قال الانجيل المقدس ان السيد المخلص قرأ سفر اشعيا وفسره لليهود قائلًا « فتشوا الكتب التي تظنون ان لكم فيها حياة الابد فهي تشهد من اجلي » (٣ . وكذلك السادات الرسل كانوا يقرأونها وقد امروا بني الايمان بمطالعتها على ما هو جارٍ في جميع كنائس الاطهار

وبعد صعود المخلص لما كتبت الاناجيل امر بطرس الرسول ان تُقرأ في بيعة الله . وكذلك بولس الطوباوي لما اصطفاه الرب لكرازة البشارة كان يرشد المؤمنين في تعاليمه ويثبتهم في رسائله اذ يوصيهم ان يقرأوها على جميع الاخوة كما كتب الى اهل تسالونيكية « اناشدكم بالرب ان تتلى هذه الرسالة على جميع الاخوة القديسين » (٤

---

١) مزمور ١٨ : ٨)
٢) ٢ تيموتاوس ٣ : ١٦
٣) يوحنا ٥ : ٣٩
٤) ١ تسالونيكي ٥ : ٢٧

اما اهل كولسي فامرهم ان يرسلوا نسخة رسالته الى اهل اللاذقية والتي كتبها الى كنيسة اللاذقية امر بارسالها الى كولسي (١ ليكون بنو الايمان مؤدبين بمعرفة الخلاص وجميع غنى الروح كقول داود «كلمتك يارب مصباح لقدمي ونور لسبيلي» (٢. فكما ان الانسان في الجسدانيات اذا حرم نور الشمس يرقد متغافلاً عن كل عمل كذلك في الروحانيات اذا لم ترشده النعمة بضياء الناموس يرقد في ظلام الخطايا مهملاً السعي في الامور المرضية

وقد رسمت البيعة ان تُقرأ كتب الشريعة العتيقة اولاً لان العتيقة سبقت الحديثة في الزمان وكانت رمزاً الى مجيء ابن الله المزمع. واوجبت ان تؤخَّر قراءة الحديثة لانها حققَّت بالفعل وكمّلت جميع ما رسمه الآباء باخبارهم والشرائع برسومها والحكماء بامثالهم والانبياء باقوالهم والكهنة بملابسهم. وانما تؤخر نبوة اشعيا وتفضل على كتب العتيقة لان نبوته واضحة الاشارة الى تجسد ابن الله وموته وقيامته وخلاص الذين ينجيهم ومن ثمّ دعي خامس الانجيليين. وبعده يقرأ كتاب الابركسيس اي اخبار الرسل وتبشيرهم لليهود وسائر الامم لان الرسل دخلوا على تعب غيرهم وحصدوا بالنعمة التي أُعطوها من الله مجاناً ما زرعه المتقدمون بكدٍ وعناء

هذا وان كتاب الابركسيس متضمن الرسائل الكاثوليكية ايضاً لان التلاميذ هم ألّفوها. وبعد اخبار الرسل تُقرأ رسائل بولس الطوباوي لانه تتلمذ بعدهم وتعب وافاد اكثر منهم. اخيراً يُقرأ الانجيل الطاهر لانه تألّف بعد صعود الرب وكان خاتمة جميع الكتب

وكما يخبر الانجيل المقدس انهُ لما كان الرب يقصد التعليم في القرى والمدن كان يرسل تلاميذه امام وجهه اثنين اثنين ليعدوا الطريق ويخبروا بقدومه (٣. كذلك قبل دخوله الى العالم ارسل الآباء والانبياء والاحبار والحكماء والقضاة والملوك

١) كولسي ٤:١٦ ٢) مزمور ١١٨:١٠٥ ٣) لوقا ٩:٥٢

ليخبروا بتجسده ويمهدوا طريقه بكرازتهم وبعد ذلك قدم هو بنفسه كما كان يعلّم حسناً بولس الرسول قائلاً « ان الله الذي كلّم الآباء قديماً في الانبياء كلاماً متفرق الاجزاء مختلف الانواع كلمنا اخيراً في هذه الايام في الابن الذي جعله وارثاً لكل الاشياء (١ . فكان اشبه بالكرمة التي ترسل الاغصان اولاً ثم الورق ثم الزهر واخيراً العنب المقصود

ثم ان الرسل الاطهار كلما اخبرونا عن شيء من تدابير المسيح وتعاليمه في العهد الجديد ينبهوننا ان ذلك صار ليتم المكتوب على لسان فلان وفلان من اهل الشريعة العتيقة وبذلك حققوا لنا ان روحاً واحداً كان ينطق في جميعهم وان ما امر بهِ الرب في الانجيل كان وعد بهِ قديماً على لسان انبيائه

واما في خدمة القداس الطاهر فرسم آباؤنا بطاركة انطاكية ان لا نقرأ سوى الانجيل الطاهر الذي هو قوة الله وحياة من يؤمن بهِ مع فصل من رسائل بولس المصطفى لانجيل الله . لان الرب بوساطة جسده الذي نقدسه ونوزعه نزع عنا عبودية الاشباه والخيالات واعطانا حرّية البنين لننظر اليه بوجوه مسفرة كقول الرسول «حتى انه الى اليوم اذا قرئ موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم وحين يرجعون الى الربّ يُرفع البرقع . ان الربّ هو الروح وحيث يكون روح الرب فهناك الحرّية اما نحن جميعاً فننظر بوجه مكشوف مجد الرب » (٢

ولم يأذنوا بقراءة الابركسيس في القداس لانه يخبر خاصةً عن كرازة الرسل لشعب اليهود والاناجيل ورسائل بولس للامم وهي كفوء لتعليم الموعوظين اذ الانجيل يعلِم ما جرى في العهد الجديد والرسائل ما جرى في العهد العتيق . ولهذا عندما يقرأها الشماس نجاوب « المجد لربّ بولس والانبياء والرسل » لانها مغنية عن كل ما كتب الانبياء والرسل في العتيقة والجديدة

وتقرأ الرسالة عن اليمين والانجيل عن الشمال لان الله اختار اولاً شعب اسرائيل

١) عبرانيين ١ : ١ ٢) ٢ كورنتس ٣ : ١٥

واعطاهم الناموس ولما جحدوا نعمته اختار بدلهم الامم كقول يوحنا الحبيب انهُ « أتى الى خاصته وخاصته لم تقبله . فاما الذين قبلوه فاعطى لهم سلطاناً ان يكونوا ابناء الله » (١

وكذلك امر تلاميذه ان ينطلقوا خاصةً الى الخراف التي ضلّت من بيت اسرائيل ولانهم رفضوا سماع كلمة الخلاص قال لهم الرسول « انما كان يجب ان تقال كلمة الله اولاً لكم ولكن بما انكم رفضتموها وحكمتم بانكم غير مستحقين للحياة الابدية فها نحن نتوجه الى الامم » (٢

الفصل الثاني

في استعداد الكهنة والشعب لقراءة الانجيل

ان المخلص قبل مجيئه الى العالم ارسل يوحنا المعمدان ليسهل طريقه حسب قول النبي « هوذا انا مرسل ملاكي ليهيئ الطريق امام وجهك » (٣ . وهكذا الكاهن قبلما يقرأ الانجيل يرسل الشماس ليؤهب الحاضرين لاستماعه فيدعوهم اولاً المتقدم قائلاً « تقدموا الى الامام » ثانياً لينصتوا قائلاً « كونوا في السكوت ايها السامعون » ثالثاً للاصغاء قائلاً « انصتوا واسمعوا » رابعاً للشكر قائلاً « اشكروا لكلمة الله الحي » يريد بذلك ان يبادروا الى سماع قول الله حتى انهُ كما سجد ملائكة الله عند دخول البكر للعالم كذلك كل الحاضرين يسجدون لهُ ويقبلون كلامهُ بفرح وسرور فأمرهم اولاً بالدنو الى قدام كوصية الحكيم « احترز لقدميك اذا اقبلت الى بيت الله فان الدنوّ للاستماع خير من تقديم ذبيحة الجهال » (٤ .

١) يوحنا ١ : ١١
٢) اعمال ١٣ : ٤٦
٣) ملاخي ٣ : ١
٤) جامعة ٤ : ١٧

يريد بذلك الانتباه بالروح كقول الرب « قومي ياخليلتي ياجميلتي وهلمي ياحمامتي التي في نخاريب الصخر وفي خفايا المعاقل اريني محياك » (١ . ثانياً الانتصاب على الاقدام كقول الرب « تعالوا اليَّ ياجميع المتعبين والمثقلين وانا اريحكم » (٢ . ثالثاً الدالة في سماع قول الله كالابناء مع ابائهم فان شعب اسرائيل استعفوا من الدنو الى الجبل لئلا يهلكوا واما هاهنا فيقتربون الى كلام الحياة لكي يجدوا الخلاص

ثم يأمرهم بالصمت لا عن الحديث الباطل فقط المسخط لله بل ايضاً عن تشتيت العقل في طلب الغنى والامور الزائلة التي تخنق الكلام الذي يحل فيهم بهدوء كالزرع في الارض المستريحة وكالملك في المكان المعد له . ويطلب ان يكونوا مكشوفي الرؤوس لتوقير كلام الله لانهُ فاحص هواجس الافكار والقلوب واذا كان مجد رؤوسنا وفخرنا وقف قدام الوالي وارتفع على عود الصليب مكشوف الراس فكم حري بنا نحن المجرمين ان نقف امام رسوم عظمته

ويأمرهم بالاصغاء لكي ينتبهوا بآذان اجسادهم و يوعوا الكلام في خزائن العقل باشتياق القلب وحرارة الضمير شبه مريم المجدلية التي كانت تجلس عند قدمي المخلص ومثل الجموع الذين كانوا يتبعونه للقفر ويسألون قوت نفوسهم وكما يذكر الانجيل المقدس عن السيدة انها « كانت تحفظ كل الكلام وتتفكر به في قلبها » (٣ ثم يأمرهم ان يشكروا كلمة الله وذلك بوساطة القبول والاذعان كقول الرسول « الكلمة صادقة وتستحق القبول » (٤ . وقد قال مار انطونيوس في رسالته الرابعة عشرة « ان الوصايا ليست ثقيلة ولا تعبة بل نور حقيقي نور ابدي لمن اكمل الطاعة »

هذا ما يتعلق بالسامعين واما الكاهن فيضع بخوراً ويبدأ بمدح الثالوث الاقدس المجد بجوهر واحد وسلطة واحدة ومشيئة واحدة له العز والاقتدار على جميع

١) نشيد ٢ : ١٤ ٢) متى ١١ : ٢٨

٣) لوقا ٢ : ١٩ ٤) ١ تيموثاوس ٤ : ٩

الخلائق لان الرب يشهد ان معرفته هي حياة الابد وان ابن الله ما نزل من علو سماه ولا ارسل تلاميذه الى العالم باسره الاَ لينيروا الخليقة باشراقات هذا السر المجد ويتلمذوا جميع الناس ويعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان

ويسأل الرب ان يرفع عن قلوب السامعين الحسد والغش ويقدسهم بروحهِ القدوس لان رأس الحكمة مخافة الرب ولذلك يطلب للموعوظين المغفرة ليستحقوا سماع كلمته والعمل بها ثم يقرأ السلام على جميع البيعة يريد بهِ الصلح والاتحاد مع الله ومع جميع الاطهار

ولم تأذن كنيسة انطاكية الشماس ان يقرأ هذا السلام بحضور القس ولا القس بحضور الاسقف ولا الاسقف بحضور البطريرك بل اوجبت ان يقرأه المتقدم على الكل كما امر البابا داماسوس قائلًا ان الخوري لا يُسلّم في حضرة الاسقف لان واحدًا هو مخلصنا الذي نزل من السماء ليلقي الصلح على الارض وفي قيامته استودعنا اياه قائلًا « سلامي اعطيكم ».(١

ثم ان الكاهن يلتفت الى الشعب ويمد يمينه ويدعو لهم بالبركة التي منحها الرب لتلاميذه في جبل الزيتون وعلية صهيون وبذلك يطلب ان يستقر عليهم الروح المعزي ليبهج عقولهم ويسلّي قلوبهم . وحلول الروح واجب في بدء البشارة فقد كتب ان الرب قبل ان يبدأ البشارة اخذ سفر اشعيا وقرأ ان روح الرب عليهِ ولذلك مسحهُ الآب وارسلهُ ليبشر المساكين ويكرز بالسنَة المقبولة . وبعد صعوده لم يأذن للتلاميذ ان يبرحوا اورشليم للبشارة الا بعد أَن استقر عليهم الروح شبه أَلسنة من نار

اما مد اليد فيشار بهِ الى أَيد الروح وانحداره من العلا كما ذكر موسى في سفر الخروج انهُ لما صعد السبعون شيخًا الى الجبل وشاهدوا الله ارسل يده عليهم وذكر

١) يوحنا ١٤: ٢٧

الانجيل ان المسيح حين صعد بسط يديه على تلاميذه · وتعليمه فمد يد الكاهن دلالة على البركة وحلول الروح على الشعب كما نطلب لهم وللبلاد والمكان الساكنين به . وقد تسلم الكهنة من الرسل ان يمنحوا البركة للمؤمنين كما كان يكتب الرسول الرومانيين واهل افسس وغيرهم قائلاً « النعمة لكم والسلام من الله ابينا ومن الرب يسوع المسيح » وكذلك البيعة في آخر صلاة ليل الاحد تقول :

ܠܫܝܢܐ ܓܒܪ ܚܒ ܘܫܠܡܐ ܘܡܢ ܡܫܝܚܐ

الفصل الثالث

في قراءة الانجيل

ان جميع الامم لهم رئيس ومدبّر فينقادون اليه وذخيرة يستمدون منهـا العطر ونحن معشر المؤمنين رئيسنا وولي نعمتنا هو يسوع المسيح الذي أُعطي كلّ سلطان وله تجثو كل ركبة من في السماء ومن الارض ومن تحت الارض وذخيرتنا كتـابه العزيز حسبما قال الرسول في بدء رسالة الرومانيين « انهُ قوة الله لخـلاص كل من يؤمن » (١

واذا كنا نقبل كلام الناس وشهادتهم مع انهم كاذبون كقول الكتاب كل انسان كاذب (٢ فبنوع احرى يجب ان نقبل شهـادة الله في انجيله الذي قال « السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول » (٣. وشهد الرسول ان كلام الله حيّ عامل امضى من كل سيف ذي حدّين نافذ حتى مفرق النفس والروح والاوصال والمخاخ ومميّز لافكار القلب ونياته (٤ ولهذا فان المؤمنين منذ ابتداء النصرانية الى الآن لم يزالوا يكرمون الانجيل بايقاد المصابيح والبخور ويخضع له ملوكهم ويعكف

١) رومية ١ : ١٦
٢) مزمور ١١٦ : ١١
٣) متى ٢٤ : ٣٥
٤) عبرانيين ٤ : ١٢

عليه رؤساءهم وعند ما يُقرأ يقوم جميع اولاد الكنيسة على اقدامهم ويكشفون رؤوسهم كما ان كل الرؤساء والاراكنة والملوك يرفعون تيجانهم عن هامهم ويسمعون كلامه بخوف ورعدة مثلما يحق لرب الارباب المالك جميع الرقاب اذ يعتقدون ان الناطق فيه روح الرب ملك السلاطين ورئيس الاحبار

على ان هذا الوقار يصير خاصةً في خدمة الاسرار بالاعياد الدارخة عند ما يخدم القداس رؤساء الكهنة فانهُ بعد تلحين الثلاثة التقديسات يخرج رئيس الشمامسة من الخزانة وعلى صدره كتاب الانجيل ويتقدمه الشمامسة بالمنائر وهم يرتلون المزمور والكهنة بالمباخر وهم يلوحون بالمراوح . فيخرجون من الباب الشمالي ويدخلون من الباب الملوكي وبعد قراءة الرسالة يتقدم رئيس الشمامسة فيقبل يد الرأس قائلا ܒܪܟܡܪ ܘܗܠܟܝܢ فيباركهُ قائلاً ܐܠܗܐ ܢܗܘܐ ܥܡܟ وبعد ان يرتل الشمامسة التهليل والكهنة الفتغام يسير بهِ الى المنبر ومعهُ اثنان من الابودياكونية . فيصرخ الرسائلي ܩܘܡܘ ܡܫܬܡܥܝܢܢ . ثم يترجم احد الكهنة ܒܫܠܡܐ ܢܫܡܥ ثم ان الرسائلي ينادي الشعب قائلاً « تقدموا الى امام » فيباركهم رئيس الكهنة قائلاً ܫܠܡܐ ܠܟܠܟܘܢ ثم ان رئيس الشمامسة يفتح الانجيل على المنبر ويسمي كاتب الانجيل قائلاً ܡܢ ܐܘܢܓܠܝܘܢ والرسائلي يصرخ « كونوا بالسكوت » ثم يقول رأس الشمامسة ܒܫܠܡܐ ܫܡܥܘ فيطلب الشعب البركة قائلين ܐܒܐ ܒܪܟ . وحينئذٍ يقوم الرئيس عن الكرسي ويباركهم قائلا ܡܫܒܚܐ وعندما يباركهم يكونون مكشوفي الرؤوس قائمين بخوف وورع في حين ان حامل المجمرة يبخره ويكرر رئيس الشمامسة الترجمة والشعب يطلب الرحمة قائلا ܩܘܪܝ ܐܠܝܣܘܢ واذ ذاك يبدأ رئيس الشمامسة بقراءة الانجيل بصوتٍ عالٍ ونغمة لذيذة مهيبة ونطق منتظم ويختمهُ بكلمة ܒܫܘܒܚܐ ويطويه وينزل فيقبل يد الرئيس وعند نهاية الفصل فان الرئيس يخاطب الشعب قائلاً ܘܫܠܡܐ ܠܟܠܟܘܢ

ويشار بخروج الانجيل من الخزانة على صدر رئيس الشمامسة الى الكلمة الازلية من حضن ابيهِ ونزوله الى الارض في الجسد على يد جبرائيل رئيس الملائكة

لانهُ مثلما ان الكلمة المحتجبة في عقلنا تظهر للناس بلفظ اللسان او بالكتابة على القرطاس ومن غير ان تفارق العقل تتجسد في المداد حتى يفهمها كل من يقرأها هكذا الكلمة الازلية منذ الابد كان محجوباً في عقل الآب وفي آخر الازمنة ظهر للعالم بالجسد الذي اخذهُ منا من غير انهُ يفارق الآب

وانما يخرج الزياح مما يلي الشمال ومن تلك الجهة يُقرأ الانجيل لانهُ هناك يسكن سلطان الظلمة الذي قال « اني اضع كرسي على الشمال واتشبه بالعليّ » . فالربّ ببشارته هدم قوته وطرده خارجاً

ويدور الانجيل في وسط الشعب ويسجدون لهُ ليتمّ المكتوب انهُ عند دخول البكر الى العالم يسجد لهُ جميع ملائكة الله وانهُ اذا ارتفع جذب اليهِ الكل . والذي يقرأ الانجيل يقبل يدّ رئيس الكهنة قبل القراءة وبعدها للدلالة على الطاعة والخضوع لرؤساء البيعة لان سيّد الرعاة أئتمنهم على تدبير خرافه ليرسلوا لهم منذرين ومبشرين ويفحصوا الآراء والكتب الموافقة للخلاص كما قال الرسول « كل من يدعو باسم الربّ يخلص وكيف يدعون الى من لم يؤمنوا بهِ . وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا بهِ . وكيف يسمعون بلا مبشر . وكيف يبشرون ان لم يرسلوا » (١ وانما يطلب الشعب البركة قبل سماع البشارة من الرئيس او الرحمة من الله والمراد بذلك ان لا يتبع الشعب كل روح بل لينظر الى صوت الراعي و يتبعهُ الى مروج الحياة

ويُقرأ الانجيل في موضع عالٍ لنفهم ان الاسرار التي نبشر بها محجوبة عن عقول البشر ومنزلة من عند الله وتستحقّ القبول وانهُ يُنادى بها جهراً كما اوصى على لسان متى « الذي اقولهُ لكم في الظلام قولوه في النور . والذي تسمعونه في الاذن اكرزوا بهِ على السطوح (٢

والذي يقرأ الانجيل يرسم اشارة الصليب قائلاً باسم الآب الخ يدل على ان

١) رومية ١٠ : ١٣ ٢) متى ١٠ : ٢٧

تبشيره بتثليث الاقانيم الالهية وبتجسد ابن الله وموته على عود الصليب وقد قال الربّ « هذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح (١ وقال الرسول اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوبًا شكًّا لليهود وجهالة للأمم اما للمدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله (٢

وفي بعض كنائس يرسم من يقرأ الانجيل ثلاثة صلبان بابهامه على جبهته وفمه وصدره يريد بذلك ان الآب هو الرأس وبمنزلة العقل في اللاهوت والابن يصدر عنهُ كصدور الكلمة من الفكر والروح بمنزلة المحبة من القلب وان كلام الانجيل يستحق القبول بالعقل والفهم والقلب اعني بالفهم والقول والارادة

ويقرأ الانجيل رئيس الشمامسة بالسرياني ويترجمه رئيس الكهنة بلغة البلد لاجل فهم الشعب وافادتهم واشارةً الى ان الانجيل الذي ينادي بهِ خدام القداس في جميع اقطار الارض هو بنفسه الذي ينطق بهِ المسيح وكتبةُ المبشرون في الكتاب

ويمنح رئيس الكهنة في بدء قراءة الانجيل السلام للشعب وعند تمامه الامان تشبهًا بالملك الذي اذا ارسل كتابة الى شعبه يقرنه في البدء السلام وفي الآخر الامان اذ قد ذكر في الانجيل ان الربّ في دخوله الى العالم ارسل ملائكته تبشر بالسلام وعند خروجه قال السلام استودعكم. فالاول الذي يتقدم قراءة البشارة هو استعداد لقبول الكلام وكالقطر الذي يهيء الارض قبل الزرع والامان بعدها ينمي الكلمة لتأتي باثمار كثيرة كالمطر المنحدر بعد الزرع. ولهذا قال الربّ « اي بيت دخلتموه فقولوا اولًا السلام لهذا البيت فان كان هناك ابن سلامٍ يستقرّ سلامكم عليهِ والّا يرتدّ اليكم (٣

ويُلوّح بالمراوح فوق الانجيل وتسرج امامه المنائر ويوقد البخور. فلأن المراوح تشير الى استقرار الروح على الربّ والى الملائكة الذين كانوا يخدمونه في حياته وفي قيامته

١) يوحنا ١٧ : ٣ ٢) ١ كورنتس ١ : ٢٣ ٣) لوقا ١٠ : ٥

وبإشارهم وبوحيهم اقتادوا العالم لطاعته ولا يزالون يفعلون ذلك الى آخر الزمان. واما نور الشمع ودخان البخور فيشار بهما الى انوار معرفة الربّ وروائح احسانه التي افاضها على اهل العالم الجالسين في ظلام الجهل وقتام الخطايا فالبعض جذبهم للايمان به ايام كان حيًّا على الارض وآخرون اقتادهم الى معرفة الحقّ بعد صعوده بوساطة بشارته

ثم ان نور الشمع ودخان البخور يدلان على تعليم الرسل الاطهار وسعيهم في الفضائل كي يردّوا اليهود والكفّار الى استقامة الايمان ويدلان ايضاً على خدمة الكهنة وسياسة الشعب بكل تقوى الله والطهارة

الفصل الرابع

في الوعظ بعد قراءة الانجيل الطاهر

ان عاموس النبيّ تكلّم عن اواخر الزمان قائلًا «ها انها ستأتي ايام يقول السيد الربّ ارسل فيها الجوع الى الارض لا الجوع الى الخبز ولا العطش الى الماء بل الى استماع كلمة الربّ فيتيهون من بحر الى بحر ومن الشمال الى المشرق ويطوفون في طلب كلمة الربّ فلا يجدون. في ذلك اليوم يُغشى على العذارى الحسان وعلى الشبان من العطش» (١ وقد اراد بذلك كما ان حياة الجسد بالقوت واذا قلّ ونقص تضعف حواسّه وتبطل حركاته كذلك حياة الروح هي كلام الله. واذا قلّ تغيّر حسن العذارى ويكمل بهاء الشبان السالكين في منهج الفضائل. ولهذا شبّه الربّ المؤمنين بالخراف والكهنة بالرعاة لكي يسهر الرعاة وجهادهم دون أغنامهم يفهموا كم يلزم ان ينتبه الكهنة على خلاص شعبهم ويسيروا بهم الى موارد ماء الحياة ويسوقوهم الى مروج الراحة التي هي اسرار البيعة وتعاليم الكتب الالهية. ولمّا

---

١) عاموس ٨ : ١١

أراد الربّ ان ينتخب بطرس لرئاسة البيعة سأَلهُ ثلاث مرات ان كان يحبهُ اكثر من الآخرين وحينئذٍ اوصاه قائلًا « ارعَ خرافي ارعَ كباشي ارعَ نعاجي »

واشار بذلك ان رعايتهم لا تكون بالكره والضجر بل بالمحبة الصادقة مثل محبة الامّ التي تربّي بنيها والراعي الصالح في سياسة خرافه اذ يبذل نفسه دونها بصيانتها من الذئاب الكاسرة فلا يكفّ عن معالجة ذوي الاسقام وحمل الضعيفات وجبر المكسورات ولا عن السهر في الليالي حتى ينال الاجر والفخر. وهكذا قال ايوب الصديق « اني كنت عينًا للاعمى ورجلًا للاعرج وكنت ابًا للمساكين استقصي دعوى من لم اعرفه وأحطّم انياب الظالم وانزع فريسته من بين اسنانه وكنت اقول اني سأَموت في كنّي » (١) وبولس الرسول كتب لتيموتاوس يوصيه قائلًا « اناشدك امام الله ويسوع المسيح الذي سيدين الاحياء والاموات عند تجليه وملكوته ان اكرز بالكلمة واعكف على ذلك في وقته وفي غير وقته وحاجج ووبّخ وعظ بكل أناة وتعليم وكن متيقظًا في كل شيء واحتمل الشرور واعمل عمل المبشر وأوفِ خدمتك » (٢)

فلهذا من حين اعطى الله الناموس الزم الكهنة بقراءته وتعليمه للشعب ولمّا اجتاز بولس الرسول من برجه الى انطاكية بيسيديه ودخل في يوم السبت مع برنابا الى مجمع اليهود بعد قراءة الناموس والانبياء ارسل اليهما رؤساء الجماعة قائلين ايها الرجلان الاخوان ان كان عندكما كلمة وعظ وعزاء فخاطبا الشعب. وللوقت قام بولس الاناء المختار وكرز عليهم. هكذا رتّب الآباء ان رؤساء الكهنة بعد قراءة الكتب المقدّسة يعظون الشعب ويرشدوهم الى حفظ الشريعة الانجيلية

على ان بعض القديسين لمّا تأملوا افادة الشعب من سماع كلام الله وان ابن الله انحدر من عرش عظمتهِ ليتلمذ الجالسين في ظلام الخطيئة وقفوا نفوسهم على تعاليم الشعب واحبوه ليس فقط على غنى العالم بل ايضًا لاجل مجد الآخرة كما قال

١) ايوب ٢٩ : ١٥ ٢) ٢ تيموتاوس ٤ : ١

الرسول « الحقّ اقول في المسيح لا اكذب فان ضميري شاهد لي بالروح القدس ان لي غمّاً شديداً ووجعاً في قلبي لا ينقطع ولقد وددت لو اكون أنا نفسي مبسلاً عن المسيح من اجل اخوتي » (١

وكذلك مذكور عن موسى رأس الانبياء انهُ لمَّا اخطأ الشعب فعبدوا العجل كلّم الربّ ان يغفر لهم تلك الخطيئة او يمحوا اسمه من سفر الحياة . وذكر عن القديس قبريانوس اسقف قرطجنة انهُ كان شديد الغيرة في الكرازة حتى انهُ لم يكن يدع يوماً يمرّ دون ان يلقي فيهِ موعظة واذا اتفق كونه بعيداً عن الشعب وتعذر عليهِ الوصول اليهم كان يعظهم بالكتابة والرسائل وكان يشتهي دائماً ان يحظى باكليل الاستشهاد وهو قائم في منبر الوعظ ومن المواعظ التي الّفها بحنان فم الذهب يتبيّن جليًّا انه لم يكن انقص منهُ في التعب والغيرة على خلاص الانفس لانهُ كان قويّ الاعتقاد بان من خلّص نفساً هالكة لا يمكن ان يهمله الله او يتخلّى عنهُ

وكان رؤساء الشمامسة قديمًا يقرأون الانجيل ثم يعظ رؤساء الكهنة شارحين ومفسّرين . وكما انهُ في الجسد الحسّي لا تفعل الاذن فعل اللسان ولا الرجل فعل اليد كذلك في الجسد السرّي حين يحضر الاسقف المتولّي رئاسة الشعب وارشادهم لا يقدر احد سواه ان يعظهم ولا يخطب فيهم

وكتب البابا داماسوس عن الخوارنة انهم بحضرة الاسقف لا يقدرون ان يعلّموا ولا يسلّموا ولا يعظوا . ثم انه لمَّا نمت النصرانية وغزرت موارد العلم وشرحت الكتب المقدّسة سمح الآباء للكهنة ان يعظوا الشعب واذنوا في غيابهم للشمامسة ان يقرأوا المواعظ في البيعة كما حدّ الآباء في المجمع السادس « اذا امتنع الاسقف عن القدوم الى البيعة لا ينقطع الوعظ في ايام الآحاد والاعياد لتعليم الشعب » لان هذا الأمر لا يتعلّق في الايام المفرحة بالرؤساء وحدهم بل ينبغي لكل من اؤتمن على تدبير الانفس انهُ يهدي الشعب و يعظهم » . وكذلك المجمع الذي التأم بمدينة

١) رومية ٩ : ١

واسط في عصر البابا لاون يأمر قائلاً « لاجل بنيان الكنائس وافادة الشعب قد رضينا ان يعطى سلطان الوعظ للكهنة لا في المدن فقط بل في جميع الكنائس والرعايا. واذا مرض الكاهن وعجز عن الوعظ فليقرأ الشمامسة مواعظ الآباء القديسين اذا كانوا اهلاً لذلك. واما الشعب فيجب عليهم ان يلازموا البيعة ويقبلوا كلام الله بشوق كالارض الجيدة والذين يتهاونون عن سماع المواعظ فليسمعوا قول الآباء في مجمع قرطجنة. وعند ما يعظ الكاهن في الكنيسة فمن يخرج من بين الجماعة يكون محروماً لانهُ يصير عثرة للشعب وسبباً لكسل الكهنة عن التكلّم باسرار المسيح ». ثم ان آباءنا المتقدّمين جعلوا نسخة الانجيل في السرياني كاملةً وخالصةً من الزيادة والنقصان كما كتب المبشرون واما في العربي فجعلوه خلاف ذلك لتسهيل القراءة وتفسير المواضع العسرة. ويجب على من يقرأ المواعظ ان يدرسها اولاً حتى لا يكون كلامه مائتاً بل حيٌّ فاعل في قلوب السامعين ومن يعظ عن ظهر قلبه يجب ان يكون مؤدباً بالعلوم الطبيعية والالهية دارسا كتب الله وتفاسير الآباء الفاضلين ويكون معهُ سلطان من رئيسه وشهادة حسنة من الشعب ويكون رصين القول لا يعتمد على احاديث القبائل واخبار الامم غير الثابتة لان من لم يكن صاحب علم كيف يقدر ان يعلّم غيره ومن لم يفحص كلام الله وتفاسير الآباء كيف يستطيع ان يبرهن على المعاني الالهية ويميّز بين الحنطة والزؤان اعني بين الاراء المهذبة والمحدثة

الفصل الخامس

في كرازة الشماس ܢܩܘܡ ܟܠܢ (لنقم كلنا) وفي الشكر

ان الشماس يرتل ثلاث كرازات في خدمة الاسرار الالهية وتسمى كرازات بسبب موعظة الشعب لان الآباء الاطهار كانوا بدلاً منها يكرزون على الشعب ويرشدونهم في تلك الخدمة المقدسة

فالكرازة الاولى تقال هاهنا بعد قراءة الانجيل المقدّس كقول القديس باسيليوس «ومتى تمت قراءة الانجيل فان كان الاسقف حاضرًا يأخذ الكتاب بيده ويعظ الشعب بتفسير الفصل»

والكرازة الثانية تجري اذ يُعطى السلام في البيعة قبل تقديس الاسرار حسب وصية اقليمس في الكتاب الثامن «وبعد قراءة الناموس والانبياء ورسائلنا والاخبار والانجيل فليسلّم المرتسم على البيعة قائلًا نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة روح القدس تكون مع جميعكم امين. فيجاوب الجميع ومع روحك وبعد هذا الكلام يخاطب الشعب بكلام الوعظ»

والكرازة الثالثة تصير قبل مناولة الاسرار المقدسة اذ يقول الشماس «طوبى للنفس التي هي فائزة الان بالنقاوة في البيعة لان الروح القدس يكتب اسمها ويرفعها الى علوّ السماء»

والشمامسة في الكرازة الاولى يرشدون الشعب الى معرفة اسرار الله اعني انهُ موحّد في الذات والسلطنة ومثلث في الاسماء والاقانيم وان الاقنوم الثاني تجسد منا ليفيض علينا نعمتــه واشركنا بلاهوته ولذلك يستحق التسبحة والمجد وان يحفظوا بقلوبهم الوصايا التي سمعوها من قراءة الانجيل ويتأملوا بها لتكون لهم خمير الحيـاة شبه المنّ الذي كان يحوي كل الاطعمة وكان الشعب يجتهد في التقاطه وحفظــه

وان ما هو مرتب في العتيقة عن القرابين والكهنوت والمذبح انما هو رموز او ظلال متقدمة جسد الرب . وان يشكروا الله ويمدحوه بالفعل والقول والفم لاجل تعليمه لنا ومسرته بتوبتنا وخلاصنا

وفي الكرازة الثانية ينبه الشماسة الحاضرين الى الوقوف الحسن بخوف ورعدة لان الله ارتضى برفع الناقور ليرسل ابنهُ الوحيد من السماء ليحل بجسده على المذبح ولان الملائكة قائمين حول المذبح بوقار ورجفة وروح القدس يفيض نعمه وخيراتـه على المستحقين . وان يستعدّوا للسلام والمحبة مع بعضهم ليكمل الله نعمته وخيره ورحمته ويتوسلوا للآب ان يرتضي بتقدماتهم ولا يمنعهم موهبة جسد ابنـه وحلول روحه المعزّي ويطلبوا من جوده لاجل سائر ابناء المعمودية وان يطهر الكهنة والشمامسة ويمنح الغفران للحاضرين ويصون ذلك المكان من ملاك النقمة وكل الضربات

وفي الكرازة الثالثة ينبه الشماس الشعب الى حضور ابن الله على المذبح بلاهوته وناسوته وان الروح حال عليه والملائكة حوله . وان يستعدوا بطهارة القلب وصفـاء الضمير لقبول جسد الرب ويستمدوا شفاعة والدة الخلاص واصفيائه كما هو مكتوب « ان الذين قدموا الى التعييد في الهيكل طلبوا من فيلبس ان يريهم المخلص وفيلبس قال لاندراوس وكلاهما قالا ليسوع » وان يقدموا الطلب عن جميع مواكب بيعة الله وعن روسائها وملوكها وعن الاقارب والاباعد والاحياء والموتى الذين فُقدوا

ومما رتبت البيعة في هذه الكرازات يفهم ان الكهنة الذين يتلمذون الشعب عليهم ان لا يخاطبوهم عن الامور الزائلة بل عما يكون مفيدًا لخلاص نفوسهم كي يتبعوا الفضائل ويبتعدوا من الرذائل اي يعلموهم قواعد الايمان وحياة المسيح وآلامه وموته وكثرة محبته لخلاصنا والوصايا الالهية ومعرفة الخطـايا التي تسخط الله على الذين يطمعون برحمته . ويخاطبوهم عن افعـال الرحمة وعواقب البشر ويسعوا في انهاض الساقطين ويقظة الغافلين ورجوع التائهين واصطلاح المتنـافرين راجين

المجازاة من ربّ البيت الذي قال « ان الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » (١ .

وبعد هذه الكرازة فان من قرأ الانجيل يشكر الثالوث المقدّس قائلاً بصوت عالٍ « ليسمع المسيح ويرفع التسبيح والشكر والبركات لاجل كلامه الحي لدينا والى ابيه الذي ارسله لخلاصنا ولروحه الحي القدوس » وذلك حسبما قال الرسول « مهما اخذتم فيه من قول او فعل فليكن الكل باسم الرب يسوع المسيح شاكرين به لله الآب » (٢ . وهو امر في غاية الصواب لتكون كلمة الله تأتي باثمار كثيرة شبه الطعم في النصبة كقول الرسول « كونوا شاكرين ولتحل كلمة المسيح فيكم بكثرة معلّمين وناصحين بعضكم لبعض بكل حكمة » (٣ . لان كثيرين يشكون من ثقل الشرائع وخاصةً في سرّ الثالوث وتجسد ابن الله وصلبه لكن الذي ولد من الله وحفظ وصاياه يقر لا ان الوصايا ثقيلة بل انها لذيذة هينة كقوله الصادق « احملوا نيري عليكم فتجدوا راحة لانفسكم لان نيري ليّن وحملي خفيف » (٤ . كما سبق فرسم لنا في درج الكتاب الذي اطعمه لحزقيال النبي وكان الدرج مكتوباً كله من داخل وخارج ومسطراً فيه الندب والشعر والويل

يريد بذلك الدرج سفر الانجيل المقدس الذي فكّ ابن الله ختومه . اما الشعر فيدل على ابتهاج الاخيار ومجدهم كما هو مكتوب « طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها » (٥ . والندب يدل على نقمة الخطاة كما كتب « ان لم تتوبوا كلكم تهلكون » (٦ . والويل يدل على هلاك غير المؤمنين كما كتب « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (٧ . فاكل النبي وشهد انه صار في فمه كالشهد الحلو . والله برحمته يندي قلوبنا بنعمته لنسمع كلامه بفرح ويولد فينا اثمار الخلاص لنشنأ هذا العالم ونتابعه

---

١) متى ٥ : ١٩ ٢) كولسي ٣ : ١٧ ٣) كولسي ٣ : ١٥
٤) متى ١١ : ٢٩ ٥) لوقا ١١ : ٢٨ ٦) لوقا ١٣ : ٣ ٧) يوحنا ٣ : ٥

النتيجة

مما برهنا في هذا الشرح عن قراءة الكتب المقدسة وعن تعليم الموعوظين وتقريب الطلبة عنهم ومن اجل غير المؤمنين يفهم القاري اللبيب انها منارة مضية قدّام جسد الرب . واذا كان ناموس موسى الذي هو رمز وخيال الى جسده الطاهر شهد لهُ بطرس هامة الرسل انهُ كان كالسراج المضي. في الموضع المظلم الى ان يظهر النهار ويشرق الكوكب المنير في قلوب البشر فكيف تكون شهادتنا عن ظهور نهار نعمة الله وعن اشراق معرفته التي بوساطة مناداة الانجيل انارت قلوب الخليقة باسرها وجذبتهم اليه بالرضا والاختيار

فهذا الكوكب المضيء الذي يخبرنا عن حياة الرب وعن موته وقيامته انعم به علينا ليكون حالاً فوق مذبح المزود افضل من القوس التي جعلها عهدا في السحاب بينه وبين نوح وذريته فان تلك دلّت على عدم حدوث طوفان آخر. وهذا يخبر انه عندما يقول الكاهن على الخبز هذا هو جسدي وعلى الخمر هذا هو دمي تزول حقاً جواهر الخبز والخمر ويحضر على التأكيد ابن الله من السماء بجسده ودمه

واما الكاهن الذي يقرأ على الملا وبالاشعة الصادرة منه يتلمذ الموعوظين ويرشدهم الى الصراط المستقيم ليحصوا مع الكلمة ويُعدّوا نفوسهم لشركة جسد الرب كالعروس البهية التي لا دنس فيها فيتشبه حسناً بيوحنا المعمدان الذي ارسله الرب امام وجهه ليُعدّ طريقه وليعطي علم الخلاص لشعبه فتلمذ الشعوب وعمّدهم للتوبة وأعدّهم لاستماع البشارة حتى يلقوا بها اجلّ المراتب وصاروا لها منذرين ومبشرين

وكما ان يوحنا لم يكن المسيح بل صوت صارخ امامه كما كتب انهُ أتي

الشهادة ليشهد للنور والمسيح شهد لهُ انهُ كان سراجاً يضيء ويُنير لانهُ كان امامه كالصوت امام العروس كذلك الذي بقوله « هذا هو جسدي » يحضر جسد المسيح ليس هو المسيح بل سراج يضيء وينير امام جسد العروس حتى كل من يكون مستعداً لهُ يشترك معه على سرير مذبحه

فهرس

المنارة الاولى

الشرح الاول

في سر القداس والبرهان عليهِ من الكتب العتيقة والجديدة

وهو احد عشر فصلًا

الشرح الثاني

في هيئة القداس الطاهر ورتبته وهو سبعة فصول

الشرح الثالث

في حضور القداس الطاهر وهو سبعة فصول

المنارة الثانية

الشرح الاول

في الكنيسة وما يتعلق بها وهو احد عشر فصلاً

الشرح الثاني

في المذبح المقدس وهو عشرة فصول

الشرح الثالث

في اواني المذبح وتقديسها وهو ثمانية فصول

المنارة الثالثة

الشرح الاول

في خدام المذبح ويشتمل على ثمانية فصول

الشرح الثاني

فيما يخص الكاهن خادم الاسرار ويشتمل على تسعة فصول

الشرح الثالث

في ملابس الكهنة والشمامسة ويشتمل على اثني عشر فصلًا

المنارة الرابعة

الشرح الاول

في استعداد الكاهن وهو ثمانية فصول

الشرح الثاني

في صمدة الاسرار ويشتمل على تسعة فصول

المنارة الخامسة

الشرح الاول

في تقديم الطلب والتسبيح والبخور لابن الله الذي ظهر في العالم متجسداً وفيهِ ستة فصول

الشرح الثاني

في السيد المخلص مع تذكار قديسيه وفيهِ خمسة فصول

الشرح الثالث

المنارة السادسة

الشرح الاول

الشرح الثاني

الشرح الثالث

موسوعة تاريخ الموارنة

1 - موسوعة تاريخ الموارنة: تاريخ الكنيسة الإنطاكية المارونية من أقدم العصور إلى اليوم للخوري ميخائيل غبرئيل الشبابي. 864 ص، 20$

2 - سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي، تحقيق وتعليق رشيد الخوري الشرتوني. 300 ص، 9$

3 - تاريخ أساقفة الموارنة من القرن السادس عشر حتى العشرين لِ يوسف خطار غانم. 390 ص، 10$

4 - شهداء الموارنة، مستندات تاريخية بشأنهم، سيرة واستشهاد البطريرك حجولا وآخرين نشرها البطريرك أنطون عريضة. 155 س، 6$

5 - اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية للأب بطرس روفائيل مع ملحق عن علاقة الموارنة بالكنائس الشرقية.

225ص، 8$

6 - تاريخ الموارنة في مصر (1745 - 1927) للقس بطرس خويري.



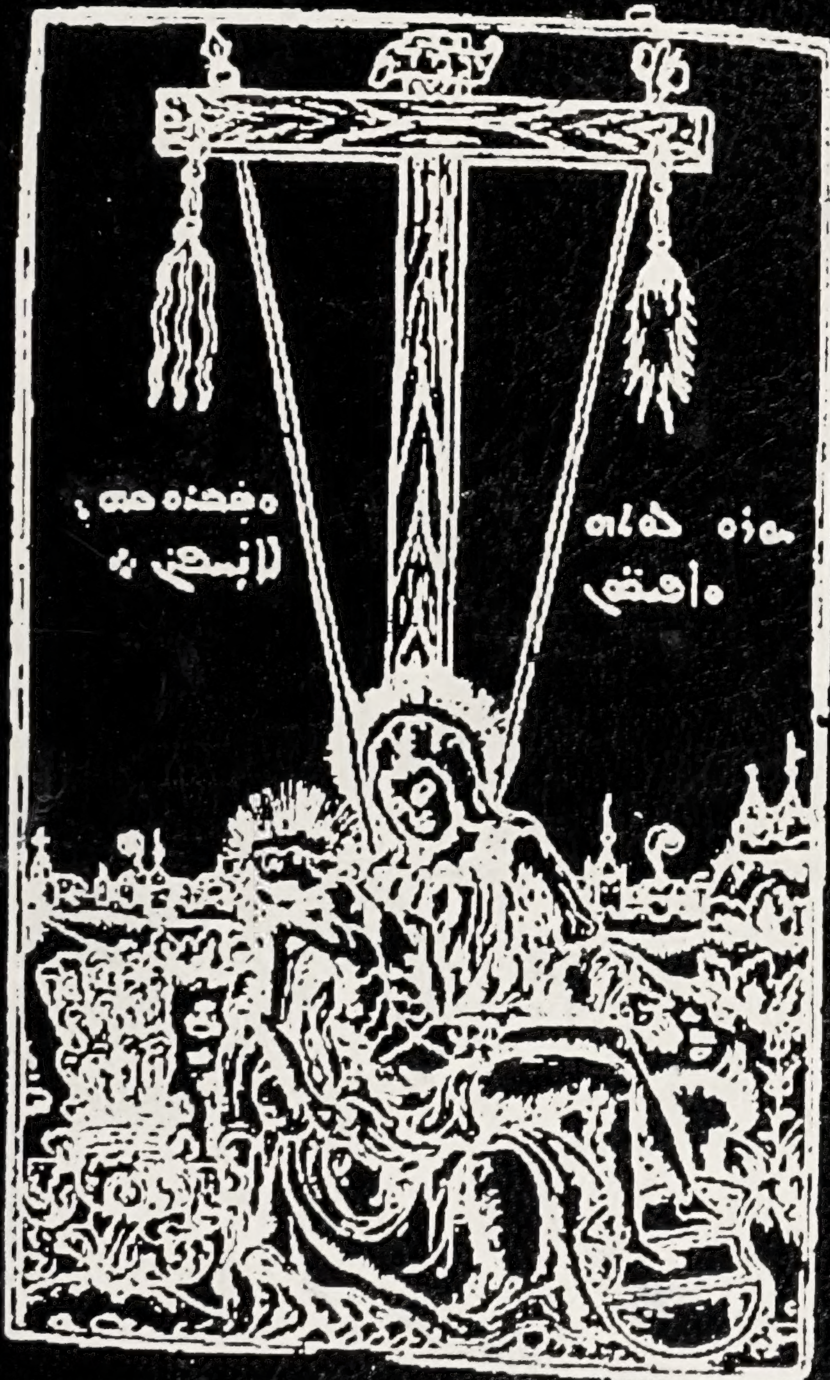
دار ومكتبة بيبليون

جبيل - لبنان

سلسلة الموارنة تاريخ وتراث 1

منارة الأقداس

للبطريرك أسطفان الدويهي



موسوعة لاهوتية،

روحانية وليتورجية

دار ومكتبة بيبليون